مَوْسُوعَة

المَوْصِل الحَضَارِيَّة

المُجَلَّد الثَّانِي

٢









دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل

الطبعة الاولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م
٩١٠٢٥ / ٤٠٠٠ / ٢



نشر وطبع وتوزيع :
دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل
شارع ابن الاثير- الموصل- جمهورية العراق
هاتف ٧٦٣٢٣١
تلكس ٨٠٩٢



بسم الله الرحمن الرحيم



توطئة

إذا كانت المدن العراقية القديمة ومنها مدينة نينوى وحصنها الغربي (الموصل) قد شكلت الأطر المادية التي نشأت في ربوعها الحضارة العراقية القديمة كما تم توضيح ذلك في الجزء الاول من الموسوعة، فان الحضارة العربية الاسلامية قد أتخذت من المدن التي مصرتها في فجر نهضتها كالبصرة والكوفة والموصل والفسطاط والقيروان وغيرها مراكز عظيمة لانطلاق قيمها ومثلها ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية.

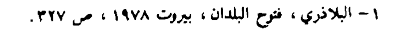
وقد كان المسجد بصفته المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء العبادة والتعلم ومناقشة أمورهم العامة المركز الذي انطلق منه تخطيط المدينة العربية الاسلامية. فبنيت الى جواره دار الامارة، واقيمت الاسواق، والاحياء السكنية المختلفة. وبذلك عبر الاسلام عن هويته الحضارية من خلال المدن التي مصرها على اعتبار أن «المدينة هي الحضارة».

وقد تجسدت روح التسامح التي تميز بها الاسلام تجاه أصحاب الأديان الأخرى في الاسلوب الذي اتبعه المسلمون في تخطيط مدنهم، اذ حرصوا على عدم المساس بالمنشآت الدينية لغيرهم على الرغم مما كانوا يحملون من حماسة لعقيدتهم. فقد ذكر البلاذري على سبيل المثال أن هرثمة البارقي الذي عينه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) والياً على الموصل قد قام بتخطيط مدينة الموصل الى جانب المنشآت الدينية والسكنية القائمة لأصحاب الديانات الأخرى: «وكان بها الحصن وبيَعُ النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود، فمصرها هرثمة فأنزل العرب منازلهم واختط لهم، ثم بنى المسجد الجامع»[1].

لقد كانت الحقبة العربية الاسلامية من تاريخ الموصل التي استمرت بضعة قرون، اكثر الحقب التاريخية حيوية واشراقاً، إذ أزدهرت خلالها الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية. وقد تمخضت هذه الحقبة عن الكثير من القيم الحضارية والثقافية التي مازالت حية في نفوس ابناء المجتمع حتى يومنا هذا.

في ضوء ماتقدم، فقد وجدت هيئة تحرير الموسوعة أن من الواجب اعطاء هذه الحقبة من تاريخ الموصل اهمية متميزة فخصصت الجزئين الثاني والثالث لدراسة التطورات السياسية والحضارية والثقافية التي شهدتها هذه المدينة العريقة منذ التحرير العربي الاسلامي لها سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م وحتى عهد السيطرة العثمانية سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م.

واذا كانت الموسوعة قد أتخذت من التاريخ السياسي للمدينة اطاراً عاماً لتقسيم الفترات التاريخية المختلفة التي مرت بها ودراسة التحولات الحضارية والثقافية من خلاله، فإن تركيزها الاكبر كان على دراسة النواحي


١ - البلاذري، فتوح البلدان، بيروت ١٩٧٨، ص ٣٢٧.



الحضارية بابعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية . بل ان قيمة كل عهد سياسي كانت مرهونة بما أنجزه هذا العهد من انجازات حضارية متنوعة . لذا فقد خصصت الموسوعة مباحث عدة لدراسة التحولات الحضارية في كل عهد من العهود السياسية التي مرت بها المدينة فضلاً عن دراسة هذه التحولات في اطارها الشامل وبما يغطي كامل الحقبة العربية الاسلامية .

واذ تضع هيئة تحرير الموسوعة ، بين يدي القارئ الكريم الجزء الثاني من الموسوعة الذي يدرس تاريخ مدينة الموصل من الناحية السياسية والحضارية خلال الحقبة العربية الاسلامية لتأمل أن تقدم له في الجزء الثالث صورة تفصيلية عن الحياة العلمية والثقافية والفنية وبما يتناسب مع تاريخ هذه المدينة العريق في خدمة الحضارة والانسانية .

رئيس هيئة تحرير الموسوعة



المحتويات

الموصل في التاريخ العربي الاسلامي

(١)

التطورات السياسية والحضارية في الموصل منذ التحرير العربي وحتى السيطرة العثمانية



الاوضاع الحضارية للموصل منذ التحرير العربي حتى السيطرة العثمانية

الحياة الثقافية



الفتوحات العربية الإسلامية
في الثلاثة قرون الأولى للهجرة

الحدود الخارجية للفتوحات
حدود التقسيمات الادارية

جدول مساحات البلدان العربية

البلد	المساحة بالكيلومتر المربع	المساحة بالميل المربع
فرغانه	٧٥٦٦٦	٢٩٢١٥
الشاش	٣٨٤٧٤	١٤٨٥٥
فاس	٣٣٣٤٤	١٢٨٧٤
رشت	٢٣٠٨٥	٨٩١٣
سمرقند	٦٢٢٠٠	٢٤٠١٦
ختل	٣٢٠٦٢	١٢٣٧٩
ختنات	٢٨٥٣٥	١١٠١٧
صغانيان	٦١٥٠٩	٢٣٧٦٨
الصغد	٨٠١٥٥	٣٠٩٤٤
طخارستان	٨٤٦٤٤	٣٢٦٨١
خوارزم	١٥٠٦٩١	٥٨١٨٢
السند	٨٧٨٥٠	٣٣٩١٩
سجستان	٢٥٨٠٩٩	٩٩٦٥٢
خراسان	٥٤٥٠٥٤	٢١٠٤٤٦
جرجان	٤٩٠٥٥	١٨٩٤٠
قومس	٤٤٨٨٧	١٧٣٣١
دشت كبير / دشت لوط	١٨٩٤٨٦	٧٣١٦١
قوهستان	١٠٧٧٢٨	٤١٥٩٤
مكران	٣١١٠٠١	١٢٠٠٧٨
كرمان	١٣٤٩٨١	٥٢١١٦
فارس	٢٦٦٧٥٦	١٠٢٩٩٥
الجبال	٣٠٧٧٩٥	١١٨٨٤٠
اذربيجان	١٣٠١٧٢	٥٠٢٥٩
الران	٣٣٣٤٤	١٢٨٧٤

البلد	المساحة بالكيلومتر المربع	المساحة بالميل المربع
شيروان	١٨٢٩٢	٢٦٣١٨
جرزان	٩١٠٥٦	٣٥١٥٧
ارمينيه	٨٣٣٦١	٣٢١٨٦
تارات	٢٨٨٥٦	١١١٤١
الجزيرة	٢٣٨٥٤١	٩٢١٠١
العراق	٢١١٦٠٩	٨١٧٠٢
بلاد الشام	١٦٩٩٢٧	٦٥٦٠٩
ديار العرب	٣٠٣٦٢٧١	١١٧٢٣٠٦
مصر	٦٣١١٢١	٢٤٣٨٦٩
افريقية	١١٨٣٠٨٨	٤٥٦٧٩١
برقه	١٦٧٦٨٤	٦٤٧٤٣
بلاد النوبه	٧٤٣٨٣٨	٢٨٧١٩٦
المغرب الأوسط / المغرب الأقصى	١٢٠١٧١٧	٥٠٢٥٩٤
بلاد الاندلس	٦٧٠٠٩٦	٢٥٨٧٢٤
قنو قوم	١٥٧١٨٨	٦٠٦٩٠
جزيرة قبرص	١١٨٦٣	٤٥٨٠
جزيرة كريد	١٠٥٨٠	٤٠٨٥
جزء من ايطاليا	٦٧٣٣	٢٦٠٠
جزء من صقليا	٢٤٠٤٩	٩٢٨٤
جزيرة سردينيا	٢١٨٠٢	٨٤١٨
جزيرة كورسيكا	٨٦٥٦	٣٣٤٢
جزيرة منورقه	٨٠١	٣٠٩
جزيرة ميورقه	٣٢٠٦	١٢٣٨
المجموع الكلي	١٢٠٠٧٤٥٥	٤٦٣٦٠٨٢



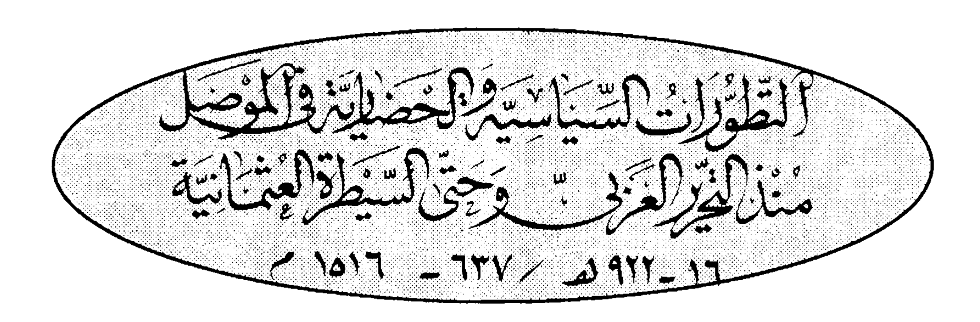

مكتبة
الفكر الجديد

الموصل في التاريخ العربي الإسلامي

(١)




مكتبة
الفكر الجديد



الموصل والرسالة الإسلامية

أ.د هاشم يحيي الملاح

أوضاع المنطقة قبل قيام الحكم العربي الاسلامي : -

كانت منطقة الموصل منذ عصور ماقبل التاريخ موطن عطاء حضاري متقدم بحكم خصوبة أرضها ، وجودة مناخها ، وموقعها الجغرافي الملائم. لذا فقد أثبتت الدراسات الأثرية أنه كان لهذه المنطقة فضل السبق في مجال أكتشاف الزراعة ونشوء القرى والمدن وما رافق ذلك من آزدهار حضاري في ميادين الحياة المختلفة على الكثير من المناطق في العالم.

وقد نهضت الاقوام التي نزحت من شبه الجزيرة العربية واستوطنت في منطقة الموصل وبقية أجزاء العراق الأخرى بدور متميز في خدمة الانسانية من خلال الكثير من المعطيات الحضارية التي توجتها بتأسيس الدول والحضارات التي حققت منجزات كبيرة في التاريخ .

وكان للامبراطورية الآشورية التي آتخذت من نينوى عاصمة لها فترة من الزمن دور كبير من الناحية السياسية والثقافية والعمرانية في حياة العراق والبلدان المجاورة لفترة امتدت الى ما يقرب من ألف واربعمائة سنة (٢٠٠٠ ق.م-٦١٢ ق.م).

غير أن سقوط الامبراطورية الآشورية ، ووقوع العراق تحت تسلط الاقوام الاجنبية لمدة طويلة من الزمن. آمتدت من سقوط الدولة البابلية سنة ٥٣٩ ق.م. وحتى قيام الحكم العربي الاسلامي في العراق في النصف الاول من القرن السابع الميلادي ، قد أدى الى فقد العراق دوره القيادي في المجال السياسي والحضاري[١] .

ان فقد العراق استقلاله السياسي لمدة تزيد على ألف وماثة عام لم يمنع العراقيين من مواصلة

عطائهم الحضاري والتأثير في الاقوام المتسلطة على مقدرات الحياة السياسية في بلادهم، لأن تلك الاقوام كانت أقل تقدماً منهم من الناحية الحضارية. لذا فقد ظلت الحضارة الآشورية- البابلية هي السائدة في العراق على الرغم من سيطرة الفرس الأخمينيين، وكانوا أول من احتل العراق، «بل إن الأخمينيين أنفسهم اقتبسوا الكثير من تلك الحضارة ومنها نظم الادارة والبريد. كما ظلت اللغة الاكدية بكتابتها المسمارية هي السائدة. واستخدم الفرس أنفسهم اللغة الأكدية كلغة ثانية لنصوصهم الملكية. ثم بدأت اللغة الآرامية - وهي من اللغات العربية القديمة - كاللغة الاكدية واللغة العربية، تزاحم اللغة الاكدية وتحل محلها تدريجياً، وقد ساعد على انتشارها سهولة خطها الابجدي. وبعد فترة بدأت اللغة العربية تزاحم اللغة الآرامية وتحل محلها وأصبحت لها السيادة المطلقة»(٢) قبيل الاسلام.

وحين بسط اليونانيون في فترة الاحتلال السلوقي سلطانهم السياسي على العراق نشأ صراع وتفاعل حضاري بين الحضارة اليونانية وحضارة وادي الرافدين كان من نتائجه تأثر حضارة اليونان بحضارة وادي الرافدين وبقية حضارات المشرق فأصبحت تدعى بالحضارة الهلينية، لأنها كانت مزيجاً من المعطيات الحضارية الغربية والشرقية(٣).

وقد ظلت الروح الحضارية في العراق وغيره من الأقاليم العربية تكافح من أجل العطاء والانطلاق الحضاري على الرغم من القيود التي فرضتها عليها الاقوام الاجنبية من فرثية وساسانية وبيزنطية. وربما كان ظهور المسيحية في المنطقة العربية وانتشارها على نطاق واسع في العالم أحد أكبر المعطيات الثقافية التي قدمتها الحضارة العربية للعالم في الحقبة الواقعة بين سقوط بابل وظهور الرسالة الاسلامية في مكة سنة ٦١٠م.(٤)

ويلاحظ أنه كان لهجرات القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية الى العراق ومنطقة الجزيرة المحيطة بالموصل أثر كبير في المحافظة على الهوية العربية للمنطقة ومقاومة التسلط الاجنبي عليها. وكان من ابرز القبائل العربية التي هاجرت الى العراق واستوطنت في منطقة الجزيرة والموصل أياد وتغلب ونمر وشيبان وقضاعة(٥).

وقد أشارت المصادر التاريخية باقتضاب الى بعض صور المقاومة التي أبداها أبناء هذه القبائل بازاء التسلط الفارسي على العراق. فقد أورد المسعودي أنه كان لقبيلة أياد العربية التي اعتادت أن تقضي الصيف في الجزيرة وتمضي فصل الشتاء في أرض السواد، وقائع حربية ضد سابور الثالث الذي حكم من سنة ٣٨٣م الى سنة ٣٨٨م. وفيه يقول شاعر أياد:

على رغم سابور بن سابور أصبحت
قباب أياد حولها الخيل والنعم(٦)

كما ذكر الطبري أن لقبيلة قضاعة التي سكن قسم منها في منطقة الجزيرة دوراً مهماً في مقاومة الفرس. وقد وصف شاعرهم عمرو بن إلة بن الجُدي إحدى الوقائع التي انتصروا فيها على الفرس بقوله:-

لقيناهم بجمع من علاف
وبالخيل الصلادمة الذكور
فلاقت فارس منا نكالا
وقتّلْنا هرابز شهرزور(٧)
دلفنا للاعاجم من بعيد
بجمع كالجزيرة في السعير

ولم تقتصر المقاومة العربية للحكم الاجنبي على أبناء القبائل كما قدمنا، بل إنها شملت سكان الحواضر المستقرين. غير أن أسلوب المقاومة إتخذ شكل المعارضة لعقائد المحتلين ورفض الاندماج في



أديانهم ومذاهبهم. فقد رفض معظم عرب العراق الدخول في المجوسية وهي الديانة الرسمية للامبراطورية الساسانية. كما رفض معظم العرب الذين كانوا على الديانة المسيحية اعتناق المذهب الرسمي للدولة بخصوص طبيعة السيد المسيح[٨].

وقد توصل أحد الباحثين المعاصرين الى أن ذلك لا يرجع الى دوافع فلسفية أو عقائدية محضة، بل إنه كان يرجع بصورة رئيسة الى اسباب سياسية تتلخص في تطلع شعوب المنطقة من غير اليونانيين الى الاستقلال عن الامبراطورية البيزنطية. علماً بأن المجال الجغرافي الذي كانت تعيش فيه الاقوام الآرامية قد جعل «من العربية لغة الكنيسة الموحدة كما جعل رعاياها أناساً مستقلين عن بيزنطة على الصعيد الآيديولوجي ... ومن الصعب إخضاعهم وهم الذين حافظوا على تقاليدهم الثقافية والفلسفية التي تكونت في سوريا خلال الاجيال»[٩].

البحث عن الحقيقة وظهور رسالة الاسلام :-

لقد ترتب على الصراعات السياسية والانقسامات الدينية والمذهبية التي سادت في منطقة نفوذ الامبراطورية الساسانية والامبراطورية البيزنطية، خلال القرن السادس الميلادي أن نشأ تطلع عام بين أهل الأديان الموجودة في المنطقة العربية وما حولها الى مجيء نبي أو مخلص لإنقاذ الناس مما هم فيه من قلق ومعاناة. وقد حفلت كتب السيرة النبوية بالاشارة الى أن رهبان النصارى وأحبار اليهود كانوا يتطلعون الى مجيء المسيح المنتظر. بل إن اليهود في يثرب كانوا يتهددون العرب كلما نشب نزاع بينهم بقرب ظهور نبي من بينهم ليقودهم ويقضي بهم على خصومهم[١٠].

وإن مما يوضح أبعاد هذا التطلع العام الى الهداية ويكشف وحدة الهموم الروحية والفكرية التي كان يعيشها أهل كل من بلاد العراق والشام والحجاز وغيرها من المناطق أن نعرض قصة اسلام سلمان الفارسي بإيجاز من خلال ما اورده ابن اسحاق عنها من روايات. فبعد أن أوضح ابن اسحاق كيف أن سلمان ترك دين قومه «المجوسية»، وغادر موطنه أصبهان على خلاف إرادة أهله، بحثاً عن الدين الحق بين مذاهب النصرانية، وأخذ يتنقل من راهب الى آخر، ومن مكان الى مكان غيره، في العراق والشام، حتى استقر به المقام في يثرب من بلاد الحجاز حيث اعتنق الاسلام بعد هجرة الرسول ﷺ اليها. وكان مما ذكره ابن اسحاق عن رحلة سلمان أنه توجه الى الموصل للتعلم فيها لأن الناس كما أخبره معلمه السابق قد «بدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلاً بالموصل». وقد أقام سلمان عند هذا الرجل يتعلم منه حتى وفاته. ثم واصل تنقلاته بين المعلمين حتى أوصاه آخرهم بأن يتوجه الى يثرب في أرض العرب لأنه «قد أظَلَّ زمان نبي، وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام»[١١].

وربما كان مما يدعم جوهر الفكرة التي تنطوي عليها قصة اسلام سلمان الفارسي ما أوردته المصادر التاريخية عن رحلة الرسول ﷺ الى الطائف والتقائه هناك بشخص يدعى عداس، وكان مسيحياً من أهل نينوى. فقد ذكر ابن اسحاق أن الرسول ﷺ حينما أضطره سفهاء الطائف للالتجاء الى أحد بساتينها للتخلص مما كان يتعرض له من الأذى جاءه عداس بطبق فيه عنب. «فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن اهل أي البلاد أنت ياعداس وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى؛ فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح



يونس بن متى؟ فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه» فلما رأى عتبة وشيبة إبنا ربيعة ما فعله غلامهما عداس مع رسول الله ﷺ وكانا مشركين قالا له : «ويلك ياعداس، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه. قال ياسيدي ما في الارض خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي. قالا له : ويحك ياعداس، لايصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه»[١٢] .

إن هاتين القصتين على الرغم مما قد يكون دخلهما من تلوين وصنعة على أيدي الرواة فإن دلالتهما قوية على وحدة الهموم الروحية في المنطقة العربية ، وعلى قوة التواصل الفكري بين أهل الموصل وأهل الحجاز في عصر الرسالة .

وإن مما يقوي هذا الاستنتاج ويؤكده أن نشير الى أن بعض الروايات التاريخية قد ذكرت أن بعض الاحناف الذين رفضوا عبادة الاصنام ولم يدخلوا في اليهودية والنصرانية قد أوصلتهم اسفارهم وهم يبحثون عن العقيدة الصحيحة الى الموصل. وكان من ابرز هؤلاء الاحناف زيد بن عمرو بن نفيل. فقد ذكر ابن كثير انه لم يكن هناك بين الاحناف من هو «أعدل أمراً وأعدل ثباتاً من زيد بن عمرو ابن نفيل؛ اعتزل الاوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها ، الا دين الحنيفية ، دين ابراهيم ، يوحد الله ويخلع من دونه ، ولا يأكل ذبائح قومه»[١٣] .. ثم إن زيد بن عمرو بن نفيل قد ذهب الى «الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب الاول دين ابراهيم ويسأل عنه ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها حتى أتى راهباً ببيعة من أرض البلقاء كان ينتهي اليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال له الراهب إنك لسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه. ولكنه قد أظل خروج نبي وهذا زمانه»[١٤] .

وقد ذكر البخاري في صحيحه أن زيد بن عمرو بن نفيل لقي الرسول ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي «فَقُدِّمَت الى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها. ثم قال زيد إني لست آكلُ مما تذبحون على أنصابكم. ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه»[١٥] . هذا ، وإن مما يجدر ذكره في هذا المجال أن نشير الى أن زيد بن عمرو بن نفيل قد «توفي وقريش تبني الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ بخمس سنين»[١٦] . وأن إبنه سعيد بن زيد كان من أوائل من أسلم، وأنه قد سأل رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه فاستغفر له وقال : إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده[١٧] :

وإن مما له صلة متينة بالمسألة موضع البحث أن نشير الى أن ورقة بن نوفل كان أحد الاحناف الذين أتفقوا مع زيد بن عمرو بن نفيل في رفض عبادة الاصنام والتوجه للبحث عن دين ابراهيم[١٨] ، وأن إحدى الروايات تذكر أنهما «خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا الى راهب بالموصل ، فقال لزيد ابن عمرو من اين أقبلت ياصاحب البعير، فقال من بنية ابراهيم ، فقال وما تلتمس ، قال التمس الدين قال أرجع فإنه يوشك أن يظهر في أرضك»[١٩] . غير أن ورقة اتجه على الرغم من ذلك كما تؤكد الروايات التاريخية الى اعتناق النصرانية واستحكم فيها «واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علماً من أهل الكتاب»[٢٠] . وكان ورقة ابن نوفل ابن عم السيدة خديجة زوجة الرسول ﷺ . وقد ذكر ابن اسحاق أنه حينما نزل الوحي على النبي ﷺ ، ذهبت خديجة الى ورقة لتخبره بما أخبرها به الرسول ﷺ من أمر الوحي فقال لها ورقة : «قدوس ، قدوس ، والذي نفس ورقة



بيده ، لئن كنت صدقتيني ياخديجة ، لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي الى موسى ، وإنه لنبي هذه الامة ، فقولي له فليثبت »[21] . ثم ان ورقة لقي الرسول ﷺ بعد ذلك وهو يطوف بالكعبة فسأله عن حقيقة ما سمعه عن نزول الوحي عليه ، فلما أكد له الرسول ﷺ ذلك ، قال له ورقة « إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى ، ولتُكذَّبَنَّه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه ، فقبل يافوخه[22] .

إن موقف ورقة بن نوفل من خبر الوحي يعبر عن « تصديق بما وجد ، وإيمان بما حصل من الوحي ، ونية صالحة للمستقبل »[23] كما يقول ابن كثير. غير أن العمر لم يطل بورقة « ثم لم ينشب ورقة أن توفي » ، وذلك لأنه كان في ذلك الوقت « شيخاً كبيراً قد عمي »[24]

وربما كان من المفيد ، قبل أن نختم الكلام عن التواصل الفكري والروحي بين الموصل ومكة ، أن نشير الى أن المصادر التاريخية تذكر أن صهيب الرومي ، الذي كان من أوائل المؤمنين بالدعوة الاسلامية ، حيث كان إسلامه «بعد بضعة وثلاثين رجلاً »[25] في مكة ، كان من أهل الموصل . فقد ذكر ابن سعد أن صهيب الرومي أجاب حين سأله عمر بن الخطاب (رض) لماذا تقول أنك من العرب وأنت رجل من الروم بقوله : « إني رجل من النمر بن قاسط من أهل الموصل ، ولكن سُبيت ، سبتني الروم غلاماً صغيراً بعد أن عقلت أهلي وقومي وعرفت نسبي »[26] .

إن وجود صهيب في صفوف المسلمين الاوائل في بداية ظهور الدعوة الاسلامية في مكة ، وهو لا يزال يذكر موطنه الاول ، الموصل ربما شكل عاملاً إضافياً لاهتمام الرسول ﷺ وأصحابه بهذه المدينة . وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال حوار الرسول ﷺ مع عداس في أثناء وجوده في الطائف . علماً بأن قريشاً لم تكن تجهل أمر الموصل وأهميتها ، ليس من الناحية الثقافية كما أوضحنا آنفاً ، وإنما من الناحية الاقتصادية أيضاً قال الأصمعي :

«كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا ، وهي الموصل ، لقدرها عندهم ، ولم ينلهم في خصبها شيء قط . وعن ريف الجزيرة وما يليها لأنها تعدل في الخصب باعربايا »[27]

مبادئ الاسلام ووحدة الامة : —

إن الاوضاع التي هيمنت على المنطقة العربية قبل الاسلام ، وما اكتنفها من قلق روحي عميق ، وتطلع نحو الهدى الديني ، في مدن العراق والشام والحجاز قد مهدت السبيل لظهور رسالة الاسلام في مكة على يد محمد بن عبدالله ﷺ في حدود سنة ٦١٠ م .

وقد عبرت رسالة الاسلام ، كما يقول اشبنكلر، عن روح الحضارة العربية ، التي قامت على أساس شعور جديد كل الجدة بالعالم ، شعور يستهدف إقامة علاقة جديدة بين الانسان والله . وإن هذا الشعور قد تخلل جميع الأديان الشائعة والمألوفة التي كانت موجودة على الأرض العربية قبل الاسلام . وبذلك تمكن الاسلام من تحرير هذه الروح من جميع قيود وأغلال التشكل الكاذب في أطر الحضارات الأخرى التي نشأت نتيجة لتسلط القوى الاجنبية وثقافاتها على المجتمع العربي لحقبة طويلة من الزمن ، وخاصة الثقافة الهيلينية[28]

إن الرسالة الاسلامية قد قامت على مجموعة من المبادئ الاساسية التي ساعدت بمجملها على تحقيق وحدة الأمة وتحررها وتقدمها . لذا كان من الضروري أن نقدم نبذة موجزة عن هذه المبادئ من أجل فهم التطورات الحضارية التي مرت بها المنطقة العربية عامة ، ومنطقة الموصل خاصة وذلك لأن هذه الموسوعة مكرسة في الاساس لدراسة

اوضاع الموصل الحضارية عبر حقب التاريخ المختلفة.

الاسلام والرسالات السابقة :-

أوردت مصادرنا التاريخية أنه بينما كان الرسول محمد ﷺ يتعبد في غار حراء في شهر رمضان في حدود سنة ٦١٠م حسب أرجح الروايات، أوحى الله تعالى اليه برسالة الاسلام عن طريق الملك جبريل، كما سبق أن أوحى الى الأنبياء الآخرين من قبله؛ نوح، وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم: «إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك»(٢٩).

وتتلخص المبادئ الاساس التي جاء بها الوحي في تأكيد وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن أن يكون له شركاء من أصنام وأوثان أو غيرها، وأن الله هو خالق كل شيء والمهيمن على شؤون العالم. لذا كان من واجب الناس أن يسلموا أمورهم له، ويطيعون أوامره التي يرسلها اليهم عن طريق الانبياء والرسل. وقد اكد القرآن في الكثير من آياته أن من يطع الله فإنه سيفوز في هذه الدنيا وينال الخلود في الجنة يوم القيامة. أما من يعصي أوامر الله تعالى فإنه سيصاب بالخسران في هذه الحياة ويدخل جهنم يوم القيامة عقاباً له على خروجه على أوامر الله.

لقد استمد الاسلام اسمه من معنى التسليم والانقياد لاوامر الله، لأن المسلم هو من يسلم أموره كلها لله. وقد أوضح القرآن الكريم أن الاسلام بهذا المعنى هو جوهر كافة الرسالات السماوية التي جاء بها الانبياء من قبل. لذا فقد وصفتهم آيات القرآن بالمسلمين: «ووصى بها ابراهيم بنيه، ويعقوب، يابنيَّ إن الله إصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون»(٣٠).

في ضوء ما تقدم. فقد اكد القرآن الكريم أن الرسالة التي نزلت على محمد ﷺ، هي امتداد لرسالة الاسلام، التي نزلت على جميع الانبياء السابقين: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»(٣١). لذا فقد أثنى القرآن الكريم على المؤمنين الصادقين من أصحاب الديانات السابقة ووعدهم برضاء الله تعالى وثوابه يوم القيامة: «إن الذين آمنوا، والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(٣٢).

إن ما ورد آنفاً لا يعني أن هنالك تطابقاً بين الاسلام والأديان السماوية الأخرى، وإنما يعني أن هنالك قدراً من الاتفاق في جوهر العقيدة. أما التفاصيل المتعلقة بمناسك العبادة واحكام الفقه، فقد اشار القرآن الكريم الى التمايز بين هذه الأديان: «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فأحكم بينهم بما إنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات، الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون»(٣٣)

إن تأكيد الاسلام وحدة جوهر العقيدة بينه وبين الأديان السماوية الأخرى؛ وهي أديان عربية المنشأ والبيئة، قد أوجد المناخ الملائم لإقامة أفضل العلاقات بين المسلمين وأتباع هذه الأديان على المستوى الاجتماعي والسياسي. لذا فقد أباح القرآن الكريم للمسلمين الزواج من نساء أهل الكتاب والأكل من طعامهم(٣٤). كما عمل الرسول ﷺ على توثيق العلاقات السياسية معهم. فعندما اشتد أذى مشركي مكة للمسلمين قام الرسول ﷺ بتشجيعهم على الهجرة الى الحبشة «لأن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد»(٣٥). وقد ذكر ابن اسحاق أن النجاشي ملك الحبشة



حينما سمع بعض آيات القرآن الكريم بكى وبكى معه اساقفته وقال : «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»[٣٦] .

ولقد وصف القرآن الكريم المسيحيين الذين اتخذوا موقفاً ايجابياً من الاسلام بقوله : «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، واذا ما سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين»[٣٧] .

في ضوء ما تقدم ، فقد أظهر المسلمون تعاطفاً عميقاً مع الروم «المسيحيين» في حربهم مع الفرس «المجوس». وكان الرسول ﷺ ، كما يذكر الطبري - «يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم»[٣٨] . فنزل القرآن الكريم يوضح للمسلمين أن انتصار الفرس على الروم هو انتصار مؤقت وأن الله سينصر الروم على الفرس في بضع سنين[٣٩] . وقد أشار الطبري الى أن نبوءة القرآن الكريم قد تحققت بانتصار الروم على الفرس في معركة وقعت عند مدينة الموصل[٤٠] .

وبعد هجرة الرسول ﷺ الى المدينة ، كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم. وكان مما جاء فيه : «وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم»[٤١] .

إن سياسة الرسول ﷺ الودية تجاه أهل الكتاب لم تستطع أن تحقق كامل أهدافها ، وذلك بسبب الموقف المحافظ والمتعصب لكثير منهم ، ومعارضة اليهود الشديدة لسياسة الرسول التوحيدية بعد هجرته الى المدينة ، مما اضطره الى محاربتهم واجلائهم عنها[٤٢] . ومع كل ذلك فقد بقي موقف الاسلام المبدئي من أهل الكتاب ثابتاً . كما منح الاسلام أهل الكتاب من يهود ونصارى ومجوس الذمة والأمان طالما أظهروا الولاء للمسلمين ووافقوا على دفع الجزية التي هي بديل عن المساهمة في الجهاد المفروض على المسلمين. أما اذا اختاروا الجهاد الى جانب المسلمين فإنهم يعفون من الجزية. كما يُعفى منها العاجزون عن القتال كالشيوخ والنساء والاطفال والرهبان (بحكم انقطاعهم للعبادة)[٤٣] .

إن سياسة الاسلام المتسامحة تجاه أهل الكتاب ، قد أوجدت الاساس المتين لوحدة ابناء الامة في إطار الدولة العربية الاسلامية وحفزت غير المسلمين من العرب على التعاون مع إخوانهم العرب المسلمين على مقاومة التسلط الأجنبي وتحرير كامل الاراضي العربية منهم كما سنوضح ذلك في المبحث اللاحق.

الهوامش

١. سليمان ، د. عامر ، نينوى بين الماضي والحاضر ، الموصل ١٩٨٦ ص ١٣ - ٣٢
٢. المرجع نفسه ص ٣٣
٣. المرجع نفسه ص ٣٣ - ٣٤
٤. اشبنكلر ، أوزولد ، تدهور الحضارة الغربية (ترجمة أحمد الشيباني) بيروت ١٩٦٤ ج ٣ ص ١٠ - ١١
٥. حمادي ، د. محمد جاسم ، الجزيرة الفراتية والموصل ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ١٥٧.
٦. المسعودي ، مروج الذهب ، بيروت ١٩٨٦ ج ١ ص ٢٧٠
٧. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مصر ١٩٦٨ ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨
٨. تاريخ مار ميخائيل الكبير (ترجمة المطران صليبا شمعون) مخطوط ، ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٤١ - ١٤٢ ، زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، بيروت ، بلا تاريخ ، ج ١ ص ٤٦ - ٤٨
٩. ايلسين ، نيكيتا ، الشرق الاوسط في العصر الوسيط ، ترجمة ، منصور ابو الحسن ، بيروت ١٩٨٦ ص ٤٧
١٠. ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصر ١٩٥٥ ، ق ١ ص ٢٠٤ - ٢١٣
١١. المصدر نفسه ق ١ ص ٢١٤ - ٢٢١
١٢. المصدر نفسه ق ١ ص ٤٢٠ - ٤٢١
١٣. ابن كثير ، السيرة النبوية ، بيروت ، بلا تاريخ ، ج ١ ص ٧٩



١٤. المصدر نفسه ج ١ ص ٧٩ – ٨٠
١٥. المصدر نفسه ج ١ ص ٨١
١٦. المصدر نفسه ج ١ ص ٨٢
١٧. ابن هشام، السيرة النبوية ق ١ ص ٢٢٦ : ٢٥٣
١٨. المصدر نفسه ق ١ ص ٢٢٢ – ٢٢٣
١٩. ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١ ص ٨٠
٢٠. ابن هشام، السيرة، ق ١ ص ٢٢٣
٢١. المصدر نفسه، ق ١ ص ٢٣٨
٢٢. المصدر نفسه، ق ١ ص ٢٣٨
٢٣. ابن كثير، السيرة النبوية ج ١ ص ١٩٦
٢٤. المصدر نفسه، ج ١ ص ١٩٥
٢٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٥٧، ج ٣ ص ٢٢٧
٢٦. المصدر نفسه، ج ٣ ص ٢٢٧، راجع أيضاً ابن قتيبة، المعارف، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٥١
٢٧. ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٣٠٣ هـ، ص ١٣٥
٢٨. اشبنكلر، أوزولد، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة احمد الشيباني بيروت ١٩٦٤، ج ٢ ص ٢٨٤، ج ٣ ص ١٠، ص ١٨٥
٢٩. سورة النساء : ١٦٣ – ١٦٤
٣٠. سورة البقرة : ١٣٢
٣١. سورة الشورى : ١٢، راجع أيضاً سورة الاحقاف : ١٣، وسورة فاطر: ٩٢، وسورة يوسف ١١١
٣٢. سورة الشورى : ١٢
٣٣. سورة المائدة : ٤٢ – ٤٨
٣٤. سورة المائدة : ٥
٣٥. ابن هشام، السيرة، ق ١ ص ٣٢١ – ٣٢٢
٣٦. المصدر نفسه، ق ١ ص ٣٣٦ – ٣٣٧
٣٧. سورة المائدة : ٨٢ – ٨٥
٣٨. الطبري، تاريخ، ج ٢ ص ١٨٤
٣٩. سورة الروم : ١ – ٥
٤٠. المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨٣
٤١. ابن هشام، السيرة، ق ١ ص ٥٠١ – ٥٠٤
٤٢. المصدر نفسه ق ٢ ص ٤٧ – ٤٨، راجع أيضاً سورة آل عمران : ١١٨ – ١٢٠
٤٣. عمارة، محمد، الاسلام والوحدة القومية، القاهرة ١٩٧٩ ص ٨٩ – ١٠٦

تحرير الموصل وتمصيرها في عهد الراشدين

١٦ – ٤٠ هـ / ٦٣٧ – ٦٦٠م

أ.د. هاشم يحيي الملاح

من أجل فهم عملية تحرير الموصل في اطارها التاريخي لابد من التمهيد لذلك بتقديم نبذة موجزة عن نظرة الرسول ﷺ الى كل من التسلط الساساني والبيزنطي على الاراضي العربية الواقعة شمال الجزيرة العربية المتمثلة بالعراق والشام، وكيف أدت هذه السياسة الى توجيه الخلفاء من بعده نحو حروب التحرير العربية التي عرفت في كتب التراث بـ «فتوح البلدان».

سياسة الرسول ﷺ وحروب التحرير :–

لم تكن الاوضاع السائدة في العراق والشام بعيدة عن اهتمامات عرب الجزيرة العربية وبخاصة أهل مكة بحكم وحدة الانتماء القومي والثقافي ووجود مصالح اقتصادية متبادلة، إذ كان أهل مكة يعتمدون في معاشهم بصورة اساسية على التجارة، والعمل في مجال إدارة القوافل التجارية التي تعمل على الطرق التي تربط كلاً من اليمن والشام والعراق[1].

وقد ساهم الرسول ﷺ منذ نشأته في العمل بتجارة القوافل حيث زار بلاد الشام اكثر من مرة لهذا الغرض. فكان من الطبيعي أن تشغل أوضاع هذه البلاد والتطورات الجارية فيها جانباً من اهتمامات الرسول ﷺ وبخاصة بعد أن حمل رسالة الاسلام ذات الطبيعة التوحيدية والانسانية.

وقد تضمنت مصادرنا التاريخية مجموعة من الاخبار التي توضح مدى اهتمام الرسول بالاوضاع التي كانت سائدة في العراق والشام سنتولى عرضها بايجاز في النقاط الآتية :–



١ . حينما بلغته انباء انتصار العرب من بني شيبان على الفرس في معركة ذي قار وكان ذلك في اول البعثة في حدود سنة ٦١٠م قال: «اليوم انتصف العرب من العجم، وبي نُصروا»[٢]. إن هذا الوصف لانتصار العرب على العجم يدل على أن الرسول ﷺ كان يعتقد أن الفرس كانوا في وضع المعتدي على العرب وأن العرب بهذا الانتصار قد انتصفوا لأنفسهم منهم. كما أن ربط الرسول ﷺ بين هذا النصر وبين شخصه الكريم دليل على قناعته بأن هذا النصر هو مجرد مقدمة للانتصارات التي ستتحقق للعرب على يده من خلال الرسالة الاسلامية التي نزلت عليه.

٢ . لقد كان الناس في مكة يتابعون اخبار الحروب بين الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين. وكان الرسول ﷺ. والمسلمون معه يتمنون أن ينتصر الروم على الفرس لأنهم أهل كتاب سماوي ومن ثم فهم أقرب اليهم في العقيدة من الفرس المجوس. في حين كان مشركو مكة يشعرون بالتعاطف مع الفرس اكثر من الروم ويتمنون الانتصار عليهم. لذا فقد بشر القرآن الكريم المؤمنين بأن الروم سينتصرون على الفرس في خاتمة المطاف بقوله: «ألم، غُلبت الروم، في أدنى الارض وهم من بعد غَلَبِهم سيغلبون، في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون»[٣].

٣ . بعد أن هاجر الرسول ﷺ الى المدينة وقوي مركزه فيها، في حدود سنة ٧ للهجرة، قام بإرسال مجموعة من الرسائل الى كسرى ملك الفرس وقيصر امبراطور الروم، وبعض حكام وامراء الدول والأقاليم المجاورة في اليمن والحبشة ومصر وغيرها[٤]. وعلى الرغم من أن تفاصيل ما ورد في هذه الرسائل موضع شك وخلاف بين الباحثين، فان تواتر الاخبار عن ارسال هذه الرسائل الى هؤلاء الحكام في مصادرنا التاريخية يجعلنا نقبل واقعة ارسال هذه الرسائل ونستدل منها على ان الرسول ﷺ ربما أراد من ارسالها الى هؤلاء الحكام اشعارهم «بقوته واتساع دولته وحيويتها، كي يحسبوا لها الحساب»[٥] في التعامل، إذ لم يعد الرسول ﷺ نبياً مبلغاً لرسالة الاسلام فقط وإنما أصبح رئيس دولة تعمل على توحيد العرب وغيرهم في إطار الرسالة الاسلامية.

٤ . واجهت سياسة الرسول ﷺ الآنفة الذكر مقاومة من بعض حكام الدول المجاورة الذين ارسل الرسول ﷺ رسله اليهم، فقد قام كسرى بتمزيق الكتاب بعد قراءته وقال بغضب: «يكتب إلي هذا وهو عبدي!»[٦]. ويبدو أن حكام الفرس الذين مارسوا سياسة التسلط على شعوبهم وعلى العرب في العراق واليمن كانوا ينظرون الى رعيتهم والى العرب وكأنهم عبيدهم. لذا لم يتحمل كسرى أن يخاطبه الرسول ﷺ من موقع القوة وتبليغ الرسالة. لذا فقد قال الرسول ﷺ حينما بلغه ما فعل كسرى بكتابه بقوله: «مزّق ملكه»[٧]، وهي إشارة واضحة الى ما سيفعله خلفاء الرسول ﷺ بعد ذلك في ملك كسرى.

كما قام شرحبيل بن عمرو الغساني بقتل مبعوث الرسول ﷺ الحارث بن عمير الازدي الى حاكم بصرى في بلاد الشام. لذا فقد اضطر الرسول ﷺ حينما وصلت اليه اخبار قتل رسوله الى ارسال سرية مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل الى مؤتة سنة ٨ هـ / ٦٢٩م للرد على العدوان[٨]. وعلى الرغم



من أن هذه السرية لم تستطع ان تحرز الانتصار على جيش الروم الذي تصدى لها بأعداد كبيرة ، قيل إنها زادت على مائة ألف مقاتل بقيادة هرقل ملك الروم[٩] .. إلا أنها كانت خير اختبار تعرف فيها المسلمون على قوتهم وقوة اعدائهم ؛ وهو أمر سيكون له أثره الواضح في الاعداد للمعارك التالية .

٥. في شهر رجب من عام ٩ هـ / ٦٣٠م «بلغ الرسول ﷺ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام» تحت قيادة هرقل وأنهم قد «قدموا مقدماتهم الى البلقاء». مما يوحي باستعدادهم لمحاربة المسلمين. لذا فقد «ندب الرسول ﷺ الناس الى الخروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك ، وبعث الى مكة والى قبائل العرب يستنفرهم ، وذلك في حر شديد»[١٠] .

وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها الرسول ﷺ في تنظيم هذه الحملة التي عرفت «بغزوة تبوك» ، إلا أنه نجح في حشد حوالي ثلاثين ألف مقاتل توجه بهم الى شمال الجزيرة العربية حيث استطاع أن يخضع دومة الجندل ويأسر اميرها الذي كان موالياً للبيزنطيين ثم عاد الى المدينة بعد أن اظهر قوته امام الروم وتحداهم في مناطق نفوذهم دون أن يقع قتال مباشر بينه وبينهم[١١] .

٦. قبيل وفاة الرسول ﷺ في اواخر شهر صفر من عام ١١ هـ / ٦٣٢م قام الرسول الكريم بتنظيم حملة عسكرية بقيادة اسامة بن زيد الذي استشهد والده زيد بن حارثة في معركة مؤتة «وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين»[١٢] . وقد انضم الى هذه الحملة كبار المهاجرين الاولين منهم أبو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص. ويبدو أن غرض الرسول ﷺ من تجهيز هذه الحملة كان الثأر لشهداء المسلمين في معركة مؤتة وتأكيد قوة المسلمين في مواجهة الروم البيزنطيين في بلاد الشام[١٣] .

وقد تأخر تنفيذ هذه الحملة بعض الوقت بسبب وفاة الرسول ﷺ ، إلا أن أبا بكر الصديق ما كاد يتسلم الخلافة حتى أمر بإرسال سرية اسامة على وفق توجيهات الرسول ﷺ على الرغم من الظروف الصعبة التي بدأت تحيط بالدولة بسبب ارتداد بعض القبائل عن الاسلام وخروجها عن طاعة الخليفة .

إن ما تقدم يشير الى أن الرسول ﷺ كان قد وضع الاساس الذي ستنطلق منه حروب التحرير العربية لتحرير كل من الشام والعراق في عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، وقد ساعد نجاح ابي بكر الصديق في القضاء على حركات المرتدين وتوحيد شبه الجزيرة العربية تحت قيادته في توجهه نحو تنفيذ سياسة الرسول ﷺ في هذا المجال .

تحرير العراق : —

تشير بعض الروايات الى أن هنالك ترابطاً قوياً بين عمليات تحرير العراق في عهد ابي بكر الصديق (رض) وبين المقاومة العربية ضد التسلط الفارسي التي قادها بنو شيبان في معركة ذي قار، إذ يشير البلاذري الى أن المثنى بن حارثة الشيباني كان يواصل محاربة الفرس في جنوب العراق ويقوم بشن غارات «على السواد في رجال من قومه فبلغ أبا بكر (رض) خبره فسأل عنه ، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري : هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني . ثم إن المثنى قدم على أبي بكر، فقال له يا خليفة رسول الله استعملني على من اسلم من قومي أقاتل هذه الاعاجم من أهل فارس ، فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل خفان ودعا قومه الى الاسلام فأسلموا . ثم إن أبا



بكر رضي الله عنه كتب الى خالد بن الوليد المخزومي يأمره بالمسير الى العراق ... وكتب ابو بكر الى المثنى بن حارثة يأمره بالسمع والطاعة له وتلقيه »[١٤] .

وكان أبو بكر الصديق (رض) قد كتب الى خالد يأمره بالسير الى العراق لقيادة عمليات تحريره بعد أن فرغ من مقاتلة المرتدين في اليمامة . فقد ذكر الطبري أن الخليفة ابا بكر الصديق زود خالداً بتعلياته وأوضح له ضرورة تألف قلوب الناس الذين سيحرر بلادهم بقوله : «أن سر الى العراق حتى تدخلها ، وآبدأ بفرج الهند ، وهي الأبلة ، وتألق أهل فارس ، ومن كان في ملكهم من الأمم »[١٥] .

وكانت السياسة التي اتبعها المسلمون في التعامل مع سكان البلاد المحررة تقوم على تألف قلوب الناس، وترك الحرية لهم في اختيار عقيدتهم ، إذ لا اكراه في الدين كما نص على ذلك القرآن الكريم . وربما كان مما يوضح هذه السياسة بصورة دقيقة ما أورده الطبري عن معاملة خالد بن الوليد لأهل الحيرة في العراق ، حين خرج اليه قبيصة بن إياس بن حية الطائي على رأس جماعة من أهل الحيرة لمقابلته ، فقال لهم : «ادعوكم الى الله والى الاسلام ، فإن أجبتم اليه فأنتم من المسلمين ، لكم مالهم وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم الجزية ، فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقال له قبيصة بن اياس : ما لنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ، ونعطيك الجزية ، فصالحهم على تسعين ألـف درهـم فـكـانـت أول جـزيـة وقـعـت بالعراق »[١٦] .

ويبدو أن هذه السياسة قد قابلها بالترحاب غالب سكان العراق من العرب فأخذوا يتعاونون مع جيوش التحرير من أجل تحقيق أهدافها المرسومة

وقد كان للمشاعر القومية دور كبير في إتخاذ هذا الموقف . ومما يؤكد ذلك ما أورده الطبري عن حوار خالد بن الوليد مع بعض زعماء القبائل العربية في العراق «فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين ، وبدأ أصحاب عدي ، وقال : ويحكم ما أنتم ! أعرب؟ فما تنقمون من العرب ! أو عجم؟ فما تنقمون من الانصاف والعدل ! فقال له عدي : بل عرب عاربة وأخرى متعربة ، فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا ، فقال له عدي : ليدلك على ما نقوله أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية ، فقال : صدقت . وقال : اختاروا واحدة من ثلاث أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتم في دياركم ، أو الجزية ، أو المنابذة . فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت احرص منكم على الحياة . فقال : بل نعطيك الجزية ، فقال خالد : تباً لكم ، ويحكم ! إن الكفر فلاة مضلة ، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان : احدهما عربي فتركه واستدل الاعجمي . فصالحوه على مائة وتسعين ألفاً ، وتتابعوا على ذلك ، وأهدوا له هدايا ، وبعث بالفتح والهدايا الى أبي بكر»[١٧] .

وهكذا فقد ساعد الشعور القومي عند العرب وسياسة التسامح الديني التي اتبعوها مع غير المسلمين على كسب عامة الناس الى جانب جيوش التحرير العربية وضمان تعاونها ضد الفرس المتسلطين . وقد خاضت جيوش التحرير معارك عنيفة وكبيرة ضد قوات الاحتلال الفارسي كان ابرزها معركة القادسية . وقد استغرقت عمليات تحرير العراق حوالى عشر سنوات بدأت في سنة ١١هـ ٦٣٢م بعد تولي أبي بكر الصديق للخلافة وانتهت في خلافة عمر بن الخطاب (رض) حينما انتصر العرب على الفرس في معركة نهاوند حوالي سنة ٢١ هـ / ٦٤٠ م . وقد وصفت هذه المعركة بفتح الفتوح



نظراً لانها قصمت ظهر القوات الفارسية وجعلت يزدجرد ملك الفرس يهرب الى بلاد خراسان حيث قتل هناك على يد احد اتباعه[١٨] .

تحرير الموصل :-

كانت الموصل وبقية بلدان الجزيرة واقعة تحت التسلط البيزنطي إبان حروب التحرير العربية للعراق والشام. ومن ثم فقد كان من المفترض أن تقع مسؤولية تحريرها على عاتق جيوش تحرير الشام التي كانت تخوض قتالاً ضارياً ضد البيزنطيين من أجل تحقيق هذا الهدف وفق اولويات تقررها سياقات المعارك.

غير أن انتصار الجيوش العربية التي كانت تتولى عمليات تحرير العراق من تسلط الامبراطورية الساسانية في معركة القادسية في حدود سنة ١٥ هـ / ٦٣٦م قد ادخل الرعب في نفوس البيزنطيين في الموصل والجزيرة ، وجعلهم يحركون قواتهم الى تكريت استعداداً لمواجهة قوات التحرير العربية في موقع متقدم.

فلما بلغت هذه الاخبار الى سعد بن أبي وقاص الذي كان يتولى قيادة جيوش تحرير العراق كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بأن «الانطاق» قائد جند الروم البيزنطيين في الموصل قد توجه بقواته منها الى تكريت ونزل في حصنها «وخندق فيه ليحمي أرضها» كما يذكر الطبري[١٩] .

فكتب الخليفة عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص بأن يرسل جيشاً لتحرير تكريت من الروم البيزنطيين بقيادة عبدالله بن المعتم ، وأن يجعل على مقدمته ربعي بن الافكل العنزي ، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي ، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي ، وعلى ساقته هاني ابن قيس ، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة.

وقد تألف الجيش الذي قاده عبد الله بن المعتم من أجل تحرير تكريت من خمسة آلاف مقاتل ، واستغرق وصولهم من المدائن الى تكريت اربعة ايام. وقد قدم لنا الطبري وصفاً مفصلاً عن حصار قوات المسلمين لقوات الروم في تكريت لمدة اربعين يوماً دارت خلالها أربعة وعشرون مواجهة لم تنتهِ بانتصار أحد الطرفين. وأخيراً جاء دور العامل الذي حسم المعركة لصالح العرب المسلمين حيث تحركت المشاعر القومية لدى ابناء القبائل العربية التي كانت متحالفة مع الروم فجاؤوا الى عبدالله بن المعتم يعرضون عليه الانسحاب من جيش الروم والانضمام الى جيش التحرير العربي. يقول الطبري أن عبدالله إبن المعتم أرسل الى العرب «ليدعوهم إليه والى نصرته على الروم ، فهم لا يخفون عليه شيئاً ؛ ولما رأت الروم أنهم لا يخرجون خرجة الا كانت عليهم ، ويهزمون في كل ما زاحفوهم ، تركوا امراءهم ، ونقلوا متاعهم الى السفن ، واقبلت العيون من تغلب وإياد والنمر الى عبدالله بن المعتم بالخبر ، وسألوه للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا له ، فأرسل اليهم : إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقرّوا بما جاء به من عند الله ، ثم أعلمونا رأيكم. فرجعوا اليهم بذلك فردوهم اليه بالاسلام ، فردهم اليهم وقال : إذا سمعتم تكبيرنا فأعلموا أنا قد نهدنا الى الابواب التي تلينا لندخلَ عليهم منها ، فخذوا بالابواب التي تلي دجلة ، وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ..»[٢٠] .

وهكذا تمكنت قوات التحرير العربية بالتعاون مع ابناء القبائل العربية التي انضمت اليهم من تحقيق النصر على الروم وتحرير تكريت من تسلطهم عليها. وقد فتح هذا النصر الطريق امام المسلمين لتحرير الموصل من التسلط البيزنطي. وكان هذا الهدف واضحاً ومرسوماً منذ البداية في ذهن القيادة



العربية. فقد عهد عمر بن الخطاب (رض) الى سعد بن أبي وقاص «إن هم هُزموا– أي الروم– أن يأمر عبدالله بن المعتّم بتسريح ابن الافكل العنزي الى الحصنين»[21] أي الموصل بحصنيها الغربي– الموصل القديمة– والشرقي أي نينوى حيث يقع جامع النبي يونس في الوقت الحاضر.

لقد كانت خطة تحرير الموصل تعتمد على عنصر المباغتة من اجل عدم اتاحة الفرصة امام الروم وحلفائهم للاستعداد للحرب وتنظيم المقاومة وبذلك يتسنى للمسلمين تحرير المدينة من دون قتال او تقديم ضحايا في الارواح. كما اعتمدت الخطة على الاستعانة بأبناء القبائل العربية من تغلب وأياد والنمر الذين أنضموا الى المسلمين في اثناء تحرير تكريت. وكان مقدراً لابناء هذه القبائل أن يؤدوا دوراً حاسماً في تمكين المسلمين من دخول المدينة من دون قتال لأنهم كانوا موضع ثقة الروم واعوانهم في الموصل بحكم عدم معرفتهم بتغير ولائهم واعتناقهم الاسلام.

وهكذا فقد وصلت رسل من تغلب وأياد والنمر الى الموصل قبل وصول قوات المسلمين واخذوا باشاعة انتصار قوات الروم على المسلمين «من باب الخدعة» وبذلك فتحت ابواب المدينة حتى فأجاتهم قوات التحرير العربية بقيادة ربعي بن الافكل فدخلت المدينة من دون مقاومة تذكر. وبذلك تم تحرير الموصل صلحاً. يقول الطبري في وصف ذلك فنادى المسلمون الناس «بالاجابة الى الصلح، فاقام من استجاب، وهرب من لم يستجب، الى أن اتاهم عبدالله بن المعتّم، فلما نزل عليهم عبدالله دعا من لج وذهب، ووفى لمن اقام، فتراجع الهُرّاب، واغتبط المقيم، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة»[22].

ومن أجل تأمين الأمن والنظام في المدينة فقد قام عبدالله بن المعتم بتولية ربعي بن الافكل على شؤون الحرب في المدينة، كما عهد الى عرفجة بن هرثمة امور جباية الخراج لتأمين الشؤون المالية[23].

إن ما تقدم يشير الى أنه قد تم تحرير الموصل في سنة ١٦ هـ/ ٦٣٧م من قبل جيوش التحرير العربية التي كانت تقوم بتحرير العراق من التسلط الفارسي في إطار عملية استثنائية قامت بها رداً على تحرك قائد القوات البيزنطية في الموصل الى تكريت. ومن ثم فلم يكن من واجب هذه القوات على ما يبدو أن تتوسع في تحرير المناطق المحيطة بالموصل والجزيرة لأن ذلك يقع ضمن مهات قوات التحرير العربية التي كانت تقاتل الروم البيزنطيين في جبهة الشام. لذا فقد وصلت الينا روايات تشير الى قيام قوات هذه الجبهة بإرسال قوات لتحرير منطقة الموصل والجزيرة بقيادة عياض بن غنم في سنة ١٨ أو ٢٠ للهجرة ٦٣٩م أو ٦٤٠م. فقد ذكر خليفة ابن خياط أن عمر بن الخطاب (رض) «وجه عياضاً فافتتح الموصل وخلف عتبة بن فرقد على أحد الحصنين، وافتتح الارض كلها عنوة غير الحصن فصالحه أهلها وذلك سنة ثماني عشرة»[24] كما أورد البلاذري أن عمر بن الخطاب (رض) ولى «عتبة بن فرقد الموصل سنة عشرين، فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها وهو الشرقي عنوة، وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والاذن لمن اراد الجلاء في الجلاء، ووجد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزية ثم فتح المرج وقراه وأرض باهذري وباعذرى وهبتون والحيانة والمعلة وداميير وجميع معاقل الاكراد، وأتى بانعاثا من حزة ففتحها وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحر بن صالح بن عبادة الهمداني صاحب رابطة الموصل ففتح ذلك وغلب عليه»[25].

إن النصوص الآنفة الذكر تشير الى أن القوات الشامية التي كان يقودها عياض بن غنم قد قامت بتحرير العديد من القرى والمناطق المحيطة بالموصل



من التسلط الاجنبي وإدخالها ضمن حوزة الدولة العربية الاسلامية ، وبذلك تكون قد استكملت ما بدأته القوات التي قامت بتحرير تكريت والموصل في عام ١٦ هـ / ٦٣٧ م .

غير أن مما يلفت النظر أن هذه النصوص تشير الى مقاتلة أهل حصن نينوى (الشرقي) ومصالحة أهل الموصل (الحصن الغربي) من قبل قوات عياض بن غنم مما يوحي بأن بعض سكان منطقة الموصل قد نقضوا العهد الذي أعطوه لعبدالله بن المعتم سنة ١٦هـ/٦٣٧م بعد أن انسحبت معظم قواته من المنطقة وعادت الى الكوفة قاعدة عملياتها الرئيسية ، فأضطر عياض الى استعمال القوة من أجل بسط السلطة والنظام في المدينة . وربما كان ذلك أمراً طبيعياً في تلك المرحلة ، بسبب حداثة الحكم العربي للمدينة وعدم استيعاب بعض الناس للقيم الروحية والحضارية التي جاء بها الاسلام. اما عامة سكان الموصل وغيرها من المناطق التي كان يقطنها المسيحيون فيبدو انها قد استقبلت الحكم العربي الاسلامي بارتياح شديد لانه أنقذهم من المظالم التي كانوا يتعرضون لها على أيدي الروم البيزنطيين بسبب اختلافهم في المذهب . فقد جاء في تاريخ مار ميخائيل الكبير * ما نصه : «وإن الله إله النقمة الذي وحده له السلطان على كل شيء ، وهو الذي يغير الملك كما يشاء ويعطيه لمن يشاء ، ويقيم عليه الضعفاء ؛ إذ رأى خيانة الروم الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرتنا كلما اشتد ساعدهم في الحكم ، ويقاضوننا بلا رحمة ، جاء من الجنوب بأبناء اسماعيل لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم . أما الكنائس التي كنا قد فقدناها باغتصاب الخلقيدونيين أياها ، فبقيت بيدهم ، لأن العرب لدى دخولهم المدينة ، أبقوا لكل طائفة ما بحوزتها من الكنائس . وقد فقدنا في هذه الفترة كنيسة الرها الكبرى وكنيسة حران . غير ان فائدتنا لم تكن يسيرة ، حيث أننا تحررنا من خبث الروم ومن شرهم وبطشهم وحقدهم المرير علينا ، وتمتعنا بالطمأنينة »[٢٦] .

يتضح من النص الآنف الذكر أن المسيحيين قد عدوا العرب المسلمين منقذين ومحررين لهم من ظلم واضطهاد الروم البيزنطيين خاصة وأن المسلمين كانوا يعدون المسيحيين أهل كتاب ، وأن الواجب الديني يفرض عليهم عدم التعرض لعقائدهم بالأذى ومعاملتهم بمنتهى اللطف والسماحة على العكس مما كان يفعله الروم البيزنطيون.

لقد كان من جملة صور الاضطهاد الفضيعة التي مارسها الروم البيزنطيون ضد إخوانهم المسيحيين بسبب اختلافهم في تفسير العقيدة المسيحية خلال الفترة موضع البحث ، ما أورده تاريخ مار ميخائيل الكبير من أن هرقل كان قد أصدر منشوراً للعمل بموجبه في انحاء مملكته كافة يقضي بأن «كل من لا يقبل مجمع خلقيدونية ، يُقطع أنفه وأذانه وينهب بيته . واستمر هذا الاضطهاد مدة غير يسيرة ، فقبل العديد من الرهبان المجمع ، وظهر غش رهبان جماعة مارون والمنبجيين والحمصيين والمناطق الجنوبية ، وهكذا قبل معظمهم المجمع وأغتصبوا الكنائس والأديرة ، ولم يسمح هرقل لأحد من الارثوذكس بزيارته ، ولم يقبل شكواهم بصدد اغتصاب كنائسهم »[٢٧] .

سياسة الخلفاء الراشدين في إدارة الموصل : -

تنطلق سياسة الخلفاء الراشدين في إدارة الموصل وغيرها من الاقاليم المحررة ، من أهداف الرسالة الاسلامية القائمة على نشر الاسلام ، وتوحيد الناس في اطار الدولة التي أنشأها بعيداً عن الاكراه في الدين ، مع الحرص على إقامة العدل بين الناس .

* بطريق انطاكية اليعقوبي ، ألف كتابه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي .



وقد عبر قادة الفتح عن أهداف هذه السياسة في كثير من المناسبات كما قدمنا، فكانوا يعرضون على الناس قبل بدء القتال الاختيار بين أمور ثلاثة : —

١. الدخول في الاسلام، فإن استجابوا لذلك كان لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات. وكان هذا الاختيار هو أحب الاختيارات بالنسبة لقادة الفتح بحكم حماسهم للعقيدة الجديدة. لذا فقد وجدنا أن عبدالله بن المعتم قائد عمليات تحرير تكريت والموصل لا يكتفي من ابناء القبائل العربية «من تغلب وإياد والنمر» الذين تخلوا عن مناصرة الروم بمجرد التعاون معه ومساعدته، بل طلب منهم أن يبرهنوا على صدق ولائهم له وللدولة الجديدة باعلان الاسلام، فوافقوا على ذلك، وأصبحوا طلائع الجيش الذي قام بتحرير الموصل في سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م.

٢. أداء الجزية؛ تعبيراً عن الولاء للدولة العربية الاسلامية والدخول في طاعتها. والجزية هي مبلغ من المال يدفعه الرجل القادر من أهل الكتاب «اليهود والنصارى» ومن هو في حكمهم كالمجوس، الى الدولة للتدليل على خضوعهم للدولة وليكون بديلاً عن واجب الدفاع عنها في مجال القتال والخدمة العسكرية.

وكانت الدولة العربية الاسلامية تعامل من يوافق على دفع الجزية بصفته من أهل الذمة، فتتعهد بحمايته والدفاع عنه ومنع الناس من ظلمه لأنه أصبح معاهداً يتمتع بكافة الحقوق التي ينص عليها عهد الذمة والأمان الاسلامي. لذا فقد اغتبط اهل الموصل بدخول قوات التحرير العربية مدينتهم بقيادة عبدالله بن المعتم كما يذكر الطبري فتراجع الهُرَّاب، واغتبط المقيم، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة.

لقد كان تحقيق العدل والانصاف في الحكم والادارة هو الهدف الأساس الذي تسعى الادارة العربية الى تحقيقه في حكم الناس خلال العهد الراشدي بصرف النظر عن انتمائهم الديني أو القومي. وقد عبر عن ذلك كما قدمنا خالد بن الوليد حين دخل العراق بقوله : — «ويحكم ! ما أنتم ! أعرب ؟ فما تنقمون من العرب ! أو عجم ؟ فما تنقمون من الانصاف والعدل ! »[٢٨]

٣. إذا لم يقبل أهل البلاد التي تتوجه اليها قوات التحرير اعتناق الاسلام أو دفع الجزية، فإنه لا يتبقى أمام المقاتلين المسلمين سوى الحرب... ولكنهم لم يكونوا يبدأون القتال حتى يحذرون اعداءهم من عواقب القتال وقوة الجيش العربي الاسلامي خاصة وأن مقاتلي هذا الجيش كانوا كما وصفهم خالد ابن الوليد مخاطباً اعداءه : «فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة»[٢٩].

وكانت المبادئ التي يلتزم بها المسلمون في مقاتلة الاعداء تتلخص في وصية خليفة المسلمين الاول ابي بكر الصديق لاسامة بن زيد حينما أرسله لقتال الروم بقوله :

«لا تخونوا ولا تُغِلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرّغوا انفسهم له...»[٣٠].

فإذا انتهى القتال بانتصار المسلمين تركوا للناس الخيار بين الامرين الاولين وهما أن يكونوا مسلمين فيكون لهم ما للمسلمين في الحقوق



والواجبات أو أن يكونوا من أهل الذمة ، فيتمتعوا بحماية المسلمين وعدلهم مع احتفاظهم بعقيدتهم .

وهكذا فقد دخلت الموصل في إطار الدولة العربية الاسلامية صلحاً ومن دون اللجوء الى القتال ، فأصبح لابناء القبائل العربية التي اعتنقت الاسلام من تغلب وإياد والنمر وغيرهم ما للمسلمين من حقوق وواجبات ، وتمتع أهل الكتاب من النصارى واليهود بعهد الذمة الذي منحهم إياه المسلمون حين دخولهم الموصل . وقد كان في الموصل في ذلك الوقت – كما يذكر البلاذري بيعاً للنصارى «ومنازل لهم قليلة عند تلك البيعْ ، ومحلة اليهود»[٣١] .

ومن أجل ضمان الامن والاستقرار في المدينة ، وتنظيم الامور المالية فيها فقد وُلي على امور حرب الموصل ربعي بن الأفكل ، وعلى الخراج عرفجة ابن هرثمة[٣٢] .

وعلى الرغم من أنه لم تصل الينا نصوص محددة عن الحقوق والواجبات التي فرضت على سكان المدينة في تلك الفترة ، فإن للباحث أن يفترض أنه قد فرضت على المسلمين منهم نفس الواجبات التي كانت مفروضة على غيرهم من المسلمين والتي تتلخص في الامور الآتية : –

١ . **الزكاة** : – وهي ضريبة مفروضة على اموال المسلمين المرصدة للنماء إما بنفسها أو بالعمل فيها كالذهب والفضة والمواشي ومختلف الاموال والسلع التجارية . ويشترط في المال كي تفرض عليه الزكاة أن يبلغ النصاب المحدد في الشريعة وأن يبقى في حوزة صاحبه عاماً كاملاً .

٢ . **العشر**: – وهي ضريبة على الاراضي التي يمتلكها المسلمون . ومقدار هذه الضريبة هو عشر الانتاج السنوي على ما يروىٰ سقياً طبيعياً ، ونصف العشر على ما يسقى بآلة[٣٣] .

أما غير المسلمين فقد كانت الواجبات المالية المفروضة عليهم هي : –

١ . **الجزية** : – وهي ضريبة قديمة كان يفرضها الروم البيزنطيون على غير المعتنقين لمذهبهم الرسمي كما كان الفرس يأخذونها من اليهود والنصارى . فلما جاء الاسلام فرض ضريبة الجزية على أهل الكتاب ومن هم في حكمهم بدلاً عن الزكاة المفروضة على المسلمين . وكانت هذه الضريبة تؤخذ بصورة سنوية من الرجال البالغين ويعفى منها النساء والأطفال والشيوخ العاجزون والعبيد ورجال الدين[٣٤] . وكان مبلغها يقدر حسب حالة الشخص المالية . وبنحو عام فقد تراوح مقدار هذه الضريبة بين الدينار والاربعة دنانير سنوياً على الرجل القادر على أداء الضريبة[٣٥] . وكان يضاف الى مبلغ الضريبة النقدي شيءٌ عينيٌ يسيرٌ في بعض الاحيان . فقد ذكر البلاذري أنه «أخذ الزيت والخل والطعام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة ثم خفف عنهم ، واقتصر بهم على ثمانية وأربعين درهماً وأربعة وعشرين واثني عشر ، نظرٌ من عمر – ابن الخطاب – للناس ، وكان على كل إنسان مع جزيته مدا قمح وقسطان من زيت وقسطان من خل»[٣٦] . ويبدو أن الدافع وراء أخذ هذه الاشياء من أهل الجزية كان حاجة جيوش التحرير الى المواد الغذائية . فلما إنتفت الحاجة أمر الخليفة عمر بعدم أخذها والاكتفاء بمبلغ الضريبة النقدي .

وتشير المصادر الى أن فرض هذه الضريبة وكيفية استيفائها كان يتم بمرونة وتسامح كبيرين ، فقد ذكر أن نصارى قبيلة تغلب العربية رفضوا دفع الجزية لأنهم وجدوا في دفعها ما يمس بمكانتهم وكبريائهم وأبدوا استعدادهم لدفع الزكاة أسوة بالمسلمين فوافق الخليفة عمر على ذلك[٣٧] .

٢ . **الخراج** : – وهي ضريبة قديمة كانت مفروضة على الاراضي الخاضعة للسيطرة الفارسية



والبيزنطية [٣٨] ، فلما حررت الدولة العربية الاسلامية هذه الاراضي ، اعادت تنظيم هذه الضريبة ، وفرضتها على غير المسلمين في مقابل ضريبة العشر التي كانت تأخذها من المسلمين. وكانت هذه الضريبة تجبى سنوياً من غلة الارض الزراعية على أن يراعى في حساب مقدار الضريبة موقع الارض ومدى خصوبتها ونوعية انتاجها وطريقة سقيها وغير ذلك من الامور التي تساعد على تحقيق العدالة [٣٩] .

وتشير المصادر الى أن اراضي الموصل والجزيرة التي لم يدخل أهلها في الاسلام قد فرض عليها الخراج وذلك لأن عياضاً بن غنم قائد جيوش تحرير الشام والجزيرة قد «افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة» [٤٠] . أما الاراضي التي اسلم عليها اهلها فقد خضعت لضريبة العشر، فقد أورد البلاذري عن اعشار بلد وديار ربيعة والبرية فقال : «هي اعشار ما اسلمت عليه العرب أو عمرته من الموات الذي ليس في يد أحد ، أو رفضه النصارى فمات وغلب عليه الدغل فاقطعه العرب» [٤١] .

ومن الجدير بالملاحظة أن القاعدة العامة في النظام المالي الاسلامي تقضي بأن يخصص لكل مصر ما يجبى من المقاطعات التي حررها مقاتلة ذلك المصر [٤٢] ، فكانت واردات الموصل والجزيرة تصرف لتغطية عطاءات الجند ورواتب العمال والموظفين ، فضلاً عن الانفاق على المرافق العامة كانشاء المساجد والطرق وشق القنوات وغيرها [٤٣] ، وما زاد على ذلك كان يذهب الى مركز الخلافة للتصرف فيه وفقاً لمقتضيات المصلحة العامة.

إدارة الموصل وتخطيطها : –

عدت الموصل بعد تحرير الجيوش العاملة لها تحت قيادة عبدالله بن المعتم ، أحد ثغور الكوفة الاربعة [٤٤] . ومن ثم فقد غدت قاعدة عسكرية لتحرير المناطق المجاورة لها ومركزاً لادارتها.

وقد ضمت المناطق التابعة لولاية الموصل مدناً ونواحي وقرىً كثيرة شملت معظم المنطقة الشمالية من العراق والجزيرة الفراتية وبذلك كانت تكريت وكركوك (باجرمي) والحديثة وشهرزور من ضمن توابع الموصل في ذلك الوقت واستمرت حتى العصر العباسي حيث أجريت عليها بعض التعديلات [٤٥] .

وقد تولى أمر ولاية الموصل في البداية عدة من الولاة الذين ساهموا في تحريرها أو تحرير المناطق المجاورة لها. فكان أول من تولى ولاية الموصل ربعي ابن الافكل العنزي الذي كان على رأس الجيش الذي حرر الموصل في حدود سنة ١٦ هـ / ٦٣٧م كما عمل الى جانبه «على الخراج» هرثمة بن عرفجة البارقي [٤٦] .

ثم عهد عمر بن الخطاب (رض) بولاية الموصل الى عتبة بن فرقد السلمي سنة عشرين ليقوم بمهمة محددة فيها على ما يبدو، وهي اعادة الامن والنظام فيها كما قدمنا.

وفي سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢م قام الخليفة عمر بن الخطاب بعزل عتبة عن ولاية الموصل وولاها هرثمة ابن عرفجة البارقي [٤٧] . وكان هرثمة على خراج الموصل منذ تحريرها في عام ١٦ هـ/ ٦٣٧م ، واستمرت ولايته على الموصل حتى عام ٣٤ هـ / ٦٥٤م حينما قام الخليفة عثمان بن عفان (رض) بتعيين حكيم بن سلامة الحزامي والياً على الموصل [٤٨] . وبذلك تكون المدة التي عمل فيها هرثمة البارقي في إدارة امور الموصل حوالي ١٨ عاماً ، وهي مدة طويلة نسبياً تتيح لصاحبها المجال والخبرة لتحقيق الكثير من المنجزات في شتى المجالات الادارية والعمرانية. لذا فقد اقترن أمر تخطيط الموصل وتعميرها باسم هذا الوالي القدير.



فقد ذكر البلاذري أن «أول من اختط الموصل واسكنها العرب ومصرها هرثمة بن عرفجة البارقي»[٤٩] . كما ذكر أن الموصل «كان بها الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود، فمصرها هرثمة، فأنزل العرب منازلهم، واختط لهم، ثم بنى المسجد الجامع»[٥٠] .

إن ما تقدم يشير الى أن نواة مدينة الموصل كانت موجودة وقائمة قبل أن يقوم هرثمة بعملية تمصير الموصل، وهي ترجع في جذورها الى العصر الآشوري حيث كان الاشوريون قد شيدوا في هذا الموضع قلعة أو حصناً لاعتبارات حربية تتصل بالدفاع عن عاصمتهم نينوى. وقد اطلق الكتاب الآراميون على هذا الحصن «حصن عبرايا أو الحصن العبوري»[٥١] .

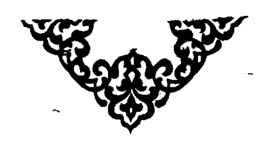
ويبدو أن الحصن الذي اشار له البلاذري في النص الآنف الذكر كان أصغر من أن يفي بحاجات السكان الذين أخذوا بالتزايد بعد أن أصبحت الموصل القاعدة الادارية والعسكرية لجيوش التحرير في الجزيرة وما حولها. ومن ثم فإن للباحث أن يفترض – لعدم توافر الأدلة الواضحة – بأن هرثمة قد عمد الى تخطيط المسجد ومساكن العرب واسواقهم خارج اسوار الحصن. وبذلك انفسح المجال لتوسع مدينة الموصل ونموها، فلم تعد حدودها مقصورة على القلعة القديمة وما فيها من مساكن ومنشآت يسيرة، بل امتدت الى شرقيها وجنوبها حتى غدت في العصور التالية إحدى قواعد بلاد الاسلام العظيمة من حيث كثرة سكانها وسعة مساحتها[٥٢] . وذلك لأنها بحكم موقعها المتوسط بين الأقاليم الاسلامية قد غدت «محط رحال الركبان، ومنها يقصد الى جميع البلدان، فهي باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد الى أذربيجان»[٥٣] .

في ختام هذا المبحث ، ربما كان من المفيد أن نشير الى أن المصادر التاريخية لم تسعفنا بتقديم معلومات عن المسجد والاسواق ومحلات السكن التي شيدت من قبل هرثمة، وكل ما وصل الينا من إشارات حول مثل هذه المنشآت فإنما ترجع الى عصور تالية. لذا فإن للباحث أن يفترض أن هذه المنشآت كانت تتسم بالبساطة وغلبة الطابع العملي عليها.

أما الولاة الذين تولوا أمر إدارة الموصل من بعد هرثمة وحتى نهاية العصر الراشدي فلم تنقل لنا المصادر التاريخية شيئاً عن اعمالهم في مجال الادارة أو تعمير المدينة. ويبدو أنهم قد ساروا على الخطى التي بدأها عرفجة في تخطيط المدينة وتوسيعها وتوطين ابناء القبائل العربية المختلفة فيها

جدول باسماء ولاة الموصل في العهد الراشدي[٥٤] .

السنة	الوالي
١٦هـ / ٦٣٧ م	ربعي بن الأفكل العنزي «وكان يعمل الى جانبه على خراج الموصل هرثمة بن عرفجة البارقي»
١٧هـ / ٦٣٨ م	عبد الله بن المعتم «سكن الكوفة وأناب عنه في ادارة الموصل مسلم بن عبد الله»
٢٠هـ / ٦٤٠ م	عتبة بن فرقد السلمي
٢٢هـ / ٦٤٢ م	هرثمة بن عرفجة البارقي
٣٤هـ / ٦٥٤ م	حكيم بن سلامة الحزامي
٣٦هـ / ٦٥٦ م	الاشتر مالك بن الحارث النخعي





الهوامش

(١) يراجع بحثنا ثروات اهل مكة في عصر الرسالة، مجلة المؤرخ العربي بغداد، عدد ٤٣، ١٩٩٠، ص ١٠١ - ١١٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مصر ١٩٦٨، ج ٢ ص ١٩٣.

(٣) سورة الروم: ١ - ٤، القرطبي، محمد بن احمد الانصاري الجامع لاحكام القرآن، القاهرة ١٩٦٤ ج ١٤ ص ١ - ٧.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، مصر ١٩٥٥، ق ٢ ص ٦٠٦ - ٦٠٧.

(٥) العلي، د. صالح احمد، الدولة في عهد الرسول، بغداد ١٩٨٨ مجلد ١ ص ٣٢١.

(٦) الطبري، تاريخ، ج ٢ ص ٦٥٥.

(٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٥٥.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٥٧، ج ٢ ص ١٢٨ - ١٣٠.

(٩) ابن هشام، السيرة النبوية، مصر ١٩١٤، ج ٢ ص ٢٥٧.

(١٠) ابن سعد، الطبقات، ج ٢ ص ١٦٥.

(١١) المصدر نفسه، ج ٢ ص ١٦٦ - ١٦٧.

(١٢) ابن هشام، السيرة ج ٢ ص ٣٦٥.

(١٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩١.

(١٤) البلاذري، فتوح البلدان، بيروت ١٩٧٨، ص ٢٤٢.

(١٥) الطبري، تاريخ، ج ٣ ص ٣٤٣.

(١٦) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٣٤٤

(١٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٦٢.

(١٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١١٤، ص ١٦٦ - ١٧٣.

(١٩) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٥.

(٢٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٦.

(٢١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٦.

(٢٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٧.

(٢٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٧.

(٢٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، النجف ١٩٦٧، ج ١ ص ١١٠.

(٢٥) البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٢٧.

(٢٦) تاريخ مار ميخائيل الكبير (ترجمة المطران صليبا شمعون)، نسخة مخطوطة بخط المترجم، ج ٢ ص ١٤٦. علماً بان الكتاب قد قام بنقله ونشره باللغة الفرنسية القس يوحنا شابو عن نسخته الوحيدة التي هي ملك الكنيسة السريانية الرهاوية. (راجع افرام الاول بريصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، بغداد ١٩٧٦ ص ١٣٠، راجع أيضاً آرنولد، توماس، الدعوة الى الاسلام، القاهرة ١٩٥٧، ص ٧٢ - ٧٣.

(٢٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٤٦.

(٢٨) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٣٦٢.

(٢٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٦٢.

(٣٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٣١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧.

(٣٢) الطبري، تاريخ، ج ٤ ص ٣٧.

(٣٣) ابو يوسف، الخراج، القاهرة ١٣٨٢ هـ، ص ٣٧، ٦٩ اليوزبكي، توفيق، دراسات في النظم الاسلامية، الموصل ١٩٨٨ ص ١٤١ - ١٤٢.

(٣٤) ماجد، د. عبد المنعم، تاريخ الحضارة الاسلامية، القاهرة ١٩٧٢ ص ٤٠.

(٣٥) البلاذري، فتوح البلدان ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٨٢.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ١٨٥ - ١٨٧.

(٣٨) ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية، ص ٣٩.

(٣٩) ابو يوسف، الخراج، ص ٣٦ - ٣٧.

(٤٠) البلاذري، فتوح البلدان ص ١٧٩.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٤٢) العلي، د. صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، بيروت ١٩٦٩ ص ١٣١.

(٤٣) السلمان، الموصل في العهد الراشدي والاموي، رسالة ماجستير الموصل ١٩٨٣ ص ١٣٦.

(٤٤) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٤٩.

(٤٥) ابن جعفر، قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، بغداد ١٩٨١ ص ١٧٥، السلمان، الموصل في العهدين الراشدي والاموي ص ١٣٧ - ١٦٤.

(٤٦) الطبري، تاريخ، ج ٤ ص ٣٦ - ٣٧.

(٤٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧، الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، الموصل ١٩٨٢ ص ٣٠.

(٤٨) الطبري، تاريخ، ج ٤ ص ٣٣٠.

(٤٩) البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٢٧.

(٥٠) المصدر نفسه ص ٣٢٧.

(٥١) ناجي، د. عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية، البصرة ١٩٨٦، ص ٣٢٨.

(٥٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت ١٩٥٧، ج ٥ ص ٢٢٣.

(٥٣) المصدر نفسه، ج ٥ ص ٢٢٣.

(٥٤) السلمان، الموصل في العهدين الراشدي والاموي ص ١٦٦ - ١٦٧.



الموصل في العهد الأموي

٤٠-١٣٢ هـ/ ٦٦٠-٧٤٩ م

أ. د. عبد الواحد ذنون طه

مرت ادارة الموصل بمراحل متعددة وتطورات كثيرة في اثناء هذا العهد. لاسيما وان منطقتها كانت مركزاً ادارياً مهماً منذ أزمان بعيدة تعود الى العهد الآشوري، وما أعقبه من عهود السيطرة الأجنبية وخاصة النفوذ الساساني ٢٢٦-٦٥٢ م[١]. وبعد افتتاحها في عهد الراشدين، تنبه الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه (١٣-٢٣ هـ/ ٦٣٤-٦٤٠م) الى خطورة موقعها، فاتخذها مركزاً للفتوح، وأمر عامله عليها عرفجة بن هرثمة البارقي بتمصيرها واسكانها العرب[٢]. ثم جُعلت مركزاً من مراكز اجناد الدولة[٣]. وأصبحت مقراً لكثير من القبائل العربية التي سكنت فيها نتيجة ترتيبات وضعها الخلفاء الراشدون. وكان من هؤلاء نحو أربعة آلاف من الأزد، وطيْ، وكندة، وعبد القيس، استقروا فيها في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤-٦٥٦م)[٤].

وازدادت أهمية الموصل في العهد الأموي، وليس أدل على هذه الأهمية من اهتمام الخلفاء الأمويين بها، وحرصهم على تعيين الولاة عليها بأنفسهم. وكانت الموصل تُعد مركز منطقة ديار ربيعة التي شكلت الجزء الأكبر من ولاية الجزيرة. ولكن لأهميتها كانت تمثل في بعض الأوقات اهم مراكز عمل هذه الولاية، والقاعدة الاولى فيها.[٥] وهذا يعود بطبيعة الحال الى مقدار اهتمام كل خليفة بهذه الولاية، ومدى تقديره لأهميتها.

ويمكن ملاحظة الاتجاه العام الذي سارت عليه سياسة الخلفاء الأمويين ازاء ولاية الموصل وادارتها التي عهدت في غالب الأحيان الى كبار القادة أو الأعضاء البارزين في البيت الأموي. حيث كان الوالي يُعين على الصلاة والحرب، اي انه كان مسؤولاً عن ادارة الولاية، وقيادة قواتها في حالة تعرضها الى تمرد داخلي، أو خطر خارجي. وكان يساعد الوالي موظف خاص يُعينه الخليفة، هو صاحب الخراج المسؤول عن الشؤون المالية الخاصة بالأراضي الزراعية في الولاية[٦]. ويُرجح ايضاً وجود كاتب خاص للوالي، ويتضح هذا من نص أورده الأزدي[٧]، وأشار فيه الى رباح بن عبيدة الغساني، الذي كان كاتباً للؤي بن الوليد، إذ تولى المدينة لفترة قصيرة جداً ايام والده الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٣-٧٤٤م).

وكان من صلاحيات الوالي ايضاً تعيين العمال الثانويين على الوحدات الادارية، أو الأعمال التي كانت تابعة للمدينة، والتي تمتعت بوجود بيت مالها الخاص بها[٨]. وكانت اعمال الموصل هذه واسعة جداً، وتشمل مناطق كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، البرِّيَّة، والمرج[٩]، والكرخ، ودقوقا، وخانجار، وشهرزور، والطيرهان، والعمرانية، وتكريت، والسِّن، وباجرمى، وقردى، وسنجار، الى حدود أذربيجان[١٠].

خضعت الموصل لسلطة معاوية بن أبي سفيان في أواخر العهد الراشدي، وتشير المصادر الى اسم أحد عماله على المدينة، وهو عبدالرحمن بن عثمان الثقفي، الذي يعرف بابن ام الحكم، وهو ابن اخت معاوية[١١]. ولكن اضطراب أحوال الدولة



العامة بعد وفاة معاوية أثر على سلطة الأمويين في الموصل، كما أثر على كثير من ولايات الدولة الاخرى. فقد أدار شؤون الموصل بعد سيطرة عبدالله بن الزبير عليها عامله محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، الذي تخلى عنها بعد وصول عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني عامل المختار الثقفي سنة (٦٦ هـ / ٦٨٥ م)[١٢].

ونتيجة لتوجه جيش الخلافة الأموية بقيادة عبيدالله بن زياد الى الموصل عمد المختار الثقفي الى ارسال حملات تعزيزية الى عامله عبدالرحمن بن سعيد بن قيس، كان أهمها حملة ابراهيم بن مالك ابن الحارث الأشتر، الذي تمكن من القضاء على عبيدالله بن زياد بالقرب من قرية باربيثا على الخازر، ثم توجه الى الموصل، وأقام والياً عليها من قبل المختار الثقفي، وكانت ولايته تشمل ايضاً أرمينية وأذربيجان[١٣]. وقد وجه عماله على المناطق القريبة التابعة للمدينة، مثل نصيبين، وسنجار، ودارا وما والاها من ارض الجزيرة[١٤]. فولى عبدالرحمن ابن عبدالله على نصيبين، وولى زفر بن الحارث على قرقيسيا، وحاتم بن النعمان الباهلي على حران والرها وسميساط وناحيتها، وولى عمير بن الحُباب السلمي على كفر توثا وطور عبدين[١٥]. كما ولى السفاح بن كُردوس على سنجار، وعبدالله بن مسلم على ميافارقين، ومسلم بن ربيعة العقيلي على آمد[١٦].

وتشير هذه المعلومات الى ازدياد أهمية الموصل بالنسبة للأطراف المتنازعة، واناطة صلاحيات ادارية واسعة لمن يتولاها، بحيث أصبح مسؤولاً عن معظم أقاليم الجزيرة، فضلاً عن أرمينية واذربيجان. ومن الجدير بالذكر ملاحظة هذه المسألة بخاصة، وهي اختلاف المكانة الادارية للموصل خلال هذا العصر، وتصرف القوى السياسية المختلفة ازاء وضعها الاداري المستقل، أو دمجها بولاية الجزيرة. وسنجد ان الخلفاء الأمويين، لاسيما بعد القضاء على حركة ابن الزبير، كانوا يفضلون دمج الموصل بولاية الجزيرة، بإستثناء بعض الأوقات التي تتطلب من عامل المدينة عناية خاصة واهتماماً كبيراً في المنطقة ذاتها. فكان يُعنى من الاشراف على الجزيرة وأرمينية واذربيجان، ويكتفي بالاهتمام بأمور المدينة وأعمالها، كما حصل في اثناء ولايتي سعيد بن عبد الملك، والحر بن يوسف التي ستتحدث عنها لاحقاً.

ومن الجدير بالذكر ايضاً ملاحظة إناطة ولاية الموصل في فترة الاضطراب وعدم الاستقرار التي صاحبت استيلاء المختار الثقفي ومصعب بن الزبير على العراق واجزاء من الجزيرة، الى كبار القادة الذين ساهموا الى حد كبير في حسم الأحداث لصالح أحد هذه الأطراف. فابراهيم بن الاشتر قضى على عبيدالله بن زياد لصالح حركة المختار، ومنع بذلك انتشار سلطة الأخير على العراق والجزيرة، فعُين والياً على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان. وبعد خسارة المختار الثقفي ومقتله على يد جيش مصعب بن الزبير سنة (٦٧ هـ / ٦٨٦ م) استمال الأخير ابراهيم بن الأشتر، فجاءه الى الكوفة وانضم الى حركته. فأرسل مصعب الى المهلب بن أبي صُفْرة ليتولى الموصل والجزيرة واذربيجان وأرمينية[١٧]، وليكون حاجزاً بينه وبين جيوش عبد الملك بن مروان لثقته بحزم المهلب[١٨]. وعندما أصبح الموقف في الاحواز حرجاً نتيجة حركات الخوارج بقيادة قطري بن الفجاءة استعان مصعب بن الزبير بالمهلب لمواجهة هذا الموقف، وأرسل بديله على الموصل والجزيرة ثانية ابراهيم بن الأشتر سنة (٦٨ هـ / ٦٨٧ م)[١٩]. ويشير هذا التأكيد على تولي الموصل وما يتبعها من اقاليم، لشخصيات بارزة من امثال ابراهيم بن الأشتر، والمهلب بن أبي صُفْرة، الى مدى أهمية هذه المنطقة، وخطورتها في حسم الأحداث بالنسبة للأطراف المختلفة.

ومما يؤكد هذا الاهتمام ايضاً ان الخليفة عبدالملك بن مروان ولى الموصل، بعد القضاء على مصعب بن الزبير، لأخيه محمد بن مروان، الذي كان على مقدمة جيشه المتوجه الى العراق[٢٠]. ويبدو أن لخبرة محمد بن مروان بالموصل والجزيرة اثراً في هذه الولاية، حيث ان محمد بن مروان كان قد توجه الى الجزيرة بحملة في عهد والده مروان بن الحكم سنة (٦٥ هـ / ٦٨٥ م) قبل ان يسير الأخير الى مصر[٢١]. وكانت ولاية محمد بن مروان تشمل فضلاً عن الموصل، الجزيرة وارمينية واذربيجان[٢٢]. واستمرت على المناطق الأخيرة من سنة (٧٣- ٩٢ هـ / ٦٩٢- ٧١٠ م) حيث عزله عمه الوليد بن عبدالملك (٨٦- ٩٥ هـ / ٧٠٥- ٧١٣ م)[٢٣].

ويبدو ان محمد بن مروان كان مهتماً بقيادة الحملات العسكرية في الجبهة الشمالية، لاسيما أرمينية، وانه استقر في وقت متأخر من ولايته في تلك المنطقة. وعلى الرغم من اهتمامه بالموصل، وشروعه ببناء سور لها[٢٤]، واسكانه لعدد كبير من القبائل العربية فيها، لاسيما من الأزد وربيعة بعد نقلهم من البصرة[٢٥]، وقيام صاحب شرطته ابن تليد بفرش شوارعها بالحجارة فإن الخليفة عبدالملك شعر ان الموصل بحاجة الى اهتمام مباشر من قبل شخصية اخرى من البيت الأموي. فعهد، كما يشير البلاذري[٢٦]، بولايتها الى ابنه سعيد بن عبدالملك، وهكذا فسح المجال لمحمد بن مروان بالتفرغ لمواجهة الحدود الشمالية للدولة في ارمينية واذربيجان. وقد قام سعيد بن عبدالملك بجهود عمرانية مكثفة من اجل تطوير وخدمة المدينة. وتمثلت اعماله بإنجاز سور الموصل، وبناء أحد اسواقها، الذي سُمي على اسمه، كما بنى مسجداً عرف بإسم مؤذنه عبيدة، فضلاً عن بناء أحد الأديرة. وسنشير الى اعماله هذه بالتفصيل في المبحث الخاص بالحالة العمرانية في المدينة.

ولم يكتف سعيد بن عبدالملك، الذي عُرف بسعيد الخير[٢٧]، لزهده وحبه للاصلاح والعمران، بما حققه من انجازات في المدينة، بل حاول تطوير المناطق النائية الواقعة خارجها، حيث ينسب اليه نهر سعيد الذي يجري دون الرقة من ديار مضر. وكان موضعه غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد بن عبدالملك، فحفر النهر هناك، وعَمَّر المنطقة[٢٨]. وقد استمر سعيد في ولاية الموصل طيلة خلافة اخويه الوليد وسليمان، الى ان عزل عنها في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، الذي كتب اليه بتسليم المدينة الى يحيى بن يحيى الغساني والقدوم عليه في دمشق[٢٩].

لقد انعكست السياسة العامة في ادارة الدولة الأموية في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز على الادارة في كل اقاليم وولايات الدولة، ومنها الموصل. حيث جاءت اوامر الخليفة الى الوالي يحيى ابن يحيى الغساني بالرجوع الى ما كان قد قرره الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في أمر الجزية ومقدارها، والغاء الترتيبات المالية المخالفة في جباية الضرائب التي أُقرت في عهد عبدالملك بن مروان[٣٠]. كذلك فقد أمره بأخذ الناس بالبيّنة وما جرت عليه السنّة، وتجنب أخذهم بالظن، أو ضربهم على التهمة، على الرغم من تفشي السرقة في الموصل في ذلك الوقت. وقد أدت اجراءات الوالي الجديد العادلة الى القضاء على تلك الظاهرة، ولم تنته ولايته عن الموصل حتى كانت أصلح البلاد، واكثرها أماناً[٣١].

ظل يحيى بن يحيى الغساني على ولاية الموصل حتى وفاة الخليفة عمر بن عبدالعزيز سنة (١٠١ هـ / ٧٢٠ م)[٣٢]. ثم تولاها في بداية خلافة يزيد بن عبدالملك (١٠١- ١٠٥ هـ / ٧٢٠- ٧٢٤ م) عمر بن هبيرة الفزاري ضمن ولايته للجزيرة، ولكنه لم يلبث ان عُزل سنة (١٠٢ هـ / ٧٢٠- ٧٢١ م) وعين بدلاً عنه على



الموصل وأعمالها بأجمعها مروان بن محمد بن مروان [٣٣].

وعندما تولى الخليفة هشام بن عبدالملك الخلافة (١٠٥ – ١٢٥ هـ / ٧٢٤ – ٧٤٣م) اهتم كثيراً بالموصل. ويبدو أن هذا الاهتمام يعود الى اتصاله الوثيق بها، حيث كان هشام مقيماً فيها ايام عمه محمد بن مروان، أو أخيه سعيد بن عبدالملك. وقد أبتنى فيها قصراً يقع الى الجنوب من الموصل في ارض واسعة بالقرب من دجلة تعرف بالجزيرة [٣٤]. وقد وقع اختياره على أحد أفراد البيت الأموي، الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم، أخي زوجته ام حكيم ابنة يوسف بن يحيى، لتولي المدينة. وكان هذا الاختيار مقصوداً، فقد عُرف الحر بن يوسف بإهتمامه الشديد بالادارة والعمران، لاسيما في اثناء ولايته لمصر سنة (١٠٥ – ١٠٨هـ / ٧٢٤ – ٧٢٦م)، حيث عمّر الأراضي التي أنحسر عنها النيل، وبنى فيها قيسارية عرفت بقيسارية هشام بالقرب من الجسر الواقع على النيل [٣٥].

ويذكر الأزدي [٣٦] ان ولاية الحر للموصل كانت في سنة (١٠٦هـ / ٧٢٤ – ٧٢٥م)، بينما يشير الكندي [٣٧]، الى ان الحر ابتدأ في بناء القيسارية المذكورة على النيل في رجب سنة سبع ومئة، وفرغ منها في سنة ثمان ومئة، وكان انصرافه عن ولاية مصر بأمر من هشام في ذي القعدة من سنة ثمان ومئة. وهنا يجد الباحث نفسه امام اختلاف في الرواية لاثنين من كبار المؤرخين المتخصصين في كتابة التاريخ المحلي، وهما ابو زكريا الأزدي، وابو عمر الكندي، وكلاهما ثقة فيما كتبه عن تاريخ بلده. وقد أخذ معظم المُحْدَثين سنة ١٠٦هـ بداية لولاية الحر على الموصل دون مناقشة [٣٨]، ولو أن الأرجح ان تكون السنة التي ذكرها الكندي هي الأصح، لاسيما وأنه عزز كلامه بثوابت من التواريخ التي تبين زمن ابتداء الحر ببناء القيسارية، وانتهائه منها، وحدد بالضبط الوقت الذي غادر فيه مصر، وهو ذو القعدة من سنة ١٠٨هـ.

وعلى اي حال، فإن الموصل فصلت خصيصاً عن ولاية مروان بن محمد في الجزيرة وأرمينية واذربيجان، وعهدت الى الحر بن يوسف للقيام بمهمة أساسية على مايبدو، وهي انشاء مشروع رئيس لهذا المركز المدني النامي، بحفر قناة تتفرع من نهر دجلة، اطلق عليها اسم نهر الحر، أو النهر المكشوف. ويبدو ان الخليفة هشام بن عبدالملك قد أدرك، كما يقول احد الباحثين المحدثين [٣٩]، «تأثيرات الازدحام السكاني في هذه المنطقة، فحاول معالجة الموقف بمشروع انتاجي طويل المدى يحسن مجالات استخدام السكان المحليين على الأقل». ومما يؤيد أهمية هذا المشروع الذي سنتحدث عنه لاحقاً في مبحث الناحية العمرانية أنه جاء في وقت كانت فيه خزينة الدولة ترزخ تحت ضغط الأخطار الخارجية، ومع ذلك فإن الخليفة لم يطالب الحر بن يوسف، ولا خليفته الوليد بن تليد العبسي (١١٤ – ١٢١هـ / ٧٣٢ – ٧٣٨م) [٤٠]، الذي اكمل المشروع بحمل أية أموال من الموصل الى الخزانة المركزية في دمشق. وكانت اموال الموصل كثيرة في ذلك الحين، وأعمالها واسعة، وقد أُنفقت جبايتها لانجاز حفر النهر. وكان الخليفة يتابع العمل بإستمرار، ويطلب الاسراع في استكمال المشروع الذي تم سنة (١٢١هـ / ٧٣٨م) [٤١].

وفي سنة (١٢٦هـ / ٧٤٣م) رجعت الموصل الى الادارة المركزية ضمن ولاية الجزيرة وأرمينية واذربيجان. ولكنها أصبحت قاعدة بلاد الجزيرة، حيث اتخذها مروان بن محمد، الذي تولاها للمرة الثانية زمن الخليفة يزيد بن الوليد (١٢٦هـ / ٧٤٣م)، مركزاً لادارته، وأناب عنه عاصم بن عبدالله على ارمينية واذربيجان [٤٢]. وقد اهتم مروان ابن محمد بالمدينة وادارتها، فَعَمّر مسجدها الجامع



ووسعه ، ومدّ لها جسراً على نهر دجلة لتسهيل الاتصال بين جانبيها ، كما نظّم طرقاتها ورصفها ، ووسّع السور في المناطق التي امتدت اليها العمارة في البلد[٤٣] . ولكن الصراع الداخلي على السلطة بين افراد البيت الأموي اضطر مروان الى ترك الموصل ، والتوجه الى دمشق ، حيث نجح في تولي منصب الخلافة سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٤ م)[٤٤] .

ووجه الخليفة مروان بن محمد في هذه السنة اميراً جديداً على الموصل واعمالها من أهل الجزيرة ينتمي الى عشيرة بني شيبان ، يقال له القطران بن أكمه في عدةٍ من اهل بيته وقومه[٤٥] . وعلى الرغم من انه تولى لفترة من الزمن محدودة جداً ، لكنه ترك أثراً بارزاً في المدينة تمثل في بناء خطة لقومه ومسجدٍ عرف بإسمه[٤٦] . وقد جوبه بخطر الحركات "الخارجية" في المنطقة ، ولقي حتفه في مقاومة احدى هذه الحركات التي هاجمت الموصل سنة (١٢٨ هـ / ٧٤٥ م) ، كما سنرى في المبحث الآتي . وبعد القضاء على هذه الحركة استُخلف أمير جديد على الموصل وأعمالها ، هو هشام بن عمرو الزهيري الذي تولى الصلاة والحرب ، في حين قُلد الخراج الى بشر بن خزيمة الأزدي . وقد استمر هشام بن عمرو في منصبه حتى سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م)[٤٧] .

٢ – موقف الموصل من حركات المعارضة :

على الرغم من ان الجزيرة ، وبضمنها الموصل ، توصف في مصادرنا بأنها عثمانية[٤٨] ، أي انها كانت موالية للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإنها وقفت موقفاً سلبياً أزاء الأحداث التي نتجت عن الصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب (٣٥ – ٤٠ هـ / ٦٥٦ – ٦٦١ م) رضي الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان . وكان قادتها يتبادلان السيطرة عليها بقواتها الخاصة ، سواء من العراق بالنسبة للامام علي ، أو من الشام بالنسبة لمعاوية[٤٩] . وبعد استقرار الأمر للأخير ظلت الموصل هادئة في ظل ولاته . ولم يعكر صفو هذا الهدوء سوى قدوم بعض الجماعات والأفراد اليها من المناصرين السابقين للامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه . ولكن هذه الحالات الفردية كان يرصدها عامل الموصل وتنتهي بالقاء القبض على القادمين ومعاقبتهم[٥٠] .

وليس من المستبعد وجود أقارب وأنصار لهؤلاء في الموصل ، غير انه لم ترد في مصادرنا أية ردود فعل أو مقاومة للسلطة من قبل أهل الموصل . ولكن مما يرجح وجود بعض المناصرين لآل بيت الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الموصل قيام الامام زيد بن علي بن الحسين بإرسال موفدين عنه اليها لدعوة أهلها للمشاركة في حركته ضد الخلافة الأموية سنة (١٢٢ هـ / ٧٣٩ – ٧٤٠ م)[٥١] . ويظهر ان عدد هؤلاء كان محدوداً ، لذلك لانجد صدىً ، أو استجابة لهذه الدعوة . ولم تشر المصادر التي أوردت هذه الرواية الى مشاركة اهل الموصل في حركة الامام زيد بن علي التي قامت أصلاً في الكوفة .

واذا مارجعنا الى احداث الحرب الأهلية الثانية التي أعقبت وفاة الخليفة يزيد بن معاوية سنة (٦٤ هـ / ٦٨٣ م) ، وقيام حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق ، وحركة عبدالله بن الزبير في الحجاز ، نجد أن الموصل ظلت على موقفها السلبي من هذه الأحداث ، أي أن اهلها لم يشاركوا في تأييد أو مقاومة القوى التي سيطرت على المنطقة . فكان الولاة الذين يمثلون هذه القوى يدخلون الى الموصل وأرضها ، ويخرجون منها ، حسب تقلب الظروف السياسية التي اكتنفت الدولة العربية الاسلامية حينذاك[٥٢] . ولم ترد اشارات عن قيام اهل المدينة بمساعدة هذه القوات ، أو الوقوف موقفاً عدائياً ازاءها .



وبعد انتصار عبدالملك بن مروان على مصعب ابن الزبير عام (٧١هـ / ٦٩٠م) وانتهاء الحركة الزبيرية في العراق عادت الموصل الى الخلافة الأموية. وقد ظهرت في هذا العصر بوادر حركات معارضة اخرى للأمويين تركزت هذه المرة في الجزيرة ومنطقة الموصل ، وتسمى عادة بالحركات "الخارجية". وقد تميزت الجزيرة بهذه الحركات حتى أصبحت صفة ملازمة لها[٥٣]. وتشير المصادر الى اماكن متعددة في هذه المنطقة مقرونة بمصطلحي «الشراة»، و «الحرورية»، وهي الأسماء التي تطلق عادة على المنتمين لهذه الحركات. وتشكل ديار ربيعة عامة أهم هذه المناطق، لاسيا منطقة سنجار، وتل أعفر، والسِّن، والبوازيج، والحديثة[٥٤].

ولكن قبل الدخول في تفاصيل هذه الحركات ومدى علاقة الموصل بها يحسن اعطاء فكرة عامة عن ماهيتها وجذورها، واهداف المنتمين اليها، ومدى علاقتها بحركة الخوارج المعروفة التي ظهرت في زمن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه، أثر معركة صفين ومشروع التحكيم بينه وبين معاوية ابن أبي سفيان. فإذا مارجعنا الى مصادرنا الأولية نجد أن غالب هذه الحركات توصف على انها من أنشطة الخوارج الصُّفرية[٥٥]. وهم حسب الرأي الشائع من اتباع زياد بن الأصفر، ويختلفون عن غيرهم من الفرق، لاسيا الأزارقة الذين ينتمون الى نافع بن الأزرق، في امور منها أنهم لايرون قتل اطفال مخالفيهم ونسائهم، ولم يكفُّروا القعدة عن القتال اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد[٥٦]. ويشير ابو العباس محمد بن يزيد المبرد[٥٧]، الى أنهم سُموا بالصفرية لتأثير العبادة فيهم، فاصفرت وجوههم.

ولكن الدراسات الحديثة تتحفظ في اعتبار هذه الحركات التي ظهرت في العهد الأموي على انها "خارجية" بالمعنى الصحيح، بل ترى أنها في حقيقتها حركات قبلية إنضمت الى البقية الباقية من الخوارج الأوائل لأسباب مصلحية. لذلك فإن أفضل تسمية لهم هي «الخوارج الجدد»[٥٨]. وهم في الأساس مجموعة من القبائل العربية التي اندمجت في بيئاتها الجديدة في الجزيرة والموصل، ورفضت مواصلة دعم الأمويين بأي شكل، كما أنهم لم يروا أيضاً سبباً للتورط في الانتفاضات والحركات الاخرى المعادية للدولة، التي كانت تُمنى بالفشل الدائم، لاسيا الحركات العلوية، وقد سبقت الاشارة الى الموقف السلبي لأهل الموصل والجزيرة عامة ازاء تلك الحركات.

لقد كانت منطقة الجزيرة مناسبة جداً لقيام الحركات المعارضة، بسبب موقعها الجغرافي وضمها اقواماً مختلفة من العرب والأكراد، والأرمن، والروم، وغيرهم. فكان من الطبيعي أن يسودها جو مضطرب النزعات والعقائد والاتجاهات التي تتقبل كل فكرة تدعو الى التمرد والعصيان. فضلاً عن، أن القبائل العربية في هذه المنطقة كانت محرومة من العطاء الذي يمنح للمقاتلة فقط، فكانت هذه القبائل سرعان ماتنضّم لأية حركة معارضة للسلطة، لأن نجاح الحركة يُعد كسباً لهذه القبائل، لما يعقب ذلك من الحصول على المكاسب والمغانم، اما في حالة فشل الحركة، فكان من السهل عليهم الهرب الى بادية الشام والعراق، والتخلص من النتائج السلبية التي تعقب ذلك الفشل[٥٩].

وليس المقصود بهذا الكلام ان جميع حركات «الخوارج الجدد» التي قامت في منطقة الموصل والجزيرة كانت دون أهداف سياسية أو دينية واضحة، أو أن غايتها كانت السلب والحصول على المكاسب حسب. بل أن بعضها كان يتطور مع الزمن ليضم فئات اخرى استغلت بعض هذه الحركات لصالحها الخاص، كما سنرى في اثناء الكلام عن حركة الضحاك بن قيس الشيباني مثلاً.



ولدينا أمثلة واضحة عن أهداف مجموعة اخرى من هذه الحركات، حيث يبدو العامل الديني فيها طاغياً، لاسيما حركة صالح بن مسرّح التميمي، وشبيب بن يزيد الشيباني، وبهلول بن بشر.

ويمكن اعتبار حركتي صالح بن مسرّح وشبيب ابن يزيد حركة واحدة تنتمي جذورها الى الخوارج الأوائل الذين حاربهم الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة النهروان، حيث فر بعضهم الى الشمال ووصلوا الموصل وأطرافها واستقروا فيها، ولكن مع ذلك لم تنقطع صِلاتهم مع أقرانهم في الكوفة. ويُعد صالح بن مسرّح خير مثال على هؤلاء، حيث كان يأتي الكوفة، فيقيم فيها لفترات متقطعة للالتقاء بأصحابه، والتذاكر معهم في امر الخروج على الدولة[٦٠]. وقد استطاع هذا الرجل الذي يصفه ابن الكلبي بأنه «كان رجلاً ناسكاً مُخبتاً مصفر الوجه صاحب عبادة»[٦١]، أن يجمع حوله الكثير من الأصحاب والمؤيدين الذين يقرئهم القرآن، ويفقههم في الدين، ويقص عليهم القصص، في منطقة دارا وارض الموصل والجزيرة.

ويبدو العامل الديني واضحاً في هذه الحركة من ملاحظة كلام صالح بن مسرّح مع أصحابه وهو يحثهم على الخروج قائلاً: «... ماأدري ماتنتظرون وحتى متى وانتم مقيمون، هذا الجور قد فشا وهذا العدل قد عفا ولا تزداد هذه الولاة على الناس الا غلواً وعتواً وتباعداً عن الحق وجرأة على الرب، فاستعدوا وابعثوا الى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء الى الحق مثل الذي تريدون...»[٦٢]. وعندما اتصل شبيب بن يزيد بصالح على أثر دعوة الأخير له للقيام على الدولة، قال له شبيب يستحثه على ذلك: «اخرج بنا رحمك الله فوالله ماتزداد السُنّة الاّ دروساً ولا يزداد المجرمون الاّ طغياناً»[٦٣]. وقد خرج الاثنان فعلاً في بلدة دارا، التي تقع لحف جبل بين نصيبين وماردين[٦٤]، وذلك في صفر سنة (٧٦هـ/ ٦٩٥م). وابتدأوا اعمالهم الحربية بالاستيلاء على خيل لمحمد بن مروان في المنطقة، ساعدتهم على تكوين قوة من الفرسان، وظلوا بأرض دارا نحو ثلاث عشرة ليلة. وقد أدى قيامهم الى تحصن أهل دارا، وأهل نصيبين، وأهل سنجار منهم[٦٥].

وعلى الرغم من المبادئ المعلنة لهذه الحركة، كما تشير اليها مصادرنا، فإن عدداً قليلاً من الناس انضموا اليها، حيث تذكر رواية أبي مخنف عدداً متواضعاً يتراوح بين مئة وعشرة الى مئة وعشرين رجلاً، أغلبهم من بني شيبان خاصة، ومن ربيعة بصورة عامة[٦٦]. ولاشك أن الحركة اكتسبت أنصاراً آخرين أثر تجوالها في المنطقة. ويبدو أن هؤلاء استجابوا لها نتيجة لضيقهم بإجراءات الخلافة الأموية في بداية عهد عبدالملك بن مروان، ومحاولته اعادة تنظيم الجزيرة، ودمج الموصل معها، مما أفقدهم حريتهم في التحرك، وشعروا باليأس من استمرار الحكم الأموي، الذي لم يكن في رأيهم يتمتع بالشرعية. ويشير تحصن أهل دارا ونصيبين وسنجار من قوات هذه الحركة الى عدم انضمامهم لها، وهذا يعني أن بعض القبائل المحيطة بهذه المدن هي التي انضمت اليها فقط. كذلك الحال بالنسبة للموصل. حيث لاتشير المصادر المبكرة الى موقف اهلها من الحركة، على الرغم من أن بعض المناطق القريبة منها كانت مسرحاً لعملياتها[٦٧].

وبعد مقتل صالح بن مسرّح في قرية المدبج جنوبي الموصل اثر اصطدامه بجيش أموي ارسله والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، تولى شبيب بن يزيد الشيباني قيادة الحركة، فارتفع الى أرض الموصل. وظل يتجول في نواحيها قبل أن يتخلص منه الحجاج بن يوسف ايضاً[٦٨]. وتشير احدى الروايات المتأخرة الى انه «وقف على ارض الموصل وأقام يقاتله اهلها»[٦٩]. فإذا صحت هذه الرواية فهي دليل على معارضة أهل الموصل لهذه الحركة. ولو أن مواقف أهل المدينة ازاء الحركات الأخرى



اللاحقة لاتؤيد هذه الفرضية، حيث إنهم كانوا يهادنون مثل هذه الحركات، ويدفعون خطرها عن مدينتهم باللين والمفاوضة، بل حتى بإظهار الرضا وانضمام بعضهم اليها. مثال ذلك موقفهم من حركة بهلول بن بشر الشيباني المعروف بـ «كثارة» الذي خرج في قرية من قرى الموصل لاقتناعه بسوء الادارة وظلم الولاة وفسادهم، فتوجه الى العراق وهزم جيشاً أرسله اليه والي العراق خالد بن عبدالله القسري سنة (١١٩ هـ / ٧٣٧ م)، وحينما رجع الى منطقة الموصل والجزيرة انضم اليه قومٌ من اهل الموصل[٧٠]، فكتب عاملها الوليد بن تليد العبسي يستغيث بالخليفة هشام بن عبدالملك قائلاً: «أن خارجة خرجت فعاثت وأفسدت وأنه لايأمن على ناحيته ويسأله جنداً يقاتلهم به»[٧١]. ويبدو أن سبب خشيته ربما كانت لانضمام هؤلاء النفر من أهل الموصل والجزيرة الى حركة بهلول. وقد انتهت هذه الحركة نتيجة اصطدامها بقوات مشتركة من الشام والجزيرة والعراق، فقتل بهلول في السنة ذاتها، وتفرق أصحابه[٧٢].

كذلك يشير موقف أهل الموصل من حركة سعيد بن بجدل أو (بهدل) الشيباني الذي خرج في الجزيرة سنة (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م)، الى سياستهم المهادنة لهذه الحركات. فقد سار سعيد اليهم حتى نزل مرج الموصل، الواقع الى الشرق منها. وبعد أن انضم اليه «خارجي» آخر هو أبو كرب الحميري؛ أصبحت قوته نحو خمسمئة رجل، فجاء الى الموصل ودخلها، وأقام بها أياماً مع أتباعه. فسأله اهلها أن يرحل عنهم، واعطوه الرضا، فرحل عنهم وسار الى شهرزور[٧٣]، ثم توجه الى منطقة اخرى من العراق، ولكنه توفي بالطاعون سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٤ م) قبل أن يواجه القوات الأموية، واستخلف على أصحابه الضحاك بن قيس الشيباني[٧٤].

ويدل موقف أهل الموصل المشار اليه آنفاً على درجة نسبية من التعاطف مع الحركة، لكنه كان تعاطفاً مشوباً بالحذر، والخوف من نتائج الانغمار في موقف علني معادٍ للدولة. ولكن بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبدالملك اضطربت امور الموصل والجزيرة، والشام، والعراق. وقد استغل الضحاك بن قيس الشيباني، الذي خَلَفَ سعيد ابن بجدل، هذه الظروف وانشغال مروان بن محمد بالصراع على السلطة في الشام[٧٥]، فابتدأ حركته في شهرزور حيث اجتمع معه نحو ألف مقاتل، ثم توجه الى أرض الموصل فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة نحو ثلاثة آلاف رجل. وهكذا أصبحت قوته تضم نحو أربعة آلاف مقاتل، وهو عدد لم يجتمع مثله «لخارجي» قط، حسب رواية أبي عبيدة المعمر بن المثنى[٧٦]. ولكن الضحاك خشي من أنه سيكون فريسة سهلة لمروان بن محمد في الجزيرة، لاسيما وان الأخير قد سوى خلافاته مع الخليفة الجديد يزيد ابن الوليد بن عبدالملك، واعلن بيعته له، مقابل ولايته على الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان[٧٧]، لهذا قرر الضحاك التوجه الى مهاجمة العراق واقتحام الكوفة.

كان الصراع في العراق على أشده بين عبدالله ابن عمر بن عبدالعزيز، الوالي السابق، والنضر بن سعيد الحرشي، الذي عُين بدله من قِبل مروان بن محمد بعد توليه الخلافة عام (١٢٧ هـ / ٧٤٤ م). وقد أستغل الضحاك هذا الخلاف، فسيطر على الكوفة وجبى السواد[٧٨]. وبعد انضمام عبدالله بن عمر اليه، أصبح العراق كله في قبضته، فأقر ابن عمر والياً على العراق[٧٩]، كما استولى على بيت المال، فأصبح لديه مايكفي لتمويل جيشه واعطاء اتباعه الأعطيات المجزية التي بلغت مئة وعشرين درهماً للفارس، وثمانين الى مئة درهم للراجل في الشهر. كما تضخم جيشه حتى أصبح يقارب مئة



وعشرين الف مقاتل[٨٠] . وبهذه الميزة الكبيرة أصبح بمقدور الضحاك ان يتقدم الى الشمال مرة اخرى دون ان يخشى قوة الخليفة مروان بن محمد[٨١] .

وهناك عامل آخر شجع الضحاك على التوجه الى الشمال ، وهو وصول دعوة صريحة من أهل الموصل للقدوم اليها ، مع وعد أهلها بتسليمه المدينة وتمكينه منها . وقد سار الضحاك الى الموصل بعد أن تركها لمدة عشرين شهراً ، واستطاع أن يتغلب على عاملها لمروان بن محمد ، القطران بن اكمه الشيباني ، الذي قُتل هو وجماعة من قومه في اثناء الدفاع عن المدينة[٨٢] . وكان موقف اهل المدينة صريحاً هذه المرة ، حيث سهلوا للضحاك أمر فتح المدينة والاستيلاء على أعمالها ، مما أقلق الخليفة مروان بن محمد ، وجعله يطلب من ابنه عبدالله التوجه الى نصيبين والمرابطة فيها لمنع الضحاك من توسط الجزيرة[٨٣] .

وقد استمرت الموصل في تأييدها لهذه الحركة ، حتى بعد مقتل الضحاك بالقرب من قرية كفرتوثا ، التي تقع بين دارا ورأس العين ، على أثر التقائه بجيش مروان بن محمد سنة (١٢٨ هـ / ٧٤٥ م)[٨٤] . وقدّمت دعماً لخلفائه لاسيما شيبان ابن عبدالعزيز اليشكري ، حيث أصبحت المدينة ظهراً وملجأً لتموينهم بعد انسحابهم اليها . وكان سليمان بن الخليفة هشام بن عبدالملك ، الذي انضم الى هذه الحركة قد نصحهم بالانصراف الى مدينة الموصل والبقاء في الجانب الشرقي منها في قرية الكار الأسفل المقابلة للمدينة[٨٥] ، وعقد الجسور مع جانبها الغربي للحصول على الأرزاق . وقد تبع الخليفة مروان معسكر شيبان وحلفائه ، وخندق ايضاً شرقي دجلة بالكار الأعلى ، وقاتلهم عدة أشهر ، لكنه لم يستطع التغلب عليهم[٨٦] ، لأنهم كانوا يتلقون دعماً مستمراً من أهل المدينة ، الذين قاتلوا معهم ايضاً ، مما حمل مروان على توعد أهل الموصل وتهديدهم بقتل مقاتلتهم وسبي ذريتهم ان ظفر بهم[٨٧] .

ولم يستطع الخليفة مروان بن محمد التخلص من خطر هذه الحركة الاّ بعد أن استنجد بعامله على واسط ، يزيد بن عمر بن هبيرة ليمده بقوات اضافية بقيادة عامر بن ضبارة المري . فلما جاءت هذه الامدادات أصبح موقف شيبان وأصحابه حرجاً لوقوعهم بين جيشين ؛ الأول لمروان بن محمد من جهة الشام ، والثاني لعامر بن ضبارة من الجنوب . وقُطعت عنهم الأمدادات والأرزاق ، وغلت الأسعار في مدينة الموصل ، وفقدت المواد الغذائية ، لاسيما الخبز ، مما اضطرهم الى الارتحال ليلاً الى شهرزور ، ثم الى حلوان ، والأحواز ، وفارس ، وعمان ، حيث قتل شيبان هناك[٨٨] .

أما أهل الموصل ، فقد خشوا من انتقام مروان ابن محمد ، فقطعوا الجسر لئلا يعبر اليهم ويدخل المدينة ، فرحل مروان ، وأتى موضعاً من نهر دجلة جنوب الموصل ، فعبر منه الى الجانب الغربي وأحاط بالمدينة مفاجئاً أهلها ، لكنه أمنهم قائلاً : «مدينة بناها أبي ماكنت لأوذي أهلها . . . »[٨٩] . فاطمأنوا وفتحوا له أبواب المدينة ، فدخلها مع أصحابه . وقد وفى الخليفة مروان بوعده لأهل المدينة فلم يمسها بسوء وعفا عنهم ، وأمضى فيها فترة قصيرة للاستجام من حربه الطويلة مع شيبان وأنصاره ، فاستحم في احدى حماماتها ، وتناول الغداء عند احد كبار رجالها ، وهو جد أُبان بن سفيان المحدث التغلبي . ثم استخلف على المدينة هشام بن عمرو الزهيري للصلاة والحرب ، وبشر بن خزيمة الأزدي للخراج ، ورحل الى حران التي اتخذها مقراً لإقامته في الجزيرة[٩٠] .

ان تصرف الخليفة مروان بن محمد المتزن مع اهل الموصل بعد انتهاء هذه الحركة على الرغم من توعده السابق لهم يدل على اقتناعه بأنهم قد دفعوا الى مناصرة الضحاك ، ثم شيبان وجماعته للوقوف



ضد سلطة الدولة. وان الاحداث التي مرت بالمنطقة كلها نتيجة الفوضى التي أعقبت مقتل الخليفة الوليد بن يزيد، والنزاع على السلطة، قد شجعت القبائل المحيطة بالمدينة على اعلان العصيان، رغبة في الحصول على مكاسب نتيجة الأوضاع المضطربة. وهنا يبرز سؤال جدير بالاهتمام: ماذا يمكن أن يكسب أهل الموصل من تشجيعهم لحركة «خارجية» مضادة للدولة؟

ويحسن قبل الشروع في الجواب استبعاد موضوع العصبية، وتفسير موقف أهل الموصل على انه كان انتصاراً لربيعة وبني شيبان خاصة. لأن هذه الفكرة تتناقض مع موقف والي المدينة القطران ابن اكمه الشيباني وقومه الذين تصدوا للضحاك بن قيس وقاوموه حتى قتلوا دفاعاً عن المدينة. فإذا كانت المسألة «عصبية» كان الأجدر بالقطران الشيباني أن ينضم الى حركة الضحاك لا أن يقف بوجهها.

والواقع ان اتساع حركة الضحاك، وشمولها لمنطقة جغرافية واسعة شملت الجزيرة والعراق، وانضمام عناصر متعددة اليها، يجعل من الصعب تحديد عامل معين لانضمام هذه الفئات اليها، لاسيما وأن هذه الحركة ابتدعت بدعة جديدة[٩١]، ذلك انها أخذت تقبل كل من ينضم اليها ويعينها على تحقيق اغراضها الكبيرة في الاستحواذ على السلطة والقضاء على قوة الأمويين. وقد سبقت الاشارة الى انضمام شخصيات كبيرة مشهورة من الولاة، والقادة، وافراد من البيت الأموي. مثال ذلك عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، ومنصور بن جمهور الكلبي، وسليمان بن هشام بن عبدالملك، الذي تزوج من اخت شيبان. يضاف الى هؤلاء جميعاً مجموعات كبيرة ممن أطلقت عليهم المصادر اسم أهل الطمع أو أصحاب الطمع[٩٢]. ولكل من هؤلاء بطبيعة الحال دوافعه الخاصة المختلفة عن دوافع غيره، فمنصور بن جمهور، وعبدالله بن عمر كانا يطمحان بمكاسب ذاتية تتلخص في تولي الولايات والأعمال الكبيرة ضمن الحركة الجديدة بعد نجاحها. اما سليمان بن هشام فكان يطمع بمنصب الخلافة، ويأمل في الحصول عليه بوساطة هذه الحركة بعد انتصارها على الخليفة مروان بن محمد. ويحتمل ايضاً أن مصلحة بعضهم الآخر «المادية» هي التي دفعته للانضمام الى الحركة، مثال ذلك القاسم بن حبيب العبدي، الذي أصبح مسؤولاً عن بيت مال شيبان، لكنه سرعان ماتخلى عنه بعد وعد بالامان من الخليفة مروان، فجاءه بالأموال التي وهبها له الخليفة مكافأة على تخليه عن الحركة[٩٣].

ومن المحتمل ان كبار أهل الموصل الذين راسلوا الضحاك ودعوه الى القدوم الى المدينة كانوا يأملون في استغلال الظروف العامة التي شغلت المنطقة بأسرها، لتثبيت مركز المدينة ووجودها، لتصبح قاعدة الجزيرة والمتحكمة في شؤونها. ولعل هذا الموقف بالذات هو الذي دعا أهل الموصل مرة اخرى للوقوف أمام الخليفة مروان بن محمد، ورفضهم لدخوله المدينة بعد هزيمته في معركة الزاب مع العباسيين[٩٤]، أملاً منهم في تغيير الأوضاع، والتخلص من الآثار السياسية والاقتصادية السيئة التي تركتها حروبه السابقة في المنطقة[٩٥]. ومن الواضح أن أمل أهل الموصل خاب في العهد الجديد، لاسيما بعد أن تولى أمر مدينتهم أول والٍ للعباسيين، محمد بن صول، مولى خثعم، الذي لم يكن عربياً، فرفضوه، حتى تطور الأمر الى انتفاضة عارمة قتل نتيجتها عدة آلاف من اهل المدينة[٩٦]. وهو مالم تتعرض له الموصل طيلة العهد الأموي، خاصة في عهد الخليفة مروان بن محمد، على الرغم من مواقفها المعادية المتكررة ازاءه.

الهوامش :

(١) انظر: آثر كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة، يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٧، ص١٢٦.
(٢) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق، رضوان محمد رضوان، مصر: مطبعة السعادة، ١٩٥٩، ص٣٢٧؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق، محمد حسين الزبيدي، بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، ص٣٨٢.
(٣) احمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، بدون تاريخ: ٢/ ١٥٤؛ وانظر: علي بن احمد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢، ص٣٦٧.
(٤) علي بن ابي الكرم (ابن الأثير)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، طهران: المكتبة الاسلامية، دون تاريخ: ٣/ ٤٠١.
(٥) انظر: محمد بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، احسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥، ص١٦٤.
(٦) ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس الأزدي، تاريخ الموصل، تحقيق، علي حبيبة، القاهرة: لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٦٧: ٢/ ٧٦، ١٠٧.
(٧) المصدر نفسه: ٢/ ٥٦.
(٨) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق، جويتين، القدس: مطبعة الجامعة، ١٩٦٣. اعادت نشره مكتبة المثنى ببغداد: ٥/ ٢٩٥ – ٢٩٦.
(٩) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ١٥٦.
(١٠) المصدر نفسه: ٢/ ٣٢ – ٣٣.
(١١) ابو عمر خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق، اكرم ضياء العمري، النجف: مطبعة الآداب، ١٩٦٧: ١/ ١٩٧؛ اليعقوبي، تاريخ: ٢/ ٢٣١؛ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، نشر، دي غوية، ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ – ١٩٠٣: ٢/ ١٢٨؛ علي بن ابي الكرم (ابن الأثير)، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، ١٩٧٩: ٣/ ٤٧٧.
(١٢) الطبري: ٢/ ٦٣٥؛ وانظر: ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق، عبدالمنعم عامر، القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٠، ص ٢٩٢؛ البلاذري، انساب الاشراف: ٥/ ٢٢٩.
(١٣) المصدر نفسه: ٥/ ٢٣٠ – ٢٣١؛ اليعقوبي، تاريخ: ٢/ ٢٥٩.
(١٤) الطبري: ٢/ ٧١٦.
(١٥) البلاذري: أنساب الاشراف: ٥/ ٢٥١؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٦ – ٢٩٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/ ٢٦٥.
(١٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٦ – ٢٩٧.
(١٧) الطبري: ٢/٧٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/٢٧٥.
(١٨) البلاذري، انساب الأشراف: ٥/ ٢٧٤.
(١٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/ ٢٨٦.
(٢٠) الطبري: ٢/ ٨٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/ ٣٢٤.
(٢١) الطبري: ٢/ ٥٩٢.
(٢٢) البلاذري، انساب الأشراف: ٥/ ١٨٦؛ الطبري: ٢/ ١٨٧٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥/ ٧٠، ٣١٠.
(٢٣) المصدر نفسه: ٤/ ٥٥٥.
(٢٤) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٢٥.
(٢٥) اليعقوبي، تاريخ: ٢/ ٢٧٢.
(٢٦) فتوح البلدان، ص٣٢٨؛ وانظر: قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٣٨٢.
(٢٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٤؛ الطبري: ٢/ ١١٧٤؛ ابو القاسم علي بن الحسن بن هبةالله بن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، بإعتناء الشيخ عبدالقادر افندي بدران، ط ٢، بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٩: ٦/ ١٥٥.
(٢٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨٣ – ١٨٤؛ وانظر ايضاً: ابو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري، نسب قريش، تحقيق، ليفي بروفنسال، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١، ص ١٦٥؛ ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٩٧٧: ٥/ ٣٢١.
(٢٩) انظر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير: ٦/ ١٥٣ – ١٥٤؛ سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٢: ١/ ٤٠.
(٣٠) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، تحقيق، محمود الباجي، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤، ص٤٣؛ انظر ايضاً: الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٣. وسيتم تفصيل هذا الأمر في بحث الحالة الاقتصادية.
(٣١) ابو نعيم احمد بن عبدالله الاصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة: مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، ١٩٣٥: ٥/ ٢٧١.
(٣٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٣؛ وانظر: محمد بن خلف بن حيان (وكيع)، اخبار القضاة، تحقيق، عبدالعزيز مصطفى المراغي، القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٤٧: ١/ ٢٦٤.
(٣٣) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ١٦، ١٨.
(٣٤) المصدر نفسه: ٢/ ٢٤، ١٥٨، ١٧٢.
(٣٥) ابو عمر محمد بن يوسف الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، بإعتناء، رفن كست، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨، ص٧٤.
(٣٦) تاريخ الموصل: ٢/ ٢٤.
(٣٧) الولاة والقضاة، ص٧٤.
(٣٨) انظر على سبيل المثال: الديوه جي، تاريخ الموصل: ١/ ٤٢؛ محمد عبدالحي شعبان، التاريخ الاسلامي تفسير جديد/ صدر الاسلام والدولة الأموية، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣، ص ١٦٥؛ عبدالماجود احمد السلمان،



الموصل في العهدين الراشدي والأموي، الموصل: منشورات مكتبة بسام، ١٩٨٥، ص١٦٧؛ أ. زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي، فقد ثبت ابتداء ولاية الحر للموصل على انها سنة ١٠٨هـ، انظر، ص٥٥- ٥٦.

(٣٩) شعبان، التاريخ الاسلامي، ص١٦٥- ١٦٦.

(٤٠) خلف يحيي بن الحر، وَلاّهُ على أهله وماله وولايته لحين تعيين الوالي الرسمي من قبل الخليفة: الوليد بن تليد العبسي، انظر: الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٣٣.

(٤١) المصدر نفسه: ٢/ ٢٩- ٣٣، ٣٥- ٣٦ فما بعدها.

(٤٢) المصدر نفسه: ٢/ ٥٦؛ وانظر: الطبري: ٢/ ١٨٧٢؛ وقارن: سعدي ابو حبيب، مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، بيروت: دار لسان العرب، دون تاريخ، ص١٨.

(٤٣) انظر تفصيل هذه الانجازات في مبحث النواحي الحضارية.

(٤٤) الطبري: ٢/ ١٨٩٠- ١٨٩١.

(٤٥) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٦٨.

(٤٦) المصدر والمكان نفسيهما.

(٤٧) المصدر نفسه: ٢/ ٧٦، ١٠٧.

(٤٨) احمد بن يحيي بن جابر البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق، محمد باقر المحمودي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م: ٢/ ٤٧١؛ ابو محمد احمد بن أعثم الكوفي، الفتوح، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: ١/ ٥٠٠.

(٤٩) البلاذري، انساب الاشراف: ٢/ ٤٧١، ٤٧٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ١/ ٥٠٠.

(٥٠) ابن خياط، تاريخ: ١/ ١٩٧؛ اليعقوبي، تاريخ: ٢/ ٢٣٠- ٢٣١؛ الطبري: ٢/ ١٢٧- ١٢٨، ١٤٢؛ ابو الفضل احمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، ط١ القاهرة، ١٣٢٨هـ: ٢/ ٥٣٣.

(٥١) انظر: الطبري: ٢/ ١٦٨٥؛ الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٤٤؛ ويبدوان يوليوس فلهاوزن قد استند الى هذه الرواية حينما ذكر ان زيد بن علي جنّد أتباعاً له في الكوفة والبصرة والموصل، والواقع ان اتباعه كانوا من الكوفة فقط. انظر: تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ترجمة، يوسف العش، دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٦، ص٢٧٠.

(٥٢) انظر على سبيل المثال: البلاذري، انساب الأشراف: ٥/ ٢٢٩- ٢٣١؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٢؛ الطبري: ٢/ ٦٣٥؛ ابن اعثم، الفتوح: ٣/ ٢٨٣- ٢٨٤، ٣٠٨، ٣٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ١٤٤، ٢٢٧، ٢٦٥.

(٥٣) انظر: ابو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٦٤- ١٩٦٥، ١/ ١٦؛ ابو عمر احمد بن محمد بن عبدربه، العقد الفريد، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٢: ٦/ ٢٤٨؛ مجهول، أخبار الدولة العباسية- وفيه اخبار العباس وولده، تحقيق، عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار المطلبي، بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١، ص٢٠٦.

(٥٤) الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق، محمد بن علي الأكوع، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩، ص٢٤٦- ٢٤٧؛ ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦٧: ٣/ ١٠٨.

(٥٥) انظر: علي بن اسماعيل الاشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق، محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، ١٩٥٠- ١٩٥٤: ١/ ١٨٢؛ المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ١٠٨؛ الطبري: ٢/ ٨٨٠، ١٩٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/ ٣٩١، ٥/ ٣٣٥.

(٥٦) عبدالقادر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق، محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: مطبعة المدني، دون تاريخ، ص٩٠- ٩١؛ ابو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ليبزك، ١٩٢٣: ١/ ١٠٢.

(٥٧) الكامل في الأدب، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٦: ٣/ ٢٧٥.

(٥٨) انظر: شعبان، التاريخ الاسلامي، ص٨٧، ١٠٨.

(٥٩) قارن: فاروق عمر، العباسيون الأوائل، بيروت: دار الارشاد، ١٩٧٠: ١/ ٢٥٠- ٢٥١؛ محمد جاسم حمادي، الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والاداري، بغداد: دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٧، ص٤٥٨.

(٦٠) الطبري: ٢/ ٨٨١.

(٦١) المصدر نفسه: ٢/ ٨٨١ (برواية هشام الكلبي عن ابي مخنف).

(٦٢) المصدر نفسه: ٢/ ٨٨٤ (برواية أبي مخنف).

(٦٣) البلاذري، انساب الأشراف، نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد تحت رقم (١٦٣٤- ١٦٤٤) عن النسخة الأصلية في معهد المخطوطات العربية في الرباط رقم (٦٨)، ج٦، الورقة ٣٩ب؛ الطبري: ٢/ ٨٨٥ (برواية أبي مخنف).

(٦٤) ياقوت، معجم البلدان: ٢/ ٤١٨.

(٦٥) الطبري: ٢/ ٨٨٥، ٨٨٧ (برواية أبي مخنف).

(٦٦) المصدر نفسه: ٢/ ٨٨٧.

(٦٧) المصدر نفسه: ٢/ ٨٩٠، ٨٩٣، ٩٣١.

(٦٨) للاطلاع على حركة شبيب وتفاصيل معاركه مع الحجاج بن يوسف، انظر: المصدر نفسه: ٢/ ٨٩٦، ٨٩٩، ٩٠٢، ٩٠٧، ٩١١، ٩٤١؛ انظر ايضاً: ابو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٦٠، ص٤١٠.

(٦٩) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر،



طبعة بولاق : ١٢٨٤ هـ ، اعادت نشره مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م : ٣/ ١٥٥ . وقارن : السلمان ، تاريخ الموصل في العهدين الراشدي والأموي ، ص١٨٢ .

(٧٠) مجهول المؤلف ، العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، مطبعة بريل ، ١٨٦٩ . وقد اعادت نشره مكتبة المثنى ببغداد : ٣/ ١١٠ .

(٧١) الطبري : ٢/ ١٦٢٣ - ١٦٢٦ .

(٧٢) المصدر نفسه : ٢/ ١٦٢٦ - ١٦٢٧ .

(٧٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة : ١/ ٣٩٠ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٦٠ . وشهرزور كما يصفها ياقوت عبارة عن كورة واسعة في الجبال تمتد بين أربل وهمذان ، ينظر: معجم البلدان : ٣/ ٣٧٥ .

(٧٤) الطبري : ٢/ ١٨٩٧ - ١٨٩٨ .

(٧٥) المصدر نفسه : ٢/ ١٨٧٠ ؛ وانظر: فاروق عمر، الخليفة المقاتل مروان بن محمد ، بغداد : دار واسط ، ١٩٨٥ ، ص٤٢ .

(٧٦) الطبري : ٢/ ١٩٠٠ .

(٧٧) المصدر نفسه : ٢/ ١٨٧٣ ؛ وانظر: ابن خياط ، تاريخ خليفة : ٢/ ٣٩٦ .

(٧٨) الطبري : ٢/ ١٨٩٩ .

(٧٩) المصدر نفسه : ٢/ ١٩١٤ .

(٨٠) المصدر نفسه : ٢/ ١٩٣٩ ؛ وانظر: الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٦٩ .

(٨١) قارن : عمر، الخليفة المقاتل مروان بن محمد ، ص٦٩ .

(٨٢) انظر: ابن خياط ، تاريخ خليفة : ٢/ ٣٩٨ - ٣٩٩ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٦٩ ؛ الطبري : ٢/ ١٩٣٨ - ١٩٣٩ .

(٨٣) المصدر نفسه : ٢/ ١٩٣٩ .

(٨٤) المصدر نفسه : ٢/ ١٩٤٠ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٧١ .

(٨٥) ياقوت ، معجم البلدان : ٤/ ٤٢٨ .

(٨٦) الطبري : ٢/ ١٩٤٣ - ١٩٤٤ .

(٨٧) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٧٤ ؛ وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ٥/ ٣٥٣ .

(٨٨) الطبري : ٢/ ١٩٤٥ - ١٩٤٩ ؛ وانظر: ابن خياط ، تاريخ خليفة : ٢/ ٤٠١ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٧٤ - ٧٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ٥/ ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٨٩) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٧٥ .

(٩٠) المصدر نفسه : ٢/ ٧٥ ، ٧٦ .

(٩١) قارن : عمر، العباسيون الأوائل : ١/ ٢٤٦ .

(٩٢) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٧٣ ؛ الطبري : ٢/ ١٩٤٤ .

(٩٣) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٧٥ .

(٩٤) المصدر نفسه : ٢/ ١٣٣ ؛ الطبري : ٣/ ٤٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ٥/ ٤٢٤ .

(٩٥) قارن : فاروق عمر فوزي ، بحوث في التاريخ العباسي ، بيروت : دار القلم للطباعة ، ١٩٧٧ ، ص١٥٠ - ١٥١ ؛ حمادي ، الجزيرة الفراتية والموصل ، ص٣٠٦ - ٣٠٧ ، ٧٥٤ ؛ السلمان ، الموصل في العهدين الراشدي والأموي ، ص٢٢٠ .

(٩٦) اليعقوبي ، تاريخ : ٢/ ٣٥٧ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١٤٦ - ١٥٤ .

المظاهر الحضارية في الموصل خلال العهد الأموي

أ . د . عبدالواحد ذنون طه

تميزت منطقة الموصل منذ أقدم العصور بخصائص حضارية متطورة ، وقد بدأت هذه الخصائص بشكل واضح في العصور الاسلامية ، حيث شهدت المدينة ومنطقتها أوضاعاً اقتصادية وإجتماعية وثقافية متميزة ، فضلاً عن تخطيط المدينة ، والفنون المعمارية التي تحلت بها منشآتها المختلفة . وفي هذا المبحث اشارة الى أهم المظاهر في العهد الأموي .

الوضع الاقتصادي :

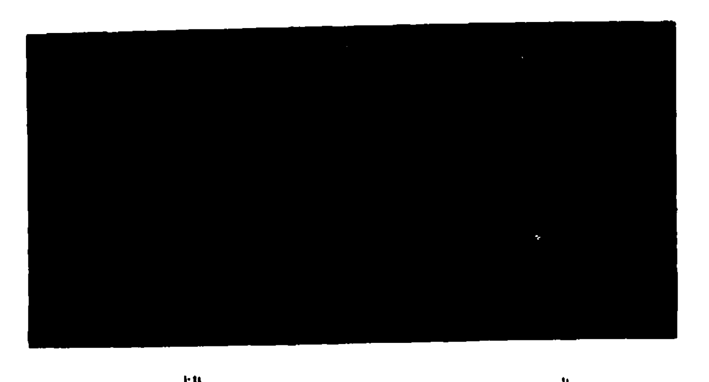
تجابه الباحث في الوضع الاقتصادي للموصل في العصر الأموي مشكلة أساسية ، وهي ان معظم



من تحدثوا عن هذا الجانب من المؤرخين والجغرافيين الأولين عاشوا في حقب متأخرة عن العصر الأموي، لاسيما في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. لهذا فهم في وصفهم للحياة الاقتصادية، والمنتجات الزراعية انما يشيرون بنحو خاص الى عصرهم. فيذكر ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٩م)، على سبيل المثال إن المدينة لم يكن بها شجر كثير ولا بساتين قبل مجيء الحمدانيين، الذين غرسوا الشجر، والكروم والفواكه[١]. وقد قدم هذا الجغرافي الرحالة معلومات جيدة جداً عن الموصل والجزيرة الفراتية المحيطة بها في عهده، ومع هذا فإنه يمكن للمرء أن يستشف من خلال ماكتبه ابن حوقل وغيره من الجغرافيين والكتّاب الآخرين بعض الحقائق التي لايمكن ان تتغير على مر العصور، لاسيما ماتعلق بموقع المدينة، وطبيعة المنطقة المحيطة بها.

البعيدة عن مجاري الأنهار[٢]. وكانت أهم آلات الري المستخدمة في الموصل هي، الدولاب، والدالية، والناعورة. وقد أقام الأمويون طواحين الحبوب على النهر في الموصل، وكان عددها يبلغ نحو ثماني عشرة رحىً[٣]. وهي مايُعرف بالعروب. ولم يبقَ من هذه الأرحاء حينما زار ابن حوقل الموصل سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م سوى ست أو سبع[٤].

وكانت الأراضي المحيطة بأغلب مدن الجزيرة الفراتية خصبة صالحة للزراعة، لاسيما المناطق المحيطة بمدينة الموصل بالذات، حيث كانت تضم كوراً كثيرة غزيرة الانتاج. ومن أهم هذه المنتجات، الحنطة والشعير فقد كانت نسبة انتاجها عالية جداً في منطقة الموصل[٥]. كذلك اشتهرت هذه المنطقة بإنتاج الحاصلات الزراعية الاخرى، كالزيتون في باعشيقا، والكروم في ملعثايا وباصفرا شرقي الموصل، وفي قرية السلامية[٦]. وقد زرع



الوجه — الظهر

درهم أموي ضرب في الموصل سنة ٨٢هـ

فمن الواضح ان المدينة قد تمتعت منذ القدم بوضع اقتصادي جيد، وذلك لوقوعها في منطقة غنية في انتاجها الزراعي والحيواني، ومواردها الطبيعية. حيث كان لها أقاليم ومدن كثيرة مضافة اليها، تعتمد على نهري دجلة والفرات وفروعها، وعلى مياه الأمطار أيضاً، لاسيما بالنسبة للأماكن

النخيل في بعض هذه القرى ايضاً، لاسيما باعشيقا والسلامية، كما غرس في مدينة الموصل ذاتها في العصر الأموي، في ارض اشتراها هشام بن عبدالملك من بني بُرَيْضَة الأزديين[٧]. وفضلا عن هذه المنتجات زرعت في منطقة الموصل فواكه اخرى متنوعة، مثل النارنج، والكمثرى،



والسفرجل، والرمان، والتوت، والبلوط، والجوز، واللوز، والبندق، وغيرها من الأثمار اليابسة والرطبة، التي أسهب الجغرافيون في ذكرها، وتعداد أماكن انتشارها[٨].

وقد قامت زراعة بعض المحاصيل من أجل اغراض صناعية، مثل قصب السكر، والسمسم، والقطن الذي يُعد من أقدم وأشهر المزروعات في الموصل، لاسيما في قرى نينوى والمرج وحزة وقردى وعرابان[٩]. كما استخدم زيت الزيتون لصناعة الصابون[١٠]. واشتهر سكان المناطق المحيطة بالموصل الذين ينتمون الى أصل نصراني آرامي بصنع الأنبذة والخمور من الكروم، حيث ظلت هذه الصناعة رائجة في كثير من القرى، ويدل على ذلك انتشار زراعة الكروم على نطاق واسع، وقد جبيت من هذه الأماكن ضرائب «اللطف»، وهي الضرائب المفروضة على الخمور[١١].

وساعدت طبيعة منطقة الموصل الجغرافية التي تتميز بكثرة السهول والهضاب والبراري والوديان الغزيرة الأمطار، على تربية الأغنام والمواشي للاستفادة من منتجاتها. واشتهرت الموصل بتربية الغنم والبقر، وكانت قبائل ربيعة المنتشرة في نواحيها أهل خيل وغنم وإبل، لاسيما تغلب الذين جمعوا بين الزراعة وتربية المواشي[١٢]. وكانت تربية النحل شائعة ايضاً في منطقة الموصل، حيث كان العسل أحد المواد التي فرضها المسلمون على اهل الجزيرة في اثناء فتحها في عهد الخلفاء الراشدين[١٣].

وكانت الثروة المعدنية وفيرة ايضاً، حيث يشير ابن حوقل الى اشتهار براري الجزيرة ومفاوزها بالملح والأشنان والقلي[١٤]، الذي هو نوع من المعدن الصلب يستخدم بعد سحقه لدبغ الجلود. ويتوافر الحديد في جبل الهكارية شرقي الموصل، حيث كان له دور كبير في صناعة الأسلحة وفي العمران[١٥].
وكان القير يستخرج من عين القيارة، الى الجنوب من الموصل[١٦]. كما اشتهرت ترجلة من أعمال الموصل بوجود عين ماء كبريتية[١٧]. فضلاً عن عيون اخرى ظهرت الى الشمال من مدينة الموصل بالقرب من دير الأعلى[١٨].

وتتوافر في منطقة الجزيرة الفراتية المحيطة بالموصل معادن كثيرة جداً، منها ماهو ذو خاصية مغناطيسية[١٩]، ومنها صخور ثمينة تستخدم لصنع الأرحاء، وقد قدّر ابن حوقل قيمة القطعة الواحدة منها بخمسين ديناراً[٢٠]. ومن المعادن المهمة الأخرى، جوهر الزجاج، أو حجر الزجاج في جبل ماردين الذي كان يصدر الى مدن الجزيرة، والعراق، والدولة البيزنطية[٢١].

وساعد موقع الموصل الجغرافي الذي يصل بين أقاليم مختلفة من العالم القديم على ازدهار التجارة فيها منذ العصور السالفة، واستمر هذا الوضع الى العصر الأموي، والعصور التالية ايضاً. فقد وصفها ياقوت بأنها باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد الى أذربيجان[٢٢]. وكانت الجزيرة والموصل تشكل مع العراق جسراً يوصل بين طرق المواصلات البحرية في جنوب آسيا، وجنوب أوربا، وذلك بحكم موقعها المتوسط، بين الخليج العربي والبحر المتوسط[٢٣]. وقد هيأ لها هذا الموقع الاستفادة من طرق المواصلات العالمية، ومرور القوافل التجارية بها، وينتج عن ذلك تحقيق ارباح الخدمات والمرور، بالاضافة الى اسهام المدينة ذاتها في هذه التجارة العالمية بتصدير المواد الفائضة عن حاجتها.

وكان لثروة الجزيرة الفراتية بعامة من حيث الزراعة والمعادن والمنتجات الصناعية اثرٌ بارزٌ على تطور التجارة في مدنها وأقاليمها المختلفة، ومنها مدينة الموصل التي كانت ترتبط بطرق تجارية فرعية مع هذه الأقاليم، فضلاً عن الطريق الرئيس المعروف للتجارة منذ القدم. كما هيأ وجود نهر دجلة طرقاً



اضافية لاستعمالها في النقل المائي للربط بين الموصل ومدن الجزيرة ، والمدن العراقية الاخرى ، مما شجع على تنوع النشاط التجاري فيها[٢٤] . فكانت تجارة أرمينية وأذربيجان وآمد ، وارزن ، والثغور الجزرية ، ونصيبين ، والجزيرة ، تمر كلها من الموصل عبر نهر دجلة الى بلد ، ومنها الى وسط العراق حيث موقع بغداد قبل انشائها . وقد أُحيط الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بهذه الحقيقة ، مما شجعه على اختيار موقع مدينة بغداد لاتخاذها عاصمة للدولة العباسية سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م[٢٥] .

وكانت أهم السلع التي تصدرها الموصل ، تشمل الستور، وبعض الصناعات الجلدية ، والثياب الحريرية ، والملح ، وأحجار الطواحين السوداء[٢٦] . كما كانت الموصل تقوم بمهمة تصدير كثير من المواد التي تنتج في الجزيرة ، مثل الحبوب ، والعسل ، والفحم ، والشحوم ، والجبن ، والمن ، والسماق ، وحب الرمان ، والقير ، والحديد ، والأسطال ، والسكاكين ، والنشاب ، والأسماك المجففة ، والسلاسل[٢٧] . ويتبين من هذا ان الموصل كانت مركزاً تجارياً كبيراً على نطاق التجارة الخارجية والداخلية ايضاً . فتشير المصادر الى عدد كبير من الأسواق المحلية في هذه المدينة ، التي سنتحدث عنها في اثناء الكلام عن خطط المدينة ، وهي أسواق عامرة بالحركة والبيع والشراء ، مما يدل على ازدهار اقتصادها ، وازدياد كثافة سكانها التي استدعت وجود مثل هذه الأسواق الكثيرة[٢٨] .

وقد حصل في العصر الأموي تطور مهم بالنسبة للواردات التي تؤخذ من أهل الجزيرة بخاصة ، ومن ضمنها الموصل . فقد سار الأمويون أول الأمر على نفس الأسس التي كانت معروفة في العصر الراشدي ، من حيث فرض مقادير الجزية والخراج[٢٩] . ولكن الخليفة عبدالملك بن مروان باشر عملية اصلاح جذري في الضرائب التي تأخذها الدولة . فأرسل الضحاك بن عبدالرحمن الأشعري ، الذي أحصى أهل الذمة في الموصل والجزيرة ، واعتبرهم جميعاً عمالاً يعملون بأيديهم ، ثم قام بتخمين صافي مجموع واردات العامل منهم ، بعد طرح النفقات ، فوجد أن الصافي يكون نحو أربعة دنانير ، فألزمهم بهذا المبلغ ، وجعلهم طبقة واحدة[٣٠] . أما بالنسبة الى الخراج فقد أدخل عبدالملك في الاعتبار قرب الانتاج الزراعي ، أو بعده عن الأسواق « فجعل على كل مائة جريب زرع مما قرب ديناراً ، وعلى كل ألف أصل كرم مما قرب ديناراً ، وعلى كل ألفي أصل مما بعد ديناراً ، وعلى الزيتون على كل مائة شجرة مما قرب ديناراً ، وعلى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً ، وكانت غاية البعد عنده مسيرة اليوم واليومين وأكثر من ذلك ، وما دون اليوم فهو في القرب ، وحملت الشام على مثل ذلك وحملت الموصل على مثل ذلك »[٣١] . وقد أرجع الخليفة عمر بن عبدالعزيز الجزية الى ما كانت عليه سابقاً في عهد الراشدين ، فكتب الى عامله على الموصل يحيى بن يحيى الغساني بذلك ، وأن يأخذ من الغني ثمانية وأربعين درهماً ، ومن الوسط أربعة وعشرين ، ومن الفقير اثني عشر درهماً في السنة[٣٢] .

ولا تتوافر لدينا قوائم عن مقدار واردات الموصل وأعمالها خلال العصر الأموي ، ولكن مايذكره الجغرافيون والمؤرخون العرب عن مقادير الخراج وواردات الموصل وأعمالها في عهود لاحقة[٣٣] يبين مدى ازدهار الوضع الاقتصادي فيها ، وما كانت تشكله عائداتها من مورد مهم للانفاق العام . وكانت هذه الواردات ، فضلاً عن الضرائب الأخرى التي تفرض على التجارة ، والمعادن ، والزكاة المفروضة على المسلمين ، والصدقات ، تصرف في أوجه مختلفة في المنطقة ، كأرزاق العمال ، ورواتب الموظفين ، والمنافع العامة ، وما



يتبقى يرسل الى بيت المال في دمشق.

وقد قام الولاة الأمويون في الموصل بمشاريع عامة كبيرة أنفقوا عليها من هذه الواردات. فعلى سبيل المثال، قام الحر بن يوسف الذي تولى الموصل (١٠٨ - ١١٣ هـ / ٧٢٦ - ٧٣١ م) بحفر نهر من مجرى دجلة الرئيس، الذي كان بعيداً عن الموصل بالقرب من سور نينوى، وأوصله الى تحت المدينة، اي المنطقة التي تشرف عليها القليعات الحالية. وقد سُمي هذا النهر بنهر الحر، أو بالنهر المكشوف. كما عُرف في العصر العباسي بنهر زبيدة، نسبة الى زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور التي ولدت في الموصل. وكان الحر ينفق على حفره من الأموال التي يجبيها دون أن يحمل الى الخليفة هشام بن عبدالملك شيئاً[٣٤]. وقد أوقفت أرباح المطاحن التي أنشئت على هذا النهر لاستعمالها في كريه وادامته، وذلك بناء على أمر الخليفة هشام[٣٥]. وتشير مقادير الكميات التي كانت تقوم هذه الأرحاء بطحنها في اليوم والليلة الواحدة، وهي خمسون وِقْراً، اي حمل بغل أو حمار، لكل حجرين[٣٦]، الى مدى ازدهار هذا الوضع الاقتصادي في العصر الأموي، ووفرة الغلات الزراعية المستخدمة، وكثافة سكان المدينة، الذين ربما بلغ عددهم الى مايقارب (٩٠) ألفاً أو أكثر، على فرض تقدير الوِقر بنحو (١٠٠) كيلوغرام. فيكون مجموع مايُطحن في كل رحى هو (٥٠٠٠) كيلوغرام، فإذا ماضرب هذا الرقم ب (١٨)، وهو مجموع الارحاء الموجودة على النهر، فتكون النتيجة هي (٩٠) الف كيلوغرام، اي بمعدل كيلوغرام واحد من الطحين لكل فرد يومياً.

الوضع الإجتماعي:

كان سكان منطقة الموصل والجزيرة خليطاً من العرب الذين سكنوها قبل التحرير، ومن جماعات بشرية اخرى غير عربية، وغير مسلمة. ويمكن تحديد عناصر السكان بشكل عام، بالعرب، والأكراد، والآراميين.

كوّن العرب غالب سكان الموصل منذ أقدم العصور، فكانوا مزيجاً من القبائل العدنانية والقحطانية التي جاءت على شكل هجرات متتالية، وشكلت أساس البنية الاجتماعية في هذه المدينة. وقد سكنت القبائل العربية في الموصل ومنطقة الجزيرة في أماكن سميت على أسمائها، مثل ديار ربيعة، وديار مضر، وديار بكر، وكانت الموصل تعد من اجمل مدن ديار ربيعة[٣٧].

وكانت القبائل العربية الاولى التي ساهمت في تحرير المدينة تتألف من مجموعات من تغلب، وأياد، والنمر بن قاسط، حيث دخلت الموصل مع القائد ربعي بن الأفكل العنزي[٣٨]. ثم استقرت فيها بعض القبائل الاخرى لاسيما الخزرج الذين عمروا لهم مسجداً في الموصل، يُعرف بجامع الخزرج، وذلك سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م. ثم تلاهم الأزد الذين سكنوا بالقرب من الجامع الأموي، وتميم الذين أثرت لهجتهم على أهل الموصل، ثم جاءت بطون اخرى جديدة من تغلب فسكنت بالقرب مما يُعرف الآن بباب الجديد، في محلة التغالبة[٣٩].

وبعد توطد الدولة العربية الاسلامية في عهد الراشدين انتقل الى الموصل والجزيرة، لاسيما في عهد الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، اقوام من الأزد، وطيّ، وكندة، وعبد القيس. وقد بلغ عدد هؤلاء نحو أربعة آلاف رجل[٤٠]. ولدينا معلومات وافرة عن الأزد، الذين سنتحدث عنهم بالتفصيل، أما الذين أسكنهم الخليفة عثمان بالموصل من طيّ، فهم جماعات ينتمون الى بني أحمد بن الحارث بن ثمامة بن مالك بن جدعاء[٤١]. ويشير ابن قتيبة[٤٢] إلى أصل بني عبدالقيس الذين نزلوا الموصل، فهم ينتمون الى اللبوه بن عبدالقيس.



ثم ازدادت هجرة القبائل العربية الى الموصل في العهد الأموي، لاسيما في عهد الخليفة عبدالملك ابن مروان، حيث يروي اليعقوبي(٤٣)، أنه ولى أخاه محمداً الموصل، فنقل اليها الأزد وربيعة من البصرة. وفي ولاية مروان بن محمد، استقر بها وما حولها مجموعات اخرى من الأزد، وشيبان، وسلول، والخزرج، وبني أمية وغيرهم(٤٤).

وقد زودنا أبو زكريا الأزدي (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) بمعلومات قيمة عن بعض عشائر الأزد التي استقرت بالموصل، لاسيما اولئك الذين ينتمون الى بني سليمة بن مالك بن فهم. ويشير الى جابر ابن جبلة الذي هو أول من نزل الموصل من سليمة، وله في السكة الكبيرة مسجد وزقاق يعرفان بإسمه، ثم أصبح المسجد يعرف فيما بعد بمسجد المعافي بن عمران، وجابر جده، وهو جد بني عمران جميعاً في الموصل(٤٥). وكان جابر بن جبلة قد اشترك مع أبي حمزة الخارجي، المختار ابن عوف الأزدي، تأييداً لحركة طالب الحق الخارجية في اليمن، ورجع بعد فشل الحركة الى البصرة، ومنها عاد الى الموصل، حيث التحق بقبيلته الأزد سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م. ويعد بنو عمران بن نفيل بن جابر، وبنو رزين بن جابر الموصليون من ولد جابر بن جبلة(٤٦).

وسكن نفيل بن جابر بالموصل في السكة الكبيرة التي بين المربعة المعروفة بمربعة ابن عطاء ودرب درّاج، وله هناك زقاق يُعرف بنفيل، ومسجد سليمان الحضرمي. وأصبح لأعقاب هؤلاء شأن كبير في العصر العباسي الأول، لاسيما المعافي ابن عمران بن نفيل، وكذلك ابنه المعروف بعبد الكبير بن المعافي، وقد اشتهرا برواية الحديث(٤٧).

ومن سليمة أيضاً أبو الأشهل الحكم بن عطاء السليمي، الذي كان مصاحباً لجابر بن جبلة، واضطلع فيما بعد بدور كبير في عهد الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور، حيث أرسله مع ألف فارس الى افريقية مدداً لعاملها يزيد بن حاتم ابن قبيصة(٤٨). وينتمي الى هذه العشيرة ايضاً جماع ابن احمد بن أسلم بن زيد السليمي، وهو صاحب سكة جمّاع بالموصل. وقد قدم مع جابر ابن جبلة، وبنو أبي السرداح الذين في سكة جمّاع من مواليه(٤٩).

وسكن بنو الحشاش ايضاً في الموصل، وهو من أولاد عبد بن سليمة، وقد أقاموا في السكة الكبيرة في منازل هذه العشيرة، وظلت منهم بقية الى زمن الأزدي، اي أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي(٥٠). وممن قدم الموصل من اخوة سليمة، معن بن مالك، ومنازلهم بالموصل في باب سنجار، والمسجد الذي فيه مسجدهم، وكان باب سنجار في ايديهم وأيدي بني سليمة. واخبار معن طويلة ومناقبهم كثيرة ورجالهم مشهورون، منهم مسعود بن عمرو، ولهم ببني الثرثار خطط وضياع(٥١).

ومنهم بنو الرواد، الذين كانوا بالموصل، ثم انتقلوا الى اذربيجان، فغلبوا على بعض نواحيها، ومن اخوتهم ايضاً ممن قدم الموصل، فراهيد بن مالك بن فهم. وكان منهم فيها جماعة، منهم بيان ابن خالد، ومنزلة في محلة بني عمران، ودار بيان كانت الدار المعروفة بمحمد بن الفضل بن زيد ابن عمران. ومن ولد فراهيد، الخليل بن أحمد صاحب العروض (ت ١٦٠ أو ١٧٠هـ/ ٧٧٦ - ٧٨٦م)، وقد كان هؤلاء بالأصل في عُمان، ثم هاجروا الى الموصل(٥٢). ومن بني سليمة ايضاً، بني عمرو بن مالك، وكان بالموصل منهم جماعة، ومنازلهم في قطيعة دور الطمثانيين، ولهم موالي(٥٣).

ومن الأزد الذين سكنوا الموصل ايضاً بنو بُرَيْضَة، وكان لهم بستان كبير في الموصل، اشتراها منهم الخليفة هشام بن عبدالملك(٥٤). وكذلك بنو المختار، وهم اخوة عثمان بن عبدالأعلى



ابن سراقة الأزدي[٥٥]. وبنو رُوَيْم الشرفاء، الذين ربما انتقلوا الى الموصل زمن الخليفة عبدالملك ابن مروان[٥٦]. ومن رجال الأزد المشهورين في الموصل ايضاً: العراهم بن المختار بن جابر الأزدي، وكان شريفاً[٥٧]، وأبو الصقر نجدة بن الحكم، صاحب سكة صقر بالموصل[٥٨].

أما الأزد الذين سكنوا في أطراف الموصل فأهمهم بنو ثوبان من أولاد مالك بن فهم، وأولاد عدي بن عمرو بن مالك. وقد استقروا في باسطّا، فكانوا اهلها، وقد قدم منهم ثوبان بن الحارث من البصرة، ونزل في الثَرثار، وسَفْطَا، وبَحْواثا، والعَرُوبة، من اقليم الدِّيبُور من نواحي الجزيرة التابع للموصل، ونزل معه مالك بن الحارث[٥٩]. وسكن بنو العَقّا بن الحارث بن مالك، وهم أصحاب باعقا، وهي قرية على شط الزاب قرب باسحق. واخوتهم الأشاقر، ومنهم كعب الأشقري الشاعر، ويذكر انه قدم الموصل مع المهلب بن أبي صُفْرة[٦٠]. وكانت منازل بني مالك بن همدان ببافَخَارى، وهي قرية من أعمال نينوى على دجلة شرقي الموصل، وقد استقروا فيها بعد أن جاءوا من الكوفة[٦١]، ومنهم حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك، الذي خرج على ابي جعفر المنصور سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤م. وقد سكن في هذه القرية ايضاً بعض بني حمير، ومنهم حفص ابن أشيم، وهو من فقهاء الخوارج[٦٢].

ومن الذين قدموا الى الموصل ايضاً اولاد الحِمام ابن عبد بن زيد بن سامة، وهم ينتمون الى مالك ابن فهم، وكانت منازلهم في عُمان، ومنها انتقلوا الى البصرة والموصل. ولبني حِمام بالموصل ضيعة تُعرف بالحميمة– ويضاف اليها دير طَيْمونة بالقرب من باسْحَق. ولم يبق لهؤلاء بقية في الموصل في اوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، سوى شاعر واحد يقال له الأشْكَل الحِمامي[٦٣]. وأخيراً هناك اشارة الى سكنى جماعات من عشائر عنزة في حَزَّة، شرقي الموصل بالقرب من أربيل[٦٤].

وقد أشار الأزدي الى أسماء بعض الشخصيات في الموصل، مما يدل على اقامة عشائرهم فيها في العصر الأموي، ومن هؤلاء:

١- القَطِران بن أكْمَه **من بني شيبان**، الذي عينه الخليفة مروان بن محمد سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤م اميراً على الموصل. ولهذا الرجل «خطة ومسجد في ربض الأعلى يعرف بمسجد أكْمَه القَطِران». وكان «في عدة من اهل بيته وقومه»[٦٥]. وكان من بني شيبان ايضاً في الموصل بنو سعد بن لؤي، الذين أثبتهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في قريش[٦٦]. وقد نهض بنو شيبان بدور كبير في الموصل وما حولها، حيث كان معظم قادة الحركات "الخارجية" منهم[٦٧].
٢- هشام بن عمرو **الزُّهَيري**، الذي اخوه معاوية بن عمرو صاحب قصر معاوية بن عمرو الزُّهَيري. وقد استخلفه مروان بن محمد على الموصل سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥م[٦٨].
٣- شريح بن شريح بن عمر بن سلمة **الخولاني**، وهو صاحب قناطر شريح بالموصل، وكان من وجوه المدينة وأحد شرفائها[٦٩].
٤- الزبير بن اياس **الذُّهلي**، وهو من وجوه اهل الموصل ايضاً[٧٠].
٥- علي بن نُعيم **الحميري**، جد بني سمعويه، وكان شريفا[٧١].
٦- المعمر بن أيوب **الهمداني**، جد بني حيّة[٧٢]. وقد سكن الهمدانيون خارج الموصل اولاً، ثم انتقلوا اليها عندما كثر العمران فيها[٧٣]، ومن رجالهم أيضاً،



الحسن بن صالح بن عبادة الهمداني [٧٤] .

٧- طرخان بن يزيد الرحبي ، وكان مقدماً [٧٥] .

٨- خاقان بن يزيد الرحبي ، مولى لهم ، وهو جد بني قود الصحصحيين ، وصاحب سكة خاقان التي بين مسجد موسى بن مصعب وبين مسجد بسام الذي يصلي فيه بنو الوضاح العبديون [٧٦] . وربما كان هؤلاء الصحصحيون هم الذين ينتمون الى بني عمرو بن سعيد بن زيد مناة بن تميم ، وقد أشار ابن دريد الى وجودهم في الجزيرة [٧٧] .

٩- الصباح بن الحصين المزني ، وكان «من رجال اهل الموصل وقطيعته دار عباس القطان وبستانه [٧٨] » .

١٠- عبيدالله بن الحبحاب ، مولى بني سلول ، وهو جد الحباحبة الذين بالموصل ، أو جد بعضهم ، وقد ولاه الخليفة هشام ابن عبدالملك على مصر سنة ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م [٧٩] .

١١- صالح بن مَوْدُود من بني كلب ، وكان من فرسان اهل الموصل المعدودين ، قتل سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م [٨٠] .

١٢- مصعب بن الربيع الخثعمي ، وكان كاتباً لمروان بن محمد [٨١] .

ويبدو أن عدد العرب كان كبيراً في الموصل ، لاسيما في أواخر العصر الأموي ، ففي أحداث سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م ، حينما تعرض اهل المدينة الى محنة شديدة في بداية العصر العباسي ، يشير الأزدي الى مقتل نحو «أحد عشر الفاً ممن له خاتم وممن لاخاتم له خلق كثير» [٨٢] . وفي رواية اخرى ان «الزنج» من قوات يحيي بن محمد ، والي الموصل العباسي ، جمعوا له بعد موقعة قتل اهل الموصل ثلاثين الف خاتم [٨٣] . وربما كان المقصود بأصحاب الخواتم ، هم العرب من غير الموالي ، أو ذوي المنزلة الاجتماعية الرفيعة والوجهاء . ويحتمل ان أرقام الأزدي مبالغ فيها ، ولكن عدد العرب كان كبيراً بالتأكيد في الموصل ، وان غالبية سكانها كانت منهم ، واستمر ذلك في العهود اللاحقة ايضاً [٨٤] .

أما الأكراد فقد كونوا عنصراً مهماً من عناصر سكان الجزيرة ، حيث استقروا في بعض أقاليمها منذ عصور سحيقة . وعندما حررت هذه المناطق اعتنقوا الاسلام ، بشكل تدريجي ، واندمجوا في المجتمع الاسلامي الذي ضم الكثير من الأجناس والأقوام . وقد عاش بعض الأكراد كالهذبانية ، والحميدية ، واللارية ، في منطقة الموصل وما حولها ، واستمروا في التواجد حتى القرون اللاحقة حيث أشار اليهم ابن حوقل [٨٤أ] ، وذكر احياءهم في المدينة ، ومراعيهم في خارجها . كما ذكر ايضاً انهم كانوا ينزلون في نواحي كفر عزمى ، في أرض حزة من اعمال الموصل .

وكان الآراميون ، الذين يُعدون من العرب القدماء الذين سكنوا في اقليم الجزيرة ، يكونون قاعدة للسكان النصارى في المدن ، لاسيما الموصل . وتدل الأسماء الآرامية للقرى والمواضع المحيطة بالمدينة ، على مدى انتشارهم . ومن اهم هذه المواضع : بارطلي ، وباهذرا ، وباعذرا ، وداقوقا ، وباعشيقا ، وباطنايا ، وباقوفا ، وغيرها . وكانت هذه الأماكن موطناً لهم قبل الإسلام ، واستمروا في التواجد فيها بعد التحرير ، حيث وجد الفاتحون العرب عدداً كبيراً منهم في هذه القرى ، الى جانب آخرين في الموصل ، واقلية من اليهود [٨٤ب] . وما زالت معظم هذه القرى والأماكن المحيطة بالموصل تحتفظ بعدد كبير من هؤلاء السكان .

الوضع الثقافي :

كانت منطقة الموصل قبل تحرير العرب لها تتمتع بوضعية ثقافية وعلمية جيدة ، لاسيما بعد انتشار



المسيحية. فقد كانت هناك حركة علمية في الموصل وبقية المدن والقرى الكبيرة التي كانت تضم إمارة حدياب التي امتدت بين الزابين من نصيبين الى الشرقاط. ويرى سليمان الصائغ[٨٥]، ان المنطقة كانت تتمتع بوجود بعض المدارس التي تعتمد على اوقاف خاصة بها، ولها قوانين ونظم لادارتها، كما كان يُشرف عليها بعض العلماء البارزين. ومن المحتمل ان هذه المدارس كانت ملحقة ببعض الاديرة والكنائس الموجودة في المنطقة وتعمل ضمن النشاط الديني العام لها، فضلاً عن الاهتمام ببعض الآداب اليونانية وغيرها من العلوم[٨٦]. ولا يمكن تحديد مدى شمول تأثير هذه المدارس التي ربما كانت تعبر عن حالات خاصة ببعض الأديرة والكنائس. ولكن على أي حال، يمكن القول ان الأرضية الثقافية في الموصل كانت خصبة ومهيأة لتلقي المزيد من العلوم التي سرعان ماانتشرت بعد التحرير واستقرار العرب في المنطقة.

وكانت العلوم الدينية هي السائدة في الفترة الاسلامية المبكرة، وهي تُدرّس في المساجد. ولا يختلف حال الموصل في هذا الأمر عن بقية المدن الاسلامية الاخرى، مثل المدينة المنورة، والبصرة، والكوفة، والفسطاط، وغيرها. حيث كان الشيخ يجلس في المسجد وحوله الطلبة الآخذون عنه على شكل حلقة تكبر أو تصغر حسب قدر الشيخ. وقد يكون في المسجد حلقات عدة، تجتمع كل حلقة على شيخ معين. وتتوافر معلومات كثيرة عن هذه المجالس والحلقات بالنسبة للمراكز والأمصار الرئيسة في الدولة العربية الاسلامية، مثل مجلس عبدالله ابن عباس في فناء الكعبة، ومجلس جعفر الصادق في المدينة المنورة، ومجلس الحسن البصري في البصرة[٨٧].

أما بالنسبة للموصل فليس لدينا معلومات محددة، ولكن هناك اشارات الى وجود بعض العلماء المحدثين الذين عرف عنهم رواية الحديث واقرانه، ولهذا فمن المؤكد ان هؤلاء قد مارسوا نفس الدور في نقل العلوم الدينية، لاسيما علم الحديث، ضمن حلقات المساجد، الى من يرغب من تلامذتهم. ومن هؤلاء سعيد بن عبدالملك بن مروان، احد ولاة الموصل الذي كان يعد من المحدثين، ويُعرف بسعيد الخير، لصلاحه وحبه للخير والعمران[٨٨]. ومنهم ايضاً معروف بن أبي معروف، الذي كان زاهداً عابداً، ادرك كثيراً من الصحابة وروى عنهم. فقد روى عن عائشة، وعبدالله بن عمر، وعطاء، ومجاهد، والحسن البصري، والمغيرة بن زياد الموصلي، ومغيرة بن مقسم الضبي، وليث ابن أبي سُليم، والحارث بن الجارود. وقد قتل هذا المحدث سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠م في اثناء الفتنة التي اعقبت تسلم العباسيين للسلطة في الموصل على يد العامل العباسي يحيى بن محمد[٨٩].

ويشير الأزدي الى محدثين آخرين برزوا في الموصل في العصر الأموي، منهم الحارث بن الجارود العُكلي، الذي كان منزله ملاصقاً لباب المسجد الجامع تحت المنارة، مما يسهل عليه نشر علمه وفقهه في هذا المسجد. فقد كان راوية للحديث متفقهاً في الدين، حيث روى عن الزهري، وقتادة، وعطاء، وغيرهم، كما روى عنه المعافي بن عمران وعمر بن ايوب الموصليان، وابو عوانة وغيرهم. وبعد انتهاء العصر الأموي، تولى القضاء لأبي جعفر المنصور، وتوفي سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م[٩٠].

ومن المحدثين الآخرين معمر بن محمد التميمي، وهو مولى لتيم قريش، ويقال لآل أبي بكر، وله رواية للحديث، وروى عنه المعافي بن عمران وغيره من المواصلة. وأصبح فيما بعد قاضياً للموصل في عهد أبي جعفر المنصور، وتوفي سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١م[٩١]. وكان حفص بن أشيم محدثاً موصلياً ايضاً، وهو يُعد من فقهاء الخوارج من اهل الاجتهاد، أصله من قرية بافَخّارى، التي



تقع على دجلة بالقرب من الموصل. وكما يتولى العقود للخوارج اذا خرجوا اليه. وينتسب هذا الرجل الى حمير، ويقال بأنه صنف الكتب في الفقه[٩٢]. وكان ابراهيم بن موسى الزيات ايضاً من محدثي اهل الموصل، وقد وردت الاشارة الى وجوده سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠م في اثناء حادثة قتل اهل الموصل من قبل الوالي يحيى بن محمد[٩٣].

وقد برز في هذا العصر ايضاً بعض الشعراء في الموصل، منهم: الصقر بن نجدة بن الحكم الأزدي الموصلي، الذي قال قصيدة يرثي فيها من قتل من وجوه اهل الموصل سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م، وقد احتفظ لنا الأزدي ببيتين من هذه القصيدة يشير فيها الصقر الى العُراهم بن المختار بن جابر الأزدي، وشريح بن شريح بن عمرو بن سلمة الخولاني، اللذين كانا من شرفاء أهل الموصل:

كان العُراهم زَيْن أزد كلهم ... وفَخَارَها في كل يوم طِعان

وشُرَيح كان جمالنا وقَوَامَنا ... ما تقضِ أمراً دُونَما قحطان[٩٤]

وكان هذا الشاعر فارساً شجاعاً، أصبح على روابط الموصل في عهد ابي جعفر المنصور العباسي، وهي القوة التي ترابط للدفاع عن المدينة وما حولها من المساكن والفضاء[٩٥]. ومن الشعراء الآخرين ايضاً، الشاعر كعب الأشقري، وهو من الأشاقر الذين قدموا الموصل مع المهلب بن أبي صُفرة الذي تولى الموصل لابن الزبير سنة ٦٨ هـ / ٦٨٨ م[٩٦]. وكذلك الشاعر ثعلبة أو (أبو ثعلبة) ابن أيوب بن خولي بن بيهم، وهو من الخوارج، وله شعر قاله بعد انتصار الخوارج على احد جيوش الأمويين سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م، يرثي فيه بعض من قتل من جماعته في المعركة[٩٧]. وكان للحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموي، احد ولاة الموصل (١٠٨ - ١١٣ هـ / ٧٢٦ - ٧٣١ م) ابن يقال له سلمة، تميز بالفصاحة وقول الشعر، وقد فارق اباه وخرج الى البدو بنواحي الثعلبية، من منازل طريق مكة من الكوفة[٩٨]، وقتل على يد الضحاك بن قيس بن حصين الخارجي[٩٩].

ولكثرة القبائل العربية التي سكنت في الموصل، فقد تنوعت اللهجات التي سادت فيها، ولكن يبدو ان لهجة بني تميم قد أثرت اكثر من غيرها في اهل الموصل، فغلبت عليهم. ومن الامور التي دخلت من لهجة تميم كسرهم اول الفعل المضارع، فيقولون عوضاً عن نَعمل ونَجعل مثلاً، نِعمل، ونِجعل، ويهملون ايضاً اعلال اسم المفعول المشتق من الأجوف، فيقولون عوضاً عن مبيع، ومعيب: مبيوع ومعيوب[١٠٠]. ويبدو انهم قد برزوا في اللغة واسلوب الكتابة، حيث استكتب مروان ابن محمد أحدهم، وهو مصعب بن الربيع الخثعمي، الذي يُعرف بأبي موسى بن مصعب الموصلي، الذي يشير الأزدي الى أنه كان كاتباً لمروان[١٠١].

ولم تتوافر في هذا العصر المدارس الاسلامية الخاصة بالتعليم، بل استمر المسلمون في اتخاذ المساجد أماكن لهذا الغرض، كما أشرنا الى ذلك آنفاً، وقد ذكر السيد أمير علي[١٠٢]، أن الحر بن يوسف، عامل هشام بن عبدالملك على الموصل، بنى بعض المنشآت الثقافية فيها، ولكنه لم يشر الى مصادره. والثابت ان الحر بن يوسف بنى داراً في الموصل لسكناه سميت بالمنقوشة، لأنها كانت منقوشة بالساج والرخام والفصوص الملونة[١٠٣]، ولم يذكر الأزدي، وغيره من المؤرخين القدامى الذين تحدثوا عن الموصل في هذا العصر عن بناء الحر لأية مدرسة، كذلك لم يقم الأمويون بإنشاء مدارس في الموصل، أو في غيرها من البلدان الأخرى.

أما بالنسبة لغير المسلمين فقد كانت لهم معابدهم ومدارسهم الخاصة بهم، وقد أشرنا الى



وجود بعضها قبل الاسلام. وقد استمرت هذه المؤسسات في رفد النشاط الثقافي للمنطقة، والعمل على نشر علومها ومعارفها بين ابناء الطوائف الذين ينتمون اليها. واستفادت من روح التسامح التي تميز بها الدين الاسلامي، مما خلق حالة من التنوع والشمول في الثقافة والحضارة التي عمت المنطقة كلها. وتعد الأديرة والكنائس اهم هذه المراكز الثقافية. وسنشير لاحقاً الى بعض هذه الأديرة في اثناء الحديث عن خطط المدينة.

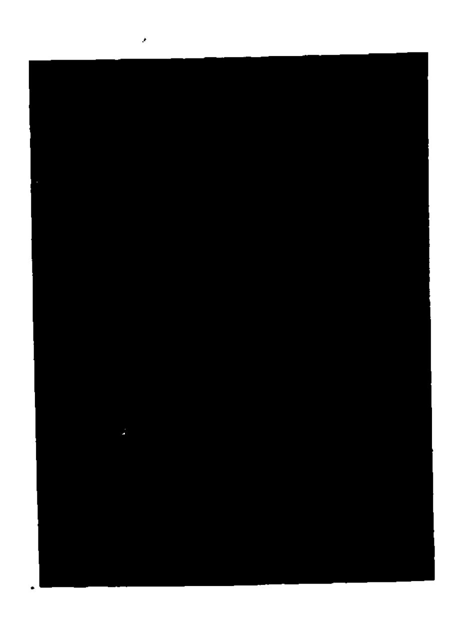
خطط المدينة:

يتضمن المحور الأساس لخطط الموصل في العصر الأموي اموراً مهمة، كان المسلمون يراعونها في تخطيط معظم المدن التي يقومون بإنشائها. وهي المسجد الجامع، ودار الامارة، ثم الأسواق التي هي بمثابة المركز الاقتصادي للمدينة، والمحلات التي تسكن فيها القبائل العربية على اساس انتمائها القبلي، ثم السكك والدروب، وفيما يأتي عرض لأهم هذه الأماكن في الموصل في العصر الأموي:

أ- المساجد:

المسجد الجامع:

أسس هذا المسجد هرثمة بن عرفجة البارقي، الذي عينه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الموصل بعد عتبة بن فرقد السلمي (١٠٤). وقد وسعه وأعاد بناءه في العصر الأموي، مروان بن محمد، فسمي منذ ذلك الوقت بالجامع الأموي (١٠٥). وكان هذا المسجد ملاصقاً لدار الإمارة، وحوله الأسواق، التي ربما أُنشئت لتكون أوقافاً له. وقد هدم الخليفة العباسي المهدي هذه الأسواق سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م، وأضاف مساحتها الى المسجد (١٠٦). وكان بناء المسجد الجامع على نشز من الأرض، وبينه وبين النهر مسافة قريبة، حددها المقدسي برمية سهم (١٠٧). وكان له أربعة



لوح رخامي عثر عليه في موقع الجامع الأموي في الموصل، زخرفته وأسلوب تنفيذه ترجح نسبته الى العصر الأموي (تصوير وتعليق يوسف ذنون)

ابواب، الأول شمالي، ويؤدي الى سوق البزازين، والثاني جنوبي، ويسمى بباب جابر، ويؤدي الى سوق السراجين، والثالث شرقي، ويؤدي الى جهة النهر، والرابع غربي، ويقع تحت منارة المسجد (١٠٨). وقد مرّ الرحالة ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م بهذا الجامع، ووصفه وأشار الى أنه قديم من عهد بني أمية (١٠٩). ويُعرف في وقتنا الحاضر ايضاً بالجامع الأموي، وبجامع المصفي، وجامع الكوازين، لوقوعه في محلة الكوازين (١١٠).

وكانت هناك مساجد صغيرة خاصة بالمحلات التي سكنت فيها مختلف القبائل العربية، ومن أهمها:

١- مسجد خزرج:

بنت هذا المسجد قبائل الخزرج التي جاءت الى الموصل في فترة مبكرة، وذلك في حدود



سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ م ، في محلة الخزرج ، التي لاتزال تعرف بهذا الاسم[١١١] .

٢ - مسجد ابن أكْمَه القِطران :

نسبة الى والي الموصل القطران بن اكمه الشيباني ، الذي عينه مروان بن محمد على الموصل سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م . وكان خاصاً ببني شيبان ، ويقع في شمال الموصل في الربض الأعلى[١١٢] .

٣ - مسجد سعيد بن عبدالملك :

بناه سعيد بن عبدالملك بن مروان حينما كان والياً على الموصل في عهد والده . وقد عرف هذا الرجل بحبه لأعمال البر والعمران ، فبنى للمدينة سوراً ، وسوقاً عرف بسوق سعيد ، وكان موقع المسجد في هذا السوق . ثم عُرف هذا المسجد بإسم مسجد عبيدة ، نسبة الى مؤذنه « عبيدة »[١١٣] .

٤ - مسجد جابر بن جبلة :

ويقع في السكة الكبيرة ، بناه هذا الرجل الذي ينتمي الى بني سليمة من الأزد ، وهو جد بني عمران ، ثم أصبح اسم المسجد يُعرف فيما بعد بمسجد المعافي بن عمران[١١٤] .

٥ - مسجد سليمان الحضرمي :

ربما كان هذا المسجد يقع في محلة حضرموت التي ذكرها المقدسي في الموصل[١١٥] . وكان الزقاق الذي يقع فيه هذا المسجد يُعرف بزقاق نفيل بن جابر بن جبلة ، وبمسجد سليمان الحضرمي ، وهو في السكة الكبيرة التي بين المربعة المعروفة بابن عطاء ودرب درّاج[١١٦] .

٦ - مسجد بسام :

وينسب الى بسام بن ابراهيم بن بسام ، الذي كان من فرسان الخليفة ابي العباس ، لكنه خرج عليه وخلعه ، ودعا الى ذرية الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان هذا المسجد يقع في نهاية سكة خاقان ، ويصلي فيه بنو الوضاح العبديون[١١٧] . وقد أقيم مسجد آخر في الطرف الثاني لهذه السكة من قبل موسى بن مصعب الخثعمي ، الذي تولى الموصل للخليفة ابي جعفر المنصور سنة ١٥٦ هـ / ٧٢٢ - ٧٢٣ م[١١٨] .

٧ - مسجد باب سنجار :

وكان يصلي فيه آل معن بن مالك بن فهم ، وهم من أحد فروع بني سليمة الأزديين[١١٩] . وهناك بالقرب من باب سنجار في الوقت الحاضر مسجد قديم يسمى بمسجد تل عبادة ، ويرى اهل هذه المحلة انه من اقدم مساجد الموصل ، لذلك ربما كان موقع هذا المسجد هو مسجد باب سنجار القديم[١٢٠] .

٨ - مسجد ثقيف :

في محلة باب المسجد ، وموقعه بالقرب من جامع السلطان أويس الحالي[١٢١] .

ب - أما دار الامارة :

فقد أُنشئت بجانب المسجد ، وكانت ملاصقة له[١٢٢] ، وتقع على السفح الغربي من تل قليعات . ويحتمل ان يكون مروان بن محمد قد وسع هذه الدار ، لأنه كان مهتماً بالموصل وعمرانها[١٢٣] .

جـ - الأسواق :

كانت معظم الأسواق في العصر الأموي تقع بالقرب من المسجد الجامع ودار الامارة ، وأهم هذه الأسواق التي ورد ذكرها في المصادر هي :



١ - سوق البزازين :

بالقرب من الباب الشمالي للمسجد الجامع ، ويقع بين سوق الداخل والمسجد الجامع [١٢٤] . وهو مخصص لبيع الأقمشة والثياب . ولتلاصق هذا السوق مع سوق الداخل ، فقد اعتبرهما بعض المحدثين سوقاً واحداً [١٢٥] .

٢ - سوق السراجين :

بالقرب من الباب الجنوبي للمسجد الجامع «باب جابر» ، وهو مخصص لبيع السروج وبقية المنتجات الجلدية [١٢٦] .

٣ - سوق الشعارين :

بالقرب من جامع النبي جرجيس ، ولايزال يحتفظ بهذا الاسم الى الوقت الحاضر ، وكان مخصصاً لبيع الشعر والصوف اللازم للخيام وغيرها [١٢٧] .

٤ - سوق القتابين :

بالقرب من سوق الشعارين ، الى جهة الشرق منه [١٢٨] ، وهو مخصص لبيع الاقتاب ، الى الرحل التي توضع على سنام البعير ، ويعرف اليوم بسوق النجارين قرب مسجد الخلال [١٢٩] .

٥ - سوق الحشيش :

بالقرب من سوق الطعام في ناحية دور أبي وهب ، وكان فيه الفندق المعروف بدار الحواكين ، ويقع بالقرب منه ايضاً خان ابراهيم بن يحيى العباسي [١٣٠] ، وهو مخصص لبيع التبن لعلف الحيوانات ، وربما كان موقعه يطابق موقع سوق باب السراي الحالية [١٣١] .

٦ - سوق الطعام :

بالقرب من سوق الحشيش ، وقد اقيم فيه فيما بعد فندق وحمام زمن اسماعيل بن علي بن عبدالله ابن العباس الذي تولى الموصل للفترة من ١٣٤ - ١٤٢ هـ / ٧٥١ - ٧٥٩ م [١٣٢] .

٧ - سوق سعيد بن عبدالملك :

الذي انشاه عندما كان والياً على المدينة في خلافة ابيه عبدالملك بن مروان ، وانشأ في السوق ايضاً المسجد الذي أشرنا اليه آنفاً ، والذي عرف بإسم مؤذنه «عبيدة» [١٣٣] .

٨ - سوق الدواب :

بالقرب من مقابر قريش جنوب غربي جامع النبي جرجيس ، وهو مخصص لبيع وشراء الحيوانات [١٣٤] .

٩ - سوق الأربعاء :

وكان يمتد في الفضاء الواسع بين باب الجسر ، بالقرب من النهر ، الى سوق باب السراي الحالية . وموقعه بالقرب من المنقوشة ، وهي الدار التي بناها الحر بن يوسف الأموي . وأشار الأزدي الى هذا الموقع بقوله «... المنقوشة التي هي من سوق القتابين الى الشارع المعروف بالشعارين الى سوق الأربعاء الى سوق الحشيش...» [١٣٥] . وكان يجتمع في هذا السوق الفلاحون والحواصيد والعمال للتوجه الى أعمالهم ، وأصبح من الأسواق المزدحمة بالحركة في العصور التالية [١٣٦] .

د - المحلات والدور :

كانت الموصل قبل الفتح العربي الاسلامي قليلة العمران وليس فيها ، كما يشير الصائغ [١٣٧] ، الا محلتان سكن احداهما بعض المجوس من الفرس ، وسكن الاخرى النصارى . وكان لليهود ايضاً وجود في المدينة ، لاسيما وأنهم سكنوا اقليم الجزيرة منذ حقبة طويلة بعد ان نقلهم اليها



الآشوريون من بيت المقدس[138] . وكان لهم عدد من البيَع التي بنيت قبل الاسلام ، ومحلة خاصة تعرف بمحلة اليهود[139] ، وموقعها الآن محلة الأحمدية في الموصل[140] . أما النصارى فكانوا اكثر عدداً من اليهود ، ولهم في المدينة ديارات وبيع ومنازل قليلة ، لاسيما في حصن المدينة الغربي ، اي (تل قليعات)[141] . وكانت محلتهم تقع في الجهة الشمالية من هذا الحصن ، حيث بنى أحد الرهبان ، المسمى ايشو عياب برقسري ، سنة ٥٧٠ م ديراً على التل المذكور. ولم تزل البيعة معروفة الى اليوم بإسم «مار اشعيا» أو «دير ربان بارقسري» ، وهي على اللحف الشمالي لتل قليعات[142] .

وبعد تمصير الموصل في أعقاب التحرير، ظهرت فيها محلات جديدة ، ثم توسعت بمرور الأيام ، وأضيف اليها محلات ودور اخرى في السنوات التالية بعد ازدياد عمران المدينة . وفيما يأتي ابرز هذه المحلات والدور في العصر الأموي :

١ – محلة التغالبة :

وسكنت فيها قبيلة بني تغلب في الجهة الجنوبية من الموصل ، وتسمى الآن بمحلة البارودجية ، وهي بجوار باب الجديد في جنوبي المدينة[143] .

٢ – محلة ثقيف :

وسكنت فيها قبيلة ثقيف بعد فتح الموصل مباشرة ، وموقعها اليوم في محلة باب المسجد ، أو الشكيف ، وواضح أن الاسم الأخير ماهو الا تحريف مغولي أو تركماني للفظة «ثقيف»[144] .

٣ – محلة خزرج :

وسكنت فيها قبائل الخزرج التي جاءت الى الموصل بعد الفتح العربي الاسلامي . ولا تزال هذه المحلة تعرف بهذا الاسم لحد الوقت الحاضر[145] .

٤ – محلة باب سنجار :

وكانت بيد ابناء معن بن مالك ، الذين كانت منازلهم بالموصل باب سنجار ، والمسجد الذي فيه مسجدهم . وكان باب سنجار في ايديهم وأيدي سليمة[146] .

٥ – محلة الشيبانيين :

وقد بناها والي الموصل القطران بن اكمه الشيباني في عهد مروان بن محمد ، لسكنى افراد قبيلته من بني شيبان . وكانت تقع في القسم الشمالي من الموصل في الربض الأعلى ، وفيها مسجد ابن اكمه القطران[147] .

٦ – محلة حضرموت :

ربما سميت بإسم بعض العشائر اليمانية القادمة من حضرموت . وقد أشار المقدسي الى وجود هذه المحلة بالموصل ، ولكنه لم يحدد موقعها[148] .

٧ – محلة الحر بن صالح بن عبادة :

وتقع شمال المسجد الجامع بالقرب من سوق الداخل ، وسكن فيها الهمدانيون ، وبها مسجد علي بن الحسن الهمداني ، الذي يقع على القنطرة المطلة على السوق[149] .

٨ – محلة درب درّاج :

وتقع في وسط مدينة الموصل بالقرب من السكة الكبيرة بمحاذاة المربعة المعروفة بإبن عطاء[150] ، وقد سميت الآن بمحلة الجامع الكبير[151] .

٩ – دور جابر بن جبلة وأولاده :

وهو أول من نزل الموصل من سليمة الذين ينتمون الى الأزد ، وكان له في السكة الكبيرة مسجد وزقاق يعرف بزقاق جابر. وسكن ابنه نفيل



ايضاً في هذه السكة بين المربعة المعروفة بإبن عطاء ودرب درّاج في زقاق يعرف بنفيل. كما استقر آخرون من بني سليمة في هذه الدور، مثل جمّاع ابن احمد بن أسلم، الذي عاش في سكة جمّاع. وقد سكن معهم ايضاً في هذه السكة بنو أبي السرداح. ثم سميت هذه الدور فيما بعد بدور بني عمران، نسبة الى المعافي بن عمران، أحد أحفاد جابر بن جبلة[١٥٢].

١٠ – دور الطمثانيين:

وينتمي هؤلاء ايضاً الى بني سليمة من الأزد، وكانت دورهم ملاصقة لقناطر بني عَتّاب، ولهم قطيعة بالقرب من دورهم[١٥٣].

١١ – الصوائح:

وهي الأبنية المنفردة التي تقع خارج السور. وقد أنشئت بعد توسع المدينة وازدياد العمران فيها بعد تحريرها. ومن هذه المحلات، محلة النعل بكي، وكانت في موضع قضيب البان، وسبعة الحدادين[١٥٤].

هـ – الدروب والسكك:

كانت معظم هذه الدروب والسكك، اي الطرقات تمتد من مركز المدينة الذي أقيمت فيه دار الإمارة والمسجد الجامع، الى الأسواق، أو الساحات العامة، أو أطراف المدينة. وقد رصفت هذه الطرق بالحجارة من قبل الولاة في العصر الأموي[١٥٥]، ومن أهم هذه الدروب والسكك:

١ – درب الدير الأعلى:

وهو يسير بإتجاه الشمال الى هذا الدير الواقع شمال المدينة على نهر دجلة، بالقرب من موقع القلعة الاتابكية التي تسمى الآن «باش طابية»[١٥٦].

٢ – درب الجصاصين:

ويؤدي الى غربي المدينة، حيث تكثر اكوار الجص. وقد أشار المقدسي ايضاً الى درب آخر بإسم درب الجصاصة، ربما كان هو نفس طريق درب الجصاصين[١٥٧].

٣ – درب رحى أمير المؤمنين:

لم تحدد المصادر مكان هذا الدرب[١٥٨]، ولكن يبدو انه كان يؤدي الى ممتلكات هشام ابن عبدالملك في جنوب الموصل، حيث أشار الأزدي الى وجود هذه الرحى، أي «رحى أمير المؤمنين» في الأرض التي كان يمتلكها عند ربض المدينة الأسفل مقابل أرض عمران بن عطاء على نهر دجلة[١٥٩]. ولهذا فيكون اتجاه هذا الدرب من الشمال الى الجنوب، وليس من الغرب الى الشرق، كما جاء في بعض الدراسات الحديثة عن الموصل[١٦٠].

٤ – درب بني ميدة:

وهو من الدروب الرئيسة في الموصل، يبدأ من مركز المدينة وينتهي الى طرفها الغربي في باب سنجار[١٦١].

٥ – درب الدباغين:

ويؤدي الى جنوب المدينة، حيث كان هؤلاء الدباغون يمارسون مهنتهم على نهر دجلة[١٦٢].

٦ – درب درّاج:

ويقع في وسط المدينة بالقرب من السكة الكبيرة بمحاذاة المربعة المعروفة بإبن عطاء[١٦٣].

٧ – درب بني إليا الطبيب:

وكان يقابل المسجد المعروف ببني أسباط الصيرفي المجاور للبيعة المعروفة بمار توما. وقد أشار



اليه الأزدي في احداث سنة ١٦٣هـ/ ٧٧٩م[١٦٤]. ومسجد أسباط، كما يرى أحد المحدثين[١٦٥]، هو مسجد خزرج، والشارع الذي امامه يمتد الى مسجد العراكدة — العراقدة، وهو درب ايليا الطبيب.

وهناك دروب اخرى ورد ذكرها في المصادر، ولكن لم يتم التحقق من موقعها في المدينة، منها **درب بني الهذيل**[١٦٦]، **ودرب باصلوت**، **ودرب جميل**[١٦٧]. وقد أشار الأزدي الى طرق اخرى في الموصل في هذا العهد، أسماها بالسكك، وهي على الأغلب منسوبة الى أسماء بعض كبار رجال القبائل العربية التي سكنت في الموصل، ومنها:

١ – السكة الكبيرة:

وكان ينزل فيها جابر بن جبلة وأولاده، وتقع بين درب درّاج والمربعة المعروفة بابن عطاء في وسط المدينة[١٦٨].

٢ – سكة جمّاع:

نسبة الى جمّاع بن احمد بن أسلم بن زيد السليمي، الذي سكن الى جوار جابر بن جبلة، ولهذا فهي تقع بالقرب من السكة الكبيرة[١٦٩].

٣ – سكة الصَّقر:

نسبة الى الصَّقر بن نجدة بن الحكم الأزدي، الذي كان شاعراً وفارساً من فرسان الموصل المشهورين[١٧٠].

٤ – سكة خاقان:

نسبة الى خاقان بن يزيد الرحبي، أحد وجوه الموصل في العهد الأموي، وهي تقع بين مسجد موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمي، وبين مسجد بسام، الذي يصلي فيه بنو الوضاح العبديون[١٧١].

٥ – وقد أشار الأزدي الى سكتين أخريين دون أن يحدد موقعهما، الاولى هي **سكة السند**، وقد اكتفى بالقول أنها منازل بني السماك في عهده، أي أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[١٧٢]، والثانية هي **سكة السّريّ**، التي تقرب من «البيعة المحدثة»[١٧٣]. وربما كانت هذه البيعة هي بيعة «مرتوما». المجاورة للمسجد المعروف ببني أسباط الصيرفي المقابل لدرب أليا الطبيب[١٧٤].

وتشير المصادر ايضاً الى اسم شارعين مهمين في المدينة في هذا العصر، وهما شارع الشعارين، وشارع النهر. وقد ذكر الأزدي الشارع الأول، وحدد موقعه بالقرب من المنقوشة «التي هي من سوق القتابين الى الشارع المعروف بالشعارين الى سوق الأربعاء الى سوق الحشيش»[١٧٥]. واتجاه هذا الشارع من الجنوب الى الشمال، ومازال موجوداً ويعرف بنفس الاسم، وبشارع جامع النبي جرجيس ايضاً، الذي يقع فيه. وربما كان هذا الشارع هو نفسه درب الدير الأعلى، الذي ذكره المقدسي، وذلك لمطابقة اتجاه الطريقين، ولكن الأزدي لم يشر الى الدرب الأخير.

أما شارع النهر، فقد اشار اليه ابن الأثير في معرض حديثه عن انجازات والي الموصل، الحر ابن يوسف، الذي حفر النهر وأوصله الى المدينة، وأنشأ على جانبه الشارع المعروف بشارع النهر[١٧٦]. وقد غرست على جانبي هذا الشارع الأشجار لتزينه، ولتكون بمثابة متنزه لأهل الموصل[١٧٧]، فكان هذا الشارع حسب تعبير أحد المحدثين، «أول كورنيش في الاسلام»[١٧٨].

ز – الأديرة والكنائس:

اشتهرت منطقة الموصل بكثرة الأديرة والكنائس التي كونت مظهراً من مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية، كما كانت ايضاً مركزاً من مراكز المسيحية في المدينة. ويحتمل وجود كنيس



لليهود في محلة اليهود التي أشار البلاذري الى وجودها في المدينة في اثناء كلامه على تمصير المدينة[١٧٩]. أما بالنسبة للكنائس والأديرة فسنشير الى بعض ماكان موجوداً منها قبل الاسلام، والتي استمرت في العصور اللاحقة، ومنها العصر الأموي.

١- ورد ذكر لوجود بيع النصارى عند تمصير المدينة من قبل هرثمة بن عرفجة البارقي. ومن المعتقد ان كنيسة ايشو عياب برقسري، التي تسمى الآن بكنيسة (مار اشعيا)، وتقع في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة بالقرب من تل قليعات، كانت ضمن هذه البيع[١٨٠].

٢- **دير سعيد**: ويقع في الجانب الغربي من الموصل بالقرب من نهر دجلة، وكان قد بناه ايليا الحيري العبادي العربي، وجدد بناءه سعيد بن عبدالملك بن مروان (الذي تولى المدينة في عهد والده عبدالملك) لهذا عرف بدير سعيد. ويعرف اليوم بدير مار ايليا، وبدير الخربان، لأنه مهجور. ويقع الى جنوب معسكر الغزلاني، في واد يُسمى وادي الدير[١٨١].

٣- **الدير الأعلى**: يقع شمال المدينة على نهر دجلة، حيث كان يشرف على طواحين المياه (العروب). ويشتهر بعذوبة هوائه، وبعيونه الكبريتية. ويقال إنه لم يكن للنصارى دير مثله لما فيه من الآثار المسيحية والأناجيل. وكان يرتاده الأدباء والشعراء[١٨٢].

٤- **دير ميخائيل**: ويقع الى الشمال من مدينة الموصل، وهو يشرف على نهر دجلة، وحاوي الكنيسة، في منطقة كانت تزخر بالأشجار، لاسيما الكروم[١٨٣].

٥- **كنيسة مارحوديني**: وهي كنيسة قديمة يرجع تاريخها الى ماقبل القرن العاشر الميلادي وتقع الآن في محلة القنطرة[١٨٤].

الفنون المعمارية:

اهتم الأمويون بالموصل اهتماماً كبيراً، لاسيما في مجال العمران وإقامة المشاريع العامة النافعة للبلد. ويمكن ايجاز أهم أعمالهم وابداعاتهم في هذا الميدان بالأعمال العمرانية الآتية: -

أ- المشاريع العامة:

١- توسيع دار الامارة والمسجد الجامع:

أعاد الأمويون بناء دار الامارة القديمة وتوسيعها، لاسيما في عهد مروان بن محمد الذي تولى الموصل مرتين؛ الاولى من ١٠٢- ١٠٥ هـ / ٧٢٠- ٧٢٣م، والثانية من ١٢٦ - ١٢٧ هـ / ٧٤٣- ٧٤٤م. وقد اتخذ بينها وبين الجامع باباً يؤدي الى ممر طويل يصل بين الدار والجامع، وفرشه بالبلاط، كما اتخذ له مقصورة في المسجد ايضاً[١٨٥]. ويحتمل انه هو الذي أضاف اليه المنارة التي ليس بالامكان تحديد موقعها بالضبط في الوقت الحاضر. ومما يؤيد وجودها في أواخر العصر الأموي، ماذكره الأزدي[١٨٦]، في حوادث سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠م، حين أمر يحيى بن محمد العباسي منادياً «فصعد منارة المسجد فنادى من دخل المسجد فهو آمن بأمان الله». وقد أضاف مروان الى الجامع ايضاً مطابخ يُطبخ بها للناس في شهر رمضان، وبقيت هذه المطابخ الى أن هدمت في عهد الخليفة المهدي العباسي سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٣م[١٨٧]. وربما تكون الأبواب الأربعة للجامع، التي أشرنا اليها آنفاً، وهي الباب الغربي، والباب الجنوبي، والباب الشرقي، والباب



الشمالي، هي أيضاً من استحداث مروان ابن محمد حينما وسع الجامع في العهد الأموي.

٢- بناء السور:

اهتم الامراء الامويون ببناء وتقوية سور المدينة، فقد وردت اشارات مختلفة في المصادر الى أول من قام بهذا العمل من الأمويين. فيذكر البلاذري[١٨٨]، ان سعيد بن عبدالملك هو الذي احاطها بسور، ورصف طرقاتها بالحجارة. في حين يقول الأزدي[١٨٩]، ان محمد بن مروان، اخو الخليفة عبدالملك، هو الذي «بنى سور الموصل سنة ثمانين بلا خلاف بين من يعلم السيرة من أهل الموصل». اما ياقوت الحموي[١٩٠] فيشير الى ان مروان بن محمد هو الذي بنى سورها، وذلك حينما تولاها قبل ان يصبح آخر خليفة للدولة الأموية.

ومن الواضح ان هؤلاء الثلاثة قد قاموا فعلاً ببناء سور المدينة واعماره كل ضمن الفترة التي تولى فيها امارتها، لاسيما وان المنطقة كانت في ذلك الوقت معرضة دائماً لأعمال التمرد والعصيان، واستفحال الحركات "الخارجية" وقد بقي السور الأموي للمدينة قائماً الى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، فقد أمر بهدمه سنة ١٨٠ هـ/ ٧٩٦م اثر تحرك جماعة من أهل الموصل عليه بقيادة العطاف بن سفيان الأزدي[١٩١].

٣- انشاء الجسر:-

أقام الأمويون أول جسر للمدينة بعد تحريرها، ليصل بينها وبين الجانب الشرقي، اي نينوى. فقد رأى مروان بن محمد أن السفن لاتكفي للربط بين الجانبين نتيجة توسع المدينة وازدياد عدد سكانها في العصر الأموي، فنصب عليها جسراً متحركاً، يتكون من مجموعة كبيرة من السفن المربوطة بعضها ببعض[١٩٢]. وقد أشار الأزدي[١٩٣] الى هذا الجسر، وكيف ان اهل الموصل كانوا يقطعونه، فيحولونه الى الساحل الغربي من دجلة اذا أرادوا منع أحد من دخول المدينة. وكان للجسر باب يغلق عند الحاجة، وهو في الجهة الغربية منه، ويُشرف عليه من يوثق بصدقه وأمانته. أما موقع هذا الجسر فكان كما يرى أحد المحدثين، في محل الجسر القديم الذي يصل بين القناطر وساحة باب الجسر[١٩٤].

٤- حفر نهر الحر أو النهر المكشوف:

لاحظ أحد ولاة الموصل، وهو الحر بن يوسف الأموي، معاناة أهل المدينة نتيجة لبعد مجرى نهر دجلة عنها. فكتب الى الخليفة هشام ابن عبدالملك يستأذنه في حفر مجرى جديد للنهر، فوافق الخليفة على ذلك. وابتدأ العمل في المشروع سنة ١٠٨ هـ/ ٧٢٦م «حيث جمع الحر الصناع وأهل الهندسة لحفر النهر، واتخذ له الآلات»[١٩٥]. وبلغ عدد العاملين في هذا المشروع، فضلاً عن الصناع والمهندسين، نحو خمسة آلاف رجل، واستمر العمل فيه الى سنة ١٢١ هـ/ ٧٣٨م. ولم يرسل الحر بن يوسف، ولا العامل الذي اعقبه بعد وفاته، وهو الوليد بن تليد العبسي، اية مبالغ الى الخلافة، بل صُرفت واردات المدينة وما يتبعها من مناطق الجزيرة على هذا المشروع الضخم الذي كلف نحو ثمانية ملايين درهم[١٩٦].

وقد أقيمت الطواحين المتعددة على هذا النهر، وذلك بأمر من الخليفة هشام، فنصبت ثماني عشرة رحىً. ويصف الأزدي كيفية وزن سرعة جريان الماء الى الطواحين بقوله: «... وأنهم وزنوا الماء من فوهة النهر، وطرحوا لكل رجل علامة قد عملوها- ويقال جوزة- وقعدوا في زورق في جوف النهر والعلامات تسير بين أيديهم حتى خرجوا الى آخر النهر، فجاءت كل علامة- ويقال جوزة- الى الرحى التي عملت لها حتى دخلت في سيب الرحا»[١٩٧]. وقد عُرفت هذه الطواحين بالعروب، وهي عبارة عن عربة من الخشب

والحديد، تنصب على ظهر سفينة، وتوثق بالسلاسل الحديدية لئلا يجرفها التيار، وتضم أربعة أحجار[١٩٨]. وكانت هذه الأحجار تجلب من آمد بالجزيرة[١٩٩]، ومن ناحية بَسُومَة الواقعة الى الشرق من الموصل[٢٠٠].

ب- الأبنية الخاصة :

بنى بعض الأمراء الأمويين قصوراً لسكناهم في الموصل، ومن هؤلاء، هشام بن عبدالملك، الذي استقر في الموصل لحقبة من الزمن، ربما في اثناء ولاية اخيه سعيد بن عبدالملك، أو عمه محمد ابن مروان. وكان قصر هشام مبنياً من اللبن والطين[٢٠١]، ويقع الى الجنوب من الموصل في أرض واسعة بالقرب من دجلة، وتعرف بالجزيرة. وقد اشترى هشام هذه الأرض من بني بريضة الأزديين بسبعين الف درهم، وغرس فيها الأشجار والنخيل، فكانت كأحسن مايُرى[٢٠٢].

ومن الأبنية الأخرى المشهورة في الموصل دار الحر بن يوسف، التي تسمى بالمنقوشة، نظراً لكثرة زخارفها، حيث كانت مزينة بالفصوص الملونة، والفسافس، والساج المزخرف[٢٠٣]. وقد ابتدأ الحر ببناء هذه الدار فور وصوله الى الموصل، وسكنها بعد انتهاء العمل فيها، فأصبحت مقراً لإقامته، وداراً للامارة في الوقت نفسه[٢٠٤]. وكان موقع هذه الدار التي تشغل مساحة واسعة جداً يمتد من سوق القتابين الى الشارع المعروف بالشعارين الى سوق الأربعاء الى سوق الحشيش[٢٠٥]. واستمر آل الحر يسكنون في هذه الدار الى سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م، حيث صادرها الوالي العباسي اسماعيل بن علي[٢٠٦]. وقد ظلت آثار المنقوشة باقية الى أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حيث أشار اليها المؤرخ الموصلي المشهور ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) بقوله: «وأما الآن فهي خربة تجاور سوق الأربعاء»[٢٠٧].

وقد أنشئت في الموصل ايضاً أبنية اخرى، كالحمامات، والفنادق. وكان لبعض الامراء فنادق خاصة بهم، مثل الحر بن يوسف، الذي اشار الأزدي الى فنادقه في اثناء مصادرة العباسيين لها[٢٠٨]. ومن الفنادق التي ورد ذكرها في الموصل، الفندق المعروف بدار الحواكين في سوق الحشيش، الذي سكنت فيه اسرة الحر بن يوسف بعد مصادرة المنقوشة[٢٠٩]. أما الحمامات فكانت هي الأخرى متوافرة في الموصل، ولكن مع الأسف ليس لدينا سوى اشارة واحدة الى احدى هذه الحمامات، وهي المعروفة بحمام الجدالين، أو بحمام أمير المؤمنين. ويبدو أن الاسم الأخير قد أطلق عليه بسبب استحمام الخليفة مروان بن محمد فيه سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م[٢١٠].

وختاماً يمكن القول أن هذه المظاهر الحضارية التي أشرنا اليها في العهد الأموي ماهي الاّ بدايات لتطور حضاري متصل وشامل عُرفت به الموصل ومنطقتها. وقد استمر هذا التراث الحضاري في النمو والاتساع حتى ترسخت قواعده في العصور اللاحقة، لاسيما في العصر العباسي الذي سيكون موضوع المبحث الآتي.

« الهوامش »

(١) صورة الأرض، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩، ص١٩٤.
(٢) انظر: ابراهيم بن محمد الاصطخري، مسالك الممالك، طبعة ليدن، ١٩٢٧، ص٧٢- ٧٣.
(٣) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٤٣.
(٤) صورة الأرض، ص١٩٨.
(٥) المصدر نفسه، ص١٩٦- ١٩٧.
(٦) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ١/ ٣٢٤، ٣/ ٢٣٤.
(٧) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ١٧٢.
(٨) انظر: صورة الأرض، ص١٩٦، ٢٠٣- ٢٠٤، ٢٠٧، ابو عبدالله محمد الشافعي المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٩، ص١٤٥- ١٤٦، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٣٢.



(٩) صورة الأرض، ص١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠.
(١٠) أحسن التقاسيم، ص١٤١.
(١١) صورة الأرض، ص١٩٦؛ وانظر: فيصل السامر، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، بغداد: مطبعة الايمان، ١٩٧٠: ١/ ١٤٤.
(١٢) صورة الأرض، ص١٩٦؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، القاهرة، ١٩٦٨، ص٤٠؛ كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة: بدرالدين القاسم، بيروت، ١٩٧٢: ١/ ٣١٠.
(١٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٧٧ – ١٧٨؛ وانظر ايضاً صورة الأرض، ص٢٠٢.
(١٤) المصدر نفسه، ص٢٠٥.
(١٥) انظر: معجم البلدان: ٥/ ٤٠٣، ٤٠٥؛ السامر، الدولة الحمدانية: ١/ ٢٠٠؛ حمادي، الجزيرة الفراتية والموصل، ص٢١٨.
(١٦) معجم البلدان: ٤/ ٤١٩.
(١٧) المصدر نفسه: ٢/ ٢٢.
(١٨) المصدر نفسه: ٢/ ٤٩٨.
(١٩) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٣٤.
(٢٠) صورة الأرض ٢٠١.
(٢١) المصدر نفسه، ص١٩٤؛ وانظر: السامر، الدولة الحمدانية؛ وللاطلاع على المزيد من المعلومات عن المعادن والصناعات، راجع: السلمان، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، ص١١٠ – ١١٦.
(٢٢) معجم البلدان: ٥/ ٢٢٣.
(٢٣) فتحي عثمان، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٦: ١/ ١٤٢.
(٢٤) انظر: حمادي، الجزيرة الفراتية والموصل، ص٢٢٧ – ٢٢٨.
(٢٥) اليعقوبي، كتاب البلدان، منشور مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رستة، ليدن، ١٨٩٢، ص٢٣٧؛ وانظر: احسن التقاسيم، ص١٢٠.
(٢٦) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، التبصر بالتجارة، تحقيق: حسن حسني عبدالوهاب، مصر، ١٩٣٥، ص٣٣؛ قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص١٧٦؛ صورة الأرض، ص٢٠١.
(٢٧) أحسن التقاسيم، ص١٤٥.
(٢٨) قارن: السلمان، الموصل في العهدين، ص١٢٢.
(٢٩) عبدالعزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بغداد: مطبعة المعارف ١٩٤٨، ص١٨١، ١٩٥.
(٣٠) ابو يوسف، الخراج، ص٤٣.
(٣١) المصدر نفسه، ص٤٣ – ٤٤.
(٣٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٣.
(٣٣) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص١٧٥؛ ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة، المسالك والممالك، نشر: دي غوية، ليدن، ١٨٨٩، ص٩٤؛ الأزدي: ٢/ ٢٨٧؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٣١؛ وقارن: السلمان، الموصل في العهدين، ص١٣٠ – ١٣١.
(٣٤) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٢٧، ٢٩.
(٣٥) المصدر نفسه: ٢/ ٤٣.
(٣٦) صورة الأرض، ص١٩٨.
(٣٧) انظر: لسي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، بغداد، ١٩٥٤، ص١١٤.
(٣٨) الطبري: ١/ ٢٤٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢/ ٥٢٣ – ٥٢٤.
(٣٩) سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، مصر: المطبعة السلفية، ١٩٢٣: ١/ ٥١ – ٥٢.
(٤٠) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٤٠١.
(٤١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٠٠؛ وانظر: الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٢٢٧.
(٤٢) المعارف، ص٩٣.
(٤٣) التاريخ: ٢/ ٢٧٢.
(٤٤) الصائغ، تاريخ الموصل: ١/ ٥١ – ٥٢؛ وانظر: السامر، الدولة الحمدانية: ١/ ١٧٢ – ١٧٣.
(٤٥) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ١١٣.
(٤٦) المصدر نفسه: ٢/ ٧٧ – ٧٨.
(٤٧) المصدر نفسه: ٢/ ٨١ – ٨٢.
(٤٨) المصدر نفسه: ٢/ ٩٠ – ٩١.
(٤٩) المصدر نفسه: ٢/ ٩١.
(٥٠) المصدر نفسه: ٢/ ٩١.
(٥١) المصدر نفسه: ٢/ ٩٢.
(٥٢) المصدر نفسه: ٢/ ٩٢.
(٥٣) المصدر نفسه: ٢/ ٩٣، ١٤٧، ٣١٢.
(٥٤) المصدر نفسه: ٢/ ١٧٢.
(٥٥) المصدر نفسه: ٢/ ١٦٤.
(٥٦) انظر: ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٨، ص٥١٠؛ صالح احمد العلي، امتداد العرب في صدر الاسلام، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨١، ص١٠١.
(٥٧) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ١٥٣.
(٥٨) المصدر نفسه: ٢/ ١٥٣؛ وانظر: العلي، امتداد العرب في صدر الاسلام، ص١٠٤.
(٥٩) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٩٤.
(٦٠) المصدر نفسه: ٢/ ٩٤ – ٩٥.
(٦١) المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٣، ٢٠٥.
(٦٢) المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٥ – ٢٠٦.
(٦٣) المصدر نفسه: ٢/ ٩٥ – ٩٦.
(٦٤) المصدر نفسه: ٢/ ٣١٣؛ وانظر ايضاً العلي، امتداد العرب في صدر الاسلام، ص١٠٢ – ١٠٤، ١٠٦؛ حمادي، الجزيرة الفراتية والموصل ص١٦٤ – ١٦٦.

(٦٥) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٦٨ .

(٦٦) البلاذري ، انساب الأشراف ، تحقيق : محمد حميدالله ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٩ : ١/ ٤٤ ، ٤٥ .

(٦٧) انظر : المبحث الخاص بهذه الحركات .

(٦٨) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٧٦ .

(٦٩) المصدر نفسه : ٢/ ١٤٦ ، ١٥٣ .

(٧٠) المصدر نفسه : ٢/ ١٤٧ .

(٧١) المصدر نفسه : ٢/ ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٣ .

(٧٢) المصدر نفسه : ٢/ ١٤٧ .

(٧٣) الصائغ ، تاريخ الموصل : ١/ ٥٢ .

(٧٤) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٢٠٤ .

(٧٥) المصدر نفسه : ٢/ ١٥٣ .

(٧٦) المصدر نفسه : ٢/ ١٤٧ .

(٧٧) الاشتقاق ، ص٢٥٨ .

(٧٨) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١٤٩ .

(٧٩) المصدر نفسه : ٢/ ٢٧ .

(٨٠) المصدر نفسه : ٢/ ٢٠٤ .

(٨١) المصدر نفسه : ٢/ ١٢٦ .

(٨٢) المصدر نفسه : ٢/ ١٤٨ ، وانظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥/ ٤٤٤ .

(٨٣) الأزدي : تاريخ الموصل : ٢/ ١٥١ .

(٨٤) انظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٩٥ ؛ وقارن : الصائغ ، تاريخ الموصل : ١/ ٩١ .

(٨٤أ) صورة الأرض ، ص١٩٥ ، ١٩٦ .

(٨٤ب) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٢٧ .

(٨٥) تاريخ الموصل : ١/ ٩٠ ؛ وانظر ايضاً : ٢/ ١٩ (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٩) .

(٨٦) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ط٨ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص١٨٢ .

(٨٧) المرجع نفسه ، ص١٦٥ .

(٨٨) انظر : ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ؛ ٦/ ١٥٥ .

(٨٩) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١٥١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥/ ٤٤٤ .

(٩٠) المصدر نفسه : ٢/ ١٩٩ ، ٢١٦ .

(٩١) المصدر نفسه : ٢/ ١٧٣ ، ١٨١ .

(٩٢) المصدر نفسه : ٢/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٩٣) المصدر نفسه : ٢/ ١٥١ .

(٩٤) المصدر نفسه : ٢/ ١٥٢ - ١٥٣ .

(٩٥) المصدر نفسه : ٢/ ٢٠٣ ، ٢١٧ .

(٩٦) المصدر نفسه : ٢/ ٢٩٥ ، وانظر : الطبري : ٢/ ٧٥٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٤/ ٢٧٥ .

(٩٧) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٧ ؛ الطبري : ٢/ ١٣٧٦ - ١٣٧٧ .

(٩٨) انظر : مصعب الزبيري ، كتاب نسب قريش ، ص١٧٢ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٢٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان : ٢/ ٧٨ .

(٩٩) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١١٠ .

(١٠٠) الصائغ ، تاريخ الموصل : ١/ ٥١ .

(١٠١) المرجع نفسه : ٢/ ١٢٦ .

(١٠٢) انظر : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة : عفيف بعلبكي ، ط٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٧ ، ص١٨٥ ؛ وقارن ايضاً : فجر الاسلام ، ص١٦٥ ؛ احمد الصوفي ، الآثار والمباني العربية الاسلامية في الموصل ، الموصل ، ١٩٤٠ ، ص١٢ - ١٣ ؛ وللمؤلف نفسه ايضاً : خطط الموصل ، الموصل ، ١٩٥٣ ، ص٢٧ .

(١٠٣) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٢٤ - ٢٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥/ ١٣٢ - ١٣٣ .

(١٠٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٢٧ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٢٩ ؛ قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص٣٨٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٦٤ .

(١٠٥) انظر : ياقوت ، معجم البلدان : ٥/ ٢٢٤ .

(١٠٦) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٢٤٨ .

(١٠٧) أحسن التقاسيم ، ص١٣٨ .

(١٠٨) انظر الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١٤٧ ، ١٥٩ ، ٢٤٨ ؛ وقارن : سعيد الديوه جي ، جوامع الموصل ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص٨ - ٩ ؛ السلمان ، الموصل في العهدين الراشدي والأموي ، ص٦٢ .

(١٠٩) رحلة ابن جبير ، بيروت : دار مكتبة الهلال ، ١٩٨١ ، ص١٨٩ .

(١١٠) انظر : الصوفي ، الآثار والمباني العربية الاسلامية في الموصل ، ص١٠ ؛ الديوه جي ، جوامع الموصل ، ص١٣ ، ١٦ .

(١١١) انظر : الصائغ : تاريخ الموصل : ١/ ٥١ .

(١١٢) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٦٨ .

(١١٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٢٨ ؛ ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ٦/ ١٥٥ - ١٥٦ ؛ الديوه جي ، بحث في تراث الموصل ، الموصل : المؤسسة العامة للآثار ، ١٩٨٢ ، ص١٠ .

(١١٤) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١١٣ .

(١١٥) احسن التقاسيم ، ص٢٧ .

(١١٦) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٨١ ؛ وانظر حاشية المحقق رقم (٢) .

(١١٧) المصدر نفسه : ٢/ ١٤٠ ، ١٤٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥/ ٤٥٠ .

(١١٨) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٢٢٥ - ٢٢٦ ؛ وانظر ايضاً : ابن خياط ، تاريخ : ٢/ ٤٦٤ .

(١١٩) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٩٢ .

(١٢٠) انظر : الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ٥٣ .

(١٢١) المرجع نفسه : ١/ ٥٣ .

(١٢٢) الأزدي ، تاريخ الموصل ٢/ ١٤٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥/ ٤٤٣ .

(١٢٣) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١٤٦ ؛ وانظر ايضاً :



الديوه جي ، بحث في تراث الموصل ،ص١١٧؛ الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ٥٠ .

(١٢٤) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٢٤٨ ، ٢٨٦ .

(١٢٥) الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ٥١ .

(١٢٦) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٢٤٨ .

(١٢٧) المصدر نفسه : ٢/ ٢٤ ؛ الكامل في التاريخ : ٥/ ١٣٣ ؛ كوركيس عواد ، مدينة الموصل ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص٢ . الصائغ ، تاريخ الموصل : ١/ ٦٤ .

(١٢٨) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٢٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥/ ١٣٣ .

(١٢٩) الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ٥١ ؛ السلمان ، الموصل في العهدين ، ص٨٠ .

(١٣٠) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١٥٧ ، ٢٢٩ ، ٢٥١ ، ٣٦٣ .

(١٣١) انظر : الصوفي ، خطط الموصل ، ص٣٢ ؛ الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ٥١ .

(١٣٢) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١٩٧ .

(١٣٣) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ٦/ ١٥٥- ١٥٦ .

(١٣٤) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٣٣ ؛ وقارن : الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ٥١ ؛ السلمان ، الموصل في العهدين ، ص٨٠- ٨١ .

(١٣٥) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٢٤ ؛ وانظر ايضاً : الصوفي ، خطط الموصل ، ص٣٠- ٣١ .

(١٣٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٣٨ .

(١٣٧) تاريخ الموصل : ١/ ٥١ ؛ وانظر ايضاً : عواد ، مدينة الموصل ، ص٣ .

(١٣٨) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص٥٠٧ .

(١٣٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٢٧ ؛ قدامة ، الخراج ، ص٣٨٢ . ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ص١٢٩ .

(١٤٠) انظر : الصوفي ، خطط الموصل ، ص٣٥ .

(١٤١) فتوح البلدان ، ص٣٢٧ ؛ قدامة ، الخراج ، ص٣٨٢ .

(١٤٢) انظر : الصوفي ، خطط الموصل ، ص٥١ ؛ الديوه جي ، قلعة الموصل في مختلف العصور ، مجلة سومر ، ج١ ، م١٠ ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص٣ ، وهامش (١٤) .

(١٤٣) الصائغ ، تاريخ الموصل : ١/ ٥٢ .

(١٤٤) الصوفي ، خطط الموصل ، ص٣٣ ؛ وانظر : الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ١٨١ .

(١٤٥) الصوفي ، خطط الموصل ، ص٣٤ ؛ وكذلك : الآثار والمباني الاسلامية في الموصل ، ص٥ ؛ الصائغ ، تاريخ الموصل : ١/ ٥١ .

(١٤٦) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٩٢ .

(١٤٧) المصدر نفسه : ٢/ ٦٨ .

(١٤٨) احسن التقاسيم ، ص٢٧ .

(١٤٩) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١٨١ ، ٢٨٦ .

(١٥٠) المصدر نفسه : ٢/ ٨١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان : ٢/ ٤٤٧ .

(١٥١) الصوفي ، خطط الموصل ، ص٣٤ .

(١٥٢) انظر : الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٨١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١١٣ ؛ وقارن : السلمان ، الموصل في العهدين ، ص٦٨ .

(١٥٣) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٩٣ ، ٣١٢ .

(١٥٤) الصائغ : تاريخ الموصل : ١/ ٥٢ .

(١٥٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٢٧- ٣٢٨ ؛ وانظر : قدامة ، الخراج ، ص٣٨٢ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٦٤ .

(١٥٦) انظر : أحسن التقاسيم ، ص١٣٨ ؛ ابو الحسن علي بن محمد الشابشتي ، الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص١٧٦ ؛ الديوه جي ، قلعة الموصل في مختلف العصور ، ص٨ .

(١٥٧) أحسن التقاسيم ، ص١٣٨ ؛ الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ١٨٠ .

(١٥٨) أحسن التقاسيم ، ص١٣٨ .

(١٥٩) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ١٧٢ .

(١٦٠) انظر : الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ١٨٠ ؛ السلمان ، الموصل في العهدين ، ص٧٢ .

(١٦١) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٣١٠ ؛ أحسن التقاسيم ، ص١٣٨ ؛ وقارن : السلمان ، الموصل في العهدين ، ص٧٢ .

(١٦٢) أحسن التقاسيم ، ص١٣٨ ؛ الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ١٨٠ .

(١٦٣) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٨١ .

(١٦٤) المصدر نفسه : ٢/ ٢٤٤ .

(١٦٥) الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ١٨١ .

(١٦٦) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٣٣٦ .

(١٦٧) أحسن التقاسيم ، ص١٣٨ .

(١٦٨) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٨١ ، ١١٣ .

(١٦٩) المصدر نفسه : ٢/ ٩١ ؛ وانظر : السلمان ، الموصل في العهدين ، ص٧٤ .

(١٧٠) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢/ ٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢- ١٥٣ ، ٢١٧ .

(١٧١) المصدر نفسه : ٢/ ١٤٧ .

(١٧٢) المصدر نفسه : ٢/ ٣١٢ .

(١٧٣) المصدر نفسه : ٢/ ٣٤٠ .

(١٧٤) المصدر نفسه : ٢/ ٢٤٤ .

(١٧٥) المصدر نفسه : ٢/ ٢٤ .

(١٧٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥/ ١٣٣ .

(١٧٧) سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص١٨٥ ؛ وانظر : الصوفي ، خطط الموصل ، ص٢٩ ؛ الآثار والمباني العربية الاسلامية في الموصل ، ص١٢ .

(١٧٨) الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١/ ٤٥ .

(١٧٩) فتوح البلدان ، ص٣٢٧ ؛ وانظر ايضاً : ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٢٩ .



(١٨٠) المصدر نفسه، ص٣٢٧؛ الصوفي، خطط الموصل، ص٥١.
(١٨١) انظر عنه: الشابشتي، الديارات، ص٣٩، ٤٠ (مقدمة المحقق)؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢/ ٥١٥؛ الديوه جي، تاريخ الموصل: ١/ ٢٣٩.
(١٨٢) الشابشتي، الديارات، ص١٧٦؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢/ ٤٩٨ - ٤٩٩. الديوه جي، تاريخ الموصل: ١/ ٢٣٨.
(١٨٣) ياقوت، معجم البلدان: ٢/ ٥٣٨؛ الديوه جي، تاريخ الموصل: ١/ ٢٤٠.
(١٨٤) الصوفي، خطط الموصل، ص٥٢.
(١٨٥) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ١٤٠؛ وانظر: الديوه جي، بحث في تراث الموصل، ص١١٧.
(١٨٦) تاريخ الموصل: ٢/ ١٤٧ - ١٤٨.
(١٨٧) المصدر نفسه: ٢/ ٢٤٨.
(١٨٨) انظر: فتوح البلدان (برواية الواقدي)، ص٣٢٨.
(١٨٩) تاريخ الموصل: ٢/ ٢٥.
(١٩٠) معجم البلدان: ٥/ ٢٢٣.
(١٩١) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٢٨٥؛ وقارن: الديوه جي، بحث في تراث الموصل، ص١١ - ١٢؛ السلمان، الموصل في العهدين، ص٨٤ - ٨٧.
(١٩٢) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٥/ ٢٢٣؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١١٥.
(١٩٣) تاريخ الموصل: ٢/ ٧٠، ٧٥.
(١٩٤) الديوه جي، بحث في تراث الموصل، ص٤٧.
(١٩٥) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٢٦، ٢٧، ٢٨.
(١٩٦) المصدر نفسه: ٢/ ٢٩، ٣٢، ٣٥، ٤٣. وقد ذكر الأزدي، ان المبلغ الذي انفق على حفر النهر هو ثمانية آلاف ألف درهم، واغلب الظن ان الألف الأخيرة زائدة، والمبلغ هو ثمانية ملايين درهم فقط، كما أشار الى ذلك ابن الأثير، انظر: الكامل في التاريخ: ٥/ ٢٤١.
(١٩٧) تاريخ الموصل: ٢/ ٣٦، ٤٣.
(١٩٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٩٨.
(١٩٩) المصدر نفسه، ص٢٠١.
(٢٠٠) ياقوت، معجم البلدان: ١/ ٤٢٣.
(٢٠١) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٢٤، ١٥٨.
(٢٠٢) المصدر نفسه: ٢/ ١٧٢.
(٢٠٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٤ - ٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥/ ١٣٢؛ وانظر ايضاً: سيدامير علي، مختصر تاريخ العرب، ص١٨٥؛ الصوفي، الآثار والمباني الاسلامية في الموصل، ص١٢ - ١٤.
(٢٠٤) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٢٦، ٢٧.
(٢٠٥) المصدر نفسه: ٢/ ٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥/ ١٣٣.
(٢٠٦) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ١٥٦، ١٥٧.
(٢٠٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥/ ١٣٣.
(٢٠٨) تاريخ الموصل: ٢/ ١٥٦.
(٢٠٩) المصدر نفسه: ٢/ ١٥٧.
(٢١٠) المصدر نفسه: ٢/ ٧٥.

الموصل إبان الحكم العباسي المباشر

١٣٢ - ٢٩٣ هـ / ٧٤٩ - ٩٠٥ م

أ.د. فاروق عمر فوزي

لقد كان اقليم الجزيرة الفراتية ومن ضمنها مدينة الموصل في حالة من الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار في اواخر عهد الامويين. وقد شاركت القبائل الموصلية في الصراع ضد خلافة مروان بسبب سياسته القبلية التي تعصبت للقبائل القيسية على حساب القبائل اليمانية. ورغم ان الكثير من شيوخ القبائل وزعمائها في الموصل واطرافها لم يكونوا خوارج في عقيدتهم فانهم انضموا الى الحركات الخارجية كحركة الضحاك الخيبري ١٢٨ هـ/ ٧٤٦م وشيبان اليشكري ١٢٨ هـ/ ٧٤٦م ضد مروان. واكثر من ذلك فقد اشترك الخوارج من أهل الموصل في حركة خارجية ضد الامويين خارج اقليم الجزيرة فقد اشترك بعض شيوخ القبائل الموصلية مع ابي حمزة الخارجي حين ثار في اليمن وقاتلوا معه في «موقعة قدير» بالمدينة سنة ١٣٠ هـ/ سنة ٧٤٧/ سنة ٧٤٨م[1] وحين قامت



الثورة العباسية على اكتاف القبائل اليمانية والربعية بخاصة مبتدئة في خراسان ثم شملت بقية الاقاليم حيث دخلت الشيعة العباسية الكوفة سنة ١٣٢ هـ / سنة ٧٤٩ م حيث بويع العباس خليفة للدولة الجديدة[٢] . كان اول عمل واجهته الدولة الجديدة هو مجابهة مروان بن محمد[٣] الذي خندق في موقع حصين قرب الزاب الكبير حيث حدثت معركة كشاف[٤] التي دامت عشرة ايام ارتكب اثناءها مروان الاموي خطأً استراتيجياً وذلك بعبوره الى الساحل الايسر من الزاب وفقد بذلك موقعه العسكري الحصين مما ادى الى اندحاره في المعركة واضطراره الى الانسحاب باتجاه الموصل التي كان قد اتخذها قاعدة له وخلفت فيها بيت المال والخزائن. ولكن عامل الموصل وقبائلها لم يفتحوا له ابواب المدينة منكرين عليه الهرب مدعين ان الخليفة مروان لا يهرب وانه ليس بمروان الذي يعرفونه. مما اضطر مروان الى الانسحاب باتجاه حران ثم الشام[٥] .

ولم يستطع مروان ان يبقى في دمشق طويلاً حيث انقسم اهلها بين مؤيد ومعارض له فترك المدينة متجهاً نحو فلسطين ثم مصر. وكانت الشيعة العباسية تتبعه بقيادة عبد الصمد بن علي عم الخليفة الذي كان على مقدمته عامر بن اسماعيل المسلي الموصلي مع كتيبة من الخيالة تسمى «الموصلية». وقد فاجأ عامر الموصلي مروان الاموي وهو مختبئ باحدى الكنائس في بوصير بصعيد مصر وقتله في تموز سنة ٧٥٠ م / ١٣٣ هـ[٦] . اما ابنا مروان عبدالله وعبيدالله فقد هربا الى بلاد النوبة جنوبي مصر.

لقد نهضت الفرسان الموصلية وعلى رأسها المسلي بدور بارز في انهاء حكم مروان. وقد فتحت مدينة الموصل، التي امتنعت عن ايواء مروان. فتحت ابوابها للشيعة العباسية بقيادة عبدالله بن علي العباسي واستقبلوهم بالتهليل والترحيب ولبس هشام بن عمرو الزهيري والي الموصل السواد شعار العباسيين للدلالة على ولائهم للدولة الجديدة، وتسلم عبدالله بن علي خزائن مروان وامواله وامتعته[٧] .

ولعل السبب الاول الذي دفع الموصل لهذا الموقف العدائي من مروان هو سياسته القبلية المنحازة الى القيسية. فقد اعتمد مروان على زعماء القيسية في المهام الادارية والعسكرية مما اثار عليه اليمانية ودفعهم للعمل ضده. الا ان كراهية اليمانية لمروان لا تعني عداءهم للخلافة الاموية ككل. فالمعروف ان القبائل اليمانية في بلاد الشام كانت الدعامة القوية للسلطة الاموية عند تأسيسها. فاليمانيون في الشام والجزيرة كانوا يريدون التخلص من مروان ولا يهدفون الى تقويض الخلافة الاموية. والجدير بالذكر ان اليمانية كانوا في تلك الفترة يكونون غالبية سكان مدينة الموصل ذاتها.

أما السبب الثاني لمعارضة اهل الموصل لسياسة مروان فهو الحروب العنيفة التي خاضها مروان في اواخر سني خلافته ضد الخوارج. وقد تركت تلك الحروب وما رافقها من فوضى وعدم استقرار آثارها السيئة سياسياً واقتصادياً على المدينة واهلها الذين عاشوا في قلق دائم على انفسهم وموارد عيشهم وتجارتهم.

وربما اضفنا سبباً ثالثاً كان له - ولا يزال - دور فعال في المعترك السياسي بين المحاور والتكتلات المتنافسة على السلطة الا وهو «تبديل الولاء». فالكثير من شيوخ القبائل ممن كانوا يدينون بالولاء للامويين ادركوا بأن كيان الامويين اصبح من الهزالة والتدهور بحيث قويت الاعتقادات بزواله لا محالة، فكان من المناسب لهم ان لا يؤيدوا سلطة زائلة ضد سلطة قوية جديدة. وعلى حد قول احدهم ان دولة الامويين دولة مدبرة بينما امر العباسيين مقبل يبشر بالخير العميم[٨] وقد فسر اسحق العقيلي وهو احد الشخصيات الجزرية



البارزة انهيار الامويين السريع بقوله للمنصور:

«ان امركم جديد والناس بين راج وهايب»[٩] .

كما برز زياد بن صالح الحارثي عدم دفاعه عن الامويين بقوله انه لا يرى لماذا يقف مدافعاً ومعرضاً نفسه للمخاطر من اجل سلطة ضعيفة متهاوية[١٠]

وبعد قيام الخلافة العباسية بقيت كل من الجزيرة والشام موضعاً للاضطرابات ومستودعاً للقلاقل المعادية للعباسيين. ومن اجل الحد من ذلك اتبع العباسيون اجراءات متنوعة منها :[١١]

اولاً- تعيين ولاة قديرين اغلبهم من رجال الدعوة العباسية او من البيت العباسي وارسال كتائب من الشيعة الخراسانية للمرابطة في الموصل او حران او دمشق وغيرها.

ثانياً- محاولة كسب ود القبائل الجزرية والشامية وذلك باصطناع شيوخها واكرامهم وتعيين بعضهم «صحابة» للخليفة في البلاط العباسي. كما حدث مثلاً لاسحق بن مسلم العقيلي.

ثالثاً- قيام الخلفاء العباسيين كالمنصور والمهدي والهادي والرشيد والمأمون بعدة زيارات للتحري عن احوال الاقليمين والتعرف على قبائلها.

رابعاً- انشاء قلاع وحصون عسكرية في مدن مختلفة كالموصل وحران وقنسرين. وبناء مدن جديدة في مواقع استراتيجية كالرافقة لامكان السيطرة على هذه المنطقة.

ثورة الموصل ١٣٣ هـ/ ٧٥٠م :

كان محمد بن صول اول وال للعباسيين على الموصل، ولكنه لم يكن عربياً بل مولى لقبيلة خثعم ولذلك امتعض شيوخ القبائل ولم يرضوا بهذا الاختيار. فالامويون عودوهم بان يكون واليهم اما من رجال العرب البارزين او من البيت الاموي. فاستغربوا متسائلين :

أيلي علينا مولى خثعم؟؟!![١٢] .

ولم يستطع الخليفة ابو العباس ان يعالج الامر بحكمة فعلى الرغم من انه استجاب لرغبة اهل الموصل فعين اخاه يحيي بن محمد العباسي لولاية المدينة فانه أبقى ابن صول قائداً عسكرياً لرابطة الموصل.

يقول الازدي[١٣] : «وكان محمد بن صول والياً قبله (يحيي) عليها فاقام معه، وقدم الموصل ومعه ١٢ الف فارس وراجل، بينهم ٤ آلاف من الزنوج[١٤]، فنزل قصر الامارة الملاصقة للمسجد الجامع وأمر محمد بن صول فنزل قصر الحر بن يوسف وهو المنقوشة ونهاه عن النزول في نفس المدينة ودخول سورها».

لقد كان ارسال يحيي بن محمد من الاجراءات الخاطئة التي قام بها الخليفة ذلك لان يحيي لم يكن بالرجل السياسي أو الاداري الكفء، بل لم يكن معروفاً بالحصافة او الشعور بالمسؤولية، وتشير رواية تاريخية[١٥] ان يحيي هذا كان قد هدد اخاه ابراهيم الامام في فترة الدعوة السرية باخبار السلطات الاموية عن التنظيم السري للعباسيين اذا ما طل ابراهيم او تأخر في اعطائه ما يحتاجه من مال. كما وان ابراهيم الامام حذر شيعته من الاتصال بيحيي.

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان السماح ببقاء الوالي القديم محمد بن صول قائداً لحامية المدينة ادى الى تعقد الموقف وتطوره نحو الأسوأ. فان ابن صول الموتور اضمر شعوراً بالكراهية ورغبة في الانتقام من اهل الموصل الذين رفضوه وبدأ يحرض يحيي على اعتقال او ابعاد رجالات الموصل البارزين متهماً اياهم بالولاء للامويين والشغب.

والمعروف ان ابن صول كان قد اعتقل عدداً من مشايخ الموصل ثم قتلهم وتمادى في ذلك حين حرض الوالي الجديد على اعتقال عدد اخر مما ادى الى حدوث الاضطرابات، فاستنكر ذلك الوالي



وأمر ابن صول بأن يضع السيف في الناس. فاغتنم ابن صول الفرصة الذهبية وفتك بالكثير من اهالي الموصل الذين دخلوا منازلهم وتحصنوا بها.

لقد حاول المؤرخون الاوائل ان يفسروا اسباب النفور بين الموصل والعباسيين وان يضعوا تبريرات للموقف الجديد الذي اتخذته الموصل ولعلنا نستطيع حصر هذه الاسباب بما يأتي:

١- عرفت بعض قبائل الموصل بميولها الاموية ورغم معارضتهم لسياسة مروان المبنية على العصبية القبلية فانهم ظلوا موالين للامويين ودولتهم.
وتشير رواية الى ذلك فتقول «سبب قتلهم ميلهم الى بني أمية»[١٦]. وكذلك «وكان في اهل الموصل اذ ذاك عز ومنعة وكان البلد امويا»[١٧]. وفي رواية اخرى «كان اكبر الامر في قتل يحيى بن محمد أهل الموصل ميلهم الى بني أمية وكراهيتهم لبني العباس»[١٨].

٢- لقد طغت العقيدة الخارجية على قبائل الجزيرة بل انها أصبحت رمزاً لمعارضة الامويين في اواخر عهدهم، وأصبح الثوار يدعون للمذهب الخارجي أو يجعلونه رمزاً لحركاتهم سواء آمنوا به ام لم يؤمنوا به. ومع ذلك فقد وصفت بعض قبائل الموصل بنزعتها الخارجية كما كانت الموصل مركزاً انبعث منه بعض الحركات الخارجية في القرن الاول وبداية الثاني الهجريين. وتصف رواية للبلاذري[١٩] أهل الموصل بأنهم ثلاثة قطاعات اجتماعية:
أما تجار يمتهنون البيع والشراء او خوارج ديدنهم التمرد على السلطة او لصوص يسرقون وينهبون. اما التجار فيرغبون بالامن والاستقرار لانها مفتاح انتعاش تجارتهم، واما الخوارج فيهدفون الى معارضة السلطة بأية وسيلة كانت، واما اللصوص فلا ينتفعون الا بالفوضى وفقدان الامن.

٣- لم يكن من طبيعة القبيلة ان تذعن لسلطة مركزية تقيدها وتنظمها فلكل قبيلة شيخها تأتمر بأمره ولم تنته هذه الميول بعد الاسلام بل كانت تظهر قوية في فترات الازمات الحادة.
ولم تكن القبائل الموصلية بأحسن حالاً من غيرها بل ربما كانت اعنف من غيرها وخاصة في اواخر العصر الاموي واوائل العصر العباسي ويسمى البلاذري اهل الموصل «خزر العرب»[٢٠] وذلك لصلابتهم وليدلل على ميلهم للتمرد على السلطة أيا كان نوعها.

٤- ويرد السبب الشخصي الذي حمل ابن صول على تأليب الوالي الجديد على الموصليين في بعض الروايات. فقد كان أهل الموصل أهل عز ومنعة ويفخرون بكونهم فرسان العرب وصناديدها، ولذلك رفضوا ابن صول والياً عليهم فحقد عليهم ووجد في شخصية يحيى بن محمد الضعيفة متنفسه فأقنعه بتآمرهم على السلطة وميولهم الاموية وقرر يحيى ان «يتغدى بأهل الموصل قبل ان يتعشوا فيه». وتشير رواية في الازدي ان يحيى العباسي:[٢١].

«خاف وثوب أهل الموصل به فقال لابن صول: اني لا آمن وثبة أهل الموصل فلو بادرناهم فذاك الصواب فوجه الى وجوه منهم على جهة البر والتكرمة فاذا حصلوا في يدك فاقتلهم.

على اننا لا نستطيع ان نجزم بأن سبباً واحداً من هذه الاسباب كان الدافع الاول والاهم الذي عكر صفو العلاقات بين الوالي الجديد واهل الموصل. صحيح ان الجزيرة عامة وصفت بأنها حرورية ولكن الموصل في القرنين الاولين للهجرة لم تنعت بكونها خارجية رغم انها حاربت مع الخوارج بعناد ضد مروان حتى حلف بقتل اهلها جميعاً[٢٢]



والمعروف ان المجتمع الموصلي مجتمع عربي عريق يتكون من قطاعات قبلية مختلفة منها اليمانية ومنها الربعية ومنها المضرية . وكان لكل قطاع ولاء يختلف عن الاخر ولا شك فان بعضها كان اموياً او خارجياً او عباسياً او حيادياً لا ولاء له . وقد ضمرت هذه الميول في فترة الثورة العباسية ، وهي فترة ترقب تثار فيها الامال والاماني ، لكنها ما لبثت ان ظهرت بعد فترة وجيزة من تأسيس الدولة العباسية وكان المتنفس الاول لها هو الخلاف حول شخصية الوالي الجديد ابن صول . وحين قرر الوالي الثاني يحيي العباسي اعتقال بعض رجالات الموصل واتفق مع ابن صول على قتل بعضهم من اجل تخويف الاخرين حدث الانفجار المتوقع فكانت ثورة الموصل واصطدم الناس بالخراسانية في الشوارع حيث تشير رواية الى ان ابن صول «واثب الناس بالسيف فحاربوه»[٢٣] .

وعلى الرغم من ان عدداً من المؤرخين يتفقون على ان السبب المباشر للاضطرابات وقتال الشوارع كان اراقة أمرأة موصلية ماءً قذراً على جندي خراساني فظن أنها فعلت ذلك متعمدة فهاجم هو وأصحابه الدار وقتلوا من فيها فنفر الناس من ذلك ، «وجر ذلك الى ما فعل يحيي بن محمد»[٢٤] . فاننا نعتقد بأن الاسباب المباشرة للحروب والانتفاضات غالباً ما تكون على هذا النمط الاعتباطي البسيط الا أن الاسباب الحقيقية تكون اعمق من ذلك وتكمن في حالة القلق والتأزم وعدم الأطمئنان على المصير التي عاشها اهل الموصل بعد اعتقال زعمائهم ومقتل بعضهم في سجن ابن صول وبتأييد من الوالي العباسي . فكان ما فعلته المرأة الموصلية ، ان صحت الرواية ، «القشة التي قصمت ظهر الجمل» .

وقد اتخذ الناس حاراتهم وبيوتهم اماكن يتحصنون فيها في اثناء القتال حتى أمر يحيي العباسي بالامان فنودي «من دخل المسجد فهو آمن بامان الله»[٢٥] . وما أن دخل الرجال الى المسجد الجامع حتى احاطت الجند بالمسجد وأمر ابن صول بقتلهم . وكان اول من قتل معروف العابد وابنه ثم قتل بعدهما ابان أمام المسجد . وتختلف الروايات في ذكر عدد القتلى ، فتشير رواية للازدي انهم ١١ الفا ممن له خاتم وممن لا خاتم له خلق كثير . ويقول اليعقوبي[٢٦] ان القتلى كانوا ١٨ الفا من صلب العرب غير الموالي والعبيد . ويؤكد ابن الاثير[٢٧] ان المجزرة شملت كل رجالات اهل الموصل ممن يأخذ العطاء . وتقول بعض الروايات[٢٨] ان الجند لم يفرقوا بين رجل وامرأة وصبي . وعلى ذلك فان عدد القتلى يتراوح بين ١٠ — ١٨ الفا على تباين الروايات والمبالغة التي فيها .

ويفصل الازدي في احداث المجزرة ويذكر مشاهير القتلى واشعاراً في رثائهم ويسمي الحادثة بالملحمة ليدلل على كثرة القتل ، كما ينعت القتلى بالشهداء . والجدير بالذكر ان بعضهم افلت من المجزرة ثم اعطوا الامان ثانية وغدر بهم بعد ذلك . ويظهر من روايات الازدي ان اغلب القتلى من اليمانية تلك القبائل التي طبعت الموصل بطابعها واثرت في سلوكها السياسي[٢٩] . ويندد الازدي بالعباسيين وبسياستهم تجاه الموصل فيقول على لسان عويمر الاعرابي :

«كـذب والـلـه مـن زعـم ان هـؤلاء مسلمون ! ! »[٣٠] .

ويروي حوادث مثيرة لاعمال تدل على العنف والقسوة التي عامل بها الخراسانية اهل الموصل حيث تركت الموصل عرضة للسلب والنهب والقتل ويشير اليعقوبي الى ذلك بقوله :

«أن دماء اهالي الموصل اختلطت بنهر دجلة ! ! ! »[٣١] .

ان انتفاضة الموصل التي بدأت سخطاً ضد اجراءات الوالي تطورت الى حركة مسلحة ضد السلطة العباسية . ويصعب علينا معرفة الصيغة



الحقيقية للعناصر التي اشتركت فيها والتي كانت يمانية في غالبيتها. ولعلنا نستطيع القول بان الضرورات السياسية الآنية والامزجة الشخصية للمتنفذين من شيوخ العشائر والشرفاء والمقدمين كان لها دورها في تقرير موقف هذه القبيلة او تلك من الوالي العباسي او من زعماء الانتفاضة.

ان الذي يؤيد ما ذكرناه من ان الثورة لم يكن لها لون عقائدي او سياسي واضح ما ذكره الخليفة ابو العباس حين سئل عن سبب ما حدث في الموصل فاجاب بانه لا يدري[٣٢]. وبقيت هذه المجزرة لغزاً غامضاً لفترة طويلة حيث تشير رواية الى ان الخليفة المعتضد سأل عن سبب قتل أهل الموصل سنة ٢٨٦ هـ، سنة ٨٩٩ وكان في طريقه الى آمد ولكنه لم يعثر على جواب شاف لذلك.

على ان الخليفة ابا العباس عزل اخاه يحيى عن ولاية الموصل «لقتله اهلها وسوء اثره فيها»[٣٣] وفي ذلك اعتراف من السلطة العباسية بسوء ادارته وادانة له على اعماله. واكد الوالي الجديد اسماعيل إبن علي العباسي عم الخليفة نفس الموقف حين خطب بالناس واعدا اياهم بحسن السيرة والعدل:

«يا اهل الموصل انا ارد عليكم المظالم واعطيكم ديات من قتل يحيى منكم»[٣٤] وكتب الى الخليفة يشرح له خراب البلد وسوء حالتها فأجابه «ارفق بالناس وتألفهم»، ولكن الخليفة لم يعاقب يحيى بل اكتفى بعزله وكذلك ابعد ابن صول[٣٥].

اما نتائج المجزرة الاقتصادية والاجتماعية فكانت شديدة الوقع على أهل الموصل فقد قتل آلاف الرجال تاركين وراءهم عوائلهم، كما وان «اسواق الموصل لم تعمر ثلاث سنين بعد قتل اهل الموصل» وفي رواية اخرى «والموصل مضطربة واعمالها منتقضة وعمارتها ناقصة»[٣٦] وقد قامت السلطة العباسية بعدد من الاجراءات هدفها اعادة الاستقرار والازدهار الاقتصادي للمدينة منها:

١- توزيع الديات على عوائل القتلى، وفي هذا الاجراء اعتراف واضح وضمني بمسؤولية السلطة وبأن يحيى قتل الناس ظلماً وعدواناً وعلى غير وجه شرعي.

٢- اقطع الخليفة ابو العباس عدداً من مشايخ الموصل اقطاعات، اعترافاً من العباسيين بدورهم في تعقب مروان وقتله، وفي رواية «ان وائل بن الشحاج واخوته قد صعدوا مع عبدالله بن علي في طلب مروان سنة ١٣٢ هـ». وحين وصل مروان بوصير «تبعه الحارثي اسماعيل وشعبة بن كثير المازني ومعهما خيل اهل الموصل فقتلوه بها». كما قام المنصور باقطاع وائل بقية القطيعة. ويذكر الازدي نص الكتاب الذي اصدره الخليفة في هذا الشأن[٣٧].

٣- زار ابو جعفر (المنصور) والي الجزيرة، وكانت الموصل تابعة لها، مدينة الموصل، وبقي بها وانحدر الى الهاشمية ليلتقي بالخليفة ابي العباس.

٤- قام الوالي الجديد باستئصال ما بقي من الامويين، حيث قتل زعيمهم يحيى بن الحر ابن يوسف بن الحكم الذي كان لا يزال يعيش في المدينة عيشة رغد ورفاهية، وعلى الرغم من ان ابا جعفر والي الجزيرة امر ابنه المهدي برد ضياعهم اليهم الا ان الظاهر ان المهدي عوضهم عن اغلبها بعطايا تجري عليهم سنوياً.

ولا تشير مصادرنا الى سبب قتل يحيى بن الحر او مصادرة ضياع الامويين ولعل هذا الاجراء كان من جملة الاجراءات التي اتبعتها السلطة لتشتيت الامويين[٣٨] او ربما كان ليحيى بن الحريد في ما حدث من اضطرابات.

لقد بقي اسماعيل بن علي واليا على الموصل حتى سنة ١٤٢ هـ سنة ٧٥٩ - ٧٦٠ م وحاول ان يحسن



احوال المدينة ولكن آثار التدهور لم تمح بسرعة حيث تشير رواية عن سنة ١٣٦ هـ / سنة ٧٥٣ م اي بعد ثلاث سنوات من وقوع الفتنة بأن أمر الموصل لايزال «على ماذكر من الاختلاف والاضطراب»[٣٩] .

ويظهر ان الموصل قد اعجبت الوالي اسماعيل ابن علي فعزم على الاستقرار بها وكان مصلحاً حسن السيرة مع اهلها حيث تشير رواية أن «الموصل به مقبلة». وحين عزله المنصور رفض الامر وكان قائد الحامية ابن مشكان انحاز الى الوالي الجديد مالك ابن الهيثم الخزاعي بعد ان وصلت اليه رسالة من المنصور يقول له فيها «ان كنت سامعاً مطيعاً فسر الى مالك بن الهيثم». ويمتدح الازدي الوالي الجديد فكان «خير أمير وانصفه وكان احد نقباء بني العباس ورعاتهم» وكانت «سيرته جميلة واحوال الموصل مستقيمة»[٤٠] . وقد أعطى عصيان اسماعيل العباسي في الموصل عظة وتجربة للخليفة فكان حذراً في التعامل مع والي الموصل الذي كان باستطاعته دائماً ان يعتمد على اهل الموصل ضد السلطة العباسية. فحين أراد عزل موسى بن مصعب سنة ١٥٨ / ٧٧٤ – ٧٧٥ عن ولاية الموصل ارسل ابنه محمد المهدي بصحبته خالد بن برمك متظاهراً بالذهاب الى الرقة عن طريق الموصل محملاً اياه اوامر سرية بعزل موسى والسيطرة على الموقف حال وصوله المدينة[٤١] . وكان المنصور يختار ولاة الموصل بدقة وغالباً ما كانوا من العباسيين او من الشيعة العباسية الثقاة. فقد اختار ابنه جعفر للولاية سنة ١٤٥ – سنة ١٤٧ هـ / ٧٦١ – ٧٦٤م ثم عين خالداً البرمكي والياً على الموصل لاول مرة سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥م وذلك «لانتفاض الموصل وانتشار الاكراد بها»[٤٢] ، وهؤلاء الاكراد نزحوا اليها من الجبال القريبة. وكان اسماعيل بن عبدالله القسري البجلي الوالي الوحيد من اهل الموصل الذي وثق به المنصور وعينه على الموصل وسبب تعيينه ان المنصور سأله عن ظهور القحطاني؟ (المنقذ اليماني المنتظر) فقال القسري قد ظهر «وانه المهدي ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين ابن اختنا» وقد اعجب المنصور بقوله وعقد له على الموصل سنة ١٥١ / سنة ٧٦٨م[٤٣] .

الموصل واحزاب المعارضة :

يمكننا تصنيف الفئات الرئسة التي عارضت العباسيين في هذه الفترة الى ثلاث : الخوارج والامويين والعلويين.

أما الخوارج فلم يتغير موقفهم بانتقال الخلافة الى العباسيين. فالعباسيون في نظر الخوارج كالامويين مغتصبون للخلافة التي يجب ان تكون ذات صبغة انتخابية يتقلدها أجدر المسلمين. ولقد حقق الخوارج في اواخر العصر الاموي نجاحات مهمة في منطقة الجزيرة الفراتية ولكن مروان تمكن من دحرهم وطردهم خارج المنطقة .

واكثر ما يلاحظ في تاريخ هذه المنطقة في القرنين الاول والثاني للهجرة انتشار المذهب الخارجي الداعي الى الثورة على كل سلطان لا يدين بعقيدته ، وكانت اهم القبائل المستوطنة حول الموصل عدداً وشكيمة هي قبيلة بني شيبان. ويظهر من مصادرنا التاريخية[٤٤] ان الحركة الخارجية تبدأ في اطراف الموصل ثم لا تلبث ان تزحف نحو المدينة ، ويعتصم الخوارج في داخلها تساندهم بعض القبائل والفئات المستاءة من العباسيين. ولعل حركات ملبد بن حرملة وعبد السلام اليشكري والصحصح الخارجي خير امثلة على ذلك .

على ان ذلك لم يمنع ان تكون الموصل نفسها[٤٥] المركز الذي بدأت منه بعض الحركات الخارجية مثل حركات حسان بن مجالد وياسين التيمي وحمزة الخارجي ومهدي بن علوان الشاري . وفي محاولة لاقرار الامن في هذه المنطقة



عين المنصور حرب بن عبدالله الراوندي سنة ١٤٥ / سنة ٧٦٢م قائداً لحامية الموصل ، ويبرر الازدي كثرة الجند في الموصل فيقول «وكان حرب الراوندي في رابطة في الفين لمكان الخوارج»[٤٦] ، كما وان السلطة المركزية كانت تعين على الموصل والياً للصلاة والمعونة والخراج ان ضم اليه وصاحب رابطة يتفرغ لحرب الخوارج مما يدل على اهمية قائد الحامية وضرورة تكريس جهوده للامور العسكرية وامور الامن في المدينة وضواحيها وقد هدد المنصور والرشيد عدة مرات اهل المدينة بالقتل نتيجة لنكثهم ما اشترطوا على انفسهم بعدم مساعدة الخوارج ولكن الفقهاء من امثال أبي حنيفة وابن ابي ليلى وابن شبرمة وابي يوسف القاضي كانوا يحولون بين الخلفاء وبين خططهم .. وقد هدم سور الموصل بأمر الرشيد سنة ١٨١ هـ / سنة ٧٩٧م وكي لا يتمكن الخوارج من الاعتصام بها[٤٧] خاصة بعد حركة الوليد بن طريف الشاري الذي ثار سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤م وهزم الجيش العباسي في معركة نصيبين واخذ يجوب الجزيرة واذربيجان وارمينية حتى استطاع القائد يزيد بن مزيد الشيباني ان يراوغه ويقتله في هيت.

وكان من نتائج ثورات الخوارج عدم الاستقرار وسوء الحالة الاقتصادية وقلة الحاصلات الزراعية وعدم قدرة المزارعين على ضريبة الخراج فتشير رواية[٤٨] سنة ١٧٥ هـ / سنة ٧٩١م «وفيها كسر خراج الموصل». وقد امتنع اهل الموصل من تأدية الضريبة مما اضطر الرشيد الى ارسال يحي بن خالد البرمكي لمناظرتهم وقد اتفق على دفع ربع الغلة وقدرها سبعة دراهم ونصف لجريب الحنطة وخمسة دراهم لمثله من الشعير. ويظهر ان بعض الفلاحين كانوا يتخذون هجمات الخوارج عذراً يبررون به امتناعهم عن دفع الضريبة محتجين بان هجوم الخوارج قد دمر المحاصيل[٤٩] .

ولم يكن الخوارج وحدهم ينهبون الحاصل او يدمرونه بل كان شيوخ القبائل المعارضون يفعلون نفس الفعل كما فعل العطاف بن سفيان الازدي[٥٠] سنة ١٧٧ هـ / سنة ٧٩٣م وهو من فرسان أهل الموصل وقد جمع الصعاليك وجبى الخراج وحبس عمال الخليفة ، وحين خرج الرشيد بنفسه يريد الموصل سنة ١٨٠ هـ / سنة ٧٩٦م قرر العطاف ان يكمن له ولكن شيوخ الموصل وصلحاءها ناشدوه ان يدع ذلك وان ينصرف عن المدينة لفترة فخرج في ٤ آلاف الى ارمينية.

ولقد تعسف بعض الولاة في الجباية رغم هذه الظروف فقد طالب يحي بن سعيد الحرشي[٥١] أهل الموصل بخراج سنتين مضتا سنة ١٨١ هـ . وفي سنة ١٩٣ هـ / سنة ٨٠٨م شدد الحسن بن صالح الهمداني على الاعراب وخرج بنفسه يطالبهم بدفع الصدقات (الزكاة) ولاحق قبيلة عنزة الربعية فاجتمع مع عنزة بنو شيبان وكمنوا للوالي وقتلوه[٥٢] . والمعروف عن ربيعة انها كانت اكثر القبائل تمرداً واشغالاً لوالي الموصل. ولم تنته هذه الحادثة عند هذا الحد بل ادت الى ثارات بين اليمن ممثلة السلطة وبين ربيعة المتمردة وهكذا فقد انكسر الحلف اليماني – الربعي القديم.

على ان الوالي لم يكن دائماً يرسل ريع الموصل الى بغداد بل يحتفظ به او بجزء منه ليعينه على حرب الخوارج وهذا ما فعله موسى بن مصعب سنة ١٥٧ هـ فقد اجاب الخليفة بأنه يحتاج المال لان (البلد كثير الخوارج واعددتها للرجال متى احتجت الى محاربة خارجي ... »[٥٣] .

ولعلنا بعد ذلك نخلص الى القول بان الحركة الخارجية اشاعت عدم الاستقرار في الموصل خاصة ومنطقة الجزيرة الفراتية عامة وشغلت بال السلطة المركزية لعدة سنوات. وبقيت خصائص الحركة الخارجية في الجزيرة ، على عكس الاقاليم



الشرقية، تتسم بسمعة العروبة سواء على الصعيد الفكري او التنظيمي. بل ان العصبيات القبلية ظلت تتحكم فيهم في هذا الاقليم. كما لعبت «النخوة» دورها حيث كان خوارج الجزيرة الفراتية يخفون لنجدة اخوانهم في المذهب اينما ثاروا.

ورغم ان احد الاسباب التي اعطاها المؤرخون لجزرة الموصل سنة ١٣٣ هـ هي ميولها للامويين فلم تحدث في الواقع حركة ذات صبغة اموية في الموصل خلال العصر العباسي الاول . على ان انصار الامويين من الموصل وغيرها من مناطق الجزيرة الفراتية تجمعوا حول اسحق بن مسلم العقيلي واخيه بكار وهما من قادة مروان الاخير وقد اعلن اسحق العقيلي ثورته في الجزيرة واتخذ سميساط والرها مراكز له. كما انضم اليه احد الامراء الامويين محمد بن مسلمة بن عبدالملك.

ولكن الحركة الموالية للامويين في الجزيرة عموماً لم تكن منظمة، حيث تشير رواية تاريخية «وأمرهم مشتت وليس عليهم رأس يجمعهم»[٥٤]. وقد طلب اسحق العقيلي نفسه الامان من العباسيين بعد معرفته بمقتل مروان وقربه المنصور وجعله من صحابته في البلاط. وربما كان تخلص العباسيين من يحيى بن الحر احد الموالين لبني امية في الموصل يعود الى انه نقطة التقاء لانصار الامويين وشيعتهم وللعناصر المناوئة للدولة العباسية الجديدة حيث قتله والي الموصل سنة ١٣٣ هـ سنة ٧٥٠ م[٥٥].

ولم يعرف عن الموصل ميلها الى العلويين فقد وصفت بكونها اموية خارجية كما شارك اهل الموصل بحركات قبلية ولكنهم لم يشتركوا في حركة علوية في هذه الفترة. وفي رواية تاريخية ان ابراهيم بن عبدالله ابن الحسن جاء الموصل سنة ١٤٤ هـ سنة ٧٦١م متخفياً من ملاحقة المنصور له وبقي فيها فترة قصيرة من الزمن حيث لم يجد الاعوان من شيعة العلويين الذين يعتمد عليهم في حركة ضد العباسيين.

ويظهر ان قبائل الجزيرة لم تستسغ مذهب الشيعة العلوية ويتمثل موقفها في قول نصر بن شبث العقيلي احد شيوخ القبائل الجزرية الذي ثار ضد المأمون فاقترح عليه ان يبايع خليفة علوياً فرفض ذلك.[٥٦]

الموصل والنعرات القبلية:

كانت الروح القبلية تستفحل في فترات متفاوتة اما بسبب ضعف السلطة المركزية وعدم قدرتها على كبح جماح هذه النعرات . واما في احيان اخرى بتحريض من السلطة المركزية او والي المدينة الذي يحابي قبيلة على قبيلة اخرى. فقد تذمرت القبائل الموصلية من سياسة مروان الذي فضل المضرية (القيسية) على اليمانية. وحين جاء العباسيون قربوا اليمانية وفضلوهم في الوظائف الادارية والعسكرية وكانت سياسة العباسيين الجديدة هذه بسبب مساندة اليمانية للدعوة العباسية من جهة ومن جهة ثانية ادراكا من العباسيين بأن القبائل اليمانية هي الغالبة على الموصل، فتؤكد رواية[٥٧] ان «اليمانية في البلد اظهر من النزارية» وان «اليمانية هم المتغلبون على الموصل»:

ولعل ما ذكرناه آنفا من ازدياد العصبيات في اثناء ضعف سلطة بغداد يظهر واضحاً في عهد الرشيد حيث تفاقم النزاع بين الربعية والمضرية واستعانت ربعية لا باليمن[٥٨] بل بقبائل ربعية من اقاليم اخرى. وفي سنة ١٩٨ هـ سنة ٨١٣م حدثت وقعة «الميدان» بين النزارية واليمانية حيث ادعى النزارية بأن اليمانية «يتهضمونهم وينتقصون حقوقهم»[٥٩] وتزعمهم عثمان بن نعيم البرجمي الذي حاصر الموصل في ٢٠ الفا. ولكن اليمانية بقيادة علي بن الحسن الهمداني استطاعت ان تهزم النزارية رغم العون الذي جاءهم.

ولا شك ان الخلافة العباسية كانت تعمل من اجل كسر الاحلاف القبلية القديمة الكبيرة وتشتيتها فمثلما نجح المنصور في كسر التحالف اليماني - الربعي



في اليمن وفي البحرين كذلك عمل هذا الخليفة والذين من بعده على كسر نفس الحلف في الجزيرة وذلك لئلا تكون هذه التحالفات خطراً على الدولة من جهة وليكون بالامكان السيطرة على المناطق ذات النزعة القبلية الحادة .

لقد كان لاهل الموصل رأي في اختيار واليهم فلم يرضوا بمحمد بن صول والياً وثاروا على سياسة يحيى ابن محمد العباسي ، واجبروا ابراهيم ابن العباس سنة ١٩٥ هـ / سنة ٨١٠ - ٨١١م على التنحي عن الولاية ، ورفض اهل الموصل ولاية الحسن بن محمد التغلبي سنة ١٩٧ هـ وقالوا : «لا يلينا ربعي». وفي عهد المعتمد انتفض اهل الموصل وطردوا واليهم سنة ٢٥٩ هـ وعينوا بدله من رغبوا فيه واستمروا مجاهرين بالعصيان حتى سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤م[٦٠] وتشير رواية في الازدي : «ولما ضعف أمر السلطان وقلت الحماية اجتمع اهل الموصل على علي بن الحسن الهمداني ليشرف على أمر البلد ويحوط اطرافه»[٦١] .

والواضح ان أمر السيطرة على الموصل أصبح بين سنة ١٩٥ هـ - سنة ٢٠٢ هـ في يد بني الحسن الهمدانيين فعلياً اما الوالي الذي تعينه السلطة العباسية فكان لا يدخل المدينة الا اذا حظي برضا بني الحسن الهمداني ولذلك كان من الطبيعي ان يحسب حسابهم في كل عمل يقوم به او حكم يصدره والى ذلك تشير الرواية : «وكان الوالي من ولاة السلطان يلي منذ هذا الوقت الى انقضاء ايام بني الحسن فاذا رضوه ادخلوه وهم الغالبون على الامر...»[٦٢] ولذلك امتنع علي بن الحسن الهمداني عن الاعتراف بولاية الحسن التغلبي سنة ١٩٧ هـ الذي ارسله الامين ، وحين راسلهم طاهر ابن الحسين سنة ١٩٨ هـ مال اليهم بالتمانية .

ولكن اليمانية انشقوا على انفسهم بالموصل واحتدم الصراع على السلطة بين علي الهمداني والسيد بن انس الازدي وهزم الهمداني مما اضطره الى الاستعانة بمهدي بن علوان الخارجي ولكن ذلك لم يفده حيث تغلب عليه ابن انس ثانية وقتله . وقد برر ابن انس قتله للهمدانيين واستيلاءه على الموصل حين قابل المأمون سنة ٢٠٤ هـ سنة ٨٠٩م قائلا :

«ادخلوا الخارجي مدينتك واعلوه على منبرك وابطلوا دعوتك»[٦٣] وهكذا ضرب ابن انس على وتر حساس فاقره المأمون على الموصل ولم يكن اجراء الخليفة هذا الا اعترافاً بأمر واقع . وبقي ابن انس والياً على الموصل حتى مقتله في معركة مع الثائر زريق بن علي صدقة الموصلي سنة ٢١٢ هـ سنة ٨٢٧م .

سياسة العباسيين الادارية :

ورث العباسيون التراث الاداري الاموي فطوروه حسب الظروف الجديدة . فقد مال العباسيون الى المركزية الادارية بدل اللامركزية الاموية ... حيث أوجدوا نظام الوزارة واستحدثوا دواوين جديدة فضلاً عن الدواوين الاموية كما انشأوا دواوين تشرف على أعمال وسجلات دواوين اخرى وتفتشها .

وغدا الوالي في العصر العباسي يحف نفسه بعدد اكبر من العلماء والقضاة ورجال الفكر يستعين بهم في ادارة اقليمه ويضفي على منصبه سمة من الوقار والهيبة .

وربما استفاد العباسيون من التقاليد الاجنبية السابقة ولكن التأثير كان محدوداً في نطاق ضيق يخص البلاط والمراسم الرسمية ولهذا فليس هناك حاجة الى المبالغة في الاثر الاجنبي على التنظيم الاداري العباسي . ويؤكد كرستنسن بأن الانظمة الادارية العباسية تختلف عن انظمة الساسانيين وانها في حقيقتها انظمة ادارية أموية نمت وتطورت وفق سنّة التطور وبتأثير الاوضاع الجديدة . ولعل اهم دليل على ذلك امتداح خلفاء بني العباس الادارة



والسجلات والدواوين الاموية في اكثر من مناسبة [٦٤] .

لقد انتظمت ادارة الدولة منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور الذي عُرف بحنكته السياسية وكفاءته الادارية وكان يراقب ولاته وعماله عن كثب دون ان يترك في ذلك صغيرة اوكبيرة .. وفي عهد المهدي انتعشت الادارة وانتظمت مراقبة الدولة للدواوين . في سنة ١٦٢هـ / سنة ٧٧٨م على ما يذكر الجهشياري احدثت دواوين الأزِمّة ومهمتها الاشراف الاداري والتفتيش على اعمال الدواوين المركزية في العاصمة . وخطا المهدي خطوة اخرى باتجاه المركزية حيث اصدر امراً أخر بانشاء ديوان جديد مهمته الاشراف على دواوين الأزمة سنة ١٦٨ هـ / سنة ٧٨٤ م وسمي الديوان (زمام الأزمة) [٦٥] .

وكانت تظهر بين حين وأخر دواوين جديدة لاغراض وقتية وتلغى بعد نفاد الحاجة اليها . ويبدو ان تعقد الادارة ادى الى نوع من الاختصاص بين كتّاب الدواوين . وكان الخليفة او وزيره يختار صاحب الديوان . كما كان الخليفة يختار العمال على اقاليم الدولة او ولاياتها . ولم يكن للولاة او العمال سلطة كبيرة في صدر الدولة العباسية وانما كان عليهم الرجوع الى الخليفة في كثير من الامور الادارية والسياسية . وقد جرت العادة ان يولّي الخلفاء الولايات المهمة مثل خراسان والحجاز والموصل او الولايات الحساسة افراداً من البيت العباسي او شخصيات من رجال الدعوة العباسية او القادة الكبار . وكان الخليفة يناوب الولاة ولا يبقي والياً مدة طويلة في اقليمه . وجرت العادة ان يطلب الخليفة في الصدر الاول من الوالي بياناً مفصلاً عن حالة الولاية وخاصة الموارد المالية والوضع السياسي بعد انتهاء مدة ولايته .

لقد كانت العادة خلال العصر العباسي الاول ان تجمع كل من الموصل واذربيجان وأرمينية لوالي الجزيرة الفراتية ... والواقع ان هذا التقليد لم يكن عباسياً بل كان الامويون أول من طبقّوه . الا ان هذا لا يعني بأنّ الموصل كانت تابعة على الدوام لوالي الجزيرة بل ان ولاتها كانوا يعينّون احياناً من قبل الخليفة نفسه . ومرة ثانية فإنّ هذا التقليد ايضاً لم يكن عباسياً بل استحدثه الامويون منذ عهد عبدالملك بن مروان . وتشير رواية في ياقوت الحموي الى ان مروان بن محمد كان أول من عظّم الموصل وألحقها بالامصار وجعل لها ديواناً ونصب عليها جسراً .

ومن أعمال الموصل الادارية خلال تلك الفترة شهرزور، والصامغان ، ودراباذ ، والكرخ ، ودقوقا ، وخانجار ، والطيرهان ، والعمرانية ، وتكريت ، والسن ، وباجرمي وقردى . على ان هذه التقسيمات كانت تتغير من وقت لآخر فقد بقيت شهرزور واعمالها ضمن اقليم الموصل حتى فرقت آخر خلافة الرشيد مثلاً [٦٦] .

ومن التقاليد الادارية العباسية التي تجلب الملاحظة تلك الزيارات المتعددة التي قام بها الخلفاء العباسيون الاوائل للموصل واعمالها للتعرف على المنطقة عن كثب ودراسة احتياجات سكانها واوضاعها الادارية والسياسية إذ كان الامير عبدالله ابن محمد (ابو جعفر المنصور فيما بعد) والياً على الجزيرة والموصل في عهد اخيه ابي العباس . وقد زار المنصور الموصل او اعمالها عدة مرات لعل من بينها سنة ١٤١ هـ / سنة ٧٥٨م وسنة ١٤٥ هـ / سنة ٧٦٢م وسنة ١٤٩ هـ / سنة ٧٦٦م وسنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧م .

وفي سنة ١٥١ هـ / سنة ٧٦٨م زار المنصور الموصل واظهر عدم رضاه من قاضي الموصل الحارث ابن الجارود وأمر بضربه عدة سياط في مدينة السن جنوبي الموصل .

وزار المهدي العباسي الموصل سنة ١٦٣هـ / ٧٧٩ م ونزل بقصر أخيه جعفر. واراد



الهادي زيارة الموصل سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م فوصل حديثة الموصل وسمع بحركة الحسين الحسني بالحجاز فرجع مسرعاً الى بغداد. وتكررت زيارات هارون الرشيد الى الموصل وأعمالها فقد زارها سنة ١٧٤ هـ/ سنة ٧٩٠م وبنى قصراً في باقردى شمالي المدينة. ثم زار المدينة سنة ١٨٠ هـ / سنة ٧٩٦ م وأمر بهدم سورها بسبب كثرة الخوارج والمتمردين في الاقليم واحتمائهم بسورها. وقد تابع الخلف من خلفاء بني العباس سلفهم في هذه الزيارات المتكررة للموصل والجزيرة الفراتية عامة وحققوا فيها فوائد سياسية وادارية جمة.

ولعل من التقاليد الادارية الاموية- العباسية خلال الفترة موضوعة البحث والتي تجلب انتباه الباحث هو الاهتمام الكبير بالادارة المركزية بالموصل وذلك من خلال تقليد ولايتها اما لأمير من البيت العباسي او لشخصية سياسية او عسكرية مهمة ومعروفة ومقربة من الخليفة العباسي. ويبدو ذلك واضحاً من خلال تصفح قائمة الولاة العباسيين خلال العصر العباسي الأول. ولعل السبب في ذلك يعود الى موقعها الاستراتيجي المهم بين سواد العراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام والثغور حيث الحدود الاسلامية- البيزنطية. وكذلك كثرة الحركات المناهضة للإدارة المركزية فيها من خوارج وأعراب واكراد وانصار الأمويين.

إنّ المعلومات المتوافرة لدينا عن ولاة الموصل واعمالهم[٦٧] جيدة بفضل روايات الطبري والازدي وابن الاثير. ويبدو أن والي الموصل كان يشرف كذلك على الخراج والمعونة أحياناً حيث يقول الازدي[٦٨]

«وكان رسم الموصل ان يكون الوالي مفرداً بالصلاة والمعونة والخراج إن ضم اليه وصاحب الرابطة متبتلاً لحرب الخوارج ويد الوالي فيما قيل عليه».

ولكن جباية الخراج استندت احياناً الى قاضي الموصل كما حدث سنة ١٤٧ هـ/ سنة ٧٦٤م على عهد المنصور.

ولعل من أبرز الولاة الذين شهدهم هذا العصر اسماعيل بن علي عم الخليفة ابي العباس الذي اعقب في ولاية الموصل يحيى بن محمد (اخي الخليفة). وكان من مهامّه الرئيسية الرفق بالناس وتألفهم حسب وصية الخليفة نفسه الذي لم يكن راضياً عن اجراءات اخيه الوالي السابق تجاه أهل الموصل.

وقد اشار اسماعيل بن علي الى هذا في كلامه مع أهل الموصل حيث قال «سأرد المظالم عليكم وأحسن السيرة فيكم». وقد قام الوالي الجديد بجملة اصلاحات واتخذ عدداً من الاجراءات المناسبة لدفع ديات القتلى الذين قتلهم الوالي السابق. واصلح المسجد الجامع بالموصل وازال الاسواق المحيطة به. ونقل مقبرة المدينة الى الصحراء على مسافة من الدور. ثم شيَّد مسجداً جديدة سمي بمسجد ابي حاضر في منطقة تتوسط الاسواق. وبنى فندقاً جديداً لاقامة الغرباء من تجار وغيرهم وجهزه بالمرافق والخدمات لتيسير الراحة. ويبدو ان هذه الخدمات تطلبت كل واردات الموصل ولهذا فإن الوالي لم يرسل الى بيت المال بالعاصمة شيئاً[٦٩] ولاشك فإن الاستقرار والانتعاش والعمران شجع اهل الموصل وغيرهم ممن هجرها في العهد السابق على العودة الى المدينة فأنتعشت التجارة وازدهر الاقتصاد ولهذا يقول الازدي بأن «الموصل به مقبلة».. على الرغم من ان التحسن كان تدريجياً وبطيئاً.

لقد كان الولاة العباسيون الذين تتابعوا على الموصل بعد اسماعيل بن علي موضع ثقة الخليفة المنصور فمالك بن الهيثم الخزاعي من نقباء الدعوة العباسية الاوائل وجعفر بن المنصور (ابن الخليفة)



وخالد بن برمك من موالي الدولة العباسية. فقد كان لهم هيبة في صدور اهل الموصل ولذلك استقرت الأوضاع في البلد. ويعلق العمري[٧٠] في منية الادباء مفسراً استقرار الاوضاع النسبي الى خوف اهل الموصل من تكرار ما وقع لهم من قبل مع الولاة الاوائل امثال محمد بن صول ويحيي بن محمد العباسي.

لقد عزل المنصور خالد بن برمك بسبب سوء الاستغلال المالي والفساد في جمع الضريبة سنة ١٤٨ هـ وعين اسماعيل بن عبدالله القسري البجلي وأمره الخليفة بمعاقبة الكتّاب والنساطرة الذين تصرّفوا في الجباية بوجه غير شرعي. والمعروف تاريخياً ان الخليفة المنصور كان لا يتساهل في الامور المالية والاقتصادية التي تخص واردات بيت المال فكان يتابع واردات كل ولاية بدقة كبيرة ويستعمل الشدة على أهل الخيانة والرشوة والاختلاس من أموال الدولة والتنكيل بهم .على ان نسبة كبيرة من واردات الموصل كانت تصرف على الخدمات الخاصة بالولاية كالبناء وإصلاح طرق الجيش والصدقات الخاصة بالفقراء وغيرها. كما وان واردات الموصل كانت تصرف احياناً على تعبئة الجيش لقمع الحركات المناهضة المحلية امثال حركات الخوارج والبدو والاكراد والاضطرابات الاخرى . وفي الموصل كثير من الاماكن الدينية التي يكثر فيها الزهاد وأهل العلم والتقوى وكان على الوالي ان يعّد نسبة من واردات الخزينة لتوزيعها عليهم. فقد كان الوالي عبدالله بن صالح من المهتمين بذلك ولذا قال عنه الازدي : «كان معظماً لأهل السنن مائلاً لأهل الصلاح» . واخيراً وليس آخراً فإن قرب الموصل من الثغور يحملها مسؤولية إضافية في تجهيز الجيش وتسييره للدفاع او الهجوم ضد العدو البيزنطي .

وتجاه هذه المسؤوليات والمطالب فإن الروايات التاريخية تشير الى استعمال بعض الولاة لأسلوب الشدة في جمع الضرائب في بعض المواسم أمثال موسى بن كعب التيمي وهاشم بن سعيد في عهد المنصور والهادي على التوالي وكذلك يحي بن سعيد الحرشي في عهد الرشيد[٧١] .

وكان لعبدالملك بن صالح العباسي اثر حميد في مدة ولايته في عهدي الهادي والرشيد فقد أطاعه الناس وهابوه ولم يتأخر في اتخاذ اشد الاجراءات من اجل استتباب الأمن والنظام كما وانه اشتهر بالعمران حيث بنى قرية قرب الرها عرفت بأسمه (الصالحية) وتوافدت عليه وفود من الروم.

وقد كان لابدَّ لولاة الموصل ان يتأثروا بالتكتلات القبلية في منطقتهم فليس كل الولاة مثل عبدالملك بن صالح الذي كان فوق التكتلات والاحلاف القبلية . ومع ان الخلافة العباسية المركزية حاولت بصورة عامة اضعاف التكتلات القبلية واخماد نعراتها ، الا ان الولاة كانوا يلجأون الى العصبية لحفظ التوازن في الموصل او اقليم الجزيرة عامة ، كما حدث ليزيد بن مزيد الشيباني والي الموصل في عهد الرشيد الذي استطاع ان يكسب حاتم بن صالح الهمداني واليمانية ويجلبه الى الطاعة والولاء مما لم يستطع ان يحققه جيشان من جيوش العباسيين قبل ذلك.

لقد بدأت قوة الهمدانيين بالنمو منذ عهد الرشيد الا انهم سيطروا فعلياً على الموصل واعمالها ابتداءاً من عهد الأمين حيث انضم الى علي بن الحسن الهمداني عدة من القبائل مثل بني الحارث بن كعب وأزد الموصل وبقية قبائل اليمن بالموصل. واستطاع أن يقهر قبائل عنزة وبني شيبان ويعود الى الموصل منتصراً وكان ذلك سبب رئاسته مع انه لم يكن والياً رسمياً من الخلافة الا ان الولاة كانوا يأتمرون بأمره من الادارة ، فكان كما يقول الازدي «هو الغالب على الأمر». ومما لا شك فيه فإن



اوضاع الحرب الاهلية والصراع الدامي بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون قد انعكست بصورة حالة من الفوضى والتسيب ليس على اوضاع الموصل السياسية والادارية فحسب بل على كل اقاليم الخلافة.

الا ان اليمانية لم يستمرّوا متحدين فقد انشق الازدعن همدان حين حاول علي بن الحسن الهمداني اخراجهم من الموصل واستفحل الصراع وكانت الغلبة لهمدان حتى برز بين الازد رجل يدعى السيد ابن أنس الذي جمع الأزد وقادهم الى النصر على همدان وطرد علي بن الحسن عن الموصل واستقر متغلباً عليها «يجبي المال ويعطي الرجال ويحمي البلد الى ان قدم المأمون بغداد من خراسان فأنحدر اليه». فأقره المأمون رسمياً على الموصل وقد اجتمع اليه وتحت قيادته رجال الموصل ومقاتلتها. وقد كان ابن أنس مثالاً للرجل الاداري الحازم الكفء حيث استتب في عهده الأمن والنظام وانتظمت طرق الجباية وقاتل الخوارج وحصّن الموصل لدرء خطرهم. وكان اخلاصه للخلافة وولاؤه الكبير لها قد جعله يجد في حربه للخوارج حتى قتل في احدى معاركه ضدهم (٧٢).

ولقد تعاون محمد بن السيد بن أنس وكل اتباع السيد مع الوالي العباسي الجديد محمد بن حميد الطوسي للقضاء على خطر الخوارج واستقرار الاحوال بالموصل. وقد تحقق هذا الهدف بالفعل نتيجة جهود محمد بن السيد وفرسانه حيث طلب زريق بن علي الخارجي الأمان واستسلم للوالي العباسي في الموصل.

إن زوال الخطر عن الموصل أدى الى ازدهارها خاصة وأنَّ ولاتها اهتموا بأمر الخدمات فيها بأن عمروا المرافق وحفروا القنوات التي تمر بها المياه ولم يدخّروا وسعاً في إعمارها، نذكر منهم هارون بن ابي خالد ومالك بن طوق في أواخر عهد المأمون العباسي.

ولم تشهد الموصل خطراً جديداً حتى سنة ٢٢٤ هـ / سنة ٨٣٨م حين تحرك أحد مقدمي الاكراد جعفر بن فهرجس في أعمال الموصل وجبى الاموال لنفسه فسار اليه عبدالله بن أنس وقاتله فأرتد الى جبل داسن. ثم ارسلت الخلافة العباسية جيشاً بقيادة ايتاخ التركي فقضى على تمرده سنة ٢٢٥ هـ / ٨٣٩م وتفرق اتباعه في الجبل وكان ذلك في خلافة المعتصم.

وبعد حوالي ربع قرن اضطربت الادارة في الموصل حين تمرد مساور بن عبدالحميد البجلي الموصلي ودعا الى مذهب الخوارج سنة ٢٥٢ هـ بعد ان كان من أعوان السلطة ومسؤولاً عن شرطة الموصل على منطقة بني عمران. ويبدو ان تمرده يعود الى نزاع شخصي استفحل بعد ذلك حيث أنضم اليه الاعراب والاكراد وبعض أهل الموصل. وقد حاول مساور البجلي السيطرة على الموصل دون جدوى ... ومع انه استطاع دخولها في مرة من المرات ولكنه كان يخشى أهلها ولهذا انتقل منها الى حديثة الموصل واستقر بها (٧٣).

وكانت الفوضى السياسية في سامراء، وتغلب القادة العسكريين الاتراك في الحكومة المركزية، تنعكس نتائجها السلبية على الادارة في الاقاليم وبخاصة الموصل القريبة من المركز. ولهذا نلاحظ أن تمرد مساور البجلي يطول ويستمر ثماني سنوات حتى سنة ٢٥٩ هـ / سنة ٨٧٢ م دون ان تتمكن حكومة سامراء من القضاء عليه. وفي تلك السنة أرسل المعتمد جيشاً بقيادة اذكوتكين حيث تمكن من طرد مساور وخوارجه عنها. ولكن الأمير التركي الجديد لم يحسن السيرة وأثار جنده الناس لأسباب عدة منها التشدد في جباية الخراج والعبث بالاموال والتجرؤ على الاعراض فأنتفضوا عليه سنة ٢٥٩ هـ واخرجوه من المدينة واجتمعوا على تعيين يحيى بن سليمان وهو احد أعيان المدينة أميراً عليهم واستمروا كذلك حتى سنة ٢٦١ هـ / سنة ٨٧٤م.

ولم تفلح كل محاولات الحكومة المركزية في استثارة النعرات القبلية في كسر إنتفاضة اهل الموصل على الامير التركي اذكوتكين وجنده الجفاة غير المتمدنين، ولذلك عزل الخليفة المعتمد الأمير التركي وعين ابنه وولي عهده على الجزيرة والموصل وأرمينية وغيرها، فاستعمل على الموصل أحد أهاليها الخضر بن أحمد التغلبي الذي أحسن الادارة وأزال أسباب الاستياء.

وهكذا يبدو ان اهل الموصل تمسكوا بشدة بمبدأ قرره الرسول ﷺ وسار عليه عمر بن الخطاب (رض) وبعض خلفاء الدولة العربية الاسلامية من بعده وهو الأخذ برأي الرعية في تعيين واليهم. فاعترضوا على الوالي الذي لا يرتضونه وتشبثوا برأيهم وقد حدث ذلك عدة مرات خلال العصر العباسي الأول. على أنَّ أهل الموصل لم يستطيعوا دوماً اقرار رغباتهم على ارض الواقع السياسي المضطرب حيث قاست الموصل الكثير من العنت بسبب الحرب بين الخلافة العباسية الضعيفة والامارة الطولونية التي بدأت في مصر ثم امتد سلطانها الى بلاد الشام والجزيرة الفراتية خلال هذه الفترة. وقد تداولت إدارة الموصل عدة من الايدي، فمرة تكون بيد الامير التركي اسحق بن كنداجق سنة ٢٦٧ هـ / سنة ٨٨٠م ومرة اخرى بيد محمد بن أبي الساج الموالي لخمارويه بن أحمد بن طولون سنة ٢٧٥ هـ / سنة ٨٨٨م ومرة تهددها الخوارج الشراة من اتباع محمد بن خرزاز الكردي او هارون البجلي.. وأخرى تهددها غارات الاعراب من بني شيبان.

وكان اهل الموصل قد طردوا محمد بن اسحق بن كنداجق عن ولاية المدينة وسيطر عليها أعيانها وكان يدافع عنها المتطوعة من رجالاتها بقيادة حمدان بن حمدون التغلبي والمعروف أنَّ بني حمدان بدأوا خلال هذه الفترة المتأخرة من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بالظهور على المسرح السياسي في الموصل وأعمالها حتى قُدّر لهم ان يسيطروا على أمورها بعد ذلك بقليل. وقد راسل أهل الموصل الخلافة مطالبين باقصاء بني كنداجق وقد لبت الخلافة مطالبهم وعينت محمد بن يحيى المجروح اميراً عليهم.

ولكن الوضع الاداري والسياسي لم يتحسن مما اضطر الخليفة المعتضد الى السير الى الموصل سنة ٢٨٠ هـ / سنة ٨٩٣م حيث كبح جماح البدو وخاصة بني شيبان حتى طلبوا منه الأمان. ثم عاد ثانية الى الموصل سنة ٢٨١ هـ / سنة ٨٩٤م وأرسل من هناك جيشاً بقيادة وصيف ونصر القشوري لمحاربة حمدان بن حمدون الذي عصى وتحصن في ماردين حتى اضطره الى طلب الأمان(٧٤). ويبدو أن المعتضد وهو مقيم بالموصل قد اطلع على احوال الفلاحين والمزارعين الذين اشتكوا اليه من تقدم موسم جباية المحصول ورجوه تأخيره فأمر المعتضد بالكتابة الى كافة الأقاليم «بترك افتتاح الخراج في النيروز العجمي وتأخير ذلك الى الحادي عشر من حزيران وسماه النيروز المعتضدي.. وأراد بذلك الترفيه على الناس والرفق بهم».

وعين المعتضد نصر القشوري على الموصل لجباية الاموال وتعيين العمال. فكتب نصر الى هارون البجلي الخارجي يتهدده ويوعده، فأجابه هارون كتاباً بكتاب. الا أن قوة دولة المعتضد وإقبالها جعل العديد من اتباع الخوارج والاعراب والاكراد يطالبون بالأمان والعفو ولهذا لم يعد لهارون البجلي قوة يهدد بها أمن الموصل وأعمالها... حيث ألقي القبض عليه في احدى المعارك التي خاضها مع الحسين بن حمدان سنة ٢٨٣ هـ / سنة ٨٩٦م وأرسل الى المعتضد ببغداد وأُعدم شنقاً.

لقد تحسنت العلاقة بين بني حمدان والخلافة العباسية بعد ان أثبت هؤلاء حسن نيتهم في العمل على استتباب الأمن والاستقرار والدخول في طاعة الخليفة المعتضد. وقد أقّر المكتفي بالله أبا الهيجاء



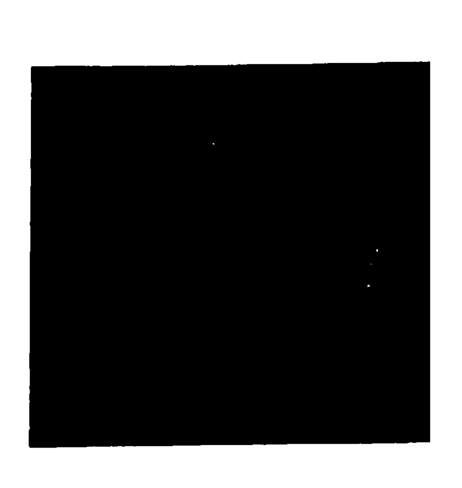
عبدالله بن حمدان بن حمدون على الموصل وأعمالها وبذلك بدأ عهد جديد من تاريخ الموصل في العصر العباسي اعتباراً من ٢٩٣ هـ / ٩٠٤م.

المظاهر الحضارية (٧٥) :

رغم اهتمام الامويين الواضح بمدينة الموصل الا انها وكما يبدو من مصادرنا لم تصبح قاعدة للجزيرة ومركزاً للسكان الا في العصر العباسي الأول حيث زادت اهميتها السوقية والتجارية بانتقال مركز الخلافة الى العراق.

باصلوت ودرب الجصاصين ودرب بني ميدة ودرب رحى امير المؤمنين ودرب الدباغين ودرب جميل، والبلد على الشط ومقر الخليفة على نصف فرسخ من الجانب الاخر عند نينوى القديمة.

وكانت الموصل عربية قبل التحرير الاسلامي حيث سكنتها قبائل اياد واستقرت فيها ثم انتشرت فيها قبائل عربية جديدة بعد التحرير منها تغلب والنمر وإياد ثم انتقل اليها بطون من الازد وطي وكندة وعبد القيس. وقد اقطع العباسيون عدداً من شيوخ الازد اليمانية قطائع بالموصل وشجعوهم على





لوحان رخاميان عثر عليهما في كنيسة ماراشعيا في الموصل، من القرن الثالث الهجري مقارنة بزخارف سامراء من الطراز المشطوف
(تصوير وتعليق يوسف ذنون)

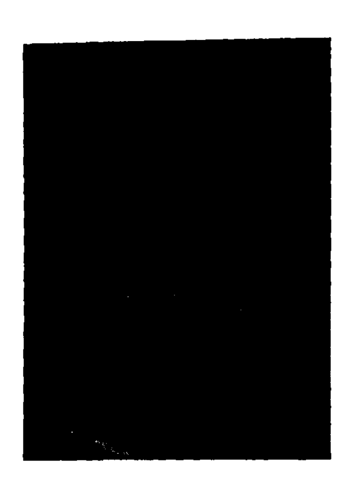
لقد اشار المقدسي الى تخطيط المدينة فقال بأنَّ البلد شبه طيلسان مثل البصرة ليس بالكبير، في ثلثه شبه حصن يسمى المربعة على نهر زبيدة، ومن طرقها درب دير الأعلى ودرب

الاستيطان فيها وفي اعمالها. كما سكن اطراف الموصل قبائل اخرى من ربيعة وبخاصة شيبان. وفي رواية لابن حوقل ان «مدينة الموصل أهلها عرب ولهم بها خطط واكثر اهلها نافلة الكوفة والبصرة».



وقد خالط الاكراد والآراميون عرب الموصل وبخاصة في أعمالها. كما تواجدت الديانات الثلاث في الموصل وأعمالها فبالاضافة الى الاسلام دين الاغلبية الساحقة هناك النصرانية واليهودية حيث عومل اتباعها معاملة جيدة ومتسامحة باعتبارهم أهل ذمة. فكانت كنائس النصارى ومعابد اليهود موجودة في المدينة ورساتيقها كما برز منهم علماء كثيرون في الفترة موضوعة البحث. وقد اكد ترتون في كتابه (أهل الذمة في الاسلام) صراحةً على الحرية التي تمتع بها الذميون في العصر العربي الاسلامي. وفي رواية تاريخية للازدي ان والي الموصل السيد بن أنس اقتص من بني مالك حين قطعوا الطريق على جماعة من نصارى الموصل ونهبوا أموالهم ولم يتركهم حتى اعادوا الاموال والبضائع كاملة غير منقوصة.

اما من حيث الوضع الاقتصادي لمنطقة الموصل فقد ذكرت مصادرنا تفاصيل جيدة عن اقتصادياتها الزراعية والحرفية والتجارية. ولعل اهم ميزة لاقليم الجزيرة بعامة والموصل بخاصة هي



لوح رخامي عثر عليه في منطقة مقابر العناز في الموصل، من القرن الثالث الهجري مقارنة بزخارف سامراء من الطراز المشطوف
(تصوير وتعليق يوسف ذنون)

انتاجها الزراعي الوفير لخصوبة تربتها وكثرة مياهها واعتدال مناخها. ويذكر الجغرافيون عدة من الضياع والرساتيق حول الموصل التي اشتهرت بزراعة الحبوب والفواكه والخضراوات. وقد اشار كل من المؤرخين المحليين دانيوسس التلمحري وابي زكريا الازدي الى شهرة الموصل بالانتاج الزراعي: «في كل بقعة كان المحراث وكان بامكان الفلاحين زراعة الكروم...»

وتكثر في منطقة الموصل المروج حيث تكوّن مراعي مهمة لرعي الماشية مما جعلها مورداً مهماً من موارد الثروة الحيوانية. وقد اشار ياقوت الى مرج الموصل الذي يقع في الجانب الشرقي في منخفض من الارض شبيه بالغور بين الجبال. وكانت الموصل تصدر جزءاً من منتوجاتها الحيوانية مثل اللحم والجبن واللبن والعسل.

ولا شك فإن الزراعة والثروة الحيوانية شجعت على قيام صناعات غذائية وحرف محلية بعضها صناعات معدنية وأخرى أنسجة للستائر والثياب ولهذا كان فيها سوق للبزازين والرفائيين. وقد انتعشت التجارة بين الموصل والاقاليم الاخرى وكانت صادرات الموصل تنقل براً او عن طريق الانهار. وتشير مصادرنا الى عدد من هذه الطرق منها ما يربط الموصل بالسواد والموصل بنصيبين والموصل بقرقيسيا والموصل بآمد. ولعل كثرة الاسواق في الموصل خير شاهد على ازدهار التجارة خلال هذا العصر فقد اشرنا الى سوق البزازين والرفائيين وهناك سوق الاربعاء وسوق الاحد وسوق الحشيش وسوق الفحم وسوق الشعارين وسوق الاساكفة وغيرها. وكانت الضرائب التي تفرض على التجارة تشكل مورداً مهماً لخزينة الدولة.

وفي تاريخ الموصل للازدي وتاريخ دانيوسس التلمحري كثير من الروايات التي تشير الى جباية الضرائب من خراج وجزية وعشور وصدقات، ولاشك أن بعضها مبالغ فيه حيث تندد باجراءات



العباسيين التعسفية وتصفها بأنها فاقت بل تعدّت اجراءات الامويين ومع ذلك فلا ينكر أنّ بعضاً من الولاة وعمال الخراج قد تعسفوا واضطهدوا الناس في اثناء الجباية مما دعا اهل الموصل الى إرسال وفد الى المأمون لشرح الحالة وإزالة الظلم. وكانت السلطة المركزية تحاول إحقاق الحق وإنصاف الرعية.

اما ثقافياً فلقد كان العصر العباسي الاول وما تلاه من عصور ذروة الازدهار الحضاري والرقي العلمي في المجتمع العربي الاسلامي. وقد نالت الموصل نصيبها من هذه النهضة الثقافية وتقدم المعارف بما شهدته من حلقات دراسية في بيوت علمائها وفي مساجدها ومدارسها وأديرتها. ولعل أبرز الحقول هي علوم الفقه والقرآن والحديث واللغة والتاريخ وكذلك فنون الموسيقى والغناء. وتذكر كتب التاريخ والتراجم بعضاً من رجالات العلم والمعرفة البارزين خلال هذه الفترة نشير الى بعضهم على سبيل المثال لا الحصر: بكارّبن شريح من قضاة الموصل البارزين وابن الوشاح من زهادها وعلمائها وعبد العزيز بن حيان من محدثيها وابو زكريا الازدي صاحب تاريخ الموصل وابراهيم بن ماهان وابنه اسحق الموسيقيان وابو تمام الطائي الشاعر المشهور وابو يعلي أحمد بن علي صاحب المسند. وتوما المرجي مؤلف كتاب الرؤساء ويحيي بن ماسويه الذي ترجم وألف عدة كتب في العلوم وبخاصة الطب.

الهوامش

(١) ابو زكريا الازدي، تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، القاهرة ١٩٦٧ ص ١١٢.

(٢) مؤلف مجهول، اخبار العباس وولده، بيروت ١٩٧١، ص ٤١٠ فما بعد.

٣. P Omar The Abbasid Caliphate Baghdad 1969 P.121.

٤. الازدي، تاريخ الموصل، ص ١٣٠.

(٥) المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٦) الطبري، جـ ٣، ص ٣٨٢– خليفة بن خياط، تاريخ جـ ٢ ص ٤٢٨.

(٧) الازدي المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٨) الازدي، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٩) البلاذري، إنساب الاشراف، (مخطوطة) ورقة ٧٩١ ب.

(١٠) الدينوري، الاخبار الطوال، ص ٣٦٩.

(١١) الدكتور فاروق عمر، العباسيون الاوائل، الجزء الاول، بيروت ١٩٧١، ص ٧٦.

(١٢) الازدي، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(١٣) الازدي، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(١٤) المصدر السابق ص ١٤٩ ص ١٥١.

(١٥) اخبار العباس وولده ص ٢٤١.

(١٦) الازدي، ص ١٤٥.

(١٧) المصدر السابق، ص ١٥٠.

(١٨) المصدر السابق ص ١٥٠

(١٩) البلاذري، انساب الاشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٥ ب

(٢٠) البلاذري، انساب الاشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٩ أ.

(٢١) الازدي تاريخ الموصل، ص ١٥٠.

(٢٢) المصدر السابق، ص ٦٩ فما بعد.

(٢٣) المصدر السابق ص ١٥٠.

(٢٤) الازدي ص ١٤٥.

(٢٥) المصدر السابق ص ١٤٨.

(٢٦) اليعقوبي، تاريخ، الجزء الثاني، ص ٤٢٩.

(٢٧) ابن الاثير، الكامل، جـ ٥ ص ٣٤٠ فما بعد.

(٢٨) الازدي، ص ١٤٨. قارن ص ١٥١ وص ١٥٢ حيث يرتفع عدد القتلى لدرجة كبيرة.

(٢٩) الازدي، ص ١٥١– ١٥٥.

(٣٠) المصدر السابق ص ١٥١–

(٣١) اليعقوبي، التاريخ، جـ ٢.

(٣٢) الازدي، ص ١٥١.

(٣٣) المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٣٤) Ibid.

(٣٥) على ان هذا الاخير لقي مصرعه بعد سنتين ١٣٦ – ٧٥٤ على يد عبدالله بن علي الثائر في الشام حيث ارسله المنصور ليتجسس على عبدالله فعرف عبدالله ذلك وقتله (الازدي، ص ١٦٤).

(٣٦) الازدي، ص ١٥٢، ١٦١.

(٣٧) الازدي، ص ١٥٨– ١٥٩، ١٧١ – ١٧٢.– الطبري جـ ٣ ص ٩.– ابن الاثير الكامل جـ ٥ ص ١٥٩.

(٣٨) الازدي، ص ١٥٧.



(٣٩) المصدر السابق، ص ١٧٧، ١٦٣.
(٤٠) المصدر السابق، ص ١٧٧ - ١٧٨، ١٨٠.
(٤١) المصدر السابق، ص ٢٢٤.
(٤٢) المصدر السابق ص ٢٠٨.
(٤٣) المصدر السابق ص ٢١٤. - كان شيوخ القبائل يدركون ان المنصوركان جاداً في جعل ابنه خليفة من بعده. ولذلك كانوا يتقربون من الخليفة باظهار تأييدهم لهذه الفكرة مثلما فعل اسماعيل القسري وعبدالله بن عباس الهمداني (راجع كذلك الازدي ص ١٧٨ - ١٧٩).
(٤٤) الازدي، ص ٢٦٧، ١٦٦، ٢٤٢. - ابن الاثير، الكامل، جـ ٦، ص ١١٢. - قارن الازدي ص ٢٤٢، خليفة ص ٢ ص ٤٤٤ ص ٧٨.
(٤٥) الازدي، ص ٢٥١، ٢٠٥، ٢٥٨، ٣٤٣. - الطبري، جـ ٨ ص ٥٨٨. - ابن الاثير، الكامل جـ ٦ ص ٩٥، جـ ٥، ص ٥٨٤.
(٤٦) الازدي ص، ص ١٩٥.
(٤٧) المصدر السابق ص ٢٨٠، ٢٨٦.
(٤٨) المصدر السابق ص ٢٧٥، ٢٧٦.
(٤٩) المصدر السابق ص ٢٧٦.
(٥٠) المصدر السابق ص ٢٨٤.
(٥١) المصدر السابق ص ٢٨٦ - ٢٨٨.
(٥٢) المصدر السابق ص ٣١٤.
(٥٣) المصدر السابق ص ٢٢٧.
(٥٤) فاروق عمر. العباسيون الاوائل، الجزء الاول ص ١٣٦.
(٥٥) يشير كتاب الامامة والسياسة في رواية ينفرد بها (جـ ٢ ص ١٥٩) الى ان سليمان ابن هشام الاموي قد هرب من البلاط العباسي وثار ضد العباسيين في الجزيرة في عهد ابي العباس، والرواية ضعيفة الاحتمال.
(٥٦) الازدي، ص ١٨٠، ٣٣٤.
(٥٧) المصدر السابق ص ٢٩٦.
(٥٨) ذلك لان الحلف اليماني - الربعي القديم كان قد تفكك وقد وسعت حادثة اغتيال الوالي الحسن الهمداني آنفة الذكر الهوة بين الطرفين.
(٥٩) الازدي ص ٣٣٢.
(٦٠) المصدر السابق، ص ٣٢٦، ٣٣٢.
(٦١) المصدر السابق ص ٣٢٤.
(٦٢) الازدي ص ٣٢٤.
(٦٣) الازدي ص ٣٥٤.
(٦٤) فاروق عمر، النظم الاسلامية، الطبعة الاولى، العين، ١٩٨٣، ص ٦٩
(٦٥) المصدر السابق، ص ٨٣ فما بعد.
(٦٦) نجدة خماش: الادارة في العصر الاموي، دمشق، ١٩٨٠ ص ٥٢
(٦٧) عن ولاة الموصل خلال هذه الفترة راجع قائمة علي حبيبه في آخر كتاب الازدي وقارنها بقائمة محمد جاسم المشهداني في كتابه الجزيرة الفراتية والموصل، بغداد، ١٩٧٧ ص ٧٧٩.
(٦٨) الأزدي، ص ١٩٥.
(٦٩) الأزدي، ص١٦٦.
(٧٠) العمري، منية الادباء، الموصل، ١٩٥٥، ص ٣٨
(٧١) المشهداني المصدر السابق، ص ٢٣٨ - ٢٥٢.
(٧٢) الازدي، ص ٣٥٥
(٧٣) ابن الاثير، الكامل، جـ ٧ ص ١٨٨ فما بعد
(٧٤) المسعودي، مروج الذهب، جـ ٤ ص ١٦٦. ابن الاثير، المصدر السابق، جـ ٧ ص ٤٧٧ كذلك فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ص ١٨٦
(٧٥) راجع كتب الجغرافيين العرب. وتاريخ الموصل للازدي، ومنية الادباء للعمري.
وسليمان صائغ تاريخ الموصل، والمشهداني، الجزيرة الفراتية والموصل. ولا يسعنا البحث تفصيلاً في المظاهر الحضارية لأن فصول الباب الثاني من القسم الثاني ستقوم بهذه المهمة.

الدَّوْلَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ وَظُهُورُ الدُّوَيْلَاتِ

د. عبد المنعم رشاد

إن دراسة تاريخ الموصل بعد سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥م تضعنا أمام مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العربية الاسلامية وهي المرحلة التي حصلت فيها تحولات سياسية أصابت وحدة الدولة وأدت الى ظهور ما يشار اليه عادة بعهد الدويلات، ومنها تلك التي قامت في الموصل فأقتضى ذلك القاء نظرة على تلك التحولات.

قامت الخلافة العباسية على اثر دعوة سرية نجحت في القضاء على سلطان الامويين وحلَّت محلهم، وكان خلفاؤها يحرصون على مركزية حكمهم والحفاظ على الدولة العربية موحدة، لهذا اسندوا معظم ادارات الاقاليم الى افراد البيت



العباسي ، الا ان هذه المركزية سرعان ما اثبتت عدم جدواها في حكم دولة واسعة الارجاء وبخاصة بعد التحولات الاجتماعية والسياسية التي اصابت العرب . فقد ازداد نمو المدن وازدهار الحياة المدنية وانتعاش الصناعة والتجارة . وكان اعتماد الامويين على العرب في اسناد حكمهم وعلى العصبية القبلية في الدفاع عنهم ، الا ان تحول الكثير من العرب الى الحياة المدنية من ناحية والى الصراع على السلطة بين القبائل العربية من ناحية اخرى أديا الى ضعف القاعدة السياسية والعسكرية التي كانت تساند الحكم الاموي ، ولهذا انهارت أمام ثورة العباسيين التي عبأت الجماهير ضد الحكم الاموي مؤكدة أسساً سياسية جديدة تتصل بالدين وبالاحقية في الحكم استناداً الى القرابة من الرسول ﷺ .

وبما أن الثورة العباسية رفعت شعارات متعددة قبل نجاحها وكان من ابرزها شعار التسوية الاسلامية ، لهذا ابتعد العباسيون بعد وصولهم الى السلطة عن القبلية وبذلك تحولت قاعدة الخلافة الى اممية اسلامية بدلاً من القبلية العربية .

تشكل الجيش العباسي الأول في خراسان من العرب بالدرجة الاولى . ومن الثانية بالذات — الا ان هذا الجيش سمي بالخراساني ، فقد سجل ابو مسلم انصاره في ديوان على اعتبار انهم خراسانيون ، وبذلك وضعت الخلافة الجديدة مفهوماً جديداً اقليمياً بدلاً من القبلية بغض النظر عن كون هؤلاء عرباً او غير عرب بل من اهل خراسان وبذلك بدأ المفهوم الاسلامي يظهر ويطبق بدلاً من المفهوم القبلي[1] .

وكان في تطبيق مبدأ التسوية اعظم انجازات العباسيين السياسية والحضارية لأنه ادى الى الدمج الكامل بين كل اعضاء المجتمع الاسلامي مما ادى الى سرعة انتشار الاسلام بين رعاياهم وبخاصة في بلاد المشرق[2] .

لقد اكد العباسيون على الجانب الديني ، فكانوا يعينون لخطبة الجمعة والقيام على الحج رجالاً من كبار اسرتهم ، وكان بعض الخلفاء الاولين يؤدي بنفسه فريضة الحج اكثر من مرة ابان خلافته كما فعل الرشيد ، وعنوا بالجوامع وتوسيعها ، وحرصوا على اظهار احترامهم لفرائض الاسلام وشعائره فزاد كل ذلك من مكانتهم عند الناس ، كما احاطوا انفسهم بالفقهاء وحرصوا على استشارتهم والاستعانة بهم كل ذلك من اجل تثبيت مكانتهم السياسية في نفوس المسلمين[3] .

ولما كان العباسيون قد قدموا انفسهم للناس بصفتهم ورثة الرسول ﷺ فانهم استفادوا اكثر من الامويين من الفكرة القائلة بأن واجبهم لا يقتصر على النهوض باعباء الرئاسة الدنيوية بل يشمل الرئاسة الروحية — الامامة — ولهذا ضربوا على ايدي الفرق التي تنحرف عن مذهب الجماعة وتفسد الوحدة الدينية والسياسية ، فقد استعملوا من يطارد الزنادقة ووضعوا (صاحب الزنادقة) لتعقبهم ومحاكمتهم[4] . غير ان الموقف الحازم للدولة لم ينجح في القضاء على آثار الزنادقة في الدس على الاسلام او التعصب للثقافات المعارضة له لأنها كانت منتشرة في اوساط الكتاب وهم موظفو الدواوين ، وكذلك عند بعض من يدعي الفلسفة ، غير أن المعتزلة وكثيراً من علماء المسلمين تابعوا الوقوف في وجههم حتى استطاعوا كبت محاولاتهم واخماد نشاطهم وكان هذا على حساب ظهور تذمر بين بعض العناصر الفارسية من الحكم العباسي .

وقد ادى تطبيق مبدأ التسوية الى تنوع العناصر المكونة للجيش العباسي ، فلم يعد العرب وحدهم سند الدولة العسكرية بل تنوعت جيوشهم فمنها الخراسانية ، والمغربية ، والسودانية والتركية . وفي عهد المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ /٨٣٣-٨٤١م) زاد



عدد الترك في الجيش العباسي، وكان من نتائج الاكثار من هذا العنصر السيطرة التدريجية لأمرائهم على مرافق الدولة وتسخيرها لخدمة اغراضهم الشخصية والاستئثار بالسلطة. وبما ان العنصر التركي كان شعباً بدوياً ميزته الوحيدة شجاعته العسكرية، فهو لا يفهم الأسس المعنوية والسياسية للدولة العباسية، ولا خبرة له بالادارة، لهذا كان تقديمهم عاملاً في زعزعة قواعد الخلافة، اذ سرعان ما استفحل نفوذهم بعد نقل مركز الخلافة من معقلها الحصين في بغداد الى سامراء التي بنيت معسكرات للترك حيث اصبح الخلفاء بعد المعتصم شبه سجناء لقادتهم من الاتراك[٥]. ومن هنا بدأ الضعف الذي أدى بدوره الى تفكك الحكم المركزي وظهور الدويلات.

عوامل قيام الدويلات: -

هناك عدة من العوامل المساعدة على قيام الدويلات في المشرق والمغرب الاسلامي واعتباراً منذ العصر العباسي الاول، ومن ابرز هذهِ العوامل: -

١ - اللامركزية الادارية: -

اتبعت الخلافة العباسية ومنذ فترة مبكرة سياسة لا مركزية واضحة في علاقتها ببعض اقاليم الدولة العربية - الاسلامية. فقد اعترف ابو جعفر المنصور بحكم الفهريين للمغرب العربي بعد ان اعلن عبد الرحمن بن حبيب الفهري دخوله في طاعة الخليفة العباسي[٦]. كما ان الرشيد اسند الى ابراهيم بن الاغلب ولاية افريقيا - تونس - على ان تكون وراثية في احفاده[٧].

وقد اقطع المعتز بالله ولاية مصر الى الأمير التركي بايكباك الذي بدوره ارسل ابن طولون نيابة عنه في ادارة هذا الاقطاع. ومن هنا بدأت الامارة الطولونية في مصر سنة ٢٥٤ هـ/٨٦٨م واستمرت حتى سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م[٨]. وقام الخليفة الراضي بالله بتعيين محمد بن طغج الاخشيد سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م على مصر. اما في الاقاليم الشرقية من الخلافة فان العباسيين اعترفوا بسلطة بقايا الارستقراطية الايرانية في اطراف ايران النائية الشمالية والشرقية والجنوبية. وقد اعطى الرشيد ولاية خراسان لابنه المأمون الذي اخذ يديرها ادارة مستقلة. وقد اعان الخراسانيون المأمون في حربه ضد اخيه الأمين وكانوا سبباً في وصوله الى الخلافة، وكان من نتيجة ذلك ان اعتادت هذهِ الولاية على الاستقلال الاداري وبخاصة بعد ان غادرها المأمون وعهد بولايتها الى طاهر بن الحسين الذي اسس الامارة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٦هـ / ٨٢٠- ٨٦٩م)[١٠].

وبصورة عامة فان ظروف الخلافة العباسية تركت اثراً واضحاً في اجهزة الدولة الادارية فهي في صراعها بين المركزية والاقليمية - اللامركزية - وفي رغبتها في المحافظة على التوازن الذي لا يؤثر على فعاليتها كانت قد تركت اثراً على الولاة وعلى صلاحياتهم واختصاصاتهم، فعندما كان المنصور يطبق المركزية في الحكم كان الولاة على الاقاليم اقل نفوذاً وسلطاناً، اما في عصر الرشيد وما بعده فقد اخذ الولاة يتحركون بحرية اكثر وازدادت صلاحياتهم وتطور الامر الى تكوين امارات بموافقة الخلافة[١١].

ومن جهة اخرى كان الخليفة العباسي يعهد الى قواده او الى المقربين اليه بحكم الولاية دون ان يطلب منهم الذهاب الى تلك الولاية، بل كانوا يرسلون نواباً عنهم وهم يستقرون في العاصمة، ومن الطبيعي ان يكون تحرك النائب لمصلحته الخاصة فهو يسعى للحصول على المال لنفسه وبعد ذلك يرسل ما هو ملزم بارساله من اموال الى الوالي المقيم في العاصمة[١٢]، فهذا الاسلوب بما له من مردودات سلبية على الاقليم بكثرة الجباية والتعسف



فيها جعل الشعب يكره هذا النظام ويعمل ضده بالتعاون مع من يعمل للانفصال عن الخلافة تخلصاً من الظلم والاستبداد. يضاف الى ذلك أن الخلافة العباسية اتبعت اسلوباً آخر في ادارة الاقاليم وهو العهد للوالي الواحد باكثر من ولاية، وقد ادى هذا الى تسلط بعض الولاة وتوسيع دائرة نفوذهم[١٣] ويتضح لنا ان عامل اللامركزية كان له الاثر الملموس في نمو النزعة الاقليمية الانفصالية لدى الولايات البعيدة عن المركز وعلى الأخص في المشرق الاسلامي.

٢ - التحكم الأجنبي: -

قامت الخلافة العباسية بتطبيق مبدأ التسوية وذلك من اجل تحسين اوضاع الموالي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومساواتهم بالعرب، كل ذلك من اجل خلق نوع من الوفاق بين العرب والموالي وخاصة الفرس منهم لاكمال صهر مختلف عناصر الدولة لترسيخ دعائم حكمهم واستقرار الاوضاع الداخلية في دولتهم[١٤]. وكان من نتيجة ذلك ازدياد نفوذ الموالي وعلى نحو تدريجي في الادارة وفي الجيش وفي اقتصاديات البلاد. كما اشرك العباسيون ارستقراطية الفرس في الحكم، ولكن طموح هؤلاء وتطلع بعضهم الى ارجاع سلطان ايران ومجدها الغابر جعل الخلفاء يحذرونهم ويقضون على الخطرين منهم كما فعل الرشيد بالبرامكة.

وقد ازداد نفوذ الموالي في عهد المأمون (١٩٨ - ٢١٨ / ٨١٤ - ٨٣٣م)، فقد اعتمد عليهم في ادارة شؤون دولته قبل ان يصل الى الخلافة حيث عين الفضل بن سهل وزيراً له وقرب اخاه الحسن. وقد التف الموالي حول المأمون عندما بدأ الصراع على الخلافة بينه وبين اخيه الامين، وقد نجح قائده الايراني طاهر بن الحسين في الانتصار على الأمين وقتله، وقد تولى الموالي اعظم المناصب في ادارة دولة المأمون. وهذا ادى الى التفاف الخراسانيين حول الخليفة وعظمت آمالهم في إعادة امجادهم وسيطرتهم على الخلافة العباسية وبخاصة بعد أن بقي المأمون مدة ستة سنوات من خلافته في عاصمة اقليم خراسان مدينة مرو. وقد خيب المأمون آمالهم بعد تخلصه من الفضل بن سهل وعودته الى بغداد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م وبذلك بدأ الخراسانيون ينحرفون عن دعمهم للخلافة، واخذت ارستقراطيتهم تتطلع الى الانفصال عن جسم الدولة العباسية. لهذا نرى المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ / ٨٣٣ - ٨٤٢م) يكثر من استخدام الجند الاتراك لتعويض النقص في الجند الخراسانيين، وبما انهم كانوا جنوداً اقوياء وعنصراً لم يفسده الترف فكان ان ازداد اعتماد الدولة عليهم. وقد ادت كثرتهم وخشونتهم الى تذمر أهل بغداد من وجودهم فيها مما دفع المعتصم الى نقل مركز الخلافة الى سامراء. وقد زاد نفوذ الاتراك في عهد الخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧م) حتى ان اشناس اصبح هو المسيطر على شؤون الدولة، ونتيجة لوفاة الواثق دون وريث تدخل الاتراك في اختيار المتوكل مما زاد من نفوذهم في تسيير شؤون الدولة. وقد حاول المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ / ٨٤٧ - ٨٦١م) التخلص منهم فما كان منهم الا ان قتلوه بالتعاون مع ولدهِ المنتصر وبذلك زادت سيطرة الاتراك ولم يبقَ للخليفة العباسي اي نفوذ سياسي خاصة في فترة التسع سنوات وما بعدها[١٥].

لقد هيأ مقتل المتوكل جحيماً من الفوضى والاضطراب امتد تسع سنوات من ٢٤٧/٨٦١م لغاية سنة ٢٥٦/ ٨٦٩م حيث اقترف الترك فيه انواع الفظائع وانحطت هيبة الخلافة الى الحضيض وتشجع امراء الاطراف على الانفصال ولا سيما في ايران ومصر، وتضاءلت أهمية الوزارة واختلت الادارة. وقد شجعت هذهِ الفوضى التيارات المعارضة على القيام بالتحرك عسكرياً ضد الخلافة العباسية وكادت ان



تطيح بها كحركة الزنج والقرامطة[١٦] . وهكذا اصبحت الخلافة العباسية في اواخر القرن الثالث الهجري محاطة بدويلات منفصلة بادارتها عنها ، ولم يبقَ للخليفة العباسي في سنة ٣٢٤/ ٩٣٥م الا المنطقة التي بين بغداد وواسط . وادى هذا الى قلة الواردات وفراغ الخزينة ولم يعد هناك ما يكفي لدفع رواتب الجند ، فاضطر الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٢٩/ ٩٣٤- ٩٤٠) ازاء ذلك الى استدعاء ابن رائق (قائد الاتراك في واسط) وعينه اميراً للامراء لقاء دفع مايلزم من نفقات ، وبموجب هذا التعيين انتقلت السلطة الدنيوية ، في الادارة والمال والجيش الى امير الامراء ولم يبقَ للخليفة الا الاسم. وشارك ابن رائق الخليفة في شارات الخلافة وهي ذكر الاسم في الخطبة وطبعه على السكة . فتسلط الجيش على كل شيء وانهارت مؤسسات الدولة الادارية وبطلت الدواوين. ولم يبقَ للوزير الا الاسم. وهكذا زال الاساس البيروقراطي للدولة العباسية[١٧] . وبهذه الصورة تمهد الطريق أمام البويهيين للسيطرة على العراق.

٣- الطموحات الشخصية :

من العوامل التي لايمكن نكرانها في ظهور الدويلات الطموح الشخصي لبعض الولاة في الاستئثار بالسلطة والحكم. فقد ادت اللامركزية واعطاء بعض الولاة امتيازات في حكم وراثي لبعض المناطق من قبل الخلفاء العباسيين ، كما رأينا الى تشجيع الآخرين من الولاة الطموحين الى ان يحذوا حذو سابقيهم في الانفصال.

لقد وجدت المطامح الارستقراطية والاقليمية الفارسية مجالاً لها في قيام الاسر الحاكمة في الشرق ، فقد استطاع طاهر بن الحسين ان يؤسس الامارة الطاهرية وجعلها وراثية في عائلته ، ولهذا يمكن القول ان الدولة الطاهرية قامت على اكتاف قائد طموح اتخذ لنفسه امارة منفصلة[١٨] . ويظهر طموح طاهر بن الحسين واضحاً في القصة الاتية :

فقد غبطه بعضهم للمنزلة العالية التي وصل اليها لدى المامون «فقيل لطاهر لما بلغ مابلغ يهنئك ما ادركته من هذه المنزلة التي لم يدركها احد من نظرائك بخراسان ، فقال : ليس يهنيني ذلك لانني لا ارى عجائز بوشنج يتطلعن الي من اعالي سطوحهن اذا مررت بهن»[١٩] .

وكان يعقوب بن ليث الصفار لايقل طموحاً عن طاهر بن الحسين خاصة بعد ان استولى على طبرستان وفارس وكرمان والاحواز ثم استولى على نيسابور، وخرب ماتبقى من نفوذ الطاهريين في خراسان وطمح الى الانفصال عن الخلافة واعادة دولة الفرس ، ولم يكتف بذلك بل حاول السيطرة على العراق والهيمنة على مركز الخلافة لولا قيام الموفق بدحره والقضاء على خطره[٢٠] . ويعلل نولدكه طموحات يعقوب الصفار على انها عوامل وراثية اثرت عليه تربوياً نمت وترعرعت في نفسيته منذ الصغر، وهي التي ايقظت كوامن العظمة في نفسه ، وكان بذلك يريد تغطية عقدة النقص التي عانى منها ايام الفقر والضعف منذ نشأته الاولى[٢١] .

اما مؤسس الامارة الزيارية مرداويج بن زيار فلم يكن اقل من غيره طموحاً وجشعاً وشعوبية وحقداً على الاسلام ، حتى انه اعلن في عام ٣٢٢/ ٩٣٣م عن رغبته في ان يقصد بغداد وان يعيد دولة الفرس ويبطل دولة العرب[٢٢] . ويمكن ان يقال عن طموح اولاد بويه الثلاثة الشيء الكثير وبخاصة عن علي بن بويه الذي وسع سيطرته بعد انفصاله عن سيده مرداويج الزياري حيث كتب الى الخليفة الراضي بالله يسأله ان يقاطعه على اعمال فارس مقابل ان يحمل الى دار الخلافة ثمانية ملايين درهم سنوياً[٢٣] . ولكنه لم يرسل شيئاً بعد حصوله على التقليد بالولاية. وكانت طموحاته وطموحات اخوته توسيع قاعدة نفوذهم وجعل اقليم فارس مركزاً لولاية واسعة الارجاء تضم اليها بقية الاقاليم الايرانية. وقد حققوا ذلك حيث تكللت طموحات معز الدولة الاخ الاصغر لعلي باحتلال بغداد عام ٣٣٤/ ٩٤٥ واتخاذه لقب امير الامراء وتسلم زمام



الامور في دار الخلافة[٢٤].

اما الحمدانيون فقد كانوا لايقلون عن غيرهم طموحاً وتطلعاً الى السلطة واهتبال الفرص من اجل ترسيخ اقدامهم في حكم المناطق الشمالية من العراق والجزيرة، ومنذ بداية ظهورهم على مسرح التاريخ ممثلين لطموح رؤساء القبائل العربية في السلطة والسيادة. فكان مؤسس الاسرة حمدان ابن حمدون وابنه الحسين بن حمدان من اعوان الخليفة المعتضد بالله وقد كوفئت خدمات هذه الاسرة للخليفة المكتفي بتعيين إخوة الحسن بن حمدان على مختلف الولايات. فقد عين ابا الهيجاء، عبد الله بن حمدان على الموصل واعمالها في اواخر سنة ٢٩٢/ ٩٠٥ م وولي ابراهيم بن حمدان على ديار ربيعة سنة ٣٠٧ هـ/ ٩١٩ م وقلد سعيداً حكم نهاوند سنة ٩٢٤/٣١٢ م واسند بعض المناصب الى غيرهم من بني حمدان[٢٥].

هكذا نرى ان عامل الطموحات الشخصية كان له دور بارز في الحركات الانفصالية وظهور بعض الدويلات بعد أن تهيأت الظروف المواتية لمؤسسيها لان الخلافة العباسية كانت تمر بظروف حرجة جعلتها غير قادرة على كبح جماح مثل هذه الطموحات الانفصالية.

٤ – الشعوبية :

كانت الشعوبية أحد الاسباب المهمة والمحركة للنزعات الاقليمية الايرانية، وطموحات الفرس لاحياء الثقافة الايرانية واعادة امجادهم السياسية البائدة، وقد تمخض هذا عن ظهور الحركات الانفصالية لتكون لها مجالاً لاعلاء شأن الفرس والحط من قيمة العرب.

وعلى الرغم من ان الشعوبية ظهرت منذ وقت مبكر الا ان اهدافها بدأت تتضح في العصر العباسي الاول، اذ قام الاعاجم بحركات كثيرة اتخذ بعضها شكل ثورات مسلحة وبعضها الاخر اتخذ الاسلوب السري الذي تظاهر بالاسلام ولكنه كان يعمل في الخفاء على هدم السلطان العربي – الاسلامي. وقد كان قادة هذه الحركات على مستويات مختلفة بين عامة وتجار وكتاب ووزراء، وامراء، كما كان للفكر دور اساسي في حركة الشعوبية[٢٦]. كما انها اتخذت صوراً متعددة فهي في بعض الصور تدعو الى المساواة بين الشعوب وتنكر على العرب تميزهم وفي صور اخرى اتخذت موقف التهجم على العرب وانتقاصهم وابراز مثالبهم[٢٧].

وقد ادرك شعوبيو المشرق الاسلامي أن مناداتهم بالتسوية قد تحققت فكان لطموحاتهم ان كبرت ولآمالهم ان توسعت في اعادة امجادهم وازالة دولة العرب، كما لم يعد لتأثير عامل الوحدة اللغوية والدينية في هذه الاقاليم اي مكان، فبعد مرور اكثر من قرنين ظهرت بين سكان البلاد المحررة نداءات سياسية دينية لها ارتباط بعقائد هذه الشعوب القديمة (مانوية ومزدكية اباحية). وعمل الشعوبيون على تفجير مشاعر الحقد والكراهية على الدولة العباسية التي بدأت وحدتها تتصدع فاستغل هذا لصالح الولاة الطموحين الذين انفصلوا عن الخلافة[٢٨].

فالمرزباني يؤكد على ان سبب قتل الفضل بن سهل كان لميوله الفارسية التي لم يكن بالامكان اخفاؤها والتي كانت تظهر في اقواله وافعاله علناً[٢٩].

كما ان العمراني يؤكد أن طاهر بن الحسين كان منطلقاً من اهداف شعوبية في تأسيسه للامارة الطاهرية انتقاماً من العرب[٣٠]. حتى ان (علان الشعوبي) الف لطاهر بن الحسين كتاباً خارجاً عن آداب الاسلام عمل فيه على الحط من العرب وألحق بهم كل نقيصة ومثلبة فكافأه طاهر على عمله هذا[٣١].

وكانت شعوبية مؤسس الامارة الصفارية (يعقوب بن ليث) واضحة للعيان فقد سعى الى احياء اللغة الفارسية حتى انه كان يقول «لأن اذم بالفارسية احب إليّ من ان امدح بالعربية»[٣٢] كما لاننسى انه احتضن الشاعر الشعوبي ابن ممشاد



صاحب القصيدة السيئة الصيت والتي مطلعها

انا ابن الاكارم من نسل جم   وحائز إرث ملوك العجم [٣٣]

التي يفخر بها بنسبه الفارسي.

وكانت شعوبية السامانيين بارزة في مجالات عدة، فتطور اللغة الفارسية، والنهضة التي اصابت الأدب الفارسي تعود الى عهدهم ، فقد ادعى السامانيون انهم من نسل (بهرام جوبين) وهو زعيم ساساني هرب الى الترك سنة ٥٩١م . وكانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية لديهم، وقد جعلوا علماء الدين يفتون بجواز الصلاة باللغة الفارسية. كما شجع السامانيون الشعراء الفرس حتى ان بعصهم جاء باراء لاتتفق وروح الاسلام. فهذا الشاعر السودكي السمرقندي يقول «لامعنى لتولية الوجه نحو القبلة والقلب منجذب الى القدسية المجوسية». اما الشاعر الدقيقي – الذي كان اول من حاول نظم الاساطير الايرانية شعراً فيقول «اختار اربعة اشياء من كل الخير والشر في الدنيا شفة الحبيب التي هي بلون الياقوت، وزمزمة العود، والخمرة القانية، ودين زردشت». وقد ترجم في زمنهم تفسير الطبري الى الفارسية [٣٤].

وشعوبية مرداويج الزياري كانت متعددة الجوانب، فقد وضع خطة للسيطرة على بغداد واوصى قادة جنده ان يعيدوا بناء ايوان كسرى في المدائن على الصورة التي كان عليها قبل الاسلام بمجرد ان يفرغ من سيطرته على بغداد [٣٥] كما حاول التشبه بالاكاسرة فوضع التاج على رأسه وكان تاجاً مكللاً بالياقوت والجواهر النفيسة وجلس على سرير من الفضة مطعم بالذهب والجوهر، وكان يقول «أنا أرد دولة العجم وابطل دولة العرب» [٣٦]. وقام مرداويج باحياء تقليد فارسي اخر هو الاحتفال بعيد (السذق) حيث تحرق النيران على رؤوس الجبال وتعلق النيران على ارجل الطير وتطلق في الفضاء، ليلاً حتى تحترق وكان الفرس يحتفلون بهذا العيد ويتميزون به، فجاراهم مرداويج وكان ينفق عليه الشيء الكثير [٣٧].

اما آل بويه فقد رفعوا نسبهم الى الملك الساساني (بهرام جور) وتمسكوا به فخراً واعتزازاً [٣٨].

بهذه الصورة نهضت الشعوبية بدورها في توجيه اندفاع امراء المشرق نحو الانفصال وتكوين دويلات مستقلة ادارياً عن الخلافة العباسية، ولكن على الرغم من شعوبية معظم امراء المشرق الا انهم بقوا مرتبطين بالخلافة ولم يستطيعوا الانفصال الكامل عنها وذلك لحاجتهم الى الشرعية التي كان الخلفاء يوفرونها لهم عن طريق التقليد الرسمي للامارة.

الخاتمة :

وعلى الرغم من الانفصال الظاهري لهذه الولايات، فان ارتباطها وولاءها للخلافة العباسية استمرا، وذلك لحاجتها الى دعم السلطة الروحية للخلفاء والتي كانت تضفي الشرعية على حكم اقاليمهم، وتجعلهم تجاه رعاياهم من المسلمين حكاماً يقومون بفروض الشرع بشكل مقبول، نعم تمتعت هذه الولايات باستقلال داخلي كان ولانها يديرونها بحرية كاملة ولها جيشها الخاص بها وماليتها الخاصة الا مبلغاً معيناً يرسل الى دار الخلافة رمزاً لارتباطهم بها. وكان كل والٍ يحرص ان يكون تقليده من الخليفة على نحو مباشر، فالولاية تتمتع بكل مظاهر الاستقلال الا انها مع هذا لاتستغني عن السيادة الروحية للخلافة كما لم يحصل اي انقطاع بين هذه الولايات وبين الخلافة الا لفترات قصيرة وفي ظروف استثنائية. وبقي اسم الخليفة يضرب على النقود ويذكر في الخطبة [٣٩]. صحيح ان الصفاريين والسامانيين اضافوا الى النقد اسماءهم كما حصل بعض آخر من الخلافة على الالقاب الفخرية، ولكن لم يحصل ذلك الا بموافقة ورضى الخلافة في بغداد. وكانت اموراً شكلية استمر معها نفوذ الخلافة واضحاً ومكانتها بارزة في نفوس الناس.



كان امراء الاطراف يلتمسون التقليد من بغداد ويحتفلون به ويقرأ على الناس في الجوامع وتنشر الخلع والهدايا المرسلة من الخلافة يراها الناس حتى يقتنعوا برضا الخلافة عن اميرهم وموافقتها على توليه الحكم.

كان الامير ذو السلطة الفعلية يكسب شرعية مضافة بهذا التقليد عندما يقلده الخليفة رسمياً حكم ولايته، والخليفة بدوره يثبت مركزه زعيماً اعلى للأمة الاسلامية، على الرغم من كل المصاعب والاستثناءات ان الخليفة يمنح الامير مالايملكه - السلطة السياسية - في حين يحصل لنفسه على الاعتراف بسلطته العليا ذات الطابع الديني على الامة كلها. ويعني هذا بالنهاية للطرفين اعترافاً بالحدود الشرعية الاسلامية للاحكام السلطانية، فالامير هذا يعترف على الاقل بوحدة السلطة الدينية العليا ويلتمس منها شرعية سياسية - شرعية الحكم في نظر رعاياه. وهكذا بتبادل التنازلات حفظت هيبة الخلافة وحفظت وحدة الجماعة تحت سيطرة الخلافة العباسية باعتبارها السلطة العليا التي ينبغي ان لايبقى احد خارجها(٤٠).

الهوامش

١- شعبان - الثورة العباسية - الترجمة العربية. ابو ظبي ١٩٧٧، ص ٢٥٠.

٢- المرجع السابق نفسه ص ٢٦٣.

٣- الدوري - النظم الاسلامية، بغداد، ١٩٥٠، ص ٥٠.

٤- فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ترجمة عبد الهادي ابو ريدة، القاهرة١٩٥٨، ص ٥٣٣.

٥- الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، ١٩٤٥، ص ١٢ - ١٣.

٦- ابن عذاري - البيان المغرب في اخبار المغرب، بيروت ١٩٨٠، ج ١ ص ٦٧.

٧- المصدر نفسه ج ١ ص ٩٢، ابن الاثير - الكامل، ج ٦ ص ١٥٥ - بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٦.

٨- سيدة اسماعيل، كاشف وحسن احمد محمود، مصر في عهد الطولونيين والاخشيديين، سلسلة الالف كتاب، ص ١٢ - ١٤.

٩- المرجع السابق نفسه ص ١٤٦.

١٠- كلود كاهن - تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة بدر الدين قاسم، بيروت ١٩٧٢، ص ٢٨٤، وكذلك الدوري، دراسات ص ١٠٧ وما بعدها.

١١- حسن احمد محمود - العالم الاسلامي قسم ١، ص ١٣٦ - ١٣٧.

١٢- يوسف العش - تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الكتاب اللبناني (د.ت) ص ١٢٢.

١٣- شاكر مصطفى - دولة بني العباس (الكويت ١٩٧٣) ج ١ ص ٥٥٩.

١٤- الدوري - دراسات ص ١٠.

١٥- فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية في عهد الفوضى العسكرية، بغداد ١٩٧٧، ص ٣٦ ومابعدها.

١٦- الدوري - دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٥٩.

١٧- نفس المرجع ص ٣٢، وكذلك تقي الدين عارف الدوري - عصر امرة الامراء في العراق، بغداد ١٩٧٥، ص ١٥ وما بعدها.

١٨- برنارد لويس - العرب في التاريخ، تعريب نبيه بن فارس، بيروت ١٩٥٤، ص ١٣٤.

١٩- ابن خلكان - وفيات الاعيان. تحقيق احسان عباس، دار الثقافة بيروت (د. ت) ج ٢ ص ٥١٨.

٢٠- الطبري - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ج ٩، ص ٥١٦، العيون والحدائق، تحقيق نبيلة عبد المنعم، بغداد ١٩٧٢ ج ٤ قسم ١ ص ٧٧.

٢١- Noldeke, Sketches from Eastern History, London 1967, p. 178.

٢٢- ابن الاثير - الكامل، ج ٨ ص ١٨٩ - ١٩٣، ابو الفداء، المختصر ٣/ ٩٢.

٢٣- ابن الطقطقى - الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، مطبعة محمد علي صبيح بميدان الازهر - القاهرة (د.ت) ص ٢٢٧.

٢٤- ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة (د.ت) ج ٣ ص ٢٨٥.

٢٥- عن الحمدانيين انظر - فيصل السامر، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، بغداد ١٩٧٠، ج ١ ص ٣٨ وما بعدها.

٢٦- الدوري - الجذور التاريخية للشعوبية، بيروت ١٩٦٢، ص ١٢ - ١٣.

٢٧- عبد الله سلوم السامرائي، الشعوبية، بغداد ١٩٨٠، ص ١٥٢.

٢٨- فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية في عهد الفوضى العسكرية، ص ٢١٥-٢١٧.

٢٩- معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج (القاهرة ١٩٦٠) ص ١٨٣.

٣٠- الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي (القاهرة ١٩٧٣) ص ٩٥.



٣١- الهمداني - الاكليل، ج ١ (القاهرة ١٩٦٦) ص ١١٧.
٣٢- نفس المصدر السابق ص ١٢٠.
٣٣- الحموي، معجم الادباء تحقيق مرجليوث (القاهرة ١٩٢٧) ج١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣.
٣٤- الدوري - دراسات، ص ١٢٥.
٣٥- طه ندا - فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية، بيروت ١٩٧٤ ص ٦٦.
٣٦- الصولي - اخبار الراضي بالله والمتقي لله، تحقيق هيورث دن، بيروت ١٩٧٩، ص ٦٢.
٣٧- مسكويه، تجارب الامم ج ١ ص ٣١٠ - ١٤، اما عن عيد السذق (او الساذگ) فانظر البيروني - الآثار الباقية عن القرون الخالية - طبعة سخاو ١٩٢٧ ص ٢٢٦ - ٢٢٧، انظر كذلك كرستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧ - ص ١٦٥ - ١٦٦.
٣٨- الدوري - دراسات ص ٢٤٤.
٣٩- كلود كاهن - تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ص ٢٨٧.
٤٠- رضوان السيد - مقدمة كتاب قوانين الوزارة للماوردي، بيروت - ١٩٧٩، ص ٢٩ - ٣٠.

الموصل في عهد الإدارة الحمدانية

٢٩٣ - ٣٨١ هـ / ٩٠٥ - ٩٩١ م

أ.د. رشيد عبدالله الجميلي

حكم الحمدانيين للموصل:

ينتسب الحمدانيون الى جدهم أبي العباس حمدان بن حمدون. وهو أقدم فرد في هذه الأسرة له دور في التاريخ. وبنو حمدان بطن من بني تغلب ابن وائل كما تشير اغلب الروايات التي اوردها ثقات المؤرخين[1].

وكان بداية ظهور الحمدانيين في عهد الخليفة المعتضد بالله بصورة ثائرين على الدولة العباسية في اقليم الجزيرة الفراتية وقفوا الى جانب الخوارج، وجرت حروب عدة بينهم وبين المعتضد انتهت بأسر حمدان بن حمدون في المحرم من سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م، غير أن الخليفة مالبث أن عفا عنه واطلق سراحه بعد أن انتصر ولده الحسين بن حمدان على هارون الشاري زعيم الشاري وحمله الى المعتضد الذي أمر بإعدامه في سنة ٢٨٣ هـ[2].

وأصبح الحسين بن حمدان منذ ذلك الحين من اعوان الخليفة ووضع امكاناته في خدمة الخلافة، فأسند اليه المعتضد سنة ٢٨٣ هـ مهمة المشاركة في حرب بني دلف بأقليم الجبل، كما عهد إليه المكتفي سنة ٢٩٠ هـ بمهمة القضاء على حركة الحسين بن زكرويه القرمطي، فتمكن من أسره وحمله الى بغداد حيث تم اعدامه مع اتباعه سنة ٢٩١ هـ[3].

وفي سنة ٢٩٢ هـ انضم الحمدانيون الى قوات الخليفة المكتفي وشارك اربعة من اسرة بني حمدان كقادة في الحرب التي دارت مع الطولونيين الذين ساءت علاقتهم مع الخلافة في عهد هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون. فانتصروا انتصاراً حاسماً على الطولونيين ودخلوا مصر، وقيل إن الخليفة المكتفي عرض على الحسين بن حمدان ولاية مصر إلا انه رفض ذلك[4].

واستمر الحسين يواصل جهوده لخدمة الخلافة وقمع حركات الخارجين في اطراف الدولة العباسية خلال عهدي المعتضد والمكتفي (٢٨٣ - ٢٩٤ هـ) وبرهن على قوة شخصيته وكفايته العسكرية، وقد كافأه الخليفة المكتفي فعين أخاه أبا الهيجاء عبدالله ابن حمدان على الموصل وأعمالها أواخر عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م. وولى إبراهيم ديار ربيعة عام ٣٠٧ هـ / ٩٢٠ م، كما قلد سعيداً حكم نهاوند سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٥ م، وأسند بعض المناصب الى



غيرهم من بني حمدان[٥].

ورحل ابو الهيجاء الى الموصل فدخلها في المحرم من سنة ٢٩٣هـ / ٩٠٦م، فكان ذلك بداية حكم الحمدانيين هناك، وقد استمر حكم أبي الهيجاء في الموصل حتى سنة ٣١٧هـ حيث لقي مصرعه بسبب اشتراكه بالمؤامرة التي دبرت لخلع المقتدر بالله العباسي في السنة المذكورة[٦]، وأقر الخليفة المقتدر على حكم الموصل الحسن بن أبي الهيجاء (ناصر الدولة)، وكان قد عهد بحكمها بعد وفاة أبي الهيجاء الى تحرير الصغير، إلا أن الأخير لم يلبث أن توفي في المحرم من سنة ٣١٨هـ، غير انه عاد وعزل ناصر الدولة في ربيع الأول من السنة نفسها، وعهد بحكمها الى سعيد ونصر إبني حمدان. وقلد ناصر الدولة حكم ديار ربيعة ونصيبين، وسنجار، والخابور، ورأس العين، وميافارقين، وأرزن، على أن يحمل الى الخلافة العباسية مال معلوم في كل عام على سبيل الضمان[٧].

وقد بذل الحمدانيون جهوداً كبيرة للقضاء على حركات الخوارج الذين عادوا للظهور من جديد في اقليم الجزيرة الفراتية كحركة صالح بن محمود الذي جبى الأموال من أهل سنجار، ثم انحدر الى الحديثة أسفل الموصل وطالب أهلها بأموال الزكاة، فتصدى له نصر بن حمدان، وتمكن من أسر ولده محمد واعتقله بالموصل، ثم طارد صالحاً حتى البوازيج وتمكن من الظفر به بعد معركة حامية وأسره مع ابنين له في شعبان من سنة ٣١٨هـ وحملهم الى الموصل ثم أرسلهم الى بغداد[٨]، وظهر خارجي آخر في اقليم الجزيرة ايضاً وهو الأغر ابن مطر التغلبي في العام نفسه ونجح ناصر الدولة ابن حمدان في القاء القبض عليه وارساله الى بغداد[٩].

ولم يقتصر دور الحمدانيين في هذه المرحلة من تأريخهم في القضاء على حركات الخوارج، بل كان لهم دور بارز في التصدي لخطر الروم المتعاظم على حدود الدولة العربية الاسلامية ومحاولاتهم المستمرة لاحتلال بلاد الشام، ففي سنة ٣١٩هـ أغار الروم على سميساط فأسرع سعيد بن حمدان لمساعدة أهلها وألحق بالروم هزيمة منكرة، ثم تقدم الى ملطية ودخلها بعد أن رحل الروم عنها خوفاً من كثافة الجيش الحمداني، فعين والياً عليها من قبله وواصل زحفه في بلاد الروم وقتل عدداً كبيراً منهم ثم عاد الى الموصل[١٠]. غير ان الحمدانيين مالبثوا أن فقدوا نفوذهم في الموصل مؤقتاً سنة ٣٢٠هـ بعد هزيمتهم أمام مؤنس المظفر وكان الخليفة المقتدر بالله[١١]، قد أقدم على تعيين الحسين بن القاسم وزيراً له، فبدأ الأخير يعمل على اضعاف قوة مؤنس بضرب الجيش بعضه ببعض، كما قام بعزل علي بن عيسى من ديوان النظر بالمظالم ونفاه الى خارج بغداد، وكان علي هذا صديقاً لمؤنس الذي اضطر للرحيل عن بغداد الى الموصل، فكتب الخليفة المقتدر الى بني حمدان يأمرهم بمنع مؤنس من دخول الموصل، فجرى بينهم وبينه قتال انهزم على اثره الحمدانيون ودخل مؤنس الموصل في صفر من عام ٣٢٠هـ[١٢]، وقد حاول ناصر الدولة الحسن بن حمدان أمير ديار ربيعة الحصول على نجدة من الخليفة لاستعادة البلاد من مؤنس المظفر؛ إلا انه فشل في ذلك واضطر للعودة الى الموصل معلناً خضوعه للأخير، وقد أمضى مؤنس مدة تسعة اشهر ثم عاد الى بغداد وجرت بينه وبين الخليفة المقتدر معارك انتهت بمصرع الأخير في أواخر شوال سنة ٣٢٠هـ[١٣].

وفي سنة ٣٢٣هـ أقدم ناصر الدولة على قتل عمه سعيد لأنه ضمن الموصل وديار ربيعة دون علمه على مال معلوم يحمله الى ديوان الخليفة الراضي بالله[١٤]، وقد عدّ الخليفة اغتيال ناصر الدولة عمه سعيداً تحدياً له، فوجه جيشاً لقتاله بقيادة الوزير ابن مقله، فرحل ناصر الدولة عن



الموصل الى الزوزان ، فتعقبه ابن مقلة إلا انه لم يظفر به وقرر العودة الى بغداد ، ويبدو أن الخليفة الراضي كان ينوي عزل ناصر الدولة عن ولاية الموصل التي نالها جزاء انحيازه الى مؤنس المظفر عقب دخوله الموصل سنة ٣٢٠هـ ، وقد تمكن ناصر الدولة من استعادة نفوذه في الموصل أواخر السنة المذكورة بعد أن راسل الخليفة الراضي طالباً العفو ومؤكداً خضوعه وطاعته ، فوافق على توليته البلاد على سبيل الضمان[١٥] .

إلاّ أن العلاقة بين ناصر الدولة والخليفة مالبثت أن تدهورت سنة ٣٢٧هـ بسبب عدم إيفاء ناصر الدولة بتعهداته المالية تجاه الخلافة ، فخرج الراضي لقتاله بصحبة بجكم (أمير الامراء) ، فانهزم ناصر الدولة واضطر للرحيل الى آمد ، غير أن بجكم لم يلبث أن عقد الصلح مع ناصر الدولة وعاد الى بغداد .

تولي الحمدانيين منصب امير الامراء في بغداد :

اقدم ناصر الدولة سنة ٣٣٠هـ على قتل ابن رائق — أمير الامراء — وذلك حين دخل الموصل بصحبة الخليفة المتقي لله[١٦] ، وقد سوّغ ناصر الدولة عمله هذا بأن ابن رائق كان ينوي اغتياله ، وانه خائن ومتآمر على الخليفة ، ويرى بعض الباحثين أنه ربما يكون هناك اتفاق بين الخليفة والحسن بن حمدان على التخلص من ابن رائق ، فقد كافأ الخليفة المتقي الحسن ولقبه بناصر الدولة وجعله أميراً للامراء في بغداد كما خلع على أخيه علي ولقبه بسيف الدولة[١٧] .

ورحل المتقي الى بغداد يرافقه ناصر الدولة وأخوه سيف الدولة ، فلما علم أبو الحسن البريدي بوصولهما ترك واسط متوجهاً نحو بغداد ، فتصدى له سيف الدولة الحمداني . ودارت الحرب بينهما على مقربة من المدائن وانتهت بانهزام البريديين وتراجعهم نحو البصرة[١٨] .

ويبدو أن ناصر الدولة لم يكن مرتاحاً لوجوده ببغداد بعيداً عن الموصل فقرر العودة الى مقر ولايته في شعبان من سنة ٣٣١هـ ، فأسند المتقي هذا المنصب الى الأمير توزون ، إلا أن الخليفة عاد واتهمه بالانحياز الى اعدائهِ البريديين ، وقرر الرحيل عن دار الخلافة ، وارسل الى حلفائه الحمدانيين يطلب اليهم انفاذ جيش ليصحبه الى الموصل ، فأسرع ناصر الدولة الى انفاذ جيش بقيادة عمه الحسين بن سعيد بن حمدان ، ونشبت الحرب بين الحمدانيين وتوزون انهزم على اثرها الحمدانيون وعادوا الى الموصل في شهر ربيع الثاني سنة ٣٣٢هـ ، ثم رحلوا مع ناصر الدولة الى نصيبين وكان بصحبتهم الخليفة المتقي الذي سار الى الرقة فلحقه سيف الدولة الى هناك ، ويبدو أن توزون كان يؤثر الصلح مع الحمدانيين ليتفرغ لمواجهة البويهيين الذين دخلوا واسط ، فتم الاتفاق على عقد الضمان لناصر الدولة على مابيده من البلاد مدة ثلاث سنوات على أن يدفع في كل سنة ثلاثة ملايين وستمائة الف درهم[١٩] .

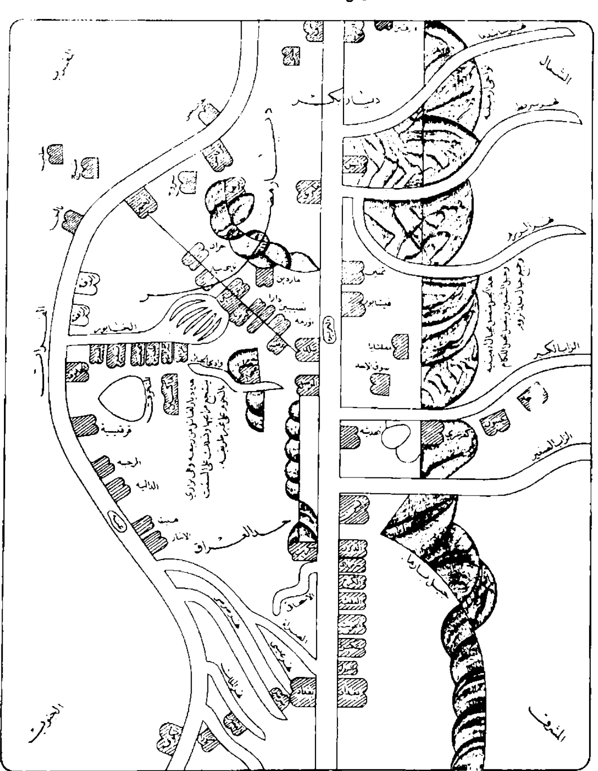
مقاومة الحمدانيين للتسلط البويهي :

حمل الحمدانيون لواء المعارضة والتصدي للتسلط البويهي منذ الأيام الأولى لدخولهم بغداد سنة ٣٣٤هـ ، فنشبت بينهم وبين البويهيين معارك عدة بسبب امتناع ناصر الدولة عن ارسال الأموال المقررة التي كان يحملها الى دار الخلافة قبل الغزو البويهي ، وتمكن ناصر الدولة من دخول بغداد ، ثم مالبث أن خلع طاعة الخليفة المطيع لله الذي خلف المستكفي بالله وحذف اسمه من الخطبة ومنع الناس من تداول الدنانير التي نقش عليها اسم المطيع ، وضرب دنانير ودراهم عليها اسم الخليفة المتقي لله ، غير أن أحمد بن بويه — معز الدولة — مالبث أن تمكن من الحاق الهزيمة بناصر الدولة الحمداني وارغمه على الرحيل الى عكبرا ، ثم وقع الصلح بين



صورة الجزيرة

المرسم رقم ٤٢
عن كتاب صورة الأرض
لابن حوقل (٣٦٧ هـ : ٩٧٧م)



الطرفين في شهر محرم من سنة ٣٣٥ هـ[٢٠].

غير ان هذا الصلح لم يستمر طويلاً، إذ مالبث ناصر الدولة الحمداني ان امتنع عن الوفاء بالتزاماته المالية سنة ٣٣٧ هـ. ثم عقد الصلح ثانية بعد أن قصد معز الدولة البويهي الموصل على رأس عساكره، والواقع أن هذه الحال قد تكررت على مدى السنوات التالية لحكم ناصر الدولة حتى انتهى الأمر باقصائه عن ولاية الموصل سنة ٣٥٣ هـ وحل محله ولده ابو تغلب فضل الله، الذي تفجر الصراع في عهده بين أفراد الأسرة الحمدانية، مما أتاح للبويهيين فرصة التدخل في شؤونهم الداخلية، ولم تلبث الامور أن سارت لصالح البويهيين حين تمكن عضد الدولة البويهي من دخول الموصل، وأرغم أبا تغلب على الرحيل نحو بلاد الروم، ثم اتجه بعد ذلك الى دمشق، ولم يلبث ان لقي مصرعه في شهر صفر من عام ٣٦٩ هـ، وبوفاته انتهى حكم الحمدانيين في الموصل واقليم الجزيرة الفراتية[٢١].

علاقة الحمدانيين بالخلافة العباسية:

كان الحمدانيون في باديء أمرهم عمالاً للعباسيين على الموصل واعمالها، غير أن تدهور اوضاع الخلافة



العباسية خلال القرن الرابع ووقوعها تحت سيطرة البويهيين الذين استأثروا بالسلطة ومارسوا سياسة تعسفية تجاه الخلفاء واشاعوا الفرقة والانقسام بين ابناء الشعب العراقي معتمدين في ذلك على نهج عنصري معادٍ للقيم العربية وللتراث العربي قد حمل ذلك كله الحمدانيين على رفض الخضوع للسيطرة البويهية وحملوا لواء المعارضة وقاوموا التسلط البويهي كلما سنحت الظروف امامهم ، ووقفوا الى جانب الخلافة العباسية في صراعها ضد الحكام البويهيين ، فجعلوا من الموصل واعمالها ملجأ للخلفاء العباسيين الذين تضيق بهم الامور بدار الخلافة.

ومما تجدر الاشارة اليه أن الحمدانيين كانوا قد وضعوا انفسهم في خدمة الخلافة قبل دخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـ ، فحين اجتاحت قوات البريديين بغداد أسرع الحسن بن حمدان الى ارسال اخيه علي على رأس جيش كبير لمساعدة الخليفة المتقي لله ضد البريديين ، فالتقى بالخليفة وأمير الامراء ابن رائق في تكريت حيث عبر سيف الدولة (علي) عن بالغ احترامه للخليفة وقدم له ولمن معه الثياب والفرش والأموال وسار في ركابه الى الموصل[٢٢] . ثم قام الخليفة بمكافأة الحسن بن حمدان ولقبه ناصر الدولة وجعله أميراً للامراء ، كما خلع على اخيه علي ولقبه سيف الدولة . ولا شك أن هذه الألقاب لها دلالتها ، إذ انها تدل على اعتراف الخلافة بالدور المهم الذي يقوم به الحمدانيون في خدمة الخلافة العباسية ، وعلى الرغم من أن الحمدانيين لم يكونوا يرغبون في اطالة مقامهم بدار الخلافة بسبب ما كانت تعانيه أنذاك من اضطراب الاحوال وكثرة الدسائس والمؤام ات التي يعجزون عن حلها ، في وقت كانوا فيه الى التفرغ لحماية الثغور الاسلامية من التهديدات المستمرة من جانب الروم البيزنطيين إلا أن ذلك لم يؤثر على استمرار تعاونهم مع الخلافة العباسية ولم ينقطعوا عن حمل الأموال المقررة إلا في بعض الفترات التي يتفاقم خلالها الصراع ضد البويهيين الذين واصلوا ضغطهم على الحمدانيين حتى تمكنوا أخيراً من اخضاع الموصل لنفوذهم بعد مقتل أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م[٢٣] .

والواقع أن حكم الحمدانيين في الموصل واقليم الجزيرة الفراتية عموماً قد انتهى بمقتل أبي تغلب هذا ، فقد تفرق رجال هذه الاسرة فدخل بعضهم في طاعة البويهيين ، واتجه بعضهم الآخر الى الفاطميين في مصر ، في حين التحق آخرون بعمهم ابي المعالي شريف سعد الدولة في حلب[٢٤] .

المظاهر الحضارية

أولاً : الوضع الإقتصادي

تميز اقليم الموصل بوفرة حاصلاته الزراعية وتنوع انتاجه ، إذ تأتي الحبوب كالقمح والشعير في مقدمة تلك الحاصلات ، تليها الفواكه واهمها ، الكمثرى والرمان والعنب والتفاح ، وكانت بغداد تعتمد في ميرتها على الموصل اربعة اشهر من كل عام[٢٥].

وقد حافظت الموصل على مركزها الاقتصادي خلال العصر الأموي حيث اصبحت قاعدة بلاد الجزيرة الفراتية ، وبلغت جبايتها في عهد الرشيد أربعة وعشرين مليوناً من الدراهم سوى العسل ، ثم اصبح مقدار مايجبى في خلافة المعتصم ستة ملايين وثلثمائة الف دينار[٢٦].

وفي عصر الحمدانيين ازدهرت الزراعة ازدهاراً كبيراً نتيجة الاستقرار الذي تمتعت به الموصل في عهدهم ، وقد اشار ابن حوقل الى ذلك فقال ان الحمدانيين ورجالهم (غرسوا فيها الأشجار وكثرت الكروم وغرست الفواكه وغرست النخيل والخضر)[٢٧]، وقد أولى الحمدانيون زراعة الأرز والحبوب عناية خاصة ، حتى بلغ خراج القمح والشعير خمسة ملايين درهم.



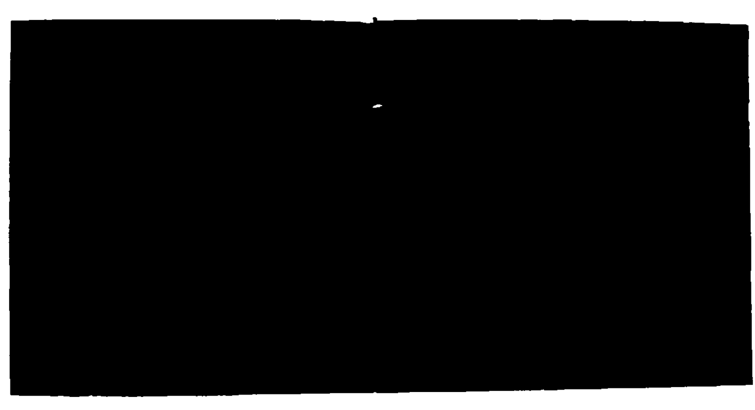
ولاشك أن الحمدانيين كانوا يجنون اموالاً كثيرة من الموصل والمناطق المجاورة لها، يدل على ذلك ترفهم واسرافهم في العطاء، حتى ان سيف الدولة الحمداني أمر بسك دنانير للصلات في كل دينار عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته، وذكر بعض المؤرخين أن الحمدانيين كانوا يمارسون ضغطاً اقتصادياً على السكان، فقد اشار مسكويه الى أن ناصر الدولة كان يضايق أصحاب الأراضي ويجبرهم على بيعها بأبخس الأثمان، ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن ابن حوقل الذي امتدح سياسة الحمدانيين الزراعية، هاجم هو الآخر مافعله ناصر الدولة بالحديثة وتكريت وعكبرا وبلد[٢٨].

والواقع ان سياسة الحمدانيين الاقتصادية في عهد ناصر الدولة كانت تهدف الى انماء الغلال والحبوب على حساب الأشجار غير المثمرة، وقد ترتب على هذه السياسة زيادة الانتاج وتعاظم الخراج الذي استخدموه في الانفاق على الحروب ضد الروم البيزنطيين[٢٩].

ولم يقتصر اهتمام الحمدانيين بالزراعة فحسب بل أولوا عنايتهم للتجارة، فعملوا على صيانة الطرق وتوفير الأمن والحماية للقوافل التجارية متعاونين في ذلك مع الخلافة العباسية في بغداد، وقد أدى ذلك الى ازدهار التجارة في الموصل خلال القرن الرابع الهجري، فأشار ابن حوقل الى أن الموصل امتازت بأسواقها الكثيرة بحيث كان لكل صنف من أصناف البضاعة سوقان أو ثلاثة أو اربعة خاصة بها، وكل سوق منها يضم مائة حانوت أو أكثر[٣٠].

ومن اسواق الموصل المشهورة نذكر: سوق الطعام والاساكفة وسوقِ الغنم وكان يقام في كل يوم أربعاء سوق عرف (بسوق الأربعاء) في الساحة الفسيحة بداخل القلعة حيث يفد الفلاحون من القرى المجاورة، وبالإضافة الى سوق الأربعاء كانت هناك اسواق اخرى مثل: سوق الحشيش والسقّائين والقتابين والبزازين والسراجين، ويؤكد المقدسي أن الموصل كانت تصدر الى الخارج منتجاتها الزراعية والحيوانية والصناعية من القمح والعسل والفحم والفواكه واللحوم المملحة والسمك والحديد والسكاكين والسهام والسلاسل وغيرها[٣١].

أما في مجال الصناعة فقد تميزت الموصل بشهرتها في بعض الصناعات التي غزت معظم اسواق اوربا وآسيا، ويعود الفضل في ذلك الى صناعها الذين تألقت شهرتهم بسبب ماتوافر لديهم



دينار حمداني ضرب سنة ٣٣١هـ يحمل اسمي سيف الدولة وناصر الدولة.



من خبرات ومهارات فنية تشهد بها آثار الموصل في مختلف العصور. وقد ساعد على ازدهار هذه الصناعات تشجيع الأمراء الحمدانيين لكل ماله علاقة بالترف من جهة كالثياب والسجاد والعطور والزجاج وصناعة الحلي وبما له علاقة بعمارة القصور والمساجد والمشاهد والحصون، وصناعة الأسلحة من جهة اخرى.

فكانت الموصل من اعظم مراكز صناعة النسيج في الدولة العربية الاسلامية، فقد برع نساجو الموصل في صناعة المنسوجات الحريرية، فاتخذوا لها الحواشي المقصبة وطرزوها بالكتابات المختلفة، وزخرفوها بالتوريقات وقوامها النبات وأغصان الأشجار بخيوط الذهب والفضة مما كان يرتديه نساء الملوك والامراء والأعيان، وقد عرف العالم هذا النسيج بإسم (الموزلين) Moselin نسبة الى الموصل ونقله التجار الى اسواق اوربا[٣٢].

وفضلاً عن المنسوجات اشتهرت الموصل بصناعة التحف المعدنية المطعمة بالذهب والفضة. وصناعة التحف الفخارية والخزفية، وفن الحفر في الرخام والجص والخشب[٣٣]، وقد اتقن صناع الموصل فن تطعيم التحف المعدنية بالفضة والذهب المعروف بالتكفيت مما اكسبها جمالاً وابداعاً عظيمين، وأصبح لمدرسة الموصل اثر كبير في تطور صناعة المعادن في سائر الأمصار الاسلامية، ورحل كثير من صناعها الى القاهرة ودمشق وحلب، ونشروا صناعة التحف المعدنية في اسلوب فني يظهر فيه التأثر بأساليب مدرسة الموصل[٣٤].

وقد كانت مسطحات الأواني تكفت بعناية دقائق من الفضة وشرائط من الذهب بشكل حل اللامس لهذه الأواني لايحس بأثر التجسيم، وتحمل هذه الأشياء اسماء صناع من الموصل، وقد اطلق اسم البرونز الموصلي على كافة هذه الأعمال الشرقية[٣٥].

الوضع الاجتماعي في الموصل خلال حكم الحمدانيين:

يشكل العرب الغالبية العظمى من سكان الموصل، وكان بنو تغلب وأياد والنمر من أولى القبائل التي دخلتها إبان حركة التحرير العربي الاسلامي لإقليم الجزيرة الفراتية، ثم توافدت عليها قبائل الخزرج والازد وتميم وهمدان وبنو قيس وربيعة والشهوان وبنو شيبان وقبائل عربية اخرى، هذا فضلاً عن عناصر اخرى كالأكراد الذين سكنوا المنطقة الواقعة شمال وشمال شرق الموصل، كما سكن بعضهم سنجار والجزيرة الفراتية، ثم التركمان الذين وفدوا اليها بعد دخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤ هـ[٣٦].

وكان لأهل الموصل عادات وتقاليد موروثة جرت عليها اجيالهم، فكانوا يحرصون على الاحتفال ببعض المناسبات الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف وبعيدي الفطر والأضحى، وزيارة مشهد النبي يونس (ع). كما كانوا يحتفلون بعودة الحجاج من بيت الله الحرام[٣٧] ولما كانت الموصل معروفة بجودة مناخها وعذوبة مائها فقد اعتاد أهلها الخروج الى ظاهر البلد للتنزه في الوديان والسهول الخضراء حيث تقام المهرجانات والعاب الفروسية وغيرها، فضلاً عن قيامهم بزيارة الأديرة التي كانت تقع على مواضع تشرف على الحقول والبساتين، وكان معظم قصادها من الشعراء والادباء، ومن بين المواضع الأخرى التي كان يرتادها أهالي الموصل: حمام العليل المشهور بمياهه المعدنية[٣٨].

وجد الحمدانيون في هذه البيئة مايتناسب مع ميولهم بعد أن أصبحوا من اغنى اغنياء الموصل، فشيدوا القصور الفخمة التي تحيطها الحدائق الفسيحة، ومن أشهر قصورهم في الموصل، القصر الذي بناه أبو تغلب بن ناصر الدولة على ضفة نهر



دجلة ، وكانت تحيط به الحدائق والبساتين التي تخترقها السواقي والغدران ، وقد أمدنا الشاعر السري الرفاء بصورة رائعة عن هذا القصر، وتغنى بجمال مدينة الموصل ونقل صوراً عن مظاهر الحياة الاجتماعية ، وصف من خلالها الحلاقين والأطباء وصيادي السمك والسفن والحمامات ، فضلاً عن وصفه لمشاهد الطبيعة وازهارها واشجارها وغدرانها(٣٩).

وقد اعتاد الأمراء والوجهاء قضاء أوقات فراغهم بمختلف وسائل التسلية كالصيد والمسامرة وتطارح الشعر وسماع الغناء ولعب الشطرنج والنرد وغير ذلك (٤٠).

ثالثاً : الوضع الثقافي :

حظيت الحركة الثقافية في الموصل بإهتمام ورعاية الحمدانيين الذين شغفوا بالأدب وجمعوا بين السيف والقلم ، فنشطت في أيامهم العلوم والآداب، واجتمع على أبوابهم مالم يجتمع على باب أحد من الملوك(٤١) . ومن الاعلام الذين برزوا في الموصل خلال عصر الحمدانيين. الشاعر السري الرفاء أبو الحسن بن أحمد الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، والجغرافي أحمد ابن حوقل صاحب كتاب المسالك والممالك ، وابو الفتح عثمان المعروف بإبن جني صاحب المصنفات المتعددة مثل كتاب : الخصائص وكتاب سر صناعة الأعراب ، وقد كان للأديرة دور مهم في ازدهار الحركة العلمية والأدبية في القرن الرابع الهجري ، فإشتهر من رجالها : عمانوئيل بن شهاري مؤلف كتاب (الاوكسايرون) اي الأيام الستة ، وكان معلماً في دير الأعلى ، وهو دير مار جبرائيل ، وايشو عياب بن شهاري المعلم في دير ميخائيل على نهر دجلة (٤٢).

وقد عمل الحمدانيون خلال مدة حكمهم على رعاية الأدب ، فحفلت المصادر التاريخية بالكثير من اخبار امراء بني حمدان الذين برزوا في ميدان الشعر والأدب على الرغم من انشغالهم بالحروب والمنازعات الداخلية والخارجية ، فكان ابو تغلب ابن ناصر الدولة أديباً وشاعراً ومحباً للثقافة ، وقد اسهب الثعالبي في الحديث عن الحياة الأدبية في عصر الحمدانيين وذكر عدداً من شعراء هذه الأسرة ، ومن مظاهر اهتمامهم بالناحية الفكرية أن أبا تغلب كان قد اقتنى نسخة من كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني بعشرة آلاف درهم وعكف على دراسته ، فأعجب بما فيه من طرائف الأدب ، وأمر أن تنسخ له نسخة أخرى يكتب عليها اسمه (٤٣).

خطط المدينة :

رافق تحرير العرب المسلمين لاقليم الجزيرة الفراتية حركة ازدهار للحياة الثقافية والعلمية ونهضة عمرانية شاملة ، وسرعان ماغدت الموصل بإعتبارها قاعدة اقليم الجزيرة من المراكز المهمة خلال العصر الأموي ، فشيدت فيها المساجد والقصور، وقد أشار الأزدي الى أن هشام بن عبدالملك بنى قصراً في موضع قطائع بني وائل ، كما شيد الحر بن يوسف قصر المنقوشة الذي اتخذه دار امارة له ، وكان القصر منقوشاً بألوان النقش والساج والقشاقش (٤٤).

وقد حظيت الحركة العمرانية في الموصل خلال العصر العباسي بإهتمام خلفاء بني العباس وعمالهم ، فقد قام عامل ابي جعفر المنصور اسماعيل بن علي بإصلاح المسجد الجامع وضم اليه الأسواق المحيطة به ، كما تم نقل المقبرة الى خارج العمران ، وشيد مسجداً عرف بمسجد (أبي حاضر) . وقد تم توسيع المسجد للمرة الثانية في خلافة المهدي ، حيث قام موسى بن مصعب عامله على الموصل بهدم اسواق البزازين والسراجين وضمها الى المسجد ، وحين آل حكم الموصل الى الحمدانيين سنة ٢٩٣ هـ شرعوا



ببناء دار للإمارة على الضفة الغربية لنهر دجلة قرب (قره سراي) اليوم[٤٥] كما بنوا مسجداً في الدير الأعلى ومشهداً لعمرو الخزاعي، وكان الحمدانيون قد أولوا اهتماماً خاصاً لبناء المساجد والمراقد والمشاهد في الموصل، ومن تلك المساجد، المسجد الذي شيدته الأميرة جميلة بنت ناصر الدولة، والقبة التي بناها ناصر الدولة على مشهد الإمام علي بن أبي طالب (رض) [٤٦].

أما عن القصور التي انشأها الحمدانيون في الموصل، فأشهرها قصر أبي تغلب بن ناصر الدولة الذي بناه على ضفة دجلة، وقصر أبي الحسن ياروخ بن عبدالله على دجلة، وقد ازدحمت الموصل بالكثير من القصور والدور الأنيقة التي شيدت على نهر دجلة، فذكر ياقوت الحموي أن الموصل "كانت حسنة الأبنية وبيوتها تبنى بالرخام والنوره، ولا يكاد أهلها يستعملون الخشب في السقوف" [٤٧].

وقد أدى ازدياد عدد سكان الموصل الى خروج الناس الى الأرباض بعد أن ضاقت بهم المدينة فعمروها وصار بعض أرباضها يضاهي المدينة نفسها، واشهر الأرباض ربضان: الربض الأعلى ويقع شمالي الموصل خارج السور، ويمتد من باب سنجار غرباً الى ضفاف نهر دجلة شرقاً، والربض الأسفل، وهو اكبر الأرباض واحسنها عمارة، فقد شيدت فيه المدارس والمساجد والأسواق والحمامات والخانات[٤٨].

والواقع أن مدينة الموصل امتازت بفخامة ابنيتها وجمال هندستها وزخرفتها وتنسيق شوارعها وحدائقها، حتى أصبحت محلاتها وأحياؤها مضرب لأمثال، فكانت تخترق مدينة الموصل شبكة من لدروب والشوارع التي تربط بين احيائها وارباضها، ومن أهم تلك الطرق التي كانت معروفة آنذاك كما أوردها المقدسي هي: درب دير الأعلى، ودرب باصلوت، ودرب الجصاصين، ودرب بني ميدة، ودرب أمير المؤمنين، ودرب الدباغين، ودرب جميل[٤٩].

والى جانب هذه الشبكة من الشوارع أو الدروب كما كان يطلق عليها انذاك ذكر بعض المؤرخين طرقاً أخرى منها: سكة أبي نجيح، وهي من دروب الموصل القديمة، ثم درب ايليا الطبيب، ثم درب رحىٰ امير المؤمنين[٥٠].

سور الموصل:

يرجع بناء أول سور لمدينة الموصل الى سعيد بن عبدالملك بن مروان الذي تولى امارتها في خلافة أبيه، ثم تولى بعده محمد بن مروان الذي جدد السور الذي بناه ابن اخيه سعيد ووسع نطاقه بسبب اتساع المدينة، وكانت الموصل قد اصبحت قاعدة بلاد الجزيرة الفراتية في عهد مروان بن محمد الذي تولى امارتها في سنة ١٠٢ هـ، فألحقها بالأمصار وجعل لها ديواناً مفرداً ونصب جسرها وبنى اسوارها[٥١].

وقد استمر سور الموصل قائماً حتى سنة ١٨٠ هـ عندما أمر الخليفة العباسي هارون الرشيد بهدمه على اثر الثورة التي قام بها أهل الموصل، فبقيت المدينة من غير سور حتى سنة ٤٧٤ هـ حيث قام الأمير مسلم بن قريش العقيلي ببناء سور قليل الارتفاع لافصيل له ولا خندق[٥٢]. وفي ضوء هذه المعلومات يتضح أن الموصل كانت خالية من الأسوار خلال حكم بني حمدان الذي امتد الى سنة ٣٨١ هـ.

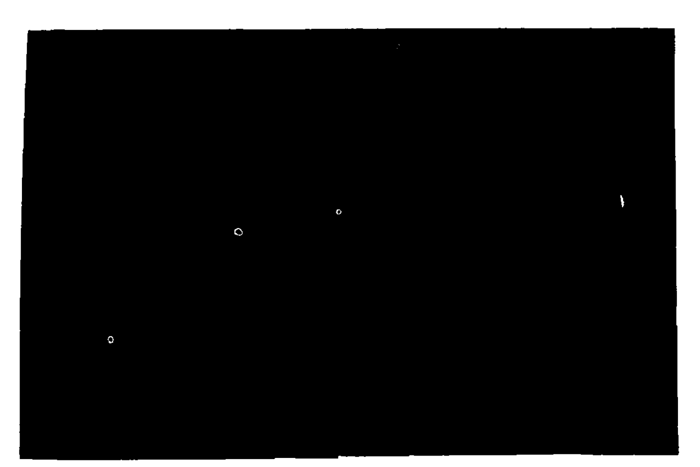
الفنون المعمارية:

تميزت مدينة الموصل بوفرة أعداد كبيرة من أهل الخبرة والمهارة الفنية والصناعة الفائقة التي شهدت بها آثارها على مختلف العصور، وقد ساعد على ازدهار هذه الفنون توافر المعادن والمواد الخام في



المناطق المحيطة بالموصل، ومن أشهر الفنون المعمارية: فن الحفر في الجص وفي الخشب والرخام، فقد برع الفنان الموصلي في فن الزخرفة التي وضحت آثارها فيما وصل الينا من آثار كالمساجد والقصور وغيرها من المنشآت العمرانية التي تظهر في اعلاها الزخارف الجصية التي تتألف من رسوم نباتية تتخللها صور حيوانات كالأسد والغزال وطيور أليفة كالبط والحمام (٥٣).

والى جانب الزخارف الجصية برع أهل الموصل في حفر الزخارف في الخشب وتطعيمه بالأصداف، كما برعوا في استعمال الأخشاب ذات اللون المغاير للخشب الذي يجري تطعيمه، فكانت تظهر على هذه الأخشاب زخارف غائرة وبعضها بارزة تحيط باللوح ويكون داخل اللون زخارف دقيقة للغاية، كما يظهر ذلك في الباب الخشبي لجامع النبي جرجيس في الموصل (٥٤).



لوح رخامي عثر عليه شمال موقع مزار الامام يحيى ابو القاسم في الموصل، تثبت زخرفته واسلوب تنفيذها المشابهة لطراز سامراء المشطوف انه يعود الى نهاية القرن الثالث الهجري او بداية الرابع ، ولعله من بقايا آثار المسجد الذي بناه لنفسه الحسين بن سعيد الحمداني المتوفى سنة ٣٣٨هـ في هذا الموقع

(تعليق وتصوير يوسف ذنون)

ويعد الرخام مادة أساسية في أبنية الموصل، فاتخذ أهلها من هذه المادة الأقواس والمداخل والشبابيك، كما فرشوا به أرضية دورهم، وقد شجعهم على استخدامه كثرة توافره في القسم الشمالي من الموصل، ويكون لون المرمر مائلاً الى الزرقة، ويسمى (المرمر)، وهو سهل القطع مطواع للحفر، مما جعل الناس هناك يفضلونه على الآجر، فكانوا يطبقون الرخام الأزرق بالرخام الأبيض أو بالصدف ويكون هذا التطبيق أما بالكتابة بأحرف كبيرة أو تكون على شكل ألواح هندسية جميلة، يزينون بها المحاريب والأبواب والجدران التي تحيط بأسفل الغرف.

الهوامش

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١ ص١٧٥.
(٢) الطبري، تاريخ ج٨ ص١٧٠ - ١٧٤.
(٣) ابن الأثير، الكامل ج٧ ص٥٣١، فيصل السامر، الدولة الحمدانية بغداد ١٩٧٠ ج١ ص٣٨ - ٤٠
(٤) السامر، الدولة الحمدانية ج١ ص١٠٠.
(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١ ص١٧٥.
(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٨ ص٢٠٠ - ٢٠٢، ابو المحاسن، النجوم الزاهرة ج٣ ص٢٢٣.



(٧) نفس المصدر، الكامل ج٨ ص٢١٤ – ٢١٧.
(٨) نفس المصدر، الكامل ج٨ ص٢٢٠ – ٢٢١.
(٩) نفس المصدر، الكامل ج٨ ص٢٣٤ – ٢٣٥.
(١٠) نفس المصدر، الكامل ج٨ ص٢٣٥.
(١١) هو الخليفة جعفر بن المعتضد بالله تولى الخلافة سنة ٢٩٥هـ.
(١٢) ابو الفدا، المختصر ج٢ ص٧٦.
(١٣) المسعودي، التنبيه والاشراف ص٣٢٧.
(١٤) ابو العباس أحمد بن المقتدر بالله تولى الخلافة بعد القاهر في جمادي الاولى سنة ٣٢٢هـ.
(١٥) ابن الأثير، الكامل ج٨ ص٣٠٩ – ٣١٠.
(١٦) ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله بويع بالخلافة سنة ٣٢٩هـ.
(١٧) السامر، الدولة الحمدانية ج١ ص٢٤٠.
(١٨) ابن الأثير، الكامل ج٨ ص٣٨٤ – ٣٨٥.
(١٩) ابن الأثير، الكامل ج٨ ص٤٠٧ – ٤٠٨.
(٢٠) نفس المصدر، ج٨ ص٤٥٤.
(٢١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥ ص٣٩٥.
ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ص٢١ – ٢٤.
(٢٢) ابن الأثير، الكامل ج٨ ص٣٨٢.
(٢٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٧ ص١١٧.
(٢٤) السامر، الدولة الحمدانية ج١ ص٣٨٩.
(٢٥) ابو المحاسن، النجوم الزاهرة ج١ ص٤٥.
(٢٦) الجهشياري، الوزراء والكتاب. ص٣٢، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي ص١٦٨.
(٢٧) ابن حوقل، ج١ ص٢١٤.
(٢٨) مسكويه، تجارب الأمم ج٢ ص٢٨٤، ابن حوقل. ج١ ص٢٢٩.
(٢٩) السامر، الدولة الحمدانية ج١ ص٣٣٤.
(٣٠) ابن حوقل، ج١ ص٢١٥.
(٣١) المقدسي، ص١٣٨ – ١٣٩.
(٣٢) أرنست كونل، الفن الاسلامي ص٨٧.
(٣٣) الديوه جي. الموصل في العهد الأتابكي ص٦٤، ٦٥.
(٣٤) التكفيت طريقة للزخرفة تقوم على حفر الرسوم على سطح المعدن أو الخشب، ثم تملأ الشقوق التي تؤلف هذه الرسوم بقطع من مادة اغلى قيمة كالذهب والفضة.
(٣٥) ارنست كونل، الفن الاسلامي ص٨١.
(٣٦) الطبري، ج٤ ص٣٦، القلقشندي، نهاية الارب، ص١٨٦ – ١٨٧ الصائغ، تاريخ الموصل ص٥١.
(٣٧) ابن الأثير، الكامل ج١١ ص٣٦٤، الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي ص٨٠.
(٣٨) الآلوسي، بلوغ الارب ج١ ص٢٢١، الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص٨٢.
(٣٩) ديوان السري، ص٣٤ – ٣٦.
(٤٠) السامر، الدولة الحمدانية ج١ ص٣٧٢.
(٤١) الثعالبي، يتيمة الدهر ج١ ص٨٠.
(٤٢) الصائغ، تاريخ الموصل ص١٤٤ – ١٤٥.
(٤٣) ياقوت، معجم الأدباء ج١٣ ص١٢٥ – ١٢٦، انظر كذلك: السامر: الدولة الحمدانية ج١ ص٣٦٦.
(٤٤) الازدي، تاريخ الموصل مخطوط ورقة ١٧، ١٨.
(٤٥) السامر، الدولة الحمدانية ج١ ص٣٥٠.
(٤٦) السامر، الدولة الحمدانية ج١ ص٣٥٠ – ٣٥٢.
(٤٧) الحموي، معجم البلدان ج٨ ص١٩٦.
(٤٨) الديوه جي، المرجع السابق ص١١٠.
(٤٩) المقدسي، أحسن التقاسيم ص١٣٨.
(٥٠) الديوه جي، المرجع السابق ص١١٠.
(٥١) البغدادي، مراصد الاطلاع ج٣ ص١٣٤، الديوه جي، سور الموصل مجلة سومر مجلد ٧ ج٢ ص٢٦٦ – ٢٦٧.
(٥٢) ابن الأثير، الباهر ص٧٨.
(٥٣) ارنست كونل، الفن الاسلامي ص٦٨.
(٥٤) الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي ص٦١.

الموصل في عهد الإدارة العقيلية
٣٨٠ – ٤٨٩هـ / ٩٩٠ – ١٠٩٥م

د. خاشع المعاضيدي

بنو عقيل احدى قبائل العرب التي نزحت من الجزيرة العربية لظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية، الى العراق والشام والخليج العربي ومصر وبلاد المغرب العربي، وكان رحيلهم الى هذه البلاد بعد دخولهم الاسلام، وكانت لهم مواقع متعددة ونفوذ واسع في الجزيرة العربية منذ بعثة الرسول (ص)[1].

والنسبة الى «عقيل» على عدة وجوه، فالعقيلي «بفتح العين المهملة وكسر القاف وسكون الياء، نسبة الى عقيل بن ابي طالب، و «العقيلي» بالفتح ايضاً بطن من بني زيد بن جذام من قحطان. ومساكنهم بالشرقية من الديار المصرية،



ويقال لهم «العقيليون» ، و «العقيلي» بضم العين وفتح القاف وسكون الياء ، نسبة الى عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر من قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهم اصحاب الامارة العقيلية بالموصل والجزيرة الفراتية من ارض العراق ، وكان قد عظم امرهم في عصر السيطرة السلجوقية (٢) .

وكان بنو عقيل ، لما خرجوا من الجزيرة العربية ، اقام قسم منهم في البحرين مع كثير من قبائل العرب ، ومنهم بنو تغلب وبنو سليم ، وكان اكثرهم قوة وعدداً بنو تغلب ، ثم اجتمع بنو تغلب وبنو عقيل على بني سليم حتى اخرجوهم من البحرين الى مصر حيث اقام بعضهم هناك ، في حين سار الآخرون الى افريقية،من بلاد المغرب ، ثم اختلف بنو عقيل مع بني تغلب ، وحدثت بينهم حروب كثيرة انتهت بخروج بني عقيل من البحرين الى العراق فملكوا الكوفة والبلاد الفراتية ثم تغلبوا على الموصل واقاموا دولتهم فيها بعد الحمدانيين ، وما زالوا حتى غلبهم السلاجقة وازالوا دولتهم من الموصل سنة ٤٨٩ هـ وعادوا ثانية الى البحرين (٣) .

أما العقيليون الذين اقاموا في بلاد الشام قبل قيام دولتهم في الموصل فقد صار لهم دور مهم في السياسة العامة ، وخاصة في المنطقة الواقعة بين الموصل وحلب ذلك ان ماوصلت اليه الحال من علو شأن الفرس في الدولة العباسية بعد مقتل الأمين وبيعة المأمون سنة ١٩٨ هـ ، اثار سخط العرب ، وما لبثوا ان عبروا عن سخطهم هذا بالثورة المسلحة ضد خلافة المأمون ومن ورائه الفرس ، فقام رجل عربي من بني عقيل ، يدعى ، نصر بن سيار بن شيت العقيلي بثورة في شمال حلب سنة ١٩٨ هـ ، وتغلب على ماجاوره من البلاد ، واجتمع اليه كثير من العرب ، بعد ان صار معظم قواد العباسيين من غير العرب ، غير ان جند المأمون ضيقوا الحصار عليه حتى طلب الامان ، وكان المأمون قد طلب الى نصر العقيلي في رسالة بعث بها اليه مع احد رجاله ، ان يترك الحرب ، ويجنح الى السلم ، فقبل نصر ذلك على ان لايطأ بساط المأمون (٤) .

ومن بين العقيليين الذين ظهروا في بلاد الشام قبل قيام دولتهم بالموصل ظالم بن موهوب العقيلي الذي تغلب على دمشق سنة ٣٥٧ هـ ، سنة ٣٥٨ هـ ، ثم ولاه الحسن بن احمد القرمطي عليها بعد ان استولى على بلاد الشام ، من الدولة العبيدية في مصر سنة ٣٦٠ هـ وما لبث ظالم العقيلي ان اختلف مع القرمطي الذي زحف الى بلاد الشام ثانية سنة ٣٦١ هـ (٥) .

اولاً : قيام دولة العقيليين في الموصل :

لما ضعفت السلطة المركزية في بغداد في اواخر القرن الثالث الهجري ، نتيجة ازدياد نفوذ العنصر الأجنبي على الخلافة العباسية ، عملت القبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية على استعادة نفوذها ، واستولت على كثير من القلاع والمدن ، وكونت دويلات شبه مستقلة عن الخلافة العباسية ، ومنها دولة بني عقيل في الموصل وديار بكر والجزيرة الفراتية للفترة من سنة ٣٨٠ هـ ، سنة ٤٨٩ هـ (٦) .

كان شأن بني حمدان قد ضعف في الموصل بعد وفاة اميرهم ناصر الدولة الحمداني سنة ٣٥٨ هـ ، واختلف اولاده على السلطة ، وتعرضت دولتهم لغارات الروم من الشمال ، وهجوم البويهيين على الموصل من الجنوب ، مما اجبر ابا تغلب الحمداني على مغادرة الموصل الى دمشق سنة ٣٦٧ هـ فانضم اليه بنو عقيل هناك في نزاعه مع بني الجراح وحلفائهم العبيديين ، ولما نشبت الحرب بين



الفريقين انهزم ابن حمدان ونزح بنو عقيل الى شرق بلاد الشام واجتمعوا في ارض الجزيرة الفراتية والموصل، ومنذ ذلك الوقت صار بنو عقيل من رعايا الدولة الحمدانية. ولما تداعت الدولة الحمدانية تطلع العقيليون للسيطرة على الموصل، ونجح ابو الدرداء (ابو الذؤاد) محمد بن المسيب امير بني عقيل، في الاستيلاء على نصيبين سنة ٣٧٩ هـ. ثم استولى على الموصل سنة ٣٨٠ هـ واعترف البويهيون به والياً على الموصل، لكنهم مالبثوا ان عزلوه سنة ٣٨٢ هـ، وصاروا يتولون حكم الموصل من سنة ٣٨٦ هـ حيث تمكن المقلد ابن المسيب العقيلي، وهو اخو محمد بن المسيب المذكور، من استعادة الموصل من البويهيين واسس الدولة العقيلية فيها والتي استمرت حتى سنة ٤٨٩ هـ (٧).

وقد اقام عدد من امراء بني عقيل الذين انحدروا من جدهم «المقلد الأكبر» عدة مراكز لسلطانهم في العراق والشام وبعض بلاد الشرق العربي باسم العقيليين، منها الآتي: –

١ – اولاد المسيب بن رافع بن المقلد الأكبر، حكام الموصل ونصيبين وحلب وجعبر والرقة وحران.
٢ – اولاد مالك بن المقلد الأكبر، حكام هيت على الفرات.
٣ – اولاد معن بن المقلد الأكبر، حكام تكريت وعكبرا، واوانا على دجلة.
٤ – اولاد شعيب بن المقلد الأكبر، حكام حديثة عانة على الفرات.

امراء بني عقيل في الموصل:

حكم الدولة العقيلية في الموصل الامراء الآتية اسماؤهم:

١ – ابو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد الأكبر بن جعفر بن مهند العقيلي، المؤسس الأول لدولة بني عقيل في الموصل:

وكان اول نشاطه، عندما ساعد ابني ناصر الدولة الحمداني، ابي طاهر ابراهيم، وابي عبدالله الحسين، ضد باذ الكردي الذي غزا الموصل، فأوقع العقيليون والحمدانيون به الهزيمة الى الشرق من دجلة وذلك سنة ٣٧٩ هـ؛ حصل بعدها ابو الدرداء على جزيرة ابن عمر ونصيبين من الحمدانيين، وصار له نفوذ واسع في تلك المنطقة وما والاها من الأعمال (٨).

ولما هاجم ابو علي الحسن بن مروان، مؤسس الدولة المروانية في ميافارقين، الموصل سنة ٣٨٠ هـ، وانهزم آخر امراء بني حمدان سار أبو الدرداء محمد بن المسيب العقيلي الى الموصل، واستولى عليها وعلى الأعمال التابعة لها. وبذلك اقام الدولة العقيلية في الموصل (٩).

ارسل ابو الدرداء العقيلي، بعد ان استقر امره بالموصل، آل بهاء الدولة البويهي يسأله ان يبعث له من يقيم عنده من اصحابه، ليعينه في تدبير امور الدولة، فأرسل اليه البويهي، احد قواده، الذي اقام بالموصل الى جانب الأمير العقيلي كاتباً، وليس له من الأمر شيء، لكن البويهيين مالبثوا ان استعادوا الموصل سنة ٣٨٢ هـ من العقيليين، وظلوا يتولون حكمها حتى سنة ٣٨٦ هـ حيث توفي ابو الدرداء العقيلي وقام اخوه المقلد بالامارة (١٠).

٢ – حسام الدولة المقلد بن المسيب:

اختلف المقلد واخوه علي على الامارة بعد وفاة اخيها ابي الدرداء، وانقسمت عقيل بين الأخوين، وكادت الحرب تنشب، غير انها تداعيا للصلح، وزحفا نحو الموصل واوقعا بالقائد البويهي ابي جعفر بن هرمز الذي رحل عن الموصل الى



بغداد، في حين دخل العقيليون الموصل على ان يخطب للمقلد وعلي في المدينة، وان يقدم علي في الخطبة لكبر سنه، على ان العلاقة الطيبة بين الاخوين، تعرضت للفساد والعبث من قبل المغرضين من اتباعها، وعادت الخلافات بين الأخوين حتى وفاة علي سنة ٣٩٠هـ، كما فشل اخوهما الحسن في منازعة المقلد على الامارة، وبذلك استطاع المقلد ان ينفرد بالسلطة، ويثبت كيان الدولة العقيلية في الموصل واعمالها، واستمر يتولى امرها حتى وفاته غيلة بالانبار سنة ٣٩١هـ[١١].

امتاز المقلد العقيلي بحسن السياسة والتدبير، اذ كان شخصية قوية وشجاعة، فيه عقل وسياسة، اتسعت دولته حتى شملت فضلاً عن الموصل، الكوفة والقصر والجامعين وسقي الفرات والانبار والجزيرة الفراتية، وقد استخدم من الديلم والأتراك في جيشه، مابلغ ثلاثة آلاف من الجنود الذين كان يطلق عليهم الارزاق، وكان فيه فضل ومحبة لأهل العلم والأدب، وكان ينظم الشعر ايضاً[١٢].

كما صار للمقلد العقيلي، دور مهم في المنازعات الدولية وخاصة بين الخلافتين العباسية في بغداد، والعبيدية في مصر، بشأن السيطرة على بلاد الشام والحرمين الشريفين، والجزيرة الفراتية، حتى كان مقتله بالانبار على يد احد مماليكه الأتراك سنة ٣٩١هـ[١٣].

٣- معتمد الدولة قرواش بن المقلد:

تولى الامارة بعد مقتل ابيه سنة ٣٩١هـ وانفرد بالحكم رغم منازعة عمه الحسن بن المسيب له، وحكم قرابة خمسين عاماً. وكان نفوذه قد امتد حتى شمل الكوفة والمدائن وسقي الفرات فضلاً عن الموصل، لقبه الخليفة العباسي القادربالله «معتمد الدولة» وكان اديباً وشاعراً، ذا عقل وسياسة حتى صار من بين رجال العرب البارزين، وصار له دور كبير في العلاقات بين الخلافتين العباسية والعبيدية. فقد خطب للعباسيين احياناً، وللعبيديين احياناً اخرى على منابر الموصل والأعمال التابعة له، اذ كان كثير التردد في الولاء لأي من الخلافتين، لكنه كان في احيان اخرى يميل الى الحياد او الاعتزال عن الجانبين، ومع ذلك، فهو يرغب في الاستفادة من الطرفين، وكان لعلو شأنه في ذلك العصر، ان عقد له السلطان البويهي على ابنته سنة ٤٠٨هـ بصداق قدره خمسون الف دينار[١٤].

٤- زعيم الدولة ابو كامل بركة بن المقلد:

استولى ابو كامل بركة بن المقلد، على الامارة سنة ٤٤٢هـ بعد ان احتجز اخاه قرواش في دار الامارة، ثم نقله الى قلعة الجراحية خارج مدينة الموصل حيث بقي فيها حتى وفاة اخيه بركة سنة ٤٤٣هـ[١٥].

٥- علم الدين ابو المعالي قريش بن بدران العقيلي:

لما توفي ابو كامل بركة بن المقلد اجمعت بنو عقيل على ان يتولى امرهم ابن اخيه قريش بن بدران بن المقلد العقيلي، وكان اول اعماله ان اخرج عمه قرواش من قلعة الجراحية وقتله في مجلسه في مستهل رجب من سنة ٤٤٤هـ ودفنه في تل توبة شرقي الموصل، وكان قريش يلي نصيبين قبل ان يتولى امارة الموصل، وظل يلي حكم العقيليين في الموصل حتى وفاته سنة ٤٥٣هـ[١٦].

٦- شرف الدولة ابو المكارم مسلم بن قريش.

تولى امارة بني عقيل بعد وفاة ابيه، فملك الموصل وحلب والجزيرة الفراتية، وكان شجاعاً



جواداً ذا همة وعزم، احتاجه الخلفاء والملوك والوزراء، وخطب له على المنابر من بغداد الى القواصم والشام. واقام حاكماً على البلاد نيفاً وعشرين عاماً. وقد زوجه السلطان السلجوقي ألب أرسلان اخته، وإن مما يجدر ذكره ان مسلم العقيلي ولي مدينة الموصل للشاعر ابن حبوس عندما مدحه بقصيدة قال فيها :[١٧]

مـادرك الـطـلـبـات مـثـل مصـمـم
إن اقــدمــت اعــداؤه لايحــجــم

فأقام ابن حبوس الشاعر في حكم الموصل ستة أشهر وكان ذلك سنة ٤٧٧ هـ.

اتسعت مملكة مسلم العقيلي كثيراً، وزادت عن املاك اسلافه، فقد ملك السندية على نهر عيسى الى منبج وديار بكر وربيعة ومقر والجزيرة الفراتية وحلب اضافة لما كان لأبيه وعمه قرواش من الموصل والأنبار وهيت وتكريت، وكان مسلم يسوس البلاد بأحسن السير واعدلها، لذلك امنت الطرقات في دولته وكان يصرف الجزية في بلاده على الطالبين، كما عمر سور الموصل سنة ٤٧٤ هـ وفرغ من عمارته بستة اشهر[١٨].

وكان لتعاظم امر مسلم العقيلي ان حاولت الشعوبية اغتياله سنة ٤٧٤ هـ عن طريق خادميه لكنهما لم ينجحا، فقبض عليهما وقتلا، ثم كان مقتل مسلم سنة ٤٧٨ هـ باطراف انطاكية حيث دارت الحرب بينه وبين قتلمش السلجوقي، فكانت وفاته بداية لزوال دولة بني عقيل في الموصل والعراق وبلاد الشام، حيث سار تاج الدولة تتش وهو اخو السلطان ملكشاه السلجوقي الى حلب واستولى عليها من بني عقيل[١٩].

٧- ابراهيم بن قريش :

اختاره بنو عقيل للامارة بعد مقتل اخيه مسلم سنة ٤٧٨ هـ. وما ان تم له الأمر حتى تمكن من استعادة الموصل من ابن جهير الذي استولى على الموصل سنة ٤٧٧ هـ بمساعدة قسيم الدولة آقسنقر في اثناء غيبة مسلم العقيلي عن الموصل الى الشام، غير ان السلطان السلجوقي ملكشاه لم يعترف بامارة ابراهيم على العقيليين، واسند الامارة الى ابي عبدالله محمد بن مسلم، واستنابه عنه بالرحبة وحران وسروج والخابور، وزوجه اخته بنت السلطان الب ارسلان السلجوقي،لكن بني عقيل رفضوا تدخل السلطان السلجوقي بامور دولتهم، وقرروا الابقاء على ابراهيم اميراً عليهم، ومازال الأمر على ذلك حتى سنة ٤٨٢ هـ حيث استدعى السلطان السلجوقي ملكشاه الأمير ابراهيم العقيلي الى بغداد، فاعتقله واخذه معه اسيراً الى سمرقند، ثم عاد به معه الى بغداد ومازال ابراهيم في الاسر حتى وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ، وكان السلاجقة قد اخذوا الموصل مدة احتجاز ابراهيم العقيلي، في حين استمر الأمير محمد بن مسلم العقيلي يلي امارة بني عقيل في الأعمال الخاضعة له، وكان ينازعه في ذلك اخوه علي بن مسلم العقيلي[٢٠].

اطلق سراح ابراهيم العقيلي بعد وفاة السلطان ملكشاه، في حين استمر النزاع بين الأخوين محمد وعلي اولاد الأمير مسلم العقيلي على الامارة في الموصل. وتطور النزاع الى قتال انهزم فيه الامير محمد، ودخل الامير علي الموصل واستولى عليها من فخر الدولة بن جهير القائد السلجوقي، وبذلك عاد حكم العقيليين على الموصل، ثم اصطلح الأمير علي مع عمه الأمير ابراهيم، وسلمه الموصل وبلد، وساد نفوذ ابراهيم في جميع بلاد بني عقيل، غير ان السلاجقة لم يكفوا عن التدخل في شؤون امارة ابراهيم العقيلي، فقد طلب اليه تاج الدولة تتش، وهو اخو السلطان ملكشاه والمتنفذ في بلاد الشام آنذاك، ان يخطب له بالسلطنة بعد الخليفة العباسي، فلما رفض ابراهيم العقيلي ذلك سار تاج الدولة تتش الى الموصل يريد احتلالها، فخرج اليه ابراهيم العقيلي، والتقى الفريقان العربي



والسلجوقي سنة ٤٨٦ هـ عند نهر الهرماس ، واشتبكا في عدة مواقع ، كان اهمها موقعة المضيع انتهت بانتصار تاج الدولة تتش ومقتل ابراهيم العقيلي وعدد من امراء بني عقيل وذكر ان عدد القتلى من الجانبين بلغ عشرة آلاف رجل . ولم يشاهد ابشع مما عمله السلاجقة بالعرب ونسائهم في هذه الحرب حتى ان بعض نساء العرب عمدن الى القاء انفسهن في نهر الفرات خشية ماقد يلحقهن من العار على ايدي السلاجقة ، وبذلك استولى تاج الدولة تتش على ديار بكر والجزيرة وآمد وميافارقين ، وانفذ ولاته الى الموصل وسنجار ، في حين ترك بنو عقيل منازلهم وتوجهوا حيث يقيم السلطان بركياروق بن ملكشاه السلجوقي [٢١] .

٨- علي بن مسلم العقيلي :

ولما وفد بنو عقيل على بركياروق ، ولى عليهم علي بن مسلم العقيلي ، ووعدهم بالمساعدة للعودة الى الموصل . ثم سار بنو عقيل الى الموصل سنة ٤٨٦ هـ واخذوها من عسكر تاج الدولة تتش واقام علي بن مسلم اميراً على الموصل ، لكن اخاه محمد ابن مسلم استمر ينازعه على الامارة وهو بنصيبين ، كما ساءت علاقة الامير علي العقيلي مع ثروان بن وهب العقيلي وابي الهيجاء الكردي ، وكانا قد استنجدا بالسلطان بركياروق ، فسـار اليها ، فأخذ في طريقه نصيبين من الأمير محمد العقيلي وقتله سنة ٤٨٩ هـ . ثم واصل سيره الى الموصل وحاصرها تسعة اشهر ، اضطر اميرها علي العقيلي على الخروج من الموصل ولحق بالأمير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ، في حين استولى كربوقا السلجوقي على الموصل واعمالها ، وبذلك زال حكم العقيليين منها سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م ، وصارت بلادهم جزءاً من دولة السلاجقة [٢٢] .

عاد العقيليون بعد زوال دولتهم في الموصل ، الى موطنهم الأصلي في بلاد البحرين لكن ذلك لايعني ، عدم بقاء اعداد منهم في مدن العراق المختلفة وبخاصة الموصل وانحاء البصرة ، ولم تكن الدولة العباسية راغبة في زوال الدولة العقيلية لما تميزت به من نزعة عربية اصيلة ، فضلاً عن ميل امرائها الى خلفاء بني العباس ، ذلك الولاء الذي تجلى في استضافة محيي الدين مهارش المجلي العقيلي للخليفة العباسي القائم بأمرالله في حديثة عانة ، سنة كاملة اثناء فتنة البساسيري في بغداد سنة ٤٥٠ هـ حيث قام الأمير العقيلي بخدمة الخليفة واكرامه احسن اكرام حتى اعيد الى بغداد بمساعدة السلطان السلجوقي طغرلبك سنة ٤٥١ هـ .

ثانياً : العلاقات السياسية للدولة العقيلية :

قام العقيليون بدور بارز في العلاقات السياسية بين القوى والدول المتنازعة للسيطرة على الخلافة العباسية من جهة ، وعلى بلاد الشام من جهة اخرى ، حيث كانت بلاد الشام والجزيرة الفراتية في ذلك الوقت ، تشكل المركز الهام للحركات الاستقلالية ضد الخلافتين العباسية والعبيدية اللتين واجهتا صعوبات كبيرة وكثيرة من الامراء المحليين في هذه المنطقة كالحمدانيين والعقيليين وبني الجراح الطائيين وبني مرداس وغيرهم من امراء العرب هناك ، على ان هؤلاء الامراء كانوا دائماً بحاجة الى اعتراف الخلافة العباسية بسلطانهم ويتطلعون للحصول على تقليد الخليفة لهم [٢٣] .

ولما سيطر العقيليون على الموصل والجزيرة الفراتية وقسم من بلاد الشام اتجهت انظار الخلافتين في بغداد ومصر ، نحوها ، رغبة في احتوائها والتعاون معها ضد الطرف الآخر ، وصارت الدولة العقيلية ، المجال الحيوي ، للنزاع السياسي بين هاتين الخلافتين من جهة ، وبين المتغلبين على بغداد من بويهيين وسلاجقة من جهة اخرى ، في حين مال بنو عقيل الى الاستقلال عن جميع هذه القوى ، ولذلك فقد اضطروا الى اعتماد سياسة الولاء لهذا



الطرف ضد الآخر، وحصلوا على العهود والهدايا من كلتا الخلافتين وفقاً لما تقتضيه مصلحة دولتهم، وكان لهذا المنهج اثر كبير في سير العلاقات الدولية في المنطقة حينذاك[٢٤].

١ - العلاقة مع الخلافة العباسية :

تميزت العلاقات العقيلية العباسية بالطابع القومي خاصة وقد تداعت احوال العرب امام العناصر الأجنبية، وصار خلفاء العباسيين يميلون الى بني عقيل ويحترمونهم لما امتازوا به من نزعة عربية ضد المتسلطين على الخلافة من العناصر غير العربية كالبويهيين والسلاجقة وغيرهم، ولذلك فقد خلع الخليفة العباسي على الأمير العقيلي المقلد، ولقبه «حسام الدولة» واقطعه القصر والكوفة والجامعين فضلاً عن الموصل وما بيده من الأعمال التابعة لها وذلك سنة ٣٨٦ هـ[٢٥].

وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها دعاة الدولة العبيدية في مصر، لافساد العلاقة بين بني عقيل والخلافة العباسية، فإنهم ظلوا يوالون خلفاء بني العباس، وخير دليل على ذلك، مافعله الأمير قريش ابن بدران العقيلي، عندما دخل مع ابي الحارث ارسلان البساسيري بغداد في الثامن من ذي القعدة سنة ٤٥٠ هـ بتدبير الداعية العبيدي المؤيد في الدين هبةالله الشيرازي، اذ طلب الخليفة العباسي القائم بأمرالله الأمان من الأمير العقيلي قريش بن بدران على لسان رئيس الرؤساء حيث نادى قريش قائلاً : ياعلم الدين، ان امير المؤمنين يستدنيك اليه، فدنا قريش العقيلي منه، فخاطبه رئيس الرؤساء قائلاً : قد انالك الله منزلة لم ينلها امثالك، وامير المؤمنين يستذم بك على نفسه واهله واصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسول الله (ص) وذمام العروبة. فقال قريش : قد اذم الله تعالى له، قال رئيس الرؤساء : ولي ولمن معه؟ قال قريش العقيلي : نعم، فنزل الخليفة العباسي القائم بأمرالله اليه وبصحبته رئيس الرؤساء، وساروا مع قريش العقيلي آمنين الى معسكره، وكان الأمير العقيلي قد استقبل الخليفة احسن استقبال، وقبل الأرض دفعات بين يديه، وضرب له خيمة خاصة في الجانب الغربي من دجلة، ودخلها، واسدى له خدمة جليلة، ثم سار الخليفة العباسي من بغداد بأمر الأمير العقيلي قريش، الى حديثة عانة ليقيم عند اميرها محيي الدين مهارش المجلي العقيلي، وقد حمل الخليفة في هودج اليها عن طريق الأنبار حتى وصل الحديثة، واقام في قلعتها سنة كاملة وسط نهر الفرات، والمجلي العقيلي يقوم بخدمته وجميع مايحتاجه[٢٦].

وقد ظل امراء بني عقيل يحتفظون بالود والاحترام للخلافة العباسية على الرغم من ميلهم في بعض الأحيان الى الخلافة العبيدية في مصر وقبول الهدايا والخلع منهم، ومما يؤكد ذلك ماقام به الأمير مسلم العقيلي عندما تبرع للخلافة العباسية سنة ٤٧٤ هـ بمبلغ الف دينار لأعمار مدينة بغداد التي تعرضت للغرق وانهدم سورها، على ان مرد هذه العلاقات الطيبة للدولة العقيلية مع الخلافة العباسية يرجع الى نزوع العقيليين الأصيل للعروبة، الذي ظل يسيطر على سياستهم على وجه العموم[٢٧].

٢ - العلاقة مع الدولة العبيدية :

انتشر دعاة الدولة العبيدية في بلاد الشام والعراق والمشرق ودخل في دعوتهم كل من كان ناقماً على الخلافة العباسية ومال اليهم عدد من الحكام والامراء العرب في الاقاليم، واقاموا الخطبة لهم في اعمالهم، ومنهم امراء بني عقيل في الموصل، فقد اقام الأمير العقيلي ابو الدرداء محمد ابن المسيب الخطبة في الموصل لخليفة مصر العزيز بالله وذلك



سنة ٣٨٢ هـ ، كما اقامها قرواش العقيلي لهم في الموصل سنة ٤٠١ هـ ، وكانت الهدايا والخلع قد وصلت الى قرواش من الخليفة المستنصربالله على يد الداعية المؤيد في الدين هبةالله الشيرازي ، غير ان قرواش مالبث ان اعاد الخطبة للعباسيين في بلاده وقطعها عن خليفة مصر ، فكافأه الخليفة العباسي على ذلك بمبلغ قدره ثلاثون الف دينار[٢٨] .

ان علاقة العقيليين بخلافة مصر العبيدية ، لم تكن تنطوي على اتفاق في المذهب انما على اساس المصالح المتبادلة بين الجانبين ، حاول العقيليون عن طريقها الاستفادة من الخلافات بين العباسيين وخلافة مصر بهدف تحقيق استقلالية اكبر لدولتهم في الموصل واعمالها ، وان ميل امراء بني عقيل لخلفاء مصر واقامة الخطبة لهم في بعض الأوقات لايعني اعتناقهم مذهب العبيديين ، وليس هناك مايؤيد كون عامة بني عقيل ، او من خضع لنفوذ دولتهم يدينون بالمذهب العبيدي او يؤيدون دعوتهم ، فضلاً عن ان هؤلاء الأمراء انفسهم سرعان ماكانوا ينصرفون عن تأييد خلافة مصر ، مما يدل ايضاً على انهم لم يعتنقوا مذهبهم كعقيدة ثابتة بقدر ماهو موقف سياسي ذو منفعة لدولتهم العقيلية[٢٩] .

٣- العلاقة مع البويهيين :

اتخذت العلاقات السياسية بين العقيليين والبويهيين شكلاً غير الذي كانت عليه مع العباسيين وخلفاء مصر العبيديين ، ذلك لأن بني بويه الذين دخلوا بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، استأثروا بالسلطة ، وأساوا معاملة خلفاء بني العباس ، كما لم تكن هناك رابطة قومية بين العقيليين والبويهيين كتلك التي بين العقيليين والعباسيين ، فالبويهيون قوم من الديلم ، جاءوا من جنوب بحر الخزر واحتلوا بغداد . في حين كان بنو عقيل يمثلون العنصر العربي الذي تداعت اموره في العصر العباسي بسبب هذا التسلط الأجنبي ، ولذلك صار لكل من العقيليين والبويهيين اهداف مختلفة ، فالبويهيون يريدون السيطرة على الخلافة العباسية بكل أقاليمها ، والعقيليون يريدون الانفراد بالسلطة والاستقلال بالموصل وأعمالها ، مما يجعل التصادم بين الجانبين أمراً محتملاً ، على ان العقيليين ، وبما عرف عنهم من القدرة السياسية ، حاولوا منذ البداية كسب ود البويهيين والخلافة العباسية على حد سواء . من اجل تثبيت اقدام دولتهم في الموصل وأعمالها ، فقد بعث الأمير العقيلي ابو الدرداء ، الى بهاء الدولة البويهي سنة ٣٨٠ هـ ، يسأله ان ينفذ اليه من يقيم عنده من اصحابه ليتولى امور البلاد الى جانبه ، فكان له ماأراد ، وفي الوقت ذاته صار للأمير العقيلي نائب عنه لدى البويهيين في بغداد ، غير ان هذا الوفاق لم يدم طويلاً ، حيث نشبت الحرب بين الجانبين[٣٠] .

لقد اتسمت العلاقات العقيلية البويهية بالمداراة والمصالحة حيناً ، والحرب حيناً آخر ، وفقاً للظروف التي يمر بها كل منها ، فعندما ينشغل البويهيون بامور داخلية او جانبية ، يميلون الى المصالحة مع العقيليين ، واذا ضاقت الحال بالعقيليين ازاء قوة البويهيين او القوى المجاورة يميلون الى المصالحة مع البويهيين ويدفعون لهم الاتاوة ورسم الحجابة ، والعكس صحيح ، على ان طابع العداء والحرب بين الجانبين هو السائد ، لأن البويهيين لم يكونوا راضين عن استبداد العقيليين بالموصل واعمالها كما ان العقيليين لم يكونوا مستعدين لقبول السيادة البويهية عليهم ، ولذلك نشبت الحروب الكثيرة بين الجانبين اظهر فيها كل منها بأساً شديداً[٣١] .

٤- العلاقة مع السلاجقة :

لاتختلف العلاقات العقيلية مع السلاجقة عنها مع البويهيين ، فالسلاجقة قدموا الى العراق بنفس الأهداف التي جاء بها البويهيون ، في حين لم يتغير



موقف العقيليين القائم على الولاء للخلافة العباسية وللعرب ، والفارق الوحيد بين البويهيين والسلاجقة هو ان السلاجقة كانوا يدينون بنفس المذهب الديني الذي تدين به الخلافة العباسية ، ويعتبرون الخليفة العباسي رئيسه الأعلى ، ويؤمنون بالسلطة الروحية للخليفة ، وعلى العكس من ذلك البويهيون.

على ان السلاجقة الذين استولوا على بغداد من البويهيين سنة ٤٤٧ هـ ، حرصوا على الاستئثار بالحكم في بغداد ، كما عملوا على اعادة خضوع الامارات العربية والاسلامية في الأقاليم لسلطانهم المباشر، في حين استمر العقيليون يحرصون على الانفراد بالسلطة والحكم في اقليم الموصل وما والاه من الأعمال ، مما حدد نوع العلاقة بين العقيليين والسلاجقة ، وقد اتسمت هذه العلاقة في معظم مراحلها بالعنف ، على ماقام به امراء بني عقيل من اعلان الخطبة للسلاجقة في اعمالهم ، ولما صارت قوة السلاجقة لاتطاق من قبل العقيليين ، مالوا الى خليفة مصر، مما دفع السلاجقة لاحتلال الموصل سنة ٤٤٩ هـ ، واضطر الأمير العقيلي قريش بن بدران ان يراسل السلطان السلجوقي ويتودد له ويعلن الطاعة والخضوع ، فأجاب السلطان طلبه واعاده الى الموصل واعمالها(٣٢) .

وكان لموقف الأمير العقيلي قريش بن بدران الايجابي من الخليفة العباسي القائم بأمرالله في اثناء فتنة البساسيري سنة ٤٥٠ هـ والقيام بخدمته سنة كاملة في حديثة عانة ، والاستجابة لدعوة السلاجقة باعادته الى بغداد اثر كبير في تحسين العلاقة بين العقيليين والسلاجقة في حينها ، اذ اعرب السلطان السلجوقي طغرلبك عن شكره للأمير مهاوش المجلي العقيلي والأمير قريش بن بدران العقيلي على حسن معاملتها للخليفة(٣٣) .

وعندما آلت السلطة الى الب ارسلان بعد وفاة طغرلبك اعلن الأمير مسلم العقيلي الطاعة والولاء له ، فاقطعه السلطان : الأنبار وهيت وحربا والسن والبوازيج ، فضلاً عن اعماله في الموصل ، ثم سار الأمير مسلم الى بغداد لزيارة السلطان الب ارسلان ، فخرج لاستقباله الوزير العباسي فخر الدولة بن جهير ، كما اكرم الخليفة العباسي وفادته وخلع عليه ، على ان علاقة مسلم العقيلي مع السلاجقة ، لم تستمر ودية ، فقد طمع مسلم بالاستيلاء على بغداد ، واستولى على ديار ربيعة ومضر، وضم حلب الى حوزته ، ثم قصد دمشق وحاصرها وكاد ان يستولي عليها(٣٤) .

وقد قام الأمير مسلم العقيلي بدور كبير في الخلافات التي نشأت بين افراد البيت السلجوقي على السلطة بعد وفاة السلطان الب ارسلان سنة ٤٦٥ هـ ، حيث أيَّدَ ملكشاه ابن الب ارسلان ضد عمه قاورد ، ووجه جيشه العربي ضربات قوية لجيش قاورد ، مما اساء ملكشاه الذي اتفق مع عمه قاورد للايقاع بجيش مسلم العقيلي وحلفائه العرب ، وبذلك تحولت الحرب من كونها بين السلاجقة انفسهم ، الى حرب بين السلاجقة والعرب ، وقد اساء ذلك الى العلاقات العقيلية مع السلاجقة ، وقد ازدادت هذه العلاقات سوءاً ، عندما حاصر تاج الدولة تتش السلجوقي ، نصيبين وديار بكر سنة ٤٧٠ هـ ، وهي من اعمال العقيليين في الموصل(٣٥) .

لم يتمكن العقيليون من الوقوف بوجه السلاجقة اوالاحتفاظ باستقلالهم في بلادهم بعد وفاة اميرهم مسلم العقيلي ، فقد نجح السلاجقة في القضاء على معظم الدويلات العربية وغير العربية التي نشأت في ارجاء الخلافة العباسية ، كما نجحوا في اضعاف دولة العبيديين في مصر وبلاد الشام ايضاً .

٥ – العلاقة مع القوى الأخرى المحيطة :

صارت للعقيليين علاقات اخرى مع القوى المحلية الاخرى القريبة والبعيدة عن اقليم الموصل ،



كالقرامطة وامراء العرب والأكراد وغيرهم .

فالعلاقة مع القرامطة سبقت قيام دولة العقيليين في الموصل ذلك ان العقيليين والقرامطة كانوا يقيمون في البحرين اولاً ، وقد سبق أن تحالف القرامطة مع ظالم بن موهوب العقيلي المقيم في بلاد الشام ، ضد خلافة مصر سنة ٣٦٣هـ ، لكن العبيديين في مصر اوقعوا الهزيمة بالقرامطة وعزلوا ظالم العقيلي عن ولاية دمشق[٣٦] .

اما علاقة بني عقيل مع القبائل العربية التي عاشت الى جوارهم او تحت رعايتهم ، فقد اخذت جانبين : احدهما سلبي من خلال اشتراك زعماء هذه القبائل في المنازعات التي حدثت بين امراء بني عقيل على السلطة بتأييد من يرغب في الامارة او الخروج على من يتولاها ، والثاني ايجابي تمثل بوقوف هذه القبائل العربية الى جانب العقيليين ضد القوى غير العربية كالبويهيين والسلاجقة وغيرهم[٣٧] .

ومن بين المواقف الايجابية للعرب الى جانب العقيليين ضد خصومهم من غير العرب وقوف صاحب الحلة الأمير صدقة بن مزيد الأسدي ، عندما استولى فخر الدولة ابن جهير قائد السلطان السلجوقي سنة ٤٧٧هـ على ديار بكر من ابن مروان ، واخذه حلل بني عقيل ، حيث بذل ابن مزيد الاموال لفك اسرى بني عقيل ونسائهم واولادهم ، وجهزهم جميعاً وردهم الى بلادهم ، ففعل بذلك امراً عظيماً واسدى مكرمة شريفة ، وكان موقفه هذا حمية للعرب وتعصباً لهم ، وقد مدح الشعراء ابن مزيد الأسدي على ذلك ، ومنهم الشاعر النسبي بقصيدة جاء فيها[٣٨] : —

لقد احرزت شكر بني عقيل بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طراً بشهب من حوافلها ازورار
فلا جبنوا ولكن فاض بحر عظيم لاتقاومه البحار

كما تسبب بعض الأكراد الساكنين الى جوار الموصل في الاضطرابات في المنطقة على يد زعيمهم حسنويه بن حسين الكردي ، ثم صاروا من رعايا دولة بني عقيل واشتركوا معهم في جيوشهم وحروبهم ، حتى صار عددهم مع الديلم في جيش الأمير العقيلي المقلد بن المسيب سنة ٣٨٦هـ زهاء ثلاثة آلاف رجل تطلق عليهم الارزاق ، غير ان بعض هؤلاء الأكراد حاولوا مرة اخرى الاغارة على الموصل وبعض الحصون التابعة لها ، مما عكر العلاقات بين الجانبين ، كما اخذ الأكراد يتدخلون في المنازعات التي حصلت بين امراء بني عقيل على السلطة شأنهم شأن غيرهم من القوى المحيطة ، وبخاصة ماحصل سنة ٣٩٢هـ ، وسنة ٤٤٠ ، وسنة ٤٥٣ هـ[٣٩] .

٦ – زوال دولة بني عقيل في الموصل :

نجح السلاجقة في الاستيلاء على الموصل واعمالها من بني عقيل سنة ٤٨٩ هـ ، وعاد العقيليون الى موطنهم الأصلي في البحرين ، ولاشك أن الخلافة العباسية لم تكن راغبة في زوال هذه الدولة العربية ، كما انها لم تعمل على اضعافها اثناء وجودها ، لما تميزت به هذه الدولة من نزعة عربية اصيلة فضلاً عن ميل امرائها بوجه عام الى الخلفاء العباسيين .

وفيما يلي اهم العوامل التي ادت الى انحلال الدولة العقيلية وزوالها في الموصل[٤٠] : —

١ – استمرار النزاع بين امراء بني عقيل على السلطة منذ تأسيسها لعدم وجود قاعدة ثابتة لتولي الامارة .

٢ – استمرار النزاع بين العقيليين الراغبين في الاستقلال بدولتهم في الموصل ، وبين القوى



الأجنبية المسيطرة على الخلافة العباسية في بغداد كالبويهيين والسلاجقة.

٣- اختلاف بعض القبائل العربية مع العقيليين، وميلهم الى خصومهم، فضلاً عن تدخلهم المستمر في المنازعات الداخلية بين امراء العقيليين.

٤- الاضطرابات التي اثارتها بعض العناصر الكردية في مناطق سكناهم الى الشرق من الموصل، وتدخلهم في المنازعات الداخلية بين الامراء العقيليين.

٥- ضعف امراء بني عقيل بعد مقتل الأمير مسلم سنة ٤٧٨ هـ وانقسامهم على انفسهم من اجل الامارة.

٦- ازدياد قوة السلاجقة الذين احكموا سيطرتهم على العاصمة العباسية بغداد ونجاحهم في اخضاع معظم الدويلات والقوى الخارجة عن سيطرة الخلافة لنفوذهم.

ولما سقطت الدولة العقيلية سنة ٤٨٩هـ صارت الموصل للسلاجقة، كما خضعت لهم مدن أخرى، وصارت هيت لابن مزيد الأسدي، اما العقيليون الذين غادروا العراق، فقد عادوا الى البحرين، واتخذوا الاحساء مركزاً وعاصمة لهم بعد ان اقاموها وعمروها، اما من بقي منهم في العراق فقد تفرقوا في المدن، كالدور، وانحاء البصرة، وبين الخازر والزاب شرقي الموصل يقال لها عرب شرف الدولة، ومنهم من خرج الى البادية، ومنهم من انحدر نحو بغداد حيث اقاموا قرب مدينة الفلوجة، وفي تكريت، ومنهم من بقي في الموصل(٤١).

ثالثاً: - المظاهر الحضارية:

تعد النظم الحضارية للدولة العقيلية في الموصل جزء من النظم الحضارية للدولة العربية في العصر العباسي بوجه عام، غير ان النظم العقيلية، وخاصة الادارية منها، اتسمت بالطابع القبلي، وقد يرجع السبب في ذلك الى ان هذه الدولة وغيرها من الدويلات العربية والاسلامية التي انفصلت عن الخلافة العباسية، لم تتمتع بالاستقلال التام، كما انه لم يكن لهذه الدويلات حدود ثابتة، وعليه فإن مايعرض من نظم اقتصادية او اجتماعية او ثقافية او عمرانية او فنية، ماهو إلاّ جزء من الطابع العام للنظم السائدة في الدولة العباسية عامة.

وليس غريباً ان نقول بأن الانحطاط السياسي والاجتماعي الذي ساد الدولة العربية على ايدي البويهيين والسلاجقة قد شمل الدولة العقيلية في الموصل واعمالها، واثر عليها، وقد يكون من بين اسباب ذلك الانحطاط، الاختلاف العنصري بين اجناد الدولة العباسية الذين هم خليط من عناصر غير متجانسة من الديلم والأتراك والعرب، وما كان بين هذه العناصر من تنافس، والثاني الاختلاف المذهبي بين الخلافة العباسية في بغداد وخلافة مصر العبيدية، وكون بلاد الشام والجزيرة الفراتية والموصل، ميدان المنافسة بين هذه الاتجاهات المختلفة(٤٢).

١- الوضع الاقتصادي:

تؤثر الأوضاع السياسية في اية دولة على وضعها الاقتصادي، وبذلك فقد تأثر الوضع الاقتصادي للدولة العقيلية في الموصل بالاضطراب السياسي الذي ساد العراق خلال فترة التسلط البويهي فضلاً عن موجات القحط والمجاعة نتيجة قلة الأمطار واشتداد الريح وتكاثر الثلوج، وغيرها من الكوارث الطبيعية التي اصابت هذه البلاد خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، فارتفعت الأسعار وكاد الخبز ان يعدم سنة ٣٥٨هـ، وبلغ الحال من شدة القحط في العراق وقلة مياه الآبار في كل مكان سنة ٤١١هـ ان اضطر الناس الى اكل



الحيوانات السائبة ، كما اشتد البرد سنة ٤١٧ هـ الى حد لم يشهد الناس مثله من قبل ، اذ جمدت المياه عدة اشهر في حافات نهر دجلة وامتنع الكثير من الناس عن العمل والحركة ، وفي الوقت ذاته قل سقوط الأمطار حتى لم يزرع احد ارض السواد إلاّ قليلاً ، كما هبت ريح سوداء في نصيبين سنة ٤٢٥ هـ ، وهي لبني عقيل ، واقتلعت الكثير من اشجارها ومساكنها ، وفضلاً عن ذلك فقد كان لنشاط العيارين ونهبهم للبلاد ، كالذي حدث سنة ٤١٦ هـ ، اثر كبير وسيء على النشاط الاقتصادي وخاصة التجاري في البلاد ، وكذلك الحال بالنسبة للزراعة والتجارة[٤٣] .

أ – الزراعة : –

كانت الزراعة من بين اهم الأركان الرئيسة للاقتصاد العراقي ، وخاصة القسم الشمالي منه ، وهذه الزراعة تعتمد بالدرجة الاولى على الأمطار. ونتيجة لقلة الأمطار فقد تعرضت المحاصيل الزراعية في الموصل واعمالها الى التلف كما حصل سنة ٤٢٣ هـ ، غير ان بني عقيل استعملوا وسيلة اخرى للري في كثير من اعمالهم ، وهي باستخدام النواعير التي ظلت تستخدم الى وقت قريب جداً في اعالي نهري دجلة والفرات وخاصة في هيت وحديثة عانة ، وكذلك في مدينة تكريت ، وقد تغنى الشعراء في وصف هذه النواعير ، ومنهم ابو حفص ابن وضاح القائل[٤٤] : –

لله دولاب يطوف بسلسل
في روضة قد اينعت أفنانا
قد طارحت فيه الحمائم شجوها
بنحيبها ، وترجع الالحانا
فكأنه دنف يطوف بمعهد
يبكي ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه
فتفتحت اضلاعه اجفانا

ومنهم الموفقي القائل : –

ناعورة تحسب من صوتها
مُتَيَّماً يشكو الى زائر
كأنما كيزانها عصبة
رموا بطرف الزمن الواتر
قد منعوا ان يلتقوا فاغتدوا
اولهم يبكي على آخر

وبعامة فقد تميز اقليم الموصل ، بوفرة خيراته الزراعية ، لكن كثرة الاضطرابات السياسية والطبيعية التي تعرض لها اقليم الموصل ايام العقيليين ، كان لها اثر بالغ في قلة موارده الرئيسة ، وصارت الغنائم من بين الموارد الرئيسة لهذه الدولة .

أما اهم المحاصيل الزراعية في اقليم الموصل فهي الحنطة والشعير بوصفها المواد الرئيسة لمعيشة الناس هناك. الى جانب بعض المواد الغذائية البسيطة الاخرى ، ولا شك فإن ارتفاع الأسعار يفصح بصورة مستمرة عن غلاء المعيشة وانخفاض مستواها ، لدى العامة من ابناء الشعب ، وكانت الأراضي في هذه الدولة ، كما هو حالها في عموم الدولة العربية ، على عدة انواع : – الضياع السلطانية ، والاقطاعات ، واراضي الملك ، واراضي الوقف ، وارض المشاع ، وكان لاهمال القنوات ونظام الري في العراق في هذه الفترة ، اثر كبير على تدهور الزراعة في هذه البلاد[٤٥] .

ب – الصناعة : –

الموصل من الامصار العربية القديمة التي طالت صحبتها للزمن ، وكانت ذات حضارة وعمران ومركز سياسي دائم طيلة العهود الاسلامية التي سبقت حكم العقيليين ، ولذلك فقد احتفظت بشهرتها في بعض الصناعات ، وبخاصة صناعة التحف المعدنية المنزلية المزينة بالذهب والفضة ، وقد تميزت منتجاتها بالدقة والجودة ، وصار لمدرسة الموصل الصناعية في الفترة الأخيرة من حكم العقيليين اثر كبير في تطور

صناعة المعادن في بقية الاقاليم الاسلامية الاخرى ، حيث رحل منها صناع كثيرون الى بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ، وأسسوا مدارس جديدة هناك لصناعة التحف ، ولكن باسلوب فني جديد متاثر بإسلوب مدرسة الموصل في هذا الميدان ، كما اشتهرت الموصل بصناعة الخزف والسلاسل والنشاب والسكاكين ، كما وجدت في الموصل المطاحن الكبيرة لطحن الحبوب على نهر دجلة ، وخاصة الحنطة والشعير ، ثم تنقل من الموصل الى انحاء العراق الاخرى[٤٦] .

جـ – التجارة : –

موقع الموصل الجغرافي على طرق المواصلات ، اكسبها مركزاً تجارياً هاماً ، ففي الموصل تلتقي طرق التجارة من اذربيجان والشام ، ومن ارمينية وجنوب العراق ، ولذلك قيل : ان الموصل باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ورأس طريق اذربيجان ومع ان حركة التجارة تأثرت في هذه المدينة ايام العقيليين بسبب عدم الاستقرار السياسي ، فإنها ظلت مركز ارتياح لسكان الأحياء المجاورة صيفاً وشتاءاً ، مما ساعدها على الاحتفاظ بمركزها التجاري المهم وفي مختلف الظروف والأوقات ، فقد ذكر ابن حوقل الذي زار الموصل سنة ٣٥٨ هـ ، ان اسواقها كانت واسعة ، فيها لكل جنس من الأسواق الاثنان والثلاثة والأربعة ، وقد يصل عدد الحوانيت في كل سوق من هذه الأسواق المائة حانوت واكثر ، ولاشك ان هذه الأوضاع ظلت في المدينة حتى مجيئ العقيليين[٤٧] .

اما صادرات الموصل فهي كثيرة منها : الحنطة ، والشعير ، والعسل ، والشحوم ، والمن ، والسماق ، والحديد ، والأسطال ، والسكاكين ، والنشاب ، وكانت الجزيرة الفراتية تصدر الخيول العربية الأصيلة ، في حين تصدر سنجار اللوز ، والرمان ، والقصب ، وتصدر الرقة الصابون والزيت ، في حين كانت واردات الموصل : البسط ، والسجاد ، والمنسوجات الحريرية ، والتوابل والعقاقير ، والديباج ، والمنسوجات القطنية ، وزيت الزيتون وغيرها[٤٨] .

أما المكاييل والمقاييس المستعملة فهي نفسها التي تستعمل في التجارة في عموم العراق ، وهي كثيرة ومنها : المد ، والمكوك ، والقفيز ، والكارة والرطل وغيرها ، غير ان المعلومات عن اسعار الحاجيات بهذه المكاييل والمقاييس لم تكن كافية لتكوين فكرة واضحة عن مستوى المعيشة ، او معرفة نصيب كل فئة من الناس من خيرات هذه البلاد[٤٩] .

أما بخصوص المعاملات المالية والتجارية ، فكانت قبل معرفة النقود تعتمد على المقايضة وعندما سكت النقود صارت المعاملات تجري على اساسها . وهي الدينار والدرهم ، وكان اول نقد عربي هو الذي سكه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هـ ، فلما كان القرن الرابع الهجري نشأت المصارف المالية لضرورة التجارة الواسعة من جهة ، والحاجة الى النقود الكثيرة من جهة اخرى ، على ان المعاملات المالية في الدولة العربية ، لم تكن موحدة ، وخاصة عندما ضعفت الدولة العباسية وانقسمت على عدد من الدويلات والامارات ، اذ سمح الخلفاء العباسيون لحكام وامراء هذه البلاد ، بأن ينقشوا اسماءهم على السكة مع اسمائهم ، فنقش امراء بني عقيل اسماءهم على النقود في دولتهم الى جانب اسم الخليفة ، وكان اولهم ابو الدرداء محمد بن المسيب ، ثم الأمير سنان الدولة ، ثم حسام الدولة ، ثم معتمد الدولة ، ثم شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي ، لكن احداً منهم ، لم يجرؤ على ضرب النقود باسمه خالية من اسم الخليفة ، وقد وجدت مسكوكتان لامراء بني عقيل ، مصورتان في دليل النقود في المتحف البريطاني هما[٥٠] : –



الاولى : بإسم حسام الدولة المقلد فضة –٤٥– صادرة سنة ٣٨٦هـ سنة ٩٩٦م مكتوب عليها : الموصل سنة ٣٨٧هـ ، لااله إلاالله ، وحده لاشريك له ، الملك بهاء الدولة ، حسام الدولة ، ابو حسان ، وعلى الوجه الثاني : بسم الله ، صنع بالموصل سنة سبع وثمانين وثلاثمئة ، المؤمنون بالله والأمر لله ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القادر بالله ، جناح الدولة ابو الحسن.

والثانية : بإسم معتمد الدولة قرواش سنة ٣٩١هـ سنة ١٠٠٠م ، فضة– ٤٧– لااله إلاالله ، وحده لاشريك له ، معتمد الدولة ابو العزيز ، بسم الله ، ضرب هذا الدرهم بالكسر– لله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القادر بالله. الملك بهاء الدولة.

ولا شك فإن نظام موارد الدولة العقيلية الثابتة هي على غرار موارد الدولة العربية ، كالخراج والجزية والصدقات ، فضلاً عن غنائم الحروب ، ولم تكن مواردهم من الزراعة والصناعة والتجارة كثيرة بسبب عدم استقرار هذه الدولة وكثرة حروبها ، كما لم تكن مصروفاتها منظمة للظروف نفسها ، باستثناء بعض المشاريع التي قاموا بها كبناء بعض الدور والمنائر والأسوار وبخاصة سور الموصل وسور الأنبار ، وكان معظم انفاقهم على الحروب والغزوات ، وبخاصة مايتعلق بتجهيز الجيوش بالعتاد والسلاح وارزاق الجند ومرتباتهم ، فضلاً عن الهبات التي تعطى لرؤساء القبائل الحليفة ، اوما يقدم الى البويهيين ومن بعدهم السلاجقة مقابل الاحتفاظ باستقلالهم في الموصل واعمالها ، فضلاً عن الأموال التي يدفعها امراء بني عقيل الى الخلافة العباسية ضماناً عن اعمالهم التي استبدلوا بها(٥١).

٢– الوضع الاجتماعي :–

صار المجتمع العربي في العصر العباسي خليطاً من اقوام مختلفة ومتعددة ، ويرجع هذا التعدد والاختلاف الى عصر الفتوحات العربية وعمليات التحرير التي امتدت الى الصين شرقاً والأندلس غرباً ، وكان العراق اكثر اقاليم الوطن العربي تعدداً وتنوعاً في عناصر سكانه. وكانت الموصل من بين اهم مدن العراق التي تعرضت لموجات عدة من هذه الأقوام التي سكنتها منذ زمن بعيد ، وذلك لوقوعها على ملتقى طرق التجارة ، فضلاً عن وقوعها في منطقة تمازج بشري بين العرب من جهة ، وبين الاتراك والأكراد والفرس من جهة اخرى ، ولا غرابة ان يكون مجتمع الموصل في عصر الدولة العقيلية ، بل وفي جميع عصورها التأريخية ، خليطاً من العديد من هذه الأقوام ، غير ان العنصر العربي ، هو الأكبر وهو الغالب دائماً.

وفيما يلي اهم عناصر السكان في الموصل في العصر العقيلي :–

أ– العرب :–

يشكل العرب الأغلبية الساحقة في مجتمع الموصل منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، فقد كانت الموصل والجزيرة الفراتية وحلب ، مناطق استيطان دائمة للقبائل العربية التي نزحت من جزيرة العرب لظروف اقتصادية او سياسية وبأستمرار كالحمدانيين ، والعقيليين ، والمرداسيين ، وبني نمير وبني شيبان وغيرهم ، ولما قامت الدولة العقيلية في الموصل صارت معظم هذه القبائل من رعاياهم وعنصراً مهماً من عناصر دولتهم(٥٢).

ب– الأتراك :–

ازداد عدد الأتراك في العراق ازدياداً كبيراً منذ خلافة المعتصم بالله العباسي ، ثم ازداد عددهم بعد ان دخل البويهيون بغداد سنة ٣٣٤هـ وانتشروا في كثير من مدن العراق وبخاصة بغداد والموصل ، وصاروا منذ ذلك الوقت عنصراً مهماً من عناصر السكان في هذه المدن ، لكن خطرهم ازداد في الموصل العقيلية منذ شرع السلاجقة الأتراك بتوجيه غزواتهم اليها في مستهل القرن الخامس الهجري(٥٣).



ج - الأكراد : -

يسكن الأكراد شرق وشمال شرق الموصل ، وعلى الرغم من انهم كانوا متنقلين ، فإن بعضهم استقر في عدد من القرى القريبة من الموصل ، كما استقر قليل منهم داخل المدينة ، وقد تسببت بعض العناصر منهم ببعض المتاعب للدولة العقيلية ، شأنهم شأن بعض القبائل العربية في وقتها هناك ، غير ان كثيراً من الأكراد ، وقد صاروا من رعايا الدولة العقيلية اشتركوا ضمن جيش العقيليين في حروبهم الكثيرة مع خصومهم من العرب او البويهيين او السلاجقة (٥٤) .

د - الديلم والفرس : -

وجد الديلم في العراق قبل دخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـ ، وظهر قسم منهم في الموصل منذ بدأت هجمات البويهيين على هذه المدينة في عصر الدولة الحمدانية ، ثم قويت شوكتهم في المنطقة في عصر الدولة العقيلية حتى انهم استولوا على هذه المدينة عدة مرات ، كما سكنت جماعة من الفرس في الموصل حينذاك ولعلهم كانوا بقايا بعض الساسانيين الذين كانوا في العراق قبل حركة التحرير العربية لهذا الاقليم (٥٥) .

+ + +

أما ديانة المجتمع الموصلي في عصر العقيليين ، فهي الاسلام كما هو معروف ، غير انه ظهر بينهم نشاط مذهبي ضمن الوضع العام الذي ساد المجتمع العربي الاسلامي في تلك الفترة من جراء النزاع بين الخلافة العباسية في بغداد وخلافة مصر العبيدية ، كما وجدت في المدينة بعض العناصر التي تدين بديانات أخرى ، كالنصارى واليهود ، والصائبة واليزيدية وغيرها ، وقد مارس المجتمع فيها نشاطه الاجتماعي والديني على نحو اعتيادي وفي اطار الفهم الاسلامي لحرية الأديان ، ولاشك فقد كان لهذا الاختلاف في تركيبة المجتمع العقيلي آثاره السلبية على الدولة (٥٦) .

لقد ساد المجتمع العربي في العصر العباسي في الفترة الأخيرة اضطراب اجتماعي وتمايز طبقي فضلاً عن الاضطراب السياسي وفوضى الحكم ، مما ادى الى انخفاض المستوى المعاشي للسكان بأستثناء الطبقة الخاصة من الخلفاء والامراء والقادة واعوانهم ، وكان عامة الناس يعيشون حياة البساطة ، ولم تخرج الدولة العقيلية في الموصل عن هذه القاعدة ، وكان المجتمع العباسي عامة ، والعقيلي بضمنه ، يتكون من طبقتين ، عليا ، ودنيا ، ولاشك فإن انعدام الطبقة الوسطى في اي مجتمع ، يعني وجود التمايز الطبقي والاستغلال الكامل للعامة من قبل الخاصة (٥٧) .

ولا تخرج العادات والتقاليد في الموصل العقيلية عنها في الدولة العباسية إلا في بعض العادات المحلية ، واهل الموصل لهم مكارم اخلاق ،ولين كلام ، ولهم فضيلة ومحبة للوافد الى مدينتهم واقبال عليه ، ولهم اعتدال في جميع معاملاتهم ، ولغتهم صحيحة لأنهم عرب ، حيث اجتمعت في اقليمهم اكثر القبائل العربية ، غير ان ظروف الموصل الجغرافية ، والبشرية ، جعلت اهلها يميلون الى القوة والعنف ، وصارت مواقفهم العربية واضحة منذ القدم (٥٨) .

وقد احتفل العقيليون بالأعياد الدينية شأنهم شأن المجتمع العربي الاسلامي في كل مكان ، غير انهم امتازوا باحتفالات اعياد الربيع التي مازال الموصليون يمارسونها حتى الوقت الحاضر، ولا غرو فقد ترك العقيليون تأثيرات خاصة في بعض عادات وتقاليد اهل الموصل حتى اليوم ، من ذلك تسمية الأولاد بإسم عقيل ، والبنات بإسم عقيلة ، كما استمر اهل الموصل يلبسون الكوفية الملونة المعروفة بإسم (العمامة العقيلية) ، وقد تكون شعار الدولة العقيلية الرسمية (٥٩) .

أما مكانة المرأة في الموصل في عصر الدولة



العقيلية فقد اخذت طابعاً غير الطابع الذي ساد في انحاء كثيرة من الدولة العباسية، بسبب ماامتاز به العقيليون من نزعة عربية خالصة، مكنتهم من الحفاظ على معظم تقاليد العرب الأصيلة، وصارت للمرأة العربية في عهدهم مساهمات كثيرة في الحروب والغزوات، وقد يبدو ذلك واضحاً عندما تدخلت اخت الأمير المقلد العقيلي لفض النزاع بين اخويها على الحكم، واستعداد كل منها لحرب الآخر، فعندما تقابل المعسكران للحرب خرجت من معسكر اخيها الحسن قاصدة معسكر اخيها المقلد، فلما رآها احد القوم قال للمقلد: ايها الأمير هذه اختك بنت المسيب قريبة منك تريد لقاءك، فتوجهت الانظار اليها، واذا هي في هودج على بعد، فركب المقلد حتى لحق بها، فقالت له: يامقلد، قد ركبت مركباً وخيماً، وقطعت رحمك، وعققت ابن ابيك، فارجع الاولى بك، واكفف هذه الفتنة، ولا تكن سبباً في هلاك العشيرة، واني اختك، ونصيحتي لاحقة بك، وان لم تقبل قولي فضحتك وفضحت نفسي بين هذا الخلق من العرب، فأجاب المقلد طلبها، واجتمع مع أخيه وتحالفا وعاد الى الموصل دون حرب، كما شهدت المرأة العقيلية القتال الذي دار بين بني عقيل والسلاجقة الذين هاجموا الموصل سنة ٤٢٠ هـ، واصبح القتال عند حلل العقيليين وحريمهم، ونساؤهم يشاهدن القتال على مقربة منهن، فكان النصر للعرب والهزيمة للسلاجقة الذين قتل منهم عشرون الفاً او يزيد، وقد بلغ اعتزاز المرأة العقيلية بكرامتها وحرصها على شرفها وسمعتها انها القت بنفسها في النهر او انتحرت خشية وقوعها في الأسر لدى خصوم العقيليين وخاصة السلاجقة وغيرهم من الأقوام غير العربية، كما نشبت كثير من الحروب بين العقيليين والآخرين دفاعاً عن المرأة، ومن ذلك قيام الحرب بين الأمير قرواش العقيلي، وابن مروان صاحب ميافارقين، لأن ابن مروان اساء معاملة زوجه وهي ابنة قرواش العقيلي، فجهز كل منها لحرب الآخر، لكنهما مالبثا ان اصطلحا دون حرب وذلك سنة ٤٢١ هـ واتفقا على ان يتخلى ابن مروان عن نصيبين لبدران ابن المقلد العقيلي، ويدفع صداقاً لزوجه ابنة الأمير قرواش العقيلي مبلغاً قدره خمسة عشر الف دينار(٦٠).

٣- الوضع الثقافي :-

ابتدأت الموصل نشاطها الثقافي على ايدي العرب الذين حرروها بالاسلام، وصارت المساجد مراكز هذا النشاط حتى تأسست اول دار للعلم على يد ابي القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي (سنة ٢٤٠- سنة ٢٤٤ هـ) وكان من فقهاء الشافعية المشهورين، وقد انشأ بهذه الدار خزانة للكتب شملت مختلف العلوم، فلما صارت الموصل لبني عقيل، نشطت فيها الحركة الأدبية بفضل تشجيع الامراء العقيليين للادباء والشعراء، وبخاصة ان هؤلاء الامراء كانوا يقولون الشعر ويسمعونه، ولا شك فإن اختلاط الشعوب في العصر العباسي وانتشار العجمة بينهم، دفع العرب الى الادب وقول الشعر، ولصلة اهل الموصل، بأرض العرب الأصلية، الجزيرة العربية، وسلامة السنتهم من الفساد والعجمة فقد امتاز ادبهم وشعرهم بفصاحة البداوة وحلاوة الحضارة، وظهر منهم ملوك وامراء من بني حمدان وبني عقيل ممن شغفوا بالمجد والأدب والكرم، وجمعوا بين السيف والقلم، وما منهم إلاّ اديب جواد يحب الشعر وينتقده، وانبعثت قرائحهم في الاجادة فيه، فقادوا محاسن الكلام بألين لسان، واحسنوا وابدعوا ماشاؤا(٦١).

غير ان الحركة الثقافية في الموصل في عهد العقيليين كانت اقل منها في عهد الحمدانيين الذين سبقوهم بإستثناء الحركة الأدبية، والسبب في ذلك يرجع الى عدم الاستقرار السياسي وكثرة الحروب



التي عاشتها الموصل في العهد العقيلي ، لكن ذلك لايعني عدم وجود دور للثقافة والعلوم في هذه الفترة ، وبخاصة وان حركة العلوم هي وليدة اجيال متعاقبة ولها صفة الاستمرار ايضاً ، وليس غريباً ان تستمر حركة التعليم في بعض الدور والمساجد والمدارس في عهدهم رغم ضعفها قياساً لمن سبقهم او تلاهم (٦٢) .

لقد اجاد امراء بني عقيل نظم الشعر، فقد روي ان عمران بن شاهين قال : كنت اساير معتمد الدولة ابا المنيع قرواش بن المقلد العقيلي مابين سنجار ونصيبين ثم استدعاني بعد الزوال ، وكان قد نزل بقصر هناك يقال له قصر العباس بن عمرو الفنوي ، وكان قصراً عجيباً مطلاً على بساتين ومياه كثيرة ، فدخلت عليه ، فوجدته قائماً يتأمل كتابة على جدار القصر، فقرأت معه فإذا هي (٦٣) :-

يـاقـصـر عـبـاس بـن عـمـرو
كـيـف فـارقـك ابـن عـمـرك
قـد كـنـت تـغتالُ الـدهـور
فـكـيـف غـالـك ريـب دهـرك
واهـاً لـعـزك بـل لجـودك
بـل لمجـدك بـل لـفـخـرك

وتحته مكتوب ، وكتبه عبدالله بن حمدان بخطه سنة ٣٣١هـ قلت وهذا الكاتب هو سيف الدولة ابن حمدان ، وتحت ذلك مكتوب :-

يـاقـصـر ضـعـضـعـك الـزمـان
وحـط مـن عـلـيـاء فـخـرك
ومحـا محـاسـن اسـطـر
شـرفـت بهـن مـتـون جـدرك
واهـاً لـكـاتـبـهـا الـكـريم
وقـدره المـوفي لـقـدرك

وتحتها مكتوب ، وكتبه المعتز ابن الحسن بن علي بن حمدان بخطه سنة ٣٦٢هـ ، قلت وهذا الكاتب هو عدة الدولة ابن ناصر الدولة بن حمدان بن اخي سيف الدولة ، وتحت ذلك مكتوب :-

يـاقـصـر مـافـعـل الألى
خـربـت قـبـابهـم بـقـعـرك
أخـنـى الـزمـان عـلـيـهـمـو
وطـواهـمـو بـطـويـل نـشـرك
واهـاً لـقـاصر عـمـر مـن
يخـتـال فـيـه ،وطـول عـمـرك

وتحت ذلك مكتوب ، وكتبه المقلدبن المسيب بخطه سنة ٣٨٨هـ ، قلت وهذا الكاتب هو المقلد العقيلي ، وتحت ذلك مكتوب :-

يـاقـصـر مـاصـنـع الـكـرام
الـسـاكـنـون قـديم عـصـرك
عاصـرتهـم فـبـددتهـم
سـاورتهـم طـراً بـصـبرك
ولـقـد اثـار تـفـجـعـي
يـا بـن المـسـيـب رقـم سـطـرك
وعـلـمـت اني لاحـق بـك
ذاهـب في قـفـو اثـرك

وتحته مكتوب ، وكتبه قرواش بن المقلد العقيلي بخطه سنة ٤٠١هـ ، قال : فعجبت لذلك وقلت لقرواش ، الساعة كتبت هذا؟ فقال نعم .

وكان شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي يجيد قول الشعر ايضاً ، كما اجاد كثير من العقيليين ذلك ، نذكر منهم : عبدالله العقيل ، نجم بن سراج العقيلي ، ليلى الاخيلية العقيلية التي كانت اشعر النساء عدا الخنساء ، ومعاذ بن كليب العقيلي ويعرف بمجنون ليلى العامرية ، كما اشتهر عدد من العقيليين برواية الحديث وسنده ، منهم : ابو الجراح العقيلي ، ابن بيان العقيلي ، ابو الوفاء ابن عقيل العقيلي الذي تاب عن الاعتزال سنة ٤٦٥هـ ، كما اكثر الشعراء من مدح امراء بني



عقيل ومنهم : الشريف الرضي الذي نظم قصيدة في مدح الأمير المقلد العقيلي بعد اغتياله سنة ٣٩١هـ ، وابن حيوس الذي مدح الأمير مسلم العقيلي عند فتحه مدينة حلب جاء فيها[٦٤] :-

مادرك الطلبات مثل مصمم
ان اقدمت اعداؤه لايحجم

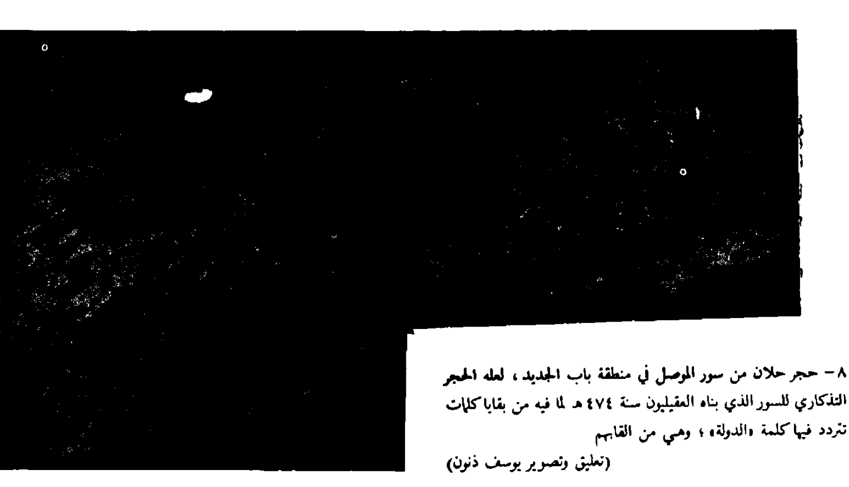
ترك الهوينا للضعيف مطية
من بطشه كفراء ليس بمعتم

خطط المدينة وعمرانها

كان باقليم الموصل ثمان عشرة كورة في عهد بني عقيل ، كما خضعت كثير من المدن الاخرى لدولتهم على طول نهري دجلة والفرات حتى بغداد جنوبا وحديثة عانة على الفرات شمالاً ، كما صارت اربل والجزيرة الفراتية من اعمالها.

لقد ازدهر العمران في الموصل منذ عهد الحمدانيين ، كما اهتم العقيليون بعمرانها ، وعمران الاعمال التابعة لها ، كتكريت والدور وعانة والحديثة ، ومن بين عمائر العقيليين في الموصل ، سورها الذي مازالت آثاره باقية ، ذلك السور الذي انشأه الأمير شرف الدولة مسلم العقيلي ، ومما يجدر ذكره ، ان آثاراً قديمة تقع عند هذا السور مازالت قائمة ، وهي تعرف ببقايا قصور بني عقيل في الموصل ، كما يوجد اثر قبر في شمال غرب المدينة شيدت عليه قبة ، يقال له قبر الامام ابراهيم ، وعليه كتابة تأريخية ترجع الى سنة ٤٨٩هـ ، وقد قامت مديرية الآثار العراقية بتصوير هذا المرقد وابوابه ويعتقد ان الأمير ابراهيم بن مسلم العقيلي هو الذي شرع في بناء هذا القبر قبل وفاته سنة ٤٨٦هـ[٦٥] .

وكان امراء بني عقيل قد اتخذوا من دور الامارة الحمدانية في الموصل مقراً لهم ، وهي على شاطئ دجلة الغربي ، تعرف «قره سراي» الى اليوم ، اما دور العقيليين السكنية فكانت على بعد مائتي متر عن نهر دجلة وعن دار الامارة ، وصار لبني عقيل طراز خاص في العمارة في جميع اعمالهم ، من اهم مظاهره استخدام الآجر والجص بدل الحجارة ، كما امتازت منائرهم بكونها مثمنة الأضلاع ، وقد تجلى ذلك في منارة عانة وقبة محمد الدري الذي وجد عليها اسم الأمير مسلم العقيلي المتوفى سنة ٤٧٨هـ وقد ساد هذا الطراز في جميع المناطق التي خضعت لنفوذ الدولة العقيلية[٦٦] .



٨- حجر حلان من سور الموصل في منطقة باب الجديد ، لعله الحجر التذكاري للسور الذي بناه العقيليون سنة ٤٧٤هـ لما فيه من بقايا كلمات تتردد فيها كلمة «الدولة» ، وهي من القابهم

(تعليق وتصوير يوسف ذنون)



الهوامش

(١) ابن هشام – السيرة النبوية مصر ١٣٧٥ هـ ، ج ١ ص ٤٢٤– ٤٢٥ ، ج ٢ ص ٤٩٤ – ٤٩٥ ؛ ابن الأثير – اللباب في تهذيب الانساب القاهرة ١٣٥٦ هـ ، ج ٢ ص ١٤٥ القلقشندي – نهاية الأرب ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٣٦٥
دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٩٧١
Lane – poole, The Mohammadan Dynasties, Paris 1925 P.116 – 117

(٢) السمعاني – كتاب الأنساب ليدن ١٩١٢ ج ٤ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ياقوت الحموي – المقتضب من كتاب النسب ص ٢٣ – ٢٧ ؛ القلقشندي – نهاية الأرب ص ١٤٨ ، ٣٦٥ ؛
ابن خلدون – تاريخ العبر ج ٢ ص ٣٢
ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣٤٨ ؛ السويدي البغدادي – سبائك الذهب ص ١٠ – ٣٦ ؛

(٣) ابن خلدون – ملحق تأريخه بولاق ؛ ١٣٨٤ هـ ؛ ج ١ ص ١١ ؛ القلقشندي – نهاية الارب ص ٣٦٦
مصطفى امراد الدباغ – قطر ماضيها وحاضرها ؛ بيروت ١٩٦١ ، ص ١٦١ – ١٦٣

(٤) اليعقوبي – تأريخ اليعقوبي ، النجف ١٣٥٨ هـ ج ٣ ، ص ١٧٣ – ١٧٤ محمد جمال الدين سرور – الحياة السياسية في الدولة العربية ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨

(٥) ابن القلانسي – ذيل تأريخ دمشق ص ٤ – ٩ ؛ ابن الأثير – الكامل ، الطباعة الخيرية ١٣٥٣ هـ ج ٧ ص ٥٤ – ٥٧
ابن بدران – تهذيب تأريخ ابن عساكر ، دمشق ١٣٤٩ هـ ، ج ٧ ص ١١٧
محمد جمال الدين سرور – النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٧

(٦) محمد جمال الدين سرور – الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٧٢ ؛ خاشع المعاضيدي – دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص ٤٨

(٧) مسكويه – تجارب الامم القاهرة ١٩١٩ ، ج ٦ ص ٤٠١ – ٤٠٤ ؛ ابن القلانسي – ذيل تأريخ دمشق ص ٢١ – ٢٤ ؛
ابن الأثير – الكامل ج ٧ ص ٩٨ ، ١٢١ – ١٢٢
محمد جمال الدين سرور – الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٧٤
حسن ابراهيم حسن – تأريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٩١

(٨) ابو شجاع الروذروري – ذيل تجارب الامم ، مصر ١٣٣٤ هـ ، ص ١٧٦ – ١٧٧ ؛ ابن الأثير – الكامل ج ٧ ص ١٤٦ ؛ ابن العبري – تأريخ مختصر الدول بيروت ، ١٨٩٠ ص ٣٠١ – ٣٠٢ دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ص ٩٧١

(٩) الفارقي – تأريخ الفارقي القاهرة ١٣٧٩ هـ ص ٥٩ – ٦٠ ؛ ابو الفدا – تأريخ الملك المؤيد ج ٢ ص ١٣٤ .

(١٠) ابن الاثير – الكامل ج ٧ ص ١٤٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٩٧١ ؛
Lane – poole, The Mohammadan Dynasties, PP.116 – 117

(١١) ابو شجاع – ذيل تجارب الامم ص ٢٨٠ – ٢٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ؛ ابن الأثير – الكامل ج ٧ ص ١٨١ – ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٠٩

(١٢) ابن الاثير – الكامل ج ٧ ص ١٥٧ ؛ ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٥٠ – ١٥٢ ؛ الحافظ الذهبي – دول السلام في التأريخ ١٣٣٧ هـ ج ١ ص ١١٤ ؛ الحنبلي ، ابن العماد – شذرات الذهب ، القاهرة ١٣٥٠ هـ ج ٣ ص ١٨٣

(١٣) الصابي – تحفة الامراء ، بيروت ١٩٠٤ ؛ ص ٤١٧ ؛ ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٥٢ ؛ ابو المحاسن – النجوم الزاهرة ؛ القاهرة ١٣٥٢ هـ ج ٤ ص ٢٠٣

(١٤) ابن الجوزي – المنتظم في تأريخ الملوك والامم حيدر أباد ، ١٣٥٩ هـ ، ج ٧ ص ١٤٧ ، ٢٨٧ ، ابن خلكان – وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ١٥٢ ، ج ٣ ، ص ٣٥١ – ٣٥٤ ؛

(١٥) ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٥٤ .

(١٦) ابن الأثير – الكامل ج ٨ ص ٦٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٩٧١
Lane – poole, The Mohammadan Dynasties, PP. 116 – 117

(١٧) ابو المحاسن – النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١٩

(١٨) ابو الفدا – تأريخ الملك المؤيد ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ؛ ابن خلكان – وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٤

(١٩) ابن الأثير – الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ ، ابو الفدا – تأريخ الملك المؤيد ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، ابن العميد – تأريخ المسلمين ، ليدن ١٩٢٥ ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ .

(٢٠) ابن الأثير – الكامل ج ٨ ، ص ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ، ابن كثير – البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢٦ ، ج ١٢ ، ص ١٣٠ – ١٣١ ، ابن خلكان – وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٤ – ١٥٥ .

(٢١) ابن القلانسي – ذيل تأريخ ، دمشق ص ١٢٢ – ١٢٣ ، ابن الاثير – الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٧ ، ابن خلدون – تأريخه ، ج ٤ ، ص ٥٧٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ، ص ٩٧٢ .

(٢٢) ابن القلانسي – ذيل تأريخ ، دمشق ص ١٢٣ – ١٢٤ ، ابو المحاسن – النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٣٥ ، ابن كثير – البداية والنهاية ، مصر ١٩٢٣ ، ج ١٢ ، ص ١٥٢ ، ابن خلدون – تأريخه ، ج ٤ ، ص ٥٧٨ – ٥٧٩ .

(٢٣) الماوردي – الأحكام السلطانية ، مصر ، ص ٢٧ – ٣٣ ؛ محمد جمال الدين سرور – مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٢٢ – ١٢٤ .

(٢٤) خاشع المعاضيدي – دولة بني عقيل في الموصل ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٢٥) ابو شجاع – ذيل تجارب الامم ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ ، ابن الاثير – الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨١ – ١٨٢ .

(٢٦) ابن الأثير – الكامل ، ج ٨ ، ص ٨٣ – ٨٥ ،
الخطيب البغدادي – تأريخ بغداد ، مصر ١٣٤٩ ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ – ٤٠٢ ، المقريزي – اتعاظ الحنفا ، القاهرة



١٣٦٧ هـ ، ص ٢٨٠ ،
ابن الصيرفي – الاشارة الى من نال الوزارة ، القاهرة ١٩٢٤ ، ص ٤٣ – ٤٥ .

(٢٧) الحنبلي – شذرات الذهب ، القاهرة ١٣٥٠ ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ ، الاصفهاني – تواريخ ال سلجوق ص ٤٩ .

(٢٨) الصابي – المختار من رسائله ، لبنان ١٨٩٨ ، ج ٦ ، ص ٢٦١ ، ابن الأثير – الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٦ ، ابو المحاسن – النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٧ ، ابن العميد – تأريخ المسلمين ، ص ٢٥٧ ، محمد جمال الدين سرور – النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٧٢ – ٧٨ ، ٨٥
خاشع المعاضيدي – دولة بني عقيل في الموصل ، ص ٨٥

(٢٩) ابن خلكان – وفيات الأعيان ، ج ٢ ص ٢٥٢ ، ابو المحاسن – النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٢٠٣

(٣٠) ابو شجاع – ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ ، ابن الأثير – الكامل ، ج ٧ ص ١٨١ – ١٨٢

(٣١) ابن الأثير – الكامل ج ٧ ص ١٥٧ ، ابن خلدون – تأريخه ، ج ٣ ص ٣٤٣

(٣٢) ابن الأثير – الكامل ج ٨ ص ٦٧ – ٦٨ ، ابن كثير – البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٥

(٣٣) ابن الاثير – الكامل ج ٨ ص ٨٥ – ٨٦هـ ابن كثير – البداية والنهاية ج ١٢ ص ٨٢ – ٨٣ ، خاشع المعاضيدي – دولة بني عقيل في الموصل ص ١٠٤ – ١٠٥

(٣٤) ابن الاثير – الكامل ، ج ٨ ص ١٠٤ ، البنداري – تأريخ دولة ال سلجوق ، ليدن ١٨٨٩ ص ٣٠ ، ابن خلكان – وفيات الأعيان ، ج ٢ ص ١٥٤

(٣٥) المؤيد في الدين هبة الله ، سيرته بقلمه ، مصر ١٩٤٩ ، ص ١٣١ – ١٣٢ ، البنداري – تأريخ دولة ال سلجوق ، ص ١٢ ، ٤٦
ابن خلدون – تأريخه ، ج ٣ ص ٤٦١ – ٤٦٣
ابو الفوارس – تأريخ الدولة السلجوقية ، لاهور ١٩٣٣ ص ٥٦ – ٥٧ ،ابن العميد – تأريخ المسلمين ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣

(٣٦) ابن القلانسي – ذيل تأريخ دمشق ، ص ٣
المقريزي – اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٤٨ ،
ابو المحاسن – النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٥٨

(٣٧) ابو شجاع – ذيل تجارب الامم ص ٣٠١ – ٣٠٢ ، ابن الأثير – الكامل ج ٧ ص ١٨٧ ، ٣٠٨

(٣٨) ابن الأثير – الكامل ج ٧ ص ٣٢٥ – ٣٢٦ ، ابو الفدا – تأريخ الملك المؤيد ج ٢ ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ، البنداري – تأريخ دولة آل سلجوق ص ٦٩ – ٧٠ ، علي جواد الطاهر – الشعر العربي ج ٢ ص ٢٥ .

(٣٩) ابن الاثير – الكامل ج ٧ ص ١٣ ، ٣٧ ، ج ٨ ص ٤٩ – ٥٠ ، ٩١ ، ابن جبير – رحلة ابن جبير ج ١ ص ١٥٠ ، ٢٢٧ ، ابو الفدا – تأريخ الملك المؤيد ج ٢ ص ١٨٩ ، ابو المحاسن – النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٧٠ ، البنداري – تأريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢ .

(٤٠) خاشع المعاضيدي – دولة بني عقيل في الموصل ص ١٤١ – ١٤٣

(٤١) ابن القلانسي – ذيل تأريخ دمشق ص ٢٨٤ ، ابن الأثير – الكامل ج ٨ ص ٢١٦ ، ابن خلدون – تأريخه الملحق ص ١١ ، العمري – منية الأدباء ، الموصل ١٩٥٥ ص ٥٩ ، عمر رضا كحالة – معجم قبائل العرب ، دمشق ١٩٤٩ ص ٨٠١ .
الدباغ – قطر ماضيها وحاضرها ، ص ١٦٢ – ١٦٣ .

(٤٢) خاشع المعاضيدي – دولة بني عقيل في الموصل ، ص ١٤٥ – ١٤٦ ، ١٤٩

(٤٣) ابن الجوزي – المنتظم ، ج ٧ ص ٤٧ ، ٥١ . ج ٨ ص ٢١ ، ٢٥ ، ٧٧ ، اليافعي – مرآة الجنان ، حيدر آباد ١٣٣٨ ص ٢٥ .

(٤٤) ابن الجوزي – المنتظم ج ٨ ص ٦٧ ، النويري – نهاية الأرب ج ١ ص ٢٧٧ .

(٤٥) ادم متز – الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢١١ ، عبدالعزيز الدوري – العراق الاقتصادي بغداد ١٩٤٨ ص ٢٥ – ٤٧ .

(٤٦) ابن خلدون – المقدمة ص ٤٥١
تيمور باشا – التصوير عند العرب ص ٢١١
عبدالعزيز الدوري – العراق الاقتصادي ص ٨١ ، ٩١ ، ١٠٢

(٤٧) عبدالعزيز الدوري – العراق الاقتصادي ص ٩١ ، ١٣١ ، سعيد الديوه جي – الموصل في العهد الأتابكي بغداد ١٩٥٨ ص ١١ – ١٢
مجلة سومر ج ١ المجلد ٧ ص ٩١

(٤٨) عبدالعزيز الدوري – العراق الاقتصادي ص ١٣١ ، ١٣٥ – ١٣٨

(٤٩) المقدسي – احسن التقاسيم ص ١٣٥ – ١٣٦
الدوري – العراق اللاقتصادي ص ٣٨ – ٢٣٩

(٥٠) ابن خلدون – تأريخه ج ٤ ص ٥٧١ – ٥٧٢
الكرملي – النقود العربية ص ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧
محمد جمال الدين سرور – الحضارة الاسلامية في الشرق ص ١٥٤
Catalogue of orient in The British Museum, London 1877 VOL.، III,p.21 – 22, PL.I. 45, 46, 47

(٥١) خاشع المعاضيدي – دولة بني عقيل في الموصل ص ١٨٠

(٥٢) عبدالعزيز الدوري – العراق الاقتصادي ص ١٦

(٥٣) ابن الجوزي – المنتظم ، ج ١ ص ٣٤٠ ، ج ٨ ص ١٠٧ ، محمد جمال الدين سرور – الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٢٢ – ٢٣

(٥٤) ابن العبري – تأريخ مختصر الدول ص ٣١٤ ، الفارقي – تأريخ ميافارقين ص ٤٩ – ٥٢ .

(٥٥) الدوري – العراق الاقتصادي ص ١٨ – ٢٠ .

(٥٦) هلال الصابي – رسوم دار الخلافة بغداد ١٣٨٣ هـ ص ٦ ، الشهرستاني – الملل والنحل ، القاهرة ، ١٩٤٨ ج ٢ ص ١٠٨
آدم متز – الحضارة الاسلامية ص ٥٢ ، محمد جمال الدين سرور – الحضارة الاسلامية في الشرق ص ١٧٢
هاشم البنا – اليزيديون ، بغداد ١٩٦٤ ، ص ١٧ – ٢٥



(٥٧) جرجي زيدان- التمدن الاسلامي، ج ٥ ص ٢٠- ٢١، ٣١- ٣٤، ٦٧، الكرملي- تأريخ العراق ص ١٦٣، محمد جمال الدين سرور- الحضارة الاسلامية في الشرق، ص ١٧٥

(٥٨) اخوان الصفا- رسائل اخوان الصفا، ج ١ ص ٢٩٩،
ابن جبير- رحلة ابن جبير، ج ١ ص ١٤٩، ٢٢٣،
المقدسي- احسن التقاسيم، ص ١٣٦

(٥٩) محمد جمال الدين سرور- الحضارة الاسلامية في الشرق، ص ١٨٣- ١٨٤،
خاشع المعاضيدي- دولة بني عقيل في الموصل ص ١٩٠

(٦٠) ابو شجاع- ذيل تجارب الامم ص ٣٠٢،
ابن الأثير- الكامل ج ٧ ص ١٨٧، ٣٤٢- ٣٤٣، ٣٤٦

(٦١) الثعالبي- يتيمة الدهر، القاهرة ١٩٤٧ ج ١ ص ١٢- ١٣،
آدم متز- الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٣٢، مجلة سومر ج ١ مجلد ١٣ ص ١٠١- ١٠٩

(٦٢) خاشع المعاضيدي- دولة بني عقيل في الموصل ص ٢٠٢

(٦٣) ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٢ ص ١٥٠- ١٥١

(٦٤) الأصفهاني- خريدة القصر، ج ٢ ص ٢٦٢- ٢٦٥
ياقوت الحموي- معجم الادباء، ج ١٤ ص ٥- ٨، ج ١٩ ص ٢١٥،
ابن كثير- البداية والنهاية، ج ١٢ ص ١٠٥- ١٠٦،
ابن قتيبة- الشعر والشعراء، القاهرة ١٣٦٤هـ ج ١ ص ٤١٦- ٤١٨
الأصفهاني- كتاب الأغاني، مصر ١٣٥١ ج ١١ ص ٧، ٢٣٦،
المرزباني- معجم الشعراء ص ٢٩٢

(٦٥) ابن خلكان- وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٦
احمد الصوفي- المباني الآثارية الاسلامية الموصل ١٣٥٨هـ ص ٢٩- ٣٥
خاشع المعاضيدي- دولة بني عقيل في الموصل ص ١٩٣،

(٦٦) هرتسفلد - رحلة على نهري دجلة والفرات ج ٢ ص ٣٢٠،
زكي محمد حسن- الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ص ١٧، ٢٩٤- ٢٩٥،
مجلة سومر ج ١ مجلد ١٠ ص ٩٩- ١٠٠

الموصل في عهد السيطرة السلجوقية

٤٨٩- ٥٢١ هـ   ١٠٩٥م- ١١٢٧م

أ.د.رشيد عبد الله الجميلي

حكم السلاجقة للموصل :

تطلع السلاجقة للاستيلاء على الموصل منذ اواخر النصف الاول من القرن الخامس الهجري فقاموا بعدة محاولات استهدفت القضاء على حكم الأمراء العرب من بني عقيل في الموصل واقليم الجزيرة الفراتية، وبعد نجاح السلاجقة بدخول بغداد والقضاء على نفوذ البويهيين سنة ١٠٥٥م سارع الأمير قريش بن بدران الى تقديم الولاء للسلطان طغرلبك حفاظاً على نفوذه في الموصل[١].

والواقع ان دولة بني عقيل مالبثت أن اشرفت على الزوال بعد تعاظم نفوذ السلاجقة واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء، وكان مصرع مسلم بن قريش خلال المعركة التي دارت بينه وبين قتلمش[٢] سنة ١٠٨٥م إيذاناً بنهاية حكم العقيليين في الموصل واقليم الجزيرة بسبب السياسة التي اتبعها أمراؤهم والتي ادت الى انقسامهم على انفسهم وتحالفهم مع امراء المدن المجاورة تحقيقاً للمزيد من المكاسب غير مبالين بالنتائج التي سوف تترتب على هذه السياسة، وقد كانت وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه سنة ١٠٩٢م قد فتحت مرحلة من الصراع حول العرش بين ولديه بركياروق ومحمود، كما دخل تاج الدولة تتش طرفاً في هذا الصراع حيث اعلن أحقيته بالسلطنة بعد أخيه ملكشاه واستولى على الرحبة ونصيبين ثم تقدم نحو الموصل وأرسل الى الأمير ابراهيم بن قريش العقيلي يأمره باعلان ولائه له وفسح الطريق امامه الى بغداد، فرفض الأخير الاستجابة لطلبه، واستعد لمواجهة السلاجقة ودارت معركة كبيرة بين



الطرفين على نهر الهرماس في ربيع الاول من سنة ١٠٩٣م انتهت بأسر الأمير العقيلي مع عدد من الامراء والمقدمين وقتلوا على يد تتش [٣].

وكان لابد لتاج الدولة تتش من مواجهة ابن اخيه السلطان بركياروق الذي انحاز الى جانبه معظم الامراء اعترافاً منهم بفضل ابيه ملكشاه، وقد لقي تتش مصرعه خلال المعركة التي حدثت بينها على بعد اربعة فراسخ من الري وارسل رأسه الى بغداد واستقامت السلطنة لبركياروق بعد أن تخلص من أخطر منافس له [٤].

استيلاء السلاجقة على الموصل ونهاية دولة بني عقيل:

كان بنو عقيل قد لجأوا الى السلطان بركياروق بعد هزيمتهم أمام عمه تاج الدولة تتش وشكوا اليه ماحل بهم على يديه ملتمسين أن يعيدهم الى امارتهم في الموصل، وذكر ابن القلانسي أن علي بن مسلم العقيلي وامه صفية خاتون كانا يقيمان آنذاك مع السلطان بركياروق، فعظم الامر عليها بمقتل الأمير ابراهيم بن بدران وبقية الامراء من بني عقيل- فاستجاب بركياروق لطلبهم وولى علي بن مسلم أميراً على الموصل ولقبه بسعد الدولة، وعاد بنو عقيل الى بلادهم وأجلوا عساكر تاج الدولة تتش عن الموصل [٥].

ولم يكد علي بن مسلم يستقر بامارة الموصل حتى نازعه اخوه محمد بن مسلم واعلن العصيان بنصيبين، كما خرج على طاعته أيضاً ثروان بن وهب العقيلي وأبو الهيجاء الكردي، وذكر الفارقي أن محمد بن مسلم اتصل بالأمير كربوقا [٦] يستنصر به على اخيه علي أمير الموصل. وكان كربوقا قد التف حوله عدد كبير من الجند المرتزقة كما انضم اليه اخوه التونتاش واستوليا على حران، ويبدو ان كربوقا هذا كان يتطلع للاستيلاء على الموصل بعد أن وقف على الظروف التي كان يمر بها بنو عقيل آنذاك، فاسرع بالتوجه نحو نصيبين، ولما أصبح على مشارف المدينة خرج محمد بن مسلم لاستقباله واستحلفه لنفسه، إلا أن كربوقا مالبث أن قبض عليه ودخل نصيبين بعد حصار استمر أربعين يوماً، ثم واصل زحفه الى الموصل، ففشل في اقتحامها واضطر للرحيل الى (بلد [٧])، وأمر بقتل محمد بن مسلم وعاد ثانية لحصار الموصل، ويبدو أن علياً أدرك عدم استطاعته الصمود في وجه كربوقا فاستنجد بالأمير شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر، فاسرع الأخير لنجدته. غير ان التونتاش هزمه قبل أن يصل الى الموصل وارغمه على العودة الى ولايته، وقد وجد جكرمش ان المصلحة تقضي بالانضمام الى كربوقا بعد أن تأكد لديه أن بني عقيل لا يمكنهم الصمود طويلاً، وان نهاية حكمهم مسألة محسومة، فشارك كربوقا في حصار الموصل فساءت الاحوال في المدينة (وعدمت الاقوات بها وكل شيء حتى يوقدونه فأوقدوا القير وحب القطن) [٨].

وأخيرا تأكد لعلي بن مسلم عدم جدوى المقاومة فآثر الرحيل عن الموصل ملتجئاً الى صدقة بن مزيد أمير الحلة، ودخل كربوقا الموصل في ذي القعدة من سنة ٤٨٩ هـ بعد تسعة أشهر من الحصار الشديد منهياً بذلك حكم بني عقيل الذي استمر اكثر من مئة عام، وأصبحت الموصل خاضعة خضوعاً مباشراً للدولة السلجوقية توالى على حكمها عدد من الولاة السلاجقة استمر حكمهم حتى سنة ٥٢١ هـ حيث انتقل الحكم الى عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر مؤسس دولة الاتابكة في الموصل التي حكمها خلفاؤه من بعده حتى سنة ٦٣١ هـ [٩].

وقد تمتع الأمراء السلاجقة في هذه المرحلة بنفوذ واسع في الموصل واقليم الجزيرة وكانوا موضع تقدير المسلمين بسبب تزعمهم لحركة الجهاد ضد الغزاة الصليبيين الذين اجتاحوا بلاد الشام أواخر القرن الخامس الهجري- ٤٩١ هـ / ١٠٩٧م، وقد أتاح لهم موقعهم هذا فرض نفوذهم على المدن والامارات المجاورة واخضاعها باسم السلطان السلجوقي باعتبارهم نواباً عنه في حكم هذه



الاقاليم. وكانوا يوزعون الاقطاعات على أمراء الجند على أن يكونوا مرتبطين ارتباطاً مباشراً بامارة الموصل ويلتزمون بالقيام بواجباتهم المالية والعسكرية. فكان موسى التركماني ينوب عن كربوقا في حصن كيفا، وشمس الدولة جكرمش ينوب عنه في جزيرة ابن عمر، وحين آلت ولاية الموصل الى جكرمش بعد مصرع موسى التركماني سنة ٤٩٥هـ أناب عنه ولده حبشي في جزيرة ابن عمر، وقد أعلن الأخير خضوعه للامير جاولي سقاوه الذي استولى على الموصل سنة ٥٠٠هـ [١٠]. وكان الوالي السلجوقي في الموصل هو الحاكم الأعلى المسؤول عن حفظ الأمن وقيادة الجند والدفاع عن البلاد، ولم يكن يربطه بالحكومة المركزية إلا سلطة السلطان في التعيين والعزل.

العلاقات السياسية لامارة الموصل:

أولاً: مع السلطنة السلجوقية:

وضع السلاجقة في سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م نهايةً لحكم الامراء العرب من بني عقيل في الموصل واقليم الجزيرة وبعض مدن الشام. واصبحت هذه البلاد جزءً من الدولة السلجوقية تدار مباشرة من قبل أمراء يعينهم السلطان السلجوقي تترتب عليهم واجبات والتزامات مالية وعسكرية عليهم الوفاء بها. فكان يتوجب على هؤلاء الامراء حمل الاموال المقررة الى خزانة السلطان في الوقت المناسب ويعرضه ابطاؤه في سدادها للعزل عن الولاية حتى لو أدى ذلك الى قيام الحرب بينه وبين السلطان، كما حدث لشمس الدولة جكرمش (٤٩٥هـ - ٥٠٠هـ) الذي عزله السلطان محمد عن ولاية الموصل لانه (تثاقل في الخدمة وحمل المال) [١١]، وكان جكرمش قد وعد السلطان بأن يحمل اليه قدراً معيناً من المال بعد أن استقر الأخير في السلطنة عقب وفاة السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ غير ان جكرمش لم يف بوعده [١٢] ويضيف ابن القلانسي سبباً آخر لعزل جكرمش عن الموصل فيذكر ان السلطان محمداً كان قد عهد الى الأمير جاولي سقاوه بقتال الصليبيين ودفعهم عن طرابلس، فكتب الى بغداد والى أمير الحلة دبيس إبن صدقة والى جكرمش يدعوهم لتقديم المساعدة لجاولي وامداده بالرجال والاموال والمشاركة في الجهاد. إلا ان جكرمش رفض الانصياع لأوامر السلطان وامتنع عن تقديم المساعدة لجاولي وخرج لقتاله [١٣]، أما الفارقي فيعلل امتناع جكرمش عن تنفيذ اوامر السلطان بانه أنف (أن يتأمر عليه جاولي فحاربه) [١٤].

ويتضح من النصوص السابقة ان الالتزامات العسكرية تلزم الأمير بضرورة اعداد الجيوش وارسالها الى السلطان كلما دعت الحاجة الى ذلك، كما يتوجب عليه أيضاً الحضور على رأس قواته لمحاربة اعداء السلطان والخارجين على طاعته، وانطلاقاً من هذه المبادئ فقد اسهم معظم أمراء الموصل في اخماد الفتن والاضطرابات التي كانت تحتدم في انحاء الدولة السلجوقية حتى لو استدعى الامر الذهاب بعيداً عن مركز امارتهم، وقد اتضح ذلك خلال حكم كربوقا (٤٨٩هـ - ٤٩٥هـ) حين عهد اليه السلطان بركياروق سنة ٤٩٤هـ بقتال الملك مودود بن اسماعيل بن ياقوتي الذي خرج على طاعته في أذربيجان، فسار على رأس عساكره الى بلاد فارس وامضى مايزيد على السنة يحارب اعداء السلطان ووافاه الأجل قبل أن يعود الى مقر حكمه في الموصل [١٥].

اما عن طبيعة العلاقات بين السلاطين السلاجقة وامارة الموصل خلال حكم الأمير جاولي سقاوه (٥٠٠هـ - ٥٠٢هـ) فان الأخير لم يتردد في تنفيذ أوامر السلطان محمد بقتال الباطنية في قلعة ألموت، وذكر ابن القلانسي أن جاولي هاجم مواقع الباطنية ودمر قلاعهم وقتل عدداً كبيراً منهم ثم عاد الى الموصل [١٦].

غير أن سياسة جاولي نحو السلطان محمد سرعان



ماتغيرت فجأة بعد عودته الى الموصل وكان السلطان قد اسند اليه ولاية كل مدينة يفتحها من بلاد فارس، فلم يف جاولي بالتزاماته نحو السلطان وتأخر في دفع الأموال المقررة على اقطاعه، وبلغ من تدهور العلاقة بينه وبين السلطان الى الحد الذي امتنع فيه جاولي عن تنفيذ اوامر السلطان ورفض الحضور على رأس عساكره لقتال اعدائه، وكان صدقة بن مزيد أمير الحلة قد خرج على طاعة السلطان فقرر الأخير قتاله، وارسل يستدعي امراء الاطراف لموافاته بالعساكر، إلا ان جاولي لم يستجب لنداء السلطان الذي اضطر الى توجيه نداء آخر يحثه فيه على سرعة الوصول، فما زاد ذلك جاولي الا امعاناً في العصيان حيث اعلن تأييده لصدقة بن مزيد ووقوفه الى جانبه في نزاعه ضد السلطان [١٧].

وهكذا كانت سياسة جاولي العدائية ضد السلطان محمد قد جعلت استمراره بحكم الموصل أمراً مستحيلاً. فما أن انتهى الأخير من القضاء على صدقة بن مزيد في رجب سنة ٥٠١ هـ حتى وجه عساكره نحو الموصل لانتزاعها من جاولي سقاوة الذي غادرها قبل وصول عساكر السلطان، وتمكن الامير مودود بن التونتكين من دخول الموصل في صفر من سنة ٥٠٢ هـ، وكان مودود هذا من ابرز قادة السلطان محمد بن ملكشاه، وقد اظهر كفاءة عالية ومقدرة فائقة في تنفيذ المهام التي عهدها اليه السلطان السلجوقي في الفترة السابقة على توليه امارة الموصل، وقد استطاع مودود أن ينال ثقة السلطان محمد بما قدم من خدمات للدولة السلجوقية وما بذله من جهود في اخماد الفتن والاضطرابات في اقاليم الدولة المختلفة.

وقد امتدت فترة حكم شرف الدين مودود حتى سنة ٥٠٧ هـ قاد خلالها عددا من الحملات ضد قواعد الصليبيين في الرها وبلاد الشام تنفيذاً لأوامر السلطان السلجوقي، وكانت آخر معركة شهدها أمير الموصل هي معركة الصنبرة جنوب غرب بحيرة طبرية، توجه بعدها الى دمشق لقضاء فصل الشتاء والاستعداد لاستئناف القتال ضد الغزاة في فصل الربيع، الا انه لم يلبث أن لقي مصرعه بجامع دمشق في يوم الجمعة الأخيرة من شهر ربيع الثاني سنة ٥٠٧ هـ [١٩].

تدخل امارة الموصل في الصراع حول السلطنة السلجوقية:

أقطع السلطان محمد الموصل واعمالها الى الأمير آقسنقر البرسقي أوائل عام ٥٠٨ هـ وعهد اليه بمهمة القتال ضد الصليبيين، غير أن حكم البرسقي لم يستمر سوى عام واحد فقط إذ عزله السلطان عن الموصل على اثر هزيمته امام بعض أمراء الاطراف فضلاً عن اخفاقه في تحقيق النصر على الصليبيين، وآلت امارة الموصل واعمالها الى الامير جيوش بك (٥٠٨ - ٥١٥ هـ) [٢٠].

وقد حافظ جيوش بك على علاقته بالسلطان محمد ولم يتردد في تنفيذ أوامره، وشارك في الحملة التي اعدها الى بلاد الشام بقيادة برسق بن برسق أمير همدان سنة ٥٠٩ هـ، وقد ذكر المؤرخ ابن الأثير ان امير الموصل انسحب بعد الانتهاء من تحرير كفر طاب وسار الى وادي بزاغه فملكه [٢١].

ودخلت العلاقات بين امارة الموصل والسلاجقة مرحلة جديدة على اثر وفاة السلطان محمد في ذي الحجة من سنة ٥١١ هـ، وخلفه ولده محمود الذي خطب له بالسلطنة ببغداد في المحرم من سنة ٥١٢ هـ، وبوفاة السلطان محمد بدأت مرحلة أخرى من مراحل الصراع بين افراد الاسرة السلجوقية. فقد خرج على محمود أخوته، كما وجد عمه سنجر أنه أحق بالسلطنة من ابن أخيه وأنف أن يكون تابعاً له، فاعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة، وبذلك وجد سلطانان في آن واحد، وانقسمت الدولة السلجوقية الى قسمين: سلاجقة الشرق أو سلاجقة خراسان ويمثلهم سنجر، وسلاجقة الغرب أو سلاجقة العراق ويمثلهم محمود، وكان لابد من الاصطدام بين السلطانين،



فدارت الحرب بينها في جمادى الأولى من سنة ٥١٣ هـ واسفرت عن هزيمة محمود وانفراد سنجر بالسلطنة واصدر الخليفة المسترشد بالله امره بان تكون الخطبة لسنجر في السادس والعشرين من الشهر المذكور، على ان سنجر لم يلبث ان عطف على ابن اخيه وأمر بان يخطب له بالسلطنة من بعده على أن يكون نائباً عنه في العراق(٢٢).

وقد أقر السلطان محمود اخاه مسعوداً على الموصل مع اتابكة جيوش بك، ويبدو ان مسعوداً هذا كان يطمع في السلطنة، وقد قام جيوش بك بدور كبير في تحريضه على المطالبة بالعرش طمعاً في زيادة الاقطاع والتحكم في شؤون السلطنة السلجوقية، والواقع ان اخوة محمود الثلاثة كانوا يعملون بتوجيه من اتابكتهم فيخالفون اوامره ويخلقون له المشكلات ويحرضون امراء الاطراف عليه، وقد انتهز مسعود وجيوش بك رحيل آقسنقر البرسقي الذي كان يتولى شحنكية بغداد الى الحلة لقتال دبيس بن صدقة، فقصدا بغداد، فلما علم البرسقي بنواياهما أسرع بالعودة للدفاع عنها، ويبدو أن عودة البرسقي بهذه السرعة كان مفاجأة لمسعود وجيوش بك اللذين اصبح عليهما الاصطدام بجيوش البرسقي فيما إذا حاولا دخول بغداد فاسقط بأيديهما، وتراجعا عن خطتهما وارسلا الى البرسقي يبلغانه بانهما انما قدما نجدة له على أمير الحلة، فسمح لهما بدخول بغداد، وأمام هذا التطور في الموقف اضطر دبيس بن صدقة الى طلب الصلح فأجيب الى ذلك(٢٣) غير أن دبيساً هذا عاود محاولاته

الرامية للاستيلاء على بغداد بعد أن انضم اليه عماد الدين منكبرس، وقد شارك مسعود وجيوش بك في مهمة الدفاع عن عاصمة الخلافة، واضطر المسترشد بالله الى توجيه نداء الى الاطراف المتصارعة دعاهم فيه الى اقرار الصلح وحقن الدماء، كما تدخل السلطان محمود لحسم النزاع، وعاد جيوش بك الى الموصل دون أن يحصل على ما كان يأمله من وراء هذه الحركة(٢٤).

على أن دبيس بن صدقة لم يتوقف عن مواصلة جهوده الرامية الى اثارة الفتنة والانقسام بين سلاطين وملوك الاسرة السلجوقية، وقد وجد في شخصية الملك مسعود أداةً طيعة يسخرها لتنفيذ أهدافه، فبادر بالاتصال بجيوش بك وحرضه على طلب السلطنة للملك مسعود، وأشار عليه بضرورة القبض على البرسقي الذي كان من اكبر مؤيدي السلطان محمود، وبذل دبيس لأمير الموصل اموالاً كثيرة لهذا الغرض، ويبدو أن البرسقي قد علم بالاتصالات الدائرة بين دبيس بن صدقة وجيوش بك وادراكاً منه لخطورة الموقف سارع بالرحيل الى السلطان ونقل اليه تطور الاحداث في العراق، فحاول السلطان تهدئة الاوضاع واقناع اخيه بالرجوع الى الطاعة وترك العصيان، إلا أن تلك المحاولات لم تسفر عن شيء. فنشبت الحرب بين السلطان من جهة واخيه مسعود وحلفائه من جهة أخرى بالقرب من همدان منتصف ربيع الاول من سنة ٥١٤ هـ واسفرت عن انتصار السلطان محمود الذي عفا عن اخيه مسعود واكتفى بعزل جيوش بك عن امارة الموصل واعمالها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها واقطعها الى الأمير اقسنقر البرسقي في شهر صفر من سنة ٥١٥ هـ (٢٥).

العلاقات في عهد البرسقي وولده مسعود :

بعد صدور أمر السلطان محمود بتولية البرسقي على الموصل توجه الأخير الى مقر عمله على رأس «عسكر كثيف» فأصلح احوال المدينة لكثرة ماتعرضت له من الحروب وأهمال الامراء، واقام بها مدة يسيرة رحل بعدها الى بغداد واجتمع الى السلطان محمود الذي ولاه شحنكية بغداد والعراق جميعه تقديراً لجهوده واخلاصه وتلبية لرغبة الخليفة العباسي المسترشد بالله - كما زوجه من والدة اخيه الملك مسعود، وعاد البرسقي الى الموصل في شعبان من سنة ٥١٦ هـ، ثم رأى السلطان محمود ان يتفرغ البرسقي لمهمة الجهاد ضد القوى الصليبية في



اقليم الجزيرة وبلاد الشام فقرر اعفاءه من شحنكية العراق في سنة ٥١٨ هـ (٢٦) . وقد أبلى أمير الموصل بلاءً حسناً في التصدي لمخططات الغزاة الصليبيين في الشام ونجح في انقاذ حلب التي تعرضت للحصار الصليبي في شعبان من سنة ٥١٨ هـ / تشرين اول / ١١٢٤ م وأرغمهم على الانسحاب ودخل المدينة وتسلم قلعتها واعلن دمجها مع امارة الموصل ، وكان لهذه الوحدة اثرها الخطير على مستقبل الاحتلال الصليبي لاقليم الجزيرة وشمال الشام .

على ان حكم البرسقي لم يدم طويلاً اذ سرعان مادركته الوفاة في ذي القعدة من سنة ٥٢٠ هـ في المسجد على اثر هجوم قام به نفر من الباطنية في حين كان يؤدي الصلاة مع العامة في المسجد الجامع بالموصل . وخلف البرسقي على الموصل ولده عز الدين مسعود غير أن ولايته لم تستمر سوى عام واحد فقد ادركته الوفاة بينما كان يحاصر مدينة الرحبة ، وذكر ابن الأثير أن مسعوداً كان قد اقام على حصارها مدة ثم اخذه مرض حاد فمات بعد تسلمه القلعة بساعة واحدة ، وبوفاة مسعود ينتهي عصر الامراء السلاجقة في الموصل ،حيث اقطع السلطان هذه البلاد الى الأمير عماد الدين زنكي ابن قسيم الدولة اقسنقر في رمضان من سنة ٥٢١ هـ وكان ذلك بداية لقيام دولة الاتابكة التي توالى على حكمها خلفاء عماد الدين حتى سنة ٦٣١ هـ (٢٧) .

ثانياً – العلاقة مع الخلافة العباسية

تميزت المرحلة التي خضعت خلالها الموصل للحكم السلجوقي بضعف الخلافة العباسية وفقدانها للقوة والنفوذ اللذين كان يتمتع بها الخلفاء العباسيون ، على أن حرص المسلمين آنذاك على الابقاء والتمسك بهذه المؤسسة كان دافعاً حقيقياً للحكام والامراء على التشبث باهدافها سعياً وراء الحصول على تأييدها ودعمها الروحي ليكسبوا حكمهم صفة الشرعية أمام رعاياهم .

ولما كان حكام الموصل السلاجقة يقرون بشرعية الخلافة العباسية وولائهم لها فقد حرصوا على توثيق صلتهم بالخلافة وترجمة هذا الولاء باعلان الخطبة للخليفة على منابر الموصل واعمالها ، كما شارك عدد من هؤلاء الحكام في القتال الى جانب الخلافة تأييداً لها ضد اعدائها من الخارجين على طاعتها والعابثين بأمن البلاد ، وقد ظهر هذا الأمر بوضوح أواخر عهد الامراء السلاجقة حيث اتيح للموصل أن تقوم بدور بارز في رسم احداث تلك المرحلة التاريخية التي كانت تجتازها الخلافة العباسية .

والواقع أن حالة الصراع والتنافس اللذين كانا يعصفان بدولة السلاجقة في اعقاب وفاة السلطان ملكشاه وما ترتب عن ذلك من اضمحلال وضعف السلطنة السلجوقية وتجرؤ أمراء الاطراف على التدخل بشؤون السلاجقة وتحديهم السافر لاوامر السلطان ، قد ترك آثاراً سلبية على الخلافة العباسية التي كانت تعتمد في ضبط الامور وإقرار الأمن والاستقرار في البلاد على مكانة السلطان السلجوقي ونفوذه وقد نجح السلاطين الأوائل في تحقيق رغبة الخلافة ففرضوا سيطرة كاملة على ارجاء الدولة العباسية ، واستخدموا القوة والعنف ضد كل من تحدثه نفسه في الخروج على طاعتهم من أمراء الاطراف ، كما حافظوا على حدود الدولة وتصدوا ببسالة لمخططات الروم البيزنطيين وتطلعاتهم في آسيا الصغرى وبلاد الشام .

وعلى الرغم من ان السلاجقة قد انتصروا للخلافة العباسية وأنهوا السيطرة البويهية سنة ٤٤٧ هـ ،كما قضوا على حركة البساسيري واستعادوا بلاد الشام من نفوذ الفاطميين في مصر. إلا انهم مالبثوا ان مارسوا سياسة تعسفية نحو الخلفاء العباسيين بعد أن استتبت لهم الامور في العراق ، وسلبوا الخليفة حقوقه وسلطاته ولم يعد له دور يذكر في سياسة الدولة حتى انه لم يكن يستطيع التصرف في ممتلكاته ، واصبح يعيش من اقطاع يكفي لسد نفقاته .



إن ضعف وانقسام السلاجقة على انفسهم بعد وفاة ملكشاه واستمرار الصراع حول السلطنة السلجوقية قد حرك اطماع امراء الاطراف وشجعهم على التدخل في هذا الصراع مستهدفين تحقيق المزيد من المكاسب. وفي خضم هذه الاحداث فقدت الخلافة العباسية القوة التي كانت تعتمد عليها في كبح جماح امراء الاطراف الذين لم يتورعوا في مجاهرتهم بعصيان الخليفة ومهاجمة عاصمة الخلافة بغداد اكثر من مرة.

ففي خلافة المسترشد بالله (٥١٢هـ - ٥٢٩هـ) انتهز دبيس بن صدقة أمير الحلة فرصة النزاع القائم بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وأخيه الملك مسعود وشرع باعمال النهب واشاعة الفوضى في منطقة الفرات الاوسط، واعلن عن عزمه على قصد بغداد لقطع خط الرجعة على السلطان محمود متجاهلاً نداءات الخليفة الداعية الى الكف عن اعمال العنف وعدم التعرض لعاصمة الخلافة، الاّ أن دبيساً هذا لم يتمكن من تحقيق هدفه واضطر للعودة الى الحلة وانتهى الأمر بعقد الصلح بينه وبين السلطان السلجوقي[٢٨].

ويبدو أن الصلح لم يحظُ بموافقة الخليفة المسترشد بالله الذي كان يرى أن وجود دبيس بن صدقة في الحلة يشكل خطراً على بغداد، فأرسل الى السلطان محمود طالباً اليه العمل على ابعاده عن العراق[٢٩] وكان الخليفة يتطلع الى اقسنقر البرسقي أمير الموصل ليقوم بهذه المهمة لما يعهده فيه من ولائه للخلافة واخلاصه للسلطان السلجوقي، لذلك ألح على ضرورة احضاره محذراً السلطان من مغبة اهمال أمر دبيس هذا، فاضطر السلطان الى الاستجابة لرغبة الخليفة وأرسل سديد الدولة ابا عبد الله بن الانباري الى الموصل لينقل الى البرسقي أمر السلطان بالتوجه الى بغداد، فسارع في الرحيل عن الموصل على رأس عساكره ووصل بغداد اواخر سنة ٥١٦ هـ، وفوض اليه السلطان شحنكية العراق وأمره بقتال دبيس فيما إذا فكر بالتعرض لبغداد ثم قفل عائداً الى همدان في ربيع الاول من السنة المذكورة[٣٠].

وبعد رحيل السلطان شرع الخليفة بالتأهب لقتال دبيس واجباره على الرحيل عن الحلة مستعيناً بالبرسقي الذي بادر باستدعاء العساكر من الموصل واقليم الجزيرة، اما دبيس فقد كان على علم بما يجري من استعدادات ببغداد، فسارع بعبور الفرات، وارسل الى البرسقي يقول: «قد اغنيتك عن العبور وصرت معك على ارض واحدة»[٣١]. ونشبت الحرب بن الفريقين وكان النصر حليف دبيس بن صدقة، ويعلل ابن الجوزي اسباب هزيمة البرسقي بان الأخير رأى خللاً في ميسرته فأمر بنصب خيمته عندهم تشجيعاً لهم على الاستبسال في القتال، فلما رأوا الخيمة تسقط لاذوا بالفرار، وكان الحر شديداً فهلكت دوابهم[٣٢].

إلا أن دبيساً لم يستثمر انتصاره هذا بالزحف نحو بغداد كما كان يتوقع منه، ويبدو انه اراد ان يحسن علاقاته مع الخلافة العباسية ويظهر لها حسن نيته فارسل الى المسترشد بالله يعرض عليه بان يرسل عماله الى منطقة الفرات الاوسط لجباية الاموال من القرى التابعة له- دون أن يتعرض رجاله لهذه القرى بسوء، فوافق الخليفة وتم عقد الصلح بين الطرفين[٣٣].

ولما علم السلطان محمود بهزيمة البرسقي أقدم على سجن منصور بن صدقة- أخي دبيس- الذي كان رهينة لديه، في نفس الوقت الذي بدأ فيه دبيس بمهاجمة واسط. فارسل أهلها الى البرسقي يستحثونه على مساعدتهم فأمدهم بفرقة من عسكره تمكنت من الحاق الهزيمة بالمظفر بن ابي الجبر حليف دبيس، مما دفع الأخير الى مهاجمة كل ما كان للخليفة بنهر الملك وأجلى الناس الى بغداد، اما قوات البرسقي فقد واصلت تقدمها نحو النعمانية واجلت اصحاب دبيس بن صدقة ودخلت المدينة[٣٤].

ولم يسكت الخليفة على تجاوز دبيس واعتداءاته



على اعمال الخلافة ، فارسل عفيفاً الخادم الى دبيس ينكر عليه هذه الاعمال ، إلا أن دبيساً لم يكترث لنداء الخليفة متذرعاً بان الاخير لم ينفذ الاتفاق الذي سبق ابرامه بينها والذي يقضي باخراج البرسقي عن بغداد واعادته الى الموصل [٣٥] . وذكر ابن الاثير أن دبيساً حمل عفيفاً الخادم رسالة هدد فيها الخليفة وتوعده بنهب بغداد وتخريبها ، فلما وقف المسترشد بالله على مضمون الرسالة أصدر اوامره الى البرسقي بالخروج لحرب دبيس في رمضان من سنة ٥١٦ هـ كما ارسل يستدعي العساكر من الاطراف فاحتشدت لديه جُموع كبيرة ، فلما علم دبيس بالتدابير التي اقدم عليها الخليفة أدرك خطورة موقفه ومال الى الصلح وارسل يستعطف الخليفة . إلا ان الاخير صمم على قتاله ، وكان المسترشد على يقين بان أهل بغداد واطرافها لن يتأخروا عن تلبية ندائه فقد كانوا يعيشون في فزع وخوف من اعتداءات دبيس المتكررة ، وصح ماتوقعه الخليفة فقد نادى اهل بغداد «النفير النفير، الغزاة الغزاة ، وكثر الضجيج من الناس ، وخرج منهم عالم كثير لايحصون كثرة ، وبرز الخليفة رابع عشر ذي الحجة . وعبر دجلة وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وطرحة ، وعلى كتفه البردة » [٣٦] .

وكان البرسقي قد نزل بعساكر الموصل والجزيرة بقرية (جهار طاق) ، فلما علم برحيل الخليفة عن بغداد اسرع بالانضمام الى عساكره ، وفي مستهل محرم سنة ٥١٧ هـ نزل الخليفة بنهر الملك واستدعى أمير الموصل واستحلفه على المناصحة في الحرب ، فباشر البرسقي بتعبئة الجيش للمعركة فرتبهم صفوفاً وجعل بين كل صفين مجالاً للخيل ووقف موكب الخليفة من ورائهم ، أما دبيس فقد جعل اصحابه صفاً واحداً ميمنة وميسرة وقلبا ، وجعل الرجالة بين الفرسان بالتراس ووقف في القلب ، وكان دبيس قد وعد رجاله بنهب بغداد وسبي النساء ، وكانت عدة عساكره عشرة آلاف فارس واثني عشر الف راجل ، اما البرسقي فكان في ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ، والتحم الطرفان في معركة كبيرة اشتد خلالها القتال مما دفع المسترشد بالله الى المشاركة في القتال (فجرد وكبر) ، مما كان له اثر كبير في رفع معنويات الجيش واستبسالهم في القتال وألحقوا بدبيس هزيمة نكراء عاد بعدها الخليفة الى بغداد فدخلها في العاشر من محرم من السنة المذكورة [٣٧] .

والواقع أن الانتصار على دبيس قد أعاد للخليفة نفوذه فأخذ يباشر سلطاته الدنيوية بنفسه ، فشرع ببناء سور بغداد ، كما أعفى وزيره احمد بن نظام الملك الذي فرضه عليه السلاجقة ، واستدعى وزيره عميد الدولة من الحديثة واسند اليه الوزارة .

اما دبيس بن صدقة فقد انصرف بعد هزيمته امام الخليفة الى الاغارة على البصرة في ربيع الاول سنة ٥١٧ هـ ونهب البلد وأجلى أهله عنه ، وذكر ابن الجوزي ان دبيساً هذا هاجم مشهد طلحة والزبير ونهبه ، وقتل خلقاً كثيراً ، فلما علم الخليفة بما فعله دبيس ارسل الى البرسقي وعاتبه على اهماله امر دبيس وحمّله مسؤولية ماحدث وحثه على معالجة الموقف والعمل على ابعاده عن البصرة ، فاستعد امير الموصل لتنفيذ امر الخليفة وتجهز لقتال دبيس الذي اضطر للرحيل عن البصرة متوجهاً الى قلعة جعبر [٣٨] .

تدهور العلاقات بين الخليفة المسترشد وأمير الموصل :

على الرغم من الجهود التي بذلها امير الموصل في حماية بغداد والتصدي لاعداء الخليفة المسترشد بالله إلا أن العلاقات بينهما مالبثت ان اخذت في التدهور في اعقاب هجوم دبيس بن صدقة على البصرة ، فقد ألقى الخليفة اللوم على امير الموصل وحمّله مسؤولية ماوقع من اعمال النهب والتخريب



في تلك المنطقة ، ويبدو أن وجود البرسقي في بغداد لم يعد أمراً مرغوباً فيه من قبل الخليفة العباسي.

وقد أشار المؤرخ ابن الاثير الى موضوع الخلاف بين الخليفة والبرسقي وذكر أن السلطان محموداً تلق طلباً من الخليفة بعزل البرسقي عن شحنكية العراق واعادته الى الموصل. ولم يوضح ابن الاثير اسباب هذا الخلاف واكتفى بالقول بان البرسقي نفر عنه المسترشد بالله[٣٩] . ويبدو أن تقاعس امير الموصل عن ملاحقة دبيس واجلائه عن العراق كان وراء تدهور العلاقة بينه وبين الخليفة ، فضلاً عن أن الأخير أراد أن يبعد عن دار الخلافة اي نفوذ قد يمارسه البرسقي مستقبلاً باعتباره ممثلاً للسلطان السلجوقي ، وقد استجاب الأخير لرغبة الخليفة وأمر البرسقي بالعودة الى الموصل سنة ٥١٨ هـ .

ثالثاً : العلاقات مع الامارات المجاورة :

أتيح لولاة الموصل في العصر السلجوقي (٤٨٩ هـ ٥٢١ هـ) القيام بنشاط واسع في اقليم الجزيرة وشمال الشام فأنشأوا علاقات مختلفة مع الامارات والمدن المنتشرة في هذا الاقليم.

وكان اقليم الجزيرة يحتل مركز الصدارة في السياسة التي انتهجها حكام الموصل خلال هذه المرحلة وذلك لارتباطه الجغرافي مع الامارة وتأثيره المباشر على الاحداث السياسية التي كانت تعصف بالمنطقة نتيجة الصراع الذي تفجر بين السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ وتعرض الشام واقليم الجزيرة للغزو الاوربي الصليبي في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

وكان اقليم الجزيرة[٤٠] في الواقع يضم عدداً من المدن المتفرقة التي استأثر بحكم كل منها أمير شبه مستقل ، وقد تميز نظام الحكم في هذه المدن عما كان سائداً في الامارات المحلية ، وذلك لان حكام هذه المدن لم يكونوا يملكون سوى حكم المدينة وحدها وما يحيط بها — في بعض الاحيان — من أراضي محدودة ، كما كانوا عرضة للتغيير بين حين واخر بمجرد ظهور أمير قوي تتيح له امكاناته العسكرية اكتساح أولئك الحكام ، لذلك لم تشهد معظم مدن الجزيرة الفراتية حكماً وراثياً طويل الأجل على النحو الذي كان سائداً في كثير من الامارات المحلية في تلك المرحلة[٤١] .

وعليه فان سياسة الموصل في عصر الحمدانيين والعقيليين من بعدهم كانت تهدف الى ضم مدن الجزيرة الى الموصل والقضاء على مراكز القوى الصغيرة المنتشرة في اقليم الجزيرة أو فرض السيطرة عليها. وقد انتهج ولاة الموصل في العصر السلجوقي هذه السياسة وحرصوا على الوقوف في وجه اي تحالف يستهدف النيل من امارة الموصل أو اضعاف نفوذهم في المنطقة ، في الوقت الذي انصبت فيه جهود ولاة الموصل على تنسيق الجهود وتعبئة القوى المقاتلة في الاقليم من اجل التصدي للغزاة الصليبيين الذين استقروا في الرها وأصبحوا يشكلون خطراً كبيراً على الموصل واقليم الجزيرة.

(١) جزيرة ابن عمر

خضعت جزيرة ابن عمر لامارة الموصل بعد سقوط دولة بني عقيل سنة ٤٨٩ هـ وأقر كربوقا على حكمها شمس الدولة جكرمش الذي استمر يلي أمرها حتى وفاة كربوقا في سنة ٤٩٥ هـ حيث أتيح لجكرمش حكم امارة الموصل وأناب عنه ولده حبشي في جزيرة ابن عمر[٤٢] .

وفي عهد جكرمش تعرضت جزيرة ابن عمر لهجوم خارجي قاده ياقوتي بن ارتق أمير ماردين ، فسارع جكرمش للدفاع عنها وتمكن من ايقاع الهزيمة بقوات ياقوتي الذي أصيب في اثناء القتال اصابة مميتة توفي على اثرها[٤٣] .

ولما آل حكم الموصل الى جاولي سقاوة (٥٠٠هـ — ٥٠٢ هـ) عمل على اخضاع الجزيرة وكانت بيد حبشي بن جكرمش. فحاصرها جاولي فترة من الوقت ثم استقر الأمر على عقد الصلح وتعهد حبشي بان يحمل لأمير الموصل ستة آلاف دينار عدا



الدواب والثياب ، واستمر ارتباط الجزيرة بامارة الموصل طيلة عهد الامراء السلاجقة الذين توالوا على حكم الموصل حتى سنة ٥٢١ هـ حيث اقطعت الموصل واعمالها الى عماد الدين زنكي ، وقد رفض مملوك البرسقي الذي كان يتولى حكم جزيرة ابن عمر الخضوع لعماد الدين وتحصن داخل المدينة ثقة بحصانتها ، فدارت بين الأخير وأهل الجزيرة معارك عنيفة أُضطروا بعدها الى طلب الامان وتسلم عماد الدين المدينة وعاد الى الموصل (٤٤) .

(٢) نصيبين :

كانت نصيبين في حوزة محمد بن شرف الدولة العقيلي الذي راسل كربوقا مستنجداً به على أخيه علي بن شرف الدولة في الموصل ، فلما وصل كربوقا وأخوه التونتاش الى نصيبين خرج محمد لاستقبالها ، إلا أن كربوقا سرعان مانقض عهده وقبض عليه ثم حاصر المدينة ودخلها بعد حصار دام اربعين يوماً . ثم اقدم على قتل محمد بن شرف الدولة والقى جثته في نهر دجلة ، وأناب كربوقا عنه بنصيبين والياً من قبله (٤٥) .

وخلال حكم شمس الدولة جكرمش (٤٩٥ هـ - ٥٠٠ هـ) تعرضت نصيبين لهجوم الامير سقمان بن ارتق القطبي سنة ٤٩٨ هـ ، فلما علم امير الموصل بذلك آثر معالجة الموقف بالحكمة ، ولم يشأ الاصطدام بالتركمان ، فاتصل بالامير سقمان واقنعه بالرحيل عن نصيبين لقاء مبلغ من المال (٤٦) .

ولم تلبث نصيبين أن واجهت خطراً كبيراً في العام التالي (٤٩٩ هـ) عندما حاول الملك رضوان صاحب حلب الاستيلاء عليها بتحريض من الامير إيلغازي بن ارتق الذي اطمعه بالسيطرة على بلاد جكرمش ، وانضم الامير البي بن ارسلان - امير سنجار - وهو صهر جكرمش الى الملك رضوان وايلغازي ، فاجتمع على حصار نصيبين في رمضان من العام المذكور مايقرب من عشرة آلاف فارس ، وقد ادرك امير الموصل صعوبة مواجهة هذه القوات مجتمعة ، فلجأ الى بث الفرقة والخلاف بين رضوان وخلفائه ، في نفس الوقت الذي اهتم فيه بتقوية وسائل الدفاع عن بلاده ، فراسل رضوان واغراه بالقبض على ايلغازي وتعهد بامداده بالاموال والسلاح والمشاركة في قتال الصليبين في شمال الشام ، فأمر رضوان بالقبض على حليفه ايلغازي على اثر مشادة حدثت بينهما ، فلما علم اصحاب الاخير من التركمان بذلك اعلنوا العصيان على رضوان والتجأوا الى سور نصيبين ، فاضطر رضوان الى الرحيل الى حلب ، واعتماداً على ماورواه ابن الأثير فان ايلغازي تمكن من الاستيلاء على نصيبين بعد رحيل رضوان مستغلاً انشغال جكرمش بقتال صهره أمير سنجار ، ومما يؤكد استيلاء ايلغازي على نصيبين ان جاولي سقاوه الذي تولى حكم الموصل بعد وفاة جكرمش سنة ٥٠٠ هـ استنجد بايلغازي لمواجهة هجوم الأمير مودود الذي ولاه السلطان السلجوقي محمد حكم الموصل سنة ٥٠٢ هـ ، (وقد استمر حكم الاراتقة لهذه المدينة حتى استعادها عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ) (٤٧) .

(٣) ماردين :

كان كربوقا قد تطلع لغرض سيطرته على ماردين بسبب موقعها الستراتيجي في منطقة ديار بكر دعماً لمركزه في اقليم الجزيرة . فنجح في أمد قصر من الاستيلاء عليها وجعلها تابعة لامارة الموصل تبعية مباشرة (٤٨) .

على ان ماردين مالبثت أن قطعت صلتها بامارة الموصل بعد رحيل كربوقا الى اذربيجان لاخماد حركة الملك مودود بن اسماعيل بن ياقوت ضد السلطان بركياروق . فقد استغل بعض أمراء الاطراف هذه الفرصة وقطعوا صلتهم بالموصل ، وقد اشار المؤرخ ابن القلانسي الى احداث الجزيرة هذه وذكر ان كربوقا وقف على ما كان يجري هناك فأراد العودة الى مقر ولايته لقتال المخالفين واعادتهم الى الطاعة ، إلا أن الوفاة ادركته وهو في طريقه الى الموصل (٤٩) ، وآلت ماردين الى الأمير الارتقي



ياقوتي بن ارتق. وكان الاراتقة أنذاك قد استولوا على عدة مدن وقلاع باقليم الجزيرة، وقد ساءت العلاقات بين الموصل وماردين خلال حكم شمس الدولة جكرمش على اثر قيام ياقوتي بمهاجمة جزيرة ابن عمر التابعة لامارة الموصل غير ان ياقوتي هذا لقي مصرعه خلال الهجوم فتولى حكم ماردين بعده اخوه علي الذي اعلن ولاءه لجكرمش نظير حصوله على عشرين ألف دينار تحمل اليه كل عام ضماناً لاستمرار ولائه للموصل. ثم حدث أن غادر علي ماردين واستخلف عليها أحد امرائه، فاتصل الأخير بالأمير سقمان بن ارتق وابلغه بان علياً ابن اخيه يسعى الى تسليم ماردين لأمير الموصل، فاسرع سقمان الى ماردين وتسلمها من نائب علي، وعندما عاد الأخير طالب عمه باعادة البلد إليه، فامتنع بحجة انه انما استولى عليه «لئلا يخرب البيت» وعوضه عن ماردين بجبل جور[٥٠].

ورحل علي عن ماردين الى ولايته الجديدة فارسل الى جكرمش يطالبه بالمال الذي كان يحمله اليه، وكان من الطبيعي أن يرفض امير الموصل ذلك، إذ لم يعد هناك اي مسوّغ لاستمرار امداده بالمال بعد أن أقصي عن حكم ماردين التي كانت تحتل أهمية خاصة بالنسبة لامن واستقرار الموصل، اما وقد اصبح في جبل جور فلم يعد يشكل اي خطورة على الموصل، وقد عبر جكرمش عن ذلك بقوله: «انما كنت اعطيتك احتراماً لماردين وخوفاً من مجاورتك، والآن فاصنع ماأنت صانع فلا قدرة لك عليَّ»[٥١].

وقد طرأ تحسن ملموس على العلاقات بين الموصل وماردين بعد وفاة سقمان بن ارتق سنة ٤٩٨ هـ وانتقال الحكم الى اخيه ايلغازي الذي حرص على مشاركة امراء الموصل في تصديهم للغزاة الصليبيين، فقد اشار المؤرخ سبط ابن الجوزي الى أن عساكر ماردين ساهمت مع قوات الموصل خلال حملات الامير مودود ضد الصليبيين في الرها[٥٢].

وبعد مصرع مودود في سنة ٥٠٧ هـ خلفه في حكم الموصل الأمير آقسنقر البرسقي الذي عهد اليه السلطان بمواصلة قتال الصليبيين وكتب الى امراء الاطراف يدعوهم الى المساهمة معه في الجهاد، فشرع البرسقي في اخضاع المدن المجاورة قبل المضي في مواجهة الغزاة، فاخضع جزيرة ابن عمر، ثم تقدم الى ماردين واخضع ايلغازي بن ارتق وطلب اليه المشاركة في قتال الصليبيين فأمده بخمسة عشر ألف رجل بقيادة ولده أياز- ويبدو أن البرسقي لم يكن راضياً عن غياب ايلغازي وعدم حضوره بنفسه، فأضمر له الشر، وقرر معاقبته بعد فراغه من قتال العدو، والواقع ان البرسقي لم يكن يقدر قوة الاراتقة في المنطقة، وكان عليه أن يستعمل السياسة في تعامله معهم خلال هذه المرحلة التي كانت تستلزم حشد الطاقات لمواجهة خطر الاحتلال الصليبي الذي بات يهدد اقليم الجزيرة والموصل تهديداً مباشراً بعد احتلالهم الرها.

وهكذا اقدم البرسقي على سجن أياز بن ايلغازي وهاجم ماردين ونهب عدداً من القرى التابعة لها، ثم توجه لمهاجمة داود بن سقمان- ابن اخي ايلغازي- في حصن كيفا، فاجتمع الأراتقة على حرب البرسقي ورده عن بلادهم، فدارت الحرب بين الفريقين أواخر سنة ٥٠٨ هـ فانهزم البرسقي وتخلص أياز من السجن[٥٣].

ولم يلبث البرسقي أن عزل عن ولاية الموصل بعد هذه الهزيمة وأسند السلطان محمد حكمها الى الامير جيوش بك (٥٠٩ هـ- ٥١٥ هـ). أما ماردين فقد آلت الى حسام الدين تمرتاش بعد وفاة ايلغازي سنة ٥١٦ هـ، وبعد قيام دولة الاتابكة على يد عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ عادت ماردين الى الارتباط بالموصل[٥٤].

٤- سنجار:

كانت سنجار خاضعة لحكم الأمير ارسلان تاش عشية دخول قوام الدولة كربوقا الموصل سنة



٤٨٩ هـ ، ويبدو استناداً الى ماذكره المؤرخ ابن الاثير ان العلاقات بين الموصل وسنجار كانت طبيعية اتسمت بالتعاون والتنسيق فيما يخص الدفاع عن البلاد وتحريرها من الغزاة الصليبيين ، حيث اشتركت قوات سنجار في حملة كربوقا لانقاذ انطاكية سنة ٤٩١ هـ [٥٥] .

وبعد وفاة ارسلان تاش خلفه في حكم سنجار ولده ألبي الذي توثقت علاقاته مع الموصل على اثر مصاهرته للامير جكرمش ، غير ان سياسة ألبي هذا سرعان ماتغيرت نحو الموصل عندما شارك رضوان وايلغازي في مهاجمة اعمال الموصل سنة ٤٩٩ هـ ، وقد أصيب اصابة بليغة خلال الهجوم على نصيبين اضطرته للعودة الى سنجار، وتبع ذلك انهيار الحلف وعودة رضوان الى حلب ، فتهيأت الفرصة امام جكرمش للانتقام من صهره حاكم سنجار. فحاصره حصاراً شديداً ، وكان المرض قد اشتد بألبي فأمر اصحابه بان يحملوه الى جكرمش فحمل اليه على محفة فأخذ يعتذر ويقول : « جئت مذنباً ، فافعل بما تراه » ، فرق له واعاده الى بلده ، ولم يلبث ألبي أن توفي بعد عودته بقليل ، فاعلن اصحابه العصيان على جكرمش فقاتلهم بقية رمضان وشوال من سنة ٤٩٩ هـ دون أن يظفر بشيء لما كانت تتمتع به سنجار من قوة وحصانة ، ثم قدم تميرك – عم ألبي – وعقد الصلح مع جكرمش [٥٦] .

وقد حرص تميرك على توثيق علاقاته مع الموصل في عهد الأمير شرف الدين مودود (٥٠٢ هـ – ٥٠٧ هـ) فشارك في جميع الحملات التي تولى قيادتها الأخير ضد المواقع الصليبية في الجزيرة والشام ، وظل ملازماً لأمير الموصل حتى سنة ٥٠٧ هـ حيث لقي مودود مصرعه في جامع دمشق ، فتولى تميرك حمل ماكان مع مودود من الاموال والسلاح وعاد الى السلطان محمد [٥٧] واستمرت سياسة الوفاق بين سنجار والموصل في عهد جيوش بك (٥٠٩ – ٥١٥ هـ) فذكر ابن الاثير أن قوات سنجار كانت ضمن الحملة التي شاركت بها الموصل ضد الصليبيين سنة ٥٠٩ هـ [٥٨] .

دمج سنجار مع امارة الموصل :

اصدر السلطان محمود امره بتولية اقسنقر البرسقي على الموصل واعمالها سنة ٥١٥ هـ وكانت سنجار من بين المدن التي تضمنها منشور السلطان السلجوقي . ويبدو ان لهذا القرار علاقة وثيقة بسياسة سنجار خلال الصراع الذي نشأ على السلطنة بعد وفاة السلطان محمد في سنة ٥١١ هـ وقيام ولده محمود من بعده ، فقد انحاز حاكم سنجار الى الملك مسعود الذي نافس اخاه محموداً على العرش ، وكان مسعود آنذاك مقيماً بالموصل مع اتابكة جيوش بك الذي مارس دوراً كبيراً في تحريض مسعود على اخيه السلطان محمود ، فكان ذلك من اسباب عزله عن امارة الموصل سنة ٥١٥ هـ واقطاعها الى البرسقي مع سنجار وجزيرة ابن عمر ، وقد استمرت سنجار تخضع لامارة الموصل طيلة حكم البرسقي وولده مسعود ، وبعد تولي عماد الدين زنكي البلاد سنة ٥٢١ هـ أدرك اهمية موقع سنجار الستراتيجي بين الموصل وحلب فحرص على استمرار ارتباطها مع الموصل فدخلتها قواته سنة ٥٢٢ هـ [٥٩] .

٥ – الرحبة :

تقع الرحبة على شاطئ الفرات الى الجنوب الغربي من الموصل ، وقد تطلع كربوقا الى اخضاعها بعد ان اطمأن الى قوة مركزة في الموصل ، فتم له ذلك وعين عليها نائبا من قبله يدعى قايماز ، وقد استغل الاخير وفاة كربوقا سنة ٤٩٥ هـ فقطع صلته بالموصل واستقل بالرحبة ، فأثار بذلك اطماع حكام المدن المجاورة للاستيلاء عليها ، إذ لايخفى أن اعلان قايماز استقلاله عن الموصل قد افقده في الواقع حماية السلطان السلجوقي الذي يمثله اميرها في هذا الاقليم [٦٠] .

وقد تعرضت الرحبة لحصار شديد من الملك دقاق بن تاج الدولة تتش حاكم دمشق ، إلا أنه

لم يتمكن من دخولها بسبب المقاومة العنيفة التي ابداها قايماز مما اضطره للعودة الى دمشق، غير أن قايماز هذا لم يلبث أن ادركته الوفاة في صفر ٤٩٦ هـ فخلفه في الرحبة غلام تركي يدعى حسن ذكر ابن العديم انه كان متزوجاً من ابنة قايماز(٦١).

وكان حسن هذا سيء السيرة غير مرغوب فيه من أهل المدينة فأبعد عنه كثيراً من الجند، وخطب لنفسه في الرحبة، وكان وفاة قايماز قد جددت اطماع الملك دقاق فعاود الهجوم على الرحبة وحاصرها حصاراً شديداً وقطع اسباب الميرة عنها، ويبدو أن حسناً شعر بعزم أهل الرحبة على تسليمها الى دقاق، فاعتصم بالقلعة، فأعطاه الاخير الأمان وأقطعه اقطاعاً كثيراً بالشام وتسلم الرحبة في جمادي الآخرة من عام ٤٩٦ هـ ورتب امورها وعاد الى دمشق(٦٢) وبعد وفاة دقاق بدمشق في العام التالي أعلن محمد بن السباق عامله على الرحبة استقلاله وقطع صلته بدمشق، وخطب في بعض الاوقات لقلج ارسلان- سلاجقة الروم- تدعيما لنفوذه في المدينة وضماناً للحصول على المساعدة في حالة تعرضه لاي تهديد من قبل القوى المجاورة(٦٣).

وقد تعرضت الرحبة لهجوم الامير جاولي سقاوه الذي ولاه السلطان محمد الموصل سنة ٥٠٠ هـ، ويبدو أن جاولي واجه صعوبة كبيرة في الاستيلاء على المدينة مما اضطره الى طلب المساعدة من الملك رضوان مقابل تعهده بالوقوف معه في الدفاع عن حلب وصد غارات الصليبيين الذين صعّدوا عملياتهم في المنطقة، وقد رحب رضوان بدعوة جاولي سقاوه بسبب حاجته الماسة لقوات الموصل التي كانت تشكل قوة يحسب حسابها في قتال الصليبيين فانضم الى جاولي في حصار الرحبة التي لم تلبث أن فتحت ابوابها في الرابع والعشرين من رمضان سنة ٥٠٠ هـ، وحضر ابن السباق امام جاولي وأكد ولاءه له، فاقره في حكمها فترة قصيرة ثم أمر بالقبض عليه «لأمر بلغه عنه فانكره»(٦٤)

وقد استمر خضوع الرحبة لامارة الموصل حتى سنة ٥٢٠ هـ حيث خرجت عن طاعة عز الدين مسعود بعد مصرع والده البرسقي، فصمم على اخضاعها بعد أن استقرت له الامور في الموصل، وأقام على حصارها مدة ثم تسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم اهلها على تسليم المدينة(٦٥).

٦- حران:

كانت حران أولى المدن التي أخضعها كربوقا في طريقه الى الموصل سنة ٤٨٩ هـ، وقد أناب عنه في حكمها أحد اصحابه وهو الأمير قراجه - من مماليك السلطان ملكشاه- وقد حدث أن غادر قراجة حران في سنة ٤٩٦ هـ، مستخلفاً فيها أحد امراء عسكره ويدعى محمد الاصبهاني، الذي كان يطمح في الاستئثار بحكمها، فانتهز هذه الفرصة واعلن العصيان، ولقيت حركته هذه تأييداً كبيراً من أهل حران بسبب كراهيتهم لقراجة، إلا أن حكم الاصبهاني لم يستمر طويلاً فسرعان مالقي مصرعه على يد احد اعوان قراجة ويدعى جاولي الذي انفرد بحكم حران(٦٦).

وقد دفع اضطراب الاوضاع في حران الصليبيين على التطلع للاستيلاء عليها، وانصرف بلدوين أمير الرها الى وضع الخطط الرامية الى تحقيق هذا الهدف واتخاذها مركزاً لشن الهجمات ضد سائر مدن الجزيرة(٦٧).

ولم يقف جكرمش مكتوف اليدين امام تحرك الصليبيين للاستيلاء على حران، إذ كان يدرك تمام الادراك ان سقوطها سيكون مقدمة للهجوم على الموصل نفسها، بعد أن اصبحت الرها نقطة تجمع للقوات الصليبية القادمة من بيت المقدس وانطاكية وتل باشر(٦٨).

اسرع جكرمش بالاتصال بسقمان بن ارتق داعياً إياه العمل على انقاذ حران، فاستجاب الاخير لندائه على الرغم مما كان يسود بينهما آنذاك من علاقات سيئة، وزحف قواتها لملاقاة الغزاة الذين انهزموا هزيمة نكراء في معركة البليخ في



التاسع من شعبان سنة ٤٩٧ هـ / ٤ مارس ١١٠٤ م ، تقدم بعدها جكرمش الى حران وعين احد اصحابه نائباً عنه ، غير أن حران مالبثت ان خرجت عن طاعة أمير الموصل سنة ٤٩٩ هـ وخضعت لقلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش واستمرت بيد اصحابه حتى تمكن الامير مودود من استعادتها سنة ٥٠٣ هـ وسلمها الى ايلغازي بن ارتق الذي كان يرافقه في الهجوم على الصليبيين في الرها(٦٩) .

وظلت حران بيد الاراتقة حتى سنة ٥٠٧ هـ ثم استعادها البرسقي إلا ان هؤلاء مالبثوا أن استولوا عليها ثانية في سنة ٥١٢ هـ – ولم تتم استعادتها الى الموصل إلا في سنة ٥١٨ هـ حيث تمكن البرسقي من اخضاعها بعد أن تم ضم مدينة حلب الى الموصل في السنة المذكورة ، واستمر خضوع حران طيلة عهد البرسقي وولده عز الدين مسعود – كما أصبحت جزءاً من دولة الاتابكة التي اسسها عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ(٧٠) .

٧ – **حلب** :

كان لموقع حلب الجغرافي أهمية خاصة بالنسبة للموصل وأقليم الجزيرة ، وانطلاقاً من هذه الحقيقة أصبح الاستيلاء عليها محور السياسة الصليبية في بلاد الشام ، حيث لم تتوقف محاولاتهم من أجل تحقيق هذا الهدف ، متوسلين في ذلك مختلف وسائل الخداع وبث الفرقة والاختلاف بين حكام المدن والأمراء المحليين في شمال الشام واقليم الجزيرة وتحريضهم على التدخل في شؤون هذه المدينة(٧١) .

وكان وصول الصليبيين في الحملة الاولى ونجاحهم في احتلال مواقع عديدة في شمال الشام واقليم الجزيرة قد استلزم توحيد القوى المقاتلة وحشد الطاقات والامكانات لمواجهة الغزاة . وكانت امارة الموصل قد اضطلعت بهذا الدور القيادي لتؤدي واجبها في الدفاع عن البلاد وتحريرها من الاحتلال الاوربي الصليبي جنباً الى جنب مع مدن وامارات الجزيرة والشام .

وعليه فان محور العلاقة بين الموصل وحلب كان يتوقف على مدعى الالتزام بتحقيق الهدف المشترك وهو الوقوف في وجه الاحتلال الصليبي .

كانت مدينة حلب قد آل حكمها عشية بداية الحكم السلجوقي في الموصل الى الملك رضوان بعد مصرع ابيه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان سنة ٤٨٨ هـ واستمر في الحكم حتى سنة ٥٠٧ هـ ، ومن أهم مايميز علاقات الموصل وحلب خلال هذه الفترة ، الموقف السلبي الذي اتخذه رضوان من الحملة التي اعدها أمير الموصل (كربوقا) لانقاذ انطاكية سنة ٤٩١ هـ ، على الرغم من النداءات المتكررة التي وجهها الأخير لحاكم حلب ، مما ترك اثراً خطيراً في صفوف الاطراف المشاركين في الحملة .

وفي عهد جكرمش الذي خلف كربوقا في حكم الموصل تعرضت العلاقات مع حلب لأزمة خطيرة على أثر قيام رضوان بمهاجمة نصيبين التابعة لامارة الموصل عام ٤٩٩ هـ ، متعاوناً في ذلك مع عدد من أمراء الاطراف في الاقليم ، إلا ان هذه المحاولة باءت بالفشل وعاد رضوان الى حلب دون أن يحقق الهدف الذي خرج من أجله(٧٢) .

وقد استمر موقف حلب السلبي من حركة المقاومة للغزو الصليبي خلال حكم مودود الذي تزعم قيادة هذه الحركة تنفيذاً لاوامر السلطان محمد في سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م خرج مودود على رأس عساكر الموصل واعمالها متوجهاً نحو حلب تلبية لاستغاثة أهلها من شدة هجمات الصليبيين وضغطهم المتواصل على المدينة ، فلما وصل مودود الى اطراف حلب اسرع رضوان الى غلق ابوابها في وجه عساكر الموصل ، ولاشك أن رضوان كان يعلم مدى كراهية اهل حلب له بسبب تقاعسه عن القتال والجهاد وتخاذله امام الصليبيين فخشي أن يعمدوا الى تسليمها الى مودود ، وقد وصف ابو المحاسن رضوان هذا بانه كان «قبيح السيرة ، ليس في قلبه رأفة ولا شفقة على المسلمين ، وكانت

الفرنج تغارُ وتسبي وتأخذ من باب حلب ولا يخرج اليهم »[٧٢] ولم يجد مودود امام موقف رضوان هذا بدأ من الرحيل عن حلب متوجهاً نحو معرة النعمان حيث انضمت اليه عساكر دمشق استعداداً لمنازلة الغزاة في المنطقة[٧٤].

وفي سنة ٥٠٦ هـ اسفرت الاتصالات بين مودود ورضوان على تعهد الاخر بالمشاركة الفعلية في الحملة التي تولى قيادتها امير الموصل، إلا أنه لم يفِ بوعده، واكتفى بارسال مائة فارس فقط، مما أثار غضب الأمراء المشاركين في الحملة، حتى ان طغتكين حاكم دمشق أقدم على ابطال (الدعوة والسكة باسم رضوان في دمشق)، ولم يطل العهد برضوان إذ مالبث أن ادركته الوفاة في جمادي الآخرة من السنة التالية، وتبعه مودود الذي لقي مصرعه بجامع دمشق في السنة نفسها.

وانتقلت مقاليد السلطة في حلب بعد وفاة رضوان الى ولده ألب ارسلان وكان في السادسة عشر من العمر فاستأثر اتابكة لؤلؤ الخادم بالسلطة ثم لم يلبث أن تخلص من ألب ارسلان بقتله في ربيع الثاني من سنة ٥٠٨ هـ وأقام مكانه أخاه سلطان شاه بن رضوان وكان في السادسة من العمر مما جعل السلطة الفعلية في حلب بيد لؤلؤ الخادم الذي استأثر بالحكم واستبد بالأمور غير أن عهده لم يستمر طويلاً حيث وثب عليه جماعة من غلمانه في ذي الحجة من سنة ٥١٠ هـ. وقبض ياروقتاش على زمام الحكم في حلب، وكان الأخير مملوكاً أرمني الأصل من مماليك الملك رضوان فعمد الى مهادنة الصليبيين واعطى روجر أمير انطاكية حصن القبة – على الطريق بين دمشق وحلب – كما منحه حق فرض الضرائب على قوافل الحجاج بين حلب والحجاز فأثار تصرفه الخياني هذا أهل حلب فعزلوه بعد أقل من شهر وارسلوا الى ايلغازي بن أرتق ليتسلم المدينة، فوصل حلب في المحرم من سنة ٥١١ هـ ورتب امورها ثم عاد الى ماردين تاركاً حكمها لولده حسام الدين تمرتاش[٧٥].

الوحدة بين الموصل وحلب:

واجهت حلب خلال حكم تمرتاش (٥١١–٥١٨ هـ) اخطار جسيمة من قبل القوى الصليبية في المنطقة، كما أصبحت هدفاً لأطماع عدد من الامراء كدبيس بن صدقة وسالم بن مالك وسلطان شاه بن رضوان الذي ابعده الأراتقة عن حلب، وفي سنة ٥١٨ هـ واجهت حلب هجوماً كبيراً شارك فيه كل من بلدوين الثاني حاكم بيت المقدس وجوسلين الثاني حاكم الرها ودبيس بن صدقة وسلطان شاه بن رضوان وسالم بن مالك أمير قلعة جعبر، وأمام هذا الحشد الهائل اضطر حسام الدين تمرتاش للرحيل عن حلب مستنجداً بأخيه سليمان ابن ايلغازي في ماردين، غير أن غيبته طالت عن المدينة التي كانت تعاني من شدة الحصار ونقص الأقوات، فضاق الأمر على أهلها وأشرفوا على الهلاك، ولم يجدوا أحداً ينقذهم مما هم فيه سوى أمير الموصل، فارسلوا وفداً من اعيانهم سراً لمقابلة البرسقي وحثه على نجدتهم فوجدوه مريضاً وقد منع عنه الدخول سوى الاطباء، ويبدو أن خبر مرض أمير الموصل قد بلغ مسامع المحاصرين لحلب فقوبل بالفرح والسرور لدى دبيس ابن صدقة الذي أقدم على ضرب البشارة في عسكره، وارتفع عنده التكبير والتهليل ونادى بعض اتباعه أهل حلب يبلغونهم بأنه قد مات من كانوا يأملون نصرته، فسرى اليأس في نفوسهم، ثم سمح لوفد حلب بمقابلة البرسقي، فذكروا له مانزل بهم من شدة الحصار وسألوه المضي معهم للدفاع عن حلب، فوعدهم بالمساعدة واستمهلهم حتى يشفى من مرضه، ونذر ان أبَلّ من مرضه ان يذب عن حلب ويقاتل اعداهم[٧٦]، ولم تمض سوى ثلاثة أيام حتى أبل من مرضة، فخرج على رأس قواته نحو حلب، وانضم اليه في الرحبة كل من طغتكين أتابك حاكم دمشق وصمصام الدولة خيرخان بن قراجا أمير حمص، فوصل حلب في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٥١٨ هـ / كانون الثاني ١١٢٥ م، وانقلب الموقف حينئذ لصالح



أهل حلب بعد أن اضطر الصليبيون للتراجع الى جبل جوشن ، وخرج الحلبيون في اثرهم فنهبوا خيامهم ، كما طاردتهم قوات البرسقي وأبعدتهم عن جبل جوشن ، ثم عاد بعدها امير الموصل الى حلب وتسلم قلعتها بين مظاهر الفرح والابتهاج التي كان يعبر عنها أهل المدينة (٧٧) .

وأمضى البرسقي بضعة أشهر في الشام عاد بعدها الى مقر ولايته الموصل سنة ٥١٩ هـ بعد أن جعل ولده عز الدين مسعود أميراً على حلب فاستمر يليها حتى مصرع ابيه في ذي القعدة من سنة ٥٢٠ هـ ، حيث اضطر بعدها للعودة الى الموصل ، ولم يمض سوى عام واحد حتى توفي مسعود تاركا الحكم لأخيه الذي كان صبياً ، فاستقر رأي السلطان محمود على تولية عماد الدين زنكي اميراً على الموصل واعمالها في رمضان سنة ٥٢١ هـ ، وقد تأكدت وحدة الموصل وحلب ثانية في السنة التالية ٥٢٢ هـ وظلت كذلك طيلة حكمه وحكم ولده نور الدين محمود (٧٨) .

٨- موقف إمارة الموصل من الغزو الصليبي لبلاد الشام واقليم الجزيرة :

تعرضت بلاد الشام آواخر القرن الخامس الهجري (٤٩١ هـ) لهجوم أوربي صليبي واسع النطاق استهدف في الظاهر الاستيلاء على بيت المقدس ، ثم مالبث ان احتل مناطق مهمة في قلب الوطن العربي ، وقد اصطلح على تسمية هذه الهجمة الاستعمارية الاوربية بالغزو الأفرنجي أو الحملات الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمن (٧٩) .

وقد كان للموصل خلال تلك المرحلة دور رائد في قيادة حركة الجهاد المبكر ضد الصليبيين ، فقد هيأ لها موقعها الحصين والبعيد عن الاخطار المحتملة لاي هجوم صليبي مباشر أن تصبح قاعدة للعمليات العسكرية ومنطلقاً لأرساء دعائم الوحدة بين القوى المقاتلة في اقليم الجزيرة وبلاد الشام .

وأتيح لامراء الموصل القيام بدور خطير في رسم أحداث تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الدولة العربية في العصر الوسيط ، فدخلوا قادة وحلفاء مع اخوانهم امراء الاطراف في معارك أتاحت لهم التحول من مواقع الدفاع الى مراكز الهجوم .

موقف كربوقا من حصار الصليبيين لانطاكية :

بعد النجاح الذي حققه الصليبيون على سلاجقة الروم في اسيا الصغرى ، أصبح الطريق مفتوحاً امامهم الى انطاكية ، فوصلت طلائعهم الى هذه المدينة في ٤٩١هـ / ١٠٩٧ م ونصبوا معسكراتهم خارج اسوارها ، وكان ياغيسيان امير انطاكية السلجوقي قد أعد العدة لمقاومة الغزاة ، فشحن القلاع بالمقاتلين وأكثر من المؤن في المدينة (٨٠) ، في نفس الوقت الذي ارسل يستنجد بالقوى العربية والاسلامية المجاورة ، فكان ولده محمد رسولاً الى كربوقا أمير الموصل .

والواقع أن امير الموصل كان يقدر أهمية الاسراع بالدفاع عن انطاكية ، فقد كان يدرك تمام الادراك مدى الخطورة التي سوف تترتب على سقوطها بأيدي الغزاة حيث تتحقق سيطرتهم على شمال الشام بأسره ، فبادر الى حشد كافة الامكانات المادية والبشرية المتوافرة في امارته وشق طريقه نحو انطاكية .

وقد اثارت نجدة الموصل الذعر في صفوف الغزاة الذين ادركوا خطورة موقفهم وان طول مدة الحصار لم تعد في صالحهم ، مما دفعهم على الاسراع باقتحام المدينة قبل وصول تلك القوة الى انطاكية ، وكان كربوقا قد أضاع ثلاثة اسابيع محاصراً امارة الرها الصليبية ، فلم يشأ الزحف نحو انطاكية ومن خلفه جيش في الرها يهدد جناحه الأيمن ويقطع عليه الأتصال مع قاعدته في الموصل ، اذ لايخفى ان قيام هذه الامارة في الحوض الاوسط من نهر الفرات كان أمراً بالغ الخطورة بعد أن باتت تشكل خطراً



على الجزيرة وشمال الشام سيما بعد ان استولى بلدوين على سميساط وسروج وألبيرة لتأمين اتصاله بحصني تل باشر ورندوان اللذين سبق له احتلالها في بداية شتاء سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧م[٨١] .

وفي جمادي الاولى من سنة ٤٩١ هـ أقتحم الغزاة انطاكية واحدثوا فيها مذابح رهيبة[٨٢] ، ولقي ياغيسيان حاكم المدينة مصرعه خلال محاولته الهرب ، في حين لجأ ولده شمس الدولة الى القلعة وتحصن بها مع عدد من رجاله ، وكان كربوقا قد تخلى عن حصار الرها وواصل زحفه نحو انطاكية ، فانضم اليه في مرج دابق كل من دقاق امير دمشق وجناح الدولة حسين أمير حمص وسقمان ابن ارتق امير ديار بكر ، وارسلان تاش أمير سنجار ووثاب بن محمود فيمن تبعه من قبائل العرب[٨٣] ثم تحركت هذه القوات مجتمعة نحو هدفها سالكة الطريق المحاذي لنهر العاصي حيث تمكنت من الاجهاز على القوة الصليبية المرابطة عند جسر الحديد شمال شرق انطاكية ، ثم واصلت زحفها لحصار الغزاة في انطاكية واتخذت مواقعها خارج اسوارها في السادس من رجب سنة ٤٩١ هـ / ٧ حزيران ١٠٩٨م[٨٤] .

انصرف كربوقا بعد وصوله الى انطاكية الى وضع خطة لاقتحامها وتحريرها من الغزاة الصليبين ، وقد شجعه على ذلك بقاء القلعة بيد شمس الدولة الذي لم يلبث ان تنازل عن حراستها الى احمد بن مروان نائب كربوقا ، وكان الغزاة قد باشروا ببناء سور يحول دون اتصال قوات كربوقا بحامية القلعة ، كما قاموا بشن هجوم معاكس لابعاد القوات المحاصرة عن المدينة إلا أنهم فشلوا في تحقيق هذا الهدف وارتدوا الى داخلها[٨٥] .

واستبد الخوف واليأس بقلوب الغزاة الصليبين الذين بدأوا يعانون من شدة الحصار ، (وعدمت الاقوات ولم يعد لديهم مايأكلونه ، وأما الاقوياء فقد تقوتوا بدوابهم ، والضعفاء بالميتة وأوراق الشجر)[٨٦] ، مما حمل بعضهم على الهرب الى ميناء السويدية حيث ترسو بعض السفن الجنويه التي قامت بنقلهم الى ميناء طرطوس[٨٧] . ولم يجد الغزاة امامهم سوى الاستنجاد بالامبراطور البيزنطي الكسيس كومنين ، الذي كان في طريقه الى انطاكية مختّرقاً اسيا الصغرى للمشاركة في الاستيلاء على المدينة ، فالتقى ببعض الامراء الصليبين الهاربين الذين اخبروه بأن المسلمين قد استردوا انطاكية وانهم في طريقهم الآن لسحق قوات الامبراطور ، فقرر الكسيس العودة الى بلاده إذ كان حرصه على المشاركة في الاستيلاء على المدينة يفوق حرصه على مساعدة الصليبين[٨٨] .

واستغل أمير الموصل حالة الارتباك التي تفشت بين الغزاة وقام بهجوم مفاجئ في اليوم الثاني والعشرين من حزيران رجب ٤٩١ هـ/١٠٩٨م. وكادت قواته تنجح في الاستيلاء على أحد الحصون الواقعة الى الجنوب الغربي من المدينة . وعلى اثر ذلك أمر بوهيمند باشعال النيران باطراف المدينة ليرغم الصليبين على الخروج الى المواقع الامامية القريبة من السور .

وتذكر المصادر العربية أن الصليبيين أرسلوا الى كربوقا طالبين السماح لهم بالرحيل عن انطاكية ، إلا أنه رفض ذلك وأصر على الحرب وقال : (لاتخرجون إلا بالسيف) ولاشك أن أمير الموصل أراد أن يدفع الغزاة ثمن جريمتهم التي ارتكبوها ضد اهالي انطاكية ، وكان من الممكن أن يحقق كربوقا النصر على العدو لولا الخلاف الذي حدث بين امراء العساكر في جيشه في وقت كان في اشد الحاجة الى مواجهة العدو بموقف واحد ، ويذهب بعض المؤرخين الى القول بان كربوقا يتحمل مسؤولية ماحدث من انشقاق داخل صفوف قواته بسبب الشدة التي اتبعها في معاملة الجند وامراء العساكر[٨٩] ، والواقع أن سياسة كربوقا هذه لها مايبررها إذا اخذنا بالاعتبار طبيعة قوات كربوقا التي كانت تضم الى جانب العرب عناصر من التركمان والاكراد مما يقتضي استخدام الحزم حفاظاً على النظام وسعياً لتوفير الطاعة تجاه القيادة العليا . على

أن اسباب تصدع جيش كربوقا تعود الى النزاع بين الملك دقاق صاحب دمشق واخيه الملك رضوان صاحب حلب الذي وقف موقفاً سلبياً من الحملة ولم يشارك في حركة الجهاد التي تزعمها امير الموصل، وقد بدأ الخلاف عندما شعر كربوقا بحاجته الى عساكر حلب وعمل على مراسلة رضوان واقناعه بضرورة الاشتراك في انقاذ انطاكية، ويبدو أن هذه الاتصالات قد اثارت حفيظة الملك دقاق وظن انها تستهدفه شخصياً لما كان يعرفه من اطماع اخيه رضوان في بلاده، فقرر العودة الى دمشق في اشد الاوقات حراجة، وفضلاً عن ذلك فقد أدت رسالة رضوان الى كربوقا الى اذكاء روح العداء بين بعض امراء الاطراف وفي مقدمتهم جناح الدولة حسين أمير حمص ويوسف بن أبق امير الرحبة، وقد القى المؤرخ ابن العديم اللوم على رضوان فقال: «وتفرق كثير من التركمان بتدبير الملك رضوان ورسالته»[٩٠].

وامام اصرار كربوقا على استسلام الغزاة دون قيد أو شرط لم يجد هؤلاء بداً من تعبئة قواتهم لمعركة فاصلة، فاصدر بوهيمند اوامره بالخروج من انطاكية في ٢٦ رجب ٤٩١ هـ / ٢٨ حزيران ١٠٩٨ م. وقرر كربوقا السماح لهم بالخروج حتى يتكامل عددهم وعندها ينزل بهم الضربة الحاسمة، وكان بعض الامراء قد أشار عليه بضرورة قتل كل من يخرج من الغزاة (فإن أمرهم الآن وهم متفرقون سهل، فقال: لاتفعلوا امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم)[٩١].

وبدأت الحرب بين الطرفين وسط الخلافات التي كانت تسيطر على جيش كربوقا، فلم يتمكن من الصمود أمام العدو وبخاصة بعد أن نفذ الملك دقاق قراره بالانسحاب من المعركة مع عدد من اطراف الاطراف، فحلت الهزيمة بجيش كربوقا، وعاد الغزاة الى انطاكية وتسلم بوهيمند القلعة من احمد بن مروان، وتم بذلك تأسيس الامارة الصليبية الثانية في بلاد الشام[٩٢]. ومع كل السلبيات التي رافقت محاولة كربوقا هذه الا انها كانت في الواقع بمثابة البذرة الأولى لحركة المقاومة والجهاد ضد الغزاة الصليبيين التي مهدت الطريق للولاة الذين توالوا على حكم الموصل لمواصلة الكفاح ضد المحتلين من خلال حرصهم على ضرورة توحيد القوى المقاتلة في اقليم الجزيرة الفراتية والشام.

شمس الدولة جكرمش والحركة الصليبية:

شهدت السنوات التي اعقبت سقوط انطاكية بأيدي الغزاة الصليبيين صراعاً عنيفاً حول الحكم بين محمد وبركياروق ولدي السلطان ملكشاه، فحدثت بينها خمس وقائع حربية استنفذت جزءً مهماً من قوى الدولة السلجوقية وامكاناتها المادية والبشرية، ولم تستقرّ الامور إلا بعد وفاة بركياروق في عام ٤٩٨هـ، وقد اتاحت هذه الظروف للغزاة أن يمكنوا نفوذهم في بلاد الشام واقليم الجزيرة ويستولوا على المزيد من المواقع ثم تطلعوا بعدها لاحتلال حران التي اصبحت هدفاً لغارات الغزاة في الرها لما كانت تتمتع به هذه المدينة من اهمية ستراتيجية بالنسبة لهذه الامارة الصليبية.

وقد ادى اضطراب الوضع في حران الى تحريك اطماع الغزاة للاستيلاء عليها وفي مقدمتهم بلدوين حاكم الرها، وذكر المؤرخ السرياني المجهول ان ملوك الفرنج عندما وصلوا الرها اختلفوا فيما بينهم على اختيار المواقع التي يمكن أن تكون هدفاً لهجومهم في هذه الحملة، فبعضهم رأى مهاجمة ميافارقين وفريق آثر الاستيلاء على آمد، وفريق آخر استهدف نصيبين في حين طمع آخرون في الاستيلاء على الموصل نفسها[٩٣].

ولم يكن شمس الدولة جكرمش غافلاً عن مخططات الغزاة واهدافهم التوسعية فبادر الى مراسلة أمراء الاطراف داعياً اياهم الى تحمل المسؤولية في الدفاع عن البلاد الاسلامية وتناسي الخلافات الجانبية، فانضمت قواتهم الى جيش الموصل الذي وصل الى رأس العين على نهر



الخابور[٩٤] . أما الغزاة فقد قسموا قواتهم الى ثلاثة أقسام تضم فرقاً من الفرسان والمشاة ، يقود الأول بوهيمند حاكم انطاكية والثاني يضم قوات الرها وفيه بلدوني وجوسلين ، امام القسم الثالث فكان يتولى قيادته تنكرد ، وكانت خطة الغزاة تقضي بأن تشتبك قوات الرها مع جيش الموصل في حين تختفي قوات بوهيمند وتنكرد وراء تل منخفض على مسافة ميل الى اليمين ليهاجم المسلمين من وراء ظهورهم إذا اشتد القتال[٩٥] .

وفي اليوم التاسع من شعبان سنة ٤٩٧هـ / ٧ آذار ١١٠٤ م دارت معركة كبيرة بين الطرفين على ضفاف نهر البليخ ، فتظاهر المسلمون بالهزيمة ولجأوا الى الفرار، فاسرعت قوات العدو بمطاردتهم الى ان اصبحوا على بعد ١٢ ميلاً جنوبي حران ، ثم توقفوا عن المطاردة بعد أن أشرفوا على الهلاك من شدة التعب[٩٦] وكانت هذه هي اللحظة الحاسمة التي ينتظرها المسلمون فاطبقوا عليهم من كل ناحية وامطروهم بوابل من السهام واجهزوا على عدد كبير منهم وانهزم الغزاة هزيمة نكراء ، ووقع في الأسر كل من : بلدوين الثاني حاكم الرها وجوسلين حاكم تل باشر فحملا الى خيمة سقمان بن أرتق الذي شارك مع الموصل في احراز النصر على الغزاة[٩٧] .

الأمير شرف الدين مودود وإمارة الرها :

اولى الامير مودود امارة الرها اهتماماً خاصاً لما يعلمه من خطورة هذه الامارة التي أصبحت مركزاً لنشاة الغزاة ضد سائر بلاد الجزيرة ، وكانت بمثابة اسفين دقَّهُ الفرنج بين الشام والعراق[٩٨] ، وقد جاءت حملة مودود الاولى على الرها في سنة ٥٠٣ هـ / ١١١٠م وضمت عدداً من امراء الاطراف ، فاضطر بلدوين حاكم الرها الى طلب المساعدة من حاكم بيت المقدس الذي كان أنذاك منشغلاً بحصار بيروت فلم يتحرك لنجدته حتى سقطت المدينة بيده في حزيران ١١١٠م فاسرع يصاحبه امير طرابلس نحو الرها ، فقرر الامير مودود فجأة الانسحاب من الرها الى حران حيث انضمت اليه هناك قوات دمشق ، وكان مودود يهدف من وراء انسحابه الى استدراج الصليبيين بعيداً عن قواعدهم ليتمكن من لقائهم في الفضاء الممتد شرقي الفرات[٩٩] .

إلا ان بلدوين الاول حاكم بيت المقدس فطن للخطة وقرر توجيه ضربة سريعة الى مودود ، وارسل الى تنكرد يطلب اليه الحضور مع عساكره فأسرع الاخير الى عبور الفرات في الف وخمسمائة فارس ، وتذكر المصادر الغربية ان بلدوين الاول بذل جهوداً كبيرة من اجل تصفية الخلافات بين زعماء الصليبيين ليتمكنوا من مواجهة امير الموصل وحلفائه[١٠٠] .

إلا أن الحلف الصليبي لم يلبث أن انفرط عقده وظهرت الاحقاد القديمة بين زعماء الحملة فاضطر تنكرد الى الانسحاب بعد أن بلغه ان الملك رضوان يستعد لمهاجمة انطاكية ، كما وصلت اخبار تتعلق بتحرك الفاطميين لمهاجمة القدس ، فاضطر للانسحاب ، ولم يعد بوسع بلدوين الثاني حاكم الرها حماية المناطق الواقعة شرقي الفرات فنصح الصليبيين الموجودين في المنطقة بضرورة الانتقال الى الضفة اليمنى لنهر الفرات[١٠١] .

ولما علم مودود بشروع الصليبيين في عبور الفرات وتأخر عدد كبير منهم في انتظار دورهم في العبور، بادر الى اغتنام هذه الفرصة وشن هجوما مفاجئاً على العدو (وغنم المسلمون سوادهم واثقالهم وأتوا على العدد من اتباعهم قتلا وأسرا وتغريقاً في الفرات ، وامتلأت الأيدي من الغنائم والاسلاب والسبي والدواب) في حين كان الجيش الصليبي يشهد الكارثة ولا يستطيع أن يقدم اي مساعدة لتلك الجموع التي اصبحت هدفاً لقوات الموصل التي عادت الى حران بعد انتهاء المعركة ومعها عدد كبير من الاسرى[١٠٢] .



حملة مودود لانقاذ حلب :

لم يلبث الصليبيون أن صعدوا عملياتهم العسكرية ضد عدة من مدن الشام وفي مقدمتها حلب التي عانت من اعتداءاتهم ومحاولاتهم المتكررة للاستيلاء على المدينة ، مما حمل اهلها الى ارسال وفد منهم الى بغداد مطالبين الخليفة العباسي المستظهر بالله العمل على انقاذ حلب ، فعهد الى مودود بقيادة العساكر للدفاع عن حلب ، كما أصدر السلطان محمد اوامره الى ولده الملك مسعود ليرافق مودود مع بقية امراء الاطراف ، ولم تكد قوات مودود تصل الى مشارف حلب حتى فوجئ الاخير بتغير موقف رضوان الذي رفض التعاون مع مودود واغلق ابواب حلب في وجهه مما اضطر أمير الموصل الى الانسحاب الى معرة النعمان حيث اجتمع هناك بطغتكين أمير دمشق ، ورحلا عن المعرة الى الضفة الغربية لنهر العاصي ، وكان الصليبيون آنذاك قد شرعوا بحشد قواتهم ، وتتابع وصول الامدادات من بيت المقدس وطرابلس وانطاكية والرها ، فاتخذوا مواقعهم بالقرب من أفاميه في الجزء الاوسط من حوض نهر العاصي على الضفة الشرقية[١٠٣] .

أما مودود فقد قرر التراجع الى مدينة شيزر والتحصن خلف اسوارها ، فخرج سلطان بن منقذ لاستقباله مع حليفهِ طغتكين ووضع تحت تصرفها خمسة الآف رجل من فرسان العرب[١٠٤] . ويبدو أن مودود ادرك انه ليس من مصلحته مواجهة حشود العدو الكبيرة بعد تفرق عساكره ، فلم يحاول الاشتباك في معركة حاسمة ، واقتصر الامر على المناوشات التي تهدف الى منع الغزاة من الوصول الى نهر العاصي وتشير المصادر العربية الى ان الصليبين انسحبوا بعد ذلك الى افامية اما مودود فقد عاد الى الموصل في ربيع الاول من سنة ٥٠٥ هـ[١٠٥] .

عودة مودود لمهاجمة الرها :

لم يلبث الأمير مودود أن عاد مرة أخرى لمهاجمة الرها في ذي القعدة من سنة ٥٠٥ هـ / ١١١٢ م فحاصرها مدة شهرين تقريباً ، ثم توجه الى سروج المركز الصليبي الثاني شرقي الفرات فاصطدم بقوات جوسلين واضطر للتراجع نحو الرها فسبقه الاخير اليها وانضم الى بلدوين للدفاع عنها[١٠٦] .

وذكرت المصادر السريانية أن سكان الرها من الارمن قد تبرموا من سوء معاملة الصليبين لهم وتطلعوا للخلاص من حكمهم ، فعملوا على تدبير مؤامرة ضد بلدوين تهدف الى تسليم الرها الى الأمير مودود . وتضيف هذه المصادر القول بان الأرمن راسلوا أمير الموصل واتفقوا على مساعدته في الاستيلاء على احدى القلاع التي تتحكم في القطاع الشمالي من المدينة ليسهل عليه بعد ذلك اقتحامها ، إلا ان وصول جوسلين أحبط هذه المؤامرة فاسرع بدخول القلعة واجهز على العناصر التي ارسلها مودود لتنفيذ الخطة[١٠٧] .

قوات الموصل تقاتل دفاعاً عن دمشق :

في أواخر سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٣ م واجه دمشق خطر كبير من جانب الغزاة الصليبيين الذين صعدوا من عملياتهم العسكرية ضد القرى المحيطة بدمشق (وانقطعت الطريق وقلت الاقوات بها وغلا السعر فيها)[١٠٨] ، ولم يجد طغتكين حاكم دمشق سوى التطلع نحو الموصل ، فارسل مستنجداً بالامير مودود الذي أسرع لتلبية نداء الواجب المقدس ، فعبر الفرات في ذي القعدة من السنة المذكورة يرافقه عدد من أمراء الاطراف ، فالتقى بطغتكين عند سلمية جنوب شرقي حماه ، وتم الاتفاق على مواجهة الصليبيين الذين كانوا بقيادة بلدوين الاول حاكم بيت المقدس ، فتقدمت



قواتهما نحو طبرية وفرضت عليها حصاراً شديداً[١٠٩] .

وكان بلدوين أنذاك في عكا ، فلما علم بوصول مودود الى طبرية ارسل يستنجد بالقوى الصليبية في المنطقة ، فهب لنجدته كل من روجر حاكم انطاكية وبونز حاكم طرابلس . وما أن وصلت قوات بلدوين جسر العنبرة الى الجنوب الغربي من بحيرة طبرية ، حتى وقع في الكمين الذي اعده له مودود وطغتكين ، ودارت بين الفريقين معركة ضارية أواخر ذي القعدة سنة ٥٠٦ هـ / ٢٠ حزيران ١١١٣ م ، انتهت بهزيمة الغزاة هزيمة نكراء قتل خلالها عدد كبير من رجالهم وتذكر المصادر العربية أن بلدوين الأول وقع في الأسر دون أن يميز فأخذ سلاحه وأطلق سراحه ، وغرق في بحيرة طبرية ونهر الأردن عدد كبير من الصليبيين[١١٠] .

ثم وصلت قوات الغزاة من انطاكية وطرابلس ، مما أعاد الثقة الى بلدوين الاول الذي قرر استئناف الحرب ، إلا انه التزم جانب الحيطة والحذر حتى لاتتكرر الهزيمة فآثر الانسحاب الى جبل يقع غربي طبرية تحصن به لصعوبة مرتقاه مدة ستة وعشرين يوماً دون أن يجرأوا على النزول لمواجهة قوات مودود الذي أُتيح له مهاجمة القلاع الصليبية في اقليم الجليل ، فوصلت قوات الموصل الى بيسان وألحقت الدمار في مواقع الغزاة بين عكا ومدينة القدس ، قرر بعدها مودود العودة الى دمشق على أمل استئناف القتال في فصل الربيع القادم ، إلا أن امير الموصل لم يلبث ان لقي مصرعه بجامع دمشق في يوم الجمعة الأخيرة من شهر ربيع الأخر من سنة ٥٠٧ هـ عندما وثب عليه أحد الباطنية وطعنه بخنجر ، وكان مودود صائماً فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال : « لالقيت الله إلا صائماً ، فمات من يومه »[١١١] ، وترك استشهاد أمير الموصل أثراً عميقاً في نفوس المسلمين فاتهموا طغتكين حاكم دمشق بقتله واعتبر بعض المؤرخين اسراع الأخير بقتل الجاني واحراق جثته دليلاً على رغبة طغتكين في طمس معالم الجريمة وتبرئة نفسه امام الراي العام[١١٢] .

وآلت امارة الموصل الى آقسنقر البرسقي الذي عهد اليه السلطان محمد بمواصلة قتال الصليبيين ، فخرج على رأس جيش تعداده خمسة عشر الف فارس ضم عدداً من امراء الاطراف ، فبدأ بحصار الرها في ذي الحجة من سنة ٥٠٨ هـ/١١١٤م ، فتمكن الغزاة من الصمود في وجه البرسقي ومقاومة الحصار الذي دام اكثر من شهرين فاضطر أمير الموصل الى رفع الحصار وشن سلسلة من الهجمات ضد المراكز الصليبية المحيطة بالرها وسروج وسميساط . في نفس الوقت الذي اعلن فيه حاكم كيسوم تبعيته للبرسقي[١١٣] .

ولم تستمر ولاية البرسقي على الموصل طويلاً إذ مالبث أن تعرض للعزل في سنة ٥٠٩ هـ ، وخلفه الأمير جيوش بك (٥٠٩- ٥١٥ هـ) الذي اشترك في الحملة التي اعدها السلطان محمد لقتال الصليبيين بقيادة برسق بن برسق امير همدان الذي نجح في تحرير كفر طاب من أيدي الغزاة أواخر سنة ٥٠٩ هـ ، وقد تعرضت قوات برسق الى الهزيمة على اثر الهجوم المفاجئ الذي قام به أمير انطاكية وحليفه امير الرها وكان جيوش بك آنذاك يعسكر بعيداً عن قوات برسق ، فلما بلغته اخبار هذه الهزيمة قفل عائداً الى الموصل[١١٤] .

عودة البرسقي الى ولاية الموصل واستئناف حركة المقاومة ضد الغزاة الصليبيين :

من الاحداث البارزة خلال عهد البرسقي انقاذ حلب من الوقوع في ايدي الغزاة الصليبيين ، حيث واجهت خلال سنة ٥١٨ هـ هجوماً كبيراً شارك فيه كل من : بلدوين الثاني حاكم بيت المقدس وجوسلين الثاني حاكم الرها مع عدد من الأمراء المسلمين الذين كانوا يتطلعون لحكم حلب ، وأمام هذا الحشد الهائل اضطر حاكم المدينة حسام



الدين تمرتاشل للرحيل عنها الى ماردين للحصول على المساعدة من اخيه سليمان بن أرتق، غير أن غيابه امتد لفترة طويلة بسبب وفاة اخية سليمان. فاضطروا الى ارسال وفدٍ الى الموصل لحث البرسقي على سرعة الوصول، وقد حمل وصول قوات الموصل الى مشارف حلب الصليبيين على الرحيل عن المدينة فدخلها البرسقي وسط مظاهر الفرح والابتهاج ثم عاد الى الموصل بعد أن عين ولده عز الدين مسعود حاكماً على حلب(١١٥).

ولم يلبث أمير الموصل أن عاد مرة أخرى الى الشام ليواصل الجهاد ضد الصليبيين، فلما وصل (تل السلطان) انضم اليه صمصام الدين خيرخان أمير حمص، ثم تقدم نحو (شيزر) حيث رحب به أميرها سلطان بن منقذ، وسلمه رهائن الصليبيين ومن بينهم ابنة حاكم بلدوين الثاني وجوسلين الثاني بن جوسلين دي كورتناي حاكم الرها(١١٦).

وواصلت قوات الموصل توغلها داخل الشام حتى بلغت (حماة) حيث انضمت اليها قوات دمشق، فقرر البرسقي مهاجمة الصليبيين في كفر طاب، وتمكن من تحريرها في ٥١٩ هـ/ ١١٢٥م وسلم المدينة الى أمير حمص، ثم شرع بحصار (زردنا)، وكان الغزاة آنذاك قد بدأوا في حشد قواتهم للدفاع عن انطاكية فانضم الى بلدوين الثاني كل من: بونز حاكم طرابلس وجوسلين دي كورتناي أمير الرها، وحدث اللقاء بين الطرفين بالقرب من قلعة (عزاز) شمالي حلب، وانتهى بتراجع البرسقي الى حلب بعد أن خسر عدداً كبيراً من رجاله، ودارت بينه وبين الغزاة مفاوضات انتهت بالاتفاق على أن يحتفظ المسلمون بكفر طاب، وان يتسلم الغزاة الرهائن الذين كانوا في حوزة أمير شيزر. عاد بعدها البرسقي الى الموصل(١١٧).

وبهذه المعركة تختم الموصل جهادها ضد الغزاة الصليبيين خلال حكم السلاجقة، حيث انتقل الحكم الى عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ وبدأت صفحة جديدة مشرقة شهدت انتصارات كبرى على طريق تحرير الأرض العربية من الاحتلال الاجنبي.

٣- المظاهر الحضارية

آ- الوضع الاقتصادي:

تميزت الموصل بوفرة حاصلاتها الزراعية وموقعها الجغرافي المهم الذي أتاح لها التحكم بطرق القوافل التجارية، كما احتفظت بشهرتها في بعض الصناعات التي عرفها العالم وغزت اسواق اوربا واسيا بفضل ماتوافر لها من خبرات ومهارات فنية تشهد بها آثار الموصل في مختلف العصور، وسنعرض بايجاز لأهم اوجه النشاط الاقتصادي الذي عرفته الموصل خلال الحكم السلجوقي ٤٨٩ هـ/ ٥٢١ هـ.

١- الزراعة

عرفت الزراعة في الموصل ازدهاراً كبيراً خلال عصور الدولة العربية بسبب وفرة حاصلاتها وتنوع انتاجها، حتى أن بغداد كانت تعتمد في ميرتها على الموصل اربعة أشهر من كل عام(١١٨). إلا أن حالة الازدهار هذه مالبثت أن تعرضت الى التدهور خلال حكم العقيليين والسلاجقة من بعدهم، ولاشك أن ازدهار الحياة الاقتصادية يرتبط بصورة مباشرة باستقرار الأوضاع السياسية وطبيعة الحكم في البلاد، وهو ماافتقدته الموصل خلال حكم الأمراء السلاجقة الذين تعاقبوا على حكمها وادارتهم غير المستقرة لها بسبب تعرضهم للعزل أو الاغتيال، فضلاً عن عوامل خارجية اسهمت اسهاماً فاعلاً في تدهور الحياة الاقتصادية في الموصل بسبب تعرضها للحصار نتيجة السياسة التي انتهجها الامراء السلاجقة وتدخلهم السافر في الصراع حول السلطنة السلجوقية.

وهناك عامل آخر اثر تأثيراً واضحاً في تدهور الاوضاع الاقتصادية عامة والزراعة بوجه خاص واعني به تحمل الموصل عبء الدفاع عن اقليم الجزيرة وبلاد الشام ضد الغزو الاوربي الصليبي



الذي اجتاح الوطن العربي أواخر القرن الخامس الهجري ٤٩١ هـ - ١٠٩٦ م، فقد كرس امراء الموصل جهودهم ووفروا امكانات البلاد لخدمة هذا الهدف، فكانوا يقضون معظم فترات حكمهم القصيرة خارج حدود امارتهم، مما أدى الى اهمال المرافق الاقتصادية، فلحق الدمار بوسائل الري وعم الخراب الأراضي الزراعية، ونقصت موارد البلاد بصورة كبيرة حتى اصبحت على حد تعبير المؤرخ ابن الأثير «أقل بلاد الله فاكهة»[١١٩].

ولابد من الاشارة هنا الى نظام الاقطاع الذي طبقه السلاجقة في الموصل واعمالها واثر تأثيراً كبيراً في تدهور الاوضاع الاقتصادية وفي مقدمتها الزراعة، فقد دأب حكام الموصل على توزيع الاقطاعات على امراء الجيش الذي يقومون بدورهم بتوزيعها على الجند أو يعهدون بها الى صغار المقطعين، مما ألحق الضرر بالموارد الاقتصادية نتيجة اهمالهم الزراعة وممارستهم الظلم على الفلاحين فعم الخراب معظم الاراضي الزراعية ونقص الانتاج وغلت الاسعار وهلك كثير من الفقراء جوعاً في الموصل ونواحيها[١٢٠]، وقد ذكر ابن الجوزي ان جماعة من أهل السواد جاءوا الى جكرمش أمير الموصل يشكون عمالهم «فعمل لهم دعوة اشتملت على الف راس من الغنم والبقر وغير ذلك من الدجاج والحلواء، ولم يحضر الخبز، ثم دعا وجوه العسكر فعجبوا إذ لم يروا خبزاً فقالوا: ماالسبب في هذا؟ فقال: الخبز إنما يجيء من الزرع، والزرع انما يكون بعمارة السواد وقد اضررتم بأهل اقطاعكم فاستغلوه الآن انتم بتحصيل الطعام، فعملوا بالتوصية وثابوا»[١٢١].

٢- التجارة:

يعد الموقع الجغرافي المهم الذي حظيت به الموصل من أهم اسباب الازدهار التجاري الذي حققته خلال عصورها المختلفة، وقد أشار ياقوت الحموي الى اهمية موقع الموصل فقال: «هي محط الركبان منها يقصد الى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح خراسان، منها يقصد الى اذربيجان، وكثيراً ما سمعت ان بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لانها باب الشرق، ودمشق لانها باب الغرب، والموصل لان الواصل الى الجهتين قل ما لايمر بها» وقال أيضاً: «وماعدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلاوجد فيها»[١٢٢] على أن دور الموصل لايقتصر على كونها نقطة التقاء القوافل التجارية فحسب، بل كان لها دور مهم في تصدير حاصلاتها الزراعية ومنتجاتها الصناعية التي اشتهرت بها على مر العصور، فكانت منسوجاتها الحريرية والصوفية والقطنية قد عرفت طريقها الى معظم بلدان العالم، فضلاً عن التحف المعدنية المزخرفة والخزف التي برع في صنعها أهل الموصل.

وقد عرف النشاط التجاري في الموصل تدهوراً ملحوظاً خلال حكم الامراء السلاجقة اسوة بباقي اوجه النشاط الاقتصادي الذي لحق به الخراب والدمار بسبب الاوضاع السياسية التي اشرنا اليها آنفاً، على أن من اهم العوامل التي اثرت سلبياً على التجارة في الموصل نجاح الغزاة الصليبيين في احتلال مناطق هامة من بلاد الشام واقليم الجزيرة وتأسيسهم أربع امارات صليبية في قلب الوطن العربي[١٢٣] وكانت امارة الرها اكثر تلك الامارات خطراً على استقرار الاوضاع في الموصل واعظم تهديداً لطرق المواصلات بينها وبين حلب من جهة وبين بغداد وسلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وكانت بمثابة اسفين دقه الفرنج بين الشام والعراق[١٢٤]. كما كان للعيارين وقطاع الطرق الذين تعدى نشاطهم مدينة بغداد دور كبير في افتقاد الأمن وتدهور التجارة بسبب مهاجمتهم للسفن التجارية القادمة من الموصل الى بغداد وبالعكس، ويضاف الى هذه الاسباب تعرض الموصل للازمات والحروب الداخلية والصراع حول الحكم[١٢٥].



ب- الحياة الاجتماعية في الموصل :

١ - عناصر المجتمع في الموصل :

يشكل العرب غالبية سكان الموصل ، وقد كانت تغلب وأياد والنمر من أولى القبائل العربية التي دخلت الموصل ابان حروب التحرير خلال العصر الراشدي، وكانت ترافق القائد العربي ربعي بن الأفكل عندما سار بجيوش العرب المسلمين الى الموصل واقليم الجزيرة[١٢٦] .

وتوافدت بعد ذلك القبائل على الموصل من شبه الجزيرة العربية ، واشهرها الخزرج الذين اقاموا لهم مسجداً عرف باسمهم ، ومازال اسم الخزرج يطلق على المحلة التي سكنتها تلك القبيلة[١٢٧] ، والى جانب الخزرج كانت هناك قبائل عربية اخرى كالأزد وتميم وهمدان الذين قدموا من شرقي الحجاز وسكنوا مع بني قيس خارج الموصل ، ثم انتقلوا اليها فيما بعد ، ثم قبائل ربيعة ، وقبائل الشهوان ، وهي فرع من تغلب[١٢٨] ثم سكن بنو شيبان الموصل (وهم بطن متسع كثير الشعوب ، كانت لهم كثرة في صدر الاسلام شرقي دجلة في جهات الموصل)[١٢٩] وذكر ابن حوقل (انه كان يشتي في مشاتي الموصل من احياء العرب وقبائل ربيعة واليمن)[١٣٠] .

والى جانب العرب سكن الموصل جماعات من الاكراد والتركمان وقد أشار ابن حوقل الى أن الاكراد في أيامه (القرن الرابع الهجري) كانوا ينتمون الى الهذبانية والحميدية واللارية[١٣١] ، ومما تجدر الاشارة اليه أن معظم الاكراد كانوا يسكنون في قلاع الزوزان المحيطة بالموصل ، كما سكن بعضهم قلاع الهكارية والحميدية وفي قلعة العمادية التي ضمها عماد الدين زنكي الى الموصل سنة ٥٢٨ هـ[١٣٢] ، أما التركمان فقد سكن بعضهم مدينة الموصل والبعض الآخر نزل في المناطق المجاورة لها ، وقد قام التركمان بدور بارز في الحرب ضد الغزاة الصليبيين حيث كانوا ضمن فرق الفرسان رماة القوس التي كانت تفتك بخيول الغزاة فتكا ذريعاً[١٣٣] .

وعلى الرغم من أن المسلمين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من السكان ، فقد اقامت جاليات مسيحية ويهودية في الموصل ، وقد اكد ابن حوقل وجود طائفة من النصارى الاثرياء في نينوى ، كما ذكر ان بعض الصناع والبنائين النصارى قد هاجروا الى الموصل قادمين من تكريت التي كانت تقيم فيها جالية مسيحية كبيرة[١٣٤] ، وقد شارك هؤلاء النصارى في الحياة الاقتصادية ، وبرعوا في صناعة الخزف والتحف المعدنية[١٣٥] ، وقد انتشرت الاديرة المسيحية في الموصل واقليم الجزيرة ، وقد أورد الشابشتي في كتاب الديارات وياقوت الحموي في المعجم اسماء كثيرة من تلك الاديرة نذكر منها : دير أبي يوسف الى الشمال من الموصل على بعد نحو فرسخ من قرية بلد ، ودير الاعلى المقام على جبل يطل على دجلة بأعلى الموصل ، ودير باغوث بين الموصل وجزيرة ابن عمر ، ودير باطا بين الموصل وتكريت ... الخ[١٣٦] .

أما اليهود فقد أشار بنيامين التطيلي الى وجود طائفةً منهم خلال حديثه عن رحلته التي قام بها الى الموصل فيما بين (١١٦٠ - ١١٧٣ م) . فذكر انه رأى بهذه المدينة مايقرب من سبعة آلاف يهودي ، كما اشار الى وجود طوائف يهودية اخرى في اربل والرحبة وجزيرة ابن عمر[١٣٧] .

واغلب الظن أن هذه الطائفة كانت تشتغل بالتجارة واعمال الصيرفة ، كالشأن دائماً عند اغلب الطوئف اليهودية في العصور التاريخية المختلفة .



التقاليد الاجتماعية

أ- مظاهر الاحتفالات في الاعياد والمناسبات الدينية

حرص أهل الموصل على الاهتمام بالأعياد والمناسبات الدينية وكانوا يستعدون للاحتفال بها واظهار معالم الزينة والفرح قبل حلولها، وكان لعيدي الفطر والاضحى مكانة كبيرة في نفوسهم، وقد اعتادوا استقبال هذه المناسبة باقامة الاحتفالات العظيمة، والخروج الى ظاهر المدينة واقامة المهرجانات المختلفة كالعاب الفروسية وروايات خيال الظل وغير ذلك من النشاطات الاجتماعية[١٣٨].

وكان لمولد الرسول العربي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مكانة عظيمة واهتماماً خاصاً لدى أهل الموصل، حيث يستعد الناس للاحتفال بهذا اليوم الخالد استعداداً مسبقاً، فيزينون دورهم واسواقهم وشوارعهم، فاذا حل يوم المولد شخصت جماهيرهم الى المساجد حيث تقام الاحتفالات الدينية، فيتلو الفقهاء آيات من القرآن الكريم، ويستمع الحاضرون الى تواشيح دينية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتلقى القصائد بهذه المناسبة العطرة التي تقدم خلالها الاطعمة المختلفة[١٣٩].

ومن المناسبات الدينية التي اعتاد عليها أهل الموصل زيارة مشهد النبي يونس (عليه السلام) فكانوا يخرجون الى تل نينوى في ليالي الجمع والاعياد لزيارة االضريح، حيث ينشدون التراتيل والموشحات الدينية، وقد ذكر الرحّالة ابن جبير أن اهل الموصل كانوا يقضون الليل في الرباط المجاور لمشهد النبي يونس ثم يعودون الى الموصل بعد أن ينتهوا من صلاة الجمعة[١٤٠].

ومن مظاهر اهتمام أهل الموصل بالمناسبات الدينية حرصهم على استقبال الحجاج العائدين من الديار المقدسة، فكانوا يخرجون جماعات وقد زينوا خيولهم بالحرير والوشي والقلائد الذهبية مرتدين فاخر الثياب يستقبلون الحجاج بكل مظاهر الحفاوة والتكريم[١٤١].

ب- المهرجانات وأعياد الربيع :

عرفت الموصل بجودة مناخها وعذوبة مائها، وقد أكد ياقوت الحموي هذه الحقيقة فقال: «هواؤها صحيح وماؤها عذب، وكثيرا ما وجدت العلماء يذكرون في كتبهم ان الغريب إذا أقام في بلد الموصل سنة تبين في بدنه فضل وقوة»[١٤٢]، والموصل هي أم الربيعين (لانها تلد الربيع في السنة مرتين فهي بين البلاد أم الربيعين)[١٤٣].

وفصل الربيع في الموصل اجمل فصول السنة ففيه تكسو وديان المدينة وسهولها حلة خضراء تنبثق منها الازهار الملونة، وتنساب مياه دجلة في وديانها بين الحقول والاعشاب، فيخرج اهل الموصل بعد صلاة العصر من كل يوم الى ظاهر المدينة حيث يقيمون المهرجانات والالعاب المختلفة من فروسية ومصارعة، وقفز وزحف، وكانت جماعات منهم يضربون خيامهم خارج المدينة في هذا الفصل يرتادونها لقضاء الليل والتمتع بالمناظر الخلابة والنسيم العليل[١٤٤].

وكان من عادة اهل الموصل أيضاً الخروج الى الاديرة للنزهة والترويح عن النفس، لوقوع هذه الاديرة في مواضع مشرفة على الحقول والبساتين، وكان معظم المترددين عليها من الشعراء والادباء الذين يقضون اوقاتهم بالمساجلات الادبية، وقد تضمن الشعر الموصلي الكثير من القصائد في وصف الديارات والمجالس والرهبان[١٤٥].

الحياة الثقافية

ارتبطت نشأة العلوم الدينية والادبية في المدن العربية الاسلامية عادة بالمسجد باعتباره المركز الذي ولدت فيه هذه العلوم، فالمسجد الى جانب رسالته الدينية كان له الفضل الاكبر في انطلاقة العلوم المختلفة وارساء دعائم النهضة العلمية والادبية



التي مالبث ان تصاعد بناؤها واكتملت ملامحها في أحضان المدارس ودور العلم والربط وحلقات العلماء ومجالس الادباء وخزائن الكتب.

وكان أول مسجد أقيم في الموصل في خلافة عمر بن الخطاب (رض)، ثم تتابع بعد ذلك بناء المساجد التي اصبحت مراكز لنشر العلوم الدينية واللغوية، كما كان لدور الحديث والربط نصيب وافر في نشر العلم والمعرفة، فلم تكن هذه الربط مقصورة على التعبد والتزهد، بل كانت مواضع للتصنيف والاقراء والتفقيه والاجازات والمحاضرات، وكان لخزائن الكتب فيها قوام يتولون خزنها وصيانتها ومناولتها وترتيبها، وكانت هذه الربط بمثابة منازل للعلماء الراحلين من بلد الى آخر في طلب العلم أو نشره أو في امر من الامور المتعلقة بالعلوم الدينية [١٤٦].

أما دور الحديث فكان يدرس فيها أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) وافعاله واحواله من حيث الرواية واتصال الاحاديث بالرسول (صلى الله عليه وسلم)، واحوال رواتها، ثم من حيث الاسناد اتصالاً وانقطاعاً، كما تناول هذه الدراسة أيضاً المعنى المفهوم من الفاظ الحديث والمراد منها، مبنياً على قواعد اللغة وضوابط الشريعة ومطابقاً لاحوال النبي (صلى الله عليه وسلم] [١٤٧].

ومن الربط التي انشئت بالموصل اوائل القرن السادس الهجري رباط الشيخ قضيب البان أبي عبد الله الحسين بن ابي ربيعة الموصلي (٤٧١ - ٥٧٣ هـ)، ثم الرباط المنسوب الى كمال الدين بن الشهرزوري (٤٩٢ - ٥٧٢ هـ) [١٤٨].

اما عن دور الحديث التي انشئت بالموصل خلال هذه المرحلة فنذكر منها: دار الحديث المهاجرية التي اقامها ابو القاسم علي بن مهاجر بسكة ابي نجيح في الموصل [١٤٩].

وقد شهدت الموصل ازدهاراً علمياً كبيراً خلال حكم الحمدانيين الذين عرفوا بشغفهم بالأدب وجمعهم بين السيف والقلم، فأزدهرت في ايامهم العلوم والاداب، الا ان هذه النهضة العلمية مالبثت أن اصابها الجمود في العهد السلجوقي الذي شهد تأخراً لمظاهر الحضارة والعمران في الموصل بسبب كثرة الفتن والاضطرابات وعدم استقرار السياسة الداخلية للامراء السلاجقة بسب تعرضهم للعزل وانشغالهم بقيادة حركة الجهاد ضد الغزاة الصليبين، فقد انعكست هذه الاوضاع على الحياة الثقافية في البلاد، فانصرف الولاة عن الاهتمام بالعلم ومدارسه واصبحوا طرفاً في النزاع بين أفراد البيت السلجوقي، فلم يرد في كتب المؤرخين مايشير الى قيام احدهم ببناء مدرسة أو معهد للعلم أو دار للحديث في هذه المرحلة.

على ان ذلك كله لايعني في الواقع توقف الحركة العلمية في الموصل، فقد استمرت دور العلم والمعاهد الدينية القديمة تؤدي دورها دون المستوى الذي كانت عليه في العصر الحمداني، إلا أن ذلك لم يمنع بعض العلماء والفقهاء من بناء المدارس أو دور العلم أو المساجد خلال العهد السلجوقي، كما ان الاديرة المنتشرة بظاهر الموصل ظلت تؤدي رسالتها في نشر الثقافة والعلوم المختلفة.

وكان نظام الملك قد بنى المدرسة النظامية [١٥٠] للقاضي ابي بكر محم بن علي بن الحسن بن أبي خالد الخالدي المعروف بالسديد قاضي الموصل، كما بنيت بالموصل أيضاً مدرسة اخرى في العصر السلجوقي تعرف بالمدرسة الكمالية القضوية، بناها ابو الفضل محمد بن ابي محمد عبد الله أبي القاسم الشهرزوري الملقب بكمال الدين الفقيه الشافعي (٤٩٢ - ٥٧٢ هـ). وقد أوقف بناء هذه المدرسة على الفقهاء الشافعية واوقف لها اوقافاً كثيرة للنفقة عليها وعلى من يعلم ويتعلم بها [١٥١].



- **علماء الموصل وفقهاؤها وشعراؤها في العهد السلجوقي :**

برز بالموصل خلال القرن الخامس والسادس الهجريين عدد من الاعلام في مختلف العلوم والمعارف، ومن العلماء الذين عاصروا حكم الولاة السلاجقة نذكر: اسرة الشهرزوري. وكان جدهم القاسم بن المظفر بن علي بن قاسم الشهرزوري المتوفى سنة ٤٨٩ هـ حاكماً بمدينة أربل، انجب اسرة علمية نبغ افرادها في العلوم والاداب والفقه منهم: احمد بن القاسم الشهرزوري (٤٥٣- ٥٣٨ هـ) الذي ولي القضاء في عدد من مدن الجزيرة- وكان من فضلاء زمانه، والمرتضى عبد الله بن القاسم الشهرزوري (٤٦٥- ٥١١ هـ) الذي تولى القضاء في الموصل، وكان يجيد نظم الشعر وله قصيدة عرفت بالقصيدة الموصلية ويغلب على شعره التصوف[١٥٢]، وأبو الفضل محمد بن ابي محمد عبد الله بن ابي القاسم الشهرزوري (٤٩٢- ٥٧٢ هـ) وكان مشهوراً بالفقه والادب ونظم الشعر، وكانت له اوقاف كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق والمدينة المنورة[١٥٣]، وأبو الحسن السراج الجهني المتوفي سنة ٥٢٩ هـ، وكان اماماً ورعاً عاملا بعلمه[١٥٤]. والشيخ قضيب البان الموصلي الذي ولد بالموصل سنة ٤٧١ هـ وتوفي بها سنة ٥٧٣ هـ وقيل سنة ٥٧٠ هـ، وقد اخذ الحديث والفقه عن الشيخ أبي الحسن علي بن أدريس وغيره وصحب الشيخ عبد القادر الكيلاني[١٥٥].

ومن اعلام الموصل خلال هذه المرحلة أيضاً: تاج الاسلام ابو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد المعروف بابن خميس الكعبي الموصلي المتوفي سنة ٥٥٠ هـ، الذي صنف كتابا سماه: طبقات الاولياء او مناقب الابرار في محاسن الاخيار[١٥٦].

ومن فقهاء الموصل الاعلام ايضاً ابن ابي عصرون التميمي الموصلي (٤٩٢- ٥٨٥ هـ) وكان اماماً لأصحاب الشافعي في عصره وصاحب الفتاوي المشهورة[١٥٧] وابو المحاسن الجمعي الموصلي الحنبلي المتوفى سنة ٥٧١ هـ، وكان من فقهاء الحنابلة المواصلة جمع كتابا اشتمل على طبقات الفقهاء من اصحاب الامام أحمد[١٥٨].

ومن علماء اللغة والنحاة نذكر: سعيد بن المبارك النحوي (٤٩٤- ٥٦٩ هـ) الذي كان يعد من اعيان النحاة وافاضل اللغويين وله تصانيف مختلفة منها: تفسير القرآن في اربع مجلدات، وشرح الايضاح لابي علي الفارسي في اربعين مجلداً، والغرة في شرح اللغة لابن جني، وعلي بن خليفة النحوي المعروف بابن المنقي الموصلي المتوفي سنة ٥٦٢ هـ، وكان اماماً فاضلاً تأدب عليه اكثر اهل بلده وصنف مقدمة في النحو سماها: «المعونة» كما كان يجيد نظم الشعر[١٥٩].

أما شعراء الموصل الذين برزوا خلال هذه الفترة فنذكر منهم: محمد بن شقاقا الموصلي المتوفى سنة ٥٣٣ هـ، وعلي بن ابي الوفا الموصلي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ، وابن ابي دره الموصلي المتوفى سنة ٥٤٥ هـ[١٦٠] وابن مسهر الموصلي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ، وكان له ديوان شعر كبير يقع في مجلدين[١٦١]، وابو اسماعيل مؤيد الدين ابن علي الاصبهاني المعروف بالطغرائي صاحب لامية العجم. كما كان له ديوان معروف باسمه، وكان عالماً متفنناً متضلعاً في سائر العلوم[١٦٢] ولاسيما الكيمياء، وقد شغل الطغرائي منصب الوزارة للملك مسعود بن محمد الذي أقام في الموصل مع اتابكة جيوش بك (٥٠٩- ٥١٥ هـ).

ج- خطط المدينة :

لم تنعم الموصل خلال العهد السلجوقي (٤٨٩هـ- ٥٢١ هـ) بشيء من الهدوء والاستقرار، مما صرف ولاتها عن الاهتمام بالعمران والاصلاحات الداخلية فشمل الخراب مناطق واسعة من الموصل، وقد أشار المؤرخ ابن الاثير الى ذلك بقوله (كانت البلاد قبل أن يملكها- عماد الدين زنكي- خرابا من الظلم وتنقل الولاة ومجاورة



الفرنج)[١٦٣] ، وقد أدى تدهور العمران في الموصل الى تقلص رقعتها ورحيل عدد كبير من السكان الى المناطق المجاورة ، وقد وصف ابن الاثير الخراب الذي لحق بالموصل في عصر الولاة السلاجقة بقوله : (فكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة والى دور السلطنة وكانت العرصة ترى من قريب مسجد التركماني وهو قريب من الطبالين. وكان الجامع العتيق أيضاً بلا عمارة البتة ، وكانت جميع المحال المجاورة للسور من سائر جهاته غير معمورة ، وكان أدنى العمارة من السور مايكون رمية حجر ، وكان[١٦٤] الناس لايقدرون على المشي الى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة). ولم تنهض الموصل من عثرتها إلا في العصر الاتابكي حيث اصبحت من امهات المدن العربية في العصر الوسيط ، فانتجعها الناس من كل صوب واتخذوها دار اقامة لهم.

اسوار المدينة :

يرجع تاريخ بناء أول سور للموصل الى سعيد ابن عبد الملك بن مروان ، ثم اصبحت الموصل في عهد مروان بن محمد الذي تولى امارتها سنة ١٠٢ هـ قاعدة بلاد الجزيرة فالحقها بالأمصار وجعل لها ديواناً مفرداً ، ونصب جسرها ، وبنى سورها[١٦٥] . وقد استمر سور الموصل قائماً حتى أمر هارون الرشيد بهدمه سنة ١٨٠ هـ على اثر الثورة التي قام بها اهلها ، فبقيت المدينة من غير سور حتى سنة ٤٧٤هـ حيث قام مسلم بن قريش العقيلي ببناء سور قليل الارتفاع لافصيل له ولا خندق[١٦٦] .

وبعد سقوط دولة بني عقيل سنة ٤٨٩ هـ وجد الأمراء السلاجقة أن هذا السور لايقوى على الدفاع عن المدينة في حالة تعرضها لحصار شديد ، فقام شمس الدولة جكرمش (٤٩٥ - ٥٠٠ هـ) بتشييد سور الموصل وتقويته ، ويبدو أنه دعم السور القديم وزاد من ارتفاعه ، كما امر ببناء فصيل وحفر الخندق وحصن المدينة (غاية مايقدر عليه)[١٦٧] ، ولما تعرضت الموصل لحصار السلطان محمد سنة ٤٩٨ هـ بادر جكرمش للدفاع عنها فجدد سورها وأحكم ابراجه ، فشدد السلطان هجومه على السور وزحف اليه بالنقابين والدبابات ، فأمر جكرمش بان تفتح في السور ابواب صغيرة يخرج منها الجند لمهاجمة عساكر السلطان[١٦٨] .

وقد اضيفت الى السور اضافات جديدة في عهد جاولي سقاوه (٥٠٠ - ٥٠٢ هـ) حيث قام بتشييد السور واحكام المنشآت الحربية التي بناها جكرمش ، وكان السور يمتد من باب المشرعة غرباً تاركاً الميدان خارجه حتى ينتهي في باب سنجار اي باب الميدان ، وكانت تنفتح بالسور تسعة ابواب تؤدي الى مختلف الجهات وهي : الباب العمادي الذي أمر بفتحه عماد الدين زنكي سنة ٥٢٧ هـ ، ثم باب سنجار وهو من اوسع ابواب المدينة ، وباب كندة ، ثم باب الجصاصة ، والباب الغربي الذي اقامه عز الدين مسعود بين باب كندة وباب العراق ، وباب الجسر وباب المشرعة وباب القصابين[١٦٩] .

القلعة :

تعد القلعة من أهم المرافق الحربية في المدينة حيث تشكل مركز الدفاع فيها ، فهي معقل الجيش ومستودع الذخيرة والعدد الحربية ، وكان الولاة يختارون لحراستها اكفأ امراء العسكر المعروفين بالشجاعة والدراية في شؤون الحرب ، وكان يطلق عليه لقب : (دزدار القلعة). وكان يحيط بالقلعة سور محكم البنيان والبروج ويحيط بالسور خندق يفصل القلعة عما يجاورها من الاراضي ، وللقلعة باب أو اكثر تبعاً لسعتها ، ولها باب رئيسي يفتح في النهار ويعد المدخل الوحيد للاتصال بحامية القلعة ، كما كان لها باب سري صغير يؤدي الى النهر ينزل فيه بدرجات تبنى داخل النفق وهو يقوم مقام باب السر[١٧٠] .

وكان موضع قلعة الموصل بالقرب من دور المملكة الى الشمال من المدينة على الارض المرتفعة التي تشرف على نهر دجلة[١٧١] ، وأول مركز للقلعة



كان في سنة ٤٥٠هـ حيث ورد في حوادث تلك السنة أن البساسيري وقريش بن بدران العقيلي كانا قد هاجما الموصل بعد رحيل ابراهيم بن ينال عنها ، فحاصر البساسيري القلعة أربعة أشهر ولما استولى عليها أمر بهدمها وعفى على اثرها[١٧٢] . ولم ترد بعد ذلك اشارة عن اعادة بناء هذه القلعة خلال حكم بني عقيل ، واغلب الظن ان القلعة أعيد بناؤها في العهد السلجوقي على يد الأمير جكرمش الذي عرف بحرصه واهتمامه بتحصين الموصل وبناء الاستحكامات العسكرية ، حيث شرع في تعمير السور وبناء فصيل عليه فضلاً عن قيامه بحفر الخندق[١٧٣] وقد عين جكرمش دزداراً للقلعة اسمه غزغلي الذي قام بدور بارز في الدفاع عن الموصل خلال الحرب التي نشبت بين جكرمش وجاولي سقاوه سنة ٥٠٠ هـ ، ويبدو أن القلعة كانت كبيرة تتسع لعدة الآف من الجند ، يظهر ذلك في حوادث سنة ٥٠٢ هـ حيث ورد أن جاولي سقاوه حين اضطر للرحيل عن الموصل بعد صدور قرار السلطان محمد بعزله عن الولاية اسكن زوجته القلعة وترك معها (الف وخمسمائة فارس من الاتراك ، سوى غيرهم وسوى الرجالة)[١٧٤] .

أرباض المدينة :

الارباض هي الاحياء التي تقع خارج سور المدينة واشهرها الربض الاعلى والربض الاسفل .

ويقع الربض الاعلى شمالي الموصل خارج السور، ويمتد من باب سنجار غرباً الى دجلة شرقاً ، وقد امتاز برقة هوائه وجمال موقعه الذي يشرف على نهر دجلة وما يحيط بها من الغابات والبساتين ، وكان يضم قصور الامراء والولاة ورجال الحكم ، وقد أمر عماد الدين زنكي فيما بعد بفتح الباب العمادي الذي ربط بين المدينة والربض الاعلى[١٧٥] .

اما الربض الاسفل فكان من اكبر الارباض واحسنها عمارة ، وقد وصفه الرحالة ابن بطوطة فقال : (وللموصل ربض كبير فيه الجوامع والحمامات والفنادق والاسواق ، وبه مسجد جامع على شط دجلة)[١٧٦] .

المحلات والاحياء :

من اشهر محلات الموصل محلة سوق التركمان ، ومحلة درب دراج ، ومحلة المربعة (جهار سوك)[١٧٧] ، ثم محلة سوق الاربعاء التي كان بداخلها فضاء واسع وعلى كل ركن فيه فندق ، اما احياء الموصل فأهمها : حي الحديثين، وحي التغالبة ، وحي خزرج– وحي الجصاصة الذي كان يشتمل على شارعين : هما درب الجصاصة ودرب الجصاصين، ثم حي التكارتة ، وحي الطبالين[١٧٨] .

الميدان :

يقع الميدان في المنطقة المحصورة مابين السور السلجوقي والسور الذي شيده الاتابكة فيما بعد ، وهو عبارة عن أرض واسعة خالية من العمارة ، وكان يمتد في الميدان شارع واسع بموازاة السور السلجوقي من أعلى البلد الى أسفله ، ويفصل دور المملكة والقلعة عن البلد ، وفي شرقي الميدان تقع دور المملكة والقلعة[١٧٩] .

دور المملكة :

وهي الدور التي اتخذها امراء الموصل ورجال دولتهم المقربين سكناً لهم ، وكانت تقع على نهر دجلة بالقرب من القلعة وفي مواجهة الميدان ، ولاتزال آثارها قائمة حتى الآن وتعرف باسم (قره سراي)[١٨٠] وكان الحمدانيون هم اول من انشأ داراً للامارة بهذا الموقع على دجلة ، ثم تبعهم بنو عقيل الذين شيدوا دورهم في الموقع نفسه ، وجاء بعدهم السلاجقة فساروا على هذا النهج وشيدوا داراً للسلطنة ، وهي الدار التي نزلها عماد الدين زنكي فيما بعد[١٨١] .



الشوارع أو الدروب :

كانت تخترق مدينة الموصل شبكة من الدروب التي تربط بين احياء الموصل وأرباضها ، ومن أهمها : درب دير الاعلى ، ودرب باصلوت ، ودرب الجصاصين ، ودرب بني ميدة ، ودرب الجصاصة ، ودرب أمير المؤمنين ، ثم درب الدباغين ودرب جميل[١٨٢] . وقد أورد المؤرخون اسماء طرق أخرى نذكر منها : سكة ابي نجيح ، ثم درب ايليا الطبيب ، وقد ورد ذكر هذا الشارع عند الحديث عن مقتل آقسنقر البرسقي امير الموصل في ذي القعدة من سنة ٥٢٠ هـ[١٨٣] ، ثم درب رمي امير المؤمنين ، وهو من الشوارع التي تؤدي الى الدير الاعلى ، ويمر بالميدان أمام دور المملكة ، ولم يزل هذا الشارع من شوراع المدينة الرئيسية[١٨٤] .

الهوامش

(١) ابن الاثير ، الكامل طبعة بيروت ١٩٦٦ ج ٩ ص ٦١١ .

(٢) هو سليمان بن قتلمش سلطان سلاجقة الروم بآسيا الصغرى الذي استولى على انطاكية سنة ٤٧٧ هـ فنازعه مسلم العقيلي على ملكيتها ونشب القتال بينها وانتهى بمصرع امير الموصل .

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ١٢٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ طبعة حيدر آباد ١٣٥٨ ، ص ٦٣ – ٧٧ (ذكر ابن العديم أن المعركة حدثت في دارا بين نصيبين وماردين ، زبدة الطلب ، دمشق ١٦٥٤ ، ج ٢ ص ١٠٨) .

(٤) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ١١٨ .

(٥) ابن القلانسي ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٦) هو أبو سعيد قوام الدولة كربوقا أوكربوغا ، كان من كبار مماليك السلطان ملكشاه وقد انحاز الى جانب ولده بركياروق في نزاعه ضد عمه تتش ، وقد وقع مع اخيه التونتاش في الاسر ، وبعد مصرع تتش تم الاتفاق بين بركياروق ورضوان بن تتش على اطلاق سراحها .

(٧) بلد : مدينة قديمة على نهر دجلة فوق الموصل بينها سبعة فراسخ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٦٧– ٢٦٨ .

(٨) الفارقي ، تاريخ آمد وميافارقين ، مصر ١٩٥٩ ، ص ٢٤٥ .

(٩) حول هذه الفترة من تاريخ الموصل انظر : د. رشيد الجميلي ، دولة الاتابكة في الموصل ، بيروت ١٩٧٠ .

(١٠) رشيد الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي بغداد ١٩٨٠ .

(١١) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٢ .

(١٢) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان– مخطوط بدار الكتب المصرية ج ١٥ رقم ١٥٨٤ ص ٦٠٦ .

(١٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٥ .

(١٤) الفارقي ، تاريخ ميافارقين ص ٢٤٨ .

(١٥) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٣٤٢ .

(١٦) ابن القلانسي ، ص ١٥٨ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٢ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٤٨٢ .

(١٨) ابن الفرات – تاريخ الدول والملوك ، المجلد الاول ص ٢٠ – ٢١ ، معهد المخطوطات جامعة الدول العربية .

(١٩) ابن القلانسي ، ص ١٨٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٦ .

(٢٠) ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥١٤ – ٥١٥ ، ابو الفدا ، المختصر ج ٤ ص ١٤٦ .

(٢١) المصدر نفسه ، الكامل ج ١ ص ٥١٠ .

(٢٢) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٤٨ – ٥٥٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ج ١٠ ص ٥٣٩ .

(٢٤) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ ص ٢١٧ ، البنداري – تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٢١ – ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٤٢ – ٥٦٤ .

(٢٥) المصدر نفسه ، المنتظم ج ٩ ص ٢١٧ ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٦٠ – ٥٦٤ ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك مجلد ٢ ص ٦ .

(٢٦) المصدر نفسه المنتظم ج ٩ ص ٢٤٩ ، ابن الاثير ، الباهر ص ٢٤ – ٢٥ ، ابو الفدا – المختصر ج ٤ ص ١٥٧ (ورد في الباهر ان عزل البرسقي عن شحنكية العراق كان في سنة ٥١٧ هـ) .

(٢٧) انظر : الجميلي ، دولة الاتابكة في الموصل ، بيروت ١٩٧٠ .

(٢٨) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ ص ٢٢٧ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٦٦ .

(٢٩) ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٩٨ .

(٣٠) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٩٨ .

(٣١) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ ص ٢٣٣ .

(٣٢) المصدر نفسه ، المنتظم ج ٩ ص ٢٣٣ .

(٣٣) المصدر نفسه ، المنتظم ج ٩ ص ٢٣٣ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٩٩ .

(٣٤) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٦٠٠ – ٦٠١ .

(٣٥) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ ص ٢٣٥ .

(٣٦) ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٦٠٨ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك المجلد ٢ ص ٢٧١ .

(٣٧) ابن الجوزي، المنتظم ج ٩ ص ٢٤٣، ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٦١٤- ٦١٥.
(٣٨) ابن الجوزي، المنتظم ج ٩ ص ٢٤٥.
(٣٩) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٦٢٢.
(٤٠) من كور الجزيرة التي قصبتها الموصل : ديار ربيعة وديار بكر وديار مضر. ومن مدن دجلة التابعة للموصل : دجيل وأوانا وعكبرا والخطيرة وداقوقا.
(٤١) عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي- ص ٦٩. بيروت ١٩٧١.
(٤٢) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٣٠، ابو شامة الروضتين ج ١ ص ٦٧ الذهبي، العبر ج ٢ ص ٣٢٤.
(٤٣) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٣٩١- ٣٩٢.
(٤٤) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٤٣٠- ٥٠١.
(٤٥) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٢٥٨- ٢٥٩.
(٤٦) المصدر نفسه، الباهر ص ١٥، ابوشامة، الروضتين ج ١ ص ٦٧.
(٤٧) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٤٥٩، ابن واصل، مفرج الكروب ج ١ ص ٣٥- ٣٦، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك المجلد الاول ص ٢١.
(٤٨) ابن الأثير، الباهر ص ١٠٦.
(٤٩) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٠.
(٥٠) ابو الفدا، المختصر ج ٤ ص ١٣٧ (وجبل جور اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي أرمينية انظر البغدادي، مراصد الاطلاع ج ١ ص ٢١١).
(٥١) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٩٢.
(٥٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ص ٥٥٢ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٢).
(٥٣) المصدر نفسه، مرآة الزمان ص ٥٥٢- ٥٥٤.
(٥٤) ابن العديم، زبدة الحلب ص ٥٤٢- ٥٤٣ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣).
(٥٥) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦.
(٥٦) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٤٠٥، ٤٠٧.
(٥٧) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٨، ابن العبري، مختصر تاريخ الدول ص ١٩٩.
(٥٨) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٥٠٩.
(٥٩) ابن الاثير، الباهر ص ٣٧، ابن واصل، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٩ (لم يذكر ابن الاثير اسم حاكم سنجار خلال عهد البرسقي وولده مسعود، كما انه جعل تاريخ اخضاعها من قبل عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ انظر: الكامل ج ١٠ ص ٦٤٦- ٦٤٧).
(٦٠) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٢٥٩.
(٦١) ابن العديم، زبدة الحلب ص ٥٠٩ (منتجات من زبدة الطلب مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣).
(٦٢) ابن القلانسي، ص ١٤٢، اليافعي، مرآة الجنان ج ٣ ص ١٥٩.
(٦٤) ابن القلانسي، ص ١٥٦- ١٥٧، ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٩.
(٦٥) ابن العديم، زبدة الحلب ص ٦٥٥ (منتخبات المجموعة ج ٣).
(٦٦) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٧٣- ٣٧٤.
(٦٧) Oman, A history of the Art of the War in the Middle Ages. Vol. 1.p. 321.
(٦٨) The First and Second Crusader from an Ananymous Syriac Chronicle, P. 78 (Journal of the Royal Asiatic Sociaty, London, 1933).
(٦٩) ابن القلانسي، ص ١٥٠، الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين ص ٢٧٤.
(٧٠) ابن القلانسي، ص ٢٠٩، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة: قسم الجزيرة، ورقة ١٧ ب ١٨، ابن واصل، مفرج الكروب ج ١ ص ٨٤.
(٧١) المصدر نفسه، ص ١٣٥، ابن العديم، زبدة الطلب ج ٢ ص ١٣٦- ١٣٧ دمشق ١٩٥٤.
(٧٢) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٠٦ (سبق أن اشرنا الى هذا الموضوع عند الحديث عن علاقات الموصل مع نصيبين).
(٧٣) ابو المحاسن، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٥، طبعة دار الكتب المصرية.
(٧٤) ابن القلانسي، ص ١٧٥.
(٧٥) ابن القلانسي، ص ١٩١- ١٩٩، ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٥٣١.
(٧٦) ابن العديم، زبدة الحلب ص ٥٤٦ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣).
(٧٧) ابن القلانسي، ص ٢١١، ٢١٢، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك ج ٢ ص ٣٨٨.
(٧٨) ابن الأثير، ابن العديم، زبدة الحلب ص ٥٥١، ٥٥٤. (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣)، الباهر ص ١٤.
(٧٩) لم يشترك الاوربيون في تلك الحملات بسبب الحافز الديني فحسب بل رغبة في الكسب والاثراء، وهذا ماأكده عدة من مؤرخي الغرب أنفسهم، كما كشفت الاميرة آن كومنين في مؤلفها عن حياة أبيها الامبراطور الكسيس كومنين عن حقيقة ودوافع الحركة الصليبية ومدى طمع الاوربيين وجشعهم وحبهم للمال واتخاذهم الدين ستاراً لتحقيق أغراضهم الشخصية، انظر:
Anna Comnena, The Alxiad, England Trans., London, 1969.
جوزيف نسيم يوسف، الدوافع الحقيقية للحركة الصليبية.
(٨٠) ابن القلانسي، ص ١٣٤.



(٨١)
Fulcher of Charter, Chronicle of the first Crusaders, Oxford University Press, 1944, p 51.

(٨٢) Anna comnena op. Cit, P. 344

(٨٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ص ٥٨١ – ٥٨٢ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣).

(٨٤) المؤرخ المجهول ، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي مصر ١٩٥٨ ، ص ٧٣

(٨٥) المصدر نفسه ، اعمال الفرنجة ص ٨٤ – ٨٦.

(٨٦) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦.

(٨٧)
Cam. Med. Hist. Vol. 5. P. 292.

(٨٨)
Anna comnena., Op. cit. p. 340

(٨٩) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ج ٤ ص ١٢٥. ابن الوردي ، تتمة المختصر ج ٢ ص ١٥ العيني ، عقد الجمان ج ١٥ ص ٥٠٣.

(٩٠) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ١٣٦.

(٩١) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٢٧٧ – ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٦.

(٩٢)
Anna, comnena. , op. cit, P. 352.

(٩٣)
Anouymous; op. cit. p. 78.

(٩٤) ابن القلانسي، ص ١٤٣ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٣٧٤.

(٩٥) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٧٤.

(٩٦)
Oman; A History of the Art of War in the Middle Ages, New York, 1960, p. 323.

(٩٧) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٧٤.

(٩٨) فيليب حتي ، تاريخ العرب ج ٢ ص ٧٦٢ بيروت ١٩٥٣ .

(٩٩) رنسيمان ، الحروب الصليبية ج ٢ ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(١٠٠)
Stevenson, The Crusaders in the East , Cambridge 1907, P. 88.

(١٠١) عاشور، الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٥٨.

(١٠٢) ابن القلانسي ، ص ١٧٣ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١.

(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٣.

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ – ١٧٨.

(١٠٥) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٢١.

(١٠٦) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٩٢ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٩.

(١٠٧)
Ananymous., op.cit, pp. 83 ,84.

(١٠٨) ابن القلانسي ، ص ١٨٢.

(١٠٩) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠.

(١١٠) ابن القلانسي، ص ١٨٥ ، ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٩٦ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠.

(١١١) المصدر نفسه ، ص ١٨٧.

(١١٢) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٩٧.

(١١٣) انتقل حكم كيسوم ورعبان بعد وفاة كواسيل (كونغ باسيل) سنة ٥٠٨ هـ الى ارملته وابنها بالتبني (دغاباسيل) ، ويبدو أنهما كانا يخشيان تنكرد امير انطاكية فالتجأ الى البرسقي طلباً للحماية واعترفا بتبعيتها له . انظر: رنسيان : الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٠٩ / ١١٠.

(١١٤) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٥٢٥.

(١١٥) سبق أن تعرضنا لموضوع الوحدة بين الموصل وحلب خلال حكم البرسقي عند الحديث عن العلاقات مع حلب.

(١١٦) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٢٢. رنسيان ، الحروب الصليبية ج ٢ ص ١٢١.

(١١٧) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٦٢٦ – ٦٢٨.

(١١٨) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٤٥.

(١١٩) ابن الاثير، الباهر ص ٧٨.

(١٢٠) ابن القلانسي ، ص ٢١٢.

(١٢١) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٨ ص ١٢٢.

(١٢٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٥.

(١٢٣) نجح الصليبيون في الحملة الاولى من تأسيس اربع كيانات صليبية هي : انطاكية والرها وبيت المقدس وطرابلس.

(١٢٤) فيليب حتي، تاريخ العرب مطول ج ٢ ص ٧٦٢، عاشور، الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٠٤.

(١٢٥) عماد الدين خليل ، قوام الدولة كربوقا ، مجلة أدب الرافدين ص ١٥٢.

(١٢٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، ج ٤ ص ٣٦.

(١٢٧) القس سليمان الصايغ ، تاريخ الموصل ج ١ ص ٥١.

(١٢٨) كوركيس عواد ، الموصل ، طبعة بغداد ١٩٥٩ ، ص ٤.

(١٢٩) صفي الدين البغدادي ، مراصد الاطلاع ج ١ ص ٣٠٩.

(١٣٠) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٩٥ ، طبعة بيروت.

(١٣١) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٩٥.

(١٣٢) ابن الأثير، الكامل ج ٨ ص ٢٤٣.

(١٣٣) فوللر، اثر التسلح في التاريخ من حروب القرون الوسطى لنهاية الحرب العالمية الثانية دمشق ١٩٥٤ ، ص ٦٩.

(١٣٤) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٩٦.

(١٣٥) الرهاوي ، التاريخ السرياني ، نشر البطريرك افرام رحماني ، بيروت ١٩٠٠ ص ٦١.

(١٣٦) الشابشتي ، الديارات ، بغداد ١٩٥١ ، ص ١٧١ ، ياقوت ، معجم البلدان مادة دير.

(١٣٧)
. Viajes Je Benjamin de Tudela, Madrid, 1918, p. 83.

(١٣٨) الديوه جي ، الموصل في العهد الاتابكي ص ٧٩.

(١٣٩) المصدر نفسه، الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٠.
(١٤٠) ابن جبير، الرحلة ص ١٨٩.
(١٤١) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص ٨١.
(١٤٢) الحموي، معجم البلدان ج ٥ ص ٢٢٣.
(١٤٣) الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب ج ١ ص ٢٢١.
(١٤٤) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٢.
(١٤٥) المصدر نفسه، الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٣.
(١٤٦) مصطفى جواد، دور الحديث (مجلة سومر المجلد ١٠ ج ٢ ص ٢٢٤ – ٢٢٥.
(١٤٧) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ١ ص ٦٣٥.
(١٤٨) الديوه جي: الموصل في العهد الاتابكي، ص ١٥٥ – ١٥٨.
(١٤٩) العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج ٥ ص ١٠٠.
(١٥٠) السبكي، طبقات ج٣ ص ١٣٧.
(١٥١) ابن خلكان، وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٧٢.
(١٥٢) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٥٣ – ٢٥٤.
(١٥٣) المصدر نفسه، ج ١ ص ٤٧٢.
(١٥٤) السبكي، طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٧٨ طبعة مصر ١٣٣٤ هـ.
(١٥٥) ابن خياط الموصلي، ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء ص ٧٠ – ٧١، الموصل ١٩٦٦.
(١٥٦) المصدر نفسه، ص ١٦.
(١٥٧) السبكي، طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٣٧/ ٢٣٩.
(١٥٨) العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٤٠/ ٢٤١.
(١٥٩) ياقوت، معجم الادباء ج ١١، ص ٢١٩ – ٢٢٣، ج ١٣، ص ٢١٥، ٢١٧.
(١٦٠) ابن خلكان، وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٤١، ٣٤٣، ٤١١.
(١٦١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ص ٣٤٨.
(١٦٢) ابن خلدون، ج ٥ ص ٥٠.
(١٦٣) ابن الاثير، الكامل ص ١١١ ج ١١.
(١٦٤) ابن الاثير، الباهر ص ٧٧.
(١٦٥) البغدادي، مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٣٤.
(١٦٦) ابن الاثير، الباهر ص ٧٨.
(١٦٧) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٤.
(١٦٨) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٨٣.
(١٦٩) نفس المصدر، الباهر ٧٨، ٩٣ الكامل ج ١١ ص ٤١٦.
(١٧٠) الديوه جي، سور الموصل – مجلة سومر المجلد السابع والعاشر.
(١٧١) ابن جبير، رحلة ابن جبير ص ٢١٠، ابن الاثير، الباهر ص ٧٧.
(١٧٢) سيرة المؤيد في الدين، تحقيق محمد كامل حسين مصر ١٩٤٩ ص ١٧٨ – ١٧٩.
(١٧٣) الديوه جي، سور الموصل، مجلة سومر المجلد العاشر ج ١ ص ١٠٠.
(١٧٤) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٤.
(١٧٥) ابن الاثير، الباهر ص ٧٨، الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٠ – ١١١.
(١٧٦) ابن بطوطة، الرحلة ص ٤٨، طبعة مصر ١٩٥٨.
(١٧٧) جهار سوك، تعني بالفارسية اربعة جهات.
(١٧٨) المقدسي، احسن التقاسيم ص ١٣٨.
(١٧٩) الديوه جي، الموصل: العهد الاتابكي ص ١١٤ – ١١٧.
(١٨٠) الصايغ، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢١٨.
(١٨١) ابن الاثير، الباهر ص ٧٧.
(١٨٢) المقدسي، احسن التقاسيم ص ١٣٨.
(١٨٣) ابن الاثير، الكامل ج ٨ ص ٣٢٠ (مطبعة الاستقامة في القاهرة).
(١٨٤) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص ١٢٧.

الموصل في عهد الإدارة الأتابكية

٥٢١ – ٦٦٠هـ / ١١٢٧ – ١٢٦٢م

د. عبدالمنعم رشاد

تتناول دراسة أوضاع الموصل في عهد الادارة الأتابكية سياسة الأتابكة في حكم الموصل وادارتها فضلاً عن دراسة الأوضاع الحضارية التي شهدتها المدينة في هذا العهد، وعلى النحو الآتي: –

١ – حكم الأتابكة للموصل:

لم تتمكن السلطنة السلجوقية من الابقاء على تلاحمها مدة طويلة من الزمن، فقد انفرط عقد الاسرة الحاكمة غداة وفاة ملكشاه عام ٤٨٥/ ١٠٩٢ وافضى النزاع بين المطالبين بالعرش والوفيات المبكرة بين الامراء السلاجقة ومجيء سلاطين قصّر والتطلع الى توزيع الاقطاعات الى تجزئة السلطنة، وعجل في نهايتها تعيين الأتابكة اوصياءً على ابناء السلطان القُصر ووكلاء على اقطاعياتهم، فرغب هؤلاء – وهو أمر طبيعي – في الحلول محل الامراء السلاجقة، فظهرت نتيجة ذلك العديد من



الأتابكيات الوراثية ، قُدر لبعضها ان يعيش فترة طويلة ، وكان من اشهر هذهِ الأتابكيات هي : الموصل وحلب ودمشق وفارس واذربيجان وغيرها . ولكن اشهرها واطولها عمراً هي اتابكية الموصل .

يعود تأسيس اتابكية الموصل الى عمادالدين زنكي الذي ولاه السلطان السلجوقي محمود الموصل عام ٥٢١ / ١١٢٧ وسلمه ولديه الب ارسلان والخفاجي ليكون اتابكاً لهما – اي أباً مربياً – وفقاً للتقاليد السلجوقية السائدة انذاك ، ومنذ ذلك الوقت سمي زنكي أتابكاً واصبح كل من ولدي السلطان محمود تحت اشرافه المباشر[١] .

كان والد زنكي اقسنقر الحاجب من امراء ملكشاه ولدوره البارز في السلطنة تولى ولاية حلب فأحسن السيرة في اهلها وجعلهم يحبونه[٢] . وبعد وفاة ملكشاه بدأت النزاعات بين اولاده واخوته على السلطنة ولعب اقسنقر دوراً بارزاً في هذا الصراع في البداية بجانب تتش اخو ملكشاه وبعد ذلك بجانب بركيارق ابن ملكشاه ، وذهب ضحية ولائه للأخير على يد تتش الذي استولى على حلب[٣] . وبعد مقتله اصبح ابنه زنكي تحت رعاية بركيارق ويقيم في حلب مع امراء أبيه[٤] .

وعندما عين كربوقا والياً على الموصل سنة ٤٨٩ / ١٠٩٦ احضر زنكي عنده مع امرائه واقطعهم اقطاعات سنية . وظل زنكي ملازماً لوالي الموصل حتى وفاة الأخير سنة ٤٩٥ / ١١٠٢[٥] ، واستمرت علاقة زنكي بولاة الموصل جيدة حيث خدمهم ، واسند إليه اقسنقر البرسقي – والي الموصل وشحنة العراق ، ولاية واسط ثم اضاف اليه البصرة ، وقد اظهر زنكي مقدرة كبيرة في ضبط امور هذه الولاية . كما ساهم في الحرب ضد دبيس بن صدقة المزيدي الذي هاجم بغداد وحاول استباحتها[٦] .

وبعد اقالة البرسقي من شحنكية العراق واقتصاره على ولاية الموصل فقط ، ذهب زنكي الى اصفهان لخدمة السلاطين السلاجقة فبرز هناك اميراً قوياً حازماً ، عاد بعدها الى البصرة والياً عليها . ثم احتاجه السلطان السلجوقي محمود في صراعه مع الخليفة المسترشد سنة ٥١٩ / ١١٢٥ الذي حاول التخلص من نير التحكم السلجوقي فحاصر السلطان بغداد وعاونه زنكي بجلب زوارق كثيرة للحصار وقوة كبيرة من الجيش ، وهذا دفع الخليفة الى الموافقة على الصلح مع السلطان[٧] وقد كافأ السلطان زنكي على خدماته هذهِ بتعيينه سنة ٥٢٠ / ١١٢٦ شحنه على العراق ، ولكن لم يقض فيها الا حوالي اربعة اشهر ثم اصبح والياً على الموصل[٨] .

كانت ظروف توليته على الموصل غريبة ففي سنة ٥٢٠/١١٢٦ اغتال الاسماعيلية والي الموصل اقسنقر البرسقي في جامعها ، وتولى الموصل ابنه عزالدين مسعود إلا انه توفى بعد سنة بصورة غامضة فأصبح اخوه مرشحاً لولاية المدينة ووصيه جاولي الذي استأثر بالحكم واسرع بمراسلة السلطان محمود طالباً منه اقرار ابن اليوسفي على الموصل رعاية لحق والده وخدماته للسلاجقة ، الا أن الوفد الذي ارسله جاولي كان يرى ان المرشح صغير السن لايصلح للولاية وان الولاية بحاجة الى شخص قادر على أدارتها ومواجهة الصعوبات التي تحيط بهذه الولاية ذات الموقع الخطر والقريب من امارة الرها الصليبية ، لهذا عندما التقى الوفد بالسلطان اوصى بولاية زنكي على الموصل فاستجاب السلطان لطلب الوفد[٩] . وبذلك اصدر السلطان محمود منشوراً بتوليه زنكي الموصل والجزيرة وما يفتتحه من بلاد الشام[١٠] وسلمه ولديه الب ارسلان والخفاجي ليكون اتابكاً لهما ولهذا سمي زنكي اتابكاً وامارته أتابكية الموصل .

تسلم زنكي الموصل من الأمير جاولي سنة



٥٢١/١١٢٧ واقطعه الرحبة واعمالها. وشرع زنكي بأخضاع الأقاليم التابعة للموصل وتقرير حكمها واختار لذلك رجالاً اكفاء يثق بهم. وكان عليه ان يكافىء من كان له الفضل في توليه الموصل- اعضاء الوفد المشار اليه اعلاه - فولى نصير الدين جقر- وهو من اخص مماليكه- دزدارية قلعة الموصل وفوض اليه امر جميع ولايته(اي جعله نائباً له). وجعل صلاح الدين الياغسياني امير حاجب والقاضي بهاء الدين الشهرزوري قاضي قضاة بلاده جميعها وما يفتحه من بلاد[١١].

وقد ضبط له هؤلاء شؤون بلاده واستطاع بالتالي ان يتفرغ للحروب وتوسيع رقعة ممتلكاته ويحارب الصليبيين وهو مطمئن على جبهته الداخلية. وشرع زنكي في تثبيت سلطته في المناطق التي خضعت له، وقام بضم ما امكنه من البلاد الجزرية والشامية وخاصة على حساب الامارات والمدن المستقلة المجاورة له في ديار بكر، فقد ادرك انه لايستطيع ان يطمئن في زحفه على بلاد الشام ومجابهة القوى الصليبية فيها الا اذا اخضع هذه الامارات الصغيرة حتى لاتتعرض مؤخرة جيشه لخطر الهجوم عليها، فبدأ بالجزيرة فاستولى على جزيرة ابن عمر وأنتزعها من مماليك البرسقي[١٢]. ثم استولى على نصيبين ثم اربل بعد ذلك. وكذلك استولى على الخابور وسنجار وحران واخيراً دخل حلب ورتب امورها سنة ٥٢٢/١١٢٨[١٣] وبذلك حقق الارتباط بين الموصل وشمالي بلاد الشام مكونا بذلك جبهة قوية.

كما وسع زنكي ممتلكاته بأتجاه الشمال وخاصة في السيطرة على القلاع الكردية التي كانت تشكل خطراً على امارته فاستولى على قلاع الاكراد الحميدية وكذلك على قلاع الاكراد الهكارية[١٤]. وكانت اكبر انجازاته العسكرية هي القضاء على امارة الرها الصليبية.

وبالنظر للأهمية السوقية لمدينة دمشق حاول زنكي ضمها الى ممتلكاته حتى يحقق توحيد بلاد الشام تحت سيطرته، الا أن اهلها وحكامها قاوموا محاولاته هذه.

كانت نهاية زنكي سنة ٥٤١/١١٤٦ وهو يحاصر قلعة جعبر. اذ وثب عليه نفر من مماليكه وقتلوه غيلة وكان نائماً في خيمته وهربوا الى قلعة جعبر.[١٥]

لايعرف سبب اغتيال زنكي وقد يكون غلمان من الاسماعيلية الحشيشية مندسين في صفوف أتباعه، ولاغرابه في ذلك فالموصل التي حاولت توحيد الجهد الاسلامي ضد الصليبيين كانت تشكل خطراً على سلامة الأسماعيلية في بلاد الشام وتخل بالتوازن الذي سعى الاسماعيلية الى اقامته حتى يستطيعوا البقاء ولهذا تعرض حكام الموصل الذين حاولوا توحيد بلاد الشام الى اغتيالات متكررة من الاسماعيلية الحشيشية، فقد قتلوا مودود واقسنقر البرسقي[١٦]. وقد يكون زنكي هو الآخر من ضحاياهم.

استطاع زنكي خلال سني حكمه (٥٢١- ٥٤١/ ١١٢٧- ١١٤٦) ان يوسع ملكه من شهرزور شرقا الى قرب سواحل الشام غرباً ومن آمد وديار بكر وحدود اذربيجان شمالاً الى الحديثة وتكريت جنوبا.

لقد كان ولاشك من أقدر رجالات عصره وتمكن بدهائه وشجاعته وحسن تدبيره تأسيس امارة قوية مهابة الجانب عاشت بعده قرابة القرن من الزمن، وازدهرت الموصل في عهده وتوسعت وسادها الهدوء والرخاء الاقتصادي ولهذا اتخذها الناس دار مقام وكثرت فيها البساتين والثمار والفواكه واصبحت من اعز البلاد.[١٧]

تعاقب على أتابكية الموصل بعد عماد الدين زنكي ثمانية من الامراء وهم:



١- سيف الدين غازي الاول بن عماد الدين (٥٤١- ٥٤٤/ ١١٤٦- ١١٤٩).

٢- قطب الدين مودود بن عماد الدين (٥٤٤- ٥٦٥/ ١١٤٩- ١١٦٩).

٣- سيف الدين غازي الثاني بن قطب الدين مودود (٥٦٥- ٥٧٦/ ١١٦٩- ١١٨٠)

٤- عز الدين مسعود الاول بن قطب الدين مودود (٥٧٦- ٥٨٩/ ١١٨٠- ١١٩٣)

٥- نور الدين ارسلانشاه الاول بن عز الدين مسعود الاول (٥٨٩- ٦٠٧/ ١١٩٣- ١٢١٠)

٦- عز الدين مسعود الثاني بن ارسلانشاه الأول (٦٠٧- ٦١٥/ ١٢١٠- ١٢١٨)

٧- نور الدين ارسلانشاه الثاني بن عز الدين مسعود الثاني (٦١٥- ٦١٦/ ١٢١٨- ١٢١٩)

٨- ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود الثاني (٦١٦- ٦٣١/ ١٢١٩- ١٢٣٣)

بعد مقتل عماد الدين زنكي انقسمت امارته الى قسمين الاول وقاعدته الموصل تولاه ابنه الاكبر سيف الدين غازي (٥٤١- ٥٤٤/ ١١٤٦-١١٤٩). والثاني وقاعدته حلب فتولاه نورالدين محمود (٥٤١- ٥٦٩/ ١١٤٦- ١١٧٤)، وبذلك انفصمت عرى الوحدة بين الولايتين والتي كانت مركز قوة الأب المؤسس[١٨].

أستمر التعاون بين الاخوين خلال مدة حكم سيف الدين غازي القصيرة، وكان هذا الأتابك حازماً وقادراً على الحكم كأبيه فقد تدرب في بلاط السلطان مسعود السلجوقي على الأدارة وملاحظة شؤون الحكم وسياسة البلاد.

ولما اصبح حاكماً على الموصل اخذ يقلد السلاطين السلاجقة في زيه وركوبه واظهار قوته وقد اهتم بجنده وزيهم وكان كريماً سخياً معهم وهذا جعلهم يتعلقون به، وساهم في الحروب ضد الصليبيين الى جانب اخيه. وقد توفى اثر مرض عضال لم يمهله طويلاً.[١٩]

جاء بعده الى الحكم أخيه قطب الدين مودود ابن عماد الدين (٥٤٤- ٥٦٥/ ١١٤٩- ١١٦٩) كان نور الدين محمود يرى نفسه أحق بولاية الموصل من أخيه قطب الدين لهذا هاجم سنجار وحاول الاستيلاء عليها وبعد حصار طويل اتفق الطرفان على أن يحتفظ قطب الدين بسنجار شريطة ان يتنازل لأخيه نور الدين عن حمص والرحبة والرقة. وبذلك أبعد قطب الدين خطر أخيه عن الموصل لأن سنجار قريبة من حاضرة ولايته والأستيلاء عليها تهديد مباشر لمدينة الموصل، ورحل نور الدين الى الشام بعد ان اخذ كل ما كان بسنجار من الأموال والذخائر التي أودعها زنكي في قلعتها حتى أن ابن الأثير يقول "خزائن بيت أتابك جميعها في سنجار".[٢٠] ويبدو أن نور الدين أراد الأموال من مهاجمته لسنجار اكثر من أي شيء آخر لينفق منها على حروبه مع الصليبيين. ويصف ابن الأثير ما أخذه نور الدين من أموال قائلاً "وعاد الى حلب ومعه خزائن سنجار على ستمائة جمل ما خلا البغال وما فرقه على أولاد الملوك والأمراء وستة وتسعين بغلاً محملة ذهباً".[٢١] وبذلك عاد الوئام بين الأخوين وتعاونا في التصدي للصليبيين.

كان قطب الدين حاكماً حسن السيرة محبوباً من أهل الموصل لاشفاقه عليهم وعدالته بينهم ولهذا تحسنت أحوال الموصل في عهده واتسعت عمارتها وتطورت اقتصادياتها، كما كان كريماً مع عماله وموظفيه[٢٢].

وعند مرضه اراد ان يعهد الى ابنه الاكبر عماد الدين- الذي كان مقيماً عند عمه نور الدين محمود، ولكن المدبر لشؤون الدولة فخر الدين عبد المسيح- وكان معادياً لنور الدين- اتفق مع خاتون أبنة حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي زوجة قطب



الدين ان يكون الأمر لأبنها سيف الدين غازي بعد ابيه ، فتم الامر لسيف الدين غازي الثاني (٥٦٥- ٥٧٦ / ١١٦٩- ١١٨٠) وكان هذا حاكماً ضعيفاً وهذا سبب اختياره من قبل فخر الدين عبد المسيح حتى يستبد بأمور الدولة ويتصرف بأموالها . ولم يرض الكثير من امراء الموصل بما آل اليه الامر في البلد فكاتبوا نور الدين يعلمونه بما حصل ويحثونه على التوجه اليهم وتخليصهم من فخر الدين ، وفي مستهل المحرم من سنة ٥٦٦/ ١١٧٠ توجه نور الدين الى الموصل واستولى على البلاد التي في طريقه وتسلم سنجار واعطاها الى عماد الدين ابن أخيه مودود[٢٣] وبذلك تشكلت أتابكية سنجار التي أستمرت حتى سنة ٦١٧/ ١٢٢٠ .

ثم توجه الى الموصل وحاصرها ثم دخلها عنوة وبعد أن اتم سيطرته عليها أمّر سيف الدين عليها إلا انه عين سعد الدين كمشتكين نائباً عنه في القلعة (دزدار القلعة) وأمر سيف الدين ان لاينفرد عنه بقليل أو كثير من الأمور وأقطع نصيبين والخابور لأمراء عسكره[٢٤] .

وقام نور الدين بالعديد من الاصلاحات المالية فاسقط المكوس والضرائب العالية تشجيعاً للتجارة . وكان من جلائل أعماله في الموصل هو بنائه للجامع النوري فيها . وعندما عاد الى بلاد الشام أخذ معه فخر الدين ليبعده عن الموصل[٢٥] . هكذا أدى ضعف سيف الدين وسوء سياسة فخر الدين – عبد المسيح الى نتائج خطيرة على أتابكية الموصل حيث فقدت استقلاليتها واصبحت تابعة لنور الدين فضلاً عن انكماش رقعتها الجغرافية بسبب اقتطاع بعض ولاياتها في الجزيرة ، وفي سنة ٥٦٨ / ١١٧٢ اصبحت تبعيتها لنور الدين رسمية ومعترف بها من قبل الخلافة العباسية حيث أرسل له التقليد بحكم ما بيدهِ "من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل ، وبما في طاعته كديار بكر وما يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلج ارسلان"[٢٦] . وفي نفس السنة زار الموصل وصلى بالجامع الذي كان قد أمر بأنشائه في وسط المدينة ورتب فيه الخطيب والمؤذنين وما يحتاجه من بسط وحصر وغيرها .[٢٧] كل ذلك تأكيداً على تبعية الموصل له .

وقبيل وفاة نور الدين سنة ٥٦٩/ ١١٧٣ أستدعى امراء الموصل والجزيرة للقدوم بجيوشهم الى الشام لحفظه من الفرنج حتى يتوجه الى صلاح الدين في مصر ولكن القدر لم يمهله فتوفى ، وكان سيف الدين غازي على رأس جيشه عندما بلغته وفاة نور الدين ، وبدلاً من ان يقوم بالتوجه نحو حلب للاستيلاء عليها وبالتالي يتحكم ببقية أملاك نور الدين ، نراه يفضل التوجه نحو الجزيرة ليسترد ما سبق أن أخذه منه نور الدين من ولايات فيها ، فعاد الى نصيبين وأستولى عليها وارسل نوابه الى الخابور فأستولوا عليه ، وسار هو الى حران فحاصرها ثم أخذها وأستولى على الرها ثم على سروج والرقة ، ولم يبق في الجزيرة خارجاً عن طاعته سوى قلعة جعبر لحصانتها ورأس عين لأنها كانت بيد قطب الدين صاحب ماردين ابن خال سيف الدين فلم يتعرض له . وقد عاد فخر الدين عبد المسيح من الشام واتصل بسيف الدين واشار عليه بوجوب عبور الفرات والتوجه الى بلاد الشام غير أن سيف الدين أبى ذلك وفضل العودة الى الموصل بعد أن استرد أملاكه التي سلبه أياها نور الدين .[٢٨]

توفي سيف الدين سنة ٥٧٦ / ١١٨٠ وكان مريضاً بالسل وكانت سيرته غير محمودة وسيء التدبير فيه شح وجبن وضعف راي مما أضعف امارته وقلص نفوذها ورقعتها .[٢٩] وبسبب سوء العلاقات بينه وبين أخيه قطب الدين صاحب سنجار وأبن عمها الملك الصالح بن نور الدين محمود وكثرة محاربتهم لبعضهم أدى كل ذلك الى تقدم صلاح الدين وتحكمه بشكل تدريجي في شؤون بلاد الشام



حتى ثبت مركزه وفرض ارادته على ولايتي دمشق وحلب ثم أخذ ينازل الاملاك الزنكية في الجزيرة. [٣٠]

كان سيف الدين قبيل وفاته ميالاً الى ان يعهد بأمر ولايته الى ابنه معز الدين سنجرشاه الذي لم يكن يتجاوز الأثني عشرة سنة من العمر الا أن الأمراء واخاه عز الدين مسعود رفضوا هذا الرأي ووقع الأختيار على عز الدين مسعود ولاشك ان الخوف من تطلعات صلاح الدين الأيوبي لمد سلطانه الى الموصل كانت العامل الأساس في دفع امرائها الى اختيار عز الدين مسعود للولاية. [٣١]

وقد أعطى سيف الدين قلعة عقر الحميدية الى أبنه ناصر الدين وأعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولدهِ معز الدين سنجرشاه[٣٢] – الذي أسس أتابكية الجزيرة والتي أستمرت بالوجود حتى سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠.

كان عز الدين مسعود (٥٧٦ – ٥٨٩ / ١١٨٠ – ١١٩٣) يتصف بالجرأة والأقدام مع خجل وتقلب في الرأي، وسيطر على دولته الأمير مجاهد الدين قايماز – نائب الأتابك – وبسبب التنازع بين الأمراء الأتابكة، تمكن صلاح الدين الأيوبي من بسط سلطانه على بلاد الشام، وأراد ان يحجم قوة اتابكة الموصل فقام بمهاجمة ديار الجزيرة وسيطر على أهم مدنها وقلاعها ثم فرض الحصار على الموصل سنة ٥٧٨ / ١١٨٢، الا ان دفاع أهل الموصل عن مدينتهم أفشل الحصار وقد أدرك صلاح الدين ان الموصل لاتؤخذ بمجرد حصارها لأنها مدينة شديدة التحصين ولكن بأضعاف الولاية والسيطرة على ممتلكاتها وقلاعها بصورة تدريجية لهذا رحل عنها. [٣٣]

أراد عز الدين مسعود أن يتخلص من تحكم نائبه مجاهد الدين قايماز لهذا القى القبض عليه وسجنه سنة ٥٧٩/١١٨٣، وكان نواب قايماز مسيطرين على ولاية أربل وشهرزور ودقوقا وجزيرة ابن عمر وقلعة عقر الحميدية، فلما قبض عليه امتنع نائبيه في اربل وجزيرة ابن عمر وأعلنا تبعيتها لصلاح الدين الأيوبي كما أرسل الخليفة الناصر لدين الله جيشاً الى دقوقا فحصرها وأخذها، ولم يبق لعز الدين مسعود غير شهرزور وعقر الحميدية. [٣٤]

وعلى الرغم من اضطرار عز الدين الى اخراج قايماز من السجن واعادته الى ما كان عليه الا أن الولايات التي كانت تحت سيطرته وادارته خرجت عن طاعة الأتابكة. وبالتالي ضعفت الولاية بسبب هذا الخلاف. وقد أفاد صلاح الدين الأيوبي من هذه الفرصة في سنة ٥٨١/١١٨٥ وقام بفرض الحصار على الموصل ثم غادرها بعد شهر من الحصار الى خلاط ثم توجه ثالثة اليها فنزل في كفر زمار واحاط جنده بالموصل وقد جرت مراسلات بين الطرفين لحسم أسباب النزاع، فأرسل اهل الموصل وفداً مكوناً من بهاء الدين الربيب والقاضي بهاء الدين بن شداد الذي فُوِّضَ اليه امر التوقيع على شروط الصلح وتحليف صلاح الدين الأيوبي لمسعود. [٣٥] وبعد مفاوضات مضنية استطاع وفد الموصل الحصول من صلاح الدين الأيوبي على جزيرة ابن عمر مقابل تسليمه بلاد شهرزور واعمالها وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب من اعمال، ويخطب له في جميع بلاد الموصل وتقطع خطبه السلاطين السلاجقة، كما ضربت السكة باسمه. [٣٦]

بهذه الصورة أصبح اتابك الموصل احد نواب صلاح الدين وتابعاً من اتباعه وبذلك ضعفت أتابكية الموصل وتقلص ظلها.

وعند وفاة صلاح الدين في سنة ٥٨٩/١١٩٣ بدمشق سادت الفوضى بلاد الشام والجزيرة نتيجة النزاعات بين افراد البيت الأيوبي على السلطة والحكم بين أولاد صلاح الدين وعمهم الملك العادل، فحاول عز الدين مسعود استغلال هذه



الفرصة من اجل استعادة البلاد الجزرية. الا أنه مرض وهو يحاصر نصيبين في نفس السنة فعاد الى الموصل وتوفى فيها.[٣٧]

كان عز الدين رجلاً محبوباً من الناس كثير الخير متديناً أدى فريضة الحج ولبس خرقة التصوف، الا انه كان ضعيف الرأي غير قادر على تدبير شؤون امارته بنفسه مما جعله يعتمد اعتماداً كلياً على نائبه مجاهد الدين قايماز، وعندما حاول التخلص منه انتفضت البلاد عليه مما أدى الى اعادته الى الحكم، وهكذا كان متذبذب الرأي فيه ضعف ولين جانب ويصفة ابن الأثير بأنه كان خجولاً حتى من أصغر اتباعه.[٣٨]

جاء بعده ابنه نور الدين أرسلانشاه (٥٨٩- ٦٠٧/ ١١٩٣- ١٢١٠) الى الحكم، ولعب الامير مجاهد الدين قايماز ومجد الدين ابن الأثير- الوزير- دوراً بارزاً في وصوله الى الحكم. وفي عهد نور الدين قامت العديد من الحروب بينه وبين الأيوبيين، فقد حاول نور الدين استغلال الصراع القائم بين اولاد صلاح الدين وعمهم الملك العادل لأستعادة نفوذه في الجزيرة والشام، ولكن هذه الحروب لم تؤدِ الى نتيجة إيجابية بل أضعفت الأتابكة والأيوبيين في آن واحد واشغلتهم عن الصليبيين، وفي سنة ٦٠٧/ ١٢١٠ توفى نور الدين بعد أن أشتد به المرض. وقد أوصى بالملك من بعده لأبنه الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني (٦٠٧- ٦١٥/ ١٢١٠- ١٢١٨) وكان عمره عشر سنين وجعل الوصي عليه مملوكه الأرمني بدر الدين لؤلؤ. لم تكنُ سيرة نور الدين محمودة فقد كان متجبراً سفاكاً للدماء وسيء التدبير، أراد حماية ولديه لهذا زوجهما من أبنتين من بنات مظفرالدين كوكبوري- صاحب اربل.[٣٩]

ولما توفى نور الدين كتم بدر الدين أمر موته ودبر الامر واحكم ما أراد وحلف الجند وأرباب الحكم لعز الدين مسعود وارسل الى الخليفة الناصر لدين الله يطلب التقليد له، كما كاتب ملوك الاطراف يطلب منهم تجديد العهد على ما كانوا عليه زمن ابيه فجاء التقليد من الخليفة على ان يدبر أمره بدر الدين لؤلؤ.[٤٠]

بعد ان تم لبدر الدين ما يريد حجر على القاهر واشغله بملذاته وشهواته وأبعده عن الحكم، ولم يبق له سوى الاسم. وقد إتبع بدر الدين مختلف الأساليب لتثبيت حكمه. فكان يحسن أمر من يتوسم فيهم المعونة والاخلاص له. وكان يتبع طريق القتل والأنتقام ممن يخشى منهم على سلطته ولايتقيد بأي مبدأ ديني او اخلاقي في حكمه.[٤١]

دام حكم القاهر ثمان سنوات وتوفى سنة ٦١٥/ ١٢١٨ ويبدو انه مات مسموماً حتى يتخلص منه لؤلؤ.[٤٢]

وعهد القاهر بالحكم الى ابنه نور الدين أرسلانشاه الثاني (٦١٥- ٦١٦/١٢١٨- ١٢١٩) وكان صبياً وأوكل الى بدر الدين القيام بامور الأمارة جميعها. فأرسل الأخير الى الخليفة في بغداد يطلب التقليد والتشريف وأرسل الى أمراء المدن المجاورة يطلب منهم تجديد العهد لنور الدين كما كان الامر في عهد ابيه القاهر وحصل على ذلك.[٤٣]

كان عماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلانشاه يطمع بان يكون له الحكم بالموصل بعد وفاة اخيه القاهر باعتباره كبير البيت الأتابكي، وكان يرى انه احق بالملك من ابن اخيه القاهر، إلا ان بدر الدين كان يدرك انه ليس من مصلحته أن يتولى الحكم رجل راشد وقوي يستطيع تدبير شؤون الامارة بنفسه فوقف في وجه عماد الدين، وعمل على ابعاده عن الموصل ليتفرد بالسلطة.[٤٤] وقد تحالف عماد الدين مع مظفر الدين كوكبوري ضد بدر الدين تحوطاً لما يدبره الاخير من مصير مؤلم



للطفل الحاكم، فجهز عماد الدين حملة كبيرة احتل بها العمادية وبقية قلاع الاكراد الهكارية والزوزان، وقد فاوض بدر الدين الملك الاشرف بن الملك العادل الايوبي يطلب منه ان يدخل في طاعته على ان يعاونه ضد عماد الدين ومظفر الدين فقبل الملك الاشرف بهذا، وأصبح بدر الدين تابعاً له وضرب السكة باسمه. وقد أرسل بدر الدين حملة الى العقر واحتلها وانهزم عماد الدين الى اربل، وبعد مراسلات بين الخليفة والملك الاشرف وتدخل الخليفة بالتوسط لاقرار الصلح بين الأطراف المتنازعة، فتحقق الصلح وهدأت الأحوال الى بدر الدين. فقضى على الطفل بعد أقل من سنة من حكمه سنة ٦١٦/ ١٢١٩.[٤٥] بعد مقتل نورالدين لم يبق من أولاد القاهر غير طفل صغير لايتجاوز عمره الثلاث سنوات هو ناصر الدين محمود (٦١٦ - ٦٣١/ ١٢١٩ - ١٢٣٣) فجمع بدر الدين الجيش وأعيان الموصل وحلفهم بالطاعة له وأرسل الى الخليفة يطلب التقليد والتشريف لهذا الحاكم[٤٦]. وعلى الرغم من محاولة مظفر الدين كوكبوري حاكم أربل، وعماد الدين زنكي، أخي القاهر، استعادة مُلْك الأتابكة وازاحة بدر الدين إلاّ أن الاخير استطاع بمساعدة الملكْ الأشرف ان يبطل مساعيهما، وفي سنة ٦٣٠/١٢٣٢ توفي مظفر الدين كوكبوري. جد ناصر الدين محمود لأمه - فصفا الجو لبدر الدين لؤلؤ ليقضي على ناصر الدين فقتله شر قتله، يقال أنه منعه من الطعام حتى توفي، كما منعه من الزواج حتى لايخلف ولداً يرثه. كما قضى على نفوذ الأتابكة في الموصل وطمس معالم إرثهم من مدارس ودور حديث وأربطة كما غَرّقَ وقتل بعض افراد الاسرة الأتابكية.[٤٧]

وبعد وفاة ناصر الدين محمود أرسل بدر الدين لؤلؤ الى الخليفة المستنصر بالله هدايا كثيرة والتمس منه تقليد الموصل فأرسل الخليفة سنة ٦٣١/ ١٢٣٣ الأمير بدر الدين سنقرجاه الظاهري - أمير أخور الخليفة - الى الموصل ومعه خلعة السلطنة وتقليد لبدر الدين لؤلؤ مع فرس بكافة تجهيزاتها ولَقَب المَلِك المسعود وأذن له بذكر اسمه على المنابر ببلده ونَقَشَهُ علــى سِكة العين والورق.[٤٨]

وقد سعى بدر الدين الى تقوية علاقته بالخلافة العباسية عن طريق ارسال الهدايا والانتساب في الفتوة الى الخليفة، وكذلك عن طريق المصاهرة فقد زَوّجَ إحدى بناته بالدويدار الكبير ابي شجاع الطبرسي، وكان حظياً عند الخليفة في سنة ٦٢٤/١٢٢٧، وزَوّج ابنة اخرى من الدويدار الصغير سنة ٦٣٢/١٢٣٥[٤٩] ويقول عنه الذهبي "كان يغدق على القُصّاد اموالاً وافرة، ويداري الخليفة من وجه، والتتار من وجه، وملوك الاطراف من وجه، فلم ينخرم مُلْكَهُ ولم تطرقه آفة".[٥٠]

اتبع لؤلؤ هذه السياسة المتلونة - الميكافيلية - في تعامله مع أهل الموصل، فهو من ناحية يتساهل مع بعض علماء الدين الّذَينْ كانوا يعارضونه ويكثرون من انتقاده كالزاهد المفسر موفق الدين احمد بن حسن بن رافع الكواشي،[٥١] ولكنهُ يتصدى وبكل ضراوة للطريقة العدوية ويحاول التخلص منها فيلقي القبض على زعيمها الشيخ حسن حفيد أخي عدي بن مسافر الأموي - مؤسس الطريقة، وعلى مائة من اتباعه، ويقتلهم على اعتبار ان الشيخ حسن يسعى لاقامة دولة اموية، وقد انتشرت هذه الطريقة بين الأكراد السنة في اطراف الموصل، وربما كان سبب وجودها انتشار نوع من محاولة احياء السنة، وايجاد حل سياسي للفوضى التي كانت تعيشها المنطقة من تجزئة وضعف وتخاذل تجاه الاعداء الخطرين على الاسلام، المغول والصليبيين.[٥٢] ومعارضة لهذه الطريقة واهدافها يقوم بدر الدين بالتحول الى المذهب الشيعي كسباً لرضى العلويين من ناحية،



وترضية لعناصر مهمة في بغداد من ناحية اخرى كالوزير ابن العلقمي والدويدار الكبير - زوج ابنتهُ ، والأمير جمال الدين قشتمر من كبار امراء بغداد ، كما انِ عارض الجيش في عهد المستنصر كان من العلويين. [٥٣] ولذلك قام بتجديد أضرحة بعض المشاهد لابناء آل البيت ، واقام قبوراً لبعضهم في المدارس التي شيدها الاتابكة ، كما بنى بعض المشاهد الفخمة في المدينة وزوقها واتخذها مراكز للدعوة المذهبية. [٥٤] كما انه استغل وجود جالية مسيحية مهمة في المدينة وبعض القرى المجاورة فحاول استمالتها وقام بالاحتفال بعيد الشعانين وأنفق عليه الكثير من الأموال. [٥٥]

اما موقفه من المغول فقد تطور مع تغير الظروف فعندما كان وجودهم ضعيفاً وهاجموا حدود العراق سنة ٦١٧ / ١٢٢٠ دافع عن اربل مع مظفر الدين كوكبوري ، كما كان يكاتب الخليفة باخبارهم ويحذره من اهمال أمرهم [٥٦] . ولكن موقفه هذا تغير فيما بعد ، في سنة ٦٣٤ / ١٢٣٧ حاصر المغول أربل وحاولوا أخذها فاستعانوا ببدر الدين لؤلؤ فامدهم بما لزمهم من ميرة وآلة وغيرها [٥٧] . وزيادة في تبعيته للمغول نلاحظ انه يضرب : ألقابهم على فلوسه النحاسية حيث ورد اسم القاآن الذي هو اوكتاي مع حذف اسم الخليفة من العملة [٥٨] .

وقد جرأتْ هذهِ الطاعة بدر الدين الى الاستمرار بالتظاهر بها حتى اصبحتْ حقيقة لا يستطيع التراجع عنها ، وبخاصة وان الوجود المغولي اخذ يتعزز في بلاد ايران ، والخلافة العباسية لا تستطيع أنه تُحركْ ساكناً لاثبات وجودها لهذا إستمر بتبعيتهِ لهم ففي سنة ٦٤٢ / ١٢٤٥ اصبح وكيلاً لهم في جباية الاموال وفرض الأتاوات على الحكام المسلمين في الجزيرة وبلاد الشام. فارسل القاضي زكي الدين بن محيي الدين الى الشام يطلب منهم أن يجمعوا للمغول مائتي الف دينار جزيةً على الغني دفع عشرة دراهم وعلى الوسط خمسة دراهم وعلى الفقير درهم واحد [٥٩] . كان هذا اعترافاً صريحاً منه بتبعيته للمغول ، كما عاونهم في محاربة دياربكر وبعض بلاد الشام.

وعند جلوس كيوك خان على عرش المغول سنة ٦٤٣ / ١٢٤٦ ارسل بدر الدين رسولاً لحضور هذهِ المناسبة واعلان الولاء للمغول مع هدايا مناسبة [٦٠] . وفي سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ عندما تولى منكوقان الخانية ارسل بدر الدين رسولاً معلناً الولاء للمغول مع هدايا كثيرة وقد ارجع منكوقان الرسول «أعاده باعزاز بالغ ، وشمل بدر الدين لؤلؤ بعطفه ورعايته ، وارسل اليه البرليغ والبايزة» [٦١] ، ومما يؤكد هذه التبعية هو ظهور اسم منكوقان على الدنانير الذهبية المضروبة في الموصل سنة ٦٥٢ / ١٢٥٤ ولذلك فان اسم الخليفة محذوفاً منها [٦٢] وعند قدوم هولاكو الى العراق لمهاجمة بغداد سارت فرقة من جيشه المرابط في بلاد الروم عن طريق اربل - الموصل ليعبر جسر الموصل لمحاصرة بغداد الغربية ، وقد ارسل بدر الدين لؤلؤ الف جندي بقيادة ابنه الملك الصالح اسماعيل ليشارك في حصار بغداد ومعه الهدايا والذخائر والعتاد [٦٣] . الا ان هذهِ الامدادات وصلت متأخرة مما أغضب هولاكو لهذا لم يحسن مقابلة الملك الصالح متهماً اباه بالمراوغة وعدم الصدق [٦٤] . وبعد ان احتل هولاكو بغداد وقتل من قتل من أهلها ارسل رؤوس الدويدار الصغير - وهو اكبر الامراء في بغداد وزوج ابنه لؤلؤ، وابن الدويدار الكبير - حفيد لؤلؤ - وراس سليمانشاه الايفاوي - وكان من اخلص اصدقاء بدر الدين لؤلؤ، مع الملك الصالح فحملها الى الموصل وعلقها ظاهر السور ارهاباً لبدر الدين واهل الموصل [٦٥] .

وبعد انسحاب هولاكو الى اذربيجان استدعى بدر الدين لمقابلته ، فجاء على عجل ووصل المعسكر خارج مدينة مراغه في التاسع



والعشرين من رجب سنة ٦٥٦/ ١٢٥٨ فشمله هولاكو بالتكريم ثم اعاده الى بلاده في السادس من شعبان من نفس السنة(٦٦) . وبعد عودته من زيارة هولاكو بفترة وجيزة توفى وكان عمره قد تجـاوز الثمانين سنة(٦٧) . بعد ان حكم الموصل نصف قرن من الزمن ، فتوزع ابناؤه الامارة من بعده ، فخلفه على الموصل ابنه الكبير الصالح اسماعيل ، بينما تولى ابنه الثاني ، علاء الدين حكم سنجار وسيف الدين اسحق تولى حكم جزيرة ابن عمر ، وقد أقرَّ هولاكو هذهِ التقسيمات(٦٨) . وعلى الرغم من مساعدة الملك الصالح للمغول في احتلال جزيرة ابن عمر وامد ودنيسر ونصيبين وحران(٦٩) . الا ان علاقة اولاد بدر الدين بالمغول بدأت تتأرجح وزادها تغيراً هو انتصار المماليك في معركة عين جالوت وطرد المغول من بلاد الشام. لذا نرى علاء الدين صاحب سنجار يلتحق بالشام ويصبح حاكماً على حلب ثم يراسل اخاه الصالح للاقتداء به. وقد عجل في موافقة الملك الصالح وقـوع احـدى رسائل اخيه اليه بيد المغول الذين كانوا يختلقون له ذنوبـاً للتخلص منه كما ان الرأي العام في الموصل كان ميالاً الى الخروج عن طاعة المغول ، ولهذا قاوم اهل الموصل الحصار الذي فرض عليهم مقاومة ضارية استمرت اثني عشر شهراً(٧٠) ، على الرغم من ان المساعدات التي تعهد بيبرس بارسالها لم تصل الى الموصل ، وبذلك واجهت الموصل مصيرها وحيدة بينما كانت جيوش المغول تزداد قوة وعدداً بقيادة سنداغونوين ، والذي فت في عضد اهل الموصل هو انعدام الاقوات في المدينة ، ولما رأى القائد المغولي ان القتال لا يجدي نفعاً اخذ بمراسلة الصالح باذلاً له ولأهل المدينة الوعود بالحفاظ على حياتهم اذا استسلموا للمغول ، ويصف اليونيني عملية تسليم البلد للمغول بقوله «... فجمع الصالح اهل البلد والاجناد وشاورهم فاشاروا عليه بالخروج فقال انكم تقتلون لا محالة وأُقتل بعدكم فصمموا على خروجه ، فخرج اليهم يوم الجمعة خامس عشر شعبان من سنة ٦٦٠ (١٢٦٢) بعد الصلاة وقد ودع الناس ولبس البياض فلما وصل اليهم احتاطوا به ووكلوا عليه وعلى من معه وحملوه الى الجوسق ، ورسم عليه وكان معه شمس الدين الباعشيقي بالدخول الى البلد فدخل ومعه الفرمان ونادى في الناس بالامان ، فظهر الناس بعد اختفائهم وشرع الناس والتتر في خراب الاسوار ، فلما اطمأن الناس واشتروا وباعوا دخلوا التتر البلد واجالوا السيف على من فيه تسعة ايام...»(٧١)

هكذا احتل المغول المدينة وقتلوا سكانها بحد السيف ودون مراعاة للعهود التي قطعوها على انفسهم ، واسروا بعض ارباب الحرف والصنائع بحيث لم يبق احد في الموصل ، فلما رحل المغول عن المدينة خرج ما يقرب من الف شخص من بين الجبال والمغارات وتجمعوا(٧٢) .

اما مصير الملك الصالح اسماعيل فقد حمل الى مراغه في اذربيجان فامر هولاكو «بأن يدخل جسمه في الدهن (الليه) ويربط عليه باللبد والحبال باحكام ، ويلقوا به في شمس الصيف القائظ فاستحالت الليه بعد اسبوع الى ديدان اخذت تلتهم جسم ذلك التعس حتى فاضت روحه الغالية بعد شهر من ذلك البلاء ، ثم بعثوا بابنه – علاء الملك – الذي كان في الثالثة من عمره الى الموصل ليقدوه نصفين على ساحل دجلة ، وعلى سبيل الاعتبار علقوا جثته على الجانبين حتى تعفنت وتناثرت»(٧٣) .

وهكذا اصاب الموصل ما اصاب بغداد من قبل على يد المغول ، وانقرضت اسرة بدر الدين لؤلؤ. والحقت الموصل بالحكم المغولي المباشر حيث سلمها المغول الى شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي(٧٤) مكافأة له على موالاته لهم وغدره وخيانته لصاحبه وولي نعمته الملك الصالح.

[٢- علاقة الأتابكة مع الخلافة العباسية والامارات الاسلامية]

أ- علاقتهم بالخلافة العباسية :-

كان الاتابكة كبقية الامراء المسلمين يرتبطون بالخليفة العباسي برابطة الولاء الروحي ، فكانوا يعترفون بسلطانه ويتوجهون اليه للحصول على تفويض بالحكم ليسبغوا على هذا الحكم شرعية اصبحت من المستلزمات الضرورية في نظر شعوبهم وخاصة الفقهاء منهم ، فكان الأتابك عند تسلمه الحكم يحرص على الحصول على تقليد من السلطان السلجوقي والخليفة العباسي ، واصبح من العادة الجارية عند وفاة الاتابك ان يقوم خلفه بمراسلة دار الخلافة للحصول على التقليد والتشريف بالحكم [٧٥] ، ومقابل ذلك كان يذكر اسم السلطان والخليفة على السكة وفي الخطبة .

تذبذبت العلاقات بين زنكي والخلافة العباسية ولكنها كانت بصورة عامة جيدة . فقد ساعد الخليفة المسترشد (٥١٢- ٥٢٩ سنة ١١١٨- ١١٣٤) زنكي في تثبيت سلطته على الموصل بعد ان قرر السلطان السلجوقي محمود سنة ٥٢٣/ ١١٢٩ عزل زنكي عن الموصل واعطائها لدبيس بن صدقة فتدخل الخليفة لصالح زنكي [٧٦] . وعند وفاة السلطان محمود سنة ٥٢٥/ ١١٣١ ارسل زنكي الى الخليفة يطلب منه انه يقيم الخطبة ببغداد للملك السلجوقي الب ارسلان بن محمود- وهو احد الملكين اللذين انيطت بزنكي مهمة الاشراف على تربيتها ، الا أن الخليفة اعتذر عن ذلك لصغر سن هذا المرشح [٧٧] . هكذا افلتت فرصة ذهبية من يد زنكي كان يمكن ان تتيح له مجالات جديدة من النفوذ والهيمنة اذا ما نصب سلطاناً يكون واقعاً تحت نفوذهِ وسيطرته . ولكن سرعان ما تدهورت العلاقة بين الطرفين لان زنكي إنحاز الى جانب السلاجقة ضد الخلافة العباسية اولاً مع مسعود الذي طالب بالسلطنة وثانياً مع سنجر الذي طالب ايضاً بالسلطنة يعاونه في ذلك دبيس ابن صدقة ، وقد هاجما بغداد وحاصراها الا أن الخليفة استطاع ان ينظم الدفاع عنها ويدحر الحليفين ويمنعهما من دخول بغداد كما ان نائب الخليفة منع دبيس من استعادة الحلة مقر امارته القديمة [٧٨] .

ازدادت علاقة زنكي سوءاً بالخليفة نتيجة قدوم رسول من الخليفة سنة ٥٢٧ / ١١٣٢ ينحي باللائمة على زنكي بسبب مواقفه السابقة من الخليفة ، وقام الرسول بالاغلاظ لزنكي ثقة منه بقوة الخليفة ومكانته ، الا أن زنكي امر بالقبض عليه واحتجازه ومعاقبته على ماصدر منه [٧٩] . وقد غضب الخليفة من هذا التصرف ووجدها فرصة لتوجيه ضربة انتقامية لزنكي وتوسيع املاكه شمالاً مستغلاً انشغال السلاجقة بالحروب مع بعضهم ، فوصل الخليفة على رأس جيش قوامه ثلاثون الف مقاتل وضرب الحصار على الموصل الا ان المدينة التي كان زنكي قد غادرها وعهد بمهمة الدفاع عنها الى نائبه نصير الدين جقر ابلت بلاءً حسناً في الدفاع عن نفسها وقد استمر الحصار ثمانين يوماً ، الا أن الخليفة إضطر الى رفع الحصار والعودة الى بغداد بعد ان وصلت الانباء عن عزم السلطان مسعود استغلال غياب الخليفة عن بغداد للقدوم اليها والسيطرة عليها بالتعاون مع دبيس فعاد الخليفة على عجل وبذلك تخلص زنكي من خطر جسيم كاد ان يعصف بآماله ومنجزاته التي دأب سنين طويلة على تحقيقها [٨٠] .

وفي سنة ٥٢٨ / ١١٣٣ تم التصالح بين زنكي والخليفة فقد ارسل زنكي مبلغاً من المال ومجموعة من الهدايا الثمينة معرباً بذلك عن طاعته للخليفة [٨١] . وعندما شب النزاع بين الخليفة



ومسعود حاول الخليفة الاستعانة بزنكي إلا أن هذهِ المحاولة لم تنجح لأن مسعوداً انتصر على الخليفة وأسره، تم قتله الباطنية حسب ادعاء السلاجقة، وليس من المستبعد أن يكون مسعود قد وضع هؤلاء الباطنية (الاسماعيلية الحشيشية) للتخلص من خليفة سبب له الكثير من المتاعب[82]. ولكن الخليفة الجديد الراشد بالله (٥٢٩- ٥٣٢/ ١١٣٤- ١١٣٧) لم يكن أحسن حالاً في علاقته بالسلاجقة من سلفه، فقد كان الخليفة يرغب ايضاً بالتحرر من السيطرة السلجوقية، لهذا قام باستدعاء زنكي عام ٥٣٠/ ١١٣٥ واتفق معه على اعلان الخطبة لألب ارسلان المقيم في الموصل، وقد انضم الى هذه الجبهة المناهضة لمسعود العديد من الامراء[83]. إلا أن هؤلاء الامراء سرعان ما انفضوا عن الخليفة بسبب سوء سياسته تجاههم وتقلب ارائه مما ادى الى تدهور الأوضاع في بغداد وزادها سوءاً قدوم مسعود ومحاصرته لها، فرحل الراشد عن بغداد بصحبة زنكي الى الموصل، ودخل مسعود بغداد وخلع الراشد وبايع للمقتفي (٥٣٢- ٥٥٥/ ١١٣٧- ١١٦٠) خليفة بدلاً عنه، وسرعان ما انحاز زنكي الى الجانب الاقوى ووجد مصلحته في مشايعة الخليفة الجديد فتخلى عن الراشد وبايع للمقتفي ولذلك طلب منه زنكي مغادرة الموصل، فغادرها الى بلاد ايران وبالقرب من اصفهان اغتاله الباطنية في اواخر رمضان من سنة ٥٣٢/ ١١٣٧[84].

بعودة العلاقات بين زنكي ومسعود الى حالتها الطبيعية فقد اصبحت علاقته بالخليفة المقتفي ودية، ساعد على ذلك السياسة المسالمة التي انتهجها الخليفة تجاه السلاجقة وقد تعمقت العلاقات الودية بين الخليفة وزنكي بعد سيطرة الاخير على امارة الرها الصليبية وتحريرها من يد الغزاة الاجانب، وكان من نتيجة ذلك ان منحه الخليفة عدداً كبيراً من الألقاب الشرفية كالأمير الكبير، العادل، المؤيد، المظفَّر، المنصور[85].

لقد كان زنكي يتمتع باستقلال كبير في سياسته تجاه السلاجقة والخلافة العباسية. وكان لهذه السياسة اثرها المبالغ على الاحداث التي دارت في العراق وعموم المنطقة. وبعد مقتل عماد الدين تولى ابنه سيف الدين غازي ادارة الموصل، وكانت علاقة هذا الامير بالسلاجقة جيدة لأنه تربى في بلاط السلطان مسعود وبالتالي كانت علاقته ببغداد ودية.

وفي عهد قطب الدين مودود (٥٤٤- ٥٦٥/ ١١٤٩- ١١٦٩) لعبت الموصل دوراً مهماً في الصراع على السلطة بين السلاجقة والخلافة العباسية، وقد تدهورت العلاقات بين قطب الدين مودود والخليفة المقتفي، فقد خرج قطب الدين عن طاعة الخليفة عندما اتفق مع السلطان محمد ضد سليمان شاه الذي حظي بتأييد الخليفة له واعترافه به في سنة ٥٥١/ ١١٥٦ سلطاناً[86]، وقام الخليفة بقصد اعمال الموصل فهاجم (دقوقا) وحاصرها الا انه اضطر الى رفع الحصار عندما بلغه مسير عسكر الموصل نحوه لقتاله في سنة ٥٥٢/ ١١٥٧[87] وقد شاركت جيوش الموصل مع جيش محمد في حصار بغداد إلا أن الدفاع المجيد الذي أبداه الخليفة واهل بغداد أفشل الحصار وجعل الحلفاء يختلفون وينسحبون عن بغداد وبالتالي فشلت محاولة ارغام الخليفة على تعيين محمد سلطاناً على السلاجقة[88]. ولهذا فقد بارك الخليفة المستضيئ (٥٦٦- ٥٧٥/ ١١٧٠- ١١٧٩) قدوم نور الدين محمود وحصاره للموصل وارسل له خلعه وصلته قبل دخوله البلد[89].

وعند ظهور صلاح الدين في بلاد الشام ومحاولته ضم الموصل الى الجبهة التي حاول تشكيلها ضد الصليبين، فان محاولته هذهِ أقلقت الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥- ٦٢٢/ ١١٧٩- ١٢٢٥) الذي كان يرى في صلاح الدين قوة قد



تفرض نفسها عليه وبالتالي يصبح اسيراً لها كما كان اسلافه اسرى البويهيين والسلاجقة ولهذا فان الخليفة يسارع الى التوسط بين صاحب الموصل عز الدين مسعود وصلاح الدين لاقرار الصلح وحقن دماء المسلمين تلبية لنداء حاكم الموصل في سنة ٥٧٨ / ١١٨٢ [٩٠] ولكن الخليفة اقدم سنة ٥٧٩ / ١١٨٣ الى مهاجمة دقوقا التابعة للموصل وضمها الى املاكه مستغلاً اضطراب احوال الموصل بعد القبض على نائب الاتابك [٩١] قايماز. ثم تعود العلاقات الودية بين الخليفة والاتابكة، ففي سنة ٦٠٦ / ١٢٠٩ ارسل كل من نور الدين أرسلان شاه ومظفر الدين كوكبوري – صاحب اربل الى الخليفة الناصر يلتمسان منه التدخل في إقرار الصلح بينها وبين الملك العادل الأيوبي الذي كان يحاصر سنجار فأرسل الخليفة وفداً الى العادل ابلغه رغبة الخليفة في إقرار الصلح حقناً لدماء المسلمين فاستجاب العادل لنداء الخليفة ورحل عن سنجار [٩٢].

وفي سنة ٦٠٧ / ١٢١٠ ارسل الخليفة الخلع والتقليد للملك القاهر في حكم الموصل وذلك بناءً على طلب بدر الدين لؤلؤ [٩٣].

وبعد وفاة القاهر سنة ٦١٥ / ١٢١٨ وصل التقليد من الخليفة لنور الدين ارسلان شاه الثاني بالولاية ولبدر الدين بالنظر في امور دولته مع التشريفات لهما. [٩٤]

وقد حاول بدر الدين ادامة صلاته بالخلافة، فأرسل سنة ٦٣٣ / ١٢٣٦ ابنه ركن الدين اسماعيل الى بغداد فاستقبل استقبالاً رسمياً حافلاً وخلع عليه وعلى الامراء المصاحبين له، وقام بزيارة اخته زوجة الدويدار الكبير حيث اقيمت له دعوة خاصة وتفقد في هذه الزيارة العديد من الربط والمدارس منها المدرسة المستنصرية حيث حضر بعض دروسها، وقد دامت زيارته لبغداد قرابة الشهر [٩٥].

وفي سنة ٦٤٠ / ١٢٤٢ وصل ركن الدين بمناسبة وفاة الخليفة المستنصر بالله الى بغداد فخرج الى لقائه الامراء وعارض الجيش فسلموا عليه فدخل بغداد وعليه ثياب العزاء وقَبَّلَ العتبه بباب النَوبي، ودخل دار الوزارة فخدم وعزى وهنأ ثم خرج ومضى الى دار سكن بدرب صالح [٩٦]. وبعد اسبوع من وصوله جاء من بدر الدين رسول ومعه تعزية وتهنئة وثوبان اطلس والف دينار برسم الغاسل [٩٧].

كما كان حريصاً على الاهتمام بالفتوة وبجوانبها الاحتفالية من رمي الطيور بالبندق ولبس سراويل الفتوة مراعاة لموقف الخلفاء العباسيين من الفتوة والاهتمام بنشرها بين الناس [٩٨]. وهكذا اهتبل بدر الدين لؤلؤ كل فرصة لتعزيز علاقته ومكانته في البلاط العباسي مظهراً تبعيه وتعلقاً زائفاً. كل ذلك تغطيه لعمالته للمغول وسيره في ركابهم حفاظاً على حكمه وسلطته ونفوذهِ لا غير.

ب – علاقتهم بالامارات الاسلامية

شهد القرن السادس الهجري في اقليم الموصل وشمالي الشام والجزيرة ظهور امراء شبه مستقلين لا تتعدى سلطة الواحد منهم المدينة الواحدة مع اراضي محدودة، وكانوا عرضة للتبدل والتغير بين حين وآخر، اذا ما ظهر أمير قوي يستطيع ان يكتسحهم، لهذا لم تشهد هذهِ المدن حكماً وراثياً مستقراً طويل المدى. وقد وجد زنكي الفرصة سانحة امامه للتوسع على حساب هذهِ المدن وتكوين امارة قوية واسعة.

فما أن أصبح زنكي اتابكاً لاولاد السلطان محمود حتى سيطر على البوازيج عند مصب الزاب الاسفل [٩٩] ثم توجه بعد ذلك الى جزيرة ابن عمر واستولى عليها ثم الى نصيبين فضمها الى ممتلكاته. وفي سنة ٥٢٢ / ١١٢٨ استولى على حلب ذات الموقع السوقي الممتاز في شمال بلاد الشام لحصانتها



من ناحية وامكانياتها الاقتصادية ووقوعها على خطوط المواصلات بين العراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى من جهة ثانية ، واصبحت قاعدة عسكرية رئيسة لا يمكن بدونها التحكم في الجهات الشمالية والوسطى من بلاد الشام(١٠٠) واتخذ من حلب قاعدة انطلاقه للسيطرة على المدن والولايات القريبة منها. ففي سنة ٥٢٣/ ١١٢٩ استولى على حماة(١٠١) ثم مَدّ نفوذه الى سنجار والخابور وحران(١٠٢) . وفي سنة ٥٢٦/ ١١٣٣ تسلم مدينة اربل(١٠٣) . ثم استولى على دقوقا وشهرزور والحديثة وعانه(١٠٤) ، وعند محاصرته لقلعة جعبر سنة ٥٤١/ ١١٤٦(١٠٥) قتل تحت اسوارها .

بقيت امام زنكي امارات محلية في ديار بكر كان عليه ان يستولي عليها حتى تتوحد المنطقة تحت قيادته.

فقام بالهجوم على ديار بكر عام ٥٢٣/ ١١٢٩ وكانت نصيبين التابعة للاراتقة هدفه الاول واستطاع ان يتسلمها بعد حصار قصير وبعد ذلك سيطر على حصون عديدة كانت تابعة للاراتقة.(١٠٦)

كما توسع عماد الدين في المناطق الشمالية من الموصل فاستولى على عقر الحميدية والقلاع المجاورة لها سنة ١١٣٣/٥٢٧ وحصل بذلك على موطيء قدم للتوغل في المناطق الجبلية واعاد الهدوء الى المناطق المضطربة في شمالي الخابور حيث سيطر على قلعة آشب المعقل الرئيس للاكراد الهكارية وبذلك انهى الفوضى التي كانت تعيشها هذه المنطقة ، كما توسع في المناطق المجاورة لجزيرة ابن عمر فسيطر على منطقة كواشي سنة ١١٤٣/٥٣٧ كما توسع في مناطق الزوزن المتاخمة لاذربيجان وارمينيا وضمها الى املاكه.(١٠٧)

ظلت امارة دمشق غصة في حلق زنكي لانه لم يستطيع الاستيلاء عليها وبدونها لاتتم السيطرة على بلاد الشام ، حاول زنكي اضعافها عن طريق الاستيلاء على المدن التابعة لها كبعلبك وحمص وحماة وبانياس والمجدل(١٠٨) . وفي سنة ٥٣٤/ ١١٤٠ حاصر زنكي دمشق وكان مصراً على الأستيلاء عليها ، فما كان من حكامها الا واتصلوا بالفرنج وتحالفوا معهم ضد زنكي ، وقد رحب ملك بيت المقدس فولك بتقديم المساعدة خوفاً من توسع زنكي وتهديده للوجود الصليبي في بلاد الشام. وقد تحرك الصليبيون في بيت المقدس باتجاه الشمال مهددين زنكي واملاكه مما أدى به الى الانسحاب عن دمشق ، وقد حصل الفرنج من حكام دمشق على مبالغ كبيرة من المال وعلى قلعة بانياس ثمناً لمساعدتهم ضد زنكي.(١٠٩) وهكذا تخلصت دمشق من اخطر وآخر محاولة جدية من زنكي للاستيلاء عليها وضمها الى الجبهة الاسلامية التي سعى جاهداً الى تحقيقها.

بعد وفاة زنكي وانقسام امارته بين ولديه سيف الدين غازي. ومركز امارته الموصل ، ونور الدين محمود ، ومركز ولايته حلب ، اصبحت مشكلة السيطرة على دمشق من مشاكل نور الدين. صار نهر الخابور هو الحد الفاصل بين ممتلكات اتابكة حلب واتابكة الموصل ، وكان امراً طبيعياً ان تقوم علاقات ودية بين الامارتين بحكم روابط الاسرة الواحدة التي تحكم في البلدين وكانت حلب بالنسبة للموصل والجزيرة هي صمام امان ، فاي خطر تتعرض له حلب تترتب عليه نتائج خطيرة على منطقة الموصل والجزيرة. ولهذا قامت صلات من التعاون والتآزر بين الاتابكتين.

كانت الموصل دوماً على استعداد لمد يد العون لبلاد الشام ، فعندما تعرضت دمشق سنة ١١٤٨/٥٤٣ لمهاجمة الصليبيين ارسل حاكمها طالباً النجدة من سيف الدين غازي الذي لم يتوان عن السير على رأس جيشه الى دمشق وبصحبته اخوه نور الدين لانقاذها من يد المهاجمين ، وقد



انسحب الصليبيون نتيجة ذلك ، [110] واستطاعت قوات سيف الدين ونور الدين من انتزاع حصن العُرَيْمة من الفرنج واسر حاكمه وامه واخذهما الى حلب وعاد سيف الدين الى الموصل بعد أن ادى واجباً مقدساً[111] .

كما سارع سيف الدين الى انجاد اخيه نور الدين عندما تعرضت حلب الى مهاجمة الصليبيين سنة ٥٤٤/ ١١٤٩ ، وكانت النتيجة هزيمة ساحقة للصليبيين وقتل في المعركة حاكم انطاكية الصليبي ، وقد عادت جيوش الموصل الى قواعدها بعد أن أدت واجبها في الدفاع عن حلب والمشاركة في الجهاد[112] وعند مجيءٍ قطب الدين مودود سنة ٥٤٤/ ١١٤٩ الى الحكم حدثت أزمة حول مدينة سنجار التي اصبحت لنور الدين الذي أراد التدخل في شؤون اخيه الاصغر حاكم الموصل وتهديد املاكه وكادت ان تنشب الحرب بين الطرفين لولا مسارعة قطب الدين الى التنازل عن حمص والرحبه والرقة مقابل سنجار الى اخيه نور الدين وتم الأتفاق على ذلك . [113] وبذلك عاد الوئام بين الأخوين وعاد التعاون بين الموصل وحلب كما كان عليه الحال سابقاً .

وأزدادت العلاقات وثوقاً عام ٥٥٣/ ١١٥٨ عندما عرض لنور الدين مرض خطير اوشك به على الهلاك عند ذلك اوصى بالولاية من بعده لاخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل . لما عُرِفَ عنه من عقل وسداد ودين ، [114] الاّ ان نور الدين ابل من مرضه وبقيت علاقته جيدة بأخيه حتى انه اقطع حران الى زين الدين نائب اخيه قطب الدين وفوض اليه تدبيرها بعد ان انتزعها من اخيه نصرة الدين امير اميران لمحاولة هذا الاستيلاء على حلب اثناء مرضه[115] ، واستمر هذا التعاون خاصة في محاربة الصليبيين ، كما سنرى ، والى نهاية حياة قطب الدين مودود سنة ٥٦٥/ ١١٧٠ .

وبعد وفاة قطب الدين جاء ابنه الاصغر سيف الدين غازي الثاني الى الحكم ، وقد اغضب هذا الاجراء اخاه الاكبر عماد الدين زنكي الذي كان يرى انه احق بالحكم لانه كبير الاسرة ، وقد سارَ مستنجداً بعمه نور الدين الذي لم يتردد في اغتنام هذه الفرصة للاستيلاء على الموصل ، فبدأ بالرقة ثم اتجه نحو منطقة الخابور واستولى عليها ثم حاصر سنجار واحتلها وسلمها الى عماد الدين زنكي ثم سَار الى الموصل[116] ، ودخلها في ١٣ جمادى الأولى من سنة ٥٦٦/ ١١٧٠ واقر سيف الدين على الموصل وجزيرة ابن عمر وولى مملوكه سعد الدين كمشتكين نائباً عنه في القلعة (دزدار القلعة) . [117] وبذلك اصبحت الموصل تابعة لنور الدين وضُربتْ السكة باسمه . [118]

ج – علاقات الأتابكة بالأيوبيين : –

ترك موت نور الدين فراغاً كبيراً في بلاد الشام ، وقد اختلف امراؤه من بعدهِ فبعضهم سيطر على حلب ونصب الملك الصالح ابن نور الدين عليها ، وامراء دمشق تباينت مواقفهم فعزموا على استدعاء صاحب الموصل الأتابكي ليسلموه البلد ، وقد خاف سيف الدين غازي ان تكون هذه الدعوة مكيدة ضده ولهذا لم يستجبْ لدعوتهم فاتصلوا بصلاح الدين الأيوبي وسلموه دمشق ، وبقدوم صلاح الدين الى بلاد الشام تغيرت اوضاع المنطقة ، فقد اخذ بتوسيع دائرة حكمه وتوحيدها بوجه الصليبيين وسرعان ما ضم حمص وحماه ثم بعلبك الى حكمه . [119]

وامام تهديدات صلاح الدين استنجد الملك الصالح بابن عمه حاكم الموصل الذي أنجده بجيش الاّ أن نتيجة المعركة كانت خسارة فادحة لأن بذور الشقاق والخلاف كانت قوية بين المتصارعين على السلطة من البيت الاتابكي اي



بين حكام الموصل وسنجار وحلب[١٢٠] وبعد هذا اصبح الطريق ممهداً امام صلاح الدين للسيطرة على حلب.

كانت سياسة سيف الدين غازي تجاه الاحداث في بلاد الشام عقيمة وادخل الموصل في صراعات جانبية لم تحقق له اي مكسب او نجاح، كما ان مواقفه من ابن عمه صاحب حلب كانت غير واضحة ومتخاذلة. وفي آخر حكمه جعل الحكم من بعدهِ لأخيه عزالدين مسعود واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولدهِ معز الدين سنجرشاه وقلعة الحميدية لولدهِ الآخر ناصر الدين، وجعل مجاهد الدين قيماز - نائبه - المدبّر لامورهم.[١٢١] وبذلك ساهم في تفكيك وتجزئة امارته. وهذا اجراء كان على جانب كبير من الخطورة خاصة ان صلاح الدين كان يطمح في اضعاف الأتابكة حتى يتسنى له تحقيق هدفه في تكوين امارة موحدة وقوية تشكل امـارة الأتابكة جزءاً مهماً منها.

وتظهر نيات صلاح الدين تجاه الأتابكة بشكل جلي في اجابته عن الرسالة التي ارسلها قيماز اليه بعد تسلم عز الدين مسعود الحكم في الموصل والتي يطلب فيها ان يقر صلاح الدين الصلح على ما كان عليه في عهد سيف الدين "ويبقي عليه الجزيرة وما بيده من حران والرها والرقة والخابور ونصيبين وقاطع الفرات" فأجاب صلاح على هذا الطلب قائلاً "اما ما خلف عليه من بلاد الموصل فهو باقٍ على حالهِ واما ما ذكره من بلاد الجزيرة فانما كانت بيده وبشفاعة الخليفة على شرط ان يقوي ثغور المسلمين بالمال والعساكر. اما الآن فالخليفة قد فوض امرها الي لا افعل فيها الا ما اراه من المصلحة».[٢٢] وهذا توضيح لاهداف صلاح الدين الأيوبي في تقليص املاك اتابكة الموصل في بلاد الشام والجزيرة.

وحدث تطور خطير آخر في سنة ٥٧٧ / ١١٨١ عند وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين في حلب، فقد أوصى امراءه بتسليم حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل واستحلفهم على ذلك.[١٢٣] ولم يتردد عز الدين في اغتنام هذه الفرصة لايقاف تطلعات صلاح الدين من جهة وتوسيع دائرة نفوذهِ وحكمه من جهة ثانية، ولهذا أسرع بالسير وبصحبته مجاهد الدين قيماز الى حلب ليسبق صلاح الدين اليها. وصل عز الدين الى حلب واستقبل هناك بترحيب لم يكن في الحسبان وطغتْ على البلاد موجة من الولاء والتعلق بآل زنكي شملتْ الجزيرة وشمالي الشام وحتى دمشق[١٢٤] حتى ان بعض امراء حلب اشار عليه باستغلال هيجان هذه العواطف ومهاجمة دمشق واطمعوه ببلاد الشام واستغلال محبة اهلها للبيت الاتابكي، فابىُ عز الدين ذلك متمسكاً باليمين التي كانت بينه وبين صلاح الدين في سنة ٥٧٢ / ١١٧٧ وقال "بيننا يمين فلا نغدر به".[١٢٥]

ولكن حدث تطور آخر أضعف أتابكة الموصل، فقد كان عماد الدين صاحب سنجار يطمع بان تؤول اليه حلب بعد وفاة الملك الصالح، ولهذا استاء من انضوائها الى الموصل لهذا أخذ يتوسل بكل الطرق لتحقيق هدفه فطلب من أخيه عز الدين مسعود اعطاءه حلب مقابل سنجار ولكن طلبه رُفضْ عند ذلك لجأ الى التهديد بتسليم سنجار الى صلاح الدين اذا لم يتنازل مسعود له عن حلب، وهكذا اضعف الأتابكة انفسهم بخلافاتهم الشخصية وقصر نظرهم وعدم تآزرهم، وأضطر مسعود الى الموافقة وسلم حلب الى اخيه مقابل سنجار.[١٢٦] ويبدو ان الهدف الأساس الذي توخاه مسعود من ذلك هو محاولة التقرب من أخيه وضمه الى صفه من اجل ابعاد صلاح الدين عن التدخل في شؤون الأتابكة، لان علاقة صلاح الدين كانت جيدة بعماد الدين. الآ ان ما حدث اضعف الأتابكة وزعزع وجودهم في بلاد الشام حتى أن صلاح الدين "كان بمصر قد بلغه



مُلْكُ عز الدين حلب فعظم الأمر عليه وخاف ان يسير منها الى دمشق وغيرها ويملك الجميع وأيس من حلب ، فلما بلغه خبر مُلْك عماد الدين لها برز من يومه وسار الى الشام "(١٢٧) أي أن الامر هان عليه وذلك لمعرفته بعماد الدين الذي أكلت الغيرة قلبه ، ومدى ضعفه وعدم قدرته على استيعاب ما يحدث وذلك لقصر نظره وعجزه السياسي.

بوصول صلاح الدين الى الشام بدأت صفحة جديدة من العلاقة بينه وبين الأتابكة فقد وجد الفرصة سانحة لان يضم حلب لتشكيل الجبهة التي كان يحلم بها منذ وقت ليس بالقصير. كما انها بوقوعها تحت سيطرة عماد الدين اصبح امرها هيناً ، الا أنه اجّلَ امر الأستيلاء عليها الى فرصة اخرى. فقد حاول ان يقوي مركزه فطلب من أخيه تقي الدين صاحب حماة والى نوابه بالشام يأمرهم بالاستعداد والتأهب للقتال ، ومهد لتدخله في احداث الشام والموصل بالكتابة الى الخليفة الناصر لدين الله موضحاً سوء الأحوال في هذه المناطق ويقول في رسالته "بأن جماعة الأتابكية يسعون في تفريق الكلمة ويستنهضون الفرنج لقتال المسلمين ويستعينون علينا بالأسماعيلية ."(١٢٨)

وسار باتجاه الموصل ونزل عليها بعد أن انضم اليه عدد من الأمراء كمظفر الدين كوكبوري صاحب حران آنذاك ، وكان معادياً للأتابكة لانهم ابعدوه عن حكم اربل(١٢٩) وفي الحادي عشر من رجب سنة ٥٧٨ / ١١٨٢ ضرب الحصار على الموصل.(١٣٠) وقد أنبهر صلاح الدين من حصانة المدينة وكثرة المدافعين عنها ، كما أن مجاهد الدين قيماز حفظ البلد بأحسن تدبير وأستنجد بالخليفة وأرسل رسالة مع ابن شداد الذي يقول عن هذه المهمة "فسيرتُ رسولاً الى بغداد قبيل نزوله- صلاح الدين- بايام قلائل فسرت مسرعاً في الدجلة وأتيت بغداد في يومين وساعتين من اليوم الثالث مستنجداً بهم فلم يحصل منهم سوى الا نفاذ الى شيخ الشيوخ وكان في صحبة صلاح الدين رسولاً من جانبهم يأمرونه بالحديث معه وبتلطف الحال معه". (١٣١)

الاّ أن صلاح الدين وجد صعوبة في الاستمرار بالحصار لأن جيش الموصل أبدى مقاومة باسلة فلما نصب منجنيقاً لرمي المدينة نصب جيش الموصل تسعة مجانيق اخذت ترمي جيش صلاح الدين .(١٣٢) عند ذلك رفع الحصار عنها في بداية شعبان من السنة نفسها ثم حاصر سنجار وأخذها عنوةً في بداية رمضان .(١٣٣)

وقد وجد صلاح الدين خير طريقة لاضعاف حكام الموصل هي السيطرة على بقية الحصون التابعة لهم في الجزيرة فاستولى على حصن آمد في العشرة الأولى من محرم سنة ١١٨٣/٥٧٩ ثم عبر الفرات قاصداً مدينة حلب فاستولى في طريقه اليها على تل خالد وعين تاب وهما من اعمال حلب وبذلك ضيّق الخناق على حلب واصبح الطريق امامه مفتوحاً للاستيلاء عليها ، وفي نفس الشهر حاصرها فاضطرب عماد الدين زنكي الذي كانت تعوزه شجاعة اخيه عز الدين مسعود ودهائه السياسي ، وسرعان ما وصل الى نتيجة انه لايستطيع المقاومة وآثر أن يتقرب من صلاح الدين ويفاوضه في التنازل عن حلب مقابل سنجار فوافق صلاح الدين وتم التبادل .(١٣٤) وبذلك عاد عماد الدين مرة اخرى الى حكم سنجار وكأنه لم يفعل شيئاً سوى انه اخذ حلب بالتهديد والمراوغة من اخيه ثم سلمها دون قتال الى صلاح الدين .(١٣٥)

وباستيلاء صلاح الدين على حلب إتحدت الشام وغرب الجزيرة مع مصر وبذلك زادتْ قوته واتسعت رقعة نفوذهِ. على العكس من الاتابكة الذين بدأت امارات الضعف تظهر عليهم بعد خسارتهم لحلب ، خاصة وان الخلافات الداخلية تعمقتْ بين قيماز ومسعود مما جعل الاخير يلقي القبض على نائبه مما أدى الى عصيان الولايات التي



كان يديرها هذا النائب وهي شهرزور وأربل ودقوقا والعقر وخسر بعضها بصورة نهائية. (١٣٦) وهذا دفع صلاح الدين الى معاوده حصار الموصل مرة اخرى، وكانت المفاوضات لازالت قائمة بينه وبين وفد الموصل حول الصلح وانضم الى المفاوضات رسول الخليفة الناصر لدين الله، ولكن المفاوضات لم تسفر عن شيء. واخذ صلاح الدين بالتقدم باتجاه الموصل في سنة ٥٨١/١١٨٥، وقد أدرك مسعود خطأه فاطلق سراح قيماز(١٣٧) الذي ادرك ماآلت اليه احوال الامارة من ضعف وتدهور فاتفق مع مسعود على الاستعانة ببعض القوى المجاورة لصد صلاح الدين ولكن النجدات التي جاءته من اذربيجان لم تستطع أن تقدم عوناً يذكر. (١٣٨) إستمر صلاح الدين في تقدمه الى بلد من شمالي الموصل وارسل الى الخليفة لابلاغه بعزمه على قصد الموصل والأسباب التي دفعته الى ذلك وضرب في رسالته على وتر حساس بالنسبة للخليفة فقد ذكر في رسالته ان حكام الموصل يخطبون لطغرل السلجوقي وينقشون اسمه على السكة وانهم يراسلون الصليبيين ويحرضونهم على مهاجمة البلاد الأسلامية، وانه لم يأت طمعاً في زيادة املاكه ولا للقضاء على البيت الأتابكي وانما قصده رد حكام الموصل الى طاعة الخليفة ونصرة الاسلام. (١٣٩) وبهذه الصورة اراد صلاح الدين اثارة الخليفة ضد حكام الموصل وذلك بسبب سوء علاقة الخلافة بالسلطان السلجوقي طغرل، كما أراد صلاح الدين تقديم نفسه بصفته محامياً ومدافعاً عن الأسلام. وقد حاول مسعود أن يتوصل الى اتفاق مع صلاح الدين فأرسل اليه وفداً مكوناً من والدته وابنه نور الدين وعدد من النساء الأتابكيات وجماعة من اعيان البلد لطلب الصلح والكف عن محاصرة الموصل، فمال صلاح الدين الى اجابة هذا الوفد الاّ أن بعض الامراء حذروه من الاجابة الى الصلح على اعتبار ان الموصل اعظم من أن "تترك لامرأة" أي لوساطة امرأة. (١٤٠) فردهنّ خائبات. (١٤١)

وكان للمجهود الكبير الذي بذله اهل الموصل في الدفاع عن مدينتهم وقيام قيماز بجهود محمودة في تنظيم هذا الدفاع اثره الكبير في اطالة أمد الحصار(١٤٢). وللمرة الثانية يضطر صلاح الدين الى رفع الحصار في نهاية ربيع الثاني من سنة ٥٨١/١١٨٥ ويتوجه الى خلاط وميا فارقين ليتسلمها ويقطعها الى احد مماليكه. (١٤٣) وبعد أن انجز صلاح الدين هذه المهمة عاد الى حصار الموصل فنزل في كفر زمار في شعبان من السنة نفسها فترددتْ الرسل بينه وبين عز الدين مسعود طلباً للصلح وحسماً للخلاف وقد مرض صلاح الدين مرضاً شديداً ادى به الى الأنسحاب الى حران، وهناك ابل من مرضه ولحقته رسل الموصل المكونة من بهاء الدين الربيب والقاضي بهاء الدين بن شداد الذي فوَّضَ اليه أمر التوقيع على الصلح وتحليف صلاح الدين لعز الدين مسعود. وقد تم الصلح وتسلم صلاح الدين بموجبه بلاد شهرزور واعمالها وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب من الأعمال وخطب له في جميع بلاد الموصل وانقطعت خطبة السلاطين السلاجقة وضربت السكة بأسمه. (١٤٤)

وترتب على هذه الأتفاقات نتائج سياسية هامة اذ توحدت الموصل مع بلاد الشام ومصر واصبح أتابكها واحداً من نواب صلاح الدين. وبذلك كون صلاح الدين امارة كبيرة تشمل شمال العراق والجزيرة والشام ومصر وبدأت تهدد الصليبيين في عقر دارهم. ولكن هذه الامارة الواسعة الموحدة لم تدم طويلاً فقد توفى صلاح الدين عام ٥٨٩ / ١١٩٤ وقبيل وفاته قسم البلاد بين اخوته وأولاده الكثيرين فتجزأت امارته الكبيرة الى امارات متنازعة فيما بينها(١٤٥)، وقد حفزت هذه الاوضاع طموحات عز الدين مسعود صاحب



الموصل فأستغل هذه الفرصة وبادر الى الأتصال بامراء الاطراف ليستعين بهم من اجل مهاجمة الولايات الأيوبية واستعادة ولاياته منهم، ولكن هؤلاء رفضوا وطلبوا منه التريث لأنهم وجدوا انه ليس من مصلحتهم ان يستعيد صاحب الموصل نفوذه وقوته، ومن الأفضل بالنسبة لهم ان يظل ضعيفاً حتى يبقى الوضع لصالحهم وكان في مقدمة هؤلاء الامراء مظفر الدين كوكبوري حاكم اربل وشهرزور. واقام مسعود بالموصل عدة اشهر يراسل هؤلاء الامراء فلم يتفق معه منهم سوى أخوه عمادالدين زنكي صاحب سنجار على قواعد استقرت بينها.(١٤٦) وخرج مسعود من الموصل متجهاً الى نصيبين ثم الرها لمحاربة الملك العادل(١٤٧) ولكنه اصيب بمرض اضطر معه الى العودة الى الموصل حيث توفي في شعبان من سنة ٥٨٩/١١٩٤ وخلفه على أتابكية الموصل ابنه نور الدين ارسلان شاه(١٤٨) وفي النزاعات المتشعبة والمتكررة التي جرت بين الحكام الأيوبيين استعان بعضهم بالأتابكة الذين وجدوها فرصة لاعادة نفوذهم وسيطرتهم على ما فقدوه من نفوذ ولكن دون جدوى فالحروب كانت كثيرة ومتشابكة وليس لها نتائج نهائية كما أن التحالفات كانت وقتية وسريعة الزوال لتقلب امزجة الحكام وتبدل مصالحهم ومواقفهم وذلك لعدم وجود هدف سام يحدوهم الى تناسي خلافاتهم الصغيرة ومصالحهم الآنية.(١٤٩) ولهذا عادت المنطقة الى فوضى سياسية وعسكرية مثلما كانت عليه في العهد السلجوقي بعد وفاة ملكشاه. الا أن الملك العادل — اخا صلاح الدين — استطاع ان يبسط نفوذه بشكل تدريجي على معظم الاقاليم التي كان يحكمها صلاح الدين بحيث اصبحت امارته سنة ٦٠٠/١٢٠٤ تشمل مصر ودمشق وبلاد الجزيرة.(١٥٠)

توفي نور الدين سنة ٦٠٧/١٢١١ وجاء بعده ابنه القاهر الذي كان لا يتجاوز عمره العشر سنوات، اما ولده الاصغر عماد الدين زنكي فقد خصه بقلعة عقر الحميدية وقلعة شوش، وأن يتولى امر دولة القاهر مملوكه بدر الدين لؤلؤ(١٥١). وبوفاة نور الدين لم تعد اتابكية الموصل تشكل أي خطر على ممتلكات الملك العادل الأيوبي. ولهذا ساد الهدوء والعلاقات الودية بين الطرفين في فترة حكم القاهر التي دامت ثمان سنوات وعندما توفى سنة ٦١٥/١٢١٨ طالب اخوه عماد الدين زنكي صاحب عقر الحميدية بأحقيته بوراثة حكم الأتابكة، الا ان بدر الدين لم يوافق على ذلك لأنه ليس من مصلحته ان يتولى الحكم رجل حازم فوقف في وجه عماد الدين وعمل على إبعاده عن الموصل لينفرد بالسلطة(١٥٢).

وقد تحالف عماد الدين زنكي مع مظفر الدين كوكبوري، وقد رد بدر الدين لؤلؤ على هذا التحالف بالاتصال بالأيوبيين ودخل في طاعتهم وأعلن عن تبعيته لهم، وبخاصة بعد ان سيطر عماد الدين على العمادية وبسبب عدم قدرته على استرجاعها سقطت بقية قلاع الهكارية والزوزن والتي كانت تابعة للموصل بيد عماد الدين وقبض على نواب بدر الدين فيها وعين نواباً عنه في تلك القلاع(١٥٣).

ولما أحسَّ بدر الدين بضعفه امام هذا التحالف الذي بات يشكل خطراً على حكمه لجأ الى طلب العون والمساعدة من الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي وعرض عليه الدخول في طاعته والانتماء اليه فأجابه الأشرف بالقبول(١٥٤) لأن الموصل جائزة كبيرة لمن يحصل عليها.

لم تنته مشاكل بدر الدين بتبعيته للأشرف فقد استمر مظفر الدين وعماد الدين يشنان عليه الحروب وإثارة القلاقل مستغلين سوء تصرفه مع امراء البيت الأتابكي في الموصل، وعدم ولاء اهل الموصل له. وعلى الرغم من مساندة الأشرف له ببعض الجند الا انه احتاج من الأشرف أن يأتي



بنفسه الى الموصل حتى يقوي مركزه، ويظهر تحالفه وتعاضده معه على رؤوس الأشهاد فقدم الأشرف الى الموصل في طريقه الى سنجار، وبعد ان تسلم هذه المدينة ذات الموقع الهام منهياً بذلك حكم البيت الأتابكي لها والذي دام قرابة القرن من الزمن (١٥٥) وصل الأشرف الموصل في ١٩ جمادي الأولى من سنة ١٢٢٠/٦١٧ فخرج بدر الدين لؤلؤ لاستقباله وقد وصف ابن الأثير دخول الأشرف الموصل «بأنه يوماً مشهوداً» (١٥٦) وسار بدر الدين بين يديه حاملاً الغاشية (١٥٧).

وتوافدت رسل الخليفة ومظفر الدين على الموصل لحضور الصلح مع الأشرف فتعهد مظفر الدين بإعادة جميع القلاع التي استولى عليها عماد الدين زنكي الى بدر الدين ماعدا قلعة العمادية فقد أصرّ على إبقائها بيد زنكي، وكان ثمن هذا الاتفاق هو تنازل بدر الدين عن قلعة تل يعفر الى الملك الأشرف، ولكن لم ينفذ شيء من هذا الاتفاق فقدأظهر جند القلاع كافة باستثناء قلعة واحدة - هي قلعة جل صور - تمردهم وامتنعوا عن تسليم قلاعهم الى نواب بدر الدين (١٥٨).

واستمرت محاولات مظفر الدين كوكبوري للنيل من بدر الدين (١٥٩) ومن الملك الأشرف حتى انه في سنة ١٢٢٦/٦٢٣ قام بمحاولة للهجوم على ممتلكات الأشرف فقد اتفق مع جلال الدين منكوبرتي بن علاء الدين محمد خوارزم شاه والملك المعظم عيسى صاحب دمشق وآمد، وناصر الدين ارتق صاحب ماردين ونص الاتفاق على مهاجمة بلاد الملك الأشرف واقتسامها فيما بينهم (١٦٠).

وضرب المتحالفون الحصار على الموصل وخلاط وحمص وحماه، وقام الأشرف بمحاصرة ماردين وتخريبها، وقد انسحبت كافة الأطراف من حصارهم لهذه المناطق، ولم يحقق هذا الحلف شيئاً سوى إلحاق الدمار والخراب بأعمال الموصل وماردين (١٦١).

وفي سنة ١٢٣٠/٦٢٧ ساعدت جيوش الموصل الملك الأشرف في تصدّيه لجلال الدين منكوبرتي واستطاع ان يستعيد خلاط من يد الخوارزميين بعد ان لحق بها الدمار والخراب (١٦٢).

استمرت العلاقات ودية بين بدر الدين والأيوبيين حتى وفاة الملك الأشرف سنة ١٢٣٨/٦٣٥ وبعد ذلك بثلاث سنوات استعاد بدر الدين سنجار ثم وسع املاكه في بلاد الجزيرة فاستولى على نصيبين ودارا وقرقيسيا، وأخيراً سيطر على جزيرة ابن عمر سنة ١٢٥٠/٦٤٨ (١٦٣). ويبدو ان بدر الدين اصبح في هذا الوقت مرهوب الجانب بسبب تبعيته الجديدة للمغول.

٣- دور الأتابكة في مقاومة الغزو الصليبي

تمكن الصليبيون وخلال فترة قصيرة من الاستيلاء على اجزاء واسعة من بلاد الشام والجزيرة وتكوين اماراتهم الأربع: الرها وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس، والتي أصبحت تشكل خطراً كبيراً على بلاد الشام وبقية البلاد العربية المتاخمة لها. وبسبب ضعف الخلافتين العباسية والفاطمية وانشغال السلاجقة في الصراعات على السلطة فيما بينهم، ترك أمر التصدي للصليبيين الى الأمارات المحلية وإلى ولاة الموصل السلاجقة. وقد صاحب عماد الدين زنكي امراء الموصل طيلة الفترة من ١١١٢/٥٠٥ والى ١١٢٠/٥١٤ في حروبهم ضد الصليبيين، فاكتسب خبرة كبيرة في محاربتهم، وفي التعرف على خطورتهم على المنطقة. كما لعبت مواقف زنكي في هذه الجولات من الصراع ضد الصليبيين دوراً كبيراً في تحديد مستقبله السياسي، إذ كان التصدي للصليبيين هي احدى اهم الاسباب التي دعت السلطان محمود السلجوقي الى تعيينه والياً على الموصل وما يفتتحه من بلاد الشام (١٦٤).



بعد تعيينه على الموصل لم يشأ زنكي ان يصطدم بالصليبيين قبل ان يثبت مركزه في ولايته ويسيطر على حلب التي كانت بيد اولاد اقسنقر البرسقي ليجعل منها مركزاً ينطلق منه الى بقية بلاد الشام وضد الصليبيين. ولهذا فإنه عقد هدنة مؤقتة مع امير الرها جوسلين[١٦٥] وبعد ان وطد ملكه في حلب هاجم زنكي حصن الاثارب سنة ٥٢٤/١١٣٠ لأن الصليبيين فيه كانوا يلحقون الضرر بالفلاحين المسلمين في المنطقة ويقومون بغارات عليهم واستطاع ان يستولي عليه وأن يأسر معظم افراد حاميته ثم أمر بتخريبه. ثم توجه نحو حارم فحصره، فبذل اهل هذا الحصن نصف دخل بلدهم والتمسوا مهادنته فأجابهم الى ذلك وعاد الى حلب[١٦٦].

وفي عام ٥٢٩/١١٣٥ حقق زنكي انتصارات رائعة ضد الصليبيين حيث قام بمهاجمة عدد من مواقعهم المحيطة بحلب والتي كانت تهددها باستمرار، كما انها كانت تخدم خطاً دفاعياً لحماية انطاكية من هجمات المسلمين فأستولى زنكي على الاثارب وزردنا وتل أغْدِي ومعرة النعمان وكفر طاب[١٦٧]. وفي السنة التالية سار زنكي مع نائبه في حلب الأمير اسوار لمهاجمة اعمال اللاذقية، وتمكن من اخضاعها[١٦٨].

انتبه الصليبيون الى خطر زنكي عليهم، ولهذا حاولوا توجيه ضربة موجعة له حتى يكف عنهم. ولهذا عندما كان عام ٥٣١/١١٣٦ منهمكاً في محاصرة حمص قاموا بحشد جيش كبير وأسرعوا الى مباغتة زنكي للقضاء عليه، ولكنه سرعان ما علم بنيّاتهم فسار للقائهم بعيداً عن حمص حتى لا يقع في شق الرحى، ورأى ان خير وسيلة يستدرج بها الصليبيين اليه وتتيح له بالوقت نفسه تولي زمام المبادرة هو ان يظهر عزمه على مهاجمة حصن بعرين الصليبي القريب، وما ان بدأ تقدمه باتجاه ذلك الحصن حتى تقدم اليه الصليبيون بقيادة كل من فولك ملك بيت المقدس وريموند كونت طرابلس، ودارت معركة بين الطرفين انتهت بانتصار المسلمين وقتل وأسر عدد كبير من جند العدو وأمرائه وقادته وكان ريموند من بينهم، وقد تمكن فولك من الهرب الى حصن بعرين، وقام عدد من الهاربين بطلب النجدات من البيزنطيين ومن اوربا، فجمع جيشاً كبيراً من الفرنجة والبيزنطيين وساروا لنجدة حصن بعرين الذي كان في رأيهم مفتاح بقية الممتلكات الصليبية في بلاد الشام. وبعد ان عانى اهل الحصن من قلة المؤن اضطروا الى طلب الصلح وتسليم الحصن فوافق زنكي واشترط عليهم تقديم مبلغ من المال قدره خمسون الف دينار، فلم يتردد اصحاب الحصن في قبوله، والتمسوا منه اطلاق سراح أمرائهم وكبار أسراهم، فأطلقهم وتسلم الحصن[١٦٩].

وصلت الحملة الصليبية التي يقودها الامبراطور البيزنطي (حنا كومنين) متأخرة فقد سقط الحصن بيد زنكي، فأراد الصليبيون الاستيلاء على بعض المواقع الاسلامية، وقد طالب الامبراطور البيزنطي بإعادة انطاكية اليه، فوافق صاحبها شريطة أن يعوض بأمارة جديدة تضم حلب وشيزر وحماه، وكتأكيد على هذا الاتفاق أعلن ريموند حاكم انطاكية تبعيته للامبراطور وأقسم يمين الولاء له بعد حصوله على موافقة فولك ملك بيت المقدس[١٧٠].

تقدم الامبراطور يصحبه امير الرها وانطاكية وبدأوا بمهاجمة حصن بزاعة القريب من حلب وتمكنوا من الأستيلاء عليه، وفر بعض أهله الى حلب وانذروا اهلها بالخطر القريب منها، فقام نائب زنكي في حلب بالتحرز واقامة التحصينات الدفاعية وارسلوا الى زنكي يطلبون منه نجدة مستعجلة فأمدهم بقوة من الفرسان كان لها اثر بالغ في رفع المعنويات، وعند المتحالفين حلب فرضوا الحصار عليها وقد أدركوا من الوهلة الاولى



حصانتها وقوة دفاعاتها وقدرتها على المطاولة، وقام أهل حلب بشن الغارات المباغتة على معسكر الأعداء ادخلت الرعب في قلوبهم، فآثروا الأنسحاب، وفي انسحابهم تسلموا حصن الاثارب الذي خاف من فيه فاحرقوا خزائن القلعة وانسحبوا فأستولى عليه الصليبيون كما استولوا على معرة النعمان، ثم فرضوا الحصار على شيزر – وكان الأمبراطور يقوم بمعظم العمليات الحربية بينما كان جوسلين وريموند يقضون وقتهم باللعب بالنرد ومنشغلين بملذاتهم، وقد دبت الخلافات بين المتحالفين ولم يعد احد منهم يثق بالآخر. كما ان زنكي اخذ يقوي نفسه ويطلب النجدات من السلطان السلجوقي ومن الخليفة، وقد تحركت قوات دمشق لانجادهِ، كما ان المقاومة العنيفة التي ابداها اهل شيزر جعلت الأنسحاب امراً محتماً. وفي التاسع من رمضان سنة ٥٣٢/١١٣٨ انسحب الامبراطور عن شيزر بعد ان عرض عليه أميرها مبلغاً من المال وهدايا قيمة وضريبة سنوية كرمز لتبعيته، وبعد الانسحاب انقض زنكي على آلاتهم الحربية الثقيلة ومجانيقهم الضخمة فاستولى عليها ورفعها الى قلعة حلب.[١٧١]

وكان من ابرز النتائج التي اسفرت عن هذه الحملة الفاشلة هو تدهور العلاقات بين البزنطيين والصليبيين، وعدم استطاعتهم القيام بعمل مشترك ضد نشاط زنكي المتنامي في المنطقة ولسنين عديدة.

واستطاعت قوات الموصل بقيادة زنكي بعد ذلك من استعادة كفر طاب وعَرَقة الذي اسر من فيه وخَرَّبَه ثم بزاعة وقتل معظم من فيه من قوات الصليبيين والروم ثم حاصر الاثارب وتمكن منه عام ٥٣٣/١١٣٩ [١٧٢]. أستأنف زنكي نشاطه ضد الصليبيين بشكل واضح عام ٥٣٨/١١٤٤ حيث استغل مركزه القوي في دياربكر لمهاجمة عدد من الحصون الصليبية العائدة لامارة الرها والمنتشرة في المناطق القريبة من ماردين كجملين والموزر وتل موزن وغيرها من حصون اقليم شبختان – وهو احد اقاليم ديار بكر – عند منابع نهر الخابور – وكان هدفه قطع الاتصال بين قرا أرسلان الارتقي امير حصن كيفا وبين جوسلين امير الرها بسبب تحالفها ضده.[١٧٣] وبالوقت نفسه اضعاف امارة الرها وتقليص ممتلكاتها.

كانت الرها على جانب كبير من الأهمية فهي قاعدة لأولى الامارات الصليبية تأسيساً، ثم لقربها من العراق ولقوة تحصيناتها، وكانت عين البلاد الجزرية واصبحت غارات فرسانها تبلغ آمد وماردين ونصيبين ورأس عين والرقة، اما حران فقد كانت دائماً تحت رحمتهم، يضاف الى ذلك ان هذه الامارة تشكل عائقاً يحول دون قيام زنكي بتوحيد منطقة الجزيرة وشمالي الشام بسبب تدخلها المستمر لصالح اعدائه من امراء المسلمين في المنطقة وتهديدها الدائم لخطوط المواصلات التي تربط بين الموصل وحلب وبين بلاد ايران وسلاجقة اسيا الصغرى من جهة اخرى.[١٧٤]

كانت الظروف ملائمة لزنكي لفتح الرها فقد انتهى الحلف القائم بين الصليبيين والبزنطيين وحل محله عداء شديد وحروب مستمرة، وأخيراً جاءت وفاة الأمبراطور (حنا كومنين) لكي تخلص زنكي من خطر عدو لدود. يضاف الى ذلك ان حاكم الرها جوسلين كان على خلاف مع حاكم انطاكية ريموند حول امور كثيرة. وقد استغل زنكي خروج جوسلين من الرها على رأس قواته لمساعدة حليفه قراأرسلان الذي سبق لزنكي ان هاجمه، فقام مع ياغي سيان بمحاصرة الرها. وبذل لأهلها الامان ان سلموها الا أنهم أبوا فاشتد زنكي في محاصرتها والتضييق عليها مستخدماً آلات الحصار الضخمة التي جلبها معه لتدمير اسوار المدينة الحصينة قبل ان تتاح الفرصة لتجمع القوات الصليبية لانقاذ هذا الموقع المهم. ارسل جوسلين طالباً النجدة من كافة



الامارات الصليبية، ولكن لم يستجب له سوى الوصية على مملكة بيت المقدس والتي وصلت نجدتها بعد فوات الاوان. وبعد اربعة اسابيع من الحصار في السادس والعشرين من جمادي الآخرة سنة ١١٤٤/٥٣٩ انهارت بعض اجزاء الحصن اثر الضرب المركز الشديد، فاجتاحت قوات زنكي المدينة ثم ما لبثت القلعة ان استسلمت بعد يومين. وقد اصدر زنكي اوامره بايقاف اعمال القتل والاسر والنهب واعاد ما اخذ من سبي وغنائم، كما اسرع في اعمار ما انهدم من اسوارها. وقد عامل اهلها بالاحسان واللطف.[١٧٥]

حقق زنكي في فتحه للرها اعظم انجازاته العسكرية ضد الصليبيين، وكان لهذا الفتح اعظم الاثر في تحجيم النفوذ الصليبي وزيادة جرأة المسلمين عليهم وأصبح فتح الرها "حديث المحافل"[١٧٦] واعاد الثقة الى نفوس المسلمين وجعلهم يشعرون بانهم قادرون على التصدي للقوى الصليبية وانتزاع المزيد من الأنتصارات من الصليبيين، وكان هذا الانتصار اعظم ما ساهمت به الموصل في تصديها للصليبيين في العهد الأتابكي، ولاشك ان هذا الانتصار عزز من مكانة زنكي تجاه السلطان السلجوقي والخليفة العباسي ورسخ أسس حكمه.

وقد أستفاد زنكي من اضطراب احوال الصليبيين واخذ يسعى للسيطرة على مراكزهم وحصونهم فاتجه الى سروج واحتلها ثم ما لبثت الحصون المجاورة ان اخذت تسقط في يديه واحدة تلو الاخرى.[١٧٧]

وبعد مقتل زنكي سنة ١١٤٦/٥٤١ وانقسام امارته بين ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود، اصبح التصدي للصليبيين هو الواجب الأساس لنور الدين محمود لان مركزه في حلب يحتم عليه ان يهتم بأمر الصليبيين والتصدي لهم واخذت سياسته تدور حول تقوية مركزه تجاه الصليبيين ومقاومتهم وجهادهم وتقليص نفوذهم. وبذلك ابتعدت الموصل ولفترة من الزمن عن مساهمتها الفاعلة في مجاهدة الصليبيين.

وعلى الرغم من ان الرها كانت تقع ضمن املاك سيف الدين، الا ان نور الدين بعد ان قضى على مؤامرة قام بها الارمن لاعادة المدينة الى سيطرة جوسلين اصبحت الرها من املاكه وسكت سيف الدين على هذا التجاوز.[١٧٨]

وقد تعاون الاخوان بشكل واضح في الجهاد ضد الصليبيين وكان اول عمل تجلى فيه هذا التعاون هو اشتراكهما في الدفاع عن دمشق ضد الصليبيين عندما حاصروها سنة ١١٤٨/٥٤٣ حيث اجتمع الوافدون منهم في الحملة الصليبية الثانية بزعامة ملك المانيا وملك فرنسا وغيرهم وهددوا دمشق، مما أدى بمعين الدين انر ان يستنجد بسيف الدين غازي الذي لم يتردد في نصرة دمشق فبادر بالخروج وعبر الفرات على رأس جيش كبير واستصحب معه اخاه نور الدين[١٧٩].

كان سيف الدين يعرف نيات انر وسياسته الملتوية وانه محالف للصليبيين فيما مضى، لهذا طلب منه ان يكون هناك نائب عن الاتابكة في دمشق حتى يستطيع ان يطمئن على نفسه وجنده خوفاً من الوقوع بين شقي الرحا اذا ما غير انر موقفه وتحالف مجدداً مع الصليبيين، مؤكدا له انه سيرحل عن دمشق حالما ينسحب الصليبيون عنها. كان معين الدين انر يعرف مدى كراهية اهل دمشق له ولسياسته فعمل على الخروج من هذا المأزق دون ان يضطر الى الاستعانة بقوات سيف الدين وقبول شروطه. فتجاهل الرد على سيف الدين وماطله لينظر ما يكون من الفرنج.[١٨٠] وبعد ان قام بتهديدهم بسيف الدين، بذل لهم مبالغ كبيرة من المال ووعدهم بحصن بانياس أن هم انسحبوا عن دمشق.[١٨١]

وبعد انسحاب الصليبيين رحل نور الدين الى



حصن العريمة المجاور لطرابلس. وبعد حصار شاركت به فرقة من جيش الموصل سقط الحصن بيد نور الدين واخذ كل من به من فارس وراجل وصبي وامرأة، وتم تدمير الحصن ثم انسحب المسلمون عنه. وعاد سيف الدين الى الموصل.[182]

وفي اوائل سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ جمع ريموند امير انطاكية الصليبي عسكره لمهاجمة اعمال حلب فاستنجد نور الدين بانر وبسيف الدين الذي ارسل قوة من جيشه لمساعدة اخيه ودارت المعركة في انب بالقرب من اعزاز التابعة لحلب، فانهزم الفرنج هزيمة منكرة ولم ينج منهم الا القليل وكان من بين القتلى امير انطاكية الصليبي فحمل رأسه الى نور الدين الذي نزل على باب انطاكية وترددت الرسل بينه وبين الصليبيين، ثم ترك فرقة من جيشه عليها وزحف بمن معه نحو حصن افامية، فلما سمع اهله بما حل بصاحب انطاكية اذعنوا الى تسليم حصنهم وطلبوا الامان وسلموا البلد في ربيع الاول من سنة ١١٤٩/٥٤٤ وعادت قوات الموصل الى قواعدها بعد ان ادت واجبها في التصدي للصليبيين والمشاركة في الجهاد.[183]

وفي ولاية قطب الدين مودود تقتصر مساهمة الموصل في الحروب الصليبية على المعاونة في معركة حصن حارم التي جرت سنة ١١٦٤/٥٥٩ وكانت معركة كبيرة انتصر فيها المسلمون انتصاراً باهراً انتهت بهزيمة الصليبيين واسر معظم امرائهم الذين سيقوا الى حلب وكان من بين الاسرى بوهوموند الثالث وريموند حاكم طرابلس* وهيو الثاني لوزينان، وقسطنطين كولمان حاكم قيلقية البيزنطي. وغيرهم.[184] وكذلك في عام ١١٦٧/٥٦٢ حيث اتفق نور الدين وقطب الدين مودود على الاغارة على كونتية طرابلس مستغلين سوء اوضاعها الداخلية بعد اسر اميرها ريموند الثالث، وقد حضر مودود وشارك في هذه الغارة التي شملت اطراف حصن الاكراد وعرقة وحاصرا جبله القريب من اللاذقية وخرباها ثم استولى الاخوان على حصن العريمة وصافينا، ثم عاد الى حمص وبعد استراحة شهر رمضان سارا الى بانياس ودمرا قلعة هونين واراد نور الدين مهاجمة بيروت الا ان جنده تبرم بطول القتال ورغبتهم في التفرق، فعاد قطب الدين بعد ان اقطعه اخوه مدينة الرقة على الفرات فاخذها في طريق عودته الى الموصل.[185]

وفي فترة حكم سيف الدين غازي الثاني سيطر نور الدين على الموصل مما أدى الى مشاركة الموصل في سنة ١١٧٢/٥٦٧ في الحملة ضد الصليبيين بسبب نقض الهدنة وأخذ مركبين تابعين للمسلمين فقام نور الدين باستدعاء الجيوش الاسلامية – ومنها جيش الموصل – الى معاونته ضد الصليبيين فلما تجمعوا هاجموا عرقة وحصن صافينا والعريمة، وتوغل نور الدين في امارة طرابلس مدمراً كل ما كان يقابله من مراكز عمرانية فاضطر الصليبيون الى مراسلته واعادة ما اخذوه من المركبين وجددوا الهدنة معه.[186]

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي عاد دور الموصل واضحاً في المساهمة بالحروب الصليبية وذلك بمشاركتها في الهجوم على طبرية ثم معركة حطين سنة ١١٨٧/٥٨٣ وكان قائد جند الموصل هو فخر الدين مسعود الزعفراني.[187] وكانت معركة حطين من اعظم المعارك التي خاضها المسلمون وحققوا فيها نصراً مبيناً على الأعداء، وكانت ولاريب اعظم انجازات صلاح الدين في مقارعته للصليبيين حتى ان ابن الاثير يقول عنها "وما اصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل، وهو سنة احدى وتسعين واربعمائة الى الان، بمثل هذه الوقعة"[188] وكان من نتائج معركة حطين ضعف امر الصليبيين وتساقط حصونهم بيد صلاح الدين وقد تكللت نجاحات صلاح الدين بفتح بيت



المقدس وكان لقوات الموصل دور واضح في هذا الفتح العظيم.[189] كما شارك عسكر الموصل في حصار عكة سنة ٥٨٦/١١٩٠، فقد ارسل عز الدين مسعود جيشاً كبيراً بقيادة ابنه علاء الدين خرمشاه مع كمية من النفط الأبيض ومجموعة كبيرة من التراس والرماح.[190]

وعندما اراد صلاح الدين تقوية تحصينات بيت المقدس شارك صاحب الموصل في ذلك حيث ارسل جماعة من خيرة الحجارين وعددهم خمسون رجلاً شاركوا في اعمال التحصين وقطع الصخور وعملوا برجاً وبدنة، وكان هؤلاء يتسلمون اجورهم من عزّ الدين مسعود خلال الاشهر الستة التي استغرق فيها العمل ببيت المقدس.[191]

وبعد وفاة صلاح الدين انشغل اولاده واخوته في تنازعهم على السلطة، كما ان الاتابكة حاولوا استغلال هذا التنازع من اجل استعادة نفوذهم في اقليمي الجزيرة وبلاد الشام، لهذا أهملت الجبهة الصليبية لتنافس وتقاتل المسلمين فيما بينهم. وبعد ان عقد الصلح بين صاحب الموصل نور الدين ارسلانشاه والملك الاشرف ابن العادل سنة ٦٠١/١٢٠٥ عادت الموصل الى المساهمة في التصدي للصليبيين. فقد شاركت جيوش الموصل الملك العادل في حصاره ومهاجمته للحصون القريبة من طرابلس سنة ٦٠٤/١٢٠٨ لان الصليبيين اكثروا الغارة على حمص وولاياتها، كما ان حاكم عكا نقض عهده مع العادل مما جعل الاخير يهاجم املاكه حتى يلقنه درساً في الحفاظ على عهوده.[192] ثم انحسر بعد ذلك مجال مشاركة الموصل في التصدي للصليبيين في عهد بدر الدين لؤلؤ الذي انشغل بمشاكله وخلافاته مع الأيوبيين من ناحية ومع بقايا البيت الأتابكي من ناحية اخرى كما أن تدخل المغول في شؤون المنطقة جعلت حاكم الموصل بدر الدين ينشغل بمصانعة القادمين الجدد، وبذلك انتهى دور الموصل في المساهمة بالجهاد ضد الصليبيين.

بعد هذا الأستعراض الشامل للأوضاع السياسية التي عاشتها منطقة الموصل في ظل الحكم الأتابكي، بات من الضروري ان نوضح نظام الحكم واسلوب الادارة الذي اتبعه الاتابكة في حكم الموصل.

١ – نظام الحكم

أ – الأتابكية:

منذ تعيينه على الموصل عرف زنكي بلقب اتابك (الأمير الوالد، الامير المربي) والامارة التي اسسها سميت بأسم (اتابكية الموصل) والسلالة التي اعقبته بالحكم باسم الأتابكة. بدأت هذه التسمية عندما ولاّه السلطان محمود الموصل وسلمه ولديه الب ارسلان وفروخ شاه (المعروف بالخفاجي) وجعله اتابكاً لهما.

كان على زنكي من الناحية الرسمية ان يحكم بأسم اكبر الاميرين، الب ارسلان، وان يخطب له، ولذلك اظهر للخلفاء والسلاطين وأصحاب الأطراف ان البلاد التي يحكمها هي للملك (الب ارسلان) وانه نائب فيها لا غير، ومن المؤكد فإن هذا الاجراء من قبل زنكي كان إجراءً شكلياً لأن السلطة الفعلية كانت بيده، ولم يكن لأحد ولدي السلطان محمود سلطة فعلية، بل كانا أشبه بالمحتجزين، وقد فرق بينهما فجعل الب ارسلان في معقل من معاقل سنجار والخفاجي تحت اشراف زوجته في الموصل[193].

وحاول زنكي استغلال وجود هذين الاميرين السلجوقيين فقام بعدة محاولات لتنصيب الب ارسلان على عرش السلاجقة في العراق بالاتفاق مع الخليفة العباسي من اجل ان يجعل السلطة الفعلية لسلاجقة العراق بيده باسم السلطان الشرعي، لكن هذه المحاولات انتهت جميعها بالفشل[194].



وكان مما ترتب على اتابكية زنكي هي تلك المؤامرة التي قام بها الأمير الخفاجي سنة ٥٣٩/ ١١٤٤ اثناء غياب زنكي عن الموصل، اذ اتفق الخفاجي وانصاره على اغتيال نصير الدين جقر نائب زنكي في الموصل ثم السيطرة على المدينة وإعلان العصيان ضد زنكي. وقد نفذت الخطة عندما زار جقر الخفاجي للسلام عليه في قصره فقد هاجمه المتآمرون وقتلوه ونادوا بشعار الملك الخفاجي، فاضطربت المدينة وعمتها الفوضى، الا ان القاضي تاج الدين يحيى الشهرزوري احد رجال زنكي استطاع ان يخدع الخفاجي حيث اظهر انه معه وطلب منه التوجه الى القلعة واتخاذها مقراً له حتى تتجمع لديه الاموال والجند فوافق الملك على ذلك فاتجه هو وانصاره مع القاضي الى القلعة وعندما دخلوها قبض عليهم جند زنكي وبعد ايام قليلة قتل الخفاجي وانصاره داخلها[١٩٥].

وقد أبدى زنكي بعد مقتل الخفاجي عطفه على الملك الآخر (الب ارسلان) فألغى احتجازه ومنحه حرية اكبر وعين له حراساً وموظفين لخدمته، وطلب من رجاله الاهتمام بأمره واحترامه، ويبدو انه استهدف من ذلك تغطية مقتل اخيه الخفاجي كي لا يثير السلاجقة ضده ولاستغلال الب ارسلان لتحقيق طموحاته في المستقبل وذلك بالمطالبة بتوليه سلطنة العراق بعد وفاة عمه السلطان مسعود ليصبح زنكي الحاكم الفعلي باسم السلطان الجديد[١٩٦].

وعندما قتل عماد الدين زنكي اراد الب ارسلان ان ينتهز هذه الفرصة للاستيلاء على السلطة، فبادر بجمع العساكر والتوجه نحو الموصل، الا ان حركته لم يكتب لها النجاح اذ احبطت بفعل الجهود التي بذلها كل من الوزير جمال الدين الاصفهاني وصلاح الدين ياغسياني – امير حاجب في عهد زنكي – اللذين تداركا الأمر ومهدا لسيف الدين غازي لدخول الموصل واستقراره فيها.

وما ان تم لسيف الدين الأمر حتى ارسل فرقة من الجند القت القبض على الب ارسلان واقتيد الى الموصل حيث قيل انه قتل بعد ذلك[١٩٧] أما ابن الأثير فيذكر انهم «أخذوه وأدخلوه الموصل فكان آخر العهد به»[١٩٨] ولم يأت ذكر بعد هذا التاريخ للملك الب ارسلان، باستثناء ظهور اسمه على دينار اتابكي مضروب سنة ١١٥٥/٥٥٠ وهذا يدل على انه بقي في الموصل ولكنه كان خامل الذكر محجوراً عليه لا يذكر اسمه الا على العملة بجانب اسم السلطان سنجرشاه[١٩٩].

وفي سنة ٥٥٤/ ١١٥٩ توفي السلطان السلجوقي محمد بن محمود بباب همدان فاختلف السلاجقة فيمن يولونه السلطنة وانقسم القوم فيما بينهم وأخيراً وافقوا على تولية سليمان بن محمد. وكان سليمان شاه هذا مسجوناً في قلعة الموصل منذ سنة ١١٥٦/٥٥١ عندما وقع اسيراً بيد زين الدين علي كوجك في حصار بغداد، فاتفق الأمراء على ارسال مبعوث الى الموصل للتفاوض حول اطلاق سراح سليمان شاه، وعرض الرسول على قطب الدين مودود ان يكون أتابكاً للسلطان سليمان شاه، والمرجع اليه في جميع ممتلكاته وان تسند الوزارة الى جمال الدين الاصفهاني وان يكون زين الدين علي كوجك مقدماً على عساكر السلطان[٢٠٠].

ولم يتردد قطب الدين في قبول هذا العرض المغري ووجد فيه ما يحقق له من المكاسب والنفوذ ما كان يصبو اليه، فبادر الى إطلاق سراح سليمان شاه من السجن وامر بتجهيزه بالمال والثياب والخيل والالات ما يصلح للسلاطين، وأرسل معه زين الدين مع فرقة من عسكر الموصل لمرافقة السلطان الجديد الى همدان. وعند اقتراب موكب السلطان من بلاد الجبل اقبل اليه الامراء بعساكرهم فاجتمعت لديه حشود كبيرة، الامر الذي اخاف زين الدين فرأى من كثرتهم وتجاوزهم في سلوكهم مع



السلطان ما اوجب خوفه على نفسه ففضل العودة بعساكره الى الموصل.[٢٠١]

الا ان ايام سليمان شاه لم تطل بالسلطنة لسوء سلوكه وانشغاله بملذاته فاتفق الامراء على القبض عليه في شوال من سنة ٥٥٥/١١٦٠ ومات مسموماً بعد ذلك.[٢٠٢]

وعندما توحدت الموصل مع بلاد الشام ومصر في عهد صلاح الدين تم وضع نهاية للنفوذ الاسمي الذي كان باقياً للسلطان السلجوقي طغرل، فمنذ ذلك التاريخ قطعت الخطبة للسلاطين السلاجقة ورفع اسمهم من السكة، فقد كان من شروط الصلح بين صلاح الدين وصاحب الموصل ان يخطب له ويضرب اسمه على السكة ببلاده.[٢٠٣]

ب – نائب الأتابك (دزدار القلعة، محافظ القلعة)

أنشأ زنكي هذا المنصب بعد دخوله الموصل في رمضان من عام ٥٢١/ ١١٢٧ واطلقت عليه المصادر لقب النيابة احيانا. وبما ان زنكي كان في معظم اوقاته في حروب وتنقلات وكان مكوثه بالموصل قليلاً مما يرجح ان يجعل نائبه فيها المسؤول الاول وان يتمتع بسلطات عمليه واسعة. وكان عليه ان يدير شؤون الموصل وبقية اجزاء الامارة نيابة عن زنكي، وان يكاتب السلطان السلجوقي والخليفة خلال تغيب الامير.[٢٠٤] كما كان يقوم بجباية الضرائب وجمع الاموال والاشراف المستمر على تحصينات الموصل وتعميق خنادقها اضافة الى الاعمال العسكرية كالدفاع عن المدينة وقيادة الحملات العسكرية بناءً على اوامر الأتابك.[٢٠٥] بهذا فان النائب يمارس سلطات واسعة في شتى مجالات الادارية والمالية والعمرانية والعسكرية لانه كان معتمد الأتابك الاول في امارته. وهذا ينطبق على ما ذكره القلقشندي عن هذا المنصب في العهدين الايوبي والمملوكي من ان النائب هو "القائم مقام السلطان في عامة اموره او غالبها."[٢٠٦]

لاشك ان السلطات الأدارية الواسعة التي كان نائب زنكي يمارسها كانت تتطلب جهازاً ادارياً واسعاً لتنفيذ الاوامر والقرارات، وكان للنائب نواب ثانويون يعتمد عليهم في مهامه.[٢٠٧]

وقد تولى هذا المنصب النواب التالية اسماؤهم :–

١ – نصير الدين جقر بن يعقوب (٥٢١ – ٥٣٩ / ١١٢٧ – ١١٤٤) وهو اول نائب يعينه زنكي له وكان يساعده في حكم الموصل وال يعينه هو وقد ولى اولاً رجلاً يدعى بالقزويني كان ظالماً عسوفاً فكثرت شكوى الناس منه فعزله وعين محمد بن شكلة بدلاً منه، وقد اساء هذا السيرة اكثر من سلفه.[٢٠٨] ويبدو ان ما اتهم به جقر من ظلم كان بسبب نوابه هؤلاء. وقد قتل جقر في المؤامرة التي دبرها الخفاجي كما اسلفنا.

٢ – زين الدين علي كجك بن بكتكين (٥٣٩ – ٥٦٣ / ١١٤٤ – ١١٦٨) كان هذا الامير من ابرز رجالات زنكي عندما تولى الموصل، واشترك معه في كثير من حروبه ولهذا اقطعه عدداً من المدن المهمة التي حكمها كاربل وعقر الحميدية، وعين زين الدين نواباً عنه لادارة هذه الاقطاعات[٢٠٩] وكان حَسَن السيرة عادلاً في حكمه.[٢١٠] أصيب بالصم والعمى في نهاية حكمه لهذا سلم ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وهي شهرزور وجميع قلاعها، وجميع بلد الهكارية ومنها العمادية وعقر الحميدية، وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل. وبقيت معه اربل فقط التي ارتحل اليها وعاش فيها بقية عمره.[٢١١]



وكان لزنكي نائب في حلب وذلك لاهمية المدينة العسكرية والسياسية في بلاد الشام فاتخذها قاعدة له في المنطقة وعاصمة ادارية واقام فيها جهازاً ادارياً يشابه الى حد ما ذاك الذي اقامه في الموصل وجعل على هذا الجهاز نائبه في حلب ليقوم في منطقة الشام بما يقوم به نائبه في الموصل.[٢١٢] وقد تولى هذا المنصب سوار بن ايتكين (٥٢٤- ٥٤١/ ١١٣٠- ١١٤٦) وهو من الامراء الهاربين من دمشق والملتجئين الى زنكي فاكرمه وخلع عليه وعينه نائباً عنه في حلب.[٢١٣]

٣- فخر الدين عبدالمسيح (٥٦٣- ٥٦٦/ ١١٦٨- ١١٧١)، ولما فارق زين الدين علي كجك الموصل عين قطب الدين نائباً عنه فخر الدين عبد المسيح وحكمه في البلاد فعمر القلعة وكانت خراباً لان زين الدين كان قليل الالتفات الى العمارة وسار عبدالمسيح سيرة حسنة، وكان من مماليك زنكي، ولكن سيرته- على مايبدو- لم تكن مقبولة من امراء الموصل مما دفعهم الى استدعاء نور الدين ليخلصهم منه.[٢١٤]

٤- سعد الدين كمشتكين (٥٦٦- ٥٦٩/ ١١٧١- ١١٧٤) وهو من امراء نور الدين محمود عينه نائباً عنه في حكم الموصل وأمر سيف الدين- أتابك الموصل أن لاينفرد عنه بقليل اوكثير من الامور، وبقي الى ان توفي نور الدين وعند ذلك هرب من الموصل.[٢١٥]

٥- مجاهد الدين قايماز (٥٧١- ٥٩٥/ ١١٧٦- ١١٩٩) كان من صالحي الامراء حسن السيرة محباً للعلم وله معرفة بالفقه الحنفي واطلاع على التاريخ، كان يحب العمارة ولهذا انشأ الكثير من المنشآت الدينية وغيرها واثاره في الموصل عديدة، وقد استبد بشؤون الأمارة مما جعل عز الدين مسعود يلقي القبض عليه سنة ٥٧٩/١١٨٤ الا ان نتيجة هذا العمل كانت وخيمة فقد خرجت العديد من الولايات عن سلطة الأتابكة لانها كانت تدين بالولاء الشخصي والادارة المباشرة لهذا النائب مما اضطر مسعود الى اعادته الى منصبه بعد تسعة اشهر.[٢١٦]

٦- بدر الدين لؤلؤ (٥٩٥- ٦٣١/ ١١٩٩- ١٢٣٤) كان اقوى هؤلاء النواب واكثرهم تمكناً في البلاد، عينه نور الدين ارسلانشاه في منصب النيابة بعد وفاة مجاهد الدين قايماز، وبعد وفاة نور الدين سنة ٦٠٧/ ١٢١٠ اصبح نائباً لاولاد نور الدين القصر والحاكم الفعلي لامارة الموصل، فقاد الجيوش وعقد المعاهدات، وعمل على التخلص من ملوك وامراء البيت الأتابكي الواحد بعد الآخر الى ان اعلن وفاة اخرهم ناصر الدين محمود سنة ٦٣١/ ١٢٣٤ فأنفرد بحكم الأتابكية وضرب اسمه على السكة.[٢١٧]

جـ- ولاة المدن والاعمال

اضافة الى نائبي زنكي في الموصل وحلب كان له نوابٌ على المدن والاقاليم والقلاع التي فتحها، والمعلومات عن سلطات وصلاحيات هؤلاء وحدود اختصاصاتهم الأدارية غير واضحة، لكن يبدو ان اهم واجب عليهم تنفيذه هو حماية المدينة او القلعة التي ينوب فيها او يتولاها.[٢١٨] مع ادارة شؤونها والنظر في مصالحها نيابة عن الأتابك وعند تحكم نائب الاتابك في الموصل فانه يقوم بتعيين نواب عنه في ادارة المدن والاقاليم التابعة للموصل كما فعل زين الدين علي كجك، وكما فعل مجاهد الدين قايماز، ولهذا عندما قبض نورالدين مسعود عليه-

كما رأينا- امتنع نواب مجاهد الدين عن طاعة الموصل وتحكم نوابه فيها كما حدث في اربل وجزيرة ابن عمر ودقوقا وشهرزور وغيرها.[٢١٩]

د- الوزارة

عرفت الوزارة منذ قيام الخلافة العباسية وتطورت بتطور الاوضاع الادارية والحضارية، وظل هذا النظام متبعاً حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦/١٢٥٨، وقد اخذ السلاجقة هذا المنصب من جملة ما اخذوا من وسائل الأدارة العباسية واولوه مكانة كبيرة في ادارتهم بحيث اصبح الوزير نظام الملك في عهد السلطان الب ارسلان وملكشاه يتحكم بشؤون الادارة السلجوقية بشكل مطلق.

وكان امراً طبيعياً ان يتخذ الأتابكة وزراء لهم تقليداً للأدارة السلجوقية من ناحية ورفعاً لمكانتهم من ناحية اخرى.

وعلى الرغم من عدم وضوح واجب الوزير وصلاحياته في الأدارة الأتابكية، حتى اننا نلاحظ وجود اكثر من شخص في وقت واحد يلقبون بالوزير، وبخاصة في عهد زنكي، وقد يكون ذلك لوجود وزير صحبه ووزير مقيم في العاصمة.[٢٢٠] ولكن مما لاشك فيه ان الوزير في العهد الأتابكي كان مسؤولاً عن الأدارة المدنية والمالية للامارة وليس هناك من تعارض بينه وبين نائب الأتابك الذي كانت صلاحياته في الأساس سياسية عسكرية. لهذا نلاحظ ان سيف الدين غازي. كافأ الوزير جمال الدين الأصفهاني الذي احبط مؤامرة الب ارسلان بعد مقتل زنكي سنة ٥٤١/١١٤٦ و"حكمه واعطاه عشر دخل بلاده"[٢٢١] وهذا ما كان يأخذه الوزير نظام الملك.

ويطنب ابن الأثير في وصف الوزير جلال الدين ابا الحسن علي بن جمال الدين الذي استوزره سيف الدين غازي سنة ٥٧١/١١٧٦ بقوله "فظهرت منه كفاية لم يظنها الناس، وبدأ منه معرفة بقواعد الدول واوضاع الدواوين، وتقرير الامور، واطلاع على دقائق الحسابات، وعلم بصناعة الكتابة الحسابية حيرت العقول، ووضع للناس في كتابة الانشاء وضعاً لم يعرفوه."[٢٢٢]

أليست هذه الصفات هي الوظائف التي كان يتقلدها الوزير، انها اختصاصاته ولاشك، فهي الأمور الادارية والأشراف على الدواوين وخاصة ذات العلاقة بالحسابات والمالية وكتابة الانشاء والترسل.

وأبرز وزراء الأتابكة هم :-

١- ضياء الدين ابو سعد الكفرتوثي (٥٢٨-٥٣٦/ ١١٣٤-١١٤٢) وهو اول الوزراء الذي عينهم زنكي.[٢٢٣]
٢- ابو الرضا محمد بن صدقة (٥٣٦-٥٣٨/ ١١٤٢-١١٤٤). كان وزيراً للخليفة الراشد بالله ثم التجأ الى زنكي فعينه وزيراً له، ويبدو من قصر فترة وزارته عدم كفاءته في الأدارة، وبعد عزله عاد الى بغداد.[٢٢٤]
٣- ابو الغنائم حبشي بن محمد الحلي (٥٣٨-٥٤١/ ١١٤٤-١١٤٧)[٢٢٥] وهو اخر وزراء زنكي.
٤- جمال الدين الأصفهاني (٥٤١-٥٥٨/ ١١٤٧-١١٦٣) كان ادارياً محنكاً تقدم في عهد زنكي فجعله مشرفاً على جميع امارته.[٢٢٦] ويعود اليه الفضل في القضاء على تآمر آلب ارسلان ومجيء سيف الدين غازي الى الحكم، كما لعب دوراً كبيراً في اقرار الصلح بين الاخوين سيف الدين ونور الدين، واستمر وزيراً حتى سنة ٥٥٨/ ١١٦٣ حيث القى قطب الدين القبض عليه وأودعه السجن ويذكر ابن خلكان سبب سجنه بان قطب الدين "استكثر اقطاعه وثقل عليه امره ولذلك قبض عليه



وسجنه.»[٢٢٧] لان وارده السنوي كان عُشر دخل البلاد.[٢٢٨] وهو مبلغ كبير ولاشك في حالة صحة الخبر.

كان هذا الوزير حسن السيرة وقد سببت تنحيته توتراً عاماً واضطراباً في الموصل، وقد توفي سنة ١١٦٤/٥٥٩ في السجن، فخسرت الموصل بفقده ركناً هاماً من اداريها الجيدين، وقد كانت له مآثر داخل الموصل وخارجها فقد شيد الجسور والربط، وشيد سوراً على مدينة الرسول (ص) وزخرف الكعبة بالذهب والفضة وبنى مسجداً في عرفات.[٢٢٩]

٥- جلال الدين ابا الحسن علي بن جمال الدين الأصفهاني (٥٧١- ٥٧٣/ ١١٧٦- ١١٧٨) كان وزيراً قديراً فاضلاً عالماً بالحساب والادارة والكتابة مثل أبيه، وكان عمره عند تقلده الوزارة خمساً وعشرين سنة ثم قبض عليه سنة ١١٧٨/٥٧٣ وبقي أسيراً ثم اطلق سراحه فسار الى آمد ثم دنيسر حيث توفي هناك سنة ١١٧٩/٥٧٤ ودفن عند والده في المدينة المنورة.[٢٣٠] ويذكر ابن الأثير ان القبض على هذا الوزير كان "بغير جرم ولا عجز ولا لتقصير بل لعجز سيف الدين، فان جلال الدين كان بينه وبين مجاهد الدين قايماز مشاحنة فقال مجاهد الدين لسيف الدين لابد من قبض الوزير، فقبض عليه كارهاً...»[٢٣١]

ويبدو ان منصب الوزارة اخذ بالتدهور والاختفاء لان اتابكية الموصل اخذت بالتقلص، كما ان استبداد نواب الأتابكة بالسلطة وسيطرتهم على شؤون الامارة جعلهم ولاشك يصطدمون بالوزراء، وهذا يؤدي الى أزدواجية في الحكم كان لابد ان يُحسم للاقوى منهم، ولهذا نلاحظ ان زين الدين علي كوجك حرض الأتابك على تنحية جمال الدين الأصفهاني وقايماز عمل على تنحية الوزير جلال الدين بن جمال الدين.

وبعد وفاة قايماز سنة ١١٩٩/٥٩٥ حاول نور الدين ارسلان شاه ان يكلف مجد الدين ابن الاثير بالوزارة الا ان الاخير اعتذر عن قبول المنصب بسبب انشغاله بالعلم وعزوفه عن الامور السياسية والأدارية.[٢٣٢]

وهناك ذكر لوزير في عهد بدر الدين لؤلؤ، يقول ابن الفوطي "ان فخر الدين (كذا) كان من اعيان اهل الموصل واكابرها كان مقدماً عند بدر الدين ابي الفضائل لؤلؤ بن عبدالله صاحب الموصل، واستوزره وفوض اموره اليه واعتمد في جميع مهماته عليه.»[٢٣٣]

هـ- الدواوين:

عني زنكي بامر الوظائف والموظفين كي يسير امارته بشكل منظم ويجنب جهازه الاداري الهزات والمشاكل التي تعرقل سير الأمور، لهذا كان يعين الموظفين الاكفاء ويقرر رواتبهم على ضوء كفائتهم، وكانت الرواتب التي يخصصها لهم مجزية وكان يثق بهم كي يشعرهم بالامن والاستقرار حتى يقدموا اقصى ما في جهدهم في خدمته.[٢٣٤] وبالوقت نفسه كان قاسياً في عقوبة من يسيء منهم، فقد عاقب عز الدين الدبيسي، وهو من اكابر امرائه لانه سلب احد يهود جزيرة ابن عمر منزله، وعاقب احد ولاته بِسَمْلِ عينيه لتعرضه لأمرأة.[٢٣٥] ولهذا السبب "خاف الولاة وانزجروا".[٢٣٦]

والحديث عن الوظائف لابد وان يجرنا الى الحديث عن الدواوين، فهل كان للأتابكة دواوين؟ كم عددها؟ وما هي اختصاصاتها؟ بالحقيقة لانستطيع ان نجيب عن هذه التساؤلات اجابة وافية، فباستثناء ديوان الجند لم ترد سوى اشارتين غامضتين عن الديوان بصورة عامة احداها

تقول ان زنكي جعل جمال الدين الاصفهاني مشرفاً على ديوانه، دون اعطاء اية تفصيل عن اختصاصات هذا الديوان واقسامه المالية والأدارية على الرغم من ان هذا الديوان كان لابد ان يكون ذو اهمية كبيرة بحيث جعل الأصفهاني مشرفاً عليه، وهو ذو المكانة الأدارية العالية. اما الأشارة الثانية الى الديوان فهي تلك التي اوردها ابن الأثير وتقول ان ديوان زنكي كان "يقارن بدواوين السلاطين السلجوقية لكثرة التجمل ونفاذ الامر وعظم الحاشية والخراج." [٢٣٧]

وبعد عهد زنكي ينعدم ذكر الدواوين بشكل صريح باستثناء اشارات الى جمع الضرائب ومساحة الارض، ولكن دون الأشارة الى النظام المالي وهو على العموم لايختلف عما هو متبع في الأدارة العباسية ولكن بشكل مختصر.

اما بالنسبة لكتابة الانشاء فهي وظيفة ضرورية في الأدارة، ولهذا كانت الموصل تضم عدداً من كتاب الانشاء وخاصة في عهد بدر الدين لؤلؤ، وكان يجب ان يكون كاتب الانشاء متضلعاً باللغة والكتابة، كما انه لابد وان يطلع على اسرار سياسة الامير، وله معرفة باحوال الادارة المختلفة وكان ابرز من تولى هذا المنصب هم:

ضياء الدين بن الاثير الذي كان اديباً بارزاً وله مؤلفات عديدة ككتاب (المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر) [٢٣٨] وعلي بن احمد بن محمد ابو الحسن الكاتب الموصلي الشيباني كتب الانشاء لنور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود [٢٣٩] والحسن بن محمد بن ابي بكر المجلى الموصلي المعروف بابن الجهني- المتوفى سنة ٦١٧/ ١٢٢٠ [٢٤٠].

ومن كتب لبدر الدين لؤلؤ محي الدين ابو المحاسن يوسف بن سلامة الهاشمي المعروف بابن زيلاق [٢٤١] وكذلك ابراهيم بن عبدالكريم بن كنصا ابو اسحق الموصلي الذي كان بارعاً بالكتابة. [٢٤٢]

العملة الأتابكية: -

اهتم اتابكة الموصل بضرب النقود الخاصة بامارتهم منذ عهد زنكي ودققوا في نقاوة معدنها- الذهب والفضة- وسار احفاده على نهجه، فضربوا العملات الذهبية- الدنانير- التي تحمل اسماءهم ونقشوا عليها كتابات بالخط النسخي او الكوفي- المورق والمزهر على غرار الدنانير العباسية، واضافة الى الدنانير الذهبية ضربوا الفلوس النحاسية على اساس انها نقود مساعدة تفيد في مرونة العمليات التجارية وشراء الحاجيات البسيطة، كما ان بعض العملات الأتابكية التي عثر عليها كانت تزدان بنقوش تمثل رسوماً ادمية وحيوانية. وقد ظهرت هذه الصور على الدراهم الفضية والبرونزية وخاصة في عهد بدر الدين لؤلؤ، وكذلك على الفلوس النحاسية المضروبة ابتداءً من عهد قطب الدين مودود. وكان يكتب على هذه النقود اسم الأتابك والسلطان السلجوقي- الى ان اسقط اسمه وحل محله اسم صلاح الدين ثم الملك الأشرف، وفي عهد بدر الدين لؤلؤ ظهرت اسماء بعض الخانات المغول، وكذلك اسم الخليفة وفي بعض الأحيان اسم ولي عهده، وكانت غالبية الفلوس النحاسية تخلو من اسم الخليفة. [٢٤٣]

٢- القضاء في الموصل

كان القضاء يقوم على المذهب الشافعي في الموصل، وقد اولى الأتابكة اهتماماً كبيراً بشؤون القضاء فجعلوا على رأس هذا الديوان مرجعاً اعلى عُرف بقاضي القضاة وهو تقليد لما كان سائداً لدى العباسيين. وكانت ابرز واجبات قاضي القضاة هو الفصل في الخصومات وفرض العقوبات على الذين يخرجون عن الشريعة الأسلامية ثم الوصاية على اليتامى والمجانين والقاصرين، وادارة المؤسسات الدينية وامامة الناس في صلاة الجمعة، وتعيين



القضاة في الولايات والمدن التابعة للامارة.[٢٤٤]

واول من تقلد منصب قاضي القضاة في اتابكية الموصل هو بهاء الدين ابا الحسن علي بن الشهرزوري فقد جعله زنكي قاضي قضاة بلاده جميعها وما يفتحه من البلاد واصبحت له مكانة رفيعة ومنزلة سامية[٢٤٥].

وفي عهد سيف الدين غازي الاول تولى كمال الدين محمد بن الشهرزوري منصب قاضي القضاة في الموصل، الا ان سيف الدين اقدم على اعتقاله هو واخيه تاج الدين ابو طاهر ووضعهما في قلعة الموصل سنة ١١٤٧/٥٤٢ ثم أطلق سراحها بعد ذلك فانتقل كمال الدين الى نور الدين محمود، وفوض سيف الدين امر القضاء بعده الى القاضي نجم الدين ابي علي الحسن بن بهاء الدين الشهرزوري.[٢٤٦]

ثم تولى القضاء في عهد عز الدين مسعود ابو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري الذي ارتفعت منزلته لدى الأتابك واختاره عنه رسولاً الى بغداد مراراً وتوفي في سنة ١١٩٠/٥٨٦.[٢٤٧]

وتولى القضاء في زمن نور الدين ارسلان شاه عماد الدين محمد بن يونس بن منعة ثم عزل.[٢٤٨]

ويبدو انه كانت في الموصل دار للعدل يجتمع فيها مجلس الحكم الذي يرأسه قاضي القضاة وقد ذكر ابن الاثير ان نور الدين ارسلان شاه الاول جلس في دار العدل للانصاف والاخذ للضعفاء من الأقوياء.[٢٤٩]

٣- النظام العسكري

أ- الجيش: -

انتشرت في منطقة الموصل والجزيرة والشام مجموعة من الامارات المحلية المتنافسة والمتنازعة فيما بينها، وكان السيف- اي القوة العسكرية- هو الحكم الوحيد والنهائي في بقائها او زوالها، وعندما قامت اتابكية الموصل كان عليها ان تثبت وجودها بالقوة، وتوسع من ممتلكاتها عن طريق جيش قوي منظم وموالي لسلطة الأتابكة، حتى يستطيعوا ان يركنوا اليه في نزاعاتهم المحلية وفي محاولاتهم لتوحيد المنطقة. والمعلومات المتوفرة عن جيش زنكي محدودة وفي اغلب الاحيان تكتفي بالاشارة المختصرة والتلميحات السريعة.

وقد نظم زنكي (ديوان الجيش) ليقوم بالاشراف على امور الجند وتنظيمهم وتوزيع رواتبهم واعطياتهم بانتظام. وجعل على راس هذا الديوان موظفاً اعلى يطلق عليه لقب (امير حاجب).[٢٥٠] ووظيفته تختلف عن وظيفة الحجاب القدماء إذا أن عمله هو ان "ينصف بين الامراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب ان كان، واليه تقديم من يعرض ومن يرد وعرض الجند وما ناسب ذلك".[٢٥١]

كانت الرواتب تقسم بين جنده كل ثلاثة اشهر مرة، وحدث مرة ان تأخرت رواتب حرسه الخاص- الخراسانية- فأجتمعوا ووقفوا بحيث يراهم مجتمعين فعلم انهم يشكون شيئاً فأرسل اليهم وسألهم عن حالهم فذكروه له فقال لهم "اشكوتم الى الديوان، قالوا: لا، قال: فهل ذكرتم حالكم لصلاح الدين امير حاجب، قالوا: لا، قال: فلأي شيء اعطي الديوان مائة الف دينار واعطي الامير حاجب اكثر من ذلك، اذا كنت انا اتولى الامور صغيرها وكبيرها..."[٢٥٢] يتبين لنا من هذا النص وجود ديوان للجند ويشرف عليه (امير حاجب) ومخصص له مبلغ من المال لتوزيعه على الجند، وله بالتالي صلاحيات كبيرة، وليس لدينا معلومات عن اصناف موظفي ديوان الجند وما هي مناصبهم وعددهم، ولكن من المؤكد ان زنكي اهتم اهتماماً كبيراً بهذا الديوان وبمخصصاته المالية وأجهزته.

وكان امير حاجب، في الوقت نفسه، احد قواد زنكي الكبار وربما قائده الاعلى، اذ وصف بكونه "اكبر امير مع زنكي".[٢٥٣] واشترك معه في قيادة الجيش والمعارك الحربية. وتولى هذا المنصب صلاح الدين محمد بن ايوب الباغسياني، وكان يشغل ذات المنصب في عهد اقسنقر البرسقي.[٢٥٤] ويرجع سبب توليته هذا المنصب من قبل زنكي هو الجهد الذي بذله الباغسياني في توليه زنكي ولاية الموصل حيث وعده زنكي بهذا المنصب حالما يستقر في الموصل. وبر بوعده واصبح الباغسياني امير حاجب وظل في منصبه حتى وفاة زنكي الذي اقطعه حماه وحصن الخربة وكفر طاب.[٢٥٥]

وبعد وفاة زنكي لم يتولى احد هذا المنصب في الموصل ولهذا لم يعد يذكر في مصادرنا التاريخية. اما بالنسبة لتنظيم الجيش والعناصر المكونة له فالمعلومات عنها قليلة ومقتضبة، فهل كان جيش زنكي على غرار ما اتبعه السلاجقة حيث ينظم الامراء المشرفون على الجند بشكل متدرج يلقب اكبرهم بمقدم الف ويليه امراء المئين ثم امير اربعين ثم امراء العشرات والخمسات الذين يعتبرون من اكابر الاجناد،[٢٥٦] اننا لانستطيع ان نجيب عن ذلك لعدم توفر المعلومات. اما العناصر التي كونت جيش زنكي فهناك (الخراسانية) الذين كانوا (يخدمون في الركاب) اي ما يشبه الحرس الخاص المرافق للامير، وكان هؤلاء يتقاضون رواتب عالية؛ اذ كانوا بحاجة الى النفقات في اسفارهم وتحركاتهم المستمرة كمرافقين لزنكي.[٢٥٧] ليس لدينا ما يشير الى مصدر هؤلاء الخراسانية هل جاءوا من بغداد ام كانوا مقيمين في الموصل، كما لاتشير المعلومات الى امرائها وطبيعة تنظيمها.[٢٥٨]

وكان التركمان عنصراً اخر في الجيش الأتابكي، ويشكلون نسبة عالية من جند زنكي، وكانوا منتشرون في معظم انحاء الشام وخاصة في مناطق الفرات ولذلك كان زنكي "يمضي الى الفرات لجمع التركمان"[٢٥٩] قبل القيام بمعاركه المهمة، اذ كان هؤلاء باعدادهم الضخمة ومِرَانِهم في الحرب وشجاعتهم يشكلون اهم عنصر في جيشه، ومعظمهم كانوا متطوعة يسعون وراء الغنائم والجهاد ويتفرقون بعد المعركة.[٢٦٠]

وهناك اشارات الى (الحلبيين) كقوة عسكرية اشتركت في معارك عديدة ضد الصليبيين. وقد قام الحلبيون بدور هام في فتح الرها عام ٥٣٩/١١٤٤ جنباً الى جنب مع الخراسانيين، وهؤلاء الحلبيون هم من سكان حلب الاصليين اي من العرب، وكانوا يبلون في القتال بلاءً حسناً، حتى ان زنكي كان يكره فلاحي حلب على الالتحاق بجيشه في اوقات القتال ويعودون الى اعمالهم الزراعية بعد انتهاء المعارك. كما استصحب من اهل حماه عدداً كبيراً يخدمون الركاب اي للقيام بمهمة الحشم في خدمة الجيش وامرائه في حلهم وترحالهم فضلاً عن حراسة زنكي الخاصة.[٢٦١] كما ان سكان بقية المدن — والموصل على الأخص — لعبوا ادواراً بارزة في الدفاع عن مدنهم ضد الأعداء فاهل الموصل لعبوا دوراً بارزاً في الدفاع عن مدينتهم عندما حاصرها صلاح الدين ثلاث مرات ولم يسمحوا له — كما رأينا — باقتحامها بالقوة، ولاشك ان اهل بقية المدن لعبوا نفس الدور في الدفاع عن مدنهم. كما اتيحت الفرصة لاهل الموصل ان يشاركوا في الجهاد ضد الصليبيين تحت قيادة نور الدين وصلاح الدين والامراء والأتابكة الذين شاركوا بجدية في التصدي للصليبيين. وكان للجيش ميداناً خاصاً يؤدي فيه تمارينه العسكرية والعابه ويشتمل الميدان على مقصورة (جوسق) يشرف منها الأتابك على العساكر ويستعرضهم.[٢٦٢]

ولاشك ان النظم السلجوقية من تسليح



وتكتيك قتالي قد اتبعه اتابكة الموصل لان هذه النظم كانت متطورة آنذاك وتتيح الانتصار على اعداء الأمة، يضاف الى ذلك ما استحدثه الأتابكة انفسهم فان سيف الدين غازي "هو اول من امر عسكره ان لايركب احدهم الا والسيف في وسطه والدبوس تحت ركابه سفراً وحضراً، ولم يكن يفعل قبل ذلك في سائر البلاد الا في السفر، فلما امر هو عسكره إقتدى به غيره من اصحاب الاطراف." (٢٦٣)

كانت غالبية الجيش تتكون من الخيالة رماة السهام الذين يرمون سهامهم وهم على ظهور خيولهم، ولهذه التقنية القتالية اهمية بالغة في القتال لسرعة تحرك الفرسان ومرونتهم وسرعة خيولهم التي يمتطونها وبالتالي يمطرون الاعداء بوابل من سهامهم عند هجومهم او عند انسحابهم، وهناك الرجالة الذين يمارسون الحرب على الارض ووجودهم ضروري في حالات الحصار واقامة المعسكرات والاعمال الحربية الاخرى، وكان للحجارين الذين يتولون اعمال التحصين او ثقب الاسوار وهدم التحصينات وحفر الخنادق دور مهم في الجيش الأتابكي. كما كان لرماة النفط دورهم في حالات الحصار والهجوم على تحصينات الاعداء وادواتهم القتالية وخاصة المجانيق التي كانوا يرمونها بالنفط حتى تحترق. (٢٦٤)

ب - البريد :

اولى الأتابكة عناية خاصة بشؤون البريد للأغراض العسكرية البحتة، فاعدوا لذلك كل ما يتطلبه من خيول وهجن وحمام زاجل ورجال، وذكر القلقشندي اهتمام الأتابكة بالبريد فقال "فلما جاءت الدولة الزنكية اقامت لذلك النجابة واعدت لها النجب المنتخبة، ودام ذلك مدة زمانها، ثم زمان بني ايوب الى انقراض دولتهم." (٢٦٥) وقد استخدم البريد وسيلة من وسائل الاتصال وطلب النجدات وايصال الاخبار بسرعة وخاصة الى زنكي عن تحركات اعدائه وعن نواياهم واستخدم زنكي الهجن السريعة والحمام الزاجل. (٢٦٦) ويصف ابن الأثير مدى اهتمام زنكي بالبريد فيقول "فمن ارائه الصائبة انه كان شديد العناية باخبار الاطراف وما يجري لاصحابها حتى في خلواتهم ولاسيما دركاه - سراي - السلطان وكان يخسر على ذلك المال الجزيل، وكان يطالع ويكتب له كل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب وسلم وهزل وجد وغير ذلك.." (٢٦٧)

واستخدام الحمام الزاجل - الهوادي - في نقل البريد كان شائعاً، وقد نقل نور الدين محمود هذا النوع من الحمام واستخدمه في نقل الاخبار ليقف على تحركات الصليبيين في بلاد الشام باسرع وقت. كما رتب من يقوم بتربية وحفظ هذا الحمام واجرى عليهم الجرايات الوافرة. (٢٦٨)

ج - الأقطاع :

كانت ولاية زنكي واولاده من بعده ولاية اقطاعية حسب النظم السائدة في العهد السلجوقي وعلى الرغم من تمتعه ومن جاء من بعده باستقلالية واسعة الا أنه كان نظرياً على الاقل يطبق الألتزامات الأقطاعية التي كانت تربطه بالسلاطين السلاجقة وهي التبعية السياسية والعسكرية.

وكان بقاء الأتابك وهو من يرضى السلطان السلجوقي عنه لان السلاجقة بنو نظامهم الأقطاعي على فكرة اعطاء الاقطاع مقابل الخدمة وكان لديهم اكثر من صنف من الأقطاع ولكن اكثرها شمولية واهمية هو الاقطاع العسكري. (٢٦٩) وبما ان هذا النوع من الاقطاع هو الصيغة السياسية المتبعة آنئذ في ادارة الأقاليم لذا أدرك زنكي وخلفاؤه ان عليهم توزيع المناطق التي يحكمونها كاقطاعات على الامراء والاجناد لادارتها وحمايتها من الامارات الكثيرة المعادية المحيطة بها، فكان



عليهم ان يتبعوا الأساليب التي تضمن لهم تشكيل قوة عسكرية قوية يخلص افرادها للأتابكة ويرتبطون معهم بمصالح متينة هي الأقطاعات المعطاة لهم. لهذا فان اول عمل قام به زنكي عند دخوله الموصل عام ٥٢١/١١٢٧ هو "تقرير قواعد الجند واقطاع العساكر"(٢٧٠) كما قرر قبل الاصطدام بالصليبيين والاستيلاء على ما بيد صاحب الرها "من البلاد الشامية والجزرية والفراغ من اقطاع بلادها لجند يختبرهم ويعرف نصحهم وشجاعتهم."(٢٧١)

وقد حاول زنكي ان يكون امارة اقطاعية ولكن اقطاع لايقوم على ملكية الارض بل على وأرد الارض، لهذا نهى امراءه عن اقتناء الاملاك، وقال موضحاً سياسته هذه "مهما البلاد لنا فاي حاجة بكم الى الاملاك، فان الاقطاعات تغني عنها، وان خرجت البلاد عن ايدينا فان الاملاك تذهب معها، ومتى صارت الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم."(٢٧٢)

وكان على المقطع ان يدير اقطاعه ويدافع عنه وامداد جيوش الاتابك بقواته في اوقات القتال. وقد قام الاتابكة باقطاع بعض الأشخاص اعترافاً بفضلهم او استمالةً لبعض الامراء المحليين حتى يتحالفوا معهم.(٢٧٣)

وكان المقطعون العسكريون بصورة عامة يقيمون في المدن ويديرون اقطاعاتهم عن طريق الوكلاء، وبهذا اصبح الفلاحون يهيئون لهم الموارد المالية لينصرفوا للخدمة العسكرية ولاعداد الجند.(٢٧٤) لانعرف مقدار الضريبة او نسبة المقاسمة التي كان يأخذها المقطع من الفلاحين، ولكن يبدوا انها كانت في زمن زنكي كبيرة يدل على ذلك هروب عدد من فلاحي الموصل الى ماردين فلما طالب زنكي باعادتهم اجابه صاحب ماردين "اننا نحسن الى الفلاحين ونخفف عنهم ونأخذ منهم في القسمة من الغلال العشر، فلو فعلتم مثل فعلنا لم يفارقوكم."(٢٧٥) وقد علل زنكي ارتفاع الضرائب الى كثرة نفقاته في محاربة اعدائه وفي الجهاد ضد الصليبيين.(٢٧٦) وبصورة عامة فان اقطاعات الاتابكة كانت من باب اقطاع الاستغلال– او الاقطاع الاداري– لان الاتابكة كانوا يسترجعون هذه في حالات معينة كالوفاة او العزل، ولكن ظهر ميل نحو الاقطاع الوراثي لدى افراد الاسرة الزنكية ومن هنا نلاحظ ظهور اتابكيات جديدة انفصلت عن اتابكية الموصل هي اتابكية سنجار واتابكية جزيرة ابن عمر واتابكية اربل(٢٧٧). كما ان نور الدين زنكي استحدث توريث الاقطاعات الصغيرة، فانه كان اذا توفى احد الاجناد وخلف ولداً أقرَّ قطاعه عليه "فان كان صغيراً رتب معه رجلاً عاقلاً يثق اليه فيتولى امره الى ان يكبر فكان الاجناد يقولون هذه املاكنا يرثها الولد عن الوالد فنحن نقاتل عنها. وكان ذلك سبباً عظيماً من الاسباب الموجبة للصبر في المشاهد والحروب"(٢٧٨)

كان اكبر المقطعين هم نواب الأتابك وكبار الامراء والوزراء واصحاب الدواوين، وكان هؤلاء لايغادرون الموصل لادارة اقطاعاتهم بل كانوا ينيبون من يديرها عنهم، مثلما فعل امير حاجب صلاح الدين الياغسياني الذي اقطع عدة مدن فاناب في كل منها من يعتمد عليه في ادارة شؤونها. وكذلك فعل زين الدين علي كجك بن بكتيكين وكذلك صنع مجاهد الدين قايماز وغيرهم. وقد سلم هؤلاء اقطاعياتهم بعد عزلهم الى الاتابكة او عادت بعد وفاتهم الى الأدارة الأتابكية.(٢٧٩) فمثلاً عند وفاة عز الدين الدبيس– وهو من الامراء اكبار في عهد زنكي سنة ٥٥٢/١١٥٧ في جزيرة ابن عمر "فسار قطب الدين مودود ابن الشهيد اليها ظناً منه انه لايمتنع عليه، لانها كانت بيد الدبيسي اقطاعاً



منه»[280] اي انها كانت اقطاع استغلال يجب ان تعود الى من اقطعها عند وفاة المقطع.

الهوامش

(١) البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني، تأريخ دولة آل سلجوق-من أنشاء عماد الدين الأصفهاني، وأختصار البنداري)، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٨، ص١٨٧، ابن كثير-البداية والنهاية، مطبعة السعادة مصر، ح ١٢ ص١٩٦.

(٢) ابن الأثير-الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة ١٩٦٣، ص ٦. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أمدروز، بيروت ١٩٠٨، ص١١٩-١٢٠.

(٣) ابن القلانسي، ص٢٩-١٣٠. ابن الأثير- الكامل في التاريخ- دار صادر بيروت ١٩٦٥-١٩٦٦-ح ١٠ ص٢٣٢-٢٣٣.

(٤) الباهر ص١٥.

(٥) المصدر نفسه ص١٦.

(٦) المصدر نفسه ص١٦ ومابعدها وص ٢٤، أنظر عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، بيروت ١٩٧١، ص٣٨-٤٠.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن، الهند ١٣٥٩هـ ح ٩ ص٢٥٧-٢٥٩، ابن الأثير، الباهر ص٢٨-٣١.

(٨) الكامل ح ١٠ ص٦٤١.

(٩) الكامل ح ١٠- ص٦٣٣، الباهر ص٣٤-٣٥.

(١٠) الكامل ح ١٠- ص ٦٤٣ ومابعدها.

(١١) الباهر ص ٣٥. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، القاهرة ١٢٨٨هـ ح ١ ص ٣٠.

(١٢) الباهر ص٣٦. أبو شامة، الروضتين ح ١- ص٧٧.

(١٣) الكامل ح ١٠ ص٦٤٩-٦٥٠.

(١٤) الكامل ح ١١ ص١٤-١٥.

(١٥) ابن القلانسي، ص٢٨٤-٢٨٥، الكامل ح ١١ ص ١١٠ ومابعدها.

(١٦) الكامل ح ١٠ ص٤٩٧ و ص ٦٣٣.

(١٧) الباهر ص ٧٧-٧٨، سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، بغداد ١٩٥٨ ص٢٤-٢٥.

(١٨) الكامل ح ١١ ص١١٢-ومابعدها.

(١٩) الباهر ص٨٦-٩٣، الكامل ح ١١ ص١٣٨، سعيد الديوه‌جي- تأريخ الموصل، الموصل ١٩٨٢، ح ١ ص٢٨٦.

(٢٠) الباهر ص٩٨.

(٢١) الباهر ص ٩٨.

(٢٢) المصدر نفسه ص١٤٨-١٤٩.

(٢٣) الباهر ص١٥٢-١٥٣. سعيد الديوه جي، تأريخ الموصل ح ١ ص٢٩٣-٤.

(٢٤) الكامل ح ١١ ص٣٦٥.

(٢٥) الباهر ص١٥٤.

(٢٦) الكامل- ح ١١ ص٣٩٥.

(٢٧) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان، حيدر اباد الدكن ١٩٥١ ح ٨ ص٢٩٣.

(٢٨) الكامل ح ١١ ص٤٠٧.

(٢٩) الكامل ح ١١ ص٤٦٢-٤٦٣، أنظر سعيد الديوه جي، تأريخ الموصل ح ١- ص١٩٤.

(٣٠) رشيد الجميلي، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٥. ص١١٨ ومابعدها.

(٣١) الباهر ص١٨١.

(٣٢) الكامل ح ١١ ص٤٦٣.

(٣٣) الكامل ح ١١ ص٤٨٢-٤٨٦، بهاء الدين بن شداد، سيرة صلاح الدين (السيرة اليوسفية) تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٣ ص٥٧.

(٣٤) الكامل ح ١١ ص ٥٠٠.

(٣٥) ابن شداد-سيرة صلاح الدين ص٦٨-٧٠.

(٣٦) الكامل- ح ١١ ص٥١٧.

(٣٧) الكامل ح ١٢ ص١٠١، الباهر ص١٨٦.

(٣٨) الباهر ص١٨٧.

(٣٩) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ح ٨ ص٥٤٦، أبو شامة، الذيل على الروضتين القاهرة ١٩٤٧ ص٧٠. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ح ٣، تحقيق يحيى عبارة دمشق ١٩٧٨ ص١٩٢.

(٤٠) الكامل ح ١٢ ص٢٩٤، سبط ابن الجوزي. ح ٨ ص٤٦ ب.

(٤١) سعيد الديوه جي- تأريخ الموصل ح ١ ص ٣٠٩.

(٤٢) ابو شامة، تراجم رجال القرنين- الذيل على الروضتين- ص١١٤.

(٤٣) الكامل، ح ١٢ ص٣٣٣-٣٣٤.

(٤٤) رشيد الجميلي- دولة الأتابكة في الموصل، ص١٩٠-١٩١.

(٤٥) ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي، النجف ١٩٦٩ ح ٢ ص١٩٦، سعيد الديوه جي، تأريخ الموصل، ح ١ ص٣١١-٣١٢.

(٤٦) الكامل ح ١٢ ص٣٣٩.

(٤٧) ابن كثير- البداية والنهاية ح ١٣ ص١٣٦، سعيد الديوه‌جي، تأريخ الموصل ح ١. ص٣١٤.

(٤٨) الحوادث الجامعة- منسوب الى ابن الفوطي، تحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١ هـ ص٥٢.

(٤٩) الحوادث الجامعة- ص٧٢-٧٣، ٩٢.

(٥٠) الذهبي، تأريخ الأسلام ح ٢٠ (مخطوطة أحمد الثالث رقم ٤٠١٤) ورقة ١٧١ أ.

(٥١) خليل بن ايبك الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق أحمد زكي بك القاهرة ١٩١١. ص١١٧،

(٥٢) الحوادث الجامعة، ص ٢٧١، ابن العماد الحنبلي- شذرات



الذهب. دار الآفاق الجديدة ، بيروت (د. ت) ج ٥ ص ٢٢٩ ، سعيد الديوه جي ، تأريخ الموصل ج ١ - ص ٣١٦.

(٥٣) أنظر ابن الفوطي ص٢٦٤-٢٦٥ ، ص١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦.

(٥٤) سعيد الديوه جي ، تأريخ الموصل ج ١ - ص٣١٦.

(٥٥) الذهبي ، تأريخ الأسلام ج ٢٠ (مخطوطة أحمد الثالث رقم ٤٠١٤) ورقة ١٧١ ب- ١٧٢ ب ، قارن-سعيد الديوهجي ، تأريخ الموصل ج ١. ص٣١٧.

(٥٦) الكامل ج ١٢ ص٣٧٨ ومابعدها. اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حيدر اباد الدكن- الهند ١٩٥٤ ، ج ١ ص٨٧-٨٨.

(٥٧) الحوادث الجامعة ص٩٩.

(٥٨) محمد باقر الحسيني ، العملة الأسلامية في العهد الأتابكي ، بغداد ١٩٦٦ ، ص١٢١.

(٥٩) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ - ص٧٤٥.

(٦٠) رشيد ، جامع التواريخ (تأريخ خلفاء جنكز خان) ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد. بيروت ١٩٨٣ ، ص١٨١.

(٦١) المصدر نفسه ص١٩٢ ، البرليغ مرسوم أمان يعطيه الخان لمن يريد حفاظاً على حياته ، أما البايزة فهي لوحة بحجم الكف تصنع من الذهب او الفضة او الخشب تعطي حاملها امتيازات لأنها تمنح للسفراء وكبار رجال الدولة . جامع التواريخ- المصدر أعلاه ص ٨ الهامش.

(٦٢) الحسني- المرجع السابق ص ٦.

(٦٣) ابن كثير- البداية ج ١٣- ص٢٠٠.

(٦٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٦-١٩٥٦ ، ج ٧ ص٤٨-٤٩.

(٦٥) الحوادث الجامعة ص٣٢٩.

(٦٦) رشيد الدين ، جامع التواريخ تاريخ المغول الايلخانيون. ترجمة : محمد صادق نشأت محمد موسى هنداوي ، فؤاد عبد المعطي الصياد ، القاهرة ١٩٦٠ . ج ٢ قسم ١ ص٣٠٠- ٣٠١.

(٦٧) الحوادث الجامعة ، ص٣٣٧ ، ابن خلكان وفيات الأعيان ، تحقيق أحسان عباس ، بيروت (د.ت) ج ١ ص١٨٤ ، أما رشيد الدين : فيقول أنه تجاوز التسعين سنة ، جامع التواريخ ج ٢ قسم ١ ص ٣٠٠ ، وفي ص ٣٢٧ يقول عنه وكانت سنه قد بلغت السادسة والتسعين.

(٦٨) ابن العبري - تأريخ مختصر الدول ، تحقيق أنطوان صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠ ، ص٤٨٦.

(٦٩) رشيد الدين ، ج ٢ قسم ١ ص٣٠٦.

(٧٠) الحوادث الجامعة ص٣٤٤-٣٤٨ ، رشيد الدين ، جامع التواريخ ج ٢ قسم١ص٣٢٧- ٣٣٠ اليونيني- ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ص٤٥٢.

(٧١) اليونيني- ج ١ ص٤٩٤- ٤٩٥.

(٧٢) رشيد الدين ، المصدر السابق ، ج ٢ قسم ١ ص٣٣٠.

(٧٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٧٤) ابن العبري ، ص٤٩٦ ، الحوادث الجامعة ، ص٣٤٨.

(٧٥) ضياء الدين بن الأثير- رسائل ابن الأثير ، تحقيق أنيس مقديس ، بيروت ١٩٥٩ ، ص٢٤٢-٣.

(٧٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص٨-١١. ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ١٩٥٤ ، ج ٢ ص٢٤٤.

(٧٧) ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٥٣ ، ج ١ ص٤٦.

(٧٨) عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص٥٢-٥٣.

(٧٩) الباهر ص٤٧.

(٨٠) عماد الدين خليل ، ص٥٤-٥٦.

(٨١) المنتظم- ج ١٠- ص٣٤.

(٨٢) المنتظم- ج ١٠ ص٤٥-٥٠.

(٨٣) المنتظم- ج ١٠- ص٥٥.

(٨٤) أنظر عماد الدين خليل ، ص٥٨-٦١.

(٨٥) ابن القلانسي ص٢٨٤ عماد الدين خليل ، ص١٥٤-١٥٥.

(٨٦) البنداري تأريخ دولة آل سلجوق ص٢٢٢ ، الكامل ج ١١ ص٢٠٧.

(٨٧) الكامل ج ١١ ص٢٠١.

(٨٨) المنتظم ج ١٠ ص١٧١ ، الكامل ، ج ١١ ص٢٠١ ، ٢١٢.

(٨٩) الكامل- ج ١١ - ص٣٦٤.

(٩٠) ابن شداد. سيرة صلاح الدين ص٥٧ ، الكامل ج ١١ ص ٤٨٦- ٤٨٧

(٩١) الكامل- ج ١١- ص٥٠٠.

(٩٢) الكامل ج ١٢ ص٢٨٧.

(٩٣) سبط ابن الجوزي- مرآة الزمان- ج ٨- ص٥٤٦.

(٩٤) الكامل ج ١٢ ص٣٣٤.

(٩٥) الحوادث الجامعة - ص٧٩-٨٠.

(٩٦) الحوادث الجامعة ص١٦٥.

(٩٧) المصدر نفسه ص١٦٥.

(٩٨) المصدر نفسه ص٩٥-٩٦ ، ١٤٣.

(٩٩) الكامل- ج ١٠- ص٦٤٥.

(١٠٠) ابن الأثير- ج ١٠- ص٦٤٥- ٦٤٦ ، عماد الدين خليل ص٧١.

(١٠١) الكامل- ج ١٠- ص٦٥٨.

(١٠٢) الباهر ص٣٧.

(١٠٣) مفرج الكروب- ج ١- ص٩٧.

(١٠٤) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص٢٥٧ ، الباهر ص٥٧-٥٨ ، المنتظم- ج ١٠- ص١٠٢.

(١٠٥) ابن القلانسي- ص٢٨٤- ٢٨٥.

(١٠٦) الباهر ص٣٦-٣٧ ، عماد الدين خليل ص٩٣-٩٥.

(١٠٧) الباهر ص٤٨ ، ٦٤ ، عماد الدين خليل ، ص١١٢.

(١٠٨) عماد الدين خليل ص١٢٧.

(١٠٩) Setton, K. M. A History of the Crusades, pennsyluania, 1955, uol I pp.459 - 460.

(١١٠) الكامل ج ١١ ص ١٣١ ، سبط ، ج ٨ ص١٩٨ Setton, op. cit. p. 509



(١١١) ابن القلانسي ص٣٠٠، الباهر ص٩٠.
(١١٢) ابن القلانسي ص٣٠٥، البنداري، ص٢٠٥-٢٠٦-سبط ح ٨ ص٢٠١.
(١١٣) الباهر ص٩٦-٩٧.
(١١٤) ابن القلانسي، ص٣٥٥.
(١١٥) الكامل-ح ١١ ص٢٥١-٢٥٢.
(١١٦) الباهر ص ١٥٢.
(١١٧) الباهر ص ١٥٣، الكامل ج ١١ - ص ٣٦٥.
(١١٨) باقر الحسيني، العملة الاسلامية... ص ٤٧.
(١١٩) رشيد الجميلي، ص ١٠٥، سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٩٥.
(١٢٠) الكامل ج ١١ ص ٤٢٠.
(١٢١) الكامل ج ١١ ص ٤٦٣.
(١٢٢) سبط ابن الجوزي- ج ٨ ص ٣٦٥.
(١٢٣) الكامل ج ١١ ص ٤٧٣.
(١٢٤) المصدر نفسه ج ١١ ص ٤٧٤.
(١٢٥) المصدر نفسه والصفحة.
(١٢٦) الكامل ج ١١ ص ٤٧٣- ٤٧٥.
(١٢٧) الكامل ج ١١ ص ٤٧٥.
(١٢٨) سبط ابن الجوزي ج ٨ ص ٣٦٧. ابو شامة، الروضتين ج ٢ ص ٢٤.
(١٢٩) ابن شداد، سيرة صلاح الدين ص ٥٦- ٥٧
(١٣٠) المصدر نفسه ص ٥٧. ابو شامة، الروضتين ج ٢ ص ٣٢-٣٣.
(١٣١) ابن شداد، ص ٥٧.
(١٣٢) الكامل ج ١١ ص ٤٨٦.
(١٣٣) ابو شامة، الروضتين ج ٢ ص ٣٣.
(١٣٤) الكامل ج ١١ ص ٤٩٧.
(١٣٥) سبط ابن الجوزي ج ٨ ص ٣٧٦.
(١٣٦) الكامل ج ١١ ص ٤٩٩- ٥٠٠.
(١٣٧) الكامل ج ١١ ص ٥٠١.
(١٣٨) الكامل ج ١١ ص ٥١٤.
(١٣٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢ ص ١٦٦، ابو شامة، الروضتين، ج ٢ ص ٦٢.
(١٤٠) الكامل ج ١١ ص ٥١٢.
(١٤١) الكامل ج ١١ ص ٥١٢.
(١٤٢) الكامل ج ١١ ص ٥١٣.
(١٤٣) الكامل ج ١١ ص ٥١٥- ٥١٦. ابو شامة الروضتين، ج ٢ ص ٦٣.
(١٤٤) الكامل ج ١١ ص ٥١٧. ابن شداد، سيرة صلاح الدين ص٧٠.
(١٤٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٦.
(١٤٦) الكامل ج ١٢ ص ١٠١.
(١٤٧) سبط ج ٨ ص ٤٢٥.
(١٤٨) الباهر ص ١٨٤.
(١٤٩) الباهر ص ١٨٤، ١٩٤، ١٩٥، سبط ج ١ ص ٤٦٢، ٤٦٩، ابن واصل، ج ٢ ص ١٠٢.
(١٥٠) الكامل ج ١٢ ص ١٩٢.
(١٥١) الكامل-ح ١٢ ص٢٩٣.
(١٥٢) سبط ح ٨ ص٦٠١.
(١٥٣) الكامل-ح ١٢ ص٣٣٧، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر (لبنان د. ت) ح ٤ ص٢٧٠-٢٧١.
(١٥٤) الكامل ح ١٢ ص٣٣٧.
(١٥٥) الكامل ح ١٢ ص٣٤٤، ابو الفدا ح ٦ ص٢١.
(١٥٦) الكامل- ح ١٢- ص٣٤٤.
(١٥٧) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٣، الغاشية: غاشية سرج من اديم مخروزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين يدي الملك او السلطان في المواكب- القلقشندي ج ٤ ص ٧.
(١٥٨) الكامل- ح ١٢- ص٣٤٤-٣٤٥.
(١٥٩) الكامل ح ١٢- ص٤٢٣- ٤٢٤.
(١٦٠) الكامل ح ١٢ ص٤٥٣.
(١٦١) الكامل ح ١٢ ص٤٥٣.
(١٦٢) الكامل- ح ١٢- ص٤٩٠، سبط ح ٨، ص٦٦١.
(١٦٣) ابو الفدا ح ٢- ص١٧٠، ابن العبري ص٤٥٦.
(١٦٤) أنظر الباهر ص١٧ و ص٣٤-٣٥.
(١٦٥) الكامل- ح ١٠- ص٦٤٧.
(١٦٦) الكامل ح ١٠-ص٦٦٢- ٣، الباهر ص٣٩-٤٢.
(١٦٧) زبدة الحلب ح ٢ ص٢٥٩، Setton, A History of the Crusades, vol. I, pp. 457 — 458
(١٦٨) الكامل- ح ١١ ص٤٠. زبدة الحلب، ح ٢ ص٢٦٠-٢٦١.
(١٦٩) ابن القلانسي، ص٢٥٨-٩، الكامل، ح ١١، ص٥١، عماد الدين خليل ص١٤٢-١٤٣.
(١٧٠) Steven Runciman, A History of the Crusades, vol II, pp. 213 ff. أنظر ايضاً عماد الدين خليل، ص١٤٤.
(١٧١) ابن القلانسي ص ٢٦٥-٦ الكامل -ح ١١- ص٥٦-٨، زبدة الحلب ح ٢ ص٢٦٤-٨، عماد الدين خليل ص١٤٤-٧. Runciman, op.cit. pp. 15 — 16
(١٧٢) الباهر ص٥٧، زبدة الحلب ح ٢ ص٢٦٨، مفرج الكروب، ح ١- ص٨٣.
(١٧٣) الكامل- ح ١١- ص٩٤.
(١٧٤) عماد الدين خليل، ص١٤٩.
(١٧٥) Runciman, II, PP. 234—237، وكذلك ابن القلانسي ص٢٧٩-٢٨٠.
(١٧٦) الباهر ص٦٩. Runciman, op. cit. p.237.
(١٧٧) ابن القلانسي ص٢٨٠، شاكر أحمد ابو بدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية بيروت ١٩٧٢، ص١٥٢.
(١٧٨) الكامل-ح ١١- ص١١٤.
(١٧٩) الكامل ح ١١ ص١٢٩، ابو شامة، الروضتين، ح ١ ص٥٢-٥٣.
(١٨٠) الباهر- ص١٩، ابو شامة. الروضتين ح ١ ص٥٣.

(١٨١) الكامل ح ١١ ص١٣٠ ، ١٣١ .

(١٨٢) ابن القلانسي ص٣٠٠–٣٠١ ، الكامل–ص١٣١–١٣٢ .

(١٨٣) ابن القلانسي ص٣٠٤–٥ ، سبط ، ح ٨ ص٢٠١ . ابن الأثير ح ١١–ص١٤٤ .

(١٨٤) الباهر ص١٢٢–١٢٤ ، الكامل ح ١١– ص٣٠١– ٣٠٤ – Runciman., op. cit, pp. 369 –

(١٨٥) الكامل– ص٣٢٧–٨ ، ابن واصل ح ١ ص١٥٢ .

(١٨٦) الباهر ص١٥٤–٥ ، الكامل ، ح ١١ ص٣٧٣–٤ .

(١٨٧) الكامل ح ١١ ص٥٢٩ ، ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ص٧٥ .

(١٨٨) الكامل ح ١١– ص٥٣٧ .

(١٨٩) الكامل ح ١١ ص٥٤٦ ومابعدها .

(١٩٠) العماد الأصفهاني– الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق ، محمد محمود صبح ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص٣٥٠ ، ٣٨٣ ، الكامل ح ١٢ ص٤٧ .

(١٩١) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص٥٦٥ ، الكامل– ح ١٢–ص٧٤ .

(١٩٢) الكامل ح ١٢ ص٢٧٣– ٢٧٤ .

(١٩٣) البنداري تأريخ آل سلجوق ، ص١٨٨ ، عماد الدين خليل ص٢٢٦–٢٢٧ .

(١٩٤) عماد الدين خليل–ص٢٢٧–٢٢٨ .

(١٩٥) الكامل ح ١١–ص١٠٠–١٠٢ ، الباهر ص٧١–٧٢ ، البنداري ص١٨٨–٩ عماد الدين خليل ص٢٧٧–٨ .

(١٩٦) البنداري ص١٨٩ .

(١٩٧) المصدر نفسه ص١٩١–٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ح ١– ١٠٩ .

(١٩٨) الباهر ص٨٦ . أما في الكامل فيذكر أنهم "فقضبوا عليه وحبس في قلعة الموصل" . ح ١١ ص١١٣ .

(١٩٩) محمد باقر الحسيني ، العملة الأسلامية في العهد الأتابكي ، بغداد ١٩٦٦ ، ص٤٢–٣ .

(٢٠٠) البنداري ، ص٢٦٤ ، الكامل– ح ١١– ص٢٥١ .

(٢٠١) ابن الجوزي– المنتظم– ح ١٠–ص ١٩٢ ، الكامل– ح ١١ ص٢٥٤–٥ .

(٢٠٢) المنتظم– ح ١٠ ص١٩٦ ، البنداري ص٢٦٧ .

(٢٠٣) ابن الأثير– ح ١١– ص٥١٣ .

(٢٠٤) ابن القلانسي– ص٢٦٢–٢٧٠ .

(٢٠٥) الباهر ص٦٤ . عماد الدين خليل ص٢٣٥ .

(٢٠٦) صبح الأعشى ، الطبعة الأميرية ، مصر (د.ت) ح٥ ص٤٥٣ .

(٢٠٧) البنداري ص١٨٩ .

(٢٠٨) ابن خلكان– وفيات الأعيان– ح ١ ص٢٦٤–٥ .

(٢٠٩) الباهر ص١٠٩ ، ١٣٥

(٢١٠) الباهر ص٧٣ .

(٢١١) الكامل– ح ١١–ص٣٣١ .

(٢١٢) الباهر ص٨٤ ، عماد الدين خليل ص٢٤٢ .

(٢١٣) زبدة الحلب ، ح ٢ ص٢٤٥ .

(٢١٤) ابن الأثير -الكامل ح ١١ص٣٣١–٣٣٢ ، ٣٦٤ ، الباهر ص١٥٤ .

(٢١٥) الكامل ح ١١– ص٣٦٤–٥ .

(٢١٦) الكامل ح ١١ ص٤٣٤ ، ٤٩٩–٥٠٠ ، الباهر ص١٩٣–١٩٤

(٢١٧) الحوادث الجامعة ص٥٢ .

(٢١٨) القلقشندي ، ح ٤ ص١٨٥ .

(٢١٩) الكامل ح ١١– ص٥٠٠ .

(٢٢٠) القلقشندي ح ٤ ص٣٨ ، قارن ماذكره عماد الدين خليل في ص٢٥٦ ومابعدها .

(٢٢١) الباهر ص٩٢ .

(٢٢٢) المصدر نفسه ص١٧٧ .

(٢٢٣) ابن القلانسي ص٢٤٣ .

(٢٢٤) نفس المصدر ص٢٧٧ ، زبدة الحلب ح ٢ ص٢٧٦–٨ .

(٢٢٥) زبدة الحلب ، ح ٢ ص٢٧٨ .

(٢٢٦) ابن خلكان– ح ٥ ص١٤٣ .

(٢٢٧) المصدر نفسه ص١٤٥ .

(٢٢٨) الباهر ص٩٢ .

(٢٢٩) المصدر نفسه ص١٢٧–١٣٠ ، ابن خلكان ح٥– ص١٤٣–١٤٦ .

(٢٣٠) الباهر ص١٧٧ ، الكامل ح ١١ ص٤٣٤ ، ٤٤٨ .

(٢٣١) الكامل– ح ١١–ص٤٤٨ .

(٢٣٢) ابن الساعي ، الجامع المختصر ح ٩– ص٢٩٩–٣٠٠ .

(٢٣٣) تلخيص مجمع الأداب في معجم الألقاب ، ح ٤ قسم ٣ ، تحقيق مصطفى جواد دمشق ١٩٦٥ ، ص١٧١ .

(٢٣٤) الباهر ص٧٩ ، ٨٣ ، عماد الدين خليل ص٢٦٦–٧ .

(٢٣٥) الباهر ص٧٦–٧ ، ٨٤ .

(٢٣٦) سبط ابن الجوزي–ح٨– ص١٩٠ .

(٢٣٧) الباهر ص٨٣ ، عماد الدين خليل ، ص٢٦٩–٢٧٠ .

(٢٣٨) رسائل ابن الأثير ، تحقيق أنيس المقدسي– بيروت ١٩٥٩ ، ص٩ .

(٢٣٩) ابن الشعار عقود الجمان–ح ٤ ورقة ٢٥٧ أ و ب .

(٢٤٠) ابن كثير البداية والنهاية ح ١٢– ص٩٤ .

(٢٤١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ح ١ ص٥١٤ .

(٢٤٢) ابن الشعار– ، عقود الجمان ، ح ١ ورقة ٤٥ أ و ب .

(٢٤٣) باقر الحسيني ، العملة الأسلامية في العهد الأتابكي ، بغداد ١٩٦٦ ، ص٣٠ ومابعدها .

(٢٤٤) الماوردي– الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، نشر المطبعة المحمودية التجارية بمصر (د . ت) ص٦١ ومابعدها .

(٢٤٥) الباهر ص٣٥ .

(٢٤٦) ابن خلكان– وفيات الأعيان– ح ٤ ص٢٤١ .

(٢٤٧) ابن خلكان– ح ٤– ص٢٤٦ .

(٢٤٨) ابن القوطي تلخيص مجمع الأداب ، ح ٤ قسم ٢ ص٨٥٦ .

(٢٤٩) الباهر ص٢٠٣ .

(٢٥٠) المصدر نفسه ص٨٣ .

(٢٥١) القلقشندي– ح ٤– ص١٩ .



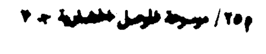
(٢٥٢) الباهر ص٨٣.
(٢٥٣) الكامل ح ١١ ص٥٠.
(٢٥٤) المصدر نفسه ح ١٠ – ص٦٤٣.
(٢٥٥) عماد الدين خليل – ١٩٤ – ١٩٥.
(٢٥٦) القلقشندي – ح ٤ – ص١٤ ومابعدها.
(٢٥٧) الباهر ص٨٣.
(٢٥٨) عماد الدين خليل – ص١٩٧.
(٢٥٩) اسامة بن منقذ، كتاب الأعتبار، تحقيق فيليب حتي، مطبعة جامعة برنستون، الولايات المتحدة الأميركية ١٩٣٠، ص٣١.
(٢٦٠) عماد الدين خليل ص١٩٨.
(٢٦١) المرجع نفسه ص١٩٨ – ٩.
(٢٦٢) الباهر ص١٨٦ – ٧.
(٢٦٣) المصدر نفسه ص٩٣.
(٢٦٤) أنظر رشيد الجميلي، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٧٥، ص٢٥٧ ومابعدها.
(٢٦٥) صبح الأعشى ح ١٤ – ص٣٧.
(٢٦٦) المصدر نفسه ح ١٤ ص٣٦٩ – ٣٧٠، ٣٩٠.
(٢٦٧) الباهر ص٨٧.
(٢٦٨) الكامل ح ١١ ص٣٧٥.
(٢٦٩) الدوري – مقدمة في التأريخ الأقتصادي العربي، بيروت ١٩٦٩، ص٩٦ – ٧.
(٢٧٠) الباهر ص٣٦.
(٢٧١) المصدر نفسه ص٣٧، ٨٠، ابن واصل ح ١ ص١٠٣.
(٢٧٢) الباهر ص٧٧.
(٢٧٣) نفس المصدر ص٣٥.
(٢٧٤) الدوري – المرجع السابق، ص٩٧.
(٢٧٥) الباهر ص٧٩.
(٢٧٦) نفس المصدر والصفحة.
(٢٧٧) الكامل ح ١١ ص٣٦٥، ٤٦٣، الدوري. ص٩٨.
(٢٦٨) الباهر ص١٦٩.
(٢٧٩) الكامل ح ١١ ص٥٠٠.
(٢٨٠) الباهر ص١١٢.

المظاهر الحضارية في الموصل في عهد الإدارة الأتابكية

د. عبد المنعم رشاد

كان للهدوء الذي تمتعت به الموصل خلال فترة الحكم الأتابكي الطويلة دوره في تطورها العمراني وفي تقدمها الحضاري حتى أصبحت من المدن المشار إليها لحسن عمارتها وروعة بنيانها، وأتساع رقعتها، كما أنها أشتهرت بأسواقها عمارة وتجارة حتى أن صاحب كتاب الحوادث الجامعة وصف أحد أسواقها بقوله "وغرق في الجانب الشرقي – من بغداد – ماكان ظاهر السور من مساكن كانت أستحدثت منذ أيام الخليفة المستنصر بالله وبولغ في عمارتها وكان بها أسواق مادة وحمامات وبساتين مثمرة حتى كادت تشبه حاضر حلب أو سوق التركمان بالموصل." (١) وخير من وصف المدينة في العهد الأتابكي هو الرحالة ابن جبير فقد قال عنها "هذهِ المدينة عتيقة ضخمة حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن فاخذت أهبة أستعدادها لحوادث الفتن، قد كادت أبراجها تلتقي أنتظاماً لقرب مسافة بعضها من بعض... وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصاً، ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج وتتصل بها دور السلطان وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى أسفله، ودجلة شرقي البلد وهي متصلة بالسور وأبراجه في مائها، وللبلدة ربض كبير فيه المساجد والحمامات والخانات والأسواق وأحدث فيه بعض أمراء البلد، وكان يعرف بمجاهد الدين جامعاً على شط دجلة ماأرى وضع جامع أحفل منه... وبنى أيضاً داخل البلد في سوقه قيسارية للتجار كأنها الخان العظيم تغلق عليها أبواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض قد جلي ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لامثيل له، فما أرى في البلاد قيسارية تعدلها" (٢)

ويصفها الرحالة اليهودي بنيامين الذي زارها في





هذا العهد أيضاً "والموصل مدينة واسعة الأرجاء قديمة البنيان" [٣] ،

من هذا نلاحظ أن الموصل أزدهرت وأتسعت في العهد الأتابكي حتى غدت من أمهات المدن العربية والتي يشار اليها سعةً وعمارة وقوة ورخاءً .

أ - الوضع الأقتصادي

أزدهرت الأوضاع الأقتصادية في الموصل بسبب الهدوء والأستقرار السياسي الذي تمتعت به من ناحية ولأنها أصبحت عاصمة أمارة واسعة الأرجاء من ناحية أخرى ، كان يقصدها الناس من مختلف الأماكن للأتصال بأمرائها أو للأنخراط في جيشها أو للأستفادة من أمارة نشطة كانت دائمة التصدي لأعداء الأسلام - الصليبيين ولذا كان على حكامها أن يعتنوا بها وبسكانها حتى يطمئنوا على أنفسهم في عاصمتهم وحتى يطوروا ولاء الناس لهم ، لهذا أعتنوا بكافة الأحوال الأقتصادية والأشراف عليها وتنميتها ومن هنا أزدهرت فيها الزراعة والصناعة والتجارة .

١ - الزراعة : -

كانت الزراعة حول الموصل قليلة قبل العهد الأتابكي ولهذا كان يحمل اليهم مايحتاجونه من محاصيل وفواكه من المدن والبلاد المجاورة لها . حتى ندر وجود الفواكه فيها حتى كادت أن تختني من الأسواق [٤] فأهتم الأتابكة بالري وإيصال الماء من دجلة وذلك بشق الترع ، فزادت ثروتها الزراعية وتحولت الأراضي الجدباء الى أراضي خصبة مزروعة تنبت مختلف أنواع البقول والخضراوات والفواكه ويذكر ابن الأثير "وكانت الموصل أقل بلاد الله فاكهة ، فكان الذي يبيع الفواكه يكون عنده مقراض يقص به العنب لقلته اذا أراد أن يزنه ، فلما عُمرت البلاد وعملت البساتين بظاهرها وفي ولايتها فهي اليوم أكثر البلاد فاكهة فالرمان يبقى الى أن يدرك العتيق والجديد ، وكذلك الكمثري وقريب منه العنب ، واما التفاح فيجمع العتيق والجديد" [٥] .

كما أن القرى المهجورة عمرت لأقبال الناس على السكن بالموصل طلباً للأمان والأستقرار اللذان توافرا في ظل الحكم الأتابكي . والدليل على وفرة الزراعة في الموصل هو أن بغداد كانت تعتمد في ميرتها على الموصل لمدة أربع أشهر في السنة [٦] . ويعطينا العُمري أحصائيات عن عدد البساتين داخل الموصل فيقول أنها ست وثلاثون . وبساتين الخضرة خمسة وتسعون ولكثرة الحبوب الواردة الى المدينة فقد كان عدد الطواحين المائية في المدينة ثمان وستون رحىً [٧] . واشتهرت الموصل بزراعة القطن وذلك لأستخدامه في صناعة الأقمشة ، كما زرع الفلاحون الحبوب كالحنطة والشعير والرز والبقول والفواكه والخضراوات وأعتنوا كذلك بتربية الأغنام والأبقار والماعز لسد حاجة البلد من مواد العيش الضرورية كاللحوم والدهن والحليب والجبن ، والمواد التي يحتاجونها في صناعاتهم كالصوف للحياكة وشعر الماعز الذي يتخذ منه بيوت الشعر والغرائر ، وكذلك الجلود المستخدمة في صناعات كثيرة كالأحذية والسرج والأحزمة ولوازم الخيول ولصناعة الدلاء والروايا . كما عنوا بتربية الخيول للقتال والأنتقال ، فكانت لديهم أجود الخيول الأصيلة . [٨]

وقد ساد الرخاء في المدينة ولم تلاقِ قلة في الطعام أو أرتفاع أسعار إلا في بعض السنين التي تقل فيها الأمطار أو تفيض مياه دجلة فتغرق المزارع أو تصاب ببرد شديد يتلف المحاصيل ، كما حدث في السنوات ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤/ ١٢٢٤-١٢٢٧ حيث قلت الأمطار وأرتفعت الأسعار. [٩])

وقد أشار القزويني الى أزدهار الزراعة على



شواطئ دجلة وخاصة في فصلي الصيف والخريف والتي تسمى بالشواريق فيقول" وفي الجانب الشرقي عند أنتقاص الماء يبقى على طرف دجلة ضحضاح دجلة على أرض ذات حصباء يتخذ الناس عليها سرراً وقباباً من القصب في وسط الماء يسمونها الشواريق ويبيتون فيها ليالي الصيف ويكون هواؤها في غاية الطيب ، وإذا نقص الماء وظهرت الأرض زرعوا بها القثاء والخيار فتكون حول القباب مقثأة ويبقى ذلك الى أول الشتاء" [١٠] وكان لهذا الأزدهار أثره في ضخامة واردات منطقة الجزيرة في العهد الأتابكي ، فقد بلغت واردات الجزيرة العشرة ملايين دينار (١٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار) علماً بأن الزراعة هي المورد الأساس للجبايات والضرائب. [١١]

٢ - الصناعة : -

تطورت الصناعة في الموصل لأنها حظيت بدعم الأتابكة وتشجيعهم ، كما أن أزدهار التجارة والزراعة في هذه الفترة ساعد على أزدهار الحرف والصناعة بشكل واضح ولذلك أشتهرت هذه المدينة بمصنوعاتها المختلفة والتي تشهد على دقة صانعيها ومهارتهم الفائقة في أعمالهم مما أدى بمصنوعاتهم أن تغزر أسواق أوربا وأسيا لأن اهلها "أهل خير وتدقيق في الصناعات" [١٢]

أشتهرت الموصل بصناعة النسيج على أختلاف أنواعه وكانت تنتج الكثير منه وهذا دفع سبط ابن الجوزي أن يعطينا أحصائيات مبالغ فيها عن عدد أنوال الحياكة فذكر أنه كانت بالموصل (٧٥٠٠٠) نول - جومة - وخانات مختصة بأعمال الحياكة من صبغ ودق ونقش وتطريز وقصر يبلغ (٩٠٨) حاناً [١٣] . وأن دلت هذه على شيء فأنما تدل على مدى أنتشار هذهِ الصناعة وكثرة العاملين فيها.

وقد أنتجت الموصل الكثير من الأقمشة التي كانت تصدر الى مختلف البلاد ، ومن هذهِ المنسوجات هو الشاش الموصلي الرقيق المصنوع من القطن أو من خليط القطن والحرير، وقد تطرز حواشيه بالحرير الملون وعرف هذا القماش في أوربا بأسم الموزلين - نسبة الى الموصل ، كما نسجوا الحرير الخالص أو المخلوط والمنقوش بنقوش زاهية الألوان وقد تنقش حواشيه بالقصب أو بالذهب وتتخذ منه الأزر الجميلة. [١٤]

ونسجوا الصوف أقمشة مختلفة منها مايلبس شتاءً ومنها مايستتر به أو يفترش كالأغطية والبسط [١٥] . كما أتخذوا من شعر الماعز بيوت الشعر الكبيرة المحبوكة النسيج ، حتى أن أحد أسواق الموصل عرف بسوق الشعارين نسبة الى بيع الشعر ومنسوجاته. [١٦]

وأحتلت الموصل مركزاً مرموقاً في صناعة المعادن وخاصة صناعة الأواني النحاسية التي تمتاز بكثرة الرسوم الأدمية والحيوانية ويتم تطعيمها - تكفيتها - بالفضة والذهب ، فصنعت العُلَب والقناديل والشمعدانات والمحابر والمباخر والطشوت والصواني وأواني الشرب والأكل والمزهريات والالات الفلكية ، كما كانوا يصنعون من البرونز الهاونات وبأشكال مختلفة ويصنعون منه مدقات الأبواب ومواقد الفحم ومختلف الأدوات المنزلية [١٧] . ويرز فنانوا الموصل بالزخرفة على الرخام والجبس وزخرفة الاجر والنحت على الخشب وصناعة الفخار، ونشاهد أعمال هؤلاء الفنانين فيما تبق من المساجد والمشاهد التي بنيت في العهد الأتابكي [١٨] .

وأنتعش كذلك فن التصوير حيث أصبح للموصل مدرسة في التصوير بارزة المعالم ، وهناك الكثير من الكتب المصورة التي لازالت موجودة في الموصل وفي بعض المتاحف العالمية تشهد بدقة وروعة تصويرها وزخرفتها. [١٩]



٣- التجارة : -

يصف ياقوت الموصل قائلاً "هي محط الركبان ومنها يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يُقصد الى اذربيجان وكثيراً ماسمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاث : نيسابور لأنها باب الشرق ، ودمشق لأنها باب الغرب ، والموصل لأن القاصد الى الجهتين قل ما لايمر إلا بها". [٢٠] بهذا يوضح ياقوت - وهو معاصر للأتابكة - الأهمية الجغرافية والتجارية لموقع الموصل والذي ساعد على أزدهار التجارة فيها .

كانت أسواق الموصل وخاناتها واسعة ومتعددة وفيها من القيساريات مالامثيل له في البلاد . [٢١] كما كانت تتوفر فيها وسائل الراحة للتجار والقادمين إليها" وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات مادعت اليها سكان البلاد النائية ، فقطنوها وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها" [٢٢]

ترتبط الموصل مع البلاد المجاورة بمجموعة من طرق المواصلات التجارية البرية والنهرية ، وكان هناك خانات على طول الطرق البرية فيها مايحتاجه المسافر من طعام وماء وسكن وكانت القوافل ترتاد هذهِ الطرق وتستخدم الخانات المتناثرة على طولها[٢٣] . كما أن الطريق النهري كان مزدحماً حيث تجري فيه السفن والأكلاك المحملة بالبضائع والتي قد تتخذ واسطة لنقل الأشخاص من الموصل الى بغداد . وكانت دجلة غاصة بهذهِ السفن والأكلاك التي تنحدر الى الموصل محملة بالبضائع من بلاد الجزيرة وبلاد الروم ونواحي ميافارتين " ومن جزيرة ابن عمر تصل منها الى الموصل المراكب مشحونة بالتجارة كالعسل والسمن والمن والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين . .الخ" [٢٤] أما المواد التي تصدرها الموصل فهي " الحبوب والعسل والتمكسود والفحم والشحوم والجبن والمن والسماق وحب الرمان والقير والحديد والأسطال والسكاكين والنشاب والطرنج الفائق والسلاسل" [٢٥] وقد اعتنى الأتابكة بالتجار والحفاظ على مصالحهم وأموالهم ، مما شجع هؤلاء الى القدوم الى الموصل وأتخاذها محلاً للتجارة والعيش[٢٦] وبذلك كثرت الأستثمارات المالية فيها ولاشك . وهذا أدى الى أزدهار ورخاء مالي .

ب - الوضع الأجتماعي

يؤلف المسلمون العرب الغالبية العظمى لسكان مدينة الموصل[٢٧] ، وكان فيها وفي أطرافها جماعات مسيحية . وكان في الموصل جالية يهودية ذكر بنيامين التطيلي أن عدد أفرادها سبعمائة يهودي . [٢٨]

وينقسم المجتمع الموصلي في هذا العصر ، كبقية المجتمعات العربية ، الى فئتين العامة والخاصة . أما العامة فهم السواد الأعظم من الناس ويختلفون عن الخاصة بكثرة عددهم وبكونهم ليسوا من أصحاب السلطة أو الجاه . بينما الخاصة هم أصحاب الأمير ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتاب والقادة والأشراف والقضاة والشهود ، ويضاف اليهم بعض الموهوبين من العلماء والأدباء والفقهاء . [٢٩]

أشتهرت في العهد الأتابكى بعض الأسر من الأعيان والكبراء ظهر من بينها الفقهاء والعلماء والشعراء والكتاب والسياسيون والتجار والمحدثون والقضاة والعدول ، ومن أشهر هذهِ الأسر. [٣٠]

١ - أسرة أبناء الأثير : وأبرز أفرادها هم الأخوة الثلاثة مجد الدين الفقيه وعز الدين المؤرخ ، وضياء الدين الوزير - الكاتب .

٢ - أبناء يونس بن منعة : وأبرز أفراد هذهِ الأسرة هم عماد الدين بن يونس القاضي وكمال الدين بن يونس العالم الفيلسوف ، والفقيه شرف الدين بن كمال الدين .

٣- أبناء بلدجي : وأشهرهم محمود بن مودود



وكان عالماً ، وعبدالله بن محمود البلدجي وكان من كبار الفقهاء الحنفية ، عبد الدائم بن محمود البلدجي وكان من علماء الحنفية .

٤- بيت الشهرزوري : أختصت هذهِ الأسرة بالقضاء وقد مر الحديث عمن تولى القضاء في الموصل من أفراد هذهِ الأسرة .

٥- أبناء مهاجر : وهي من الأسر العلمية ، كان جدهم يشتغل بالتجارة فنشأ أولاده علماء وتجار وأشهرهم أبو القاسم على بن مهاجر الذي أسس دار الحديث المهاجرية في الموصل ، ومحمد بن مهاجر التاجر والشاعر وبنى مدرسة فوق دار الحديث المذكورة .

٦- أبناء هبل : أشهرهم الطبيب مهذب الدين علي بن أحمد بن علي بن هبل وله كتاب في الطب هو (المختار في الطب) .

٧- أسرة النقيب : وهي من الأسر العريقة تولى أفرادها نقابة العلويين في الموصل ومن أشهرهم ضياء الدين زيد بن محمد الحسيني ، وأبو القاسم المرتضى بن محمد بن زيد ، وكمال الدين حيدرة بن عبدالله الحسيني .

أما العامة فتكون أساساً من فئات عدة هي : (٣١)

١- فئة الخدم : وتشمل الرقيق من الجواري والعبيد ومن الأحرار. ويعملون في البيوت أو الحوانيت .

٢- فئة الجند : وهؤلاء كان لهم دورهم الفعال في أسناد الأمارة والدفاع عنها .

٣- فئة العمال : الأحرار منهم والرقيق وهم ذوي الصنائع والمزارع وهم المنتجون الرئيسيون .

٤- فئة التجار: كانت لهم أسواق خاصة ينفرد كل منها بصنف معين من التجارة وكانت الثروات تتركز في أيديهم .

١- الوضع الصحي :

تعرضت الموصل في العهد الاتابكي الى بعض الموجات من الامراض الوافدة والمتوطنة وكانت المجاعة من ابرز اسباب انتشار الامراض في سنوات القحط ، كما ان المناخ يلعب دوراً مهماً في انتشار بعض الامراض كالحميات فيصف القزويني مدينة الموصل بكثرة البساتين «وكون خريفها كثير الحمى تأتي سنة سليمة وسنة موبئة يموت فيها عدد كبير من الناس» (٣٢) وكانت هناك امراض متوطنة كالسل والجدري وغيرها . فقطب الدين مودود بن زنكي توفى بحمى حادة سنة ٥٦٥/١١٦٩ (٣٣) اما سيف الدين غازي فقد توفى بمرض السل (٣٤) . ومن اجل معالجة هذه الامراض والأوبئة انشأت البيمارستانات والتي كانت تضم عدداً من الاطباء والحكماء يقومون بمعالجة المرضى المقيمين فيها . كما ان هذه كانت مؤسسات تعليمية يدرس فيها الطلبة مهنة الطب والمداواة بالاعشاب وكان في الموصل بيمارستانين احدهما في ريف المدينة الاسفل وهو من انشاء مجاهد الدين قايماز والآخر داخل المدينة (٣٥) .

٢- الحياة البيتية :

كانت الدور في الموصل تبنى بالحجارة والجص (٣٦) . بيوت الفقراء صغيرة المساحة وخالية من اي تزيين او نقش ، اما بيوت الموسرين فقد كانت واسعة المساحة وتزين بالرخام المطعم والاجر المزجج والزخارف المتنوعة ، وينشأ في هذه الدور حدائق وارفة ، وقد توضع النافورات فيها لتسقي الاشجار والأزهار ، وما وصف من ابنية ذلك العصر تطلعنا على دقة هندستها وجمال زخارفها . وكانت بيوت الموصل تبنى فيها سراديب للقيلولة ولخزن المواد الغذائية والادوات المنزلية وكانوا يصنعون المراوح من الخيش لتكون واسطة لتبريد الجو في الصيف وكان الاغنياء يستعملون الثلج لتبريد

اشربتهم صيفاً.

وكانت الانية المستعملة في الحياة اليومية تصنع من النحاس عادة او من الخزف. كما كانت الآنية الخشبية مستعملة ايضاً أطباق وملاعق.

وكان اهل الموصل يحتفلون في دورهم بمناسبات اجتماعية عديدة كالاحتفال بختان اولادهم وعند ختمة الأولاد للقرآن الكريم، وكذلك عند الزواج. وقد ظهرت طبقة من المغنيين أبدعوا في الايقاع والغناء ونظموا الموشحات التي تنشد في مجالس الانس والطرب، وكان هؤلاء المغنون يحيون هذه الحفلات للنساء والرجال [٣٧].

٣- الاحتفالات الدينية:

اعتاد اهل الموصل الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، حيث يستعدون لهذين العيدين بصنع الكعك والحلوى ولبس الملابس الجديدة او يخرجون الى ظاهر المدينة ويقيمون المهرجانات المختلفة من فروسية وألعاب مسلية والمساخرة وخيال الظل [٣٨]. وكانوا يحتفلون بيوم ولادة الرسول العظيم (ص) فيزينون الدور والاسواق ويجتمعون في المساجد يستمعون الى تلاوة المنقبة النبوية، ويشارك في هذا مختلف فئات الناس، فقد كان عمر بن محمد الملا يقيم احتفالاً كبيراً يحضره الملوك والوزراء والأمراء والعلماء والفقهاء والناس على اختلاف فئاتهم وتعد فيه الأطعمة المختلفة فيكون حفلاً مشهوداً في المدينة [٣٩].

وكانوا يحتفلون باستقبال شهر رمضان بالتكبير والتهليل وإقامة الصلوات في المساجد وسماع الوعظ والارشاد، كما يحتفلون بعودة الحجاج من مكة، ويتبركون بزيارة المشاهد الدينية كمشهد النبي يونس والرباط المجاور له [٤٠].

وكان المسيحيون يحتفلون بأعيادهم وخاصة بعيد الشعانين [٤١].

٤- المهرجانات وأعياد الربيع:

في فصل الربيع تكسو وديان الموصل وسهولها حلة خضراء تزدان بالأزهار الملونة وتنساب المياه في وديانها بين الحقول والأعشاب، فيخرج اهل المدينة بعد صلاة العصر من كل يوم الى ظاهر البلد للتنزه ويقيمون المهرجانات والألعاب المختلفة من فروسية ومصارعة، وبعضهم كان يضرب الخيام خارج المدينة في هذا الفصل يقضون الليالي للراحة والاستجمام [٤٢]. وكانوا يرتادون الاديرة للنزهة والترويح عن النفس لأن الاديرة تقع في المواضع النزهة المشرفة على الحقول والبساتين وتمتاز بالهدوء [٤٣].

وكانت حمام العليل متنزهاً من متنزهات الموصل يرتادونها في فصل الربيع والصيف ويقصدها خاصة ذوي الأمراض الجلدية للاستشفاء بمائها المعدني الحار، وتكون في الصيف مزدحمة بالسكان فيبنون لهم عرائش على شاطئ دجلة يجتمع فيها اصحاب الملاهي والمغنون [٤٤]. ومنهم من يقصد (عين كبريت) الواقعة اسفل الدير الاعلى في الموصل، وماء هذه العين بارد في جميع فصول السنة يقصدها الناس للاستشفاء بمائها والتنزه قربها [٤٥].

الألعاب الرياضية:

كانت العاب الفروسية تقام في الميدان، وهي ارض واسعة ومنبسطة تمتد من دار الملك الى باب سنجار، يستخدم لتدريب الجيش وعرضه وإقامة العابه، يجتمع فيه اهل الموصل في اوقات فراغهم لمشاهدة ما يعرض من الالعاب المختلفة، وكانت اكثر الالعاب انتشاراً هي اللعب بالكرة والصولجان، كان الاتابكة والامراء يلعبونها مع كافة افراد الجيش، فينزلون بعد صلاة العصر من كل يوم الى الميدان ويجتمع الناس لمشاهدتهم، وكان



زنكي مغرماً بهذه اللعبة وسار اولاده على نهجه ، وكان الهدف من هذه الرياضة العنيفة هو ابقاء الجند في حالة تدريب مستمرة وحتى لايركنوا الى الكسل في اوقات السلم(٤٦) .

كما انتشرت العاب الفتوة في الموصل كالرمي بالبندق والمسابقة بالحمام الزاجل ، وكانوا ينتسبون في رمي الطير بالبندق الى احد الرؤساء البارزين كالخليفة او من ينيبه من أمراء الأطراف ، وإذا ما اصيب طير بهذه الطريقة فكان يكافأ الصائد بالهدايا والخلع من قبل الخليفة او الامير الاتابكي ، وكانوا يتسابقون بالحمام الزاجل - الهوادي - المستخدم في البريد لاختيار أفضل الاصناف واكثرها سرعة وتحملاً(٤٧) .

وكان للركض - السعي دور في المسابقات الرياضية التي تقام في المواسم والأعياد وأشتهر عدد من هؤلاء السعاة في الركض لمسافات طويلة فقد جرى معتوق الموصلي في سنة ٦٢٥/١٢٢٥ من واسط الى بغداد "في يوم وليلة سوى ساعتين" فخُلِعَ عليه وأُعطيَ الكثير من الأموال ، وفي سنة ٦٤٣/١٢٤٥ جرى معتوق هذا من دقوقاً الى بغداد فحصل على جوائز ثمينة .(٤٨)

وبما أن الموصل مشهورة بتربية الخيول العربية الأصيلة ، لهذا كان أهلها يتباهون بما لديهم من خيول عتاق . وكان الشباب يقيمون حلبات السباق يشهدها الناس وصار هذا مايتفاخر به أصحاب الخيول والفرسان .(٤٩)

ح - الوضع الثقافي

أزدهرت الحياة الفكرية في الموصل في العهد الأتابكي لتوفر عوامل عديدة تظافرت في دعم هذا الأزدهار، وكان من أبرز هذهِ العوامل هو الأستقرار السياسي والتطور الأقتصادي فقد أصبحت الموصل عاصمة أمارة قوية واسعة نعمت بالأمن في ظلها .

وقد اضطلعت هذه الأمارة بمهات عديدة كان أجلها هو مواجهة الخطر الصليبي ومحاولة دحرهِ عن طريق توحيد المنطقة في وجه هذا الغزو الأوربي العاتي ثم مهاجمته والقضاء عليه ، كما فعل زنكي في القضاء على أمارة الرها الصليبية . وقد أذكت أنتصارات الأتابكة روحاً معنوية قوية في المدينة وخلقت حالة من التماسك الأجتماعي والأستقرار النفسي ، وهي أمور أنعكست على سكانها ، فزادت ثقتهم بأنفسهم من ناحية وعمقت من التفافهم وولاءهم للأتابكة من ناحية أخرى ، كما أن أنشطتهم الحياتية تنوعت وأصبحت أكثر شمولية من السابق فبجانب النشاطات الأقتصادية المتنوعة التي ساهم بها أهل الموصل نلاحظ أنهم شاركوا وبفعالية كبيرة في الجانب العسكري أيضاً ، وبنفس الوقت كان للجانب الثقافي مكانته في أنشطتهم المتعددة . والعامل الأخر الذي تظافر للنهضة العلمية هو تشجيع الأتابكة ونوابهم ووزراؤهم للعلماء والأدباء ، لأنهم كانوا يريدون أن يزينوا بلاطهم بهذهِ النخبة من الناس حتى يشتهر أمرهم ويعم صيتهم بأنهم رعاة للعلم والعلماء ، وقد أدى هذا الى توافد العلماء الى الموصل للأستفادة من معاهدها العلميه من ناحية ولنيل الحظوة عند حكامها من ناحية أخرى .

نمت المعاهد العلمية نمواً سريعاً في هذا العصر فقد كان في الموصل في القرن الخامس مدرسة واحدة هي المدرسة النظامية ، بينما أصبح عدد



هذهِ المدارس في نهاية العهد الأتابكي قرابة العشرين مدرسة ، أنشأ معظمها أمراءالبيت الحاكم أو نوابهم ، أضافة الى دارين للحديث وقرابة الثمانية أربطة أستخدمت جميعها للأغراض الثقافية والتعليمية .(٥٠)

كانت مساهمة الأتابكة وذوي النفوذ في الأمارة دورهم الفاعل في هذهِ النهضة الثقافية خاصة وأن غالبيتهم كان على جانب من المعرفة والعلم أسهمت في هذا المجال . فزنكي مؤسس الأمارة كان يعتنى بالعلماء ويعتمدهم في مهمات أموره(٥١) . أما نور الدين محمود فقد كان يجل العلماء والفقهاء ويناقشهم في كثير من المباحث وله توقيعات في غاية الأيجاز والبلاغة(٥٢) . أما سيف الدين غازي الأول فكان يجزل العطاء للشعراء ودوره بارز في تشجيع الحركة العلمية عن طريق بنائه للمدرسة الأتابكية العتيقة وهي من أحسن المدارس وأوسعها ، كما بنى رباطاً للصوفية(٥٣) . وكان قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي من أحسن الملوك سيرة كريماً ويعتمد على العلماء في أعماله ومهماته(٥٤) . وكان سيف الدين غازي الثاني بن قطب الدين يقرب العلماء ويعهد إليهم بالمناصب ، عهد الى مجد الدين بن الأثير بخزانة الدولة ثم ولاه على ديوان الجزيرة وأعمالها(٥٥) . أما عز الدين مسعود الأول بن قطب الدين فقد كان كثير الأهتمام بالعلم والعلماء وبنى المدرسة العزية مقابل دار المملكة ، ودفن فيها بعد مماته وهي من المدارس الفخمة الكبيرة(٥٦) . وقد صنف له عبدالله بن علان بن زاهر الواسطي الخزاعي (ت ٦٢٣/ ١١٢٦) كتاب (المسألة الأتابكية العزية في الصفات الألهية والتنبيه بالرد على من قال بالتشبيه)(٥٧) . أما نور الدين أرسلان شاه الأول بن عز الدين مسعود فقد أهتم بالعلماء وتقرب إليهم وتعهدهم برعايته وأحترامه(٥٨) . وبنى المدرسة النورية مقابل دار المملكة وهي من أحسن المدارس وأوقف عليها الوقوف الكثيرة(٥٩) . أما الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني فقد بنى المدرسة القاهرية(٦٠) وقرب العلماء والأدباء ، ومن نال الحظوة عنده عز الدين بن الأثير الذي صنف له (كتاب ، الباهر في الدولة الأتابكية)(٦١) أما بدر الدين لؤلؤ فقد سار على مِنوال الملوك الأتابكة فقد كان يتفقد العلماء والشعراء ويجزل العطاء لمِن يمدحه منهم . طلب مِن عز الدين أن يجمع له تأريخاً بأسمه ففعل وألف كتاب (الكامل في التأريخ) فأجزل صلته ، وأنشأ المدرسة البدرية التي دفن بها .(٦٢)

وكان لنواب الأتابكة دور مهم أيضاً في تشجيع الحركة العلمية في الموصل فزين الدين علي كجك بنى مدارس وربطاً بالموصل وغيرها(٦٣) . وكان مجاهد الدين قايماز على حظ من العلم والمعرفة ويحفظ الكثير من الشواهد الشعرية والحكايات التأريخية ولهذا أقبل عليه الشعراء يمدحونه وكان يجزل العطاء لهم . وعمل له أبو المعالي سعيد بن علي الحظيري كتاب (الأعجاز في حل الأحاجي والألغاز برسم الامير مجاهد الدين قايماز وقد بنى المدرسة المجاهدية ، وأنشأ مكتباً لتعليم الأيتام وأجرى لهم جميع مايحتاجون اليه . كما أنشأ في الموصل أيضاً جامعة المشهور والمارستان – والرباط وكلها قريبة من بعضها(٦٤) .

وكان للوزير جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني دور مميز في تشجيع الحركة – العلمية – فكان يحضر مجالسه العلماء والفقهاء ، وكان يكثر الأحسان اليهم ، والف الطبيب ابن هَبَل كتاب في الطب بأسمه (الطب الجمالي) وأهداه له(٦٥) .

وكان لهذا التشجيع أثره البالغ في كثرة القادمين اليها من الأدباء والشعراء والفقهاء أو من طلبة العلم للأستفادة من معاهدها العلمية أو لنيل عطايا المتنفذين فيها من أتابكة أو نوابهم أو



وزرائهم.

وقد نبغ عدد كبير من العلماء في الموصل في هذا العصر يصعب حصرهم وتنوع أهتماماتهم العلمية.

١ - العلوم الدينية :-

أ- علوم القرآن : وكانت ابرز العلوم المتعلقة بدراسة القرآن الكريم هو علم القراءات وعلم التفسير. فمن اشتهر بعلم القراءات الشيخ ابو بكر يحيي بن سعيد القرطبي (ت ٥٦٧/١١٧١) الذي قدم الى الموصل واستوطنها حتى وفاته ، وقد تصدر للاقراء واخذ عنه عدد كبير من العلماء علم القراءات. وممن درس عليه القاضي بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد[٦٦]. وممن قرأ عليه ايضاً الشيخ عبد الكريم ابن احمد البوازيجي المقرئ المعروف بابن حرميه (ت ٦١١/١٢١٤)[٦٧] كما قرأ عليه القراءات السبع الشيخ محمد بن عمر بن عبد الكريم المعروف بابن الاكاف الموصلي (ت ٦١٢/ ١٢١٥) الذي قرأ عليه خلق كثير من اهل الموصل[٦٨] وقد صنف بعض علماء الموصل في علم القراءات فقد نظم الشيخ عبد الله بن ابراهيم الجزري الملقب ضياء الدين (ت ٦٧٩/ ١٢٨٠) قصيدة في القراءات القرانية[٦٩]. وكذلك ابن عبد الله محمد بن احمد الموصلي الملقب بشعله (ت ٦٥٦/ ١٢٥٨) صنف منظومة في القراءات السبع سماها (الشمعة في القراءات السبعة)، وكذلك (شرح الشاطبية)[٧٠].

وبرز في علم التفسير- وخاصة التفسير بالرأي- موفق الدين الكواشي الموصلي (ت ٦٨٠/ ١٢٨١) صنف التفسير الكبير وسماه (التبصرة في التفسير) ثم لخصه وسماه (التلخيص في التفسير)[٧١] ومن العلماء الذين اعتمدوا الرواية في تفاسيرهم- اي التفسير بالمأثور.. الفقيه عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني شيخ دار الحديث المهاجرية، بالموصل حيث صنف تفسيراً أطلق عليه (رموز الكنوز) في اربع مجلدات[٧٢] وله كتاب اخر في التفسير هو (القمر المنير في التفسير)[٧٣].

ب- **علم الحديث** : اما في علم الحديث فقد ظهر الكثير من المحدثين كان من ابرزهم ابو محمد عبد الله بن احمد بن ابي المجد الحربي المعروف بالاسكاف (ت ٥٩٨/ ١٢٠١)[٧٤] وكذلك الشيخ مجد الدين بن الاثير الشيباني الجزري (ت ٦٠٦/ ١٢٠٩) الذي صنف العديد من الكتب في الحديث منها (جامع الاصول من احاديث الرسول) جمع فيه بين كتب الصحاح الستة ورتبه على حروف المعجم ، وشرح الغريب من الاحاديث واحكامها ووصف رجالها[٧٥]. كما صنف (النهاية في غريب الحديث) ورتبه على حروف المعجم ايضا[٧٦]. وشرح مسند الامام الشافعي محمد بن ادريس وسماه (الشافي في شرح مسند الشافعي) وغيرها[٧٧]. ومن المحدثين ايضاً محمد بن فضائل ابن محمد بن راستة الدار قزي (المولود سنة ٥٢٦/ ١١٣١) نزيل الموصل[٧٨]. والشيخان الاخوان ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الحسين ابن ابي الصواف الموصلي المعروف بابن رشيق واخوه ابو عبد الله الحسين اللذان سمعا الحديث من ابي محمد عبد الله بن ابي المجد الحري المعروف بالاسكافي[٧٩]. وكذلك ابو المعافى بن اسماعيل بن الحسين بن ابي السنان الموصلي المعروف بابن الحدوس (ت ٦٣٠/ ١٢٣٢) صنف كتاباً في الحديث سماه (انس المنقطعين الى عبادة رب العالمين)[٨٠].

جـ- الفقه :-

اما في الفقه فقد ظهر العديد من العلماء فمن فقهاء الشافعية ابو القاسم عبد الله بن القاسم بن عبد الله الشهرزوري (ت ٥٧٥/ ١١٧٩)، «وهو من اسرة الشهرزوري المشهورة بالقضاء في الموصل وبلاد الشام»، وقد اختصر كتاب (المهذب) للشيرازي[٨١]. وكذلك الشيخ عماد الدين بن يونس بن منعة الذي شرح كتاب (الوجيز) للغزالي وصنف كتاب (المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط) والوسيط للامام الغزالي[٨٢] وشرح كمال الدين بن يونس بن منعة كتاب (التنبيه) في



مجلدين[٨٣] . كما صنف ابن الحدوس كتاب (الكامل في الفقه) وهو كتاب مطول في عشرة مجلدات[٨٤] .

ومن الفقهاء الحنفية : الفقيه محمد بن ابراهيم ابو جعفر الرازي (ت ٦١٤/ ١٢١٧) وله كتاب في الفقه الحنفي وكتاب اخر اختصر به كتاب (القدوري) سماه (النوري في مختصر القدوري)[٨٥] والفقيه عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي (ت ٦٨٣/١٢٨٤) وله تصانيف كثيرة منها، كتاب (المختار للفتوى) وكتاب (الاختيار لتعليل المختار)[٨٦] .

وكان ابرز الفقهاء الحنابلة هو عبد الرزاق بن رزق الله بن ابي بكر الرسعني الحنبلي، وقد صنف كتاباً شرح فيه (المختصر) للخرقي[٨٧] .

٢- علوم العربية :-

من برز في علم اللغة هو مجد الدين بن الاثير، وصنف الشيخ عبد الوهاب بن ابراهيم الانجاني (ت ٦٦٠/ ١٢٦٢) كتاب (العرب كما في الصحاح والمغرب) في اللغة[٨٨] واختصر الشيخ تاج الدين ابو القاسم عبد الرحيم بن رضي الدين بن منعة (ت ٦٧١/ ١٢٧٢) كتاب (درة الغواص في أوهام الخواص) لابي محمد قاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦/ ١١٢٢) وسماه (مختصر درة الغواص) ويعد من كتب النقد اللغوي البارزة[٨٩] .

اما في النحو فقد برز علي بن خليفة بن علي الموصلي النحوي المعروف بابن المنقي (ت ٥٦٢/ ١١٦٦) الذي صنف مقدمة في النحو سماها (المعونة)[٩٠] . وابو محمد سعيد بن المبارك بن البرهان النحوي (ت ٥٦٩/ ١١٧٣) كان عالماً بالنحو، وله تصانيف كثيرة في النحو ومنها (شرح الايضاح في النحو)وشرح (اللمع في العربية) لأبن جني و(الدروس في النحو) و(الرياضة في ا لنكت النحوية) وغيرها[٩١] . ومن النحويين البارزين ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن ابي السرايا النحوي المعروف بابن الصائغ الموصلي (ت ٦٤٣/ ١٢٤٥) ومن تصانيفه (شرح المفصل) و (شرح تصريف ا بن جني)[٩٢] .

اما في مجال الشعر فقد ظهر العديد من الشعراء المبدعين، خاصة وان الملوك والامراء اعتنوا بالشعر والشعراء خاصة وان المديح كان دعاية فاعلة للمسؤولين وتنويهاً بذكرهم ، ومن الشعراء البارزين :

ابو الفرج بن اسعد بن علي المعروف بابن الدهان (ت ٥٨١/ ١١٨٥)[٩٣] والشاعر احمد بن محمد بن ابي الوفاء الموصلي المعروف بابن الحلاوي (ت ٦٥٦/ ١٢٥٨) وهو صاحب شعر في غاية الجزالة والرقة وجودة المعاني[٩٤] . ومنهم ابو الفتح عثمان بن عيسى البلطي الموصلي الشاعر (ت ٥٩٩/ ١٢٠٢) وله موشحه يمدح بها القاضي الفاضل تمتاز برقة الاسلوب وسهولة المعاني[٩٥] . والشاعر عبد الرحمن بن عبد الله بن علي التميمي المعروف بابن الصيقل (ت ٦٣٢/ ١١٣٢) كان شاعراً يمتاز بعذوبة الاسلوب ورقته[٩٦] .

ومن الشعراء الذين مدحوا بدر الدين لؤلؤ: محمد بن حيدر بن محمد ابو طاهر الحسيني العلوي الموصلي (ت ٦٤١/ ١٢٤٣)[٩٧] ، واحمد بن بدران الموصلي النقاش (ولد سنة ٥٩٦/ ١١٩٩)[٩٨] وكذلك ابن الحلاوي المار الذكر فقد مدح الخلفاء والملوك

اما بفن الكتابة والانشاء فقد برع ضياء الدين ابن الاثير، وعلي بن احمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الكاتب الموصلي (ت ٦٢٣/ ١١٢٦)[٩٩] . كما برز في الخطابة عائلة الطوسي فقد تقلد العديد منهم هذه المهمة فعبد الله بن الحسن الطوسي (ت ٦٤٣/ ١٢٤٥) تقلد الخطابة في الجامع الاموي[١٠٠] وابو طاهر الطوسي وغيرهم[١٠١] .



٣- العلوم العقلية :-

على الرغم من وجود من اشتغل بهذه العلوم ، الا ان عددهم اقل بكثير ممن اشتغل بالعلوم النقلية ، تمشياً مع روح العصر السائدة ، وانحسار الدراسات العقلية .

كان هناك بعض الاطباء المشهورين مثل مهذب الدين بن هَبَل ، علي بن احمد بن علي ابن عبد المنعم ابو الحسن الحكيم (ت ٦١٠/ ١٢١٣) المعروف بالخلاطي ولد في بغداد ودرس في النظامية (١٠٢) . وله من المؤلفات (المختار في الطب) (١٠٣) وكتاب (الطب الجمالي) صنفه للوزير جمال الدين الاصفهاني وكتاب (الاراء والمشاورات) (١٠٤) .

ومن اطباء الموصل علي بن ابي منصور بن ابي عبد الله ابو الحسن الموصلي الضرير (ت ٦٠٧/ ١٢١٠) وكان ذكياً فطناً (١٠٥) . وكذلك كمال الدين محمد بن الحسن الموصلي وهو طبيب بارع صنف كتاب بعنوان (كنز الطبيب) (١٠٦) . ومن الذين اهتموا بالطب والتأليف به هو كمال الدين بن منعة الذي الف كتاباً بعنوان (مفردات الفاظ القانون لابن سينا) (١٠٧) .

اما في علم الكيمياء فالمشتغلون به قليل لان هذا العلم تركز حول تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة كالذهب والفضة ، ويقال أن الوزير جمال الدين الاصفهاني كان له اهتمام بالكيمياء (١٠٨) .

وقد طرد بدر الدين لؤلؤ عن الموصل محمد بن احمد بن سعيد المعروف بالباعشيقي عندما بلغه انه يعمل الكيمياء وربما كان من المشعوذين في هذه الصنعة (١٠٩) .

ونشط علم الفلك في العهد الاتابكي ونبغ علماء افاضل في هذا المجال وقد صنع فلكيو الموصل الكرات والجداول الفلكية التي تعكس نشاطهم وخبرتهم في هذه الصناعة ، وكان يسجل اسم الصانع وتاريخ الصنع ، فصنع محمد بن ختلج جدولاً للحساب الفلكي مطعم بالذهب والفضة وعليه علامات فلكية صنعه لمحمد المحتسب البخاري (٦٣٩/ ١٢٤١) (١١٠) . وصنع محمد بن هلال الموصلي كرة ارضية سنة (٦٨٤/ ١٢٨٥) لازالت محفوظة في المتحف البريطاني (١١١) .

وكان كمال الدين بن منعة اشهر الفلكيين في عصره ويقوم بتدريسه في مدارس الموصل ، حتى ان الشيخ اثير الدين المفضل بن عمر الابهري يقرأ كتاب (المجسطي) على كمال الدين بن منعة ، في الوقت الذي كان الناس يشتغلون بتصانيف الابهري (١١٢) . وقد وضع ابن منعة بعض القوانين المتعلقة بالرقاص (البندول) واستخدامه في الرصد لقياس الفترات الزمنية وبذلك سبق غاليلو في هذا المجال (١١٣) وابرز مصنفات ابن منعة في هذا الحقل كتاب (الاسرار السلطانية في علم النجوم) (١١٤) (رسالة في تصحيح (عصا) الشرف الطوسي) و (رسالة تتعلق بالمقالة الرابعة من المجسطي في مسألة اختلاف نظر القمر) (١١٥) .

وعندما انشأ نصير الدين الطوسي رصد مراغه عام (٦٥٧/ ١١٥٩) شارك علماء الموصل ومنهم الفخر المراغي الموصلي مع بقية علماء الفلك في العمل بهذا الرصد (١١٦) .

وهناك من اشتغل بالتنجيم كعلي بن ابي منصور ابن ابي عبد الله ابو الحسن الموصلي الضرير (ت ٦٠٧/١٢١٠) اذ كان له معرفة بالنجوم ولهذا كان مقرباً من نور الدين ارسلان شاه الاول (١١٧) . وكان محمد بن عبد اللطيف بن ابي الفتح ابو عبد الله نزيل الموصل (ت ٦٢٨/ ١٢٣٠) له ولع شديد بالنجوم كما كان مقرباً من بدر الدين لؤلؤ وصار احد ندمائه وخصص له راتباً (١١٨) . كما صنف ابن المستوفي الاربلي نزيل الموصل والمتوفى بها سنة (٦٣٧/ ١٢٣٩) كتاباً في احكام النجوم (١١٩) .

اما في علم الحساب فقد نبغ ابراهيم بن نصر بن عيسى بن علي بن احمد ابو اسحق العبادي الموصلي (ولد سنة ٥٨٢/ ١١٨٦) وكان لمعرفته



الجيدة بالحساب قد تولى النظر في الاعمال السلطانية والأشغال الديوانية في الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ(١٢٠) . وكان ابن المستوفي الاربلي بارعا بحسابات الديوان وضبط قواعده(١٢١) . وكان لضياء الدين بن الاثير معرفة وثيقة بعلم الحساب واستخدم معرفته هذه في اعماله الديوانية(١٢٢) . وكان كمال الدين بن منعة من خيرة علماء الحساب الذين انجبتهم مدينة الموصل في العهد الاتابكي وله معرفة بمختلف فروع الرياضيات ، كما برع بعلم الهندسة وله مصنفات كثيرة في هذا العلم كان من ابرزها (رسالة في البرهان عن المقدمة التي اهملها ارخميدس في كتابه تسبيع الدائرة وكيفية اتخاذه ذلك) وكتاب (شرح الاعمال الهندسية) (١٢٣) .

اما الفلسفة فقد كان هناك من اشتغل بها في العصر الاتابكي وخاصة كمال الدين بن منعة الذي قرأ كتب الشهاب السهروردي(١٢٤) وصنف ابن منعة في المنطق (عيون المنطق) وكتاب (لغز في الحكمة)(١٢٥) . ومن الفلاسفة المشهورين في الموصل اثير الدين المفضل بن عمر الابهري (ت ٦٦١/ ١٢٦٢) برع في الفلسفة ودرس في المدرسة البدرية وله مصنفات منها (تنزيل الافكار في تعديل الأسرار) وكتاب (هداية الحكمة) وكان له مجموعة فلسفية سماها (زبدة الاسرار) ترجمها الى السريانية ابن العبري (١٢٦) .

٤- علم التاريخ :-

ظهر عدد من المؤرخين في الموصل في هذا العصر وكان من اشهرهم عز الدين ابو الحسن علي ابن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري (ت ٦٣٠/ ١٢٣٢) .

وصنف الكتب التالية :

١- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل .

٢- الكامل في التاريخ .

٣- اسد الغابة في معرفة الصحابة .

وكذلك القاضي ابن شداد ، ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الملقب بهاء الدين (ت ٦٣٢/ ١٢٣٤) وصنف (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) وهي سيرة صلاح الدين الايوبي .

ومن المؤرخين المشهورين ابن الشعار الموصلي ، كمال الدين ابو البركات المبارك بن ابي بكر حمدان ابن احمد بن علوان (ت ٦٥٤/ ١٢٥٦) صنف كتاب (عقود الجمان في شعراء هذا الزمان)(١٢٧) .

وظهر عدد من المؤرخين الذين أرّخوا لمدينة الموصل مثل ابو اسحق ابراهيم بن محمد الموصلي (ت ٥٧٧/ ١١٨١) (١٢٨) صنف كتاباً عن تاريخ الموصل ، وكذلك فعل عماد الدين اسماعيل بن باطيش الموصلي (ت ٦٥٥/ ١٣٥٧) (١٢٩) .

د- خطط المدينة

اصاب مدينة الموصل الخراب قبيل العهد الاتابكي ويعود هذا الى التنازع بين السلاجقة على الحكم من ناحية والى عدم استقرار الادارة السلجوقية في المدينة من ناحية اخرى ، حتى ان ابن الاثير يصف المدينة بقوله «كانت البلاد قبل ان يحكمها عماد الدين زنكي – خراباً من الظلم وتنقل الولاة ومجاورة الفرنج»(١٣٠) ويصف ابن الاثير الخراب الشامل الذي كانت عليه الموصل نقلاً عن ابيه «وكان الناس لايقدرون على المشي الى الجامع – الاموي – غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة»(١٣١) . ثم يصف المدينة بعد ان تولاها زنكي فيقول «فلما طالت الايام الشهيدية وحمى البلاد ومنع المفسدين وكف ايدي الاقوياء سارت سيرته في البلاد ، فقصده الناس واتخذوا بلاده داراً فانه من أكرم ارتبط ، فلم تزل العمارة تكثر في الموصل وغيرها حتى لقد ذهب كثيراً من المقابر وبنيت دوراً»(١٣٢) ويقول مختصر كتاب ابن حوقل – صورة الارض . «اما في زماننا هذا وهو سنة ستين وخمسمائة فقد عمرت – الموصل – عمارة لم تكن قط منذ اسست حتى ان العمارة قد استولت



عليها ولم يبقَ بها موضع فامتدت العمارة الى خارج السور وصار في خارجها اسواق وحمامات وفنادق وغير ذلك من المرافق» [١٣٣].

هكذا اصبحت مدينة الموصل من المدن العامرة وازدهرت فيها الحياة الاقتصادية، فشيدت فيها المدارس والمساجد ودور الحديث والرباطات والقصور والمتنزهات وابرز معالمها العمرانية هي :-

١ - الارباض :-

كان في المدينة العديد من الارباض فلما اتسعت عمارتها خرج الناس الى الارباض فعمروها وسكنوها وكان اشهر هذه الارباض هما الربض الاعلى والربض الاسفل ، فالربض الاعلى يقع شمالي الموصل خارج السور الاتابكي ويمتاز بموقعه المطل على دجلة ويمتد من باب سنجار الى نهر دجلة ، وفي هذا الربض قصور الامراء والولاة وارباب الحكم ، وقد امر عماد الدين بفتح الباب العمادي لايصال المدينة بالربض الاعلى [١٣٤]. اما الربض الاسفل وهو اكبر الارباض واحسنها عمارة فقد شيدت فيه المدارس والمساجد والاسواق والحمامات والخانات ، وفي هذا الربض شيد مجاهد الدين قايماز مسجداً ومدرسة وبيمارستاناً ورباطاً وجسراً يصل بينه وبين سأحل دجلة الايسر [١٣٥].

٢ - المحلات :-

كان في الموصل العديد من المحلات والاحياء السكنية ، ومن اشهر تلك المحال : محلة سوق التركمان ومحلة درب دراج ومحلة المربعة (جهار سوك) ثم محلة سوق الاربعاء التي كان بداخلها فضاء واسع وعلى كل ركن فندق [١٣٦]. اما الاحياء فهي حي الحديثيين وحي التغالبه وحي خزرج وحي الجصاصة الذي كان يشتمل على شارعين هما درب الجصاصه ودرب الجصاصين ، ثم حي التكارتة وحي الطبالين [١٣٧].

٣ - الميدان :-

يقع في المنطقة المحصورة مابين السور العقيلي والسور الاتابكي وهو ارض واسعة خالية من العمارة اتخذت ميداناً لتدريب الجيش وعرضه وفي وسطه كشك يشتمل على غرف يشرف منها الاتابك على اعداد الجيش. وفي الميدان شارع واسع يمتد بموازاة السور العقيلي ويفصل دور المملكة والقلعة عن البلد [١٣٨].

٤ - دور المملكة :-

وتقع على نهر دجلة بالقرب من القلعة في مواجهة الميدان ، وهي التي اتخذها امراء الموصل ورجالهم سكناً لهم ، ولاتزال اثار هذه الدور قائمة الى الآن تعرف باسم (قره سراي) ، وعند مجيْ زنكي الى الحكم لم يكن في الموصل غير دار الملك التي تقابل الميدان فأمر ببناء دور المملكة واعتنى بزخرفة هذه الدور ونقوشها الجصية وزين سقوفها بالذهب [١٣٩].

٥ - القلعة :-

وتقع شمالي الموصل تجاور دور المملكة واصبحت في العهد الاتابكي واسعة تتسع لكثير من الجند وفيها مخازن للمؤن والعتاد ولوازم الحرب ، وكانت القلعة تمتد من (باش طابيه) الحالية الى دور المملكة ولها ابواب اشهرها هو باب القلعة المؤدي الى الميدان ، يقابل الغرب ، وباب السر المؤدي الى النهر من جهة عين كبريت وهو امنع ابوابها [١٤٠]. وظلت القلعة عامرة حتى اكتسح المغول المدينة عام ٦٦٠ / ١٢٦١ حيث امر سنداغو بتدمير القلعة بعد احتلاله للمدينة [١٤١].

٦ - السور :-

كان حد السور الذي بناه العقيليون وجددهُ السلاجقة من بعدهم من جهة الشمال يمتد من باب المشرعة قرب عيسى دده. ويتجه غرباً تاركاً الميدان خارجه حتى ينتهي في باب سنجار اي باب الميدان ، ولما تولى عمادالدين زنكي الموصل وسع السور من الجهة الشمالية من المدينة وادخل الميدان بما فيه قصور الامارة داخل السور الجديد ، كما انه



رفع السور من سائر جهاته ، كما عمر الخندق الذي يحيط به وكان هذا سنة ٥٢٧/ ١١٣٣ [١٤٢] . ووصف ابن جبير هذا السور وصفاً يدل على عظمته واحكام بنائه [١٤٣] . وكان لهذا السور ابواب عديدة هي :

١- الباب العمادي ، فتحه زنكي سنة ٥٢٧/ ١١٣٣ وسمي بإسمه وكان يؤدي الى الربض الأعلى.
٢- باب سنجار وهو من اقدم ابواب المدينة ويؤدي الى الجهة الغربية وكان اوسع ابواب المدينة .
٣- باب كندة ، وهو من الأبواب التي تقع غربي المدينة .
٤- باب الجصاصة نسبة الى الجصاصين الذين يعملون الجص ويقع في جنوبي غربي المدينة .
٥- باب العراق يؤدي الى الجهة الجنوبية- أي جهة العراق ، والمحلة التي تقع بالقرب منه عرفت بهذا الإسم .
٦- باب القصابين ويقع الى الجنوب من المدينة وربما كان يؤدي الى سوق القصابين.
٧- باب الجسر: وهو من ابواب الموصل القديمة ويؤدي الى الجهة الشرقية ، ولا زال يعرف بهذا الإسم .
٨- باب المشرعة يقع قريباً من دور المملكة ويؤدي الى النهر، وبنى عليه سيف الدين غازي سنة ٥٤١/ ١١٤٧ رباطاً يسمى اليوم مقام (عيسى دده) [١٤٤] .

٧- الأسواق : -

كان من نتائج توسع المدينة ان انتقلت بعض الأسواق الى قرب الجامع النوري واصبحت تحيط به . كما ان هناك اسواق اخرى بقت في اماكنها القديمة . فسوق الشعارين وهو من اقدم اسواق المدينة ذكر منذ القرن الأول للهجرة ولا زال معروفاً الى هذا اليوم بهذا الاسم ، وسوق القتابين- قتب الابل وما يلحقها من ادوات ، وسوق الأربعاء- يقام فيه سوق في يوم الأربعاء من كل اسبوع . ثم اصبح من الأسواق الدائمية . وهناك اسواق اخرى في احياء الموصل الداخلية وأرباضها ، ففي الربض الأسفل بنى مجاهد الدين قيماز سوق كبير للتجار القادمين من جهة الجنوب . ومن الأسواق الكبيرة داخل المدينة (جهارسوك) ولا زالت محلة تعرف بهذا الاسم . وسوق التركمان وهو يقع شرقي المدينة يجاور الميدان .

وفي الموصل قيساريات عديدة اشهرها قيسارية الجامع النوري ، والقيسارية التي بناها مجاهد الدين قايماز داخل المدينة وكذلك قيسارية المسك داخل المدينة ايضا [١٤٥] .

٨- الشوارع (الدروب) : -

كانت تخترق المدينة شبكة من الدروب والشوارع التي تربط بين احياء الموصل وأرباضها ، واهم الطرق التي كانت معروفة هي : درب الدير الأعلى ، ودرب باصلوت ودرب الجصاصين ، ودرب بني ميدة ودرب ايليا الطبيب ، درب رحى امير المؤمنين ، ودرب الدباغين ، ودرب جميل، وسكة ابي نجيح وتقع فيها دار الحديث المهاجرية [١٤٦] .

٩- المساجد : -

كان في مدينة الموصل في هذا العصر الكثير من المساجد ثلاثة منها جامعة : -

١- الجامع الأموي : -

وهو اول مسجد يبنى في الموصل منذ عهد عمر بن الخطاب ثم جدد في العهد الأموي فسمي بهم ، وفي العهد الأتابكي رمم واقيمت له نافورة وقد زين وزخرف في عهد سيف الدين غازي سنة ٥٤٣/ ١١٤٩ [١٤٧] .



٢- الجامع النوري : -

انشأه نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي انتهى من عمارته سنة ٥٦٨/ ١١٧٣ واشرف على بنائه الشيخ عمر بن محمد الملا ، واوقف نورالدين عليه قرية من قرى الموصل وقيسارية كبيرة ، ثم انشأ مدرسة في هذا الجامع ، منارته - الحدباء - هي اطول منارة في العراق يبلغ ارتفاعها ٥٥ متراً تمتاز بزخارفها الاجرية النافرة. ويعرف الآن باسم الجامع الكبير[١٤٨] .

٣- الجامع المجاهدي : -

انشأه ابو منصور مجاهدالدين قايماز - نائب الأتابك وكملت عمارته سنة ٥٧٥/ ١١٧٩ وكان من اجمل الجوامع واكبرها وقد اعجب به ابن جبير لحسن موقعه ودقة هندسته وتنوع زخارفه وكتاباته[١٤٩] . اما المساجد فأبرزها هي[١٥٠] .

١- مسجد الخلال : -

اسمه الشيخ محمد الخلال المتوفى سنة ٦٣٤/ ١٢٣٧ودفن في هذا المسجد.

٢- مسجد ابراهيم المهراني الجراحي : -

شيده ابراهيم المهراني الجراحي وهو من اتباع عدي بن مسافر الأموي ، اتخذ بدرالدين لؤلؤ فيه مشهداً للامام ابراهيم المسمى بإبن جعفر الصادق ولا يزال يعرف بهذا الاسم.

٣- مسجد الرحماني : -

ويسمى ايضاً مسجد الحكيم.

٤- مسجد عمر الملا : -

شيده الشيخ عمر بن محمد الملا الذي تولى عمارة الجامع النوري ، ودفن في هذا المسجد.

٥- مسجد عبدالحميد : -

يقع في محلة شهر سوق.

٦- مسجد امين الدين ياقوت : -

يقع في الربض الاعلى ظاهر الموصل ، اسسه احد مماليك بدرالدين لؤلؤ امين الدين ياقوت ، واتخذ فيه تربة لولده سنة ٦٣٧/ ١٢٤٠ .

٧- مسجد منصور الحلاج : -

من المساجد القديمة في الموصل اسسه الحديثيون الذين نقلهم زنكي الى الموصل وكانت المحلة تسمى بإسمهم ، دفن فيه قبل قرنين من الزمن شخص حلاج اسمه منصور، فعرف المسجد به- اي لاعلاقة له بالصوفي المشهور.

٨- مسجد التركماني : -

يقع في حظيرة السادة ويسمى حالياً مسجد ملا علي ورد ذكر هذا المسجد في القرن السادس وتعرف محلته بمحلة التركمان.

١٠- المراقد والمشاهد[١٥١] :

١- الخثعمي وهو من الصحابة ، لازال القبر قائماً يسمى (ابو الجوادين).
٢- مرقد الشيخ ابراهيم المهراني - المعروف حالياً بمرقد الإمام ابراهيم.
٣- مرقد الفتح الموصلي : وهو من الأولياء.
٤- مرقد العناز، الشيخ عناز الأسود ، كان اسود حبشي يسكن الموصل ودفن فيها واوقف الجبانه التي تحيط بقبره الآن.
٥- مرقد الخلال : يقع في محلة الميدان توفي سنة ٦٣٦/ ١٢٣٩ .
٦- مرقد الشيخ محمد الغزلاني ، كان صوفياً دفن في رباطه الواقع على سفح التل المعروف بإسمه.
٧- مرقد عمر المولى مدفون في مسجده ، المذكور سابقاً. في محلة لازالت تعرف بإسمه محلة الشيخ عمر.



٨- مشهد النبي يونس : - من المشاهد الكبيرة والمهمة والتي يتبرك بها اهل الموصل.
٩- مشهد النبي جرجيس : يقع قرب سوق الشعارين.
١٠- مشهد الطرح : المعروف بـ (بنجة علي) كان يقابله الباب العمادي في الربض الأعلى.
١١- مشهد النقطة الحسينية. قرب دير سعيد جنوب الموصل.
١٢- مشهد عمرو بن الحمق الخزاعي : كان من انصار الامام علي، يقع المشهد بالقرب من باش طابية. وقد بنى بدرالدين لؤلؤ العديد من المشاهد العلوية وهي : -
١٣- مشهد ابن الحسن - او عون الدين.
١٤- مشهد الامام يحيي بن القاسم.
١٥- مشهد علي الهادي.
١٦- مشهد الامام الباهر.
١٧- مشهد اولاد الحسن.
١٨- مشهد العباس - جامع العباس الحالي في شارع النجفي.

١١- المدارس : -

اولى الأتابكة رعاية خاصة بالتعليم ولهذا انشأوا العديد من المدارس فكانت هذه سبباً في تطور الحياة العلمية في الموصل، الا ان بدرالدين حول اكثر هذه المدارس فيما بعد الى مقامات ومشاهد لأبناء آل البيت ليطمس آثار اسياده الأتابكة. ومن المدارس التي تعود الى العصر الأتابكي : - (١٥٢)

١- المدرسة النظامية : -

انشأها نظام الملك السلجوقي درس فيها الكثير من العلماء ابرزهم ابو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري (٥١٠ - ٥٨٦ / ١١١٦ - ١١٩٠)، اتخذ فيها بدرالدين مقاماً لعلي الاصغر المعروف (بمقام ابن علي) او (ابن الحنفية).

٢- المدرسة الأتابكية العتيقة : -

بناها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي، ودفن بها بعد وفاته سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ جعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية واوقف عليها الوقوف الكثيرة، درس فيها ابو البركات عبدالله بن الحسين المعروف بإبن الشيرجي المتوفى سنة ٥٧٤ / ١١٧٨.

٣- المدرسة الكمالية :

كانت بالاصل مسجداً اتخذها كمال الدين بن يونس مدرسة فعرفت بإسمه. بناها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين (ت ٥٦٣ / ١١٦٧) والد الملك المظفر كوكبوري صاحب اربل لازالت باقية وتعرف بمدرسة ابن يونس او بجامع شيخ الشط..

٤- المدرسة الزينية : -

بناها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين درس فيها عماد الدين ابو حامد محمد بن يونس بن منعه.

٥- مدرسة ابن الشهرزوري او المدرسة (الكمالية القضوية) :

انشأها القاضي ابو الفضل محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري الملقب بكمال الدين (ت ٥٧٢ / ١١٧٦) ودرس فيها جلال الدين عبدالرحمن الشهرزوري بن القاضي كمال الدين وكذلك القاضي ابو حامد محي الدين محمد بن القاضي كمال الدين، ودرس فيها ايضاً الفقيه احمد بن نصر بن الحسين الانباري المعروف بالشمس الدنبلي.

٦- مدرسة ابن الشيرجي : -

درس فيها عبدالله بن المعتز بن الحسين الموصلي المعروف بإبن الشيرجي (ت ٥٧٤ / ١١٧٨) بناها له الأمير عزالدين - زلفندار.



٧- المدرسة المجاهدية : -

بناها مجاهد الدين قايماز الرومي نائب الأتابك ، تقع في الربض الأسفل على نهر دجلة .

٨- مدرسة ام الملك الصالح :

والملك الصالح هو اسماعيل بن نورالدين كانت بالاصل داراً فاوقفتها ام الملك الصالح مدرسة .

٩- المدرسة المهاجرية : -

بنى هذه المدرسة علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر والد الفقيه محمد بن علوان بن مهاجر. واوقف عليها الوقوف الكثيرة ، درس فيها الفقيه ابو المظفر وعلوان بن مهاجر، وموفق الدين عبداللطيف بن يوسف البغدادي (ت ٦٢٩/ ١٢٣١) .

١٠- المدرسة العزية : -

انشأها عزالدين مسعود الاول بن قطب الدين مودود ، درس فيها الشيخ عماد الدين ابو حامد محمد بن يونس بن منعه ، وتقع قرب دور المملكة .

١١- المدرسة النورية : -

بنى هذه المدرسة نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود انشأها مقابل دار المملكة ووقفها على ستين فقيهاً من الشافعية ودرس فيها عماد الدين محمد بن يونس بن محمد بن منعة . وكذلك الفقيه يوسف بن ابراهيم بن نصر بن عسكر ابو العز الموصلي .

١٢- المدرسة النفيسية : -

لايعرف بانيها درس فيها الفقيه عمادالدين ابو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة .

١٣- المدرسة العلائية : -

يقال ان بانيها هو علاءالدين خرمشاه بن عزالدين مسعود ، درس فيها عمادالدين ابو حامد بن يونس بن منعة وكذلك كمال الدين بن يونس بن منعة .

١٤- المدرسة القاهرية : -

أسسها الملك القاهر عزالدين مسعود الثاني بن نورالدين ارسلان شاه الأول ، درس فيها كمال الدين بن يونس بن منعة والفقيه شرف الدين ابو الفضل احمد بن كمال الدين بن منعة (ت ٦٢٢/ ١٢٢٥) ومحمد بن علي سبط يونس بن منعة (ت ٦٢٢/ ١٢٢٥) وتقع هذه المدرسة بين دور المملكة والباب العمادي .

١٥- المدرسة العمادية : -

لايعرف بانيها ، درس فيها ابو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي (ت ٦١٥/ ١٢١٨) .

١٦- المدرسة الفخرية : -

لايعرف مؤسسها تقع على نهر دجلة درس فيها الفقيه ابو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر.

١٧- المدرسة البدرية : -

بناها بدرالدين لؤلؤ في قلعة الموصل تجاور مشهد يحيى بن القاسم ، درس فيها الفقيه محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي ، وكذلك كمال الدين يونس بن منعة الموصلي ، والشيخ ابو العباس احمد بن الحسين بن احمد النحوي الضرير المعروف بإبن الخباز (ت ٦٣٩/ ١٢٤١) .

١٨- مدرسة ابناء بلدجي : -

انشأ هذه المدرسة محمود بن مودود بن محمود بن بلدجي الموصلي (ت ٦٢٣/ ١٢٢٦) ودرس فيها .

١٩- المدرسة البرسقية : -

يمكن ان تكون من انشاء اقسنقر البرسقي الذي تولى الموصل سنة (٥١٥/ ١١٢١) درس فيها الفقيه نصرالله ابن علي بن نصرالله ابو الفتح المعروف بإبن السمين.



١٢ – دور الحديث : –

كان هناك دارين للحديث الأول دار الحديث المهاجرية انشأها علي بن علوان بن مهاجر بن علي ، بناها في سكة (ابي نجيح) ومن تولى مشيختها ابو اسحق البرني المتوفى سنة (٥٥٢ / ١١٥٧) وابو عبدالله بن محمد بن يوسف بن محمد الرسعني ، رتبه بدرالدين بدار الحديث هذه يحدث في فضائل آل البيت[١٥٣] والثانية هي دار الحديث المظفرية ، بناها مظفرالدين كوكبوري صاحب اربل ومن تولى مشيختها عبدالقادر بن عبدالله بن عبدالرحمن الرهاوي (٥٢٦ – ٦١٢ / ١١٣٢ – ١٢١٥).

١٣ – الاربطة

كانت الاربطة معاهد علمية يقصدها طلاب العلم والصوفية للتعبد من ناحية وللاشتغال بالعلم من ناحية اخرى ومن اشهر الاربطة في الموصل[١٥٤].

١ – رباط سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١ – ٥٤٤) بناه على باب المشرعة ووقف عليه وعلى مدرسته الوقوف الكثيرة. ولعل عيسى دده انشأ في محل هذا الرباط.

٢ – الرباط الزيني : – بناه زين الدين علي كجك بن بكتكين ، ولا نعلم موقع هذا الرباط.

٣ – رباط ابن الشهرزوري : – بناه كمال الدين بن الشهرزوري ، يمكن ان يكون قرب قضيب البان الموصلي.

٤ – الرباط المجاهدي : – بناه مجاهد الدين قيماز في الربض الاسفل على دجلة.

٥ – رباط درب دراج : – لابي السعادات ابن الاثير.

٦ – رباط قصر حرب : – لابي السعادات ابن الاثير .

٧ – رباط الشيخ قضيب البان : – بناه لنفسه ابو عبد الله الحسين قضيب البان الموصلي (٤٧١ – ٥٧٣) ودفن في رباطه بعد وفاته ويقع ظاهر المدينة خارج باب سنجار.

١٤ – المقابر[١٥٥]

١ – مقبرة النبي جرجيس .
٢ – مقبرة الجامع العتيق – الاموي.
٣ – تربة غسان التي تجاور مسجد العناز .
٤ – مقبرة الباب العمادي .
٥ – وظاهر الباب العمادي كان هناك مقبرة اخرى في المسجد الذي شيده ابن ياقوت البدري.
٦ – مقابر تل توبة تجاور مشهد النبي يونس.
٧ – مقابر العلويين :– دفنوا موتاهم في مشهد الطرح ومشهد الامام عون الدين ، ومشهد النقطة الحسينية قرب دير سعيد وقرب قبر عمرو بن الجمعة الخزاعي وتعرف اليوم بمقبرة الست فاطمة تجاور الامام محسن .
٨ – مقبرة ظاهر الجصاصة.
٩ – مقبرة الشيخ قضيب البان الموصلي.

١٥ – الكنائس والاديرة

اهم الكنائس التي كانت في العصر الاتابكي والتي لم تزل موجودة هي : –

١ – كنيسة مارتوما : – وهي من الكنائس القديمة ذكرها الازدي في حوادث سنة ١٦٦ هـ (٧٨٢م).

٢ – كنيسة مار حوديني (احودمة) : – بنى هذه الكنيسة البنائون الذين نزحوا من تكريت الى الموصل منذ نهاية القرن الرابع للهجرة (القرن العاشر الميلادي) ، زخارف هذه الكنيسة وبنايتها تعود الى



العصر الاتابكي يحتوي على زخارف متنوعة وابوابها مزدانة بكتابات مختلفة وفوق اقواسها تصاوير محفورة نافرة بالمرمر.

٣- كنيسة شمعون الصفا: تقع في محلة مياسة وهي تحت الكنيسة الحديثة بنفس الاسم وفيها نقوش وزخارف تعود الى العصر الاتابكي.

اما الاديرة التي تحيط بالموصل فهي :-

١- دير سعيد: من الاديرة القديمة في جنوب الموصل، وكان من متنزهات اهل الموصل خربه الفرس عند غزوهم للموصل في عهد نادرشاه.

٢- دير ميخائيل: - وهو من متنزهات الموصل وكان الشعراء يقصدونه في اوقات فراغهم يتمتعون بجمال موقعه وكان في الدير مدرسة يدرس بها الرهبان مختلف العلوم والاداب.

٣- دير ماركوركيس: - وهو من الديارات القديمة واخباره قليلة في العصر الاتابكي.

٤ دير الربان هرمزد: - وهو من الديارات القديمة في القوش.

٥- دير متى: - ويعرف بدير الشيخ متى هو من اقدم ديارات الموصل يقع في سفح جبل مقلوب. كان فيه مدرسة دينية تحوي كتباً ثمينة وسكن هذا الدير المؤرخ المشهور (ابن العبري) وهو من الاديرة الخاصة بالارثذوكس.

٦- دير الجب (ماربهنام): - يقع جنوب شرقي الموصل ويبعد عنها حوالي ٣٥ كيلومتر، وهو من الاديرة الكبيرة للسريان وتعد اثاره التي تفنن بها التكريتيون من اجمل ماخلفه الفنانون في القرون الوسطى. فيه الكثير من الزخارف المنحوتة في المرمر. وصور بارزة بالرخام والجبس والآجر المزجج وغير ذلك. وقبة المصلى من اجمل القباب التي وصلتنا من العصر الاتابكي والدير بصورة عامة تحفة فنية رائعة تمثل فن العمارة في العصر الاتابكي اجمل تمثيل[١٥٦].

الهوامش

(١) الحوادث الجامعة ص٢٣٠-٢٣١.
(٢) ابن جبير- رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت ١٩٥٩ ص٢١٠-٢١١.
(٣) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي الأندلسي، ترجمة عزرا حداد، بغداد ١٩٤٥، ص١٢٧.
(٤) الأصطخري المسالك والممالك، تحقيق جابر عبد العال، القاهرة ١٩٦١، ص٥٣.
(٥) الباهر ص٧٨، الكامل ح ١١-ص١١١.
(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ح ١- ص٤٥.
(٧) ياسين العمري، منية الأدباء في تأريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي الموصل ١٩٥٥، ص٦٧.
(٨) الديوه جي، تأريخ الموصل ح ١ ص٤٢٦.
(٩) الكامل ح ١٢ ص٤٢٤، ٤٤٧، ٤٦٧، ٤٨١.
(١٠) اثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ١٩٦٠ ص٤٦١- ٤٦٢
(١١) Hamd – allah – Mustawfi of Qazwin, The Geographical Part of Nuzhat al – Qulub, trans. by G, le Strange, leiden, 1919, p. 102.
(١٢) القزويني- أثار البلاد، ص٤٦١.
(١٣) ياسين العمري، منية الأدباء ص٦٦-٦٧.
(١٤) Thomas Arnold ,The legacy of Islam O. II.P.1952 p. 104.
أنظر كذلك الدوري، تأريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بغداد ١٩٤٨ ص٩١.
(١٥) الجاحظ- التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، مصر ١٩٣٥ ص٣٣.
(١٦) الديوه جي، تأريخ الموصل ح ١ ص٢٢٢.
(١٧) الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي ص٥١ ومابعدها، أنظر سوادي عبد محمد، الأحوال الأجتماعية والأقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية، بغداد ١٩٨٩، ص٢٧٨.
(١٨) الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي ص٦٠-٦٦.
(١٩) المرجع نفسه ص٦٦-٦٧.
(٢٠) معجم البلدان، مصر ١٩٢٣، ح ٨ - ص١٩٥- ١٩٦.
(٢١) رحلة ابن جبير، ص٢١٢.
(٢٢) ابن حوقل- صورة الأرض- ص١٩٥.
(٢٣) رحلة ابن جبير ص٢١٣.
(٢٤) صورة الأرض ص٢٠٢-٢٠٣.
(٢٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي غويه، ليدن ١٩٠٦، ص١٤٥.
(٢٦) الكامل- ح ١٢ - ص٢٩١- ٢٩٢.



(٢٧) ابن حوقل – صورة الأرض ، ص١٩٥ .
(٢٨) رحلة بنامين ، ترجمة عزرا حداد ، ص١٢٧ .
(٢٩) الصابئ ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، بغداد ١٩٦٤ ، ص٢١ . وكذلك سوادي عبد محمد ، الأحوال الأجتماعية والأقتصادية ، ص١٦٠–١٦١ .
(٣٠) أنظر عن هذه الأسرة: الديوه جي ، الموصل في العهد الأتابكي ص٩٦–١٠٢ .
(٣١) سوادي عبد محمد ، التنظيات الأجتماعية ص١٧٠–١٧٢ .
(٣٢) أثار البلاد وأخبار العباد ص٤٦١ .
(٣٣) الكامل ح ١١ ص٣٥٥ .
(٣٤) المصدر نفسه ص٤٦٢ .
(٣٥) رحلة ابن جبير–ص٢١٠–٢١١ أنظر أيضاً سوادي عبد محمد ، ص١٣٣ـ١٣٤ .
(٣٦) ابن حوقل ، صورة الأرض ص١٩٥ .
(٣٧) الديوه جي – تأريخ الموصل ح ١ ص٤٤٣–٤٤٤ .
(٣٨) الديوه جي – الموصل في العهد الأتابكي ص٨٧–٨٨ ، عن خيال الظل أنظر: ابراهيم حمادة ، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، القاهرة ١٩٦٣–ص٨٧–٨٩ .
(٣٩) الكامل – ح ١١ ص٣٦٤ .
(٤٠) ابن جبير الرحلة ص٢١١–٢٧٢ .
(٤١) الذهبي – تأريخ الاسلام ح ٢٠ (مخطوطة أحمد الفاتح رقم ٤٠١٤) ورقة ١٧١ ـ ٢٥٧ .
(٤٢) الديوه جي – الموصل في العهد الأتابكي – ص٨٢ .
(٤٣) ابن الساعي – الجامع المختصر ح ٩ ص٢٥٦–٧ ، الشابشتي ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، الطبعة الثانية بغداد ١٩٦٦ ، ص١٧٦ ، ١٨٤ ، ٣٠٠ ... الخ .
(٤٤) الديوه جي – الموصل في العهد الأتابكي ص٨٤ .
(٤٥) الشابشتي ، ص١٧٦ .
(٤٦) الباهر ص١٨٦ .
(٤٧) الحوادث الجامعة ص٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٣ .. الخ .
(٤٨) المصدر نفسه ص٢٩١ ، ٢٣٦ .
(٤٩) الديوه جي – الموصل في العهد الأتابكي – ص٨٧ .
(٥٠) عبد الجبار حامد أحمد ، الحياة العلمية في الموصل في عصر الأتابكة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى كلية الأداب – جامعة الموصل – ص١١٣ ومابعدها .
(٥١) الباهر ص٦٣ ، ٨٣ .
(٥٢) المصدر نفسه ص١٦٥–١٧٣ ومابعدها .
(٥٣) المصدر نفسه ص٩٣ .
(٥٤) المصدر نفسه ص١٨٤ـ١٨٩ .
(٥٥) ابن الساعي – الجامع المختصر – ح ٩ – ص٢٩٩ .
(٥٦) الكامل – ح ١٢ ، ص١٠١–١٠٢ .
(٥٧) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ح ٣ ورقة ١٢٠ ب ١٢١ أ .
(٥٨) ابن خلكان – وفيات الأعيان ح ٤ ص٢٥٤ ، ح ٢ ، ص٢٣٧–٢٣٩ .
(٥٩) الباهر – ص٢٠١ .
(٦٠) ابن خلكان – ح ٥ – ص٢٠٨ .
(٦١) الباهر ، ص٢–٣ .
(٦٢) الحوادث الجامعة – ص٣٣٧ .
(٦٣) الباهر ص١٣٦ .
(٦٤) المصدر نفسه ص١٩٣–١٩٤ ، ابن خلكان ، ح ٤ – ص ٨٣–٨٤ .
(٦٥) العماد الأصفهاني – تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٩٣–١٩٤ ، الصفدي ، نكت المميان في نكت العميان ، ص٢٠٦ .
(٦٦) ابن خلكان – ج ٦ – ص ٧١ – ١٧٣ عن تفاصيل العلوم العقلية انظر عبد الجبار حامد رسالة ماجستير ص ١٨٥ وما بعدها .
(٦٧) ابن الشعار ، ج ٥ ورقة – ٢٠ أ .
(٦٨) المصدر نفسه ج ٦ ورقة ٢٦٢ أ و ب .
(٦٩) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق محمد حامد الفقي – القاهرة ١٩٥٢ ، ج ٢ ص ٢٩٨ .
(٧٠) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .
(٧١) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، استانبول ١٩٤١ ، ج ١ – ص ٣٣٩ ، ٤٥٧ .
(٧٢) ابن رجب ، ج ٢ ص ٢٧٥ .
(٧٣) ابن الشعار ، ج ٤ ورقة ١٣٢ أ .
(٧٤) ابن العماد الحنبلي – شذرات الذهب في اخبار ابن ذهب ، ج ٤ ص ٣٣٥ .
(٧٥) ابن الساعي – الجامع المختصر – ج٦ – ص٢٩٩ – ٣٠١ .
(٧٦) ابو شامة – ذيل الروضتين ص ٦٨ .
(٧٧) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، بيروت (د. ت) ج ١٧ ص ٧٦ .
(٧٨) ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٧ .
(٧٩) ابن الصابوني ، تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب ، تحقيق مصطفى جواد بغداد ١٩٥٧ ، ص ١٦٢ – ١٦٥ .
(٨٠) الاسنوي ، طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، بغداد ١٩٧٠ – ج ٢ – ص ٤٥١ .
(٨١) الاسنوي – ج ٢ ص ١١١ .
(٨٢) ابن خلكان – ج ٤ ص٢٥٣ .
(٨٣) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤١٢ .
(٨٤) الاسنوي ، طبقات الشافعية ، ج ٢ – ص ٤٥٠ .
(٨٥) ابن قطلوبغا ، تاج التراجم في طبقات الحنفية ، بغداد ١٩٦٢ ، ص ٥٩ .
(٨٦) القرشي ، الجواهر المضيئة ، ج ١ – ص٢٩١ .
(٨٧) ابن الشعار ، ج ٤ ورقة ١٣٢ أ .
(٨٨) حاجي خليفة ، ج ٢ – ص ١٧٣٨ .
(٨٩) العزاوي – تاريخ الادب العربي في العراق – بغداد ١٩٦١ ، ج ١ – ص ٣٢ .
(٩٠) ياقوت الحموي – معجم الادباء ، ج ١٣ – ص ٢١٥ .
(٩١) العماد الاصفهاني – الخريدة ، قسم شعراء العراق ، م ١ ج ٣ –



ص ١٩ – ٢١ .

(٩٢) الغساني ، العسجد المسبوك ، ص ٥٤١ – ٥٤٢ ، السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ ، ج ٢ ص ٣٥٢ .

(٩٣) ابن خلكان – ج ٣ ص ٥٧ .

(٩٤) اليونيني – ذيل مرآة الزمان ، ج ١ – ص ٩٦ .

(٩٥) العماد الاصفهاني – الخريدة ، قسم شعراء الشام ج ٢ – ص ٣٨٩ .

(٩٦) ابن الشعار ، ج ٣ ورقة ٢٢١ ب .

(٩٧) المصدر نفسه ج ٧ – ورقة ٤أ ، ٥ب .

(٩٨) المصدر نفسه ج ١ – ورقة ٢١١ ب .

(٩٩) المصدر نفسه ج ١ – ورقة ٢٥٧أ و ب .

(١٠٠) المصدر نفسه ج ٣ – ورقة ١٦٠أ – ١٦١ ب .

(١٠١) المصدر نفسه ج ١ – ورقة ٨٢أ .

(١٠٢) المنذري عن التكلة لوفيات النقلة – تحقيق بشار عواد ، النجف ١٩٧١ ، ج ٤ – ص ٥٠ – ٥١ .

(١٠٣) مطبوع في الهند سنة ، ١٣٦٣ هـ .

(١٠٤) العلوجي ، عبد الحميد ، تاريخ الطب العراقي بغداد ١٩٦٧ ، ص ٤٨٣ .

(١٠٥) ابن الشعار – ج ٥ – ورقة ٢٤أ و ب .

(١٠٦) الديوه جي ، تاريخ الموصل ج ١ – ص ٣٩٦ .

(١٠٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٤١٢ .

(١٠٨) سبط ابن الجوزي ، ج ٨ – ص ٢٤٩ .

(١٠٩) ابن الشعار ج ٧ ، ورقة ٥٠أ .

(١١٠) الديوه جي – تاريخ الموصل – ج ١ – ص ٤٠٨ .

(١١١) سليمان صائغ . تاريخ الموصل ج ٣ – ص ٨٢ .

(١١٢) ابن خلكان – وفيات الاعيان ، ج ٥ – ص ٣١٣ .

(١١٣) حافظ قدري طوقان – تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ .

(١١٤) ابن ابي اصيبعة – ص ٤١٢ .

(١١٥) عباس العزاوي ، "علماء الرياضيات والفلك في العراق" مجلة سومر مجلد ٢٨ ج ١ و ج ٢ (بغداد ١٩٧٢) ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

(١١٦) الكتبي – فوات الوفيات ، ج ٣ – ص ٢٥١ .

(١١٧) ابن الشعار ج ٥ – ورقة ٢٤ – ٢٥أ .

(١١٨) المصدر نفسه ج ٤ – ورقة ٢٠ ب و ٢١أ .

(١١٩) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ – ص ٥ .

(١٢٠) ابن الشعار ج ١ – ورقة ١٧٣ م .

(١٢١) المصدر نفسه ج ٦ ورقة ٢٠أ .

(١٢٢) المصدر نفسه ج ٩ ورقة ٢٧أ .

(١٢٣) ابن خلكان – ج ٥ – ص ٣١٢ ، ومابعدها ، طوقان ، تراث العرب العلمي ، ص ٣٤٧ .

(١٢٤) ابن ابي اصيبعة – ص ٦٨٦ .

(١٢٥) المصدر نفسه ص ٤١٢ .

(١٢٦) حاجي خليفة ، ج ١ – ص ٤٩٤ ، الدوميلي ، العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي ترجمة عبد الحليم النجار و محمد يوسف موسى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢٩٩ .

(١٢٧) الكتاب لايزال مخطوطاً يتكون من عشرة اجزاء ناقص منه الجزئين الثاني والثامن ، وموجود في مكتبة (سعد افندي في استانبول برقم (٢٣٢٣ – ٢٣٣٠) .

(١٢٨) البغدادي – هدية العارفين ج ١ – ص ١٠ .

(١٢٩) حاجي خليفة ، ج ١ – ص ٣٠٧ .

(١٣٠) الكامل – ج ١١ – ص ١١١ .

(١٣١) الباهر ص ٧٧ .

(١٣٢) المصدر نفسه ص ٧٧ .

(١٣٣) صورة الارض ، ابن حوقل – بيروت دار مكتبة الحياة ص ١٩٥ ، الاضافة المذكورة هي من المختصر الذي عمل في الاندلس في القرن الثاني عشر بين عامي ٥٣٤ – ٥٨٠ هـ اي في الفترة الاتابكية ، انظر عن ذلك كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ١٩٦٣ ، ج ١ ص ٢٠٥ .

(١٣٤) الباهر ص ٧٨ – ، الديوه جي ، الموصل في العهد الاتابكي ، ص ١١٠ – ١١١ .

(١٣٥) الباهر ص ١٩٤ ، ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج ٩ – ص ٨ .

(١٣٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٣٨ .

(١٣٧) المصدر نفسه والصفحة ، الديوه جي ، الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٤ – ١١٥ .

(١٣٨) الديوه جي – الموصل في العهد الاتابكي – ص ١١٦ – ١١٧ .

(١٣٩) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٨٦ ، الديوه المرجع السابق ص ١١٧ .

(١٤٠) الديوه جي – الموصل ص ١١٨ – ١١٩ .

(١٤١) الحوادث الجامعة ص ٣٤٦ – ٣٤٧

(١٤٢) الديوه جي – الموصل ص ١٢٠ – ١٢١ .

(١٤٣) رحلة ابن جبير – ص ٢١٠ .

(١٤٤) الديوه جي – الموصل ص ١٢١ – ١٢٣ .

(١٤٥) المرجع نفسه ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(١٤٦) المقدسي احسن التقاسيم ، ص ١٣٨ ، الديوه جي ، الموصل ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(١٤٧) الديوه جي ، الموصل ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(١٤٨) المرجع نفسه ص ١٢٩ – ١٣١ .

(١٤٩) المرجع نفسه ص ١٣١ – ١٣٣ .

(١٥٠) عن هذه المساجد انظر الديوه جي ، تاريخ الموصل ج ١ – ص ٣٤٠ – ٣٤٢ .

(١٥١) عن هذه المشاهد انظر الديوه جي – الموصل في العهد الاتابكي ص ١٥٨ – ١٧٠ .

(١٥٢) عن هذه المدارس انظر الديوه جي ، تاريخ الموصل ج ١ – ص ٣٤٤ – ٣٥٢ . وكذلك عبد الجبار حامد احمد ، الحياة العلمية في الموصل في عصر الاتابكية – رسالة ماجستير ، ص ١١٣ – ١٥٤ .

(١٥٣) الديوه جي ، تاريخ الموصل ج ١ – ص ٣٥٣ .

(١٥٤) عن الربط انظر – المرجع السابق ص ٣٥٥ – ٣٥٨ .

(١٥٥) الديوه جي ، تاريخ الموصل ج ١ – ص ٣٦٥ – ٣٦٧ .

(١٥٦) الديوه جي ، الموصل في العهد الاتابكي – ص ١٧٠ – ١٧٤ .



الموصل في عهد السيطرة المغولية الإيلخانية

(٦٦٠ - ٧٣٦هـ ١٢٦٢ - ١٣٣٥م)

د. عبدالمنعم رشاد

١ - مقدمة عن ظهور المغول : -

المغول من المجموعة الالطائية (الاتراك والمغول) يسكنون البلاد التي تمتد بين الصين والتبت جنوباً ومنشوريا شرقاً وسيبيريا شمالاً وبلاد التركستان وماوراء النهر غرباً، وقد عرفت هذه المنطقة بقسوة مناخها القاري الحار الجاف صيفاً والبارد المتجمد شتاءً، وقد تصل درجات الحرارة في بعض مناطق هذا الاقليم الى ٦٠° مئوية صيفاً و٣٨° مئوية تحت الصفر شتاءً وهو مناخ قاس يصحبه ندرة في المياه صيفاً ونقص في المواد الغذائية شتاءً، لذا تربى المغول على جفوة من العيش وقسوة لامثيل لها. وكانت الأفواه الآكلة دوماً اكثر مما هو متوفر من طعام، ولهذا تعرضت البلاد المتحضرة المحيطة ببلاد المغول الى هجمات صاعقة والى نهب مستمر من قبل هؤلاء. كانت حياة المغول تعتمد على القبلية والترحال، وبما ان وسائل الرعي، والبؤر الصغيرة التي تتوافر فيها وسائل العيش من مياه وكلأ قليلة ومتباعدة لهذا فانها لاتساعد على تجمع قبائل ضخمة في مكان واحد، لهذا كانت القبيلة تضطر الى التجزئة الى عشائر والى أسر وحتى الاسرة الواحدة قد تضطر الى الانقسام والتجزئة حتى تستطيع مواشيها الرعي وافرادها ايجاد الطعام لهم[١].

كانت المعتقدات الاساسية لدى المغول هي الشامانية، كما انتشرت بينهم ديانات متعددة هي البوذية والمسيحية - النسطورية - والكونفوشيوسية والمانوية واليهودية والاسلام، ولكن اكثر المعتقدات شيوعاً بينهم هي عبادة القوة وكل مايتصل بها ولهذا ليس ثمة قيمة لحقوق الفرد ان اعوزته القوة التي يفرض فيها حقه على الآخرين، ولاقيمة للعدل ان لم يكن هناك قوة تسنده، لهذا كان الضعيف مستعبداً والقوي هو السيد والمسيطر، وكانت اللصوصية شائعة بينهم لا أحد منهم يحترم جاره او أقاربه فلا يسبغون الحماية الا على من وضع نفسه تحت حمايتهم اي اصبح تابعاً ذليلاً لهم. ولايرى المغول في الحرب الا وسيلة للتقتيل والسلب والنهب، وابادة الخصوم امر اعتيادي لديهم. والزواج من داخل التكتل او الاسرة محرم لديهم. ولهذا وجب عليهم ان يبحثوا عن الزوجات خارج اسرهم وتكتلاتهم التي يربطها بهم النسب، وعملية الزواج معقدة باهظة، اذ يجب ان يهب الأب ابنه الى والد العروسة فيعيش العريس عبداً لدى اسرة عروسه الى ان يحين موعد زواجه عند ذلك يكون له اسرة مستقلة او يعود الى ذويه مع عروسه، ويجب ان يقدم الهدايا كما على العروس وذويها ان تقدم الهدايا ايضاً. ولهذا وبغية التخلص من هذه الاجراءات المعقدة والصعبة، كان الاقوياء يخطفون النساء من القبائل الأخرى ويتزوجون بهن لافرق بين من كانت متزوجة او غير متزوجة، وكانت عملية الخطف تؤدي الى اعمال ثأرية لاحصر لها. وكان تعدد الزوجات شائعاً لديهم ولكن كانت المكانة الاسمى في الاسرة هي للزوجة الاولى[٢].

كان هؤلاء المحاربون الاقوياء في حالة تأهب دائم للدفاع عن النفس ضد الحيوانات المفترسة او القبائل المجاورة، وكانوا يترصدون مجيئ العدو اذا مارأوا غمائم الغبار ترتفع في الافق او اذا الصقوا آذانهم بالارض، ويجتمع هؤلاء الفرسان حول راية الحرب التي ترافقهم في كل المعارك والتي كانت



مقدسة في نظرهم. ويعتمدون على خيول ليست دونهم قوة ووحشية، اذ نادراً ماتعلف بل تحصل على طعامها من نبات الأرض او تحفر باقدامها عن جذور النباتات لتقتات عليها[٣]. وكان المغول يقتاتون على حلب الافراس واذا اعوزهم القوت او الطعام يمكن ان يقتاتوا على دماء خيولهم لعدة ايام حتى يجدوا مايأكلون، لهذا كان المغولي وحصانه مكملين احدهما للآخر، وكانوا خيالة ممتازين يستخدمون النبال والاقواس الصغيرة التي يرمون بها وهم يركضون بخيولهم مهاجمين او منسحبين لانهم يجيدون الركوب ووجوههم نحو ارداف خيولهم، ولهذا كان لهجماتهم السريعة الخاطفة اثر فعال في انتصاراتهم الساحقة وبث الرعب في قلوب اعدائهم[٤].

كانوا دائمي القتال بعضهم لبعض، والنزاع بين القبائل كان امراً لانهاية له اخذاً بالثار او نهباً لماشية او للحصول على زوجة او لسرقة امور تافهة. وكان المجتمع المغولي مجتمعاً طبقياً داخل الاسرة او القبيلة حيث هناك قبائل او تجمعات مستعبدة جميعها – رجالها ونسائها واطفالها – وهناك قبائل سيدة يعد افرادها مقدسين وواجبي الطاعة، فرضوا طاعتهم عن طريق القوة او الثراء او النسب[٥].

ظهرت محاولات لتوحيد بعض القبائل المغولية على يد اجداد جنكيزخان، فقد استطاع احدهم المدعو (قايدو) ان يجمع حول قبيلته – البورجگين – العائلات والتجمعات التي طلبت حمايته فأسس بذلك التجمع – المملكة – المغولية الاولى، الا أن هذا التجمع إنهار بعد فترة قصيرة من الزمن، بيدَ ان الحفيد تموجين استطاع ان يوحد منغوليا كلها تحت سيطرته باستخدام مختلف السبل بالعنف والتهديد والابادة في بعض الاحيان والتحالف والتزاوج. وفي (القوريلتاي) – مجلس رؤساء القبائل المغولية – نودي به خاناً اعظم (كاهان او قاآن) ولقب بلقب جنكيزخان[٦].

وبعد ان تم له هذا التوحيد وجه قواه الى محاربة الامبراطورية الصينية عام ١٢١١م واستطاع ان يستولي على امبراطورية الـ (كن Ken) الصينية وعاصمتها بكين عام ١٢١٥م وارتكب هناك الكثير من المجازر، حتى قيل ان اكثر من ٦٠,٠٠٠ فتاة صينية رمين بانفسهن من اسوار بكين حتى لايقعن أسرى بأيدي الغزاة[٧].

وفي عام ٦١٦هـ / ١٢١٩م وجه جنكيزخان همه باتجاه الغرب – الدولة الخوارزمشاهية واستغرقت حملته غرباً خمس سنوات ابتدأ باترار التي قاومت الحصار ببسالة نادرة فكان نصيبها التدمير الكامل ومقتل جميع سكانها، ثم اتجه جنكيزخان الى بخارى التي استسلمت له صلحاً الا انها لم تنجُ من التدمير والقتل وكذلك مدينة سمرقند التي قاومت الحصار معتمدة على حصانتها وكثرة الجيوش المدافعة عنها، الا ان المغول اتبعوا اسلوباً اعتادوا عليه في هجومهم وهو جمع الاسرى من سكان المدن المقهورة ووضعهم في مقدمة جيشهم الزاحف عند الحصار لايهام المحاصرين بكثرة الجيش المغولي من ناحية واضعاف معنويات المحاصرين من ناحية أخرى عند اقتراب الجيش من الاسوار حيث يرى المحاصرون ابناء جلدتهم واقاربهم يتقدمون الى الاسوار يسوقهم المغول الى الموت فيفت في عضدهم، لهذا لم يدم حصار سمرقند سوى ثلاثة ايام ثم استسلمت فالحق المغول الدمار والقتل بها حتى لم يبق أحد من اهلها، كما سقطت مدينة خجندة بايديهم وغيرها من مدن خوارزم، وبذلك أصبحت جميع بلاد ماوراء النهر تحت سيطرة المغول. وجهز جنكيزخان جيشاً قوياً ارسله باعقاب خوارزمشاه مع توجيه قادة هذا الجيش ان لايعطوا فرصة للشاه للراحة او لتجميع قواته للمقاومة بل يجب مطاردته حتى يتم القضاء عليه. اما خوارزمشاه فقد اصابه الرعب والخوف منذ ان وطئت اقدام المغول مدينة اترار فترك بلاد ماوراء النهر ورحل الى خراسان بعد ان وزع جيشه كحاميات للمدن الرئيسة علها توقف الزحف المغولي، الا ان هذه الحاميات فشلت في اداء ماكان يأمله الشاه، كما انه بتوزيعه لجيشه بهذه



الصورة اضعف نفسه ولم يعد قادراً على مواجهة المغول او التصدي لهم ، لهذا اخذ يفر من امامهم دون قتال وقد اصابه الرعب فهرب من جيحون الى نيسابور ثم الى بسطام ثم الى الري ثم مازندران واخيراً التجأ الى جزيرة صغيرة في بحر قزوين حيث مات طريداً شريداً خائفاً فقيراً يتحسر على ملك لم يكون اهلاً لحكمه وتملكه[٨] .

لم يلق جنكيزخان مقاومة تذكر في غزوته هذه وسبب عدم وجود المقاومة هو ان خوارزم شاه محمداً كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وافناهم ، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها فلما انهزم منهم ، لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها [٩] .

عاد جنكيزخان الى عاصمته قراقورم في منغوليا سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م متعباً من كثرة الحروب والسفر وكبر السن وتوفي سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م .

استطاع جنكيزخان ان يؤسس في فترة لاتزيد عن العشرين سنة (١٢٠٧م– ١٢٢٧م) امبراطورية شاسعة امتدت من بكين شرقاً الى الفولغا غرباً مع مناطق بلاد ماوراء النهر وافغانستان والقسم الاعظم من بلاد ايران[١٠] .

وقد سنّ جنكيزخان للمغول قانوناً عرف باسم (الياسا او اليسق) واصبح من اقوى القوانين التي اتبعها المغول وطبقوها على انفسهم وعلى البلاد التي سيطروا عليها ، وهي مجموعة من المفاهيم والتقاليد التي كانت سائدة عند قومه ، فاسقط العوائد الذميمة منها واضاف اليها ما استعاره من الأمم الأخرى ، واخرجها على هيئة قانون . ولم يقتصر هذا القانون على النواحي المدنية او على العقوبات بل يقدم نظام يرتب كل مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية للمجتمع المغولي . واصبحت هذه القوانين مناراً سار على هديه ابناء جنكيزخان واحفاده ، وكان تطبيق تعليماتها والخضوع لاحكامها واجباً مقدساً كان على الجميع احترامه[١١] .

انشغل المغول بوفاة جنكيزخان وباقرار العرش لخلفه اوكتاي– ابنه الاوسط وهذا مغاير للعرف المغولي القديم الذي كان يعطي مثل هذا المنصب للابن الاصغر ، وقد استغرق التهيؤ لعقد القوريلتاي (مجمع القبائل المغولية) سنتين ودام الاجتماع اربعين يوماً تم في هذا الاجتماع الموافقة على تسلم اوكتاي للعرش وانتخب قاآناً (كاهان) اي خاناً اعظم بدلاً من ابيه[١٢] . كما تم الاتفاق على السير على سياسة جنكيزخان بالاستمرار بالحرب والقضاء على بقايا الدولة الخوارزمية التي استطاعت ان تلحق بعض الخسائر بالمغول على يد جلال الدين منكوبرتي بن الشاه محمد الذي استطاع ان يعيد النفوذ الخوارزمي على معظم بلاد ايران وخراسان ، ولكن سوء سياسة وبشاعة تصرفات جلال الدين ظهرت في عدائه ومهاجمته للولايات الاسلامية وكذلك الخلافة العباسية مما جعل الجميع يكرهونه خاصة وان اتباعه كانوا اسوأ من المغول تصرفاً وسلوكاً مع اهالي بلاد ايران والعراق والجزيرة والشام ، واخيراً قضى عليه سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م[١٣] . وبغياب جلال الدين الذي كان يشبه السدّ الذي يحول بين المغول والامراء المسلمين ، اتيح للمغول التوسع ومهاجمة بلاد ايران واطراف العراق والجزيرة على نحو دوري ومستمر .

وقد بدأت هجمات المغول على العراق سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م في خلافة الناصر لدين الله وقد استعد الخليفة لملاقاة المغول وأرسل الى الموصل والى اربل يأمر ولاتها بالاجتماع مع عساكره في مدينة داقوقا لمنعوا المغول ، فسار مظفر الدين كوكبوري من اربل كما سار جمع جيد من عسكر الموصل ومعهم عدد كبير من المتطوعة ، كما استنجد الخليفة بالملك الاشرف الايوبي ، الا ان هذا اعتذر عن المشاركة لانشغاله بمحاربة الفرنج . وقد استطاعت هذه الجيوش على الرغم من قلتها على ردع المغول عن التقدم في العراق بل سرعان ما جعلتهم



يتراجعون الى ايران ثم اذربيجان[١٤] .

وتكررت هجماتهم على الاقسام الشرقية للعراق في الاعوام ٦٢٨هـ / ١٢٣١م و٦٢٩هـ / ١٢٣٢م و ٦٣٢هـ / ١٥٣٥م و ٦٣٤هـ / ١٥٣٦م و ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م و ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م و ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م وفي سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م[١٥] . وكانت هجمات المغول هذه تمهد الطريق لهم باتجاه بغداد الا انهم لم يجرأوا على مهاجمتها او الاستقرار في اطراف العراق ، بل كانوا يهاجمون وينهبون ويقتلون ويخلفون وراءهم الدمار والفزع والخراب ويعودون الى بلاد ايران واذربيجان بالغنائم والاسلاب . وربما كانوا يقصدون من وراء ذلك اختبار قوة الخلافة ومدى استعدادها وقدرتها على المقاومة وعلى التصدي لهم . ولا ادل على ذلك من قول تاجر من تبريز في رسالة ارسلها الى أصحابه في الموصل سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م « ان الكافر لعنه الله مانقدر ان نصفه ولا نذكر جموعه حتى لاتنقطع قلوب المسلمين ، فان الامر عظيم ، ولا تظنوا ان هذه الطائفة التي وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التي وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم النهب ، انما ارادوا ان يعلموا هل في البلاد من يردهم ام لا ، فلما عادوا اخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ملك وعساكر فقوى طمعهم وهم في الربيع يقصدونكم ، وما يبقى عندكم مقام ، فان عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم »[١٦] وقد ادت وفاة اوكتاي قاآن والتنازع على خلافته الى الارتداد الى الوراء ، وحالت ولاية كيوك القصيرة ٦٤٣ - ٦٤٦هـ/١٢٤٥ - ١٢٤٨م) دون تحقيق مهاجمة الدول الاوربية ، وعندما انتخب مونكو قاآن (١٢٥٠م - ١٢٥٩م) ارسل هولاكو لاكمال السيطرة على الغرب ، وايران والعراق[١٧] .

١ - احتلال المغول لبغداد : -

جاءت الضربة الاخيرة على يد هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان الذي سار على رأس حملة ضخمة ضمت الكثير من الامراء ابناء واحفاد جنكيزخان ممايدل على تصميم المغول على الاستمرار في سياستهم العدوانية وتشير الى اهمية الحملة ايضاً . سار هولاكو على مهل من منغوليا سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م واستغرق سيره عَبر بلاد ماوراء النهر حوالي الثلاث سنوات ثم حاصر قلاع الاسماعيلية وقضى عليهم سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م وبذلك فتح الطريق امامه لمهاجمة العراق واحتلال بغداد . وفي بداية المحرم من سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م دخل حدود العراق ونزل على بعقوبا يوم ٩ من المحرم وفي اليوم الحادي عشر من الشهر نفسه بدأت عمليات حصار بغداد من جميع الجهات . وكان يشرف على الحصار فضلاً عن هولاكو كبار قادته وكان جيشه يقرب من مائتي الف مقاتل[١٨] . وقد تم الحصار على وفق خطة محكمة ، واقاموا سوراً مشرفاً على سور بغداد كما حفروا حوله خندقاً ونصبوا آلات الحصار على هذا السور التي اخذت تدك بغداد بالحجارة التي جلبوها من جبال حمرين او بقطع اشجار النخيل[١٩] .

وعلى الرغم من محاولة الخليفة الاستنجاد بالقوى الاسلامية فان احداً لم ينجده بل على العكس كان هناك قوى اسلامية عاونت المغول في هجومها على العراق ومحاصرة بغداد وخاصة من بلاد فارس مثل حاكم اقليم فارس الاتابك ابي بكر وكذلك مظفر الدين تكلة حاكم لورستان ، كما ان بدر الدين لؤلؤ عاون المغول بقوة قوامها الف فارس بقيادة ابنه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل الا انها وصلت متأخرة بعد احتلال بغداد ، كما ان قوة قوية من الجورجيين كانت تعاون المغول ايضاً[٢٠] .

وبعد قتال شديد استطاع المغول من فتح ثغرة في برج العجمي من سور بغداد ثم تدفقوا على بغداد وسيطروا على اسوارها يوم ٢٨ المحرم بعد حصار دام قرابة الاسبوعين وقد وجد الخليفة الا جدوى من القتال فأرسل الى هولاكو طالباً الأمان لنفسه ولأهل بغداد ، الا أن هولاكو لم يجبه الى



ذلك [٢١] . وفي الرابع من صفر خرج الخليفة الى هولاكو مستسلماً فطلب منه هولاكو ان يأمر اهل بغداد بوضع اسلحتهم والكف عن القتال وليخرجوا خارج الاسوار لاحصائهم ، وفعل ذلك الخليفة فالقى الناس اسلحتهم وصاروا يخرجون فكان المغول يقتلونهم جميعاً [٢٢] . وكان بدء القتل العام والنهب واستباحة بغداد يوم الاربعاء السابع من صفر من سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م واخذ المغول بنهب المدينة وحرقها وقتل كل من يصادفهم من اهلها واستمر النهب والسلب والقتل لمدة اختلف المؤرخون فيها فمنهم من جعلها سبعة ايام وآخرون يقدرونها باربعين يوماً [٢٣] .

وقد اختلف المؤرخون في عدد القتلى فبعضهم جعل العدد ثمانمائة الف قتيل وآخرون يقدرون العدد بحوالي المليونين [٢٤] ، ولكن على الارجح ان العدد لايتجاوز الثمانين الفاً [٢٥] وقد نجا من القتل كل من كان على صلة بالمغول كبعض التجار والاداريين واهل الذمة [٢٦] . كما ان دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ابقى عليها وسلم فيها خلق كثير وكذلك دار صاحب الديوان ابن الدامغاني ودار صاحب الباب ابن الدوامي [٢٧] . وكان هؤلاء على صلة جيدة بهولاكو ومتواطئين معه على تسليم بغداد لقاء الابقاء على حياتهم ومناصبهم ، وقد وفى لهم هولاكو بذلك . وفي الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م رحل هولاكو عن بغداد باتجاه بعقوبا وذلك بسبب انتشار الاوبئة والروائح الكريهة بسبب كثرة القتلى ، فنزل في قريتي (وقف وجلابيه) اللتين تبعدان مرحلة عن بغداد وهناك قتل الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين مع اولاده وحاشيته ، وقد وضع في غرارة ثم رفسوه بالارجل حتى مات [٢٨] . وهذه عادة مغولية يتبعونها في تنفيذ حكم الاعدام بعظمائهم وذلك لانهم يؤمنون بأن الروح تسكن في الدم فاذا اريق الدم فان القاتل يصبح مالكاً وسيداً لروح المقتول ، فعندما يبعث المقتول في الدنيا الاخرة فانه يبعث وهو عبد لقاتله ، ولهذا نرى المغول يكثرون من القتل حتى يصبحوا ابطالاً في هذه الدنيا واسياداً في الدنيا الاخرة يملكون الكثير من العبيد . واستناداً الى هذا الاعتقاد فان القتل دون اراقة الدم تبقى روح المقتول في جسدِه - احتراماً له - حتى لايكون عبداً في الاخرة لقاتله [٢٩] .

وقد خلت بغداد من معظم اهلها وهذاديدن المغـول في كل مدينة تظهر مقاومتهم فانهم يبيدون اهلها قتلاً وأسراً وتشريداً وحرقاً لتكون عبرة لغيرها من المدن حتى لاتقاوم غزوهم ، وهذهِ الستراتيجية العسكرية اتبعها المغول منذ عهد جنكيزخان ، وكانت سياسة ناجحة فقد ادخلت الرعب في قلوب الناس شرقاً وغرباً منهم واصبح الدمار والخراب والموت مرافقاً لاسم المغول [٣٠] .

اما الحلة والكوفة فقد سار وفد من اهلها حاملاً معه الكثير من الهدايا والمال الى هولاكو وسألوه حقن دمائهم فاجاب سؤالهم وعين لهم شحنة فعاد الوفد ولم يتعرض المغول لهاتين المدينتين [٣١] . اما واسط فقد قاومت المغول فقام قائد الجيش المغولي بوقاتيمور بمحاصرتها ثم دخلها عنوة وذبح اكثر من اربعين الفاً من اهلها [٣٢] . كما قاومت أربل حصارهم وحتى بعد أن سلم ابن الصلايا حاكمها المدينة الا ان القلعة ظلت تقاومهم فعجز المغول عن اخذها فاستعانوا ببدر الدين لؤلؤ الذي قام بمحاصرتها ثم اخذها وهدم اسوارها واصبحت تابعة له [٣٣] . اما الموصل فقد نجت من هذا المصير في عهد بدر الدين لانه دخل في طاعة المغول ومنذ وقت مبكر.

٢- بدر الدين لؤلؤ وعلاقته بالخلافة العباسية وبالمغول : -

اتبع بدر الدين لؤلؤ- حاكم الموصل- سياسة ميكافيلية تجاه جميع الأطراف محاولاً ارضاءهم حتى يحمي حكمه ، وخير من وصفه هو الذهبي الذي يقول عنه «كان يُغْرِم على القصاد اموالاً وافرة ،



ويداري الخليفة من وجه والتتار من وجه وملوك الاطراف من وجه فلم ينخرم ملكه ولم تطرقه آفة»[٣٤] . وهذا القول يوجز سياسة بدر الدين التي رأيناها في الفصل السابق ، فقد حاول ان يرضي جميع الاطراف في آن واحد ، فداخلياً ارضى اهل الموصل على اختلاف نحلهم وطوائفهم فيقول عنه الذهبي «وكان– مع ظلمه وجوره محبباً الى رعيته لانه كان يعاملهم بالرغبة والرهبة... كان ملكاً جليل القدر عالي الهمة عظيم السطوة والسياسة قاهراً لامرائه قتل وشنق وقطع مالانهاية له حتى هذب البلاد ومع هذا كان محبباً الى رعيته يحلفون بحياته ويتغالون فيه ويلقبونه (قضيب الذهب)[٣٥]» ويؤيد هذا ما قاله صاحب كتاب الحوادث الجامعة عنه «..... وكان كثير الاحسان الى الرعية مائلاً الى شهواتهم عادلاً شهماً حسن السياسة كثير القتل والتشويه والمؤاخذة...»[٣٦] كما حاول أرضاء الخلافة عن طريق المهاداة وارسال الرسل وتزويج بناته من امراء متنفذين لدى الخليفة المستنصر وكذلك باهتمامه بالفتوة والرمي بالبندق والاهتمام بالحمام الزاجل. كما حاول ارضاء ملوك الاطراف وخاصة الايوبيين منهم ، فقد دخل في طاعة الملك العادل وابنه الاشرف وضرب اسماءهم على نقوده كسباً لرضاهم وطلباً لحمايتهم طالما كانت مصلحته تقتضي منه ذلك ، وعندما انتفت حاجته من حماية الايوبيين لضعفهم وانقسامهم على انفسهم تحول بولائه نحو المغول فدخل في طاعتهم اعتباراً من سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م. فعندما حاصر المغول اربل في هذه السنة استعانوا ببدر الدين فأمدهم بما احتاجوه من ميرة وآلة وغيرها[٣٧] . وفي هذا الوقت ضربت القاب خان المغول على النقود النحاسية المضروبة في الموصل «القاآن الاعظم» الذي هو اوكتاي[٣٨] .

تظاهر بدر الدين باحترامه وتعلقه بالخلافة وكذلك بعلاقته الحميمة ببعض الامراء المسلمين ، الا انه ولاشك لاحظ الخلافات التي تنخر بين القوى الاسلامية الموجودة على الساحة السياسية في العراق والجزيرة وبلاد الشام وضعفها عن مواجهة اعدائها ، فالايوبيون وصلوا مرحلة التفكك والانهيار ، كما ان الخلافة العباسية لم يعد بمقدورها ان تصمد أمام التحديات المغولية كما كانت عليه في عهد الناصر لدين الله فقد ضعفت اقتصادياً وعسكرياً عن مواجهة الاخطار القادمة من الشرق ، وهكذا وجد بدر الدين نفسه ، وهو المتلون والذي تهمه مصلحته قبل اي شيء اخر ، منساقاً الى ان يمد يده الى المغول ليتحالف معهم دون خوف من لوم او ادانة ، اذ لم يعد هناك من يدين او يلوم لان الجميع يتبعون الاسلوب نفسه ولو باشكال مختلفة ولاتهمهم الا مصالحهم الذاتية . وقد جرأت هذه الطاعة بدر الدين على الاستمرار بالتظاهر بها حتى اصبحت جزءاً من سياسة لايستطيع التراجع عنها ، خاصة وان وجود المغول في بلاد ايران قد تعزز وكثرت هجماتهم على اطراف العراق[٣٩] .

ففي سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م اصبح بدر الدين وكيلاً للمغول في جباية الاموال وفرض الأتاوات على حكام المسلمين في الجزيرة وبلاد الشام[٤٠] . وارسل سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م رسولاً لحضور الاحتفال بجلوس كيوك خان على عرش المغول[٤١] . كما ارسل هدايا بصحبة رسول سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م لتقديم التهنئة والولاء عند جلوس منكوقان على العرش المغولي[٤٢] . وقد ظهر اسم منكوقان على الدينار الذهبي المضروب في الموصل سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م وهذا يدل دلالة واضحة على تبعية بدر الدين للمغول واستمر تظاهره بالتبعية لهم حتى احتلالهم للعراق[٤٣] . لم يكن موقف بدر الدين لؤلؤ المتخاذل هو الفريد من نوعه تجاه المغول ، ففي سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤١ م وصل رسول اوكتاي قاآن الى شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ومعه كتاب موجه الى ملوك الاسلام يامرهم بالدخول في طاعته ويطلب من الشهاب هدم اسوار بلدته ، فاعتذر الشهاب له بان بلدته حقيرة لا شأن لها بالنسبة لبلاد الشام والروم ومصر ، ووجه الرسول نحوهم لكي يفعل ما



يفعلون(٤٤). وعند اختيار كيوك للخانية جاء شقيق صاحب حلب الملك الظاهر محملاً بالهدايا الى قراقورم نيابة عن اخيه الناصر يوسف الايوبي متخذين بذلك يداً لدى المغول قد تشفع لهم في الايام المقبلة(٤٥).

وعند اقتراب المغول من العراق كانت رسل الخليفة المستعصم بالله تجوب البلاد تستصرخ امراءها لنجدة بغداد، في حين كان هؤلاء الامراء يسارعون في تقديم الولاء والطاعة والتسهيلات الى قائد الجيش المغولي هولاكو(٤٦). وعند وصول القوات المغولية الى العراق لاحتلال بغداد قدم بدر الدين لؤلؤ كافة التسهيلات للقوات المغولية لعبور جسر الموصل في طريقها الى بغداد. مهيئاً لهم «الاقامات والسلاح»(٤٧) كما اردف هذه القوات بنجدة من الف فارس بقيادة ابنه الملك الصالح اسماعيل للمشاركة في حصار بغداد، ولكن هذه القوة وصلت متأخرة مما اغضب هولاكو من بدر الدين وعنف الملك الصالح على تردد ابيه وعدم ثقته بقدرة المغول على الانتصار «انتم بعد في شك من امرنا ومطلتم نفوسكم يوماً بعد يوم وقدمتم رجلاً وأخرتم اخرى لتنظروا من الظافر بصاحبه، فلو انتصر الخليفة وخذلنا كان مجيئكم اليه لا الينا.»(٤٨) وزيادة في إرهاب حاكم الموصل فان هولاكو بعد احتلاله لبغداد وقتله من قتل من اهلها، ارسل رؤوس الدويدار الصغير وابن الدويدار الكبير – وهما أنسباء بدر الدين لؤلؤ، ورأس سليمان شاه الأيفاوي، وهو من اصدقاء بدرالدين العسكريين المناوئين للمغول، مع الملك الصالح الى الموصل لتعلق هناك، فحملها الملك الصالح وعلقها ظاهر سور الموصل يرهب الناس ويروع كل من تسول له نفسه مقاومة المغول او التمرد عليهم.(٤٩)

وبعد انسحاب هولاكو الى اذربيجان استدعى بدر الدين لمقابلة الخان فجاء على عجل محملاً بالهدايا والتحف والاموال فوصل المعسكر خارج مراغة في التاسع والعشرين من شهر رجب سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م فشمله هولاكو بالتكريم واعاده في السادس من شعبان من نفس السنة.(٥٠) وقد وصل معسكر هولاكو بعد بدر الدين عدد من الامراء المسلمين لتقديم تهانيهم بأخذ بغداد فقد وصل اتابك اقليم فارس سعد بن ابي بكر. كما وصل من بلاد الروم السلطانان عزالدين وركن الدين.(٥١)

وقد حاصر المغول اربل ففتح ابن الصلايا ابواب المدينة لهم الا ان القلعة عصت عليه ولم تستلم لهذا عهد المغول لبدرالدين لان يقوم باحتلال القلعة بعد ان يتركها الاكراد صيفاً، وقد تم لبدرالدين تسلم القلعة بعد رحيل المغول عنها وهدم اسوارها واصبحت تحت ادارته.(٥٢) ومن هذا نلاحظ ان ثقة المغول ببدر الدين كانت عالية واستمروا بالاعتماد عليه، ولهذا بعد عودته من تهنئة هولاكو ارسل المغول اليه قائلين "ان سنك قد جاوزت التسعين ولذلك اعفيناك من السير معنا، ولكن عليك ان تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايات الغازية لفتح ديار الشام ومصر".(٥٣) فسير بدرالدين ابنه حسب الاوامر الصادرة اليه، "ولما وصل الملك الصالح الى حضرة هولاكو خان منحه ابنة السلطان جلال الدين خوارزمشاه ليتزوج منها"(٥٤) ويبدو ان هولاكو بهذه المكافأة وضع جاسوساً على الملك الصالح لان هذه الفتاة على الرغم من اصلها الخوارزمي تربت بكنف المغول، فهي مغولية الهوى والمشرب لانها منذ وفاة ابيها سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م عاشت لدى المغول ولاتعرف اهلاً غيرهم وقد اعدوها لهذا الغرض، لان المغول كانوا يهتمون بالجاسوسية على نحو كبير حتى ان اليونيني يصفها بانها "تتريه" اي مغولية.(٥٥)

توفي بدرالدين لؤلؤ سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م فتوزع اولاده حكم الامارة، فخلفه أبنه الملك الصالح اسماعيل على الموصل، في حين تولى ابنه الثاني علاء الدين حكم سنجار، وسيف الدين اسحق تولى الحكم على جزيرة ابن عمر. وقد اقر هولاكو



هذه التقسيمات[٥٦]. وقد استمر اولاد بدرالدين لؤلؤ في موالاتهم للمغول لفترة من الزمن، ولكن التغيرات الحاصلة على الساحة السياسية في بلاد الشام ومصر واندحار المغول في معركة عين جالوت، خلقت ظروفاً جديدة، حتمت عليهم تغيير مواقفهم تجاه المغول فأخذوا بالانحياز الى جانب المماليك الذين تصدوا بشجاعة للمغول وافشلوا خططهم في السيطرة على بلاد الشام.

٣- ثورة الموصل : -

قامت ثورة الموصل ضد المغول لأسباب متعددة، ولكن السبب الرئيس هو تغير الاوضاع السياسية في الساحة العربية وخاصة بعد ان ظهرت دولة المماليك الفتية في بلاد مصر، كما ان سيطرة المغول على بلاد الجزيرة والشام جعلهم يواجهون المماليك وجهاً لوجه. فضلاً عن ان اهل الموصل وامراءها شق عليهم ان يخضعوا لارادة المغول واهانتهم بعد ان كانوا سادة امارة نالت حظها من القوة والتقدم والنفوذ لمدة طويلة من الزمن في العهد الأتابكي وعادت ثقتهم بأنفسهم خاصة بعد خسارة المغول في معركة عين جالوت. نجح هولاكو في حصار حلب بمساعدة القوى الأسلامية التي دخلت طاعته مثال ذلك مشاركة صاحب الموصل- بدر الدين الذين اناب عنه ابنه الصالح اسماعيل وصاحب الروم الذي شارك في حصار حلب.[٥٧] وبعد سقوطها بيد هولاكو اول صفر ٦٥٨هـ/١٢٦٠م لقيت حلب من الخراب والتدمير ما لقيته بغداد. وقد افزع هذا سكان البلاد واوقع الرعب في نفوسهم، ودانت مدن الشام بالطاعة وهولاكو لم يتجاوز معسكره في حلب، فقد وفد اليه بعض امراء الأيوبيين مثل الأشرف موسى صاحب حمص واعيان حماة وبعلبك ودمشق يلتمسون الأمان منه لبلادهم وأنفسهم فكان يقبل طاعتهم ويرسل معهم شحنة تمثله في بلادهم.[٥٨]

وبدأ التهديد المغولي للمماليك عندما حاول المغول مد نفوذهم الى العريش كما نص على ذلك الفرمان الذي اعطاه هولاكو للقاضي محيي الدين ابن الزكي الذي جعل سلطانه يمتد من قنسرين حتى العريش.[٥٩] ولكن التهديد الفعلي جاء عندما ارسل هولاكو قبيل عودته عن بلاد الشام في جمادي الاخرة سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م رسله الى سلطان المماليك مظفر الدين قطز، يطلب منه الاعتراف بطاعته وحمل الفدية اليه وقبول شحنة مغولي في بلاده.[٦٠]

وكانت معركة عين جالوت التي وقعت في منتصف رمضان ٦٥٨هـ/١٢٦٠م اول تحدّ حقيقي للمغول فقد استبسل الجيش المملوكي فيها بقيادة مظفر الدين قطز، واستطاع ان يكسر الجيش المغولي ويبيد معظمه ويقتل قائدهُ (كتبغا نويان) محطماً بذلك سمعه المغول والخرافة القائلة بأنهم لايقهرون. وقد فر من بقي من المغول عبر الفرات لايلوون على شيء.[٦١]

وقد نجم عن هذه المعركة الفاصلة نتائج كثيرة.[٦٢] فقد قضت على آمال المغول في مد سيطرتهم على بلاد الشام ومصر واصبحت سياستهم مقتصرة على الدفاع عن ممتلكاتهم في العراق وفي بعض بلاد الجزيرة وتخلوا عن سياسة الهجوم واصبح همهم الاحتفاظ بنهر الفرات حداً طبيعياً لحدودهم مع المماليك.

اما اهمية المعركة للمماليك فقد اعطت كيانهم السياسي الفتي السند الشرعي لحكم مصر والبلاد الاسلامية التي حرروها من السيطرة المغولية، وجاء نجاحهم بعد ذلك في احياء الخلافة العباسية ونقلها الى القاهرة مؤكدة لهذه الشرعية باعتبارهم حماة الاسلام ومنفذي ارادة الخليفة. كما تم نتيجة ذلك توحيد بلاد الشام ومصر بقيادتهم، وبذلك امتدت حدودهم من جهة الشمال الشرقي الى نهر الفرات الذي اصبح يحجزهم عن المغول، مما مكنهم بعدها من تحقيق الكثير من الانتصارات السياسية والعسكرية على المغول من جهة وعلى الامارات الصليبية من جهة اخرى.

وأحيت هذه المعركة معنويات المسلمين الذين



كانوا يرزحون تحت حكم المغول فاسترجعوا ثقتهم بأنفسهم واستبشروا خيراً بهذا النصر وتشجعوا على تحدي سلطان المغول والتمرد عليهم وتجلى ذلك عند أهل الشام الذين ثاروا على حكامهم حالما وصلتهم انباء الهزيمة فشاركوا في عرقلة هرب المغول وأبادوا الكثير منهم فضلاً عن مشاركتهم في مطاردة الآخرين. كما تجلى اثر هذه المعركة على المسلمين الذين كانوا تحت السيطرة المغولية فان امراءهم عملوا على التخلص من نير السيطرة المغولية فثاروا عليهم وسعوا للاتصال بالماليك والاستعانة بهم لانجاح هذه الثورات كما فعل صاحب شيراز وصاحب الموصل الملك الصالح اسماعيل.

ان الذي ساعد على تحول موقف الملك الصالح فضلاً عما ذكر سابقاً هو تغير المغول عليه فانهم "كانوا شرعوا يخلقون له ذنوباً يريدون القبض عليه فاستشعر منهم الغدر."[٦٣] وسرع في هذا التحول وقوع احدى رسائل اخيه علاء الدين والتي يحرضه فيها على ترك المغول والالتحاق بالماليك، بيد محمد بن يونس الباعشيقي وهو احد امراء ابيه وكان يتحين الفرص للايقاع بِسَيِّدِهِ حتى يحل محله في ادارة الموصل. فقد سرق الباعشيقي الرسالة وغادر الموصل متجهاً الى اربل حتى يطلع عليها المغول، وحاول ان يبرر عمله هذا بان الملك الصالح "عزم على قتل جميع اكابر النصارى ببلد نينوى وانه بعد ذلك يتوجه الى الشام..."[٦٤] ويبدو ان الغاية من ترويج هذه الاشاعة هي بلبلة الوضع حتى يتخذ المغول موقفاً معادياً من الملك من ناحية واكراه الملك الصالح على مغادرة الموصل. وهذا ما حصل لأنه شعر ان المؤامرة عليه احكمت حلقاتها لهذا غادر الموصل هو وامراؤه فقد سيطرت زوجته الخوارزمية – تركان – مع الشحنة المغولي ياسان على مدينة الموصل وغلقوا ابواب المدينة. ويبدو ان الملك الصالح قدم على تركه الموصل دون ان يترك فيها جماعة من اتباعه يضمن ولاءها له، لذا اعاد بعض الامراء وعلى رأسهم علم الدين سنجر الى الموصل فلما وصلوا اسوارها غلقت ابوابها في وجههم نزلوا خارج المدينة وشرعوا يقاتلون المغول فاتفق محيي الدين بن زيلاق – وهو كاتب انشاء في الموصل وجماعة من اهل المدينة وفتحوا ابواب الموصل لهم ولما دخل علم الدين سنجر هرب الشحنة ياسان وتركان وأعوانهم المغول الى القلعة وتحصنوا بها. وسرعان ما تقدم جيش مغولي من منطقة الجزيرة الى الموصل فخرج علم الدين سنجر مع جيشه لملاقاته وبعد معركة ضارية قتل فيها غالبية الجيش الموصلي على يد المغول الذين كانوا يفوقونهم عدداً وعاد الناجون الى المدينة ثم جاءت تعزيزات المغول بقيادة سمداغو الذي احاط الموصل فارضاً الحصار عليها في كانون الاول من سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م.[٦٥]

اما الملك الصالح فقد سار الى مصر وبصحبته أخوه سيف الدين اسحق واتصلا بالظاهر بيبرس، السلطان المملوكي، الذي قبل شفاعتهم في اخيهم الثالث علاء الدين علي الذي كان مسجوناً بسبب اساءته السيرة مع الامراء عندما كان في ولاية حلب، فافرج عنه واعيد اليه اعتباره وانضم الى اخويه.[٦٦]

يبدو ان بيبرس كان قد اعد خطة لتحرير العراق من السيطرة المغولية فاستغل وجود اولاد بدر الدين لؤلؤ مع الخليفة العباسي المستنصر الذي بويع بالخلافة في ١٣ رجب من سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م[٦٧]. وقام الخليفة بتقليد السلطنة للملك الظاهر بيبرس "فالبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وطوقه وقيده."[٦٨] كما اصدر الخليفة تقليداً لاولاد بدر الدين على حكم الموصل وسنجار والجزيرة "ثم رسم السلطان بكتابه تقاليدهم ببلادهم من مولانا الخليفة فكتب تقليد الموصل وبلادها وقلاعها للملك الصالح ركن الدين اسماعيل وهي الموصل وولاياتها ورساتيقها ونصيبين وولاياتها والرها والجزيرة والبوازيج وما يتعلق بها، وعقر شوش ودارا واعمالها والقلاع العمادية وبلادها وكواشي وبلدها، وكتبت بلاد الجزيرة واعمالها



للملك المجاهد سيف الدين اسحق ... وكتبت للملك المظفر سنجار واعمالها وكتبت لعلاء الملك ولد الملك الصالح المذكور تقليداً بقلعة النجم.»[٦٩] وبعد هذا التقليد طلب بيبرس من اولاد بدر الدين ان يزوجوا اختهم من الامير بدر الدين بيليك الخزندار. وهو امير مقرب منه، فوافقوا على ذلك، [٧٠] ويظهر ان بيبرس اراد بهذه المصاهرة تقوية العلاقة مع اولاد بدر الدين ويربطهم بدولته.

ومن اجل ان ينفذ خطته جمع بيبرس جيشاً لايزيد مقداره على الالفي فارس وضعهم تحت قيادة الخليفة[٧١] وفي الثاني والعشرين من ذي القعدة سافر الخليفة بمن تبعه من العسكر نحو العراق، وكان بصحبته اولاد بدر الدين لؤلؤ، وفي الرحبة انفصل عنه هؤلاء متوجهين الى بلادهم، وقد التمس منهم الخليفة السير معه فابوا قائلين "ما معنا مرسوم بذلك"[٧٢] اي ان السلطان كان يريد منهم السير الى بلادهم. ويبدو ان خطة بيبرس كانت ترمي الى اثارة الناس في اقاليم العراق والجزيرة والموصل للانتفاضة على المغول وفتح جبهات متعددة لايستطيع هؤلاء مقاومتها جميعها، علّها تؤدي الى اندحارهم وتحرير هذه الاقاليم من سيطرتهم.[٧٣] الا ان هذه الخطة فشلت فالخليفة بعد نجاح مؤقت في السيطرة على الحديثة وعانة اندحر على مقربة من الانبار على يد القائد المغولي قرابغا وتشتت شمل جيشه وفقد ولم يُعثر له على اثر[٧٤]. وينتقد شافع بن علي هذه الخطة التي وضعها بيبرس بقوله "قال الصاحب محيي قال لي السلطان - بيبرس - الذي انفقته على تجهيز الخليفة والملوك المواصلة الف الف دينار وستون الف دينار، اقول: ما رأيت اعجب من هذا الرأي واعجب منه موافقة ذو الرأي والمشورة عليه. وقوم قد استولوا على البلاد بكثرة عددهم - اي المغول - واستعداد عددهم وقوة جأشهم وكثرة جيشهم كيف يسير اليهم هذه الشرذمة القليلة المتحقق انها لاتفي بالف منهم، وانما هي اموال ضُيعت وارواح للحياة ودعت، ولو توجه العسكر المصري بكماله والشامي بعربه ورجاله لكان فيه اعظم تغرير وانما هي المقادير والسلام.»[٧٥] اما الملك الصالح اسماعيل فقد رجع الى الموصل وكان المغول محاصرين لها فتأخروا عن المدينة الى حين دخوله اليها ثم عادوا واحاطوا بها وبنوا السيب حولها في ليلة واحدة وابتدأوا بالقتال.[٧٦] وقد دافع اهل الموصل عن مدينتهم دفاعاً بطولياً. فعندما نصب المغول ثلاثة منجنيقات لترمي المدينة. نصب اهل الموصل حيال الجيش المغولي ثلاثين منجنيقاً ترمي ليلاً ونهاراً.[٧٧] فلما طال الحصار ورأى سنداغو انه بحاجة الى نجدات جديدة ارسل. الى هولاكو يطلب مدداً، فارسل هولاكو جيشاً اخر لامداد سنداغو نويان بالجند.[٧٨]

لقد طال الحصار على اهل الموصل فقد دام قرابة السنة[٧٩]، استنفذت خلالها المؤن والاقوات. كما انه لم يكن مع الصالح من الفرسان والجند ما يزيد عن الالف.[٨٠] فضلاً عن ان الامدادات التي وعد بيبرس بارسالها الى الموصل لم تصل لان المغول تعرضوا لها وابادوها قرب سنجار.[٨١] وهكذا وقع عبء الدفاع عن المدينة المحاصرة بجيوش غفيرة من المغول على اهل الموصل الذين اثر فيهم الجوع والوباء حتى اكلوا الميتة ولحوم الكلاب ومع كل ذلك فقد كان صمود اهل الموصل رائعاً، وقد استغل المغول هذا الوضع وبدأوا بمراسلة الصالح طالبين منه الاستسلام مقابل حفاظهم على حياته وحياة اهل الموصل حتى انهم اوهموه "ان وصل اليهم كتاب من هولاكو مضمونه ان علاء الملك - ابن الصالح - ماله عندنا ذنب وقد وهبنا له ذنب ابيه فسيره الينا لنصلح امرك معه - اي هولاكو.»[٨٢] وقد جمع الصالح اهل البلد والاجناد وشاورهم في الامر فاشاروا عليه بالخروج فقال "انكم تقتلون لامحالةً واقتل بعدكم فصمموا على خروجه.[٨٣] وبعد ان توثق لنفسه ولاهل الموصل من المغول واخذ العهد منهم[٨٤]



خرج بعد ان ودع الناس ولبس البياض، فلما وصل الى المغول احتاطوا به ووكلوا عليه وعلى من معه وحملوه الى الجوسق. ثم دخل بعد ذلك شمس الدين الباعشيقي البلد ومعه الفرمان ونادى في الناس بالامان فظهروا بعد اختفائهم وشرعوا مع المغول في خراب الاسوار.[٨٥]

وبعد ان اطمأن الناس واخذوا بمزاولة حياتهم اليومية من بيع وشراء دخل المغول المدينة واستباحوها قتلاً وتدميراً وتخريباً لمدة تسعة ايام.[٨٦] اما رشيد الدين – الموالي للمغول – فيصف عملية الاستباحة بقوله: "وقد فتح المغول مدينة الموصل في رمضان سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م. وقتلوا بقية سكان المدينة بحد السيوف، واسروا بعضاً من ارباب الحرف والصنائع بحيث لم يبق احد في الموصل. فلما رحل المغول عن المدينة، خرج ما يقرب من الف شخص من بين الجبال والمغارات وتجمعوا."[٨٧] اما الملك الصالح اسماعيل فقد حمل الى مراغة في اذربيجان فامر هولاكو – الذي كان غاضباً عليه – ان يدخل في الدهن (الليه) ويربط عليه باللبد ووضع في الشمس الى ان تحول الدهن الى ديدان اخذت تلتهم جسد الصالح، وهذا منتهى القسوة في تعذيب الضحية الذي يموت ببطء شديد نتيجة التهام الديدان لجسده. ثم بعثوا بابنه علاء الملك الذي كان في الثالثة من عمره الى الموصل ليقدوه نصفين على ساحل دجلة وعلقوا جثته على جانبي الجسر حتى تعفنت وتناثرت.[٨٨] بهذه الصورة البشعة اظهر المغول انفسهم بانهم اساتذة العالم في التعذيب والتنكيل ارضاءً لوحشيتهم وقساوتهم التي لا حدود لها.

أما اخوة الملك الصالح سيف الدين اسحق صاحب الجزيرة والملك المظفر علاء الدين صاحب سنجار فقد توجها الى الملك الظاهر بيبرس بمصر الذي احسن اليها واقطعها بعض الاقطاعات وبذلك انقضت دولة بدرالدين لؤلؤ واولاده من الموصل واعمالها[٨٩]، واصاب الموصل ماأصاب بغداد من قبل على يد المغول من تدمير وتخريب والحقت الموصل بالحكم المغولي المباشر.

كان من ابرز نتائج، ماحدث للموصل هو التدمير البشري والعمراني للمدينة التي كانت من ازهى المدن العربية– الاسلامية في العصور الوسطى. وقد أدت ثورتها على المغول الى ابادة سكانها باعتراف مؤرخ المغول الرسمي رشيد الدين– كما رأينا بإستثناء قرابة الألف شخص خرجوا من المغائر والجبال وعادوا اليها بعد القتل والذبح الذي حل بأهلها، كما ان اسوارها دمرت حتى لاتعود الى العصيان مرة اخرى.

واسر المغول بعض المدنيين ولابد انهم ارسلوهم الى بلادهم كعادتهم مع الاسرى من الحرفيين في معاركهم السابقة، وهكذا خلت المدينة من الأيدي العاملة الماهرة التي كانت تزخر بهم والذين كانوا يشاركون في انتاج السلع التي اشتهرت بها مدينة الموصل، وكان لابد أن يؤدي هذا الى تدهور مستوى الحرف والأعمال الفنية في المدينة بعد ذلك، كما ادى ذلك الى انتقال بعض تقاليد هذهِ الصناعات والفنون الى البلاد المجاورة مثل بلاد الشام ومصر كصناعة تكفيت المعادن، وصناعة الأقمشة الجيدة كالموسلين وغيره. وفضلاً عن ان الاحتلال والادارة المغولية المباشرة للمدينة الحقها بممتلكاتهم وقطعها عن بقية البلاد العربية وخاصة بلاد الشام والجزيرة مما ابعدها عن مجالها الحيوي ومناطق تصديرها لبضائعها عن طريق بلاد الشام ثم البحر المتوسط، كما انها خسرت استقلاليتها التي كانت تتمتع بها فيما مضى من زمن وجعلها تابعة على نحو مباشر للمغول. كما انها خسرت مكانتها كعاصمة لولاية مهمة لعبت دوراً سياسياً وحضارياً مهماً في المنطقة ولفترة طويلة من الزمن. وأصبحت مدينة تابعة لاقليم ديار بكر المغولي.



٢- الادارة المغولية للموصل.

تحول العراق بعد هذهِ الكوارث الى ولاية من الولايات الكثيرة التي تكوّن الامبراطورية الايلخانية المترامية الأطراف الممتدة من نهر جيحون الى المحيط الهندي ومن السند الى الفرات، مع اجزاء من آسيا الصغرى وبعض القفقاس. وأصبحت قاعدتها في اذربيجان وكانت هذهِ الدولة تابعة نظرياً للامبراطورية المغولية المركزية. وبعد ان كانت بغداد قاعدة الخلافة وعاصمة العالم الاسلامي مدة تزيد على الخمسة قرون اصبحت مراغة ثم تبريز واخيراً السلطانية- وكلها في اذربيجان- عواصم الامبراطورية الايلخانية، ولذلك اعتنى سلاطين هذه الأسرة الحاكمة بايران دون العراق.

وقد الغيت في هذا العهد اكثر الدواوين الادارية، وبقي ديوان الوزير ثم صار رئيسه صاحب الديوان وهو الحاكم الأعلى في العراق، وبقي منصب قاضي القضاة، أما في ولاية الجزيرة وديار بكر- التي صارت الموصل جزءاً منها- وفي احيان عاصمة لها. فقد الغيت الدواوين التي كانت موجودة في العهد الأتابكي وبقيت وظائف قليلة كما سنرى. وتميزت الفترة الايلخانية الممتدة من سنة ٦٥٦- ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨- ١٣٣٥م بإضطراب احوال الادارة وانتشار الفساد والرشوة وكثرة الثورات والمشاكل واضطراب الأحوال المعاشية للناس. وكان هم المغول الأول هو الحصول على المال بأية طريقة كانت دون رعاية لأحد، ولهذا قضى على غالب موظفيهم الماليين لاتهامهم بالاختلاس والتلاعب بأموال الدولة. وقد ضعف الحكم المغولي الايلخاني بسبب المرض الذي يصيب دوماً الحكومات البدوية، وهذا المرض هو الصراع على السلطة بين الامراء وتفكك الروابط الاسرية التي كانت تحكم سلوك الملوك السابقين، كما ان الياسا التي وضعها جنكيزخان لم تعد ذات اهمية بالنسبة للايلخانيين بعد ان ابتعدوا عن عاداتهم وتقاليدهم التي كانوا عليها سابقاً واخذوا بمادة التحضر والتمدن وخاصة بعد ان دخلوا الاسلام وتعايشوا مع المسلمين الذين كانوا ارقى منهم حضارياً وفكرياً.

أسس هولاكو امبراطورية واسعة ضمت الولايات التالية: الجزيرة الفراتية والعراق وخوزستان والأحواز وفارس وكرمان وسجستان والرخج وارمينيا واذربيجان وايران وبلاد الجبال وبلاد الديلم والجبل وطبرستان ومازندران وقومس وخراسان وزابلستان والغور[٩٠]. واتخذ هولاكو مدينة مراغة مركزاً لحكمه الجديد حيث قضى معظم اوقاته[٩١]. وقد اتخذ هولاكو لنفسه لقباً يميزه عن غيره من الامراء ويعين في الوقت نفسه مكانته من مقام اخيه القاءان، فقد اتخذ لنفسه لقب (الايلخان) وهي لفظة تركية تعني الخان التابع (اي التابع لأخيه القاءان)[٩٢].

توفي هولاكو مؤسس الامبراطورية الايلخانية سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م وجرت مراسيم دفنه على الطريقة المغولية فدفن في ضريح اعد له على الجبل في قلعة شاهو المطلة على بحيرة اورمية ودفن معه عدد من البنات العذراوات بالبستهن الجميلة وحليهن، ووزع اللحم عند قبره لأيام عديدة، وكان قد أوصى لابنه الأكبر اباقا من بعدهِ بإشارة من زوجته دوقوز خاتون[٩٣].

وتولى بعد هولاكو الايلخانات التالية اسماؤهم: -

١- اباقا خان بن هولاكو ٦٦٣- ٦٨٠هـ/ ١٢٦٥- ١٢٨٢م.
٢- احمد تكودار بن هولاكو ٦٨٠- ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢- ١٢٨٤م.
٣- ارغون خان بن اباقا ٦٨٣- ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤- ١٢٩١م.
٤- كيخاتو خان بن اباقا ٦٩٠- ٦٩٣هـ/ ١٢٩١- ١٢٩٤م.



٥- بايدو خان بن طرقاي بن هولاكو ٦٩٣-٦٩٣هـ / ١٢٩٤- ١٢٩٤م.
٦- غازان خان بن ارغون ٦٩٣- ٧٠٣هـ / ١٢٩٤- ١٣٠٣م.
٧- اولجايتو محمد خدابندة بن ارغون ٧٠٣-٧١٦هـ / ١٣٠٣- ١٣١٦م.
٨- ابو سعيد بهادور بن خدابندة ٧١٦-٧٣٦هـ / ١٣١٦- ١٣٣٥م.

١- نواب المغول في ديار بكر والجزيرة :-

نالت الجزيرة اهتماماً خاصاً من الادارة المغولية لأنها تجاور قوى مازالت خارج سيطرة المغول كالمماليك في مصر والشام، ودولة ارمينية المسيحية في آسيا الصغرى، وكذلك الامبراطورية البيزنطية[٩٤].

ويبدو أن الموصل اصبحت بعد احتلال المغول لها العاصمة الادارية لاقليم ديار بكر والجزيرة[٩٥]. وكان نواب المغول هؤلاء هم المسؤولين عن ولاة الموصل في العهد الايلخاني، وهم الذين يعينون ولاة المدن وبقية الموظفين[٩٦].

كان اول النواب المغول على الجزيرة هو الأمير ارغون عين سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م وقد ميزه القاءان منكو «وفوض اليه حكم اقاليم ايران وغير ايران مثل خراسان ومازندران والعراق وفارس وكرمان واذربيجان وجورجيا (گرجستان) واللور واران والأرمن والروم وديار بكر والموصل وحلب»[٩٧]. لايغرب عن بالنا أن هذا التعيين جرى قبل ان يسيطر المغول على العراق والجزيرة وقبل تأسيس الامبراطورية الايلخانية. ويبدو ان منكوقان اراد من هذا التعيين اشعار الامراء الموالين له في اقليم الجزيرة وبلاد الشام بوجود المغول الاداري وخاصة لجباية الأتاوات المالية المفروضة عليهم.

وفي عهد هولاكو اصبح تودان المسؤول عن الجزيرة وديار بكر "... وسلم الأمير تودان ديار بكر وديار ربيعة حتى شاطئ الفرات"[٩٨].

وفي سنة٦٦٣هـ/١٢٦٥م عهد اباقا خان بالنيابة للأمير (دورباي نويان) بدلاً من تودان الذي كلف بالعمل في بلاد الروم[٩٩].

وبعد اغتيال احمد تكودار ومجيئ ارغون الى الخانية سنة ٦٨٣هـ / ١٢٦٥م اصبح الأمير (اروق) نائباً للايلخان على العراق وديار بكر[١٠٠]. ولم تكن سيرة هذا النائب مقبولة من ارغون لأنه كان يعيش بابهه وترف حتى ان رشيد الدين يقول عنه "وكان الأمير اروق يعيش في بغداد لاعلى طريقة الامراء بل على نحو مايعيش الملوك، ولم يكن يحترم رسل ارغون، ولم يكن يرسل اموال بغداد الى الخزانة..."[١٠١] وقد قتل هذا النائب لاشتراكه في مؤامرة مع أخيه بوقا ضد ارغون سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م[١٠٢]. وعين بدلاً عنه امين الدولة بن الصفي اليهودي على ديار بكر[١٠٣]. وامين الدولة هذا هو آخر سعد الدولة اليهودي وزير ارغون الذي تحكم وسيطر على مقاليد الامور في الامبراطورية الايلخانية نتيجة دسائسه وارضائه للخان بجمعه الأموال بشتى الأساليب والطرق الخبيثة[١٠٤]. وكان مصير امين الدولة مرتبط بأخيه، ولهذا عندما قتل سعد الدولة نتيجة اكتشاف دسائسه سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م فإن المغول بطشوا بأخوته ومنهم امين الدولة[١٠٥]. كما بطشوا بعدد كبير من اليهود الذين عاونوا سعد الدولة ووقفوا بجانبه وساعدوه في دسائسه[١٠٦].

وتولى الأمير (سنبغا) نيابة ديار بكر في عهد السلطان غازان وعزل سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٦م وعين بدلاً عنه الأمير (بولاي)، وتولى هذا مهمة القضاء على الأمراء المنشقين على غازان الذين اتخذوا من الجزيرة ملجأ لهم[١٠٧]. جاء بعد (بولاي) الأمير بدرالدين جنكي (اوجنكلي) بن البابا وكان هذا على علاقة حسنة بالمماليك وكان يكاتبهم بأخبار المغول، وخوفاً من انفضاح امره سار من ديار بكر الى



بلاد الشام والى مصر بعد ذلك سنة ٦٠٣ هـ / ١٣٠٣ م[١٠٨] . وجاء بعده الأمير قبرتو[١٠٩] ثم النوين (ايك باصميش) ثم (سوتاي) الذي استمر حاكماً منذ اوائل حكم اولجايتو محمد خدابندة (٧٠٣- ٧١٦ هـ / ١٣٠٣- ١٣١٦ م) الى ان توفي سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م في مدينة بلد (اسكي موصل) ودفن بمدينة الموصل[١١٠] . واعقب سوتاي ابنه (حاجي طوغاي) الذي كان على صلات جيدة بالمماليك ، وبقي في نيابه ديار بكر الى ان توفي السلطان ابو سعيد بهادر سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ، الذي انقرضت بوفاته مملكة الايلخانيين وتحول الحكم في العراق وايران الى الدولة الجلائرية[١١١] .

٢ - ولاة الموصل : -

كان المغول في تعيينهم لولاتهم لايتوخون منهم كفاءة او مقدرة ادارية بقدرما يتوخون منهم الطاعة العمياء لهم وتقديم اكبر كمية من المال يجمعونها بأية طريقة كانت ، وكان بعض الولاة يعينون مكافأة لهم على خدمات قدموها للمغول او بسبب مساهمتهم في الكشف عن اختلاسات الموظفين الآخرين . ولكن الطاعة والانقياد لهم هي اكثر مايطلبون ممن يعينون في الوظائف الادارية[١١٢] .

وقد تولى على الموصل سلسلة من الولاة هم : -

١ - الأمير شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي ، عين هذا الأمير والياً على الموصل من قبل القائد المغولي سنداغو نويان بعد احتلاله للموصل مكافأة له على خيانته لسيدهِ وعلى ماقدمه من معلومات ساعدت على احتلال الموصل . ولكن ولايته لم تطل فقد قتل سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م[١١٣] ويجعله الكتبي نائباً لهولاكو على الجزيرة[١١٤] . ويبدو ان سبب قتله هو دفعه رشوة الى الحافظي حتى لايحقق معه في الامور المالية "فدفع للحافظي ستة عشر الف دينار رشوة لترك محاققته والكشف عنه ... وكان الزكي الاربلي مقيماً بالموصل وعلم بما أخذه من الرشا فتوجه الى هولاكو ورفع اليه وعلى الباعشيقي فعقد لهما مجلساً فظهر صدق الاربلي فقتل الباعشيقي"[١١٥] .

٢ - وعين الزكي الاربلي والياً على الموصل سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م بعد مقتل الباعشيقي وكان تعيينه مكافأة له على دوره في كشف اختلاسات الباعشيقي ،وبقي في الولاية الى سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م حيث عين : -

٣ - رضي الدين بابا بن نصرة الدين محمد الافتخاري القزويني والياً بدلاً عنه من قبل اباقا خان فقبض على الزكي الاربلي وطالبه ببقايا الأموال التي ثبت انها بحوزته واستوفى منه معظمها ثم قتله[١١٦] .

٤ - وفي سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م عزل رضي الدين بابا وعين بدلاً عنه مسعود البرقوطي بن اعلم الدين يعقوب[١١٧] . وهو من قرى اربل اسمها برقوطا ويبدو انه عين تكريماً لأبيه اعلم الدين الذي كان من المقربين لاباقا خان[١١٨] .

٥ - ولكن ولاية مسعود لم تطل لأن رضي الدين بابا رفع سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م شكوى ضده متهماً اياه بالاختلاس وبعد اجراء التحقيق والمحاسبة ثبت اختلاسه فعزل عن ولاية الموصل وسلمت لرضي الدين بابا- للمرة الثانية[١١٩] .

٦ - ظل رضي الدين بابا والياً على الموصل الى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٨ م وعندما توجه مسعود البرقوطي الى اباقا خان وعرض عليه انه ظلم في المحاسبة ، فأمر اباقاخان بإجراء تحقيق وانتهى الأمر الى تجريم رضي الدين بابا والأمر



بقتله . وقد قتل وعلّق رأسه على باب الجسر في الموصل واعيد مسعود البرقوطي الى ولاية الموصل للمرة الثانية[١٢٠] .

٧- حكم مسعود البرقوطي الى سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م وقد اضيفت اليه مدينة اربل ، ولكن في هذه السنة ثار اصحاب رضي الدين بابا على مسعود البرقوطي واتهموه بنهب اموال احد اصحاب رضي الدين بابا ، فقبضوا عليه ونكلوا به وبأصحابه وتمكن مسعود من بعد مضي ايام على احتجازهِ من الهرب والاختفاء . وقد وردت الاوامر بالقاء القبض عليه وارساله مقيداً الى الموصل حيث يقدم خمس ربوات من الدراهم" ولما جيئ به الى الموصل رشى الجند المغول وهرب ليلاً[١٢١] .

٨- وفي فترة حكم احمد تكودار (٦٨٠- ٦٨٣ هـ / ١٢٨١- ١٢٨٤ م) تم الاتفاق بينه وبين المماليك على تقرير الصلح بينهما وتفويض حكم الموصل وبغداد وسنجار لابن بدرالدين لؤلؤ بنفس الضمان الذي يقدمه عمالهم لها . فرضي احمد بذلك ولكنه عزل ثم قتل قبل ان تتوثق عرى الصلح بين الطرفين[١٢٢] .

٩- وبعد وصول ارغون الى الخانية سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م اعيد مسعود البرقوطي الى ولاية الموصل للمرة الثالثة ، وكان مسعود من المقربين للأمير بوقا ، ولكن بعد ان اتهم هذا الأمير واخيه اروق بالخيانة "امر ارغون بقتله مع اصحابه ، ارسل الى الموصل الأمير بيتمش القوشجي الذي قبض على مسعود فنكل به وبأصحابه ومن ثم قتله سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م وسلمت الموصل لبيتمش[١٢٣] .

١٠- لم يدم حكم بيتمش سوى بضعة اشهر اذ عزل وعين بدلاً عنه امين الدولة اخو سعد الدولة اليهودي- وزير ارغون ، وقد بطش المغول به سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م[١٢٤] .

١١- وتولى الحكم في عهد غازان فخر الدولة ابو محمد عيسى بن هبة الله ابراهيم النصراني الموصلي ، وكان هذا الوالي كريماً فقصده الشعراء والأدباء فأحسن صلتهم ، وكان ممن قصده صفي الدين محمد بن علي بن الطقطق وصنف له كتاباً في التاريخ سماه (الفخري في الاداب السلطانية) وقد قتل هذا الوالي سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م على يد الملك المنصور نجم الدين غازي بن ارتق[١٢٥] .

١٢- الملك المنصور نجم الدين غازي بن ارتق تولى الموصل بعد قتله لفخر الدولة ولكن على مايبدو ان مدته لم تطل وذلك لأنه كان حاكماً على ماردين[١٢٦] .

١٣- تولى الأمير ايليا جميش مسؤولية حكم الموصل في عهد السلطان اولجايتو خدابندة ثم عزل عن منصبه سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م وعين بدلاً عنه سيف الدين سوناي لنيابة ديار بكر والموصل[١٢٧] .

١٤- وفي عهد السلطان ابو سعيد بهادر كان والي الموصل هو علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر، وكان ذو منزلة عالية لدى السلطان وذكره ابن بطوطه في زيارته للموصل سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م[١٢٨] ويبدو انه ظل في ولاية الموصل الى سنة ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م[١٢٩] وبعد وفاة السلطان أبي سعيد عمت الفوضى ارجاء دولته فاستغل ذلك ابراهيم شاه بن بارنباي بن سوتاي وتمكن من السيطرة على الموصل وديار بكر بمساعدة اتباع والده سوتاي الذي كان قبله والياً على ديار بكر[١٣٠] .



٣- الشحنة :-

وظيفة استحدثت في العهد السلجوقي وكان صاحبها يعينه السلطان وهي اشبه ماتكون بمحافظ المدينة او صاحب الشرطة او الحاكم العسكري وصاحبها مسؤول عن المحافظة على امن المدينة واستقرارها وملاحقة الخارجين عن النظام ومعاقبة المسيئين[١٣١] .

وفي العصر المغولي وسعت صلاحية الشحنة فأصبح مراقباً لحاكم المدينة والدفاع عن البلاد ضد التهديدات الخارجية وقيادة الجيش وقمع حركات التمرد . وكانوا لايعينون الاّ مغولياً في هذهِ الوظيفة لأهميتها وعدم ثقة الخانات بغير ابناء جنسهم وخاصة في ما يتعلق بالأمور العسكرية[١٣٢] .

وقد عين سلسلة من الشُحن في الموصل :-

١- اول من تولى هذهِ الوظيفة هو ياسان في عهد الملك الصالح اسماعيل ، وقد سيطر هذا على الموصل بعد خروج الصالح منها سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م[١٣٣] .

٢- وفي سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م عين تورين شحنةً على الموصل[١٣٤] .

٣- وفي سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م تولى هذا المنصب اشموط الايغوري الذي استمر في هذا المنصب حتى عزل سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م وذلك لاتهامه بالارتشاء[١٣٥] .

٤- وفي احداث سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م ورد اسم الطرفاشي الذي قام باخماد فتنة حدثت في الموصل[١٣٦] .

٥- وفي سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٨ م اعيد اشموط الى شحنكية الموصل واستمر هذا حتى سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م[١٣٧] ولا نجد بعد هذا التاريخ ذكر لأي شحنة في الموصل ، فاما ان وظيفة الشحنة اضيفت الى الوالي واصبح هو المسؤول عن الأمن والجانب العسكري . او ان المعلومات ضئيلة ولم تعد تهتم بذكر مثل هذه الوظائف الثانوية .

٤- الاشراف المالي :-

وهي احدى الوظائف المهمة التي استحدثت منذ العهد السلجوقي ومتوليها يعرف (بالمشرف) وهو المسؤول عن المحاسبات وضبط الصادرات والواردات والموازنة بينها[١٣٨] . وقد استمرت هذهِ الوظيفة الى العهد المغولي حيث استحدث المغول منصب (مشرف الممالك) الذي يعين نواباً عنه مشرفين على اقاليم الامبراطورية الايلخانية[١٣٩] .

وكان اول من عين مشرفاً على اموال بلاد الروم والكرج والموصل وديار بكر هو ايلجيكتاي الذي عينه كيوك خان[١٤٠] . وفوض منكوقان هذهِ المهمة للأمير ارغون سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م[١٤١] . وفي سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م عين هولاكو سليمان بن مؤيد بن عامر زين الدين العقرباني المعروف بالحافظي مشرفاً على الموصل والجزيرة واستمر هذا في وظيفته حتى قتله هولاكو سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م بسبب اختلاسه الأموال[١٤٢] .

وفي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م عهد بمهمة الاشراف على ولاية ديار بكر الى جلال الدين طرير والملك رضا الدين بابا[١٤٣] .

وفي سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م عين مجد الملك بن صفي الملك اليزدي مشرفاً على الموصل وديار بكر "وقد ارسله الصاحب شمس الدين الجويني- وزير اباقا خان- لاحصاء اموال كرجستان فقام بهذه المهمة في امد وجيز بحيث اعجب به الجميع ثم اوفدوه مرة اخرى الى الموصل وديار بكر ليحصل الاموال ويشرف على النظام في تلك الولايات ، فأدى ذلك العمل على احسن وجه وقفل راجعاً"[١٤٤] .

وفي سنة ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م عين ارغون الأمير متي الشجاع مشرفاً على الموصل فاغتاظ المسلمون

منه وثاروا عليه وقتلوه فتقدم اولاد المقتول بشكوى عند ارغون فأمر هذا بقتل القاتلين وتغريم المشاركين في التحريض عشرة (ربوات ذهب) اي مائة الف دينار[١٤٥].

٥- القضاء: -

كانت وظيفة القاضي هي الفصل في الخصومات واستيفاء الحقوق ثم الوصايا على اليتامى والمجانين والقاصرين وادارة المؤسسات الدينية، وأمور الزواج والطلاق والميراث والنظر في الأوقاف[١٤٦].

عين هولاكو كمال الدين عمر بن العديم الحلبي قاضياً للقضاة عندما سيطر على بلاد الشام سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م، واتخذ هذا القاضي من دمشق مركزاً لعمله[١٤٧]. ولكن هذا التعيين لم يدم وذلك لتمكن المماليك من تحرير بلاد الشام في السنة ذاتها، وبذلك اصبح قضاة الموصل والجزيرة تابعين (لقاضي قضاة المالك) فكان هذا يعين القضاة في جميع الولايات الايلخانية[١٤٨]. بإستثناء قاضي قضاة بغداد الذي كان يعين القضاة في العراق[١٤٩].

وكان ممن تولى القضاء في الموصل موسى بن محمد بن موسى بن يونس الاربلي المعروف بكمال الدين بن الرضي الذي ارتفعت منزلته عند السلطان غازان فجعله عضواً في الوفد المرسل الى المماليك سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م لعقد الصلح بين الطرفين، وقد توفي هذا القاضي في سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م[١٥٠].

وتولى القضاء كذلك يوسف بن محمد بن موسى بن يونس بن منعه، وقد اشترك هذا القاضي في الوفد الذي ارسله غازان للتفاوض مع المماليك سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م. وتوفي هذا القاضي في السلطانية عاصمة الايلخانيين سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م[١٥١].

٦- ناظر الأوقاف: -

النظر في الأوقاف هو الاشراف على الأموال المحبوسة للجوامع والربط والزوايا والمدارس وانفاقها في وجوهها الشرعية[١٥٢]. والوقف نوعان: الوقف الخيري او الديني يوقف لغرض النفع العام والاخر الوقف الذري الذي انتشر بصورة واسعة في العصر المغولي من اجل تأمين الحماية للملكية ضد التجزئة بحكم الوراثة اي ان الشخص يوقف ارضه او املاكه على عائلته كي تستفيد من واردها دون بيعها والتصرف بها[١٥٣].

بعد احتلال هولاكو للعراق ولى نصير الدين الطوسي "جميع الأوقاف في سائر بلادهِ وكان له- لنصير- في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمل اليه ليصرفه في جامكيات المقيمين بالرصد..."[١٥٤] وكان الطوسي يتصفح اموال الوقوف والنظر فيها خاصة في بغداد[١٥٥].

وفي عهد احمد تكودار اصبحت مسؤولية الأوقاف مناطه بكمال الدين عبد الرحمن بن مسعود البغدادي المعروف بالشيخ عبد الرحمن[١٥٦]. وكان هذا الشيخ مقرباً من السلطان احمد لاعتقاده بعلمه وفضله وكان يراسل به المصريين لاقرار الصلح[١٥٧].

وفي سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م انتقلت مسؤولية الأوقاف الى اولاد نصير الدين الطوسي: فقد عين فخر الدين احمد بن نصير الدين الطوسي على امر الوقوف بالممالك جميعها "وحذفت الحصة الديوانية من الوقوف ووفرت على اربابها"[١٥٨]. ثم اعقبه اخوه صدر الدين ثم تولاها بعد ذلك اصيل الدين ابو محمد الذي صار ناظر اوقاف المملكة في زمن غازان[١٥٩].

وممن تولى كتابة الأوقاف بالموصل عماد الدين ابو الفتح عبد الرحمن بن محمد بن بلد جي الموصلي المعدل، وهو من بيت العلم والفضل رآه ابن الفوطي سنة ٧٠٦ هـ في السلطانية بمعيه اصيل



الدين محمد بن نصير الدين الطوسي[١٦٠].

كما ورد اسم السيد ركن الدين الحسن بن محمد ابن شرف شاه الاسترابادي المتوفى سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م على انه كان متولي النظر في اوقاف الموصل[١٦١].

٧- نقابة العلويين

ظهرت نقابة الأشراف منذ القرن الثالث للهجرة. والأشراف أطلاقا هم المنتمون الى أسرة الرسول (ص) وأنحصر اللقب بالعلويين والعباسيين.[١٦٢] وفي العصر العباسي الأخير كانت نقابة العباسيين والعلويين من الوظائف المهمة حيث كان الخليفة يعين النقيب وله ديوان خاص به، إلا ان نقابة العباسيين فقدت أهميتها في العهد الأيلخاني، في حين أكتسبت نقابة العلويين أهمية كبيرة وأهتمام وأحترام الحكام المغول وكان لبعض النقباء، نفوذ واسع ومكانة محترمة.[١٦٣] وكانت وظيفة النقيب "التحدث عن ولد علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم المراد بالأشراف في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقاربهم والأخذ على يد المتعدي منهم ونحو ذلك."[١٦٤]

وأول من تولى نقابة العلويين في الموصل في العهد الأيلخاني هو مجد الدين أبو منصور محمد بن ضياء الدين زيد بن محمد العبيدلي الموصلي المتوفي سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م[١٦٥] وفي سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م مات في بغداد غرقا ابن نقيب العلويين في الموصل محي الدين محمد بن حيدر وأسم الفتى الغريق هو ركن الدين، وكان شابا حسن الخلقة عمره سبع عشرة سنة ودفن في مشهد علي -عليه السلام-[١٦٦] ومن الشريط الكتابي الموجود في أسفل محراب بنجه علي في الموصل يظهر ان نصير الدين محمد بن محمد بن المرتضى بن عبد المطلب ابن محمد... كان نقيبا للموصل سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م[١٦٧].

وقد ذكر ابن الفوطي عددا من النقباء في هذه الفترة إلا أنه لم يذكر تواريخ وفاتهم منهم: مجد الدين أبو المظفر علي بن محمد بن زيد العلوي الموصلي، ومجد الدين أبو جعفر أحمد بن زيد الحسيني الموصلي، والنقيب كمال الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن زيد العلوي الموصلي.[١٦٨]

وينسب الى النقيب أحمد ابن العباس محي الدين حيدر بن محمد الحسيني بأنه جدد سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م بناء المدرسة النظامية في الموصل.[١٦٩]

وقد قرر غازان أنشاء (دار السيادة) في كل مدينة كبيرة مثل بغداد والحلة وتبريز وأصفهان وشيراز والموصل. وجعل وقفه يصل الى الفقراء والمحتاجين من العلويين وتنفق في وظائفهم.[١٧٠] كان لابد أن يعهد بهذه المؤسسات الخيرية الى النقباء العلويين للأشراف عليها وعلى أوقافها لأنها أصلا، أسست لهم ولأتباعهم رعاية من غازان للعلويين وحباً بهم.[١٧١]

الهوامش

(١) Relph Fox, Genghis Khan, London, 1962 PP. 21 – 22

(٢) ادوار بروي. تاريخ الحضارات العام، القرون الوسطى، ترجمة يوسف اسعد داغر، فريد م. داغر بيروت ١٩٦٥ ج ٣ ص٣٦١ ومابعدها.

(٣) ابن الاثير- الكامل في التاريخ، دار صادر- بيروت ١٩٦٥-١٩٦٦، ج ١٢، ص٣٦٠.

(٤) عبد المنعم رشاد. «الرعب الذي احدثه الغزو المغولي» مجلة اداب الرافدين، ج ٢، ١٩٧١، ص١٢ ومابعدها.

(٥) ادوار بروي. مصدر سابق ج ٣ – ص٣٦٦.

(٦) Relph, Fox, op. cit., p. 47.

ومعنى لقب جنكيزخان غامض فالصينيون يقولون ان الكلمة صينية من شنك سز- ابن السماء- او المقاتل الكامل، او يكون من اصل مغولي يعني الامبراطور العظيم او المتحكم على الجميع، وقد يكون اللقب ذو معنى ديني له علاقة بالديانة الشامانية ورموزها السحرية- انظر:

An Outline History of China, Peking 1958, p. 152.

(٧) عبد المنعم رشاد، المرجع السابق، ص ٥-٦.

(٨) ابن الاثير- الكامل، ج ١٢ ص٣٧، انظر القزاز- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف سنة ١٩٧٠، ص٣.

(٩) الكامل- ج ١٢ - ص ٣٦١.

(١٠) ادوار بروي، مرجع سابق - ج ٣ - ص٣٦٠ - ٣٦١.



(١١) المقريزي – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (بغداد د. ت) ج ٢ – ص٢٢٠.

Sounders, J. History of tlie Mongol Conquent, London 1977, p. 69.

(١٢) رشيد الدين – جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، بيروت ١٩٨٣، ص ٢٨.

(١٣) ابن كثير – البداية والنهاية، مطبعة الاستقامة القاهرة، ١٩٣٢، ج ١٣ ص١٣٢.

(١٤) ابن الاثير – الكامل – ج ١٢ – ص ٣٧٨ – ٣٧٩.

(١٥) المصدر نفسه ج ١٢ ص٥٠١ انظر جعفر حسين خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين بغداد ١٩٦٨ ص٨-١١.

(١٦) ابن الاثير – الكامل – ج ١٢ – ص٥٠٣.

(١٧) انظر رشيد الدين. المصدر السابق، ص١٨٠ ومابعدها انظر ادور بروي، تاريخ الحضارات العام ج ٣ – ص٣٦١ ومابعدها.

(١٨) رشيد الدين – جامع التواريخ (الايلخانيون – تاريخ هولاكو) ج ٢ قسم ١ ص٢٨٦ : ترجمة محمد صادق نشأت واخرون، مصر ١٩٦٠م، الذهبي – تاريخ للاسلام، ج ٢٠ مخطوطة اياصوفيا (٣٠١٣) ورقة ١٥٥ ب.

(١٩) الحوادث الجامعة – ص٣٢٥. رشيد الدين، مصدر سابق ج ٢ قسم ١ ص٢٨٧.

(٢٠) محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف ١٩٧٠ ص١٠٠ هامش (٢).

(٢١) عبد المنعم رشاد، «احتلال المغول لبغداد» مجلة اداب الرافدين العدد الاول ١٩٧١ ص٢٠.

(٢٢) رشيد الدين – المرجع السابق ج ٢ قسم ١ ص٢٩٠-٢٩١.

(٢٣) المصدر نفسه السابق ج ٢ قسم ١ ص٢٩١، الحوادث الجامعة ص٣٢٩، ابن كثير – البداية ج ١٣ ص٢٠٢.

(٢٤) الحوادث الجامعة ص٣٣١، ابن كثير – البداية والنهاية ج ١٣ ص٢٠٢، ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة ج ٧ ص٥٠، المقريزي، السلوك ج ١ قسم ٢ ص٤١٠.

(٢٥) E. Bretshneider, Medieval Research from Eastern Asi Sources, London, 1910, vol. I. pp. 138 – 139.

(٢٦) رشيد الدين – المصدر السابق ج ٢ قسم ١ ص ٢٢٠.

(٢٧) الحوادث الجامعة ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٢٨) عبد المنعم رشاد «احتلال المغول لبغداد»، ص٢٤-٢٥.

(٢٩) انظر: Encyclopaedia of Ethics and Religion, S. V. Shamanism.

(٣٠) عبد المنعم رشاد «الرعب الذي احدثه الغزو المغولي» اداب الرافدين ج٢ ص٥ ومابعدها.

(٣١) الحوادث الجامعة ص٣٣٠، رشيد الدين، المصدر السابق ج٢ قسم١ ص٢٩٥-٢٩٦.

(٣٢) رشيد الدين ج٢ قسم ١ ص٢٩٦، الحوادث الجامعة ص ٣٣٠-٣٣١.

(٣٣) رشيد الدين ج ٢ قسم ١ ص٢٩٨-٢٩٩.

(٣٤) تاريخ الاسلام ج ٢٠ مخطوطة اياصوفيا (٣٠١٣) ورقة ١٧١أ.

(٣٥) المصدر نفسه ورقة ١٧١ ب.

(٣٦) الحوادث الجامعة ص٣٣٧.

(٣٧) المصدر نفسه ص٩٩.

(٣٨) محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية في العهد الاتابكي. بغداد ١٩٦٦، ص١٢١.

(٣٩) الحوادث الجامعة ص١٠٩-١١٢، ١٩٩-٢٠٠، ٢٤١، ٢٦٠-٢٦١.

(٤٠) المقريزي، السلوك، تحقيق مصطفى زيادة ١٩٣٤، ج ١ قسم ٢ ص٣١٥، ٣٢٠.

(٤١) رشيد الدين، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ص١٨١.

(٤٢) المصدر نفسه ص١٩٢.

(٤٣) الحسيني، العملة الاسلامية، ص٦.

(٤٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حيدر آباد الدكن، ١٩٥١ ج ٨ ص ٧٣٣.

(٤٥) رشيد الدين – جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ص١٨١.

(٤٦) اليونيني، ذيل مرآة الزمان – ج١ ص٤٥، انظر: محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص٩٢.

(٤٧) السبكي – طبقات الشافعية ج ٥ ص١١٤.

(٤٨) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول. تحقيق انطوان صالحاني، بيروت ١٨٩٠، ص٤٧٦.

(٤٩) الحوادث الجامعة – ص٣٢٩.

(٥٠) رشيد الدين. جامع التواريخ، ج ٢ قسم ١ ص٣٠٠-٣٠١، ابن العبري، ص٤٧٦-٤٧٧.

(٥١) رشيد الدين – ج٢ قسم ١ ص٣٠١.

(٥٢) المصدر نفسه السابق – ص٢٩٨-٢٩٩.

(٥٣) المصدر نفسه السابق ص٣٠٥.

(٥٤) رشيد الدين ج ٢ قسم ١ ص ٣٠٥.

(٥٥) ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص٤٥٢.

(٥٦) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٨٦، ابن خلدون، العبر، بولاق ج ٥ ص٢٧٦، ٣٨٢.

(٥٧) رشيد الدين ج ٢ قسم ١ ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٥٨) ابو شامة، الذيل على الروضتين، تحقيق محمد زاهر الكوثري، القاهرة ١٩٤٧، ص٢٠٣-٢٠٦.

(٥٩) المصدر السابق نفسه، ص٢٠٥، اليونيني – ذيل – ج١ ص٣٥٦.

(٦٠) رشيد الدين – ج ٢ قسم ١ ص٣١٠.

(٦١) E.I./II, S.V. Ayn Djalut, by B.Lewis.

(٦٢) عن نتائج معركة عين جالوت انظر: جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ العصر الايوبي والمملوكي، القاهرة ١٩٦٧ ص١٦٣-١٧٠، انظر كذلك القزاز – الحياة السياسية ... ص٣٧٤-٣٧٦.



(٦٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان. ج ١ – ص٤٥٢.
(٦٤) ابن العبري – مختصر تاريخ الدول، ص٤٩٢-٤٩٣.
(٦٥) نفس المصدر السابق، ص٤٩٤-٤٩٥، الحوادث الجامعة ص٣٤٥.
(٦٦) المقريزي – السلوك ج١ قسم٢ ص ٤٦٠-٤٦٢.
(٦٧) اليونيني – ذيل ج١ ص٤٤٢.
(٦٨) نفس المصدر ح ١ ص٤٤٣.
(٦٩) ابن عبد الظاهر سيرة الملك الظاهر بيبرس البندقداري، مخطوطة (فاتح ٤٣٦٧) ورقة ١٩ ب – ٢٠أ.
(٧٠) اليونيني – ح ١ – ص٤٥٣.
(٧١) ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ورقة ١٧ ب. أما المقريزي فيذكر الرقم بأنه ثلثمائة فارس فقط، السلوك ح ١ قسم ٣ – ص٤٦٢.
(٧٢) اليونيني – ذيل ح ١ – ص٤٥٤.
(٧٣) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر. القسطنطينية ١٢٨٦ وح ٣ ص٢٢٢.
(٧٤) اليونيني – ذيل ح ١ ص٤٥٦-٤٥٧.
(٧٥) شافع بن علي – حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، مخطوطة (ايا صوفيا ٣١٥٠) ورقة ٢٢ أ و ب.
(٧٦) ابن العبري تأريخ مختصر الدول، ص٤٩٦.
(٧٧) الحوادث الجامعة ص٣٤٦-١٣٤٧ ابن العبري ص٤٩٦.
(٦٨) رشيد الدين، جامع التواريخ ح ٢ قسم ١ – ص٣٢٨.
(٧٩) الحوادث الجامعة ص٣٤٥، بينما يجعل اليونيني فترة الحصار أمدها ثمانية أشهر – الذيل ح ١ ص٤٩٢-٤٩٤.
(٨٠) رشيد الدين جامع التواريخ ح ٢ قسم – ص٣٢٧.
(٨١) نفس المصدر السابق ص٣٢٨-٩.
(٨٢) اليونيني – ذيل ج١ ص٤٩٤.
(٨٣) اليونيني ذيل ج ١ ص٤٩٤.
(٨٤) رشيد الدين، جامع التواريخ ح ٢ قسم ١ ص٣٢٩-٣٣٠. الحوادث الجامعة ص٣٤٧.
(٨٥) اليونيني ح ١ ص٤٩٤.
(٨٦) نفس المصدر السابق ص٤٩٤-٤٩٥.
(٨٧) جامع التواريخ ح ٢ قسم ١ ص٣٣٠.
(٨٨) نفس المصدر السابق ص٣٣٠.
(٨٩) اليونيني ذيل ح ١ ص٤٩٥.
(٩٠) القلقشندي صبح الأعشى ح ٤ ص٣١٣-٣١٤.
(٩١) ابو الفداء تقديم البلدان. تحقيق رينود وديسلان، باريس ١٨٤٠، ص٣٩٨-٣٩٩.
(٩٢) المقريزي، السلوك، ح ١ قسم ٢. ص٥٤١ الحاشية.
(٩٣) رشيد الدين ح ٢ قسم ١ ص٣٤١، أنظر Howorth, History of the Mongol, london, 1888, vol. II, pp. 208 – 9
(٩٤) أنظر علاء محمود خليل، المغول في الموصل والجزيرة (٦٥٦-٧٣٦ هـ) رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الأداب – جامعة الموصل – مكتوبة على الألة الكاتبة، ص١٢١ ومابعدها.
(٩٥) أبو الفداء المختصر في أخبار البشر، ح ٤ ص٣.
(٩٦) الحوادث الجامعة ص٤٤٨.
(٩٧) رشيد الدين تأريخ خلفاء جنكز خان، ص٢١٥.
(٩٨) رشيد الدين جامع التواريخ، ح ٢ قسم ١ ص٣٣٨.
(٩٩) نفس المصدر السابق ح ٢ قسم ٢، ص١٢.
(١٠٠) الحوادث الجامعة ص٤٣٥-٦-٧.
(١٠١) رشيد الدين جامع التواريخ ح ٢ قسم ٢ ص١٤١.
(١٠٢) نفس المصدر السابق ص١٤٧ ومابعدها.
(١٠٣) نفس المصدر السابق ص١٥٢.
(١٠٤) نفس المصدر السابق ص١٤٩-١٥٣.
(١٠٥) الحوادث الجامعة ص٤٦٤-٤٦٦.
(١٠٦) ابن كثير البداية والنهاية ح ١٣ ص٣٢٤.
(١٠٧) علاء محمود خليل، مرجع سابق، ص١٢٣.
(١٠٨) ابن كثير ١٤ ص٢٩، علاء محمود، ص١٢٣.
(١٠٩) المقريزي، السلوك، ح ١ قسم ٣ ص١٥٥-٦.
(١١٠) الصفدي نكت الهميان في نكت العميان، ص١٦١.
(١١١) نوري عبد الحميد العاني، العراق في العهد الجلائري، بغداد، ١٩٨٦ ص١٩ ومابعدها أنظر علاء محمود ص١٢٤.
(١١٢) أنظر علاء محمود ص١٢٦.
(١١٣) ابن العبري ص٤٩٦، الحوادث الجامعة ص٣٤٧.
(١١٤) محمد بن شاكر الكتبي عيون التواريخ ح ٢٠ تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داؤد، بغداد ١٩٨٠، ص٢٩٩.
(١١٥) اليونيني ذيل مرآة الزمان ح٢ ص٢٣٦.
(١١٦) الحوادث الجامعة، ص٣٥٤، ابن الفوطي، تلخيص ح ٤ قسم ٢ ص٦٨٣.
(١١٧) الحوادث الجامعة ص٣٦١.
(١١٨) علاء محمود ص١٢٧.
(١١٩) الحوادث الجامعة، ص٣٦٧، ويتهم ابن العبري رض الدين بابا بأنه هيأ شهود زور لأثبات أختلاسات مسعود كما رشا القضاة، تأريخ مختصر الدول ص٥٣٩.
(١٢٠) الحوادث الجامعة ص٣٩٧-٨.
(١٢١) ابن العبري ص٥٤٣.
(١٢٢) سليمان صائغ تأريخ الموصل ح ١ القاهرة ١٩٢٣، ص٢٤١.
(١٢٣) ابن العبري، ص٥٦٥.
(١٢٤) نفس المصدر السابق ص٥٦٩، الحوادث الجامعة ص٤٦٦.
(١٢٥) ابن الفوطي، تلخيص ح ٤ قسم ٣، ص٢٧٧.
(١٢٦) علاء محمود ص١٣٠.
(١٢٧) العسقلاني، أحمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق (القاهرة د. ت) ح ٢ ص٢٧٥.
(١٢٨) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، مصر ١٩٣٨، ح ١ ص١٤٩.
(١٢٩) علاء محمود ص١٣١.
(١٣٠) رحلة ابن بطوطة ح ١ ص١٤٥. علاء محمود ص١٣١.
(١٣١) حسين أمين، تأريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد ١٩٦٥، ص٢٠١.



(١٣٢) علاء محمود ص١٤٢.
(١٣٣) ابن العبري ص٤٩٤-٥.
(١٣٤) الحوادث الجامعة ص٣٤٧.
(١٣٥) الحوادث الجامعة ص٣٦١، ٣٦٧.
(١٣٦) علاء محمود ص١٤٣.
(١٣٧) الحوادث الجامعة ص٣٩٧، علاء محمود ص١٤٣.
(١٣٨) حسين امين المرجع السابق ص١٩٩.
(١٣٩) الحوادث الجامعة ص٤١٢-٤١٣.
(١٤٠) رشيد الدين، جامع التواريخ (تأريخ خلفاء جنكيزخان) ص١٨٣.
(١٤١) نفس المصدر ص٢١٥.
(١٤٢) اليونيني- ذيل ح ٢ ص٢٣٤-٢٣٦.
(١٤٣) رشيد الدين جامع التواريخ ح ٢ قسم ٢ ص١٣.
(١٤٤) نفس المصدر السابق ص٧٦.
(١٤٥) علاء محمود ص١٤٥.
(١٤٦) الماوردي- الأحكام السلطانية، نشر المطبعة المحمودية، القاهرة (د.ت) ص٦٧ ومابعدها.
(١٤٧) اليونيني ذيل ح ١ ص٣٥٠.
(١٤٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ح ٤، ص٤٢٤.
(١٤٩) الحوادث الجامعة ص٣٧١-٢، ٤٩٩، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٩٠.. الخ.
(١٥٠) ابن تغريد بردي، النجوم الزاهرة، ح ٨ ص١٣٥.
(١٥١) العسقلاني. الدرر الكامنة، ح ٥ ص٢٥١.
(١٥٢) القلقشندي، صبح الاعشى ح ٤ ص٣٨.
(١٥٣) كلود كاهن- تأريخ العرب والشعوب الأسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، بيروت ١٩٧٧ ح ١ ص١٢٤.
(١٥٤) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق أحسان عباس، بيروت ١٩٧٤، ح ٣ ص٢٥٠.
(١٥٥) الحوادث الجامعة ص٣٥٠.
(١٥٦) ابن الفوطي تلخيص ح ٥ ص٢٠٠.
(١٥٧) رشيد الدين جامع التواريخ ح ٢ قسم ٢ ص٩٥، ٩٧، ١٠١، أنظر الحوادث الجامعة ص٤٣١-٤٣٢.
(١٥٨) الحوادث الجامعة- ص٤٤٣.
(١٥٩) ابن شاكر الكتبي- فوات الوفيات، ح ٣ ص٢٥١.
(١٦٠) ابن الفوطي تلخيص ج ٤ قسم ٢ ص٧٥٨-٩.
(١٦١) السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق أبو الفضل أبراهيم، مصر ١٩٦٤، ص٥٢١-٢.
(١٦٢) دائرة المعارف الأسلامية الطبعة الأولى ترجمة الشنتناوي وآخرون، مادة شريف م ١٣ ص٢٧٢.
(١٦٣) جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، بغداد ١٩٦٨، ص٧٣.
(١٦٤) القلقشندي صبح الأعشى، ح ٤ ص٣٨.
(١٦٥) ابن الفوطي، تلخيص ح ٥ ص٢٣٤.
(١٦٦) الحوادث الجامعة ص٣٨٦.
(١٦٧) أحمد قاسم الجمعة، الأثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الأتابكي والأيلخاني رسالة دكتوراة مقدمة الى كلية الآثار، جامعة القاهرة ح ٢ ص٥٩٦، علاء محمود ص١٥١.
(١٦٨) ابن الفوطي، تلخيص، ح ٥ ص٩٤، ١٩٢، ٢١٧.
(١٦٩) أنظر علاء محمود ص١٥٢.
(١٧٠) التأريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد ١٩٧٥، ص٥٣.
(١٧١) أنظر مصطفى طه بدر، مغول أيران بين المسيحية والأسلام (دار الفكر العربي، بيروت) ص٣١-٣٢.

الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة المغولية الإيلخانية
٦٦٠هـ- ٧٣٦هـ / ١٢٦١- ١٣٣٥م

د.أحمد عبد الله الحسو

استعرضنا في المبحث السابق أبعاد التخريب المغولي في العراق، والموصل بخاصة، سواء خلال الغزو او في أعقابه، وعلى مدى ثمانية عقود تلت احتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، واحتلال الموصل سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م، فهل يجعلنا ذلك، وبقدر تعلق الأمر بالموصل- نقترب من الصورة التي رسمها ابن خلدون حين تحدث عن خراب العمران الذي حلَّ بالعراق بسبب ذلك الغزو، والذي عده سبباً في انقطاع سند التعليم فيه حيث قال: «ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة،



فانتقل شأنها من الخط والكتابة ، بل والعلم الى مصر والقاهرة» وأن «اللغة العربية فسدت على الاطلاق ، ولم يبق لها رسم في المالك الاسلامية [في المشرق] بالعراق وخراسان» بسبب ذلك ،[1] فهل يعني ذلك ان الموصل – في اطار الصورة العامة للعراق – افتقدت فاعليتها الحضارية ؟

إن من الصحة بمكان قبل الأجابة عن هذا السؤال أن نسترجع في اذهاننا الصورة التي كانت عليها المدينة في الحقبة التي سبقت التسلط الايلخاني ، ونعني بذلك العهد الأتابكي (٥٢١ – ٦٦٠هـ / ١١٢٧ – ١٢٦١م)[2] .

تشير المصادر الى أن الموصل في هذا العهد شهدت تطوراً عمرانياً واسعاً ، فقد جاء على لسان بلداني مجهول سجل انطباعاته عنها سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م ، قوله :

«وأما في زماننا هذا – وهو سنة ستين وخمسمائة – فقد عمرت الموصل عمارة لم تكن قط منذ اسست ، حتى أنّ العمارة قد استولت عليها ، ولم يبق بها موضع ، فامتدت العمارة الى خارج السور وصار في خارجها اسواق وحمامات وفنادق وغير ذلك من المرافق»[3] .

ووصف أبن جبير المدينة بعد التاريخ المشار اليه بعشرين سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) فقال : «مدينة ضخمة ، حصينة ، فخمة ، قد طالت صحبتها للزمن»[4] ،

ويبدو أن هذا التوسع العمراني اتصل طوال العهد الأتابكي ، الى جانب نشاطات متميزة للمدينة في حقول الثقافة والزراعة والتجارة .وغيرها ، فهذا هو مايفهم من يوميات المؤرخ الموصلي ، ابن الأثير ، المتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م . ولا يخرج عن هذه الصورة الحقبة التي حكم فيها بدر الدين لؤلؤ والتي امتدت بين سنتي ٦٣١ – ٦٦٠هـ / ١٢٣٣ – ١٢٦١م ، فقد استمرت خلالها ، الأنشطة المشار اليها[5] .

تلكم هي الصورة التي كانت عليها الموصل قبل الاحتلال المغولي لها سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م ، فكيف آل اليه أمرها طوال العقود الثمانية التالية لذلك ، والمتمثلة بحقبة التسلطالايلخاني (المغولي) ؟

تأثرت أنشطة الموصل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها في هذه الحقبة بعاملين متناقضين :

١ – توافر ارضية اقتصادية وعلمية وثقافية رصينة ، تم بناؤها في العهد الاتابكي ، اي حتى تاريخ خضوع المدينة للاحتلال المغولي كما اشرنا آنفاً ، فضلاً عمّا كانت تمتلكه المدينة من ارث حضاري ، وتراكم خبرات ترجع في جذورها الى مراحل عريقة في التاريخ القديم والوسيط .

٢ – خضوعها الى إدارة أجنبية حديثة عهد بالانتقال من حياة البداوة والتنقل الى حياة الاستقرار ، تتحكم في سلوكها وتوجيه سياستها قيم وتقاليد بدوية مغولية ، تتناقض في جوهرها مع القيم الحضارية التي كانت متأصلة في المجتمع الذي تسلطوا عليه ، ومنه المجتمع الموصلي[6] .

في إطار هذين العاملين تكيفت أنشطة المدينة المختلفة ، فهي بفعل العامل الأول استطاعت الاستمرار والاحتفاظ بقدر من الحيوية ، وهي بفعل العامل الثاني تراجعت الى الخلف ، وكان من ابرز مظاهر تراجعها :

١ – تقلص حركة العمران التي كانت مزدهرة قبل احتلال المغول للموصل . إذ يلاحظ خلو المصادر الأولية بعد ذلك من اية اشارة الى قيام منشآت جديدة كالمدارس والمساجد والمنشآت الخدمية والاجتماعية .

٢ – تقلص النشاط الزراعي في سواد الموصل (ريفها) ، بسبب أعمال التخريب التي



قامت بها القوات العسكرية المغولية، ابتداء بأول غزو للمدينة سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، ثم احتلالهم لها سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م، وحتى نهاية تسلطهم عليها سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م. لقد كان من الطبيعي في وضع كهذا تناقص القدرات البشرية للمدينة والمنطقة المحيطة بها، جراء الموت او الهجرة او التهجير او فقدان الأمن[٧]. ويلاحظ هذا التقلص على نحو واضح في النشاط الزراعي، من مقارنة مقدار الضرائب المترتبة على إقليم ديار بكر (والموصل جزء منه)[٨] في عهد بدر الدين لؤلؤ (٥٣١- ٦٦٠هـ/ ١١٣٦- ١٢٦١م) من جهة، ثم مقداره في اواخر عهد التسلط الأيلخاني، فقد بلغت الضريبة في الحالة الأولى عشرة ملايين دينار، في حين انخفضت في الحالة الثانية الى اقل من مليوني دينار (١,٩٢٥,٠٠٠) ديناراً[٩]، وبرغم أن السبب في هذا التباين الكبير بين الرقمين قد يكون متعدداً، فأن من الطبيعي أن يكون وراءه العوامل المشار اليها آنفاً، فضلاً عن عوامل أخرى[١٠].

٣- تراجع الأنشطة الثقافية اذ يلاحظ:

أ: كثرة اعداد المهاجرين من المثقفين* الموصليين في هذه الحقبة، حيث بلغت نسبتهم اكثر من ٢ ٥٪ من مجموع المثقفين (انظر الجدول رقم ٧ ص أدناه).

ب: تقلص اعداد المدارس التي زاولت نشاطاً علمياً في هذه الحقبة قياساً الى ما كانت عليه في العهد الاتابكي، حيث لم تشر المصادر الا الى نشاط قلة من المدارس فحسب[١١] منها المدرسة النورية ومدرسة الجامع النوري، والمدرسة الصارمية.

إن مايصح من تراجع في انشطة الموصل العمرانية والزراعية والثقافية ينسحب على مجمل انشطتها الأخرى، بقدر يتناسب طردياً مع حجم التأثيرات السلبية المنوه عنها، والناجمة عن الغزو المغولي، قياساً على ما كان عليه وضعها قبل ذلك، بيد ان هناك من الدلائل مايشير- على الرغم من هذه الصورة- الى استمرار قدر من الحيوية في الانشطة المشار اليها، بفعل مانوهنا عنه من إرث حضاري وتراكم خبرات امتلكتها المدينة من جهة، وبفعل الموقع الجغرافي للمدينة الذي جعلها نقطة استقطاب وتسويق للمناطق المحيطة بها من جهة ثانية، فضلاً عن توافر المياه والأراضي الصالحة للزراعة.

النشاط الزراعي

يفهم مما اورده ابن بطوطة وقد زار الموصل أواخر الحقبة موضوعة البحث (٧٢٨هـ) ان الموصل كانت اذ ذاك كثيرة الخصب، وأن القرى المحيطة بها كانت عامرة[١٢]، كما أشاد القزويني (ت ٦٨٢هـ)، وهو بلداني معاصر، بحسن انتفاع الموصل بمياه «دجلة، بشكل جيد، عن طريق شق القنوات، او نصب النواعير والطواحين على دجلة التي يديرها الماء بنفسه»، ووصفها بأنها «ذات ضياع، ومزارع ممتدة»[١٣]، ويبدو أن زراعة الحنطة فيها، وفي المناطق حولها كانت متسعة، بحيث كان بامكانها تصدير الدقيق الى مدن عراقية اخرى[١٤]. كما ان إشارة المصادر البلدانية- آنفاً- الى كثرة الضياع والزروع، وتوافر وسائل الأرواء والأمطار الغزيرة شتاء وربيعاً، يعطي انطباعاً باستمرار زراعة المحاصيل الأخرى التي اشتهرت بها الموصل، كالشعير والزيتون والكروم فضلاً عن قصب السكر، والسمسم، والقطن، والأشجار المثمرة الأخرى.

---

* آثر الباحث استخدام مصطلح (المثقفون) على الرغم من انه مصطلح حديث، للدلالة على المشتغلين بالآداب والعلوم والفنون خلال الحقبة موضوعة البحث.



النشاط الحرفي والصناعي :

يمكن ان نستنتج مما ذكرته المصادر البلدانية آنفاً وجود نشاطات حرفية وصناعية ، فشق القنوات ، ونصب النواعير ، والطواحين المتكاثرة في المنطقة ، بما تتطلبه من مواد مصنعة وتقنية تؤكد هذا الاستنتاج . وقد وردتنا نصوص تشير الى نشاط متميز في صناعة النسيج في الموصل ، حيث كانت تصنع ثياب الحرير المعروفة بالموزلين والتي اشاد بها ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ)[١٥] والرحالة ماركوبولو (ت ٧٢٥هـ)[١٦] .

ويبدو أن هذه المهارات كان موضع اعجاب الناس في البلاد الاخرى مما دعا بعض المتميزين فيها الى الهجرة ومزاولة نشاطهم في تلك البلاد ، ومن هؤلاء : الحسن بن الحسين بن يوسف الموصلي (٦٤٢ - ٧١٠هـ) الذي تميز بصناعة النقش ، وخياطة الزركش ، وقد هاجر الى تبريز ومارس حرفته فيها ، ويوسف بن عبد الكريم بن هبيل الموصلي الذي تميز بتطريز نسيج الحرير بخيوط الذهب ، وقد هاجر هو الآخر لمارسة مهنته في بلاد اليمن[١٧] .

إن ما وصفت المدينة به من قبل ابن بطوطة بأنها (مدينة عتيقة) ، وان سورها (محكم البناء) وأن (قيساريتها مليحة ... يدور بها دكاكين وبيوت ، بعضها فوق بعض ، متقنة البناء) ، ووصفه لمسجد النبي يونس بانه (بناء عظيم)[١٨] ، يعطي انطباعاً باستمرار الصناعات المتعلقة بالبناء وفنونه ، كصناعة الجص والخزف والفخار والآجر المزجج ، والنقش على الجص ، والصناعات الخشبية (وبخاصة صناعة النواعير ، والطواحين والأثاث المنزلي) ، والصناعات المعدنية ، وليس من شك أن تعدد الابنية ، بين سور ، وبيوت ومساجد وحمامات وقصور وفنادق وأسواق وقيساريات ، وما يلتحق بها من شبابيك وابواب الحديد ، وصف بعضها بأنه متقن الصنع ، ونافورات رخامية مصنوعة على نحو فني دقيق على حد تعبير ابن بطوطة[١٩] ، يشير الى استمرار ماعرف عن الموصل من تميز في صناعاتها المحلية ، مما يتطلبه هذا التوسع في العمران . ويتأكد استنتاجنا هذا مما ذكره مؤرخان بلدانيان معاصران ، فقد ذكر الأول ، وهو ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ) بأن «في الموصل صناعات جمة ، ولاسيما اواني النحاس المطعّم ، [التي] يحمل منها للملوك»[٢٠] ، وذكر الثاني ، وهو القزويني (ت ٦٨٤هـ) أن اهلها عرفوا بالتدقيق في الصناعات[٢١] ، وقد وصلت الينا فعلاً نماذج من التحف المعدنية من هذه الحقبة ، محفوظة في متاحف العالم[٢٢] .

النشاط التجاري

ترتبط التجارة في تقدمها وتأخرها بمدى توافر الأمن والاستقرار ، وهو أمر لم يكن قائماً في الموصل خلال حقبة التسلط الايلخاني (المغولي) ، كما أن ذلك يرتبط من جهة أخرى بطبيعة علاقات الايلخانيين بالدول المجاورة وقد كانت في معظمها علاقات سلبية ، بيد أن وقوع الموصل على ملتقى الطرق التجارية ، والمميزات الجغرافية التي امتاز بها موقعها ، جعلها نقطة استقطاب وتسويق للمناطق المحيطة بها ، وساعدها على الاستمرار في نشاطها التجاري . يؤيد هذا الاشارات التي اوردها ابن العبري (ت ٦٨٥هـ) واليونيني (ت ٧٢٦هـ) وابن بطوطة (زار الموصل سنة ٧٢٨هـ) ، وابو الفداء (ت ٧٣٢ هـ) وغيرهم ، والتي يستنتج منها :

أ : ان التجار كانوا يتنقلون بين بغداد والموصل ، وبين الاخيرة والعمادية مما يفيد ان الموصل كانت نقطة تسويق لمنتجاتها من جهة ، ومنتجات المناطق المحيطة بها من جهة اخرى[٢٣] .

ب : احتواء الموصل على اسواق متعددة منها سوق البزازين ، والصناعة والعطور ، وغيرها فضلاً عن قيساريتها وما احتوته من دكاكين محيطة بها[٢٤] .

جـ : وجود فنادق عدة في الموصل مخصصة للتجار القادمين من خارجها ، مما يفيد بوجود حركة تجارية نشطة[٢٥] .

وعلى الرغم من قلة النصوص عن ابعاد وحجم التجارة الخارجية للموصل ، فان ثمة مايفيد بأن التجار فيها وجدوا لهم متنفساً في الاتجار مع بلاد الشام بعيداً عن الرقابة الايلخانية التي لم تكن تسمح بذلك ، بحكم ما كان بينها وبين المماليك من عداء مستحكم. وقد ساعد على هذا النشاط التجاري المحدود حاجة اهل الموصل وحكام مصر وبلاد الشام، المماليك ، كل الى الآخر،فمن المعروف ان الموصليين شأنهم في ذلك شأن كل العراقيين في هذه الحقبة كانوا يتطلعون الى المماليك لأسنادهم وتقديم العون لهم للتخلص من التسلط الايلخاني (المغولي) ، كما ان المماليك كانوا هم كذلك يتطلعون الى ازاحة هذا التسلط ، وكان احد ابرز وسائلهم لمعرفة الاوضاع ، ونقل الرسائل الى العراقيين، هم التجار، فضلاً عن أن هذه التجارة كانت مربحة الى حد كبير اذا أخذنا بنظر الاعتبار ان المماليك كانوا يمسكون بتجارة العالم آنذاك[٢٦] .

ويمكن ان نميز مرحلتين في تاريخ العلاقات التجارية بين العراق وبلاد الشام ومصر، انتعشت خلالها تجارة الموصل الخارجية :

١ - الحقبة الأولى : وتمتد بين سنتي ٦٨٠- ٦٨٣هـ ، والتي تم فيها عقد صلح بين الايلخانيين وبين المماليك ، وكان من ابرز شروطه اتفاق الطرفين على ازالة العراقيل التي كان موضوعة على التجار من قبل الجهتين المملوكية والايلخانية[٢٧] .

٢ - الحقبة الثانية : وتمتد بين سنتي ٧٢٣هـ- ٧٣٦هـ ، والتي تم فيها عقد الصلح ثانية بين الأيلخانيين وبين المماليك ، وكان ابرز مايتعلق بهذا الاتفاق :

أ : حرص الطرفين على توفير اسباب الأمن ، كل تجاه الآخر، وتأمين حركة التجار بين البلدين.

ب : ان الدور الكبير في تحقيق هذا التحالف يرجع الى تاجر من منطقة الموصل هو إسماعيل بن محمد المعروف بالمجد السلامي ، نسبة الى السلامية ، من ضواحي الموصل[٢٨] .

ان هذا التركيز على التجارة في اية مفاوضات بين الايلخانيين ، والمماليك ، ووجود دور كبير للتجار فيها يشير الى أن عقبات كبيرة كانت تقف في وجه التجارة ، كما انه يوضح ان النشاط التجاري كان حيوياً وفاعلاً بحيث كان موضوعه من المحاور الاساسية التي شغلت الدولتين في أية مفاوضات قامت بينهما ، كما انه يشير الى مكانة الموصل ومنطقة الجزيرة في هذا الميدان.

ويفهم من خلال بعض النصوص ان التبادل التجاري بين منطقة الموصل وغيرها شمل تجارة العبيد ، والجواري، والأقمشة وبخاصة الموزلين ، والتحف المعدنية ، والدقيق والحنطة والحبوب الاخرى ، فضلاً عن تجارة الخيول والمواشي[٢٩] . اما الأماكن التي كانت مراكز لهذا التبادل ، فقد تركزت على دمشق والقاهرة ، وتبريز وآسيا الصغرى[٣٠] ، وان كنا نقدر ان حركة التجارة لابد أن تكون اوسع مدىً من ذلك ، بيد أن النصوص لاتسعفنا في هذا الاتجاه . ويلاحظ ان بعض التجار الموصليين اتخذوا من بلاد الشام ومصر مستقراً لهم ، وقد تمكن عدد منهم تحقيق مكانة تجارية عالية ، وبين هؤلاء محمد بن داوٗد بن منتاب المعروف بالشمس الموصلي (٦٧٠ - ٧٢٨هـ)[٣١] ، وعلي بن محمد المعروف بابن الدريهم (٧١٢- ٧٦٢هـ)[٣٢] ويقف على رأس هؤلاء المجد السلامي المشار اليه آنفاً والذي اتخذ من تبريز والقاهرة مستقراً لأعماله التجارية. وقد اشار ماركوبولو الى ان التجار الموصليين كانوا يفدون الى تبريز للتجارة بيعاً وشراءً ، مما حقق لهم ثروات ضخمة ، على حدّ تعبيره[٣٣] .

الوضع الاجتماعي

إن الموصل- باعتبارها مدينة عريقة يمتد تاريخها الى ماقبل ظهور الاسلام ، وباعتبار ما كانت تمتلكه من مقومات الموقع والمناخ ، نهضت بدور كبير في تعميق التيار المدني في الأقليم المحيط بها.



وليس من شك ان مازخرت به من نشاط اقتصادي، وثقافي، وعمراني كان عامل جذب لسكان الارياف من العرب والاكراد وكذلك البدو الذين كانوا يشكلون غالبية السكان في المناطق المحيطة بها، بيد أن ماأصاب المدينة جراء الغزو المغولي مما اشير اليه في المبحث السابق[٣٤] أفقدها دورها القيادي هذا، في عملية التحول الاجتماعي الذي بدأ يتجه نحو غلبة التيارات البدوية على عوامل التحضر، فهل يعني هذا تغيراً في التركيب السكاني للمدينة؟

لم يحصل خلال هذه الحقبة تغير جذري في التركيب السكاني لمجتمع الموصل وما حولها، باستثناء وجود العنصر المغولي الحاكم الذي تمثل بعدد محدود من الحكام والاداريين المغول، وبعدد اكبر من جندهم. ومهما كانت اعداد هؤلاء فانها لم تصل حداً يؤثر جذرياً في التركيب السكاني، فقد احتفظت المدينة بطابعها العربي، وذلك لأن العرب كانوا يشكلون الغالبية العظمى فيها وفي المناطق المحيطة بها، الى جانب عناصر أخرى أبرزها الأكراد الذين كان وجودهم مرتبطاً بمناطق سكناهم في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية من الموصل.

عاش المجتمع الموصلي في هذه الحقبة حالة انكماش اجتماعي، فلم ترد الينا نصوص تتحدث عن مشاركة أهلها في الاحتفالات والأعياد والمناسبات الاجتماعية، الاّ في حدود ضيقة، ويبدو أن الهموم العامة التي واجهها الموصليون – في إطار ما واجهه العراق – جراء الغزو ثم الاحتلال المغولي، وما رافقه من قحط وغلاء وامراض[٣٥]، لم تدع لهم مجالاً للاهتمام بذلك باستثناء الاحتفالات الدينية والرسمية. فذلك هو مايفهم مما ذكره ابن بطوطة من أن الموصليين كانوا يخرجون كل ليلة جمعة للتعبد في رباط النبي يونس (= جامع النبي يونس)، ومن أن كبراء اهل الموصل ووجوهها اذا ماشاهدوا موكب الوالي (وهو – كما وصفه – موكب عظيم) (تحف به مماليكه وأجناده، خرجوا للسلام عليه غدواً وعشياً)، وربما تكون اشارة ابن بطوطة وهو يصف (المساطب التي نشرت على دجلة والتي كانت في النهاية من الحسن والأتقان) دليلاً على أن ثمة اهتماماً ما بالتنزه، وبقية مما عرف به اهل الموصل من عشق لطبيعة بلادهم وتغن بها[٣٦].

يُفهم مما أورده أبن المنشيء الاربلي (ت ٦٩٢)، صاحب التذكرة أن المجالس الادبية التي كانت تزخر بها الموصل قبل سنة ٦٦٠ هـ والتي ساهم فيها أدباء وشعراء من أمثال أبن زيلاق (أُستشهد على يد المغول سنة ٦٦٠ هـ)[٣٧]، وشرف الدين احمد أبن الحلاوي (ت ٦٥٤ هـ)[٣٨] ظلت قائمة إبان عهد التسلط الأيلخاني المغولي[٣٩]. ومن ذلك ماوراه أبن المنشيْ المشار اليه حيث قال: «كنت بالموصل في ذي القعدة سنة اثنين وستين وستمائة ونحن في مجلس أنس قد واصل حبيبه، وغاب رقيبه... فجاء الى الباب [نجم الدين يحيي الشاعر الموصلي مولداً] فأخبر بحالنا فكتب اليّ بهذه الابيات ومشى:

أتيت هذا الحرم المرتجى
وهو مقر الحِلْمِ والعلم
فقيل مولاكَ على لذةٍ
لازالَ منها وافرَ القَسْمِ
فليس يدري العَبْدُ هل يمدح الصهباء أويشرع في الذمِّ
وما ظننت الشمسَ في كأسها
أنْ تحجبَ البدرَ عن النجمِ[٤٠].

الوضع الثقافي

يظهر المسح الأحصائي الذي أجريناه لمعظم المصادر التي ارخت لهذه الحقبة، أن عدد المثقفين الموصلين المتخصصين والمهتمين في حقول المعرفة المعروفة آنذاك، والذين عاشوا بين سنة ٦٦٠ هـ وسنة ٧٣٦ هـ، بلغ مائة واربعة عشر رجلاً ولدى تحليلنا للجداول (رقم ١ – ٦) تظهر النتائج التالية:



١- بلغ عدد اولئك الذين كان الفقه يمثل تخصصهم الأول ستة وعشرين شخصاً (ينظر بجدول رقم ١)، ويعني هذا نسبة تزيد على ٢١,٥٪ من المجموع العام البالغ مائة وعشرين رجلاً.

جدول رقم (١)

يتضمن اعداد الموصليين الذين كان الفقه يمثل تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى.

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر/مقيم/قادم
إبراهيم بن احمد[41]	الفقه		ت ٧٠٠ هـ	الموصلي	مقيم
ابو بكر بن عبدالله[42]	الفقه	٦٣٤ هـ		الموصلي ثم الدمشقي نزيل بيت المقدس	مهاجر
ابو بكر بن عمر بن عثمان[43]	الفقه الحديث	حوالي ٦٨٠	ت ٧٥٧	الكردي الموصلي الدمشقي	مهاجر
ابراهيم بن عبدالرزاق[44] بن رزق الله بن ابي بكر	الفقه الادب	٦٤٢ الموصل	ت ٦٦٠ دمشق	الرسعني (سمع من والده في الموصل)	مهاجر
احمد بن مبارك[45] بن نوفل	الفقه	بالموصل	ت ٦٦٤ اقام	النصيبي الخرقي	قادم
الحسن بن محمد بن[46] رضي الدين بن توبة	الفقه		حي سنة ٦٨٠	الموصلي	مهاجر
الحسن بن يوسف بن الحسن[47]	الفقه الأدب	الموصل -	ت ٧١٤	الموصلي البغدادي	مهاجر
الحسين بن المبارك بن يوسف[48]	الفقه		حي ٧٤٢	الموصلي	مهاجر
عبدالعزيز بن[49] محمود	الفقه	الموصل	حي ٦٨٠	البلدجي	مقيم
علي بن محمد بن[50] يوسف	الفقه		ت ٧٣٤	الموصلي	مهاجر
علي بن احمد[51] بن بلبر	الفقه التصوف		حي ق ٧ هـ	أصله من جزيرة ابن عمر	قادم
علي بن محمد بن[52] رضا بن توبة	الفقه		ت ٧١٤		مقيم
عمر بن محمد[53] بن خلف	الفقه		حي ٦٧١	الموصلي	مهاجر
عبدالرحيم بن محمد[54] بن محمد بن يونس بن محمد بن منعة	الفقه اللغة	٥٩٨ الموصل	٦٧١	الموصلي	مهاجر
عبد الرزاق بن ابراهيم[55] بن محمود بن رفيعا	الفقه القراءات		ت ٦٧٩	الجزري الموصلي	قادم
عبدالله بن ابراهيم[56] بن محمود بن رفيعا	الفقه		٦٦٢ هـ	الجزري الموصلي	قادم
عبدالله بن علي[57]	الفقه		حي ق ٧ هـ	السنجاري	قادم
عبدالرحمن بن عمر[58] بن احمد	الفقه		حي ٦٦٦	العجلي القزويني	قادم



الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	تاريخ	النسبة	مهاجر/مقيم/قادم
عبدالرحمن بن عبد[59]الرحيم بن محمود بن بلدجي	الفقه الادب		حي ٦٧٩	البلدجي الموصلي	مهاجر
عبدالرحمن بن[60] عمر بن عثمان	الفقه الادب		ت ٦٦٩ القدس	الباجربقي	مهاجر
عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن نصر[61]	الفقه	٦٥٣ الموصل		الموصلي	مهاجر
عبدالرحمن بن عبد الدائم بن بن محمود[62]	الفقه الأدب		حي ٧٠٦	الموصلي	مقيم
عبدالكريم بن عبدالرحمن بن محمود[63]	الفقه الأدب		حي ٦٧٦	الموصلي	مهاجر
عبدالدائم بن عبدالرحيم بن عبدالرحمن[64]	الفقه الادب		ت ٦٨٠ هـ	البلدجي الموصلي	مقيم
جابر بن محمد بن بكر[65]	الفقه التصوف	٦٤٢	ت ٦٩٤	الوادياشي زار الموصل سنة ٦٦١هـ.	قادم
موسى بن محمد بن موسى بن منعة[66]	الفقه		ت ٧١٥	الاربلي ثم الموصلي	قادم

٢ – بلغ عدد اولئك الذين اهتموا بعلم الحديث وفنونه تسعة عشر رجلاً (ينظر الجدول رقم ٢)، ويعني هذا نسبة ١٥,٩٪ تقريباً من المجموع العام لأعداد المثقفين.

جدول رقم (٢)

يتضمن اعداد الموصليين الذين كان الحديث يمثل تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى.

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	ومكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر/مقيم/قادم
ابو بكر عبد[67] الرحمن بن جامع	الحديث التصوف		ت ٦٩٣	الموصلي	مهاجر
ابراهيم بن[68] محمد بن علي	الحديث الخط		حي ق ٧ هـ	الموصلي الاصل البغدادي	مقيم
احمد بن علي[69]	الحديث		ت ٦٩١	الموصلي الشهرستاني	قادم
جعفر بن احمد[70] بن ابي الغنائم	الحديث		ت ٦٩٣	الموصلي	مهاجر
عبدالرزاق بن[71] رزق الله بن ابي بكر	الحديث التفسير الفقه	٥٨٩	ت ٦٦١	الرسعني الموصلي	قادم
عبدالقادر بن محمد[72] بن مقلد بن درع	الحديث الحديث الخط		معاصر لابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ	الموصلي	مهاجر
عبدالعزيز بن[73] عمر بن مقبل	الحديث التاريخ		معاصر لابن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ)	الموصلي	مهاجر
علي بن ابي[74] السعادات بن سكن	الحديث		حي ٦٧٣	الموصلي	مقيم
علي بن مسعود[75] بن النفيس	الحديث	٦٣٤	ت ٧٠٤ دمشق	الموصلي ثم الحلبي ثم الدمشقي	مهاجر
عمر بن محمد[76] بن عمر	الحديث		ت ٧٤٧	الموصلي	مهاجر
عبدالله بن محمود بن مودود[77]	الحديث اللغة الفقه	٥٩٩	ت ٦٨٣	البلدجي الموصلي	مهاجر



محمد بن عبد[78] القاهر	الحديث الأدب	٦٩٨ الموصل		الموصلي الشهرزوري	مهاجر
محمد بن عبدالله[79] بن علي المعافى	الحديث		ت ٧٣٠	الموصلي	مهاجر
عبدالله بن محمود[80] بن مودود	الحديث اللغة الفقه	٥٩٩ الموصل	ت ٦٨٣	البلدجي الموصلي	مهاجر
محمود بن يحيى[81] بن عمر	الحديث	٦٦٠	ت ٧٣٣	التيمي الموصلي	مهاجر
محمد بن عبدالله[82] بن هبة الله	الحديث الفقه	٦١٧ الموصل	حي ٦٨٠	الواسطي	قادم
محمد بن رضي[83] بن توبة	الحديث		حي ٦٨٠	الموصلي	مهاجر
محمد بن عبد[84] الرزاق بن رزق الله	الحديث الفقه	٦٢١ رأس العين	ت ٦٨٩	الرسعني الموصلي	قادم مهاجر
محمد بن المظفر[85] بن الحسن بن الحسين بن ابي سنان	الحديث		حي ٧٠٥	الحسني الموصلي	مقيم

٣- بلغ عدد اولئك الذين كان علم تفسير القرآن الكريم، وعلم القراءات اهتمامهم الأول سبعة اشخاص، ويعني هذا نسبة ٥,٩٪ من المجموع العام (ينظر الجدول رقم ٣).

٤- يتضح مما سبق أن اولئك الذين كانت الدراسات الدينية، تمثل اهتمامهم الأول، بلغ اثنين وخمسين رجلاً (من اصل مائة وواحد وعشرين)؛ ويعني هذا حوالي ٤٣,٤٪ من المجموع العام، فاذا ما اضفنا اليهم اولئك الذين لم تذكر المصادر تخصصاتهم حصراً، وهم اربعة عشر رجلاً،

جدول رقم (٣)

يتضمن اولئك الذين كان التفسير وعلم القراءات يمثلان تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها اوتاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر/مقيم قادم
ابو بكربن خطاب[86] بن عبدالرحمن	القراءات		حي سنة ٦٧٦هـ	الموصلي	مقيم
أبو بكر بن محمد بن ابي بكر [87]	القراءات الفقه	٦٣٠ الموصل	ت ٧١٦ دمشق	الموصلي	مهاجر
احمد بن يوسف[88] بن الحسن رافع	التفسير القراءات اللغة	٥٩١ كواشة	ت ٦٨٠	الكواشي الشيباني الموصلي	مقيم
احمد بن [89] موسى	القراءات		ت ٧١٠		مهاجر
جعفر بن مكي بن[90] جعفر	القراءات فقه	ولد بالموصل ونشأ بها	ت ٧١٣ شيراز	الموصلي	مهاجر
الحسين بن حسن[91] بن عبدالله	القراءات الفقه الادب	حي ٦٧٦		الموصلي	مقيم
محمد بن عمر بن المشيع[92]	القراءات	ولد في جزيرة ابن عمر	اواسط ق ٧ هـ بالموصل	الجزري	قادم مهاجر

فان النسبة ترتفع الى ٥٥٪ من المجموع العام.

٥- بلغ عدد اولئك الذين كانت علوم اللغة العربية وآدابها، تمثل اهتمامهم الاول ثلاثة واربعين شخصاً، ويمثل هذا قرابة ٣٥,٩٪ من المجموع العام. (ينظر الجدول رقم ٤).



جدول رقم (٤)

يتضمن الموصليين الذين كانت علوم اللغة العربية وآدابها، تمثل اهتمامهم الاول الى جانب التخصصات الأخرى.

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مقيم مهاجر قادم
احمد بن ابي بكر[93] بن عبد الكريم	الادب		حي ٦٦٨	القزويني	قادم
احمد بن علي[94] بن ابي المكارم	الادب	٥٩٧	ت ٦٨٠ الموصل	الانصاري الموصلي	مهاجر
احمد بن علي[95] بن تغلب	الادب	بغداد	حي ق ٧ هـ	الموصلي البغدادي	مهاجر
احمد بن الحسن[96] بن علي	الادب		حي ٦٩٨		مقيم
الحسن بن الحسين[97] بن يوسف	الادب التصوف	٦٤٢	ت ٧١٠	الموصلي	مهاجر
الحسن بن محمد[98] بن شرفشاه	لغة فقه منطق		ت ٧١٠	الحسيني الاسترابادي	مهاجر
الحسن[99]	الادب		حي ٦٦٠	الموصلي	مهاجر
الحسين بن علي[100] بن ابي بكر	الادب	٦٩٠	ت ٧٥٩	الموصلي	مهاجر
عبد العزيز بن[101] جمعة بن زيد	اللغة الفقه	٧٢٨	ت ٦٩٦	الموصلي	مهاجر
علي بن يعقوب[102] بن شجاع	اللغة الادب الفقه القراءات	٦٢١ الموصل	ت ٦٨٢ دمشق	الموصلي	مهاجر
علي بن محمد[103] بن غالب	الادب		ت ٧٥٣	العامري الموصلي	مقيم
علي بن عدلان[104]	الادب اللغة	٥٨٣	٦٦٦	الربعي الموصلي	مهاجر
علي بن محمد[105] بن عبد العزيز ابن الدريهم	الادب الفقه الحساب	٧١٢	٧٦٢	الموصلي	مهاجر
علي بن عيسى[106] بن المنشيء	الادب		ت ٦٩٢ هـ	الاربلي	قادم
علي بن الحسين[107] بن القاسم بن منصور	اللغة الفقه	٦٨١	ت ٧٥٥	الموصلي	مقيم
عبد الرحمن بن[108] احمد بن عبد الرحمن بن عبد الأعلى	الادب	٦٦٨ نشأ بالموصل		الدقوقي	قادم
عبد الرحمن بن[109] المعلم	الادب الغناء و الموسيقى		ت ٦٦٠	الموصلي	مقيم
عبد الرحمن بن[110] علي	الادب		معاصر لابن المنشيء المتوفى ٦٩٢ هـ	الموصلي	مقيم
عبد المطلب بن[111] مرتضى	اللغة الفقه		ت ٧٣٥	الحسيني الجزري الموصلي	مقيم
المظفر بن محمد[112] بن عليش	الادب		حي ٦٧١	الموصلي	مهاجر
محمد بن ابي[113] بكر بن سيف	الادب	٥٧٩ الموصل	ت ٦٦٢	التنوخي الموصلي	مهاجر
محمد بن الحسين[114]	اللغة		حي أواخر ق ٧ هـ	الموصلي	مقيم
محمد بن خياك[115] الله	الادب		ت ٧١٤	الموصلي	مهاجر
محمد بن زين[116] الدين بن الحسن بن ابي نصر	الادب الموسيقى الطب		ت ٦٨٧	الموصلي	مقيم
محمد بن علي[117] بن احمد	اللغة الفقه	٦٨٦		الاربلي ثم الموصلي	مقيم
محمد بن عبد[118] الرحمن بن عمر بن أحمد	الادب اللغة الفقه	٦٦٦ الموصل	ت ٧٣٩ دمشق	القزويني العجلي	مهاجر
محمد بن علي بن[119] عمر بن ابي القاسم بن خروف	الادب اللغة القراءات الفقه	حدود ٦٤٠ بالموصل	ت ٧٢٧ الموصل	الموصلي	مهاجر عائد
محمد بن محمد[120] بن عبد الكريم بن رضوان	الادب	٦٩٩	حي ٧٤٨	البعلي الموصلي	مهاجر

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيها حياً	النسبة	مقيم مهاجر قادم
محمد بن يوسف[121] بن مسعود بن بركة	الادب	٥٩٢ الموصل	٦٧٥هـ الموصل	التلعفري الشيباني	مهاجر
محمد بن منصور[122]	الادب		حي ٦٧٢	الموصلي	مقيم
موسى بن الحسن[123]	الادب		ت ٧٠٠	الموصلي	مهاجر
محمد بن ميكال[124] بن احمد بن راشد	اللغة الفقه	ولد بالموصل ونشأ بها	ت ٦٨٠هـ	الموصلي	مقيم
محمد بن محمد[125] بن ابي الكرم	الادب	الموصل	حي ٦٦٠	الموصلي	مهاجر
محمد بن دانيال[126] بن يوسف	الادب	٦٤٦	ت ٧١٠	الموصلي	مهاجر
محمد بن يحيى[127] بن المفضل بن يحيى	الادب	٥٠٩	ت ٦٧٣	الموصلي	مقيم
محمد بن الحسن[128]	اللغة		ح ٦٩٠هـ	الموصلي الخليلي	مهاجر
محمد بن زين[129] الدين بن الحسن	الادب الموسيقى الطب	نشأ بالموصل	ت ٦٨٧	الموصلي	مقيم
محمد بن علي[130] بن احمد	اللغة الادب	٦٨٦	ت ٧٥٥	الاربلي ثم الموصلي	قادم
مظفر بن محاسن[131] بن علي	الادب	٨٠٧	ت ٦٨٦	الموصلي الاصل الدمشقي	مهاجر
يوسف بن عبد[132] اللطيف بن يوسف	الادب الطب		ت ٦٦٠	الموصلي	مهاجر
يوسف بن موسى[133] بن يونس بن منعة	الادب		ت ٧١٦	الموصلي	مهاجر
يحيى، نجم الدين[134]	الادب	ولد بالموصل	حي ٦٦٢	الموصلي	مهاجر
يوسف بن[135] النفيس	الادب		ت ٦٨٨ بالموصل	الاربلي	قادم

٦- بلغ عدد اولئك الذين كانت فروع المعرفة الأخرى، بما فيها العلوم العقلية، والعلوم الصرفة، تمثل اهتمامهم الأول اثنا عشر شخصاً (من أصل مائة وواحد وعشرين)، ويعني هذا نسبة ١٠٪ من المجموع العام. (ينظر الجدول رقم ٥).

جدول رقم (٥)

يتضمن الموصليين الذين تركز تخصصهم الأول على غير العلوم الدينية وعلوم وآداب اللغة العربية

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة: ومكانها او تاريخ كان فيها حياً	النسبة	مقيم مهاجر قادم
الحسين بن[136] الحسن بن منصور	الموسيقى الادب		ت ٦٨٧	الموصلي	مهاجر
داؤد بن ناصر[137] (طبيب الدولتين)	الطب		حي ٨٢٦	الموصلي	مهاجر
علي بن عثمان[138]	تاريخ		حي ق٧هـ	الموصلي	مقيم
عبد الرحيم بن[139] عبد الرحمن بن نصر	الطب الفقه	٦٥٣	ت ٧٣٠	الموصلي	مهاجر
عبد العزيز بن[140] عدي بن عبد العزيز	الطب الجبر والمقابلة الفقه	الموصل	ت ٧١٩	البلدي الموصلي	مهاجر عائد
عماد الدين[141] ابن البرهان	الفلك التنجيم		حي ٦٨٤	الموصلي	مقيم
غريغوريوس[142] (ابن العبري)	تاريخ	٦٢٤	ت ٦٨٥	الملطي	قادم
محمد بن الحسن[143]	الطب		ت ٦٩٦	الموصلي	مهاجر
محمد بن علي بن[144] طباطبا	التاريخ		ت ٧٠٩هـ	الحسني	قادم
المفضل بن عمر[145]	المنطق والفلسفة الفلك الفقه		ت ٦٦٣	الابهري	قادم
الموفق[146]	الطب		ت ٦٦٢-٦٦٣	النصيبي	قادم
الفخر[147]	الفلك		حي سنة ٦٦٠هـ	المراغي	مهاجر



جدول رقم (٦)

يتضمن الموصليين اولئك الذين لم تحدد اختصاصاتهم الأولى، وكان لهم اهتمام بالعلوم الدينية

ابراهيم بن ابي[١٤٨] القاسم بن حصان			حي سنة ٦٧٦	الموصلي	مقيم
ابو بكر بن عمر[١٤٩] بن عثمان		٦٨٠ هـ	ت ٧٥٧ هـ	الموصلي	مهاجر
احمد بن محمد[١٥٠]			حي سنة ٦٦٨	الموصلي	مقيم
الحسين بن[١٥١] محمد بن عبدالله			اقام بالقدس سنة ٧٩٧ هـ	الشيباني الموصلي	مهاجر
عبد العزيز بن[١٥٢] عثمان بن الحسن بن ثابت		الموصلي	معاصرلابن الفوطي ت٧٢٣ هـ	الانصاري	مهاجر
عبد الحي بن[١٥٣] علي بن ابي حامد			حي سنة ٧٠٦ هـ	الانصاري الموصلي	مهاجر
علي بن محمد[١٥٤] بن يوسف			ت ٧٣٤ هـ	الموصلي	مهاجر
عبد الرحمن بن[١٥٥] ابي القاسم بن يحيي			حي سنة ٦٧٦ هـ	الموصلي	مقيم
عبد الوهاب بن[١٥٦] ابراهيم			ت ٦٦٠ هـ	الجرجاني الزنجاني الخزرجي	قادم
محمد بن احمد[١٥٧] بن حسين			حي سنة ٦٧٦	الموصلي الطراح	مقيم
محمد بن المظفر[١٥٨] بن الحسن			حي سنة ٧٠٥ هـ	الموصلي	مهاجر
محمد بن زيد[١٥٩] بن محمد			ت ٦٦١ هـ	العلوي الموصلي	مقيم
محمد بن مسعود[١٦٠] بن عمر			حي في حدود سنة ٦٦٠ هـ	الموصلي	مقيم
محمد بن[١٦١] المشبشي			ت ٧١٠ هـ	الموصلي	مهاجر

اما إذا اخذنا بنظر الاعتبار تعدد التخصصات التي تمثل مجموع اهتمامات المثقفين الموصليين (اي التخصص الأول والتخصصات المرافقة)، فان نتائج التحليل للجداول المذكورة آنفاً، تكون كما يلي:

١ - بلغت التخصصات الأولى والمرافقة التي اهتم بها المثقفون الموصليون خلال حقبة التسلط الايلخاني مائة واثنتين وثمانين حالة (ينظر الجدول رقم ٧).

جدول رقم (٧)

بالتخصصات التي اهتم بها المثقفون في الموصل خلال حقبة التسلط الايلخاني

التخصص	الموضوع	العدد كما يظهر في حالة احتساب التخصص الأول كاساس	العدد كما يظهر في حالة احتساب مجموع التخصصات لكل مختص كاساس
العلوم الدينية	الفقه	٢٦	٤٨
	الحديث	١٩	٢١
	القراءات التفسير التصوف	٠٧	٢١
اهتمامات عامة	في اطار العلوم الدينية	١٤	١٤
علوم وآداب اللغة العربية	اللغة العربية	١٠	١٦
	الادب	٣٣	٤٤
علوم اخرى	الطب	٠٥	٠٨
	الفلك	٠٢	٠٣
	الرياضيات	—	٢
	المنطق والفلسفة	١	٢
	الموسيقى والغناء	١	٤
	التاريخ	٣	٣
	الخط	—	٢
المجموع		١٢١	١٨٢



٢- بلغت التخصصات الأولى والمرافقة في العلوم الدينية (فقه، حديث، قراءات، تفسير، تصوف) اربعاً وثمانين حالة، ويشكل هذا نسبة اكثر من ٤٦٪ من مجموع حالات التخصص، فاذا ما أضفنا اهتمامات اولئك الذين عنوا بالعلوم الدينية دون ان تحدد المصادر تخصصاتهم وعددهم اربعة عشر، فان النسبة ترتفع الى ٥٤٪ تقريباً.

٣- بلغت التخصصات في علوم اللغة العربية (لغة، ادب) ستين حالة، ويشكل هذا نسبة ٣٣٪ تقريباً.

٤- بلغت التخصصات في العلوم الأخرى، بما فيها التاريخ والفلك والطب والرياضيات والمنطق، اربعاً وعشرين حالة، ويشكل هذا نسبة ١٣٪ تقريباً.

أما اذا أخذنا بنظر الأعتبار أعداد المقيمين والقادمين الى الموصل والمهاجرين منها من المثقفين، فان النتائج تكون كما يلي، وكما يظهرها الجدول رقم (٧).

١- بلغت نسبة المقيمين من المثقفين الموصليين في مدينتهم في حدود ٢٧,٣٪ من المجموع العام لاعدادهم والبالغ مائة وواحداً وعشرين.

جدول رقم (٧)

يوضح اعداد المقيمين والقادمين الى الموصل والمهاجرين منها من المثقفين خلال حقبة التسلط المغولي (الايلخاني).

المقيمون	المهاجرون	القادمون	المجموع
٣٢	٦٤	٢٥	١٢١

٢- بلغت نسبة القادمين الى الموصل من المثقفين في حدود ٢٠,٧٪ من المجموع العام.

٣- بلغت نسبة المهاجرين من المثقفين الموصليين أكثر من ٥٢٪ من المجموع العام، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذه النسبة تشمل من هاجر بنفسه، أوكان من اسرة سبق لها ان هاجرت قبل الغزو المغولي، او خلاله او في اعقابه.

نخلص مما سبق، أن الحياة الثقافية في الموصل خلال حقبة التسلط المغولي (الايلخاني)، تميزت بما يلي:

١- تبدو معاناة المثقفين الموصليين واضحة في ظل التسلط الايلخاني، من ارتفاع نسبة المهاجرين منهم، ممن آثروا أن يزاولوا نشاطهم الثقافي في اقطار أخرىٰ.

٢- علىٰ الرغم من ارتفاع اعداد المهاجرين فإن حوالي ٢٨٪ من المثقفين، اتخذوا المدينة مستقراً لنشاطاتهم، فاذا، اضفنا اعداد اولئك الذين قدموا الى الموصل لأغراض ثقافية، فإن النسبة ترتفع الىٰ قرابه ٤٨٪، مما يشير الىٰ قدر من الحيوية في النشاط الثقافي والعلمي في الموصل لم يقتصر على المدينة وحدها، بل وجد له مجالاً من خلال هجرة عدد من المثقفين الىٰ المدن المجاورة في العراق وفي غيره، مما ترك بصماته في الحياة الثقافية العربية بشكل عام.

٣- إن هذا الاهتمام، والتركيز علىٰ العلوم الاسلامية، ثم آداب اللغة العربية، يمثل في نظرنا رد المدن العراقية - ومنها الموصل - على التحديات التي واجهتها، فقد مثل الغاء الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ؛ وهي آنذاك رمز وحدة العرب والمسلمين، ووقوع العراق تحت وطأة حكم المغول، وتحوله الىٰ جزء في كيان سياسي غريب عنه لغة وثقافة وديناً، وفشل المحاولات العسكرية لتحرير العراق والموصل سنة ٦٥٩ هـ، تحدياً



كبيراً دفع بالمثقفين الىٰ الاهتمام بما يؤكد هويتهم الثقافية والدينية وانتماءهم العربي الاسلامي ،[١٦٢] وقد ساعدهم على ذلك وجود عدد من المدارس التي احتفظت بنشاطاتها العلمية في هذه الحقبة ، ومنها المدرسة النورية ، ومدرسة الجامع النوري ، والمدرسة الصارمية وغيرها ، اضافة الى المساجد والجوامع التي سنأتي على ذكرها عند حديثنا عن خطط المدينة . وقد ساعد على استمرار هذه المؤسسات الدينية والعلمية ، ماكان مخصصاً لها من املاك واراض موقوفة عليها لتأمين احتياجاتها المالية[١٦٣]

٤ - إن ضآلة النسبة التي شكلتها العلوم العقلية والعلوم الصرفة ، بين اهتمامات المثقفين الموصليين ، وتباينها الكبير مع الاهتمامات بالعلوم الدينية ، وعلوم وآداب اللغة العربية يأتي متسقاً مع حالة التأزم التي كان يعانيها الفكر العربي في هذه الحقبة بشكل عام ، من سيادة الروح التقليدية المحافظة ، مما يعود في جذورة الىٰ (غلبة الاقوام ذات الجذور الرعوية من بويهيين (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ) ، وسلاجقة (٤٤٧ - ٥٩٢ هـ) وايلخانيين على مقاليد السلطة السياسية ، اعتباراً من اواسط القرن الرابع الهجري ، واستمراراً حتى القرون التالية ، والذي بلغ مداه خلال القرن السابع الهجري.[١٦٤]

٥ - مع أن نسبة الاهتمام بالعلوم العقلية والعلوم الصرفة ظهرت متدنية في الحقبة موضوعة البحث الاّ انّ من الضروري أن نشير الى ان جانباً من هذه العلوم ، وبخاصة المنطق والرياضيات ، ظل جزءاً لايتجزأ من مناهج التعليم المعمول بها آنذاك ، فقد كانت تعتبر من ضرورات الثقافة العامة لاي دارس او طالب علم .

خطط المدينة

سبقت الأثارة الى أن عمران الموصل أتسع على نحو لافت للانتباه ، في الحقبة التي سبقت التسلط المغولي الايلخاني عليها سنة ٦٦٠ هـ . اما في هذه الحقبة فيلاحظ خلو المصادر من اية معلومات عن جهد للمغول الايلخانيين في عمران المدينة ، ويعني هذا في حدوده الدنيا ، توقفاً في تطورها العمراني من جهة ، وبقاء لخططها السابقة على عهدها من جهة اخرى ، الاّ ماأصابه تخريب المغول . لاتشير المصادر الى ماأصاب عمران المدينة من تخريب جراء الغزو والحصار المغولي ، بأستثناء أمرهم بتهديم القلعة ، والسور ، بيد أن بامكاننا ان نفترض أن الأماكن التي كانت آهلة بالسكان خارج سور المدينة - كما اشير الى ذلك في المبحث الخاص بالأتابكة[١٦٥] ، لم تعد مع الوضع الجديد آمنة ، وربما يكون اهلها قد هجروها ، كما ان درجة نمو عمران المدينة وماحولها لابد أن تكون قد تقلصت بسبب الاضطرابات وفقدان الأمن .

في اطار هذه الصورة يمكن ان نحدد معالم مدينة الموصل في هذه الحقبة ، مستفيدين من مشاهدات ابن بطوطة لها سنة ٧٢٨ هـ ، وهي :

١ - سور (محكم البناء) يليه فسحة يعقبها سور آخر ، ولكليهما (ابراج كثيرة متعاقبة) .

٢ - دور السلطان (الوالي) ، وهي تتصل بالسور ، يفصل بينها (وبين البلد شارع متسع مستطيل من اعلى البلد الى اسفله) .

٣ - دور السكن : ويبدو أن وسط المدينة لم يتسع لها ، فاضطر اهلها الىٰ التوسع . قال ابن بطوطة (وفي باطن السور بيوت وبعضها على بعض ، مستديرة بجداره ، قد تمكن فتحها فيه لسعته) . كما اشار الى أن داخل المدينة كان يضم ما يأتي : جامعاً قديماً ، وآخر حديثاً ، ومشهد النبي جرجيس وقيسارية الموصل .

٤- رَبَضُ المدينة : وصفه ابن بطوطة بأنه (ربض كبير) يحتوي على :

أ : مساجد ب : حمامات جـ : فنادق د : اسواق

هـ : مسجد جامع على شط دجلة و : مارستان.

٥- ضواحي المدينة :

ذكر ابن بطوطة مجموعة من المنشآت في تل النبي يونس حددها بما يأتي :

أ : رباط ، ويعني به جامع النبي يونس

ب : بيوت كثيرة.

جـ : مقاصر ومطاهر وسقايات[١٦٦]

تلك صورة عن خطط الموصل إبّان عهد التسلط الايلخاني عليها ، وربما تفصح البحوث مستقبلاً عن اضافة او تعديل مما يجعل الصورة اكثر اكتمالاً ووضوحاً.

الهوامش

(١) ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ، المقدمة ، طبع دار البيان ، المجلد الأول ص ٤٢٠ ، ٤٣٢ انظر كذلك الصفحات ٣٣٨ ، ٣٧٩- ٣٨٠.

(٢) عن تاريخ الموصل في العهد الاتابكي انظر المبحث السابق عن هذه الحقبة.

(٣) ابن حوقل (ت ٣٦٥) ، صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ص ١٩٥.

ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٣٤٨هـ ، ص ٢١٠-٢١٢.

(٥) ابن الأثير (ت ٦٣٠) الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨ ، ج ١٠ ص ٦٥٥ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦ ، ج ١١ ص ١١ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٩٥ ، وانظر عن عهد بدر الدين لؤلؤ ، محمود حمو ياسين ، الحياة الفكرية في القرن السابع الهجري ، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة ، مقدمة الىٰ قسم التاريخ / كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٨٩ ، باشراف الدكتور احمد عبدالله الحسو ، ص ٤١.

(٦) محمود حمو ياسين ، المرجع السابق ص ٥٢/ ٥٣

(٧) انظر عن ذلك المبحث السابق

(٨) قاعدة هذا الاقليم ، هي مدينة آمد ، ويعتبر الاقليم جزءاً من اقليم الجزيرة الفراتية ، وقد جاءت التسمية بهذه الصيغة ، نسبة الى قبيلة بكر العربية التي كانت تسكن هذه المنطقة وماحواليها ، شرقي الأناضول.

(٩) علاء محمود خليل ، المغول في الموصل والجزيرة ، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة ، مقدمة الى قسم التاريخ / كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٨٥ ، باشراف الدكتور محمود ياسين احمد ، ص ١٥٤ نقلاً عن

AL-Mustwfi Nuzhat AL-Qulub. (Trans. by-G-Le-Strange), Leydo Brill, Landon 1919 p. 102

(١٠) أجابَ أحد المزارعين العراقيين علىٰ استفسار للنويري المتوفىٰ سنة ٧٣٣ هـ عن سبب التدهور في الانتاج الزراعي في العراق في عصره فقال : ((قلة الزروع ، مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو ، وحيزه العراق ، والبلاد المجاورة.)). القلقشندي (٨٢١ هـ) صبح الأعشىٰ.. ، النسخة المصورة عن طبعة بولاق ، ج ٤ ص ٣٣٢.

(١١) انظر محمود حمو ياسين ، المرجع السابق ، ص ٥٣

(١٢) ابن بطوطة (ت ٧٧٨) ، رحلة ابن بطوطة ، دار التراث ، بيروت ٩٦٨ ص ٢٢٧ – ٢٢٨

(١٣) القزويني (ت ٦٨٤هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، منشورات دار راصد ، بيروت ١٩٦٠ ص ٤٦١- ٤٦٢.

(١٤) مجهول ، الحوادث الجامعة ، مطبعة الفرات بغداد ١٥٣١ هـ (تحقيق المرحوم الدكتور مصطفى جواد ص ٤٤٦.

(١٥) ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ). كتاب الجغرافية ، ط ١ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧ (تحقيق اسماعيل العربي) ، ١٥٧.

(١٦) ماركوبولو (ت ٧٢٥) ، رحلات ماركوبولو ، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ٣٧ ؛ وينظر علاء محمود ، المرجع السابق ص ٣٧

(١٧) ابن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ) ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ١٩٦٢ ، (تحقيق المرحوم الدكتور مصطفى جواد) ، ج ٤ القسم الأول ص ٦٦ ؛ ابن رجب (ت ٧٩٥ هـ) الذيل على طبقات الحنابلة ح ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥ ، (تحقيق محمد حامد الفقي) ج ٢ ص ٤٧٢ ؛ الديوه جي ، اعلام الصناع المواصلة ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ١٩٧٠ ص ٦٧.

(١٨) ابن بطوطة ، المصدر السابق ص ٢٢٨- ٢٢٩

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ص ١٥٧.

(٢١) القزويني ، المصدر السابق ص ٤٦٢.

(٢٢) العبيدي ، التحف المعدنية الموصلية.

(٢٣) ابن العبري (ت ٦٨٥) تاريخ مختصر الدول ، نشره الاب انطوان اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٠ ص ؛ ابن بطوطة ، ص ٢٢٧٠ ، ٢٣٤

(٢٤) ابن بطوطة ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٢٥) المصدر نفسه

(٢٦) يونس ، سالم العراق في السياسة المملوكية ، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة ، مقدمة الىٰ قسم التاريخ / كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٨٩ ، باشراف الدكتور احمد عبدالله الحسو ص ٤٧.

(٢٧) المرجع نفسه. وينظر فيه الملحق رقم (٤) والملحق رقم (٥) ،



كذلك ص ١٦ ومابعدها ، وهامش (١) كذلك .

(٢٨) المرجع نفسه ، ص١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، وانظر عن المجد السلامي فيه ص١١٧ هامش ٥ .

(٢٩) ابن العبري ، ص٣٨٧ - ٣٨٨ وينظر علاء محمود ، المرجع السابق ص١٦٥ - ١٦٦ ، الحوادث الجامعة ص٤٤٦ .

(٣٠) ينظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٦ (تحقيق محمد سيد جاد) ج٢ ص١٤١ ؛ ج٣/ ١٠٦ ؛ ج٤/ ٥٧ - ٥٨ ، وينظر علاء محمود ، المرجع السابق ص١٧٠؛ ابن الفوطي ،المصدر السابق ج ٤ ق ٢ ص ١٠٥٤ .

(٣١) ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ٤/ ٥٧ - ٥٨ .

(٣٢) المصدر نفسه ج٣/ ١٠٦ .

(٣٣) ماركوبولو ، المصدر السابق ص ٤٢ وينظر علاء محمود ، المرجع السابق ص ١٧١ .

(٣٤) انظر المبحث السابق.

(٣٥) الحوادث الجامعة ص٤٤٦ ، ٤٤٨ .

(٣٦) ابن بطوطة ، ص٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٣٧) ابن المنشيء الاربلي (ت ٦٩٤هـ) ، التذكرة الفخرية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ ص ١١٢ ، ١١٤ .

(٣٨) المرجع نفسه ، ص ١٣٦ .

(٣٩) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ - ١٧٠ .

(٤٠) المرجع نفسه ، ص ١٨٩ .

(٤١) كحالة ، معجم المؤلفين ج١/ ١٠ .

(٤٢) الدرر الكامنة ج١/ ١٢٠١ .

(٤٣) المصدر نفسه ج١/ ١٢١٢ .

(٤٤) ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق احمد يوسف نجاتي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ ج١/ ٨٤ (٤٦) .

(٤٥) الصفدي (ت ٧٦٤) ، الوافي بالوفيات ، طبعة جمعية المستشرقين الألمانية ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ،ج٧/ ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٤٦) ابن الفوطي ، المصدر السابق ج٥ ق٢/ ١٦٣ .

(٤٧) المصدر نفسه ج٤ ق١/ ١١٢ (١٢٤) .

(٤٨) الدرر الكامنة ج٢/ ٢٦٠٩ .

(٤٩) اللكنوي ، محمد عبدالحي (ت ١٣٠٤هـ) ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، كراجي ، ص١٠٦ .

(٥٠) الدرر الكامنة ج٣/ ٢٩٠٢ .

(٥١) اليونيني (ت ٧٢٦هـ) ، ذيل مرآة الزمان ، طبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠ ، ج٣/ ١٥٧٥ .

(٥٢) ابن الفوطي ، المصدر السابق ج ٤ ق٢/ ١٥٧٥ .

(٥٣) المصدر نفسه ج٥ ق١ (٢٠٤) .

(٥٤) اليونيني ، المصدر السابق ج٣/ ١٤ ؛ مجهول (منسوب لابن الفوطي) الحوادث الجامعة - ص٣٦٤ .

(٥٥) ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب .. ، بيروت ، ج٥/ ٣٣٢ .

(٥٦) ابن رجب ، ج٢/ ٢٩٨ ؛ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، غاية النهاية في طبقات القراء ، نشره برجستراسر ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٩٣٢م ج١/ ٤٠٣ .

(٥٧) ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، ابناء الغمر في ابناء العمر ، تحقيق الاستاذ الدكتور حسن حبشي ، لجنة إحياء التراث ، القاهرة (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ج٢/ ١٣٠ .

(٥٨) ورد ذكره ضمن ترجمة ابنه محمد ، وقد اشير فيها الى أنه - اي محمد - درس على والده في الموصل قبل هجرتهم منها ، انظر ادناه هامش ١١٨ .

(٥٩) ابن الفوطي ، المصدر السابق ج ٤ ق٢/ ٧٥٩ (١١٠٠) .

(٦٠) الأسنوي (ت ٧٧٢هـ) ، طبقات الشافعية ، تحقيق عبدالله الجبوري ، بغداد ١٣٩٠ هـ ، ج١ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ (٢٦١) .

(٦١) الدرر الكامنة ج٢/ ٤٦٥ ؛

(٦٢) ابن الفوطي ، المصدر السابق ج ٤ ق٢/ ١٠٩٩ .

(٦٣) المنهل الصافي ، ج١/ ٢١١ ؛ ناجي معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ، مطبعة هاني ، بغداد ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م ، ج٢/ ٢٣٠ .

(٦٤) ابن ابي الوفاء (ت ٧٧٥هـ) الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ، حيدر آباد الدكن ١٩١٣ ، ج١/ ٢٩٨ .

(٦٥) ابن الخطيب ، الأحاطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، دار المعارف ، القاهرة ج١/ ٣٥٠ .

(٦٦) الدرر الكامنة ج٥/ ٤٨٩٧ ؛ شذرات الذهب ج٦/ ٤٣ - ٤٤ .

(٦٧) الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، المعجم المختص ... ، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، الطائف ١٩٨٨ ، ص٣٠٥ .

(٦٨) الدرر الكامنة ج١/ ١٧٠ .

(٦٩) السلامي (ت ٧٧٤هـ) ، منتخب المختار ، المسمّى بتاريخ علماء بغداد ، من انتخاب التقي الفاسي (ت ٨٣٢هـ) ، تحقيق عباس العزاوي ، مطبعة الأهالي ، بغداد ١٩٣٨ ص ٣٦ ، ٣٧ (٢٧) .

(٧٠) الفاسي (ت ٨٣٢هـ) العقد الثمين .. تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٦٤ ج٣/ ٤١٧ .

(٧١) شذرات الذهب ج٥/ ٣٠٥ ؛ ابن رجب ج٢/ ٢٧٤ (٣٨٦) .

(٧٢) ابن الفوطي ، المصدر السابق ج٤/ ق٢ (١١١٨) .

(٧٣) المصدر نفسه ج٤/ ق١ (٢٧٨) .

(٧٤) المصدر نفسه ج٤/ ق٣ (٢٢٢٩) .

(٧٥) الدرر الكامنة ج٣/ ٢٠٣ (٢٩١٦) ؛ ابن رجب ، المصدر السابق ، ج٢/ ٣٥١ (٤٦٣) .

(٧٦) الدرر الكامنة ج٣/ ٣٠٧٩ .

(٧٧) منتخب المختار ، ص٧٥ (٧٠) .

(٧٨) الوافي بالوفيات ، ج٣/ ٢٧٥ (١٣١٧) ؛ الدرر الكامنة ، ج٤/ ٣٩٣٤ .

(٧٩) الدرر الكامنة ج٤/ ٣٧٩٩ .

(٨٠) شذرات الذهب ج٥/ ٣٦٣ ، ابن رجب ج٢/ ٤٠٣ .

(٨١) الدرر الكامنة ج٥/ ٤٨٨٨.
(٨٢) ابن الفوطي، المصدر السابق ج٥/ ١ (٤١٧).
(٨٣) المصدر نفسه ج٥/ ٢ (١٦٣).
(٨٤) منتخب المختار، ص١٨٧ (١٦١)؛ الوافي بالوفيات، ج٣/ ٢٥١؛ ابن رجب، المصدر السابق ج٢/ ٤٣٢.
(٨٥) ابن الفوطي ج٤ ق٣ (٢٤٣٥).
(٨٦) ناجي معروف، المرجع السابق ج٢/ ٢٢٤.
(٨٧) الدرر الكامنة ج١/ ٤٨٩ (١٢٢٩)، ابن الجزري، غاية النهاية ج١/ ١٨٣.
(٨٨) اليونيني، المصدر السابق ج٤/ ١٠٤؛ الوافي بالوفيات، ج٨/ ٢٩١، ٢٩٢.
(٨٩) ابن الجزري، غاية النهاية ج٢/ ٤٣؛ الدرر الكامنة ج١/ ٨١٥.
(٩٠) ابن الجزري، ج١/ ١٩٨ (٩١٤).
(٩١) ناجي معروف، المرجع السابق ج٢/ ٢٢٤.
(٩٢) منتخب المختار، ص١٩٧ (١٦٩)؛ الدرر الكامنة، ج١/ ١٢١٣.
(٩٣) ابن الفوطي، المصدر السابق ج٥/ ٢ (١١٣).
(٩٤) المصدر نفسه ج٥/ ٢ (١٧٣).
(٩٥) منتخب المختار ص٣٥، ٣٦.
(٩٦) المنهل الصافي ج١/ ٢٥١.
(٩٧) ابن الفوطي، المصدر السابق، ج٤ ق١ (٧٣).
(٩٨) اليونيني، المصدر السابق ج٤/ ٢٥٥؛ السيوطي (ت ٩١١هـ) بغية الوعاة ج١/ ٥٢١، شذرات الذهب ج٦/ ٤٨.
(٩٩) وردت اشارة اليه تفيد انه كان حياً سنة ٦٦٦هـ، ضمن ترجمة ابنه موسى انظر الدرر ج٥ /٢٥ (١٧٨)
(١٠٠) المصدر نفسه ج٢/ ١٥٩٨.
(١٠١) ابن الفوطي، المصدر السابق ج٤ ق١ (٢٦٤)، العزاوي، تاريخ الأدب العربي ج٢/ ١٦٤ (٩).
(١٠٢) اليونيني، المصدر السابق ج٦/ ١٩٢؛ شذرات الذهب ج٥/ ٣٧٩؛ معرفة القراء الكبار... دار التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٧ ص٥٤٩.
(١٠٣) ذيل كشف الظنون ج٣/ ٤٨٨.
(١٠٤) ابن الجزري، غاية النهاية ج١/ ٥٨٤.
(١٠٥) الدرر الكامنة ج٣/ ١٨١.
(١٠٦) الوافي بالوفيات ج٣/ ٥٧ (٣٤٧).
(١٠٧) الدرر الكامنة ج٣/ ٢٧٣.
(١٠٨) المصدر نفسه ج٢/ ٤٢٩ (٢٢٧٧).
(١٠٩) اليونيني، المصدر السابق ج١/ ٥٠٦.
(١١٠) ابن المنشىء، التذكرة ص ١٨٨
(١١١) الدرر الكامنة ج٣/ ٢٨ (٢٥١٦).
(١١٢) ابن الفوطي، المصدر السابق ج٥/ ٢ (٢٩٠).
(١١٣) اليونيني، المصدر السابق ج٢/ ٣١٠.
(١١٤) ابن رجب، ج٢/ ٤٧٦؛ شذرات الذهب ج٦/ ٣٦.
(١١٥) شذرات الذهب ج٦/ ٣٥.
(١١٦) ابن الفوطي، المصدر السابق ج٥ ق٢ (٢٥١)؛ العزاوي، الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان، بغداد ١٩٥١ ص٣٥.
(١١٧) الدرر الكامنة ج٤/ ٤٠٢٣؛ بغية الوعاة ج١/ ١٧٥.
(١١٨) الوافي بالوفيات ج٣/ ٢٤٢ (١٢٥٥)، الاسنوي (ت ٧٧٢م)، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٩، ٣٣٠ (٩٦٣).
(١١٩) المصدر نفسه ج٤/ ٢٢٩ (١٧٥٨)؛ ابن رجب، المصدر السابق ج٢/ ٣٨١ (٤٩١)؛ الدرر الكامنة ج٤/ ٤٠٨٠؛ شذرات الذهب ج٦/ ٧٨.
(١٢٠) الوافي بالوفيات ج١/ ٢٦٢ (١٦٧).
(١٢١) المصدر نفسه ج٥/ ٢٢٥ (٢٣٣٧).
(١٢٢) اليونيني، المصدر السابق ج٣/ ١٤٨؛ العزاوي، تاريخ الأدب العربي ج١/ ٢٥٥ (١٠).
(١٢٣) الدرر الكامنة ج٥/ ١٤٥ (٤٨٧٨).
(١٢٤) بغية الوعاة ج١/ ٢٥٤ (٤٧١).
(١٢٥) ابن الفوطي ج٥/ ٢ (٢٧٦).
(١٢٦) الوافي بالوفيات ج٣/ ٥١ (٩٥١)؛ الدرر الكامنة ج٤/ ٥٤.
(١٢٧) اليونيني، المصدر السابق ج٣/ ١٠٢.
(١٢٨) ابن رجب، المصدر السابق ج٢/ ٤٧٦، شذرات الذهب ج٦/ ٣٦.
(١٢٩) ابن الفوطي ج٥/ ٢ (٢٥١).
(١٣٠) الدرر الكامنة ج٥/ ١٤٥ (٤٨٧٨).
(١٣١) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات... تحقيق الدكتور احسان عباس، دار الثقافة، دار راصد، بيروت ١٩٧٣/ ١٩٧٤، ج٤/ ١٥٠.
(١٣٢) اليونيني، المصدر السابق ج٢/ ١٨٠.
(١٣٣) الدرر الكامنة ج٥/ ٢٥١.
(١٣٤) ابن المنشئ الاربلي، التذكرة الفخرية. ص١٨٩؟
(١٣٥) العزاوي، تاريخ الأدب العربي ج١/ ٢٥٩.
(١٣٦) العزاوي، الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان، بغداد ١٩٥١، ص٣٥، (نقلاً عن مسالك الأبصار).
(١٣٧) البغدادي، ذيل كشف الظنون ج٣/ ٤٢٥؛ هدية العارفين ج٥/ ٣٦٠.
(١٣٨) مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٩ (سنة ١٩٦١)، ص١٣٢.
(١٣٩) الدرر الكامنة ج٢/ ٢٣٨٨.
(١٤٠) المصدر نفسه ج٢/ ٤٨٧ (٢٤٤١)؛ السبكي، المصدر السابق ج٨/ ٢٥٧ (١١٨٥) والحاشية رقم (٢).
(١٤١) التقى به الشيخ شرف الدين السنجاري بالموصل سنة ٦٨٤هـ ووصفه برأس المنجمين فيها. انظر ابن آيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هارمان، القاهرة ١٩٧١، ج ٨ ص ٢٧٢.
(١٤٢) علاء محمود، المرجع السابق ص٢٠٢.
(١٤٣) الدرر الكامنة ج٣/ ٢٧٩.
(١٤٤) ابن الفوطي، المصدر السابق ج٤ ق٣ (٢٢٧٩).
(١٤٥) شذرات الذهب، ج٥/ ٣٦٣.
(١٤٦) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، العدد (٥٠) ١٩٥٦، ص١٤٤ نقلاً عن علاء محمود، المرجع السابق.
(١٤٧) الهمداني، رشيدالدين فضل الله (ت ٧١٨هـ)، جامع



التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد، القاهرة ١٩٦٠، مجلد ٢ ج١/ ٣٤.

(١٤٨) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية ج٢/ ٤٢٥.

(١٤٩) الدرر الكامنة ج١ / ٤٨٤.

(١٥٠) العاملي، اعيان الشيعة، دمشق ١٩٣٨، ج١٠/ ١٢٨.

(١٥١) انظر المبحث المشار اليه اعلاه.

(١٥٢) ابن الفوطي ج٤ ق١ (٢٧٥).

(١٥٣) المصدر نفسه ج٥ ق١ (٣٨٨).

(١٥٤) الدرر الكامنة ج٣/ ٢٩٠٢.

(١٥٥) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية ج٢/ ٢٢٥.

(١٥٦) كحالة، ج٦/ ٢١٦.

(١٥٧) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية ج٢/ ٢٣٤.

(١٥٨) الدرر الكامنة ج٤/ ٤٠٢٣.

(١٥٩) ابن الفوطي، المصدر السابق ج٥/ ١ (٢٣٤).

(١٦٠) ابن رجب ج٢/ ٤٩١.

(١٦١) الوافي بالوفيات ج٣/ ٢٢ (٨٨٧).

(١٦٢) محمود حمو ياسين، المرجع السابق، ص٥٢، ٥٣، ٥٤.

(١٦٣) كان لنظام الأوقاف دوره الكبير في انعاش الحركة العلمية والثقافية، فقد ظلت ايرادات الأملاك الموقوفة على خدمات المدارس والجوامع وغيرها، المنفذ لاستمرار هذه المؤسسات في اوقات الاضطرابات والتقلبات السياسية.

(١٦٤) محمود حمو ياسين، المرجع السابق، ص ٥٠ وانظر ص ٣١ وما بعدها، كذلك ص١٦٦ – ١٦٩.

(١٦٥) ابن بطوطة. ٢٢٨ – ٢٢٩.

(١٦٦) المرجع نفسه.

الموصل في عهد السيطرة الجلائرية
٧٣٦–٨١٤هـ/ ١٣٣٥–١٤١١م

د. احمد عبدالله الحسو

خضع العراق للحكم الجلائري[١] في اعقاب انهيار دولة المغول الايلخانيين سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م[٢]، ذلك ان امراء البيت المغولي دخلوا صراعاً بعضهم مع بعض لاقتسام املاك الدولة المنهارة[٣]. ولقد كان الشيخ حسن الجلائري المعروف بالشيخ حسن الكبير، أحد هؤلاء الأمراء، وكان آنذاك والياً على بلاد الروم[٤]. بدأ الشيخ حسن تحركه، بفرض هيمنته سنة ٧٣٦هـ وما بعدها، على اجزاء من اقليم (ديار بكر العربي)[٥] الذي كان يشمل في هذه الحقبة مدن الموصل، واربل، وماردين، وجزيرة ابن عمر، وميافارقين، ورأس العين، وسنجار. وبقدر تعلق الامر بالموصل– موضوع بحثنا هنا–، شهدت المدينة عدة صدامات بين أميرها آنذاك ابراهيم بن شاد بن بارنباي بن سوتاي، وبين الشيخ حسن، الذي تمكن من السيطرة عليها سنة ٧٣٧هـ[٦]، فأصبحت بذلك جزءاً من الدولة التي اسسها في كل من العراق وبلاد فارس واستمرت حتى سنة ٨١٤هـ[٧].

يمكن ان نقسم حقبة التسلط الجلائري على الموصل الى مرحلتين:

أولاً: مرحلة الحكم المباشر:

تبدأ هذه المرحلة مع تمكن الشيخ حسن من بسط نفوذه على اقليم ديار بكر– والموصل مركزه– بين سنتي ٧٣٦هـ، ٧٣٩هـ، وتنتهي بسنة ٧٥٧هـ[٨]، عندما تحالف السلطان اويس بن الشيخ حسن الجلائري مع امارة قره قوينلو مطلقا يدها لاخماد ثورة قامت ضده في الموصل[٩].

واجه الشيخ حسن مع بداية هذه الحقبة:

أ: ثورة القبائل الكردية والتركمانية القريبة من الموصل.



ب: قيام المماليك بشن هجمات عسكرية عديدة على الموصل ومدن العراق الأخرى.

ويبدو ان ضغط القوات المملوكية كان قوياً، فقد ذكر المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ان الامير تنكز؛ نائب الشام المملوكي **«عدى الفرات مراراً... وخافه أهل بغداد والموصل، فجلا كثير منهم، وخافته الأكراد والتركمان والعربان بأجمعهم»**[١٠]، مما دفع الشيخ حسن الى فتح باب المفاوضات معهم، معلناً تبعيته لهم، واستعداده لتسليم مدن العراق كافة، الى جيش يرسلونه لهذا الغرض[١١]. وقد قامت فعلاً اتصالات دبلوماسية بين الطرفين استمرت حتى سنة ٧٤١هـ؛ اوضح المقريزي بعض جوانبها، فقد اشار ضمن احداث سنة ٧٤٠هـ قائلاً:

«وفيها، قدم رسول الشيخ حسن... بكتابه، يتضمن طلب عسكر يتسلم بغداد، والموصل، وعراق العجم، ليقام بها الدعوة للسلطان»[١٢].

كما أشار الى قدوم رسول آخر في السنة التالية فقال:

«قدم ابراهيم شاه، ابن اخي الشيخ حسن.. في مئتي فارس.. ثم احضروا بين يدي السلطان... وفيهم قاضي بغداد، وقاضي الموصل، وقاضي ديار بكر، فقدموا... كتاب الشيخ حسن ونسخة أيمانها، وايمان عامة اهل بلادهم من الامراء، والاجناد، وأرباب المعايش بطاعة السلطان، وانهم من جنده، ومقاتلة من عاداه، وقدموا الخطبة التي خطب بها للسلطان في بغداد، والموصل، وديار بكر..»[١٣].

لقد كان هذا التحرك الجلائري موضع ترحيب من الموصليين، رغبة في الانضواء تحت لواء الخلافة العباسية التي كان مقرها آنذاك في القاهرة، وهو امل ظل يراودهم منذ احياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة ٦٥٩هـ، في أعقاب سقوطها في بغداد سنة ٦٥٦هـ[١٤].

ومع ما اظهره الشيخ حسن من حماس لتنفيذ افكاره، فقد تراجع عنها فجأة سنة ٧٤١هـ، بسبب ما واجهه من معارضة قوية، تزعمتها مجموعة من الامراء الجلائريين المتنفذين[١٥]. ولقد عرَّض هذا التغيير المفاجئ منطقة الجزيرة –والموصل مركزها– الى اضطراب سياسي، حيث شهدت الست عشرة سنة التي اعقبت التاريخ المشار اليه (٧٤١–٧٧٧هـ) جملة مستجدات، يمكن ان نجملها بما يأتي:

١– خرجت الموصل عن ولائها للجلائريين سنة ٧٥١هـ، إثر تمكن امير سنجار بدرالدين حسن بن هندو من السيطرة عليها[١٦].

٢– شعر المماليك بمخاطر بدر الدين، وبخاصة بعد تحالفه مع امارة قرة قوينلو، وقيامه بقطع الطرق، فقاموا بمهاجمته، وتمكنوا منه، فأعلن تبعيته لهم، وأقام الخطبة في الموصل باسم السلطان المملوكي. وقد اشار المقريزي الى ذلك ضمن احداث سنة ٧٥١هـ فقال: «قدم الخبر ان هندو؛ احد الاكراد، استولى على بلاد الموصل، وصار في جمع كبير يقطع الطريق، والتحق به نجمة التركماني، فاستنابه، وتقوى به، وركب (هندو) الى سنجار، وتحصن بها وأغار على الموصل، ونهب وقتل، ومضى الى الرحبة، وأفسد بها، ومشى على بلاد ماردين، ونهبها، فخرجت اليه عساكر الشام، وحصروه بسنجار ومعهم عسكر ماردين، ونصبوا عليها المنجنيق مدة شهر حتى طلب هندو الأمان، على ان يقيم الخطبة للسلطان، ويبعث بأخيه، ونجمة [التركماني] في عقد الصلح، ويقطع قطيعة يقوم بها كل سنة...»[١٧]

٣– على الرغم من ان الجلائريين تمكنوا من استعادة هيمنتهم على الموصل سنة ٧٥٤هـ، في اعقاب مقتل بدر الدين هندو، فقد ثارت المدينة في وجههم بعد ثلاث سنوات من التاريخ المشار اليه، مستغلة وفاة الشيخ



حسن (سنة ٧٥٧هـ) ووصول ابنه أويس الى السلطنة، وكذلك فعلت مدينة سنجار القريبة منها، واعلنت المدينتان ولاءهما ثانية للماليك، وخطبوا فيها لهم[١٨].

٤- استقبل الماليك موقف المدينتين بترحاب كبير، وقاموا بارسال (صناجق خليفية، وسلطانية، وتقاليد وخلع)[١٩].

أمام هذه الأوضاع القلقة في الموصل والجزيرة، سواء بفعل اضطراب الجبهة الداخلية التي كان ولاؤها الحقيقي يتجه نحو الماليك والخلافة العباسية، او تحت تأثير الضربات العسكرية المملوكية المتوالية، لجأ السلطان اويس بن الشيخ حسن (٧٥٧-٧٧٦هـ) للاستعانة بأمارة قرة قوينلو التي كان اتباعها من التركمان يتجولون بقطعانهم بين بحيرة (وان) في آسيا الصغرى، وبين الموصل، طالباً منهم اخضاع المدينة وإعادتها الى الهيمنة الجلائرية. جاء هذا الطلب من[٢٠] السلطان الجلائري مشجعاً، فقد كانت امارة قرة قوينلو في دور التكوين، وكانت بأمس الحاجة الى ان تحصل على مزيد من المراعي، والأراضي الخصبة لتلبية حاجة القبائل المتحالفة تحت قيادتها، كما كانت بحاجة الى تأمين حياد الجلائريين[٢١]، امام تحركها في الأراضي المجاورة لهم، لذا فان كلاً من الأمير بيرم خواجة، وابن اخيه الأمير قرة محمد اللذين كانا ابرز زعماء التحالف المشار اليه، رحبا بطلب السلطان اويس، وعقدا اتفاقاً معه، على أن يكونا الى جانبه «كلما داهمه عدو»، مقابل تعهده بعدم التدخل في شؤونهم الداخلية،[٢٢] ولقد شكل هذا التحالف نقطة تحول كبيرة في حياة مدينة الموصل والجزيرة، كما سنجد في الفقرة التالية.

ثانياً: مرحلة الحكم غير المباشر

تمثل هذه المرحلة التي امتدت اكثر من نصف قرن (٧٥٧هـ - ٨١٤م) حالة تأرجح في ولاء الموصل، بين الجلائريين من جهة، وإمارة قرة قوينلو من جهة ثانية، ذلك ان نجاح الأمارة بالقضاء على تمرد المدينة، واعادتها الى الهيمنة الجلائرية، منحها مكانة خاصة ترسخت معها اقدامها في المناطق المحيطة بالموصل، واتاح لها معرفة اوسع باوضاع المدن والمناطق المجاورة، ومهد الطريق لأزاحة الجلائريين عن الموصل وما حولها، وحكمها من قبلهم[٢٣]، وهو مايمكن ملاحظته من المستجدات الآتية:

١- اعلنت امارة قرة قوينلو استقلالها بحكم الموصل سنة ٧٦٥هـ، بيد أن ردّ الفعل الجلائري جاء قوياً، فقد تمكن السلطان اويس سنة ٧٦٧هـ من استعادتها وضرب السكة فيها باسمه، كما اسر الوالي التركماني (برد خجا)[٢٤].

٢- استعادت إمارة قرة قوينلو السيطرة على الموصل سنة ٧٧١هـ، ولكنها اضطرت الى التخلي عنها سنة ٧٧٣/٧٧٤هـ، ثم استعادتها ثانية سنة ٧٧٦هـ[٢٥].

٣- خضعت المدينة سنة ٧٧٧ هـ الى احد التركمان الخارجين على امارة قرة قوينلو، فقد ذكر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) أن الموصل كانت تحكم في السنة المشار اليها من قبل أمير تركماني اسمه (بيرم)، وان هذا الأمير حوصر فيها من قبل سميّة بيرم خواجة، امير تركمان قرة قوينلو[٢٦]، وأن الصراع بينهما انتهى سنة ٧٧٨هـ باستسلام الأول، وتصاهره مع الثاني الذي هيمن على المدينة، وعين اخاه (برد خجا) والياً عليها[٢٧].

٤- رفض الجلائريون خطوة الامير بيرم خواجه هذه، ووجدوا فيها خطورة على كيانهم السياسي، مما جعلهم يدعون كبار أمرائهم لعقد اجتماع للقوريلتاي[٢٨] في السنة ذاتها في مدينة اوجان، قرب تبريز لتدارس وضع الموصل. وقد اتخذ المجلس قراراً بضرورة التخلص من الامير المشار اليه[٢٩].

٥- تمكن السلطان الجلائري حسين بن اويس



(٧٧٦ - ٧٨٤هـ) من اخضاع بيرم خواجة له، وقد توصل الطرفان الى حل وسط حيث رضي الجلائريون به او بمن يمثله حاكماً للموصل في اطار تبعيته لهم[٣٠].

٦- ترسخ هذا التحالف في عهد كل من السلطان الجلائري احمد بن اويس[٣١] الذي حل في السلطنة بعد وفاة اخيه حسين سنة ٧٨٨هـ، والأمير قرة محمد[٣٢] الذي تولى إمارة قرة قوينلو بعد وفاة اخيه بيرم خواجة سنة ٧٨٢هـ، فقد كان كل منها بحاجة الى الآخر، إذ واجه الأول معارضة لحكمه في كل من بغداد وتبريز، وكان الثاني بحاجة الى توسيع نفوذه في المنطقة، وكان من مظاهر ذلك انها عقدا مصاهرة بينها تم بموجبها زواج السلطان احمد من ابنة الأمير قرة محمد، وقد تجلت ثمرة هذاالتحالف بوقوف الأخير الى جانب صهره في التصدي لمعارضيه سنة ٧٨٥هـ[٣٣]، بيد أنه اشترط ان تكون قيادة الجيش له حتى بالنسبة للقوات الجلائرية، والاّ يتدخل أحد غيره في حركة وتنقل الجيش، وأن تكون الغنائم له، مما يوضح مدى الطموحات التي كان يهدف اليها[٣٤].

يتضح مما اوردناه اعلاه أن مرحلة الحكم غير المباشر للموصل، شهدت رسوخاً لنفوذ إمارة قرة قوينلو، على حساب النفوذ الجلائري فيها، والذي كاد ان يكون انحساراً تاماً. ويبدو أن الصراعات الأقليمية المعاصرة[٣٥] وبخاصة بروز الخطر التيموري منذ الربع الأخير من ق ٨هـ / ١٤م وما تضمنه من مخاطر على كيان الدولة الجلائرية، هو الذي يقف وراء غياب اي رد فعل جلائري حاسم، تجاه تزايد نفوذ امارة قرة قونيلو في الموصل وما حولها، وبخاصة في عهد الامير قرة يوسف الذي حكم المدينة كما لو انها مستقلة عن الحكم الجلائري[٣٦] بيد أن غياب تيمورلنك (ت سنة ٨٠٧هـ) وتضاؤل المخاطر التيمورية في عهد ابنه شاه رخ (٨٠٧-٨٥٧هـ)، شجع السلطان احمد الجلائري، على التحرك لكبح جماح امارة قرة قونيلو، واستعادة النفوذ الجلائري في الموصل والجزيرة فالتقى جيشاهما قرب تبريز سنة ٨١٣هـ، ولكن نتائج المعركة لم تكن لصالحه، فقد تمكن الأمير قرة يوسف منه، وامر بقتله مسجلاً بذلك نهاية للدولة الجلائرية وبداية لهيمنة إمارقرة قوينلو المباشرة على الموصل والعراق وبلاد فارس[٣٧].

مع سنة ٨١٣/ ٨١٤هـ، تنطوي صفحة من حياة مدينة الموصل لم يتمكن الجلائريون خلالها من اضفاء مايدفع بمسيرتها نحو الأفضل، فقد تركوها نهباً للقوى المحلية، وكانوا عاملاً في دخولها حقبة حالكة في حياتها، امتدت قرناً كاملاً من الزمن (٨١٤هـ - ٩١٤هـ)، وهو ما سنعالجه في المباحث التالية.

الهوامش

(١) نسبة الى قبيلة جلاير، وهي قبيلة كبيرة كانت تسكن شرقي منغوليا على مقربة من نهر (اونن ؟. شغل امراء هذه القبيلة وظائف عسكرية وادارية كبيرة في العهد الايلخاني. انظر عنهم الفصل الأول من كتاب الدكتور نوري العاني: **العراق في العهد الجلائري** (ص ١٩ فما بعدها)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

(٢) حكمت الدولة الايلخانية التي اسسها هولاكو في العراق وبلاد فارس بين سنتي ٦٥٧هـ، ٧٣٦هـ. انظر عنها: C.E., Bosworth, *The Islamic Dynasties*, Edinburgh university, Edinburgh 1980 pp. 149 — 151.

(٣) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٢ ص ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٤ وانظر هامش (١) فيها، ٤٠٧ وانظر هامش ٢ فيها، الغياثي، **التاريخ الغياثي**، (الفصل الخامس من سنة ٦٥٦- ٨٩١هـ)، دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٥ ص ٨٢.

(٤) عين الشيخ حسن حاكماً على بلاد الروم سنة ٧٣٣هـ وبقي فيها حتى سنة ٧٣٦هـ. انظر العاني، **العراق في العهد الجلائري**، ص ٢٢.

(٥) تتباين المصادر البلدانية في تحديد المدن التابعة لهذا الأقليم. انظر العاني، نوري عبد الحميد، العراق في العهد الجلائري ص ٣٨، ٣٩، وانظر هامشه (٢١) ص ٦١.

(٦) المرجع نفسه ص ٥١.

(٧) تعتبر بعض المراجع سنة ٧٣٨ هـ بداية لعهد هذه الدولة. انظر: العاني، المرجع السابق، ص ٥، ٢٢، ٢٣، الغياثي، المصدر السابق، ص ٨٤.



(٨) العاني ، المرجع السابق ص ٥١ .
(٩) المرجع نفسه .
(١٠) المقريزي ، المصدر السابق .. ج ٢ ق ٢ ص ٥١٢ .
(١١) العيني ، محمود ، تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر ، (نسخة الباحث ، مصورة عن نسخة المتحف البريطاني رقم ٢٢٣٦٠) ، ورقة ٣٨-أ .
(١٢) المقريزي ، المصدر السابق ، ج ٢ ق ٢ ص ٤٨٩ .
(١٣) العيني ، تاريخ البدر ... ، ورقة ٤١-أ ، انظر السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٥١٩ ، ٥٢٠ .
(١٤) انظر عن ذلك المولى ، سالم ، العراق في السياسة المملوكية ، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ، مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٨٩ ، باشراف الدكتور احمد الحسو ، ص ٩٤ فما بعدها .
(١٥) المقريزي ، المصدر السابق ج ٢ ق ٢ ص ٥٢١ ، ٥٢٢ وانظر المولى ، المرجع السابق ص ١٢٨ فما بعدها ، كذلك المصادر التي اعتمد عليها .
(١٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ق ٢ ص ٨٣٠ .
(١٧) العيني ، المصدر السابق ، ورقة - ٥٦ ، المقريزي ، المصدر السابق ج ٢ ق ٢ ص ٨٣٠ .
(١٨) العاني ، المرجع السابق ، ص ٥١ .
(١٩) العيني ، المصدر السابق ، ورقة ٥٦ .
(٢٠) العاني ، المرجع السابق ، ص ٥١ .
(٢١) وردت القبائل التركمانية المنضوية تحت قيادة امارة قرة قوينلو ، الى شرق الأناضول من تركستان الشرقية ، تحت تأثير الغزو المغولي . ورغم انهم اسسوا كياناً سياسياً لهم ، الا انهم - كجيرانهم تركمان الآق قوينلو - ظلوا محتفظين بتقاليدهم البدوية .
(٢٢) العاني ، المرجع السابق ص ١٥٧ - ١٥٨ .
(٢٣) المرجع نفسه ، ص ٥١ ، ٥٢ .
(٢٤) المرجع نفسه ، ص ٥٢ .
(٢٥) Faruk Summer, Kara Koyunlular, Ankara, 1967, vol. I p. 42.
(٢٦) ابن حجر ، المصدر السابق ، ج ١٠٧/١ ، ١٣٣
(٢٧) العاني ، المرجع السابق ص ٥٢ ، وينظر الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٩٩ .
(٢٨) يقصد به المجلس الأعلى الذي اعتاد المغول ان يعقدوه ، ويحضره عادة كبار امراء البيت المغولي لمناقشة القضايا الكبرى . وقد درج الجلائريون على تطبيق التقاليد المغولية هذه ابان حكمهم .
(٢٩) العاني ، المرجع السابق ، وانظر المصادر التي اشار اليها فيه ، ص ٧٨ .
(٣٠) ابن حجر ، ابناء الغمر ص ٥٢ ، العاني ، المرجع السابق ص ٥٢ .
(٣١) عن السلطان احمد بن اويس ، انظر السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) الضوء اللامع - ، بيروت ، ج ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥ .
(٣٢) عن الامير قرة محمد ، انظر ابن حجر ، ابناء الغمر ، ج ١/ ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٥٤ .

-٣٣ -٣٤

(٣٣) ابن حجر ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٩٤ .
(٣٤) العاني ، المرجع السابق ، والمصادر التي اعتمدها فيه ص ١٥٨ .
(٣٥) ابن حجر ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٣٥ قام التيموريون بغزو الموصل سنة ٧٩٦هـ ثم سنة ٧٩٩هـ ثم سنة ٨٠٤هـ . (المصدر نفسه ، ج ٤٧٢/١ ، ٥٢٣ ، ج ٢٠٨/٢) ، كما قام امراء قرة قوينلو بزعامة الأمير قرة يوسف بمهاجمة التيموريين في الموصل وأزاحوهم عنها مرتين سنة ٧٩٨هـ ثم سنة ٨٠٠هـ (المصدر نفسه ج ٥١٣/١ ، ج ١٩/٢) .
(٣٦) ابن حجر ، المصدر السابق ج ١ ص ٥١٣ ، الغياثي ص ٢٣٩ .
(٣٧) الغياثي ، المصدر السابق ص ١٣٥ .

الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الجلائرية

٧٣٦ - ٨١٤/ ١٣٣٥ - ١٤١١م

د . احمد عبدالله الحسو

تمهيد

لم تكن حقبة التسلط الجلائري (٧٣٦-٨١٤هـ) على العراق الاّ استمراراً للحقبة التي سبقتها ، ونعني بذلك حقبة التسلط الايلخاني (المغولي) بين سنتي ٦٥٦هـ - ٧٣٦هـ ، فالجلائريون اسرة تشبعت بالقيم المغولية[١] ؛ وهم رغم اعتناقهم الاسلام ، ظلوا يتمسكون بقيم (الياسا) التي كان جنكيزخان قد اعتمدها لتكون الاساس الذي يحتكم اليه المجتمع المغولي[٢] . ومع



ان من المفروض أن يكون الجلائريون قد تأثروا بالوسط الاجتماعي المتحضر الذي حلوا فيه، منذ ظهورهم قبيلة مساندة لجنكيزخان في اوائل القرن السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي، الآ ان مظاهر تأثرهم هذه، وبقدر تعلق الأمر بالعراق تبدو محدودة، فقد اقتصرت على مدينة بغداد، وبعض المدن القريبة منها، اما الموصل التي كانت - كما اشرنا في المبحث السابق - ضمن مناطق تسلطهم، فلم نعثر في المصادر على ما يشير الى انجازات جلائرية فيها، في مجال العمران والثقافة والاقتصاد، بل على العكس من ذلك، وجدنا ان المدينة كانت في معظم سنّي حياتها ساحة حرب بين الجلائريين انفسهم والقوى المحلية تارة، ثم بينهم وبين تركمان قرة قوينلو تارة اخرى، ثم بينهم وبين التيموريين تارة ثالثة[٣]. وقد زاد من ضراوة هذه الحروب أن أطرافها جميعاً بحكم ما كانوا عليه من مستوىً حضاري متدنٍ، لم يمتلكوا نزوعاً للبناء، أو ادراكاً للحدود التي تبتدىء او تنتهي عندها متطلبات حالة الحرب،[٤] لذا فقد أفتقدت المدينة استقرارها. ويمكن ان نشير في هذا المجال الى ما فعله تيمورلنك الذي احتل الموصل ثلاث مرات سنة ٧٩٦هـ، ٧٩٩هـ ثم سنة ٨٠٤هـ[٥]، وسار في اهلها - على حد تعبير المؤرخ المعاصر ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) - «مسيرة واحدة من القتل، والأسر، والسلب، والنهب، والتعذيب»[٦]، كما ان هيمنة تركمان قرة قوينلو على المدينة بتخويل من الحكام الجلائريين بين سنتي (٧٧٨هـ-٨١٤هـ)، جعلها مرمىً لأعدائهم؛ تركمان آق قوينلو، فقد هاجمها اميرهم عثمان قرايلك سنة ٨١٤هـ ونهب اهلها، واوقع بالاكراد»[٧]. والواقع ان ما أصاب الموصل ممن تسلطوا عليها، وبخاصة ابان حقبة الحكم الجلائري غير المباشر عليها (٧٧٨-٨١٤هـ) ثم ما بعدها، كان اكثر ضراوة مما أصابها جراء الغزو التيموري المشار اليه[٨].

الوضع الأقتصادي

ثمة اشارات تفيد أن الانتاج الزراعي كان قائماً في هذه الحقبة في الموصل وما حولها، وانه كان على قدر من الجودة. وبخاصة في المناطق المحيطة بالموصل شرقي دجلة التي كانت تنتج الفواكه والحبوب والقطن والزيتون والكروم وغيرها[٩]، وقد اورد الدكتور نوري العاني في كتابه الموسوم عن «العراق في العهد الجلائري» امتداح الرحالة مارينوللي الذي زار الموصل في بداية حقبة التسلط الجلائري، ولما كانت تُنتجه المناطق المحيطة بالمدينة من فواكه وغيرها،[١٠] بيد ان هذه الاشارات تعطي انطباعاً عاماً، ولاتضعنا امام واقع الانتاج الزراعي فعلاً. بدراسة الجدول (١) وبمقارنة واردات اقليم ديار بكر (ومنهُ الموصل) اواخر العهد الايلخاني (المغولي)

الجدول (١)

واردات اقليم ديار بكر؛ ويضمن ذلك الموصل والمناطق المحيطة بها[١١]

الحقبة	الواردات بالدينار
اواخر العهد الايلخاني ٧٣٦ هـ	١,٩٢٥,٠٠٠
العهد الجلائري ٧٥٠ هـ	٣٤٠,٠٠٠
العهد الجلائري ٧٦٥ هـ	١٠٠,٠٠٠



بوارداته خلال حقبتين في العهد الجلائري ، والجدول (٢) ومقارنة واردات مدينة الموصل خلال هذا العهد بواردات مدن عراقية اخرى ، يتضح ان الواردات المترتبة على الانتاج الزراعي كانت منخفضة في الموصل بشكل خاص ، واقليم دياربكر بعامة ، وان هذا الانخفاض كان يتزايد سنة بعد اخرى ، بحيث بلغت نسبة الانخفاض في واردات الموصل سنة ٧٦٥هـ/ ٩٣,٥٪ عما كانت عليه في بداية الحكم الجلائري سنة ٧٣٦هـ ، ويلاحظ ذلك في انخفاض واردات مدينة الموصل.

الجدول (٢)

موارد الموصل في العهد الجلائري مقارنة بموارد مدن عراقية أخرى

اسم المدينة	مواردها سنة ٧٣٦هـ/ بالدنانير	مواردها سنة ٧٦٥هـ/ بالدنانير
بغداد	٨٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠
البصرة	٤٤١,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠
الموصل	٣٢٨,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
سنجار	١٤٧,٥٠٠	١٠,٠٠٠
اربيل	٢٢,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
واسط	٤٤٨,٥٠٠	١٠٠,٠٠٠

ان هذه النتائج تعني فيما تعنيه تقلص مساحة الاراضي التي كانت تزرع عادة مع ابتداء الحكم الجلائري ، لذا فان ما يشار اليه في المصادر والمراجع من وجود انشطة زراعية في الموصل وما حولها كان يمثل حدوداً دنيا ، لها ، قياساً على مراحل سابقة ، كما انه كان يعبر في واقعه عن حالة تراجع كانت تتزايد مع تزايد وجود الجلائريين على رأس السلطة . ان هذا الاستنتاج ينسجم مع واقع الوضع السياسي الذي نوهنا عنه في مبحثنا السابق ، فقد كانت الدولة الجلائرية منشغلة في حروب وصراعات عدة في الداخل والخارج ، وهو امر لم يكن يسمح للفلاحين بمواصلة نشاطهم الزراعي الاّ في حدود ضيقة . ولايتناقض رأينا هذا مع ما ذهب اليه الدكتور نوري العاني حين علل نقص واردات مدن الاطراف — ومنها الموصل — في الدولة الجلائرية — بسبب ان سلطتهم لم تكن راسخة فيها ، وجراء (تمتع حكامها) اي حكام منطقة ديار بكر — بالاستقلال في اكثر الاحيان) وكونهم (يتهربون من دفع الضرائب..)[١٢] ، فان هذه الأسباب ، الى جانب ما اصاب الاراضي الزراعية من تقلص وتدهور ، تقف وراء النقص المشار اليه .

٢ — افاد الموصليون في هذه الحقبة من خِبْرَتهم في مجال الصناعات ، فمارسوا حرفهم الصناعية على مستويين ؛ توفير الحاجات الضرورية لاستخدام اهل الموصل والمناطق المجاورة من أدوات معدنية ، خشبية ، وأنسجة ، وملابس ، وغيرها من جهة ، وانتاج مصنوعات فنية متميزة ؛ اما بتوصية من سلطان او أمير ، او لغرض تصديرها الى البلاد الأخرى . وقد وصل الينا نموذج لتلك التّحف ؛ هو عبارة عن اناء نحاسي كبير صنع في الموصل بعد سنة ٧٥٨هـ ، يتضمن على اطرافه الأربعة كتابات . قدم هذا الاناء باسم السلطان الشيخ أويْس الجلائري الى مزار الشيخ صفيِّ الدين الاردبيلي[١٣] . كما ظلت الموصل متميزة في صناعة المنسوجات والملابس . ويفهم من كثرة الطلب من الاسواق الخارجية على الثياب الموصلية المعروفة بالشاش و (الموزلين) والنصافي الموصلية ، ان صناعتها كانت متقدمة[١٤] .



ونستطيع ان نفترض ان الصناعات التقليدية الاخرى ، التي يشكل وجودها ضرورة ؛ كصناعة مواد البناء ، من رخام وجص ونورة كانت مستمرة . كما ان تميز الحرفيين في الموصل - ومنهم الصاغة - ، ومتطلبات الحياة الاجتماعية توحي بأن الصياغة ، وصناعة المجوهرات ، كانت قائمة كذلك ، بالرغم اننا لانمتلك نماذج لذلك من هذا العهد . كما كانت الموصل وبعض المدن الاخرى كسنجار وعقرة وأربيل من مراكز سك النقود[١٥] . وقد أشارت المصادر الى ان بعض اطراف الموصل كانت تنتج في هذه الحقبة اجود انواع الخمور التي كان يفضلها السلاطين الجلائريون[١٦] .

وقد نجم عن هذا النشاط النسبي في الزراعة ، والصناعات المحلية ، وبخاصة صناعة النسيج ، والتحف المعدنية ، انتعاش حركة التجارة ، حيث قام التجار الموصليون بتصدير ما يفيض عن حاجة المدينة والمنطقة ، وقد وصلت الينا اخبار عن تجارتهم في هذه الحقبة ، مع مصر وبلاد الشام والحجاز.[١٧]

ومن ابرز التجار من منطقة الموصل الخواجة مجد الدين السلامي (وكان ذا خبرة باخلاق الملوك وما يليق بخواطرهم ، وما يتحفها من الرقيق والجوهر ، وكان السلطان المصري يأمر بمسامحة بعض المكس عن تجارته[١٨]) .

بيد ان من الضروري الاّ يُبالغ في حجم هذا النشاط ، وذلك لانه قام في اطار وضع مضطرب ، لم يكن فيه التجار يَأْمَنُوْنَ على انفسهم ، أو تجارتهم ، بسبب اعمال السلب والنهب التي كانت احدى سمات هذه المرحلة .

الوضع الاجتماعي

على الرغم من أن الموصل تعرضت ابان عهد التسلط الايلخاني الى متغيرات في تكوينها السكاني ، فان هذا التغير كان محدوداً ، في حين ان الوضع هذا في عهد التسلط الجلائري اختلف عما كان عليه من قبل . ويمكن ان نعد الحقبة بين سنتي ٧٧٨هـ-٨١٤هـ بمثابة نقطة تحول اجتماعي في حياة المدينة ، ففيها فتح الجلائريون ابواب الموصل لتغلغل حكام امارة قرة قوينلو ومن كان ينظوي تحت سلطتهم من قبائل ، عرفت بانها (كما سبقت الأشارة) قبائل بدوية امية ، هي اقرب الى حياة التنقل منها الى حياة الاستقرار[١٩] . واذا كانت هذه القوة الجديدة قد تمكنت ان ترسخ أقدامها في الموصل والمناطق المحيطة بها عبر ستة وثلاثين عاماً (٧٧٨-٨١٤هـ) ، ثم توسع نفوذها ليشمل انحاء العراق كافة فتحكمه حتى سنة ٨٧٢هـ[٢٠] ، فقد شكل ذلك تهديداً لهوية المدينة القومية ولمكانتها الثقافية ودفع بها نحو حقبة حالكة اخرى في حياتها امتدت قرناً كاملاً (٨١٤- ٩١٤هـ) .

ويبدو ان هذا التحدي،اضافة الى ما أحاط الموصل من ظروف قاسية ؛ بتسلط قوة اجنبية عليها- هي السلطة الجلائرية -،وبضعف هذه السلطة ، وتركز اهتمامها على مركز الدولة دون اطرافها ، دفع بابنائها نحو قدر كبير من التكافل الاجتماعي . نلاحظ ذلك في :

١- فاعلية المؤسسات الوقفية التي لم تؤد دوراً ثقافياً ودينياً فحسب ، بل أدت دوراً واضحاً في تقديم خدمات اجتماعية وبخاصة لطلبة العلم وشيوخه فقد وفرت لهم الرواتب والسكن والطعام[٢١] .

٢- بروز المؤسسة القضائية ، وهو أمر لاحظناه في عهد التسلط الايلخاني (المغولي) ، ويلاحظ في العهد الجلائري بوضوح . ويبدو ان التزام الجلائريين والايلخانيين قبلهم بمحاكم اليارغو التي كانت تحكم بموجب قواعد الياسا المغولية دون احكام الشريعة الاسلامية ، فضلاً عن ضعف السلطة المركزية،وضع الى جانب



رجال القضاء امام تحديات جديدة، ودفعهم نحو مزيد من الاهتمام، بأنشطتهم القضائية»[22].

الوضع الثقافي :

أظهر مسحنا لمعظم المصادر التي ارخت لحقبة التسلط الجلائري على الموصل أن مجموع المثقفين الموصليين الذي كان لهم دور ثقافي بلغ ستة واربعين شخصاً (انظر الجدول ١) وهو رقم يشير الى نقص كبير اذا ماقورن بإعداد المثقفين الموصليين الذين بلغت اعدادهم مائة وواحداً وعشرين، ممن كان لهم نشاط علمي وثقافي ابان الحقبة السابقة، ونعني بذلك حقبة التسلط الايلخاني.

ويلاحظ ان الموضوعات التي شغلت بال المثقفين الموصليين في هذه الحقبة تركزت – على غرار ماكانت عليه ابان عهد التسلط الايلخاني – على العلوم الدينية فقد بلغ عدد الفقهاء اربعة عشر فقيهاً من اصل ثمانية واربعين منهم (انظر الجدول (١))، اما اولئك الذين اهتموا بعلم الحديث وفنونه فقد بلغوا سبعة اشخاص (انظر الجدول ٢)، امّا علوم اللغة العربية وفنونها وآدابها، فقد حظيت بإهتمام اكبر، فقد بلغ عدد المتخصصين والمهتمين بها اثني عشر اديباً ولغوياً (انظر الجدول ٣).

أما بقية الاهتمامات الثقافية، فقد شملت التصوف، والخط والموسيقى الى جانب اهتمامات ثقافية عامة، وقد بلغ عدد هؤلاء ثلاثة عشر شخصاً (انظر الجدول ٤)، ويلاحظ من مجموع الجداول الآنفة الذكر، أن عشرة فحسب من بين مجموع المثقفين الذين برزوا في هذه الحقبة كانت الموصل المكان الذي استقروا فيه، في حين بلغ عدد المهاجرين منهم، او من اولئك الذين يرجعون الى اصول موصلية اربعة وثلاثين شخصاً.

الجدول (١)

يتضمن الموصليين الذي كان الفقه يمثل تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى

التسلسل •	* الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان من هنا	النسبة	مقيم / مهاجر قادم
١	ابراهيم بن احمد بن بركة[23]	الفقه	—	ص ٧٧٠	الموصلي	مقيم
٢	ابراهيم بن احمد بن حسين[24]	الفقه النسخ	—	ت ٨١٠	الموصلي القاهري	مهاجر
٣	ابراهيم بن عبدالله[25]	الفقه	—	ت ٨١٤	الموصلي	مقيم
٤	احمد بن محمد[26]	الفقه التفسير الحديث.	٧١٨	ت ٨٧٠	الموصلي الدمشقي	مهاجر
٥	ابو بكر بن عبدالله[27]	الفقه / الحديث	٧٣٤ الموصل	ت ٧١٦ القدس	الموصلي	مهاجر
٦ بن علي[28]	ابو بكر	الفقه		ت ٨١٥ هـ نزيل القاهرة	الموصلي	مهاجر
٧	عبدالقادر بن ابراهيم[29]	الفقه	٧٨٨	ت ٨٦٢	الموصلي الدمشقي	مهاجر
	عبدالملك بن ابي[30] باسم	الفقه		ت ٨٤٤ بيت المقدس	الموصلي الدمشقي / المقدسي	مهاجر
٩	علي بن الحسين[31] بن القاسم	فقه. نحو	٦٨١ الموصل	٧٥٥ الموصل	الموصلي	مهاجر عائد
١٠	محمد بن احمد بن عبدالرحمن[32]	فقه الادب		٧٦٥	الباجربي الموصلي الدمشقي	مهاجر
١١	محمد بن احمد بن محمد[33]	فقه – ادب		ت ٨٧٢	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
١٢ يونس	محمد بن طاهر بن[34]	الفقه الادب		٨٣٣ الموصل	الموصلي	مقيم
١٣	محمد بن عبدالقاهر[35] بن عبدالرحمن	فقه – حديث ادب	٦٩٨	ت ٧٨٨	الشياني الشهر زوري الموصلي	مهاجر
١٤	محمد بن محمد بن علي[36]	فقه ادب	حوالي ٨٠٠	ت ٨٥٥		مهاجر

ونستطيع ان نفترض ان الصناعات التقليدية الاخرى ، التي يشكل وجودها ضرورة ؛ كصناعة مواد البناء ، من رخام وجص ونورة كانت مستمرة. كما ان تميز الحرفيين في الموصل – ومنهم الصاغة –، ومتطلبات الحياة الاجتماعية توحي بأن الصياغة ، وصناعة المجوهرات ، كانت قائمة كذلك ، بالرغم اننا لانمتلك نماذج لذلك من هذا العهد. كما كانت الموصل وبعض المدن الاخرى كسنجار وعقرة وأربيل من مراكز سك النقود[١٥] . وقد أشارت المصادر الى ان بعض اطراف الموصل كانت تنتج في هذه الحقبة اجود انواع الخمور التي كان يفضلها السلاطين الجلائريون[١٦] .

وقد نجم عن هذا النشاط النسبي في الزراعة ، والصناعات المحلية ، وبخاصة صناعة النسيج ، والتحف المعدنية ، انتعاش حركة التجارة ، حيث قام التجار الموصليون بتصدير ما يفيض عن حاجة المدينة والمنطقة ، وقد وصلت الينا اخبار عن تجارتهم في هذه الحقبة ، مع مصر وبلاد الشام والحجاز.[١٧]

ومن ابرز التجار من منطقة الموصل الخواجة مجد الدين السلامي (وكان ذا خبرة باخلاق الملوك وما يليق بخواطرهم ، وما يتحفها من الرقيق والجوهر، وكان السلطان المصري يأمر بمسامحة بعض المكس عن تجارته[١٨]).

بيد ان من الضروري الاّ يُبالغ في حجم هذا النشاط ، وذلك لانه قام في اطار وضع مضطرب ، لم يكن فيه التجار يَأْمَنُونَ على انفسهم ، أو تجارتهم ، بسبب اعمال السلب والنهب التي كانت احدى سمات هذه المرحلة.

الوضع الاجتماعي

على الرغم من أن الموصل تعرضت ابان عهد التسلط الايلخاني الى متغيرات في تكوينها السكاني ، فان هذا التغير كان محدوداً ، في حين ان الوضع هذا في عهد التسلط الجلائري اختلف عما كان عليه من قبل. ويمكن ان نعد الحقبة بين سنتي ٧٧٨هـ–٨١٤هـ بمثابة نقطة تحول اجتماعي في حياة المدينة ، ففيها فتح الجلائريون ابواب الموصل لتغلغل حكام امارة قرة قوينلو ومن كان ينظوي تحت سلطتهم من قبائل ، عرفت بانها (كما سبقت الأشارة) قبائل بدوية امية ، هي اقرب الى حياة التنقل منها الى حياة الاستقرار[١٩] . واذا كانت هذه القوة الجديدة قد تمكنت ان ترسخ أقدامها في الموصل والمناطق المحيطة بها عبر ستة وثلاثين عاماً (٧٧٨–٨١٤هـ) ، ثم توسع نفوذها ليشمل انحاء العراق كافة فتحكمه حتى سنة ٨٧٢هـ[٢٠] ، فقد شكل ذلك تهديداً لهوية المدينة القومية ولمكانتها الثقافية ودفع بها نحو حقبة حالكة اخرىٰ في حياتها امتدت قرناً كاملاً (٨١٤– ٩١٤هـ).

ويبدو ان هذا التحدي،اضافة الى ما أحاط الموصل من ظروف قاسية ؛ بتسلط قوة اجنبية عليها– هي السلطة الجلائرية–،وبضعف هذه السلطة ، وتركز اهتمامها على مركز الدولة دون اطرافها ، دفع بابنائها نحو قدر كبير من التكافل الاجتماعي. نلاحظ ذلك في :

١– فاعلية المؤسسات الوقفية التي لم تؤد دوراً ثقافياً ودينياً فحسب ، بل أدت دوراً واضحاً في تقديم خدمات اجتماعية وبخاصة لطلبة العلم وشيوخه فقد وفرت لهم الرواتب والسكن والطعام[٢١] .

٢– بروز المؤسسة القضائية ، وهو أمر لاحظناه في عهد التسلط الايلخاني (المغولي) ، ويلاحظ في العهد الجلائري بوضوح. ويبدو ان التزام الجلائريين والايلخانيين قبلهم بمحاكم اليارغو التي كانت تحكم بموجب قواعد الياسا المغولية دون احكام الشريعة الاسلامية ، فضلاً عن ضعف السلطة المركزية،وضع الى جانب



رجال القضاء امام تحديات جديدة، ودفعهم نحو مزيد من الاهتمام، بأنشطتهم القضائية»[٢٢].

الوضع الثقافي :

أظهر مسحنا لمعظم المصادر التي ارخت لحقبة التسلط الجلائري على الموصل أن مجموع المثقفين الموصليين الذي كان لهم دور ثقافي بلغ ستة واربعين شخصاً (انظر الجدول ١) وهو رقم يشير الى نقص كبير اذا ماقورن بإعداد المثقفين الموصليين الذين بلغت اعدادهم مائة وواحداً وعشرين، ممن كان لهم نشاط علمي وثقافي ابان الحقبة السابقة، ونعني بذلك حقبة التسلط الايلخاني.

ويلاحظ ان الموضوعات التي شغلت بال المثقفين الموصليين في هذه الحقبة تركزت – على غرار ماكانت عليه ابان عهد التسلط الايلخاني – على العلوم الدينية فقد بلغ عدد الفقهاء اربعة عشر فقيهاً من اصل ثمانية واربعين منهم (انظر الجدول (١))، اما اولئك الذين اهتموا بعلم الحديث وفنونه فقد بلغوا سبعة اشخاص (انظر الجدول ٢)، امّا علوم اللغة العربية وفنونها وآدابها، فقد حظيت بإهتمام اكبر، فقد بلغ عدد المتخصصين والمهتمين بها اثني عشر اديباً ولغوياً (انظر الجدول ٣).

أما بقية الاهتمامات الثقافية، فقد شملت التصوف، والخط والموسيقى الى جانب اهتمامات ثقافية عامة، وقد بلغ عدد هؤلاء ثلاثة عشر شخصاً (انظر الجدول ٤)، ويلاحظ من مجموع الجداول الآنفة الذكر، أن عشرة فحسب من بين مجموع المثقفين الذين برزوا في هذه الحقبة، كانت الموصل المكان الذي استقروا فيه، في حين بلغ عدد المهاجرين منهم، او من اولئك الذين يرجعون الى اصول موصلية اربعة وثلاثين شخصاً.

الجدول (١)
يتضمن الموصليين الذي كان الفقه يمثل تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى

التسلسل •	* الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان من هنا	النسبة	مقيم / مهاجر قادم
١	ابراهيم بن احمد بن بركة[٢٣]	الفقه	—	ص ٧٧٠	الموصلي	مقيم
٢	ابراهيم بن احمد بن حسين[٢٤]	الفقه النسخ	—	ت ٨١٠	الموصلي القاهري	مهاجر
٣	ابراهيم بن عبدالله[٢٥]	الفقه	—	ت ٨١٤	الموصلي	مقيم
٤	احمد بن محمد[٢٦]	الفقه التفسير الحديث.	٧١٨	ت ٨٧٠	الموصلي الدمشقي	مهاجر
٥	ابو بكر بن عبدالله[٢٧]	الفقه/ الحديث	٧٣٤ الموصل	ت ٧١٦ القدس	الموصلي	مهاجر
٦ بن علي[٢٨]	ابو بكر	الفقه		ت ٨١٥ هـ نزيل القاهرة	الموصلي	مهاجر
٧	عبدالقادر بن ابراهيم[٢٩]	الفقه	٧٨٨	ت ٨٦٢	الموصلي الدمشقي	مهاجر
	عبدالملك بن ابي[٣٠] باسم	الفقه		ت ٨٤٤ بيت المقدس	الموصلي الدمشقي / المقدسي	مهاجر
٩	علي بن الحسين[٣١] بن القاسم	فقه. نحو	٦٨١ الموصل	٧٥٥ الموصل	الموصلي	مهاجر عائد
١٠	محمد بن احمد بن عبدالرحمن[٣٢]	فقه الادب		٧٦٥	الاجريق الموصلي الدمشقي	مهاجر
١١	محمد بن احمد بن محمد[٣٣]	فقه – ادب		ت ٨٧٢	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
١٢ يونس	محمد بن طاهر بن[٣٤]	الفقه الادب		٨٣٣ الموصل	الموصلي	مقيم
١٣	محمد بن عبدالقاهر[٣٥] بن عبدالرحمن	فقه – حديث ادب	٦٩٨	ت ٧٨٨	الشيباني الشهرزوري الموصلي	مهاجر
١٤	محمد بن محمد بن علي[٣٦]	فقه ادب	حوالي ٨٠٠	ت ٨٥٥		مهاجر

الجدول (٢)

يتضمن الموصليين الذين كان علم الحديث يمثل تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى

التسلسل	الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيه حيا	النسبة	مقيم / مهاجر قادم
١	ابراهيم بن محمد بن علي[٣٧]	الحديث الخط	٦٧٦	ت ٧٧٤	الموصلي البغدادي	مهاجر
٢	احمد بن ابراهيم بن[٣٨] عبدالعزيز	الحديث الأدب	حدود ٧٢١	ت ٨٠١	الموصلي الدمشقي	مهاجر
٣	ابو بكر بن عمر بن عثمان[٣٩]	الحديث	حوالي ٦٨٠	ت ٧٥٧	الكردي / الموصلي الدمشقي	مهاجر
٤	الحسن بن عبدالواحد[٤٠] بن ابي بكر	الحديث		ت ٧٦٩	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
٥	داؤد بن سليمان بن[٤١] عبدالله	الحديث	٧٦٤	ت ٨٤٤	الموصلي نزيل دمشق	مهاجر
٦	عمر بن محمد بن عمر[٤٢]	الحديث		ت ٧٤٧	الموصلي	مقيم
٧	عمر بن ابي بكر بن علي[٤٣]	الحديث		ت ق ٩ هـ	الموصلي الدمشقي	مهاجر

الجدول (٣)

يتضمن الموصليين الذين كانت اللغة العربية وآدابها وفنونها تمثل تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى

التسلسل	الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان من حيا	سنة	مقيم / مهاجر مقيم
١	احمد بن ابي الوفا[٤٤]	الادب		معاصر الأجنة المتوفى سنة ٧١١ هـ	الموصلي	مقيم
٢	الحسن بن علي بن ابي بكر[٤٥]	الأدب	٦٩٠	ت ٧٥٩	الموصلي نزيل دمشق	مهاجر
٣	شعبان بن محمد بن داؤد[٤٦]	الأدب	٧٦٥	ت ٨٢٨	الموصلي	مهاجر
٤	عبدالرحمن بن ابي الوفا[٤٧]	الادب		ت ٨١١	الموصلي	مقيم
٥	عبدالله بن علي بن عمر[٤٨]	اللغة / الفقه	٧٢٢ سنجار	ت ٧٩٩ سنجار	السنجاري تفقه الموصل	قادم
٦	علي بن الحسين بن علي[٤٩]	الادب		ت ٧٨٩	الموصلي	مهاجر
٧	علي بن عبدالعزيز بن بن ابي محمد[٥٠]	الادب		ت حدود ٧٥٠هـ	الموصلي	مقيم
٨	علي بن محمد بن غالب[٥١]	الادب		ت ٧٥٣ الموصل	الموصلي	مقيم
٩	علي بن محمد بن عبدالعزيز[٥٢]	الادب	٧١٢	٧٦٢	الموصلي الدمشقي	مهاجر
١٠	محمد بن علي بن احمد[٥٣]	اللغة الأدب الموسيقى	٦٨٦	٧٥٥ وقيل ٧٤١	الاربلي ثم الموصلي	قادم
١١	محمد بن محمد بن عبدالكريم[٥٤]	الادب/ الحديث التصوف	حدود ٧٠١	ت ٧٧٤	الموصلي نزيل دمشق	مهاجر
١٢	محمد بن موسى[٥٥]	الادب	٧٧٠ ٨٦٠	مق	الموصلي الاصل نزيل دمشق	مهاجر



الجدول (٤)

يتضمن اعداد الموصليين الذين كان لديهم تخصصات او اهتمامات مختلفة

التسلسل	الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيه حيا	النسبة	مقيم / مهاجر قادم
١	احمد بن حسين[٥٦]	النسخ	حدود ٧٦٥	ت ٨١٥	الموصلي	مهاجر
٢	ابو بكر (الشيخ)[٥٧]	التصوف		حي ٨٠٠ هـ	الموصلي الدمشقي	مهاجر
٣	الحسين بن المبارك[٥٨]	التصوف		٧٤٢	الموصلي	مهاجر
٤	عبدالله بن علي[٥٩]	اهتمام ثقافي عام		ت ٨٢٠	الموصلي الشيباني	مقيم
٥	علي بن احمد بن ابي بكر[٦٠]	-		ت ٨٨٢	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
٦	علي بن محمد بن فتح الله[٦١]	-		ت ٨٤٦	الموصلي/ نزيل طرابلس	مهاجر
٧	قطب الدين[٦٢]	الموسيقى		ت ٨٠٠	الموصلي	مهاجر
٨	محمد بن داؤد بن محمد[٦٣]	اهتمام ثقافي عام	بعد سنة ٦٧٠	ت ٧٢٨	الموصلي سكن دمشق	مهاجر
٩	محمد بن ابي بكر بن علي[٦٤]	-	٧٥٠ هـ	—	الموصلي	مقيم
١٠	محمد بن عبدالرحيم بن محمد[٦٥]	-	—	ت ق ٩ هـ	الموصلي الدمشقي	مهاجر
١١	محمد بن عبدالله بن علي[٦٦]	تصوف ادب		ت ٧٩٧	الموصلي	مهاجر
١٢	محمد بن علي بن يحيى[٦٧]	-	حدود ٧٧٥		الموصلي أبوه الدمشقي	مهاجر
١٣	محمد بن علي بن محمد[٦٨]	-		ت ٨١٧هـ	الموصلي المقدسي	مهاجر

الجدول رقم (٤)

يوضح الموصليين المقيمين والقادمين الى الموصل والمهاجرين منها من المثقفين خلال حقبة التسلط الجلائري

المقيمون	المهاجرون	القادمون	المجموع
١٠	٣٤	٢	٤٦

ان ابرز مايلاحظ في الصورة التي يظهرها المسح أمران :

١- تزايد نسبة التراجع في الحياة الثقافية والعلمية للموصل.

٢- غياب اي اهتمام بالعلوم العقلية والعلوم الصرفة.

ولا تبدو هذه النتائج امراً مستغرباً، اذا ماأخذنا بنظر الاعتبار ان العراق- والموصل جزء منه- واجه خلال العقود التي تلت الغزو والاحتلال المغولي له تحديات ثقافية وسياسية واجتماعية مما اشير اليها مسبقاً في المباحث الذي تناولت الغزو المشار اليه وآثاره والذي وضع الموصل امام تراجع تدريجي في نشاطاتها المختلفة، فعلى الرغم من انها حاولت جاهدة مواجهة ذلك، فإنها ومع اتصال هيمنة القوى الأجنبية المتخلفة حضارياً على البلاد، كانت هي الأخرى تفتقد بعضاً من قدراتها على مواجهة التحدي، لذا فإننا نلاحظ مع المسح الذي اجريناه عن انشطة المثقفين (وهو مسح لاندعي انه نهائي، بل هو قابل دوماً للنقد والاضافة والتعديل) في مبحثنا هذا، او المباحث الاخرى في هذه الموسوعة، تناقص اعداد هؤلاء، وزيادة نسبة المهاجرين بينهم، كما يلاحظ تناقص اعداد القادمين للدراسة او من اجل الرحلة في طلب العلم. واذا جاز لنا ان نتحرى هنا مواطن الضعف في الواقع الحضاري لمدينة الموصل وما حولها ابان عهد التسلط الجلائري، فلنا ان نذكر بتقدير الى اولئك الذين ظلوا يواصلون عطاءهم الحضاري من ابناء المدينة في ظروف عصيبة.



الهوامش

(١) عن علاقة الجلائريين بالمغول وتطورها وانتمائهم اليهم، انظر نوري العاني، العراق في العهد الجلائري، بغداد ١٩٨٦ ص١٩ – ٢٢؛ كذلك ص١٠٣ – ١٠٤.

(٢) كانت محاكم اليارغو الجلائرية تمارس عملها في العراق بموجب قواعد الياسا التي وضعها جنكيزخان، الى جانب المحاكم الشرعية الاسلامية. انظر العاني، المرجع السابق ص١٠١، ١٠٣، وهوامشه رقم ٢٤٤، ٢٦٤، ٢٧٢.

(٣) انظر الغياثي، التاريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد، ص٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٠، ابن حجر، ابناء الغمر بأبناء العمر، تحقيق الدكتور حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٩ – ١٩٧٢ ج١/ ١٠٧، ١٣٣، ٤٧٢، ٥١٣؛ ج٢/ ١٩، ٢٠٨، ٤٠٤، ٤٨١؛ ج٣/ ٥٢٠.

(٤) كانت جميع اطراف النزاع من جلائريين، وقرة قوينلية، وآق قوينلية، وتيموريين، جماعات رعوية متنقلة حديثة عهد بالانتقال الى المجتمعات المستقرة.

(٥) ابن حجر، المصدر السابق ج١/ ٤٧٢، ٥٢٣؛ ج٢/ ١٩.

(٦) المصدر نفسه ج١/ ٤٧٢.

(٧) المصدر نفسه، حوادث سنة ٨١٤.

(٨) انظر على سبيل المثال ماتعرضت له المدينة على يد حكام قرةقوينلو، المصدر نفسه، ج١/ ٥١٣؛ ج٢/ ١٩، ٤٠٤؛ ج٣/ ٥٢٠، الغياثي، ، المصدر السابق ص٢٤١، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٠.

(٩) العاني، المرجع السابق ص٢٢٠ فما بعدها.

(١٠) المرجع نفسه.

(١١) اعتمد الباحث في هذا الجدول والجدول الذي سبقه (رقم ١) على الدكتور نوري العاني في كتابه: العراق في العهد الجلائري ص٢٢٣، ٢٢٥، نقلاً عن (رسالة فلكية) التي تناولت حسابات الدولة الجلائرية. لمؤلفها عبدالله بن محمد بن كيا المازندراني. انظر الهامش ٩٢ ص٢٢٢.

(١٢) المرجع نفسه ص٢٢٣، ٢٢٦.

(١٣) يحتفظ متحف الآثار القديمة في طهران بهذه التحفة المعدنية. انظر المرجع نفسه ص٢٤٧.

(١٤) المرجع نفسه ص٢٤٥.

(١٥) المرجع نفسه ص٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨.

(١٦) المرجع نفسه ص٢٥٢.

(١٧) المرجع نفسه ص٢٨٤ نقلاً عن المقريزي، السلوك لمعرفة دور الملوك ج٢ ق٢/ ٤٥٥؛ ج٣ ق٢/ ٥٠٩.

(١٨) المرجع نفسه ص٢٧٢.

(١٩) انظر المبحث السابق، حقبة الحكم الجلائري غير المباشر للموصل.

(٢٠) انظر المبحث التالي.

(٢١) كان هذا الدور واضحاً طوال حقب التاريخ الاسلامي، فقد كانت الموارد التي تدرها الاملاك الموقوفة الممول الرئيسي للمدارس والمساجد والزوايا وغيرها من المؤسسات العلمية والدينية، لذا فإنها لم تتأثر كثيراً بالتقلبات السياسية.

(٢٢) برزت أسر أشتهرت بالقضاء في هذه الحقبة، ومنهم آل الشهرزوري في الموصل. انظر عن ذلك المبحث الذي كتبه الاستاذ الدكتور كاصد الزيدي ادناه.

(٢٣) ابن حجر، الدرر الكامنة ج١/ ٧ (٤).

(٢٤) ابن حجر، ابناء الغمر ج٢/ ٥٢٣ (١)، السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج١/ ١٣٧.

(٢٥) كحالة، معجم المؤلفين ج١/ ٥٦.

(٢٦) المرجع نفسه ج٣/ ٦٥.

(٢٧) الدرر الكامنة ج١/ ١٢٢٩، ابناء الغمر ج١/ ٤٩٧ (١٣).

(٢٨) ابناء الغمر ج٢/ ٥٢٦ (٨)؛ الضوء اللامع ج١١/ ١٥٧.

(٢٩) الضوء اللامع ج٤/ ٢٥٩ (٩٧٥).

(٣٠) المصدر نفسه ج٥/ ٨٤ (٣١٤).

(٣١) الدرر الكامنة ج٣/ ٢٧٣٠.

(٣٢) المصدر نفسه ج٣/ ٤١٤ (٣١٩٠).

(٣٣) الضوء اللامع ج٧/ ٧٢ (١٣٥).

(٣٤) المصدر نفسه ج٧/ ٧٠٠.

(٣٥) ابناء الغمر ج١/ ١٤٤، الدرر ج٤/ ٣٩٣٤.

(٣٦) الضوء اللامع ج٩/ ١٥٢ (٣٨٧).

(٣٧) الدرر الكامنة ج١/ ١٧٠.

(٣٨) ابناء الغمر ج٢/ ٥٦ (١)؛ الضوء ج١/ ١٥٩.

(٣٩) الدرر الكامنة ج١/ ٤٨٤ (١٢١٢).

(٤٠) الدرر الكامنة ج٢/ ١٠٢ (١٥٢).

(٤١) الضوء اللامع ج٣/ ٧٩٥.

(٤٢) الدرر الكامنة ج٣/ ٣٠٧٩.

(٤٣) الضوء اللامع ج٦/ ٧٦ (٢٥٧).

(٤٤) العزاوي، تاريخ الأدب العربي في العراق ج١/ ٣٣٠.

(٤٥) الدرر الكامنة ج٢/ ١٥٩٨.

(٤٦) ابناء الغمر ج٣/ ٣٥٣.

(٤٧) العزاوي، المرجع السابق ج١/ ٣٣٠.

(٤٨) كحالة، ٦/ ٩١.

(٤٩) الدرر ج٣/ ٢٧٢٩، ابناء الغمر ج١/ ٣٤٢.

(٥٠) كحالة، ٧/ ١٢٤.

(٥١) المرجع نفسه ٧/ ٢٢٥.

(٥٢) الدرر الكامنة ج٣/ ١٠٦ (٢٨٧١).

(٥٣) الدرر الكامنة ج١/ ٢٩٤.

(٥٤) ابناء الغمر ج١/ ٥٢ (٣٩)، العزاوي، المرجع السابق ج١/ ٤٦.

(٥٥) الضوء اللامع ج١٠/ ٦٥ (٢١٨).

(٥٦) المقريزي، درر العقود الفريدة، نسخة خطية مصورة عن مكتبة كونه لدى الباحث، ورقة ٤.

(٥٧) الضوء اللامع ج٢/ ٢٥٥ (٧٢٥).

(٥٨) الدرر الكامنة ج٢/ ٢٦٠٩.

(٥٩) كحالة ٦/ ٩١.

(٦٠) الضوء اللامع ج٥/ ٢٨٠ (٩٥).

(٦١) الدرر الكامنة ج٦/ ١٣.



(٦٢) ابن عربشاه، عجائب المقدور من أخبار تيمور، ط ١، القاهرة ١٢٨٥ هـ، ص ٧٩.
(٦٣) الدرر الكامنة ج ٤/ ٣٦٨٩.
(٦٤) كحالة ٩/ ١١٤.
(٦٥) الضوء اللامع ج٨/ ٥٣ (٦٣).
(٦٦) مجيرالدين، الأنس الجليل ج٢/ ١٦٤.
(٦٧) الضوء اللامع ج٨/ ٢٢٤ (٥٨٦).
(٦٨) الضوء اللامع ج٩/ ١٥ (٤٢).

الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض

٨١٤- ٩١٤هـ / ١٤١١- ١٥٠٨م

علي شاكر علي

الموصل تحت سيطرة (الخروف الاسود) ؛ قرة قوينلو
٨١٤-٨٧٢ هـ / ١٤١١-١٤٦٩ م

اولا : الامارة في مرحلة التكوين : -

في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، بدأت القبائل التركمانية الرعوية في اواسط اسيا- هذه المنطقة التي دأبت بين فترة واخرى، ان تقذف بابنائها غربا وشمالا محدثين تغيرات مهمة في خارطة العالم السياسية- تتحرك غربا باتجاه الجهات الجنوبية لاذربيجان والاناضول لتمارس حياة الرعي والتجوال ومتابعة اساليب الحياة البدائية.[1]

ومن اشهر القبائل التركمانية التي هاجرت في السنوات الاخيرة من القرن الثالث عشر قبيلة قرة قوينلو «البارانية»[2] نزحت من بلاد ماوراء النهر وخراسان باتجاه الغرب ثم تابعت سيرها الى اذربيجان حيث استقرت في ارزنكان وسيواس[3] وكان ذلك في زمن السلطان المغولي ارغون «١٢٨٤ - ١٢٩٢م». ولما كانت هذه القبيلة من القبائل الرعوية، لذا كانت مشاتيها في جهات ديار بكر والجهات العليا من نهر الفرات ومصايفها في منطقة الداغ[4].

لاتوجد مصادر تركية معتبرة، يمكن الركون اليها فيما يتعلق بأصل القره قوينلو «البارانيه» وطبيعة العلاقة بينهم وبين السلطات الايلخانية المغولية الحاكمة في المنطقة طيلة الفترة الممتدة من ١٢٨٤ حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي وكل مايستطيع الباحث، الوقوف عليه من المصادر المتوفرة انهم ينتسبون الى اوغوز او الغز البطل الاسطوري عند الاتراك، وانهم كانوا عشائر متعددة متناحرة حتى تمكنت احدى العشائر «بهارلو» من فرض سيطرتها على العشائر الاخرى عندما تمكن بيرام خواجه من كبح جماح العشائر الاخرى واخضاعهم لدائرة نفوذه وقد اقره امراء العشائر «أولوس» رئيسا لهم[5]. فبدا يقود اتباعه في هجمات على المدن. والملاحظة الجديرة بالاعتبار هنا ان تنامي قوة القره قوينلو قد تزامن مع انفجار الاوضاع السياسية في شمال وشرق العراق في عهد السلطان الجلائري اويس بن الشيخ حسن «٧٥٧- ٧٧٦هـ/ ١٣٥٦- ١٣٧٤م، فادرك بيرام خواجه امير القرة قوينلو ان الفرصة مواتيه لاظهار قوته وفرض سيطرته على القوى القبلية الاخرى، فعرض خدماته للسلطان الجلائري فاستطاع الاخير بالمساعدة القرة قوينلوية من اخضاع الموصل وسنجار وارجش فترة اخرى للحكم الجلائري سنة ١٣٧٣م وفي السنة التالية ١٣٧٤م زحف بيرم خواجه نحو مدينة الموصل فحاصرها اربعة اشهر ثم اخذها بالامان وتملك



سنجار ايضا ، منتهزاً اضطراب حبل الامن في الدولة الجلائرية بعد وفاة السلطان اويس[٦]. هكذا اصبح الامير القرة قونيلوي امير المناطق من ارجش وادزنك حتى سنجار والموصل وهي مناطق ذات اهمية استراتيجية من الناحية الاقتصادية والعسكرية والسياسة ، ولم يكن امام السلطان الجلائري الجديد احمد بن اويس ٧٨٤-٨١٣هـ/ ١٣٨٢ - ١٤١٠م الا الاعتراف بالأمر الواقع ، فاعترف بحكم بيرم خواجه للموصل وسنجار على ان يأتمر باوامره ومن ناحية اخرى ، فان القرة قوينلو لم يعلنوا انفصالهم لاحساسهم بان الظروف السياسية المحلية تحول دون قيام كيان سياسي مستقل لهم. وفي عام ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م توفي بيرم خواجه فخلفه في رئاسة امارة القرة قوينلو الامير قرة محمد بن تورميش الذي استمر في خدمة سيده الجلائري ، الذي اضحى بامس الحاجة الى مساعدة القرة قوينلو بسبب تفاقم الاوضاع السياسية في بغداد من جهة وتطور الاحداث في بلاد ماوراء النهر بحيث بات الخطر التيموري يطرق حدود الدولة الجلائرية في الجهات الشرقية ، لقد دفع الاميرالقره قوينلي قرة محمد حياته ثمنا لتبعيته للدولة الجلائرية اذ قتل في معركة جرت قرب تبريز بين القوات الجلائرية والتيمورية سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م غير ان موقف خلفه قرة يوسف بن قرة محمد تغير والذي استمر في مساندة الجلائريين حتى زوال خطر يتمورلنك سنة ١٤٠٥م[٧].

حقا ، لم تعدم امارة القرة قوينلو الفائدة من تبعيتها للدولة الجلائرية اذ ان دائرة نشاطها ، امتدت لتشمل اجزاء مهمة من المناطق الخاضعة للدولة الجلائرية فقد كانت حدود الامارة من اذربيجان الى ماردين وسنجار والموصل واربيل. الامر الذي جعل السلطان الجلائري يعيد النظر في اسلوبه وتعامله مع قرة يوسف الامير القرة قوينلي ، اذ اصبح خطره يهدد مركز الجلائريين في العراق ، وهكذا شن احمد الجلائري هجوما على القرة قوينلو في جهات اذربيجان غير ان قوة يوسف وجموع القرة قوينلو تمكنوا من الحاق الهزيمة بالسلطان وجيشه ، وقد أسر السلطان نفسه مع عدد كبير من قادته واتباعه ، فامر قرة يوسف بقتل سيده السابق لتنكره ونسيانه الجميل الذي اسداه القرة قوينلو اثناء الغزو التيموري للدولة الجلائرية ، ثم لحق به من تبقى من قادته[٨] واتباعه فتجرعوا جميعا كأس المنية وكان ذلك سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م فآلت الى القرة قوينلو ممتلكات الجلائريين في جهات اذربيجان واهمها تبريز والسلطانية ، ولم تبقَ الا بغداد وباعتبارها اهم معقل من معاقل الجلائريين وقد تم لقرة يوسف القرة قوينلي احتلال بغداد في السنة التالية ١٤١١م على الرغم من تشبث الجلائريين بكل الوسائل الممكنة هكذا قامت الدولة القرة قوينلوية في العراق/ فقام قرة يوسف امير القرة قوينلو بتوزيع المناصب لاقربائه في اهم المدن العراقية على شكل اقطاعيات استغلال .. او لكه »[٩].

ثانيا : الحكام القرة قوينلو في الموصل وتوابعها

شهدت الموصل في الفترة التي حكم فيها القرة قوينلو ، والتي استمرت قرابة ستين سنة ، عهدا من اكثر العهود اضطرابا وفوضى. كما استمرت على وضعها الاداري السابق كولاية او منطقة ادارية تابعة لدولة عاصمتها تبريز. كان الحاكم القرة قوينلي ، يعين من يراه مناسبا لحكم الولاية ولعل من المناسب ، ان نشير هنا ، الى مسألة في غاية الاهمية تعنينا الى حد كبير في تفسير سلوك الحكام التركمان. «القرة قوينلو» في تعاملهم مع سكان المناطق المحتلة ، سواء في الموصل او غيرها ، هذه المسألة هي انتقال القرة قوينلي. وخلال فترة قصيرة من كونهم رعاة حيوانات الى حكام مناطق



ذات جذور حضارية عريقة ، تتطلب ادارتها خبرة متراكمة في كافة المجالات الادارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية لذا نجد ان الحلول التي استعانوا بها لمواجهة المشكلات التي برزت امامهم كانت تعبر بشكل او باخر عن تجاربهم الرعوية القبلية . فالحكم ارث مشترك بين ابناء العائلة الحاكمة ، لايجوز لاحد ان يشاركهم فيها كما ان حياة الفقر والعوز التي عاشوها في الفترة السابقة جعلتهم يسخرون موارد البلاد لخدمة مآربهم الخاصة دون اكتراث بمصالح السكان .

وفي ضوء ماسبق ، فان الحكام التركمان القرة قوينلو الذين تعاقبوا على حكم الموصل وتوابعها ، قد تصرفوا في ضوء الصورة التي رسمناها ، ومع قلة معلوماتنا عن جميع اولئك الحكام وبالتالي معرفة التفصيلات المتعلقة بحكمهم ، فان الاشارات القليلة الواردة في ثنايا المصادر ، توضح ان حاكم الموصل كان في الاغلب من ابناء الحاكم القرة قوينلو في حين كان حكام توابع الموصل من الامراء ممن يتمتعون بثقة العائلة الحاكمة .

تشير المصادر التاريخية الى تعين حكام على الموصل وتوابعها ، كركوك ، داقوق واربيل وغيرها ، منذ الايام الاولى لقيام الحكم القرة قوينلي غير ان هذه المصادر لاتذكر اسماءهم والملاحظة الجديرة بالاعتبار هنا ، ان معلومات المصادر الموصلية المحلية ، مضطربة الى درجة عدم التميز بين حكم القرة قوينلو والعثمانين والتيموريين الغياثي ان اقرب المؤرخين عهدا الى حكم القرة قوينلو ، لايشير الى حكام المدينة من سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م حتى ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م وهي الفترة التي شهدت احتدام الصراع بين ابناء قرة يوسف بحيث غدت البلاد مسرحا للتطاحن بين الامراء للانفراد بحكم المدن ذات الاهمية الستراتيجية والاقتصادية ففي سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م تمكن الشاه محمد بن قره يوسف حاكم بغداد السابق من احتلال مدينة الموصل بمساعدة من امير آل فضل حديثه الطائي الشيخ حارث فشكل حكومة مستقلة وقد اناط حكم اربيل لميرزا علي ، وحكم كركوك وداقوق لاحد قواده والمسمى علي اتابك ، غير ان حكومة الشاه محمد لم تستمر الا سنة واحدة ، اذ قتل سنة ٨٣٧هـ /١٤٣٣م ، على يد اعوان اخيه اسبان بن قرة يوسف ولم يكتف الاخير باغتيال اخيه بل جرد حملة عسكرية للاستحواذ على ممتلكاته ففي سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م فرض حصارا قاسيا على مدينة اربيل استمر خمسة اشهر ، الضطر حاكمها الى الاستسلام (كما سيرد في الصفحات اللاحقة) ثم زحف نحو الموصل فدخلها دون مقاومة (انه كان قد دبر من يتخلص من حاكمها توشمال زينل ، الذي قضى نحبه مسموما ، وقد نصب اسبان بن قرة يوسف حاكما على المدينة وهو عيسى بيك ، وقد عمل هذا بكل ماوسعه من اجل تسخير خيرات المنطقة لخدمة جيوش سيده اسبان بن قرة يوسف الذي تكرر مجيئه للموصل وذلك لمقاومة خصومه الاق قوينلو الذين بات خطرهم يهدد الموصل نفسها وقد استمر حكم عيسى بيك للموصل حتى سنة ٨٤٨هـ / اذ اضطر الى تركها بعد وفاة اسبان ابن قرة يوسف[١٠] .

في سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٩م كان حاكم الموصل الوند بن اسكندر القرة قوينلي غير ان حكمه لم يستمر الا بضعة اشهر ، اذ تركها خوفا من بطش ابن عمه بير بوداق بن جها نشاة ، فتحصن في قلعة بولاد القريبة من اربيل ومن هناك توجه نحو امارة المشعشعين في الاحواز[١١] .

ليست لدينا اية معلومات عن حكام الموصل خلال الفترة ٨٥٠هـ حتى سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م حيث لقي جها نشاه حاكم القرة قوينلي مصرعه على يد حسن الطويل حاكم الاق قوينلو في صحراء موش . ولكن هذا لايمنع من القول ان الذين تولوا حكمها لم يكونوا احسن من اسلافهم ، هكذا كتب على السكان وهم لاحول لهم ولا قوة ان يعيشوا حقبه من القلق والفزع والارهاب بسبب الحروب الاهلية بين الامراء الطارئين على البلاد



وليس لهم من هم غير اضطهاد الناس وتفريغ جيوبهم من اجل ارضاء اسيادهم في تبريز.

ثالثا :- الانحلال السياسي واثاره الاجتماعية والصحية والاقتصادية :

اذا كان القول ان مظاهر التخريب والدمار والفوضى كانت سمة عامة لمعظم البلاد الممتدة من خراسان شرقا حتى الشام غربا ، ومن البحر الاسود شمالا حتى الخليج العربي جنوبا صحيحا . فأن تأثيرها في منطقة الموصل كان اعمق ، لاعتبارات متعددة ، في مقدمتها موقعها الجغرافي ، فالموصل هي المنفذ المهم سواء للوصول الى الاناضول او حلب او البحر المتوسط ، كذلك كثرة خيراتها الاقتصادية جعلتها هدفا ثابتاً لغارات امراء القرة قوينلو او غيرهم من القوى القبلية في جهات ديار بكر السفلى او في بلاد الشام . ومن ناحية اخرى ، فان الجيوش التيمورية التي غزت الموصل مرتين الاولى ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م ، والثانية ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م[١٢] واتخذتها قاعدة لغاراتها العسكرية على الجزيرة وماردين جعلت المدينة تعيش حالة من الخراب والدمار الحقيقي ، ثم جاء حكم القره قوينلو ، وما اعقبه من تنافس وتطاحن ليكون «ضغثاً على ابالة» وليزيد من شقاء السكان وبؤسهم ، ولا يحتاج المتتبع للمصادر العراقية والمملوكية الى عناء كبير في تشخيص مظاهر الانحلال السياسي ، وفي مقدمتها نهب المدن وتخريبها وانتشار الامراض والاوبئة ناهيك عن تخريب الاراضي الزراعية وتقلص مساحتها ، كما ان الكوارث الطبيعية كالزلازل والثلوج كانت هي الاخرى تزيد في الطين بلة .

وبقدر تعلق الامر بالامراض والاوبئة ، فقد ارتبط انتشارها بحوادث حصار المدن في العراق والبلدان المجاورة ، واهمال السدود والقنوات وكثرة المستنقعات ، وضعف الوعي الصحي . ومن اكثر الامراض انتشاراً مرض الطاعون الذي نعت في المصادر العربية «بالوباء» او الفناء العظيم ، وهو سريع الانتشار والفتك حتى بالحيوانات على اختلاف انواعها والمصاب به يتقيأ لمدة ثلاثة ايام دماً دون انقطاع مع ظهور بثور في اجزاء مختلفة من جسمه ، واذا تقيحت هذه البثور نجا المريض واذ بقيت صلبة فمعنى ذلك هلاك المصاب في اليوم الخامس ويصف ابو المحاسن المؤرخ المصري اعراض هذا المرض بقوله «كان يخرج خلف اذن الانسان ، بثرة فيخر صريعا ثم صار يخرج للانسان كبه فيموت ايضا سريعاً ثم خرجت بالناس خيارة ، فقتلت خلقا كثيرا ، ثم صار الادمي يبصق دماً.. فكان الرجل يموت خلف محراثه ، ويوجد اخر قد مات وفي يده مايبذروالشاة اذ ذبحت وجد لحمها نتناً قد اسود وتغير[١٣] .

وقد ميزت المصادر التاريخية ، سنوات معينة تعرضت فيها الموصل وتوابعها لوباء الطاعون ففي سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م انتشر الطاعون في الموصل «ومات عالم لايحصى عددهم الا الله» .

وفي سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م زحف الطاعون من بلاد فارس الى الموصل والجزيرة وفتك باعداد كبيرة من الناس كما تكرر انتشاره في سنوات ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م ، ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م/ ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال ان امراضا آخرى كانت تفتك بالناس مثل السل (التدرن الرئوي) والصرع والسرطان غير ان المصادر اغفلت الاشارة اليها ، كما يبدو لان ضحاياها اقل من الطاعون .

اما بالنسبة الى المجاعات والتي اقترن ظهورها بحوادث الحصار ايضا وبانتشار الطاعون فكانت كارثة حقيقية تخيم على السكان خاصة اذا تزامن ظهورها مع سنوات المحل او القحط بسبب انحباس المطر او زحف الجرادويمكن الاشارة الى سنوات ٨١٧هـ / ٨٣٦هـ / ٨٦٠هـ بانها سنوات مجاعة وقحط ومحل في الموصل وتوابعها[١٤] .

اما اعمال التخريب والاستباحة التي تعرضت لها الموصل وتوابعها فقد ادت احيانا الى نزوح



جماعي للسكان بمجرد سماعهم بتوجيه حملة عسكرية نحو المدينة ، وقد اشارت المصادر الى تعرض اربيل والموصل للنهب والاستباحة خلال الفترة القرة قوينلوية ففي سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٥٣م حاصر اسبان مدينة اربيل و استمر الحصار اكثر من سنة وعندما عجز عن اقتحامها عمد الى تسميم ابار الشرب في قلعتها فاعلنت المدينة الاستسلام[١٥] غير ان هذا لم يمنع الغزاة من يهبها ، بعد ا ن حولوا بيوتها الى اخربة يعشعش فيها البوم ثم توجه اسبان الى الموصل ، فنزح بعض سكانها ، خوفا من تعرضهم للمرض[١٦] .

وقد تدهورت الاحوال الاقتصادية لمنطقة الموصل بدرجة لم يسبق لها مثيل بسبب التصرف السيء لحكام القرة قوينلي تجاه الارض ، ولعل ابرز مظهر لهذا التصرف التعسفي هو شيوع اقطاع الاستغلال «اولكه» والذي شمل مدنا باكملها ، فقد كانت كركوك واربيل وداقوق اقطاعات استغلال لابناء حاكم القرة قوينلي والامراء المتنفذين في الدولة .

رابعاً : الوضع الاداري لمنطقة الموصل

اتسم الوضع الاداري لمنطقة الموصل بالتعقيد بسبب عدم الاستقرار في اوضاعها السياسية اولا وتعرضها باستمرار لغارات القوى السياسية المجاورة مثل الاق قوينلو في ديار بكر والدولة المملوكية الثانية في بلاد الشام ومصر لذا تأرجحت تبعية بعض مدنها خاصة التخومية منها . كما ان فقدان سجلات الضرائب الخاصة بالمنطقة تزيد من غموض وضعها الاداري اكثر ومادام الامر كذلك ، فليس من مناص الا الرجوع الى الفترة الجلائرية اذ كانت الجزيرة الفراتية وفيها الموصل وسنجار والعمادية واربيل ،تشكل ولاية مهمة بجانب الولايتين الاخريين (بلاد الجبل) وفيها مدينة شهرزور والعراق العربي غير ان حدود الجزيرة الفراتية توسعت اكثر في فترة الغزو التيموري فقد الحق تيمورلنك كلاً من كركوك وداقوق لدائرة نفوذ حاكم الموصل حتى سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م عندما نجح اسبان بن قرة يوسف حاكم بغداد من اخضاعها لدائرة نفوذه[١٧] .

اما الهيئة الحاكمة في الجزيرة الفراتية ومركزها الموصل ، فقد كان الوالي ياتي في المقدمة ، ويعرف احيانا بصاحب الموصل ، فقد كانت صلاحياته غير محددة خاصة في ظل اضطراب حبل الامن في الدولة القرة قوينلويه ويتبعه عدد كبير من الموظفين يقومون بخدمته ، ويحيطونه علماً بما جرى في منطقته ويشترط[١٨] فيمن يتولى هذا المنصب ان يكون احد ابناء السلطان القرة قوينلي اي من (الشاهز داكية) . اما حكام المدن التابعة للموصل ، فكانوا من الامراء العسكريين ويعرفون باسم «الدار وغه» ويلي الوالي في الاهمية ، من الناحية النظرية ، القاضي ويكاد يكون هذا المنصب هو الوحيد الذي ترك بيد السكان الاصليين ولم يكن مرد هذه الاستعانة ، رغبة حكام الموصل الاجانب في اشراك السكان في مسؤولية الحكم ، بل لضعفهم الثقافي والديني ويظهر ان عوائل معينة في الموصل انيط لها هذا المنصب ومما يعزز هذا الرأي مايذكره السخاوي عند ترجمته لمحمد بن طاهر بن قاضي القضاة الشمس بن يونس الشافعي الموصلـي اذ يقول «وولي قضاء الموصل ، كأبائه من قبل سنين. ... وحمدت سيرته الى ان ثار اصبهان «اسبان» بن قرة يوسف ، وعاث بتلك البلاد ، فلما اخذ الموصل عذبه حتى هلك في العقوبة سنة ٨٣٣هـ »[١٩] .

ويلي القاضي في الاهمية الصوباشي وواجباته الاساسية هي حفظ الامن ومراقبة الابنية المتداعية وتنبيه اصحابها باصلاحها والاشراف على الحامية العسكرية في المنطقة ، وكان عليه ايضا معاونة القاضي في تنفيذ اوامره الشرعية[٢٠] .

اما الامور المالية في المنطقة فكان المسؤول عنها موظف يعرف باسم (اتو شمال Tuşmel) وواجبه الاشراف على عملية جمع الضرائب والرسوم وارسالها الى ديوان الاستيفاء Divan – istifa في العاصمة تبريز[٢١] .



كما وجد في الموصل منصب آخر، وهو «مجيب الغلة»[٢٢]، كان واجب من يتولاه جباية حصة الدولة من المحاصيل الزراعية في المنطقة وخزن الغلال من الحبوب والعلف، ووضعها تحت تصرف الحامية، عند تكليفها بواجب قتالي.

انحسر الحكم القرة قوينلي في الموصل سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٩م فانطوت بذلك صفحة اخرى من تاريخ الحقبة المظلمة التي اعقبت الغزو المغولي وبدأت صفحة جديدة هي صفحة الاق قوينلو.

الموصل تحت سيطرة (الخروف الابيض)؛ آق قوينلو ٨٧٢-٩١٤ هـ / ١٤٦٩-١٥٥٨ م

اولاً: الاق قوينلو بين الترحال والاستقرار

كانت الاق قوينلو «البايندريه» من العشائر التركمانية التي نزحت في اواسط اسيا واستقرت فترة من الزمن في اذربيجان، وكان ذلك في فترة حكم السلطان الايلخاني ارغون (١٢٨٤- ١٢٩١م) غير ان الاق قوينلو نزحوا فيما بعد الى جهات ديار بكر[٢٣] وفي مطلع القرن الخامس عشر، بدأت دائرة نفوذ الاق قوينلي تتسع، لتشمل كلا من ماردين وخربوت اضافة الى ديار بكر[٢٤] ويعود الفضل في ذلك الى جهود رئيس العشيرة قرة عثمان الذي نعتته المصادر بـ «قرة عثمان يلوك»[٢٥]، تعريفا بشراسته واستباحته لدماء خصومه، وحبه للغزوات شأنه شأن تيمورلنك، القائد التيموري في المعروف وعلى قاعدة شبيه الشي منجذب اليه، فقد اتخذ تيمورلنك قرة عثمان خليلا له في حله وترحاله وتشير المصادر انه كان حامل راية القوات التيمورية عند غزو تيمور لبلاد الشام[٢٦]، ولجهوده واخلاصه لسيده، كافأه تيمور لنك بمنحه اربيل وسنجار والموصل اقطاعا كما أقر وضعه كحاكم مطلق لكل من ديار بكر (امد) وماردين فعاشت امارة الاق قوينلو عصرها الذهبي وبدأت الامارات الاخرى في الاناضول تحسب لها الف حساب، لهذه القوة القبلية الفتية، غير ان وضع الامارة قد تاثر كثيرا بعد انهيار الحكم التيموري في العراق سنة ١٤٠٥م اذا انحسر حكمهم في اربيل والموصل وسنجار وبدأت دولة القرة قوينلو تمارس ضغطا شديدا على الاق قوينلو وبالتعاون مع المماليك الذين عانوا الامرين من هجمات قرة عثمان على مدنهم التخومية، خاصة الرها «أورفة حاليا في تركيا»[٢٧] لقد خر قرة عثمان القائد الاق قوينلي، صريعا سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م على يد أسكندر بن قرة يوسف القرة قوينلي[٢٨]، الذي ارتكب خطا كبيرا في عدم ملاحقة فلول الاق قوينلي المنهارة الامر الذي فسح المجال للاق قوينلو في اعادة تنظيم قواتهم وترتيب بيتهم من الداخل في فترة لاتتجاوز الا سنوات معدودة، فقد استطاع احد امرائهم المدعو اوزون حسن (الطويل) من تصفية كل الامراء المعارضين في الداخل اولا ثم زحف نحو القرة قوينلو في عقر دارهم فانزل ضربة قاصمة بخصمه اللدود جهان شاه في موش ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م فدانت له في السنوات التالية الثلاث كل من بلاد فارس والعراق وارمينيا وشرق الاناضول[٢٩] وهنا يعلق المؤرخ مينورسكي وهو من ابرز المختصين بتاريخ هذه الفترة عن اهمية بروز حسن الطويل وخلال فترة قصيرة كرجل دولة «لم يمثل حكم اوزون حسن بروزا للاق قوينلو فحسب، بل مثل اعظم الخطوات الاق قوينلوية نجاحا ولايمكن عزوها الى الظروف غير الطبيعية التي احاطتها كأنهيار القوة التيمورية او نتائج ماخاضه الطويل من معارك وعلى الرغم من اهمية التفسيرات السابقة فان ماحمله من صفات بالغة الاهمية ليس في كونه قائدا عسكريا بل في كونه رجل دولة ايضا[٣٠].

ثانيا: الموصل تحت السيطرة الاق قوينلو:

ثمة صعوبات كبيرة تواجه الباحث عن الاوضاع السياسية والاقتصادية والادارية في الموصل وتوابعها. فالمصادر المتوفرة لدينا تسهب في الحديث



عن الاحداث ذات الصلة بعلاقات الاق قوينلو الخارجية سواء مع المماليك في بلاد الشام ومصر او مع القوى الاوربية ونادرا ماتتعرض لحكام المدن وسنوات حكمهم وتأسيا لما سبق فلم نجد الا نصا واحدا في الغياثي نقلا عن ديار بكريه بشبير الى قيام حسن الطويل بتعيين خليل اغا التواجي حاكما على الموصل وشاه علي حاجيلو على اربيل عند زحفه على بغداد ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م[٣١] ، الامر الذي يعني ان الموصل دخلت تحت السيطرة الاق قوينلوية منذ السنوات الاولى لقيام حكم الاق قوينلي.

ان الصوة الايجابية التي ترسمها المصادر المحلية والمملوكية عن فترة حكم حسن الطويل القصيرة من انها فترة استقرار وامان والمباشرة بتشريع قوانين ادارية ومالية واجتماعية من شأنها تحقيق العدالة بين الناس اذا طبقت بشكل سليم ، يقول الغياثي وهو مصدر معاصر «كتب قانون نامة في الشكاوي والتخاصم الذي يقع بين مايوجبه على كل شيء من التعزير والتحريم وغير ذلك وارسلها الى جميع بلاده .. ولم يغادر من امور العدل شيئا يقدر عليه الا وفعله»[٣٢] ، كما اصدر قانوناحول كيفية جباية الاموال من الرعايا» وبغض النظر عن شك بعض المؤرخين حول وجود قانون في عهد حسن الطويل وان مافعله هو جمع للنظم المحلية المتوارثة وتنظيمها[٣٣] فان مجرد التفكير في الاقدام على هذا العمل يعد بحد ذاته مؤشرا ايجابيا قياسا الى من سبقه في حكم البلاد.. وفي ضوء ماسبق نستطيع القول ان الموصل عاشت في ظل نوع من الاستقرار النسبي في عهد حسن الطويل وابنه السلطان يعقوب «٨٨٢ - ٨٩٦هـ» الذي حذا حذو ابيه في فرض هيمنته على الامراء ومحاولته تطبيق قوانين الشريعة غير ان الامور اضطربت بعد وفاة السلطان يعقوب ، لم يكد يتوسد الثرى حتى انطلق ورثته والطامعين في السلطة ، يتسابقون في حبك المؤامرات للوصول الى كرسي الحكم[٣٤] ، فعادت الموصل والجزيرة الفراتية لتدخل مرحلة من الفوضى والاضطراب انعكست على اوضاع الموصل الاقتصادية والاجتماعية وبقدر تعلق الامر بالاوضاع الاقتصادية فقد استمر الاق قوينلي في توزيع الاراضي على اتباعهم كاقطاع استغلال ولكن بشكل متخلف مبتعداً كثيراً عن شكله الايجابي في العصور الاسلامية وكانت مخيلة الاقطاعي الاق قوينلي. عن وسائل ابتزاز ماانزل بها من سلطان في سبيل تسخير الارض ومن عليها لخدمة مآربه ومآرب اسياده القابعين في تبريز، وبالاضافة الى الضرائب الشرعية المفروضة على السكان فان الضرائب غير الشرعية تنوعت وجبايتها خضعت لامزجة الحكام المحليين ومن الضرائب التي شاعت في عهد الاق قوينلو هي ضريبة اردغادية وهي ضريبة قديمة كانت تؤخذ من المنازل لاغراض تعمير القلاع وكذلك ضريبة تمغاي سياة Tam-gayisiaha وباج برزك Baci Buzurk[٣٥] ، ورسم العروس وليست لدينا اي معلومات عن مقداره ولكن لنا ان نفترض ان التميز بين زواج الباكر والمرأة الثيب ، كان واردا في هذا المجال ، كما فرض الاق قوينلي رسم السياب resim – asyab[٣٦] ، وهو رسم يفرض على الطواحين. كما تعسف امراء الاق قوينلو في جميع الضرائب الديوانية[٣٧] .

ويبدو ان هذه الضرائب والرسوم لم تشبع بطون حكام الاق قوينلو فلجأوا الى بيع الاراضي الاميرية والمنشأت القائمة عليها وهو اجراء يعكس بالضرورة شعور امراء الاق قوينلو في عدم اطمئنانهم على المستقبل ورغبتهم في جمع اكبر مايمكن جمعه من اموال خلال فترة قصيرة فقد عرضت للبيع قرى باطويا الواقعة في بلد المرج ، وبرابنيا من اعمال الجزيرة العمرية وجميع الحمامات بقرية كرمليس من اعمال الموصل والرحى الواقعة بقرية زورانا المسماة برحى رثيان من اعمال الجزيرة العمرية وكان ذلك في سنة ٨٩٦هـ[٣٨] .

اما فيما يتعلق بالوضع الاداري للموصل في



هذه الفترة فقد انفصلت الجزيرة عن تبعيتها للموصل، فشكلت وحدة ادارية واحدة ويشير البرليسي ان أول حكامها في عهد حسن الطويل هو جلبي بك(٣٩).

كما ان الموصل لم تعد مركز اقليم كما كان في عهد القرة قوينلو بل اصبحت مدينة تابعة لولاية ديار بكر مركزها امد(٤٠)، ويعتقد ان هذا التغير الاداري قد ارتبط الى حد كبير بالتطورات السياسية والعسكرية التي حصلت في المنطقة والتي تمثلت في تدهور العلاقات المملوكية الاق قوينلوية من جهة والعلاقات الاق قوينلوية - العثمانية من جهة ثانية.

على اية حال فقد ظلت الموصل تحت سيطرة الاق قوينلو حتى مطلع القرن السادس عشر حيث سقطت دولة الاق قوينلو في العراق سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م على يد الشاه اسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية وبسقوطها تكون صفحة اخرى من تاريخ الحقبة المظلمة قد انطوت بينما بقيت الموصل تدافع عن شخصيتها الاجتماعية والثقافية جاهدة تحاول تجاوز مرحلة الانكفاء رغم استبدادية الادوات القمعية والبطشية التي توسل بها الحكام الطارئين على البلاد.

الهوامش

(١) رغم امتداد النفوذ القرة قوينلي على جهات الموصل واربيل وسنجار قبل مايقرب من سبع وثلاثين سنة من قيام دولتهم سنة ١٤١١م غير اننا لم نجبذ الاسهاب في الحديث عن اوضاع الموصل خلال تلك الفترة، لان القرة قوينلو كانوا تابعين للدولة الجلائرية، وبالتالي ليست لهم سياسة خاصة، ولان التطورات التي وقعت خلال فترة التبعية، والتي تمثلت بالغزو التيموري للعراق ١٣٩٣ - ١٤٠٥م كانت موجهة ضد الدولة الجلائرية بالاساس وليست ضد القرة قوينلو وهم قوة قبلية صغيرة.

(٢) القرة قوينلو والاق قوينلو: اي اصحاب الخراف السود والبيض على التوالي وقد وقع اكثر من مؤرخ في خطأ عندما اعتقدوا ان التسمية «القرة قوينلو» جاءت لرسمهم صور الخراف على اعلامهم وراياتهم ونصبهم هياكلها على قبورهم ومصدر هذا الخطأ، كان المؤرخ الانكليزي مالكولم Sir. Joun, malcolm

History of persia. (london 1814) VoL. I. p 490.

الذي وضع كتابه في النصف الاول من القرن التاسع عشر الذي شهد انتعاشا في الدراسات الانثروبولوجية، حول «الطوطمية» التي كانت سائدة عند القبائل الاسترالية والهنود الحمر، فاسقط مالكولم نتائج دراسات علماء الانثروبولوجيا على القبائل التركية في اواسط اسيا. غير ان الدراسات التركية الحديثة اسقطت هذا الاعتقاد، فقد اظهرت هذه الدراسات ان اعلام ورايات القرة قوينلي والاق قوينلي خالية تماما من صورةٍ لهذا الحيوان وانما عليها اسماء الحكام والخلفاء الراشدين، كما ان قبورهم تقليدية شأنها شأن قبور المسلمين. انظر دراسة:

Faruk sumer ، Kara koyunlar (Ankara 1967) – I cit 55 – 13 – 15

ويبدو ان تسميتهم بقره قوينلو وآق قوينلو قد شاعت بعد وصولهم جهات اذربيجان والاناضول، الخراف السود والبيض، كما عرف غيرهم باصحاب الماعز السوداء «قرة كيجلي» وهي عادة شرقية معروفة في تميز مجموعة بشرية بما تملك في حيوان أو شيء آخر. انظر: عباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين) بغداد ١٩٣٩ . ١٩٠. ص ٢٤.

(٣) ارزنجان وسيواس: ارزنجان او ارزنكان: مدينة قديمة ضمن بلاد ارمينة وهي الآن في الجهة الشرقية من تركيا اما سيواس فهي مدينة تركية معروفة وتقع على نهر قيزل ايرماق. انظر: كي لسترنج. بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد. «مطبعة اسعد بغداد ١٩٥٤». ص ١٥٠ - ١٧٩.

(٤) I. Hakki, uzun, car,sili, Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu, kararoyunlu, Devteleri. (Ankara 1969). 5. 180

وقارن مع مايذكره:

malkolm op. cit. Vol. 1.p. 491.

(٥) عبد الله بن فتح الله البغدادي، التاريخ الغياثي، تحقيق طارق الحمداني (بغداد ١٩٧٤) ص ٢٣٧ وما بعدها

(٦) انظر بحثنا المنشور: العراق والغزو القرة القوينلو في القرن الخامس عشر مجلة المؤرخ العربي العدد ٢٨ لسنة ١٩٨٦. ص ٣٨:

(٧) uzun, cursili. op. cit. 5. 182.

(٨) جهانكير زينل اوغلو: مختصر اذربيجان تاريخي (استانبول ١٩٢٤ ص ٨٩.

(٩) لمزيد من التفاصيل: انظر عباس العزاوي: المرجع السابق ج ٣. ص ١٩٦ - ١٩٧.

(١٠) التاريخ الغياثي ص ٢٤٥ - ٢٥٣.

(١١) المصدر السابق نفسه ص ٣٠٥.

(١٢) للوقوف على تفاصيل اكثر عن الغزو التيموري للعراق انظر جاسم حسين المهاوي: الغزو التيموري للعراق والشام واثاره السياسية ١٣٨٥ - ١٤٠٥م



رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب. جامعة بغداد ١٩٧٦ ص ٣٧ ومابعدها.

(١٣) ابن تغري بردي الاتابكي: النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة
دار الثقافة والارشاد القومي. القاهرة. (د.ت) ج ١. ص ١٩٨.

(١٤) E. Ashotor, Asocial and Economic History of the near east. in the middle ages – (london 1979) p 377.
انظر كذلك ياسين بن خير الله العمري. زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية
تحقيق وتعليق د. عماد عبد السلام رؤوف (النجف ١٩٧٤) ص ٥٢ – ٥٤.

(١٥) التاريخ الغياثي. ص ٢٦٩ وينوه الغياثي الى ان اثار التسمم قد استمرت لفترة طويلة فكان اذا مرض احد من السكان قيل «هو من طول مدة الحصار».

(١٦) المصدر السابق نفسه ص ٢٦٩.

(١٧) اصبحت كل من كركوك وداقوق تدار من قبل حاكم الموصل منذ سنة ١٣٩٣ / ٧٩٦هـ عندما منحتا كاقطاع سيورغال «نوع من اقطاع التمليك» وظلتا كذلك حتى ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م اذا رجعنا لدائرة نفوذ حاكم بغداد.
انظر: نظام الدين الشامي، ظفرنامة، تحقيق فيلكس تاور. (براغ ١٩٣٧) ص ١٤٥ ومابعدها.
ولم ترد في المصادر اشارة الى قيام حكام القرة قوينلي باجراء تغيير في الوضع الاداري للعراق/ اذ بقي كما كان الحال في العهد الجلائري والذي هو استمرار عما كان عليه في الفترة الايلخانية.
انظر جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانين (مطبعة العاني بغداد ١٩٦٨) ص ٧٨ – ٧٩.
عماد عبد السلام رؤوف، حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانين ٦٥٦ – ٧٣٨هـ / ١٢٥٨ – ١٣٣٨م. مجلة المؤرخ العربي العدد ١١ لسنة ١٩٧٩. ص ٥٢ – ٨٦.

(١٨) كان يرتبط بالوالي عدد كبير من الموظفين الذين يساعدونه في ادارة المنطقة، في المقدمة منهم رقيبدار Rikbdar الذي هو عين الوالي على كل صغيرة وكبيرة ثم الاتاق inak، وفي هذه الفترة كان واجبه تنظيم عملية الاتصال مع حكام المدن التابعة للموصل ثم يليه بردة دار Perdedar وهو اشبه مايكون بالحاجب وهناك جاندار Candar وهو المسؤول عن البريد ويتداخل واجبه مع واجب المصاحب musahip
انظر uzun cur,sili – op cit 205
ولاغراض المقارنة انظر: ابو العباس احمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا. (المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٩٦٣). ج ٤. ص ٣٢٨.

(١٩) انظر ترجمته بالتفصيل: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي. الضوء اللامع لاهل القرن التاسع. (بيروت. لا. ت) ج ٨. ص ٢٧٤.

(٢٠) uzun, cur,sili. op. cit. S. 201.

(٢١) Ibid. 5. 201

(٢٢) اشار الغياثي الى قيام مجبب الغلة في الموصل بمرافقة حاكم المدينة (الموصل) عيسى بيك في حملته على العشائر في سنجار والخاتونية سنة ٨٤١هـ، الامر الذي يحملنا على الاعتقاد انه كان يشرف ايضا على الاسلاب والغنائم.
انظر التاريخ الغياثي. ص ٢٧٢

(٢٣) ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي القرماني اخبار الدول واثار الاول في التاريخ (بغداد ١٢٨٢ ص ٣٣٦

(٢٤) uzun,car,sili op. cit. 5188.

(٢٥) التاريخ الغياثي. ص ٢٧٢ Malcolm op. cit. Vol. 1.p. 430.

(٢٦) للوقوف على تفاصيل اكثر انظر uzun, car,sili. op. cit, s,189
انظر كذلك: نظمي زادة مرتضى افندي، كلشن خلفا. ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس. (النجف ١٩٧١) ص ١٧٦.

(٢٧) لقد تكررت غارات قرة عثمان على الاراضي المملوكية طيلة الفترة ٨٢١هـ / ١٤١٥م – ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م، فعانت مدن عينتاب والبيرة والرها، الأمرين وتحملت شتى انواع المآسي والقهر للاستزادة انظر ابن حجر العسقلاني إنباء الغمر بابناء العمر تحقيق حسن حبشي/ القاهرة ١٩٧٢، ج ٣ ص ١٧٠ – ٤٢٢.

(٢٨) ابن تغري بردي الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
تحقيق ابراهيم علي طرخان (القاهرة (١٣٩١هـ / ١٩٧١) ج ٥ ص ٢٠١.

(٢٩) عن الصراع العائلي الذي احتدم بعد قتل قرة عثمان، انظر بالتفصيل التاريخ الغياثي ص ٣٧٣ – ٣٧٨.

(٣٠) Peter, Jackson, (editer), the cam Bridge History of Iran (volume 6) (london. 1986) p. 169.

(٣١) التاريخ الغياثي ص ٣٣٤.

(٣٢) المصدر السابق ص ٣٩٢.

(٣٣) V. F. minorsky the Aqqouonlu and land. Reforms, Bulletin of the School of oriental and African Studies (london 1955) Vol. xvit. Part .3. p459.

(٣٤) للوقوف على تفاصيل اكثر انظر: uzun, cars, ili. cit. 5. 193

(٣٥) يلاحظ الباحث ان الضرائب الاق قوينلوية هي استمرار للضرائب التي كانت تجبى في الفترة الايلخانية والجلائرية والقرة القوينلوية وان الاختلاف الوحيد هو في التسميات فقط كما ان العثمانين لم يغيروا من واقع الامر شيئا بل ان الوثائق العثمانية تشير صراحة ان هذه الضرائب هي ماكانت في عهد حسن بادشاه (حسن الطويل) فضريبة تمغاي سياه (الاسود) وباج برزك (الكبير) ضريبتان تفرضان على السلع والمنتوجات الزراعية والصناعية والاواني النحاسية والفضية والاحمال والاملاك، والفرق بين تمغاسياه وباج برزك ان الضريبة تؤخذ عن السلع التي تمر من مدينة الى اخرى وهي للبيع في حين باج برزك هي ضريبة العبور فقط.



انظر: عبد الرحمن وفيق، تكاليف قواعدي (قدر مطبعة س - استانبول ١٣٢٨هـ، ج ١ ص ١٤٠- ١٤١

(٣٦) خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي ١٦٣٨- ١٧٥٠م (اطروحة ماجستير، قدمت الى جامعة بغداد ١٩٧٦) الصفحات ٣٣٢.

(٣٧) الديوانية: ضريبة تفرض لمواجهة الحالات الطارئة مثل المجاعة او الحرب من قبل السلطان الاق قوينلي.

(٣٨) بطرس نصري القلداني: ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان (الموصل ١٩١٣م) ج ٢ ص ٨٤.

(٣٩) شرف خان البرليسي. شرفنامة، ترجمه الى العربية، محمد علي عوني (دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٨) ج ١. ص ١١٩.

(٤٠) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن التقسيمات الادارية لولاية ديار بكر في نهاية حكم الاق قوينلي انظر: Sevket, Bey san ogiu Risaltllmis, Diyarbakir Tarihi ve Abideleri Ankara 1960. ss. 180– 185.

الواقع الحضاري في الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض

٨١٤- ٩١٤هـ / ١٤١١م- ١٥٠٨م

د. احمد عبدالله الحسو

أصبحت الموصل - كما ورد آنفاً - تحت النفوذ الفعلي لأمارة الخروف الأسود؛ قرة قوينلو سنة ٧٧٨هـ، على الرغم انهم من لم يهيمنوا عليها استقلالاً مع بقية أنحاء العراق، الا في سنة ٨١٤هـ عندما تمكنوا من إنهاء حقبة التسلط الجلائري[1]. استمرت المدينة تحت سيطرتهم حتى سنة ٨٧٢هـ، ثم حلت محلهم امارة الخروف الأبيض؛ آق قوينلو التي ظلت تحكم الموصل وبقية أنحاء العراق حتى سنة ٩١٤هـ.

عالجنا في المبحث السابق اوضاع الموصل السياسية خلال الحقبة موضوعة البحث، وسوف نتناول هنا الواقع الحضاري في الموصل إبان الحقبة ذاتها.

الوضع الاقتصادي:

أدت الموصل عَبرَ عصور التاريخ المختلفة دوراً فاعلاً وايجابياً في اقتصاد المناطق المحيطة بها، بيد أن هذا الدور كان دائماً رهيناً بالتكامل بين انشطتها الاقتصادية، وأنشطة المناطق المشار اليها، وبضمان توفر استقرار سياسي فيها، ولقد كان حظ مدينة الموصل في استمرار هذا التكامل اكبر منه بالنسبة الى مدن أخرى في العراق، خلال العقود الستة عشرة (٦١٨- ٧٧٨) التي سبقت تاريخ تسلط اسرة قرة قوينلو (باسم الجلائريين) على الموصل سنة ٧٧٨هـ، حيث انها لم تتعرض الى نفس الضراوة والتأثير اللذين تعرضت لها بغداد ومدن أخرى في العراق، جرّاء الاحتلال المغولي ثم الجلائري، واذا كان هذا الوضع قد اعطى الموصل قدرة على مواصلة انشطتها الاقتصادية، ومواجهة التحديات المغولية والجلائرية كما اشرنا الى ذلك في مبحث سابق فإنها مع سنة ٧٧٨هـ؛ اي مع بداية تسلط قبائل قرة قوينلو شهدت وضعاً مختلفاً، أدى الى إضعاف قدرتها تلك على مواصلة أنشطتها الاقتصادية، فمَع هيمنة القبائل المشار اليها على الموصل بخاصة، واقليم ديار بكر والجزيرة بعامة، اصبحت المنطقة برمتها مسرحاً لاضطرابات وحروب شبه دائمة، سواء بين ابناء الاسرة الحاكمة ذاتها، او بينها وبين غيرها[2]، كما أن اعتماد هذه القبائل



على الرعي والتنقل لم يدفعها الى الاهتمام بإستثمار الارض، بل باستهلاكها؛ ونعني بذلك اتخاذها مراعي لها تردها مع كل شتاء[٣]، كما أن الموصل والمناطق المحيطة بها، كانت خلال العقود السبعة التالية لسنة ٧٧٨هـ؛ تاريخ ابتداء وجود قبائل قره قوينلو فيها؛ اي حتى سنة ٨٤٨هـ، عرضة لغزوات عدة[٤]، كما انها خلال الحقبة نفسها تعرضت اربع مرات لاحتلال التيموريين بقيادة تيمورلنك[٥].

ان بالأمكان تصور مايكون قد نجم عن ذلك من تأثير سلبي على الوضع الاقتصادي، وبخاصة مايتعلق بالزراعة والتجارة؛ وهما عنصران اساسيان في اقتصاد المدينة. وبرغم ان المؤرخين المعاصرين لهذه الحقبة لم يحددوا حصراً ماصاب الاقتصاد من خلل، الاّ انهم تحدثوا عن التخريب الحاصل بعامة، كالذي جاء على لسان ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ في معرض ترجمته لأحد أبرز قادة امارة قره قوينلو؛ ونعني به قرة يوسف (ت ٨٢٣هـ) حيث قال:

(وقد خربت في ايامه، وايام اولاده، مملكة العراقين)[٦] وقال عن التخريب الذي اصاب الموصل في عهد ابنه أصبهان «وأخرب.. الموصل»[٧] ويتفق مع ابن حجر في اعطاء هذه الصورة ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) فقد ذكر أن اصبهان بن قره يوسف ثار على اخيه سنة ٨٣٣هـ «ونزل على الموصل، ونهب تلك البلاد، وقتل، وأفسد فساداً كبيراً»[٨]، وجاء في تقرير لموفد كان السلطان المملوكي قد ارسله لكشف احوال العراق، نقل لنا ابن تغري بردي جانباً مما جاء فيه (قدم التقرير في شوال ٨٣٧هـ) بخصوص الموصل فقال:

وانه – يعني اصبهان بن قره يوسف – خرب ايضاً الموصل حتى صارت مثل بغداد، واعظم، من انه سلب اهلها، وأمر بهم فأخرجوا، وتمزقوا في البلاد)[٩].

وتبدو هذه الصورة التي نقلها لنا مؤرخان مصريان معروفان بمكانتها الرصينة في الكتابة التاريخية، وبقربها من مركز الأخبار، اعني الدولة المملوكية، متفقة مع انطباعات مؤرخ عراقي معاصر (كان حياً سنة ٨٩١هـ) هو الغياث البغدادي الذي قال: «ماعمى قلوب هذه الطائفة – يعني حكام قره قوينلو – [التي] تدعي التسلط على عباد الله بغير الحق، كلما زادهم الله نعماً، زادوا عتواً وفجوراً»[١٠] ووصف اصبهان المشار اليه آنفاً بالظلم والفجور، ووصف أخاه جهانشاه بأن «ظلمه وفجوره وفكره الفاسد، أخرب البلاد، واباد العباد»[١١].

في إطار هذه الصورة القاتمة للموصل، وبقية مدن الجزيرة، والعراق، إبان الحقبة موضوعة البحث، نقف على حدود دنيا من الأنشطة الاقتصادية، يستدل عليها، مِمّا يأتي:

١- استمرار صناعة الأقمشة المعروفة بالموزلين Muslin، وهي اقمشة حريرية مذهبة اشتهرت بها الموصل، ويبدو ان انتاجها لم يكن لغرض تغطية السوق المحلية فحسب، بل لتصديرها الى اقطار أخرى.[١٢]

٢- ان ارتفاع مستوى التخصص في هذه الصناعة، وانتاج قماش ذي تقنية عالية، يعني ان المدينة كانت تنتج غير الموزلين من القماش. ويفترض في ضوء ذلك ان الصناعات المرتبطة بصناعة النسيج كالندف والغزل، وصبغ الغزول، وقصرها كانت قائمة، كما انه يعني توافر المواد الأولية اللازمة لها من حرير وقطن وغيره.

٣- ان قيام التجار الموصليين بتصدير كميات كبيرة من قماش الموزلين الى بلاد الشام ومصر حتى عهد السلطان المملوكي الأشرف

برسباي[١٣] يؤشر وجود نشاط تجاري مماثل مع اقطار اخرى فمثل هذا النشاط امر طبيعي مادام تجار الموصل قد وصلوا بتجارتهم الى مصر وشواطئ البحر المتوسط ، كما أن من الطبيعي كذلك انهم كانوا يتاجرون الى جانب (الموزلين) بمواد أخرى من انتاج الموصل كالتحف المعدنية التي اشتهرت بها .

واذا كان من الطبيعي أن نفترض أن الصناعات المحلية الأخرى التي عرفتها المدينة ، وتميزت بها خلال الحقب السابقة كالصناعات الخشبية والفخارية والمعدنية ومواد البناء وغيرها ، كانت قائمة بحكم الحاجة اليها ، فإنَّ من الصحة بمكان الانبالغ في ذلك ، فإن هذه الأنشطة قامت في بيئة ممعنة في التخلف والجهالة ، والفوضى ، والواقع أن ماعرفناه من تراجع في الدور الحضاري لمدينة الموصل خلال عهد التسلط الأيلخاني (المغولي) ثم الجلائري ، غدا في عهد أُسرتي قره قوينلو ، وآق قوينلو اكثر تعقداً ، إذ دفع تخلفهما ، وفساد ادارتها ، بالمدينة الى فقدان دورها القيادي ، وتمكن قيم البداوة منها . ولا يتناقض مع هذا الحكم ، أن كلا من الاسرتين المشار اليها ، اتخذتا من المدن مستقراً ، وتنافسا في الحصول عليها ، ذلك ان حرصهم هذا لم يعكس نزوعاً نحو التحضر والتطبع بقيم المدينة ، فلم تكن بالنسبة لهم سوى مراكز يحتمون بقلاعها واسوارها ، ويستفيدون من المراعي المحيطة بها ، فهي أشبه ماتكون بمعسكرات لهم ، فضلاً عن انهم لم يظهروا حرصاً على تعمير المدينة ، او الحفاظ على عمرانها . ودليلنا على ذلك انهم كانوا اذا ماتصارعوا ، بعضهم مع بعض على مدينة ما ، اعتادوا ان يقوموا بتخريبها ، قبل مغادرتها ، كما حصل لمدينة اربيل[١٤] ، بل انهم نظروا الى المدن كما لو انها سلعة تباع وتشترى ، فهذا مافعلوه في الموصل سنة ٨١١هـ عندما قام حاكمها قره يوسف بمقايضتها مع مدينة ماردين[١٥] .

الوضع الثقافي :

على الرغم من ان المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الحقبة والقريبة منها ، اهتمت بأخبار امراء قرة قوينلو وآق قوينلو الاّ انها لم تتضمن مايفيد برعايتهم او اهتمامهم بالعلم والثقافة . إن غياب هذا الاهتمام ادى الى غياب المؤرخين الذين كان من الممكن – لو أنهم وجدوا – ان يضعونا امام بعض الحقائق التي قد تميط اللثام – لو وجدت – عن الوضع الثقافي والعلمي للموصل في هذه الحقبة ، كما ان ماقمنا به من مسح لمعظم كتب التراجم التي تطرقت لرجال القرن التاسع والعاشر الهجريين لم تسعفنا الاّ في حدود ضيقة ، فبين اكثر من اثني عشر الف ترجمة لشخصيات القرن التاسع الهجري والتي تضمنها كتاب الضوء اللامع للمؤرخ المصري شمس الدين السخاوي[١٦] ، لم نجد الا ترجمات محدودة لشخصيات علمية موصلية ، أما كتاب (الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة) للغزي ، فلم يتضمن اية ترجمة لمثقفين عاشوا في الموصل[١٧] .

واذا كنا امام هذا النَزْر القليل من المعلومات عن الحياة الثقافية في الموصل ابان حقبة تسلط اسرتي قره ، وآق قوينلو ، فإن المثقفين الموصليين – على قلتهم – كان لهم نشاط نسبي خارج مدينتهم ، اذ تظهر كتب التراجم مجموعة من الشخصيات التي سبق لها ان هاجرت بحثاً عن مأمن او حياة فضلى ، وكما هو واضح من الجداول (١ ، ٢ ، ٣) حيث بلغ عددهم ثمانية عشر مهاجراً ، من اصل عشرين شخصية ثقافية ، امكننا معرفتهم خلال هذه الحقبة ، وهذا يَعْني ان الهجرة بين المثقفين شكلت مايقرب من ٨٠٪ من مجموع اعدادهم ، في حين ان ٢٠٪ فحسب من المجموع العام

الجدول رقم (١)

يتضمن اعداد المواصلة الذين تخصصوا في العلوم الدينية، خلال حقبة تسلط اسرتي قره، وآق قوينلو. (٨١٤- ٩١٤هـ)

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر/ مقيم
ابو بكر (الشيخ)[١٨]	التصوف		ت ٨٥٣	الموصلي الدمشقي	مهاجر
داؤد بن سليمان ابن عبد الله[١٩]	الحديث	حوالي ٧٦٤	ت ٨٤٤	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
عبد الملك بن ابي بكر[٢٠]	الفقه		ت ٨٤٤ بيت المقدس	الموصلي الاصل الدمشقي المقدسي	مهاجر
عبد القادر بن ابراهيم[٢١]	الفقه	٧٨٨	ت ٨٦٢	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
علي بن محمد بن احمد[٢٢]	الفقه	—	ت ٨٨٢	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
علي بن محمد بن فتح الله[٢٣]	الفقه	—	حي ٨٤٦	الموصلي نزيل طرابلس	مهاجر
محمد بن احمد بن محمد[٢٤]	الفقه الادب	—	ت ٨٧٢	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
محمد بن طاهر بن يونس[٢٥]	الفقه التفسير	—	٨٣٣ الموصل	الموصلي	مقيم
محمد بن محمد بن علي بن حسان[٢٦]	الفقه الأدب	٨٠٠	ت ٨٥٥	الموصلي الأصل المقدسي ثم القاهري	مهاجر
محمد بن علي بن عبد الكريم[٢٧]	التصوف الأدب		ت ٧٤٥	الموصلي الواسطي	مهاجر



الجدول رقم (٢)

يتضمن المواصلة الذين تركزت اهتماماتهم على الأدب واللغة خلال حقبة تسلط اسرتي قره ، وآق قوينلو

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر/ مقيم
احمد بن محمد بن احمد[٢٨]	اللغة – التفسير – الحديث	٧٨٨	ت ٨٧٠ دمشق	الجبلي الموصلي الدمشقي	مهاجر
شعبان بن محمد بن داؤد[٢٩]	الادب – اللغة	٧٦٥	٨٢٨	القرشي الموصلي	مهاجر
عبد الرحيم بن محمد[٣٠]	الادب		حي ق ٩ هـ	الموصلي الدمشقي	مهاجر
محمد بن موسى[٣١]	الادب		ت بعد ٨٦٠ هـ	الموصلي الاصل	مهاجر

الجدول رقم (٣)

يتضمن اولئك الذين كانت لهم اهتمامات ثقافية عامة خلال حقبة تسلط اسرتي قره ، وآق قوينلو.

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر/ مقيم
علي بن يحيي بن ابراهيم[٣٢]		—	حي سنة ٧٧٢ هـ	الاربلي الموصلي	مهاجر
عيسى بن محمد بن قاسم[٣٣]		—	ت ق ٩ هـ	الموصلي/ الدمشقي	مهاجر
محمد بن احمد بن عبد الملك[٣٤]		—	ت ٩٠٠ هـ	الموصلي	مهاجر
محمد بن عبد الرحيم ابن محمد[٣٥]		—	ت ق ٩ هـ	الموصلي الدمشقي	مهاجر
محمد بن علي بن يحيى[٣٦]		—	ت ٨٦٢	الموصلي ابوه الدمشقي	مهاجر
محمد[٣٧]		٧٧٧ هـ	٨٦٠ هـ	الموصلي	مقيم

للمثقفين هي التي مارست نشاطها في الموصل فلم تهاجر منها. ويلاحظ ان هؤلاء المثقفين توزعوا بين مهتم بالفقه والحديث والتصوف وبلغ عددهم عشرة اشخاص ، وبين مهتمين باللغة العربية وآدابها لم يتجاوزوا اربعة منهم ، أما الباقون الذين لم تحدد اختصاصاتهم وكان لهم اهتمام بالعلوم الدينية فقد بلغوا ستة اشخاص.

ان من الواضح ان التراجع الثقافي الذي تتبعناه في المباحث السابقة ، منذ الغزو المغولي للموصل سنة ٦٦٠ هـ بلغ اوجه في هذه الحقبة ، وهذا ما يمكن ان نتلمسه من ملاحظة الجدول (٤).

إن هذه الحالة تمثل نتيجة طبيعية لتراجع كان قد ابتدأ في حقب سابقة ، وتعاظم مع الاحتلال

الجدول رقم (٤)

يوضح اعداد المقيمين والمهاجرين والقادمين من المثقفين الموصليين خلال حقبة التسلط الايلخاني والجلائري واسرتي قره وآق قوينلو.

	المقيمون	المهاجرون	القادمون	المجموع
الايلخانية	٣٢	٦٤	٢٥	١٢١
الجلائرية	١٠	٣٤	٢	٤٦
قره ، وآق قوينلو	٢	١٨	—	٢٠
المجموع	٤٤	١١٦	٢٧	١٨٧

المغولي والجلائري ، كما ان ما وَجَدناه من نشاط



علمي وثقافي ابان ذلك، يمثل أقصى حدود ما كانت تمتلكه المدينة - كأية مدينة اخرى من العراق عانت من الضغوط ذاتها - من تراكم خبرات، وقدرات مادية ومعنوية، بيد أن هذا التحدي المقابل ظل يتناقص بحكم تزايد التأثيرات السلبية للحكام المشار اليهم، وتناقص موارد الوقف التي كانت الأجيال السابقة قد وقفتها لصالح الأجيال اللاحقة، وكانت ملاذاً للمثقفين وسبباً في استمرار المؤسسات العلمية والدينية، لذا فقد وجدنا نسبة المثقفين الموصليين تتناقص مع تقدمنا زمنياً نحو حقبة التسلط الايلخاني فالجلائري، ثم الحقبة موضوعة البحث هنا. كما نلاحظ ان نسبة اعداد المقيمين منهم في مدينتهم، مقارنة بإعداد المهاجرين منهم، تسير باتجاه عكسي حيث يتناقص المقيمون، ويكثر المهاجرون حتى اذا وصلنا الى الحقبة التي نعالجها، نقف امام حالة ضمور وتراجع في الحياة الأدبية والثقافية، بحكم توفر عامل جديد الى جانب العوامل السابقة، وهو أن الذي تولى قيادة المدينة قرابة مائة وستة وثلاثين سنة (٧٧٨ - ٩١٤ هـ) عناصر أجنبية اكثر أمية ممن سبقها، لاتمتلك منظوراً حضارياً، ولعل خير مايوضح مقدار التأثير الذي أحدثته هذه العناصر، الصورة التي قدمها شاهد عيان زار العراق بعد ستة عقود من تغلغل هذه القبائل في الموصل وما حولها (سنة ٨٣٧ هـ) حيث قال:

«واستولت عليها - اي الموصل - العربان، فصارت ... منزلة من منازل العرب بعد ان كانت تضاهي بغداد دار السلام»[٣٨].

الهوامش

(١) انظر المبحث السابق الموسوم: الموصل في عهد التسلط الجلائري وكذلك المبحث السابق.

(٢) ابن حجر، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق الدكتور حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٢، ج٣/ ٢٣٠، ٢٣١ (٨)، ٤٨١، ٤٨٤ (٥)، ٥٢٠، ٥٤٨؛ الغياثي (ت بعد ٨٩١ هـ) التاريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني، ص ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٠.

(٣) Faruk Summer' Kara Koyunular, Amkara, 1967. vol. 1 P. 41.

(٤) إنباء الغمر ج١/ ٥٢٣، ٤٧٢، ٤٥٠؛ ج٢/ ٢٠٨.

(٥) المصدر نفسه، ج١/ ١٠٧، ١٣٣؛ ج٢/ ١٩؛ الغياثي ص ٢٣٧.

(٦) ابن حجر، إنباء الغمر ج٣/ ٢٣٠.

(٧) المصدر نفسه ج٣/ ٥٢٠.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ١/ ١٠ هـ، تحقيق جمال محمد محرز وفهيم محمد شلتوت، المكتبة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧١، ج١٤/ ٣٤٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر ج٣/ ٥٤٨.

(٩) ابن تغري بردي، المصدر السابق ج١٤/ ٢٤٨.

(١٠) الغياثي، ص ٣٠٠.

(١١) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

(١٢) انظر المقريزي، السلوك، تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٢. ج٤/ ق٢/ ٧٩٢، ٨٠٠، وانظر العاني، (المرجع السابق ص ٤٤ ٢٤٥.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) الغياثي ص ٢٦٩، ٢٨٦.

(١٥) ابن حجر، إنباء الغمر ج٢/ ٤٠٤؛ الغياثي ص ٢٤١.

(١٦) يقع كتاب السخاوي في اثني عشر جزءاً، وقد خصص الجزء الأخير منه الى تراجم نساء القرن التاسع الهجري والحق به بفهرس تفصيلي.

(١٧) قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور جبرائيل سليمان جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢ ١٩٧٢.

(١٨) الضوء اللامع ج٨/ ٢٢٤ (٥٨٦)، ويلاحظ اننا احتسبنا في هذه الجداول بعض الشخصيات الثقافية في اكثر من حقبة، كما هو الحال بالنسبة للشيخ ابي بكر من هذا الجدول، ذلك انه عاصر حقبتين هما حقبة التسلط الجلائري ثم تسلط اسرة قرة قوينلو.

(١٩) المصدر نفسه ج٣/ ٧٩٥.

(٢٠) المصدر نفسه ج٥/ ٨٤ (٣١٤).

(٢١) المصدر نفسه ج٤/ ٢٥٩ (٦٧٥).

(٢٢) المصدر نفسه ج٥/ ٢٨٠ (٩٥).

(٢٣) ابن حجر، الدرر الكامنة ج٦/ ٦ (١٣)، الضوء اللامع ج٦/ ٩ (١٣).

(٢٤) الضوء اللامع ج٧/ ٧٢ (١٣٥).

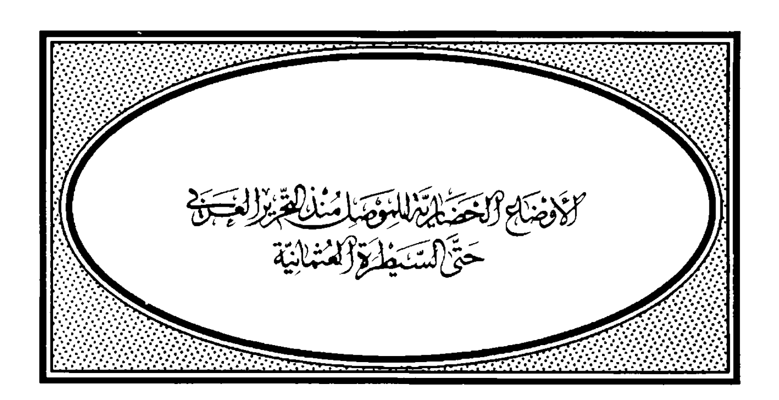
(٢٥) المصدر نفسه ج٧/ ٢٧٤ (٧٥).

(٢٦) المصدر نفسه ج٩/ ١٥٢ (٣٨٧)

(٢٧) فهرس مخطوطات مكتبة اوقاف بغداد، بغداد، (رقم ٨٨٥).



(٢٨) كحالة، معجم المؤلفين ج٣/ ٦٥.
(٢٩) الضوء اللامع ج٣/ ٣٠١، أنباء الغمر ج٣/ ٣٥٣.
(٣٠) المصدر نفسه ج٨/ ٥٣ (٦٣).
(٣١) المصدر نفسه ج١٠/ ٦٥ (٢١٨).
(٣٢) المصدر نفسه ج٨/ ٢٢٤ (٥٨٦).
(٣٣) المصدر نفسه ج٦/ ١٥٧ (٥٠٤).
(٣٤) المصدر نفسه ج٦/ ٣٢٩ (١٠٧٥).
(٣٥) المصدر نفسه ج٨/ ٥٣ (٦٣).
(٣٦) المصدر نفسه ج٨/ ٢٢٤ (٥٨٦).
(٣٧) كحالة، ج١٢/ ٦٨.
(٣٨) النجوم الزاهرة ج١٥/ ٤٥.



نظم الحكم والإدارة

أ. د. توفيق اليوزبكي

الموصل في ظل الدولة العربية الاسلامية

اتسعت الدولة العربية الاسلامية إثر حركات التحرير العربي الاسلامي التي قام بها العرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، وكانت من الاقاليم التي حررها العرب في عهده الموصل والجزيرة، وذلك بعد انتصار العرب على الفرس في معركة القادسية سنة ١٦ هـ = ٦٣٧ م بقيادة القائد العربي سعد بن ابي وقاص حيث تقدمت الجيوش العربية الاسلامية شمالاً الى تكريت ودحروا قوات الروم التي كانت بقيادة الانطاق بمؤازرة القبائل العربية التي كانت في الموصل، واتجهت الجيوش العربية بعدها الى الموصل، فقد فتحت صلحاً على يد القائد العربي ربعي بن الافكل العنزي، وقيل إنها «فتحت سنة ١٨ هـ أو ٢٠ هـ بقيادة عياض بن غنم وعتبة بن فرقد.»[١]

ويذكر بعض المؤرخين ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أمر عتبة بن فرقد المسلمين بفتحها فقاتل أهل نينوى واخذ حصنها الشرقي وعبر دجلة فصالحه اهل الحصن الغربي.[٢] ويبدو أن الفتح



الاول كان قاصراً على الموصل فقط، وفي المرة الثانية أتمام تحرير المناطق المجاورة للموصل.

لقد ازدادت أهمية الموصل بعد تحريرها من قبل العرب في خلافة عمر بن الخطاب (رض) سنة ١٦هـ = ٦٣٧ م فقد مصرها واختط منازل العرب بها حتى غدت احدى القواعد العسكرية المهمة لحركات التحرير العربي الاسلامي والقاعدة الادارية لمنطقة الجزيرة فيعتبرها ابن قتيبة [٣] من أقاليم الجزيرة في حين يذكر الأزدي : ان الموصل هي الجزيرة وهي مابين دجلة والفرات. [٤] وانها اقليم واحد باعتبار الموصل والجزيرة تشكلان وحدة جغرافية وبشرية مرتبطة بوشائج كثيرة منها أنهم عرب أصلاً تربطهم صلات قبلية واقتصادية لذلك اطلقوا على الموصل والجزيرة (الموصلان). [٥].

وقد حظيت الموصل بعناية المؤرخين العرب القدامى في مختلف مراحل تاريخها وظهرت العديد من المصنفات والكتب تناولت تاريخ الموصل والاحداث السياسية التي مرت بها والأسر الحاكمة التي تعاقبت على حكمها. ويعزى هذا الاهتمام الى الدور الكبير والبارز الذي نهضت به الموصل على مسرح الاحداث العسكرية والسياسية في المشرق العربي ومنذ التحرير العربي الاسلامي لها في عهد الراشدين والعهود التالية من أموية وعباسية، وفي فترات النفوذ الأجنبي من (فرس واتراك وبويهيين وسلاجقة ومغول) وفي فترة قيام الامارات العربية شبه المستقلة من (حمدانيين وعقيليين).

وعظم شأن الموصل وغدت عاصمة اقليمية فنظمت بها الدواوين الخاصة باعمال ادارة الجزيرة، واصبحت مركزاً عسكرياً للدفاع عن الحدود الشمالية الشرقية للدولة العربية الاسلامية، حيث نالت أهتمام المؤرخين والبلدانيين فوصفها ابن حوقل انها (مسكن سلطات الجزيرة ودواوينها ومجتبي أموالها.) [٦]

وكانت الموصل موطن العديد من القبائل العربية منذ عصور موغلة في القدم هاجرت من موطنها الاصلي في الجزيرة العربية واستقرت في انحاء متعددة من الشرق القديم، ويؤكد هذه الحقيقة ابن حوقل بقوله إن (مدينة الموصل اهلها عرب ولهم بها خطط وأكثر اهلها من نافلة الكوفة والبصرة) [٧] وازدادت هجرات القبائل العربية بعد تحريرها. واصبحت الموصل بحكم موقعها الجغرافي احدى الثغور العربية المهمة. لانها باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد الى اذربيجان [٨]. وهي المنفذ الذى يمكن ان تهدد منه جيوش الروم بلاد العراق والجزيرة والشام. [٩] كما انها متصلة بارمينيا واذربيجان [١٠] لذلك اهتم العرب بتأمين حمايتها ووضع قوات عربية فيها ولوقوعها على طرق التجارة العالمية. مما جعلها تتمتع بمكانة بارزة ومتقدمة من بين عواصم ومدن الدولة العربية مما حدا بالخليفة مروان بن محمد إلى ان يفكر في اتخاذها عاصمة جديدة له، وكاد ابو جعفر المنصور العباسي ان يتخذها عاصمة له لولا أن اهتدى الى موقع بغداد.

أصبح أقليم الموصل والجزيرة يتكون من الناحية الادارية من ثلاثة اقسام: هي ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر. [١١] وحددها ابن الاثير بقوله: إن الجزيرة هي البلاد الواقعة مابين دجلة والفرات فيها: الموصل وسنجار وحران والرها والرقة ورأس العين وآمد وميافارقين وديار بكر. [١٢] ويمكن تحديد اتجاهاتها من الشمال أرمينية وبلاد الروم، ومن الغرب بلاد الشام، ومن الجنوب السواد ومن الشرق والشمال الشرقي اذربيجان. [١٣] وبعد تحرير سواد العراق من السيطرة الفارسية وتحرير الموصل والجزيرة من النفوذ البيزنطي اتصلت اجزاء العراق ببعضها واخذت خارطته شكلاً موحداً، وقد قسم العراق ادارياً منذ خلافة عمر بن الخطاب (رض) الى قسمين:

الأول: (الجنوبي) وهو ماأطلق عليه اسم (السواد) وقد حدد حده الشمالي من الأنبار على الفرات إلى تكريت على دجلة التي كانت تقع جنوبي الموصل والجزيرة، وحده الجنوبي فهو الخليج العربي،



ويتكون هذا القسم من ولايتين هما: الكوفة والبصرة، فولاية البصرة تشمل على البصرة والاحواز على الخليج العربي ومنطقة الطيب، أما ولاية الكوفة فتشمل مابقي من القسم الجنوبي.[١٤].

والثاني: وهو الذي يقع شمال القسم الجنوبي ويعرف باسم (الجزيرة) اذ يديره أمير الجزيرة الذي اتخذ من الموصل مقراً لادارته وعاصمة لاقليم الجزيرة[١٥].

ولاة الموصل في عهد الراشدين والامويين (١٦ - ١٣٢هـ) = (٦٣٧ - ٧٥١م)

بلغت الدول العربية الاسلامية من السعة في خلافة عمر بن الخطاب (ر) بحيث ادى الى صعوبة ادارتها مركزياً مما دفع الخليفة عمر (ر) الى تقسيمها ادارياً الى عدة اقاليم (ولايات) وجعل على كل اقليم او ولاية اميراً يعينه الخليفة ويحكم باسمه، ويكون مسؤولاً تجاهه[١٦] ويتكون كل اقليم من عدد من الكور[١٧] ويتبع كل كورة عدد من القرى يديرها موظف يعينه الامير ويكون مسؤولاً تجاهه.

فكانت الموصل احدى الولايات المهمة في عصر الراشدين، وكان اغلب ولاتها ممن يتمتعون بالقدرة والكفاءة العسكرية والادارية، فهم الذين يقودون الحملات العسكرية ويشرفون على شؤون ادارة ولاياتهم، وكانت مسؤولياتهم تجاه الولاية تشبه لحد كبير مسؤولية الخليفة[١٨] ويعاون الامير (الوالي) في ادارة امور الولاية عدد من الموظفين منهم صاحب الخراج الذي يتولى امور الجباية، والقاضي الذي يتولى النظر في الخصومات والحقوق بين الناس، وصاحب الشرطة الذي يتولى حفظ الامن وتنفيذ احكام القضاء[١٩].

وقد توالى على حكم ولاية الموصل في عصر الراشدين نخبة من الامراء (الولاة) كانوا على درجة كبيرة من المقدرة الادارية والعسكرية مما جعل الولاية تعيش في أمن واستقرار ورخاء اقتصادي وتقدم عمراني نذكر منهم: ربعي بن الافكل العنزي (١٦ هـ = ٦٣٧ م) وعبدالله بن المعتم الذي اناب عنه مسلم بن عبدالله (١٧ هـ = ٦٣٨م) وعتبة بن فرقد السلمي (٢٠ هـ = ٦٤٠ م) وهرثمة ابن عرفجة البارقي (٢٢ هـ = ٦٤٢ م) وحكيم بن سلامة الخزامي (٣٤هـ ٦٥٤ م) والاشتر مالك ابن الحارث النخعي (٣٦ هـ = ٦٥٦ م)[٢٠] وكانت ولاية الموصل في عصر الراشدين تضم ثماني عشرة كورة[٢١] ويزداد عددها وينخفض تبعاً للعصور الاسلامية التي مرت على ولاية الموصل. وقد اشتملت على الكور الآتية كورة نينوى، والجزيرة، وتكريت، والحديثة (حديثة الموصل) ودراباذ، والصامغان، والطيرهان، والمعلة (المفلة)، والبرية، والكسر، وسليمان، والمرج، والسن، والبعثاء، وباجرمي، وباهدرا، ومرج جهينة، وكورة باجرين[٢٢] وتضم هذه الكور فضلاً عن عدد من القرى عدداً من النواحي التي اتسعت بمرور الزمن واصبحت مدناً صغيرة وهي: اسكي موصل، وسنجار، وبرقعيد، وبافكي، وبعشيقة والهكارية والشوش ومعلثايا[٢٣].

اما في العصر الاموي فقد كان الخلفاء يختارون ولاتهم من البيت الاموي أو من امراء القبائل العربية القوية والموالية لهم، اذ كان الوالي يستعين بأبناء قبيلته في ادارة شؤون الولاية ويشاركه بعضهم في ادارتها[٢٤].

وكانت نظم الادارة في الموصل صورة مصغرة ومطابقة لنظم الخلافة الاموية في العاصمة دمشق، وقد حاول هؤلاء الامراء ان يحذوا حذو الخلفاء في حياتهم الخاصة واساليب حكمهم ونظم امارتهم وحتى في تقاليد البلاط[٢٥].

وقد توالى على حكم الموصل عدد من الولاة ممن يتمتعون بمكانة ادارية عالية مكنتهم من ترسيخ الحكم الاموي بالقضاء على حركات المعارضة، كحركات الخوارج، وحركات القبائل المناوئة للامويين نذكرهم وتواريخ ولاياتهم، مع ذكر الولاة الذين حكموا الموصل من قبل عبدالله بن الزبير،



والمختار الثقفي ، والخوارج . وهم : -
- عبدالرحمن بن عثمان الثقفي
(٥١ هـ = ٦٧١ م)
- محمد بن الاشعث بن قيس
(٦٤ هـ = ٦٨٣ م) تولى من قبل عبدالله بن الزبير
- سعيد بن عبدالملك بن مروان
(٦٥ هـ = ٦٨٤ م)
- عبدالرحمن بن سعيد بن قيس
(٦٦ هـ = ٦٨٥ م) تولى من قبل المختار الثقفي
- ابراهيم بن الاشتر
(٦٧ هـ = ٦٨٦م) تولى من قبل المختار الثقفي
- المهلب بن ابي صفرة
(٦٧ هـ = ٦٨٦ م) تولى من قبل مصعب بن الزبير
- ابراهيم بن الاشتر (للمرة الثانية)
(٦٨ هـ = ٦٨٧ م) تولى من قبل مصعب بن الزبير
- محمد بن مروان بن الحكم
(٧١ هـ = ٦٩٠ م)
- يحيى بن يحيى الغساني
(١٠١ هـ = ٧١٩ م)
- محمد بن هبيرة الفزاري
(١٠١ هـ = ٧١٩ م)
- مروان بن محمد بن مروان
(١٠٢ هـ = ٧٢٠ م)
- الحر بن يوسف
(١٠٦ هـ = ٧٢٤ م)
- يحيى بن الحر بن يوسف
(١١٣ هـ = ٧٣١ م)
- الوليد بن تليد العبسي
(١١٤ هـ = ٧٣٢ م)
- الوليد بن بكير
(١٢١ هـ = ٧٣٨ م)
- مروان بن محمد بن مروان (للمرة الثانية)
(١٢٦ هـ = ٧٤٣ م)
- القطران بن أكمة الشيباني
(١٢٧ هـ = ٧٤٤ م)
- الضحاك بن قيس
(١٢٨ هـ = ٧٤٥ م)
- هشام بن عمرو الزهيري
(١٢٨ - ١٣٢ هـ = ٧٤٥ - ٧٤٩ م)[٢٦]

ويضيف الازدي الى قائمة ابن الاثير اسماء ولاة تقلدوا ولاية الموصل في العهد الاموي وهم الهيثم بن عبدالله العدوي (١٢٩ هـ = ٧٤٦ م) واسحاق بن أيوب العدوي ثم مروان بن محمد (١٢٩هـ = ٧٤٦م) وتبعه هشام بن عمرو الزهيري الذي بقي والياً على الموصل حتى سنة ١٣٢ هـ[٢٧].

ويظهر من خلال الاحداث التي وقعت في الموصل في اواخر العصر الاموي ان الولاة تعرضوا الى حركات خارجية متعددة والى حركات القبائل العربية المناوئة للامويين وكان لهذه الحروب وعدم الاستقرار اثره الكبير الذي دفع أهل الموصل الى التخلص من الحكم الاموي ، فلما تقدمت الجيوش العباسية رحبوا بها لتنقذهم من الحروب والاضطرابات .

إدارة الموصل في الفترة العباسية الاولى
(١٣٢ -٢٩٣ هـ) = (٧٥١ - ٩٠٥ م)

حظيت الموصل باهتمام شديد من الخلفاء العباسيين لموقعها الجغرافي والستراتيجي ولقربها من حدود الدولة البيزنطية ولقوة المعارضة الاموية والخارجية والقبلية ضد الدولة العباسية ولذا فقد اهتم الخلفاء باقليم الموصل والجزيرة فاقاموا القلاع والحصون العسكرية في اجزاء متعددة من الاقليم لمواجهة الخطر البيزنطي من جهة ولمواجهة حركات المعارضة ضدهم. فقد شهد اقليم الموصل والجزيرة خلال العصر العباسي الاول سلسلة من حركات المعارضة التي كانت تهدد أمن الاقليم وسلامته وحاولوا انتهاج سياسة كسب ود أهل الموصل وتأييد القبائل في الجزيرة وبلاد الشام باغداق الاموال على شيوخ القبائل ومنحهم الاقطاعات الواسعة كما قاموا بتعيين ولاة قديرين معظمهم من الاسرة



العباسية ومن رجالات الدعوة العباسية ومنحوهم سلطات واسعة، كما قاموا بزيارات تفقدية للاقليم للتعرف على اوضاعه والوقوف على احتياجاته ومشكلاته وتفقد اعمال الولاة وسلوكهم، فقد ولى ابو العباس اخاه المنصور اميراً على الموصل. وبعد تولي المنصور الخلافة زار اقليم الموصل والجزيرة أكثر من مرة بين عامي (١٤١ - ١٤٥ هـ) وفي خلال عامي (١٤٩- ١٥٠ هـ) قام بزيارتين تتعلق بالاطلاع على استقرار الادارة في الاقليم [٢٨].

ولما عزم الخليفة المهدي بمهاجمة الروم عام (١٦٣ هـ = ٧٧٩ م) سلك طريق الموصل وخرج معه ابنه الرشيد حتى وصلا الموصل ونزلا في قصر المنصور[٢٩] كما قام الهادي بزيارة الاقليم لتفقد احواله عام (١٦٩ هـ = ٧٨٥ م)[٣٠] وفي خلافة الرشيد قام بزيارة الموصل اكثر من مرة فقد زارها سنة (١٧٤ هـ = ٧٩٠ م) وبنى فيها قصراً[٣١]. كما زارها عام (١٨٠ هـ = ٧٩٦ م) ثم قدم اليها ومعه ابو يوسف القاضي بهدف كسب ود اهل الموصل وحل مشكلاتهم والقيام ببعض الاعمال العمرانية والاصلاحية[٣٢].

وزار الخليفة المأمون عام (٢١٥ هـ = ٨٣٠ م) عدداً من مدن اقليم الجزيرة اذ زار تكريت والموصل ونصيبين والرها ومنبج وانطاكية وطرسوس وقام منها بمهاجمة بلاد الروم [٣٣]. لقد كانت الموصل والجزيرة موالية للأمويين بما تركوه في نفوسهم من آثار طيبة، كما كان ولاة الامويين من شيوخ القبائل العربية الموالية لهم في حين اعتمدت الدولة العباسية على القيادات العسكرية في ادارة المناطق المضطربة لحين استقرار الاوضاع فيها فلما عين ابو العباس الخليفة العباسي الاول محمد بن صول - مولى بني خثعم والياً على الموصل[٣٤] لم يقبل اهل الموصل بولاية ابن صول وقالوا : (مانرضى ان يكون اميرنا مولى لخثعم)[٣٥] فوثب أهل الموصل على عاملهم واخرجوه من بلادهم [٣٦]. وكان ذلك الشرارة الاولى لاشعال نيران ثورة الموصل سنة (١٣٣ هـ= ٧٥٠ م) [٣٧] اذ كشف ابن صول عن عجزه عن الادارة على الرغم من نجاحه في القيادة العسكرية [٣٨]. ولم يحسن التصرف في معاملة اهل الموصل وارتكبت الادارة المركزية العباسية خطأً آخر حين استبدل الخليفة بوالٍ جديد هو يحيي بن محمد أخ الخليفة ابو العباس الذي اثبت هو الآخر فشله في ادارة الموصل وتصرف بطيش واستعلاء في معاملة اهل الموصل، فلما احتجوا على اعماله اوقع فيهم السيف مما اعطت نتائج عكسية وخطيرة على الدولة العباسية، اذ ساعدت هذه السياسة على تكتل العناصر المناوئة للعباسيين.[٣٩] مما دفعت الخليفة العباسي الى نبذ سياسة الشدة والاعتراف بالظلم الذي وقع على اهل الموصل، فعزل اخاه يحيي عن ادارة الموصل ونصب عمه الامير اسماعيل ابن علي مكانه[٤٠] وقد حاول اسماعيل ان يزيل اسباب النقمة على العباسيين بازالة آثار الظلم واعترف بما صنعه الولاة السابقون واحسن السيرة في معاملة اهل الموصل، ورد المظالم، ودفع ديات القتلى فقال مخاطباً اهل الموصل (أنا أرد عليكم المظالم واعطيكم ديات من قتله يحيي منكم) [٤١] وكتب الى الخليفة يعلمه بما حل بالموصل من الخراب والدمار الذي احدثه يحيي فأجابه الخليفة (ان ارفق بالناس وتألّفهم)[٤٢]

وقام اسماعيل بسلسلة من الاعمال العمرانية لدرجة انه لم يدفع الى الخلافة العباسية من واردات الموصل درهماً واحداً طيلة ولايته مما ادى الى اطمئنان الناس وعودتهم الى المدينة فيقول الازدي (وتراجع الناس الى الموصل واصلح اسماعيل حالها)[٤٣] فأحبه الناس فقوى مركزه مما دعا الخليفة المنصور الى التخوف منه فعزله سنة ١٤٢ هـ = ٧٥٩م ويبدو أن مخاوف الخليفة كانت في محلها اذ رفض اسماعيل تسليم الولاية للوالي الجديد وتذكره بانشقاق عمه عبدالله بن علي في الشام مما تكشف مدى اطلاع الخلافة على مايجري في اقاليمها خاصة في اقليم الموصل والجزيرة. وأسند



ولاية الموصل الى اوثق امراء البيت العباسي فوجد في ابنه جعفر اهلاً لهذه الثقة فولاه الموصل [٤٤] فازدهرت الموصل في عهده اقتصادياً وعمرانياً وحضارياً وعمّ الأمن والاستقرار، ولما اشتدت حركات بعض القبائل الكردية في اطراف الموصل سنة ١٤٨ هـ = ٧٦٥ م لم يستطع جعفر مجابهة الموقف المتأزم مما اضطر الخليفة المنصور الى تعيين خالد بن برمك لما عرف عنه من سيرة حسنة وحزم في ادارة الأمور. [٤٥] وقد وفق خالد في معالجة الامور وقضى على عوامل الفتنة والفوضى، ولكن التهاون الاداري ادى الى التسيب واستبداد الموظفين بالسكان وارهاقهم بالضرائب مما دفع الخليفة الى عزل خالد بن برمك سنة ١٥١ هـ = ٧٦٨ م وعين مكانه اسماعيل بن عبدالله البجلي وكتب الخليفة اليه كتاباً يأمره بمعاقبة العمال والكتاب والاعوان الذين اساءوا التصرف في الجباية [٤٦] وبقي اسماعيل حتى سنة ١٥٤ هـ = ٧٧٠ م فولى المنصور موسى بن كعب، فوجه المنصور ابنه محمد المهدي سنة ١٥٥ هـ= ٧٧١ م وامره بالسير الى الموصل والقبض على موسى بن كعب اذ شك في امانته وولى مكانه خالد بن برمك للمرة الثانية [٤٧] وفي سنة ١٦٣ هـ = ٧٧٦ م عزل خالد ابن برمك وعين الخليفة احمد بن اسماعيل العباسي فكان كما وصفه الازدي (له سيرة جميلة حسنة بالموصل وكان معظماً لاهل السنن مائلاً إلى اهل الصلاح) [٤٨]

وفي خلافة الهادي ولي الموصل هاشم بن سعيد فلم يحسن السيرة مع اهلها فعزل وتقلد ولاية الموصل عبدالملك بن صالح الهاشمي وبقي في خلافة الرشيد فعزله وسجنه سنة ١٨٧ هـ = ٨٠٢م لما بلغه انه يريد الخلافة لنفسه [٤٩].

وتذكر بعض المصادر الى انتشار الفوضى والاضطرابات بسبب اشتداد العصبية القبلية، ومجئ بعض الولاة الذين استخدموا الشدة والقسوة منهم يحيي بن سعيد الخرشي ١٨٠ هـ= ٧٩٦ م ويقول عنه الازدي :(والناس معه في شدة وعسف وظلم) [٥٠] فقد طالبهم بخراج سنتين مما ادى إلى هجرة كثير من السكان الى اذربيجان [٥١] فعين الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني الذي استطاع الحد من الصراع القبلي [٥٢]. فأعاد الاستقرار الى الموصل، وفي ولاية احمد بن يزيد السلمي سنة ١٨١ هـ=٧٩٩م تسبب في قيام المنازعات بين اليمانية والنزارية فعزل [٥٣] وتقلد ولاية الموصل بعده سنة ١٩٠ هـ=٨٠٥م خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب [٥٤]. ولم يلبث ان عزل سنة ١٩٣ هـ=٨٠٨م وتقلدها الحسن بن صالح الحمداني فعادت المنازعات بين القبائل فاجتمعت عليه قبيلة عنزة فقتلته [٥٥]

إن انتشار المنازعات بين القبائل واضطراب الاوضاع في الموصل ادى بالخلافة العباسية الى العودة الى الاعتماد على امراء البيت العباسي في ادارتها، ففي سنة ١٩٤ هـ=٨٠٩م تولى ابراهيم بن العباس الهاشمي ولاية الموصل واستطاع بمؤازرة اشراف الموصل وضع حد كبير لمشكلات الرعية وعبر الازدي عن دورهم بقوله (انهم كانوا هم الغالبون على الامر) [٥٦] فقد قام بنو الحسن بن صالح بدور فاعل في مجابهة الاحداث في الموصل طيلة عهد الخليفة الامين وكان لوالي الموصل المطلب بن عبيدالله الخزاعي دور رئيسي في اخذ البيعة للمأمون من الجند ومن اهالي الموصل [٥٧].

ان اضطراب اوضاع الخلافة العباسية في اوائل عهد المأمون ادى الى اشتداد المنازعات بين القبائل العربية فقد حاول والي الموصل علي بن الحسن الحمداني حسم المنازعات الا انه قتل على يد الأزد سنة ٢٠٢ هـ= ٨١٧م وخروج بنو الحسن من الموصل وتغلب السيد بن انيس زعيم الازد على الموصل [٥٨] فأحسن السيرة في معاملة اهل الموصل واستخدم الشدة تجاه أعداء الخلافة العباسية وخاصة الخوارج مما نال ثقة الخليفة العباسي [٥٩] الا انه قتل وأسف الخليفة المأمون لمقتله وعين على



الموصل محمد بن حميد الطوسي وانتدب لقتال زريق بن علي الذي ثار على الخلافة طامعاً بولاية الموصل فقبض عليه وحمله الى المأمون، كما انتدب لقتال بابك الخرمي[٦٠] وتوالى على ولاية الموصل هارون بن ابي خالد الذي سار بأهل الموصل سيرة حسنة واهتم بالعمران واعقبه مالك بن طوق[٦١] فأستقر الحال نهائياً في الولاية حتى وفاة المأمون.

وفي خلافة المعتصم سنة ٢١٨هـ = ٨٣٣م تولى عبدالله بن السيد ولاية الموصل سنة ٢٢٤ = ٨٣٨م فقضى على حركات القبائل العربية والكردية فعاد للموصل الامن والاستقرار.

وهكذا شهدت الموصل في العصر العباسي الاول الكثير من الحركات الخارجية ومنازعات القبائل وتعسف وظلم بعض الولاة مما كانت سبباً في انعدام الأمن والاستقرار.

ويعد عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ – ٢٢٧هـ = ٨٣٣ – ٨٤٢م) بداية النفوذ التركي في الدولة العباسية وكانت الظروف السياسية للدولة العباسية هي التي اوحت الى المعتصم استخدام الاتراك في الجيش ومصالح الدولة[٦٢] فقد كان العباسيون قد اساءوا الظن بالعرب على اعتبار انهم انصار الامويين[٦٣] كما تعددت ثورات القبائل العربية في الموصل والجزيرة وتغلب بعض رؤساء القبائل على ادارتها ومال بعضهم الى العلويين[٦٤] كما لم يعد يطمئن العباسيون الى الفرس لمحاولاتهم باستعادة مجدهم المندثر ودينهم المجوسي، فاضطر المعتصم ان يبحث عن عنصر ثالث جديد تعتمد عليه الدولة فاستخدم الاتراك[٦٥] وادى ازدياد نفوذ الاتراك في الدولة العباسية الى انتشار الفتن والاضطرابات، وظهور الحركات الاستقلالية الخارجية على الدولة وفساد نظم الادارة وجباية الضرائب وانعدام الاموال لاستحواذهم عليها وانفاق البعض الآخر منها لمقاومة الحركات الانفصالية والفتن الداخلية[٦٦] واستمر التدهور من خلافة الواثق والمعتمد والمعتضد والمكتفي، وبدأ يتقلص نفوذ الاتراك وانتعشت مؤسسات الخلافة مؤقتاً بين سنتي (٢٥٦ – ٢٩٥هـ) واصبح من العسير على الاتراك التدخل في شؤون الخلافة او التطاول على سلطة الخليفة، فانتعشت مؤسسات الدولة وظهرت هيبتها، وانصرف الخلفاء للقضاء على الحركات الخارجية والانفصالية فكثرت الاموال وضبطت الثغور واستمر الوضع حتى خلافة المقتدر الذي انتهى حكمه سنة ٣٢٠هـ[٦٧] فاستعاد الاتراك نفوذهم من جديد مما ادى الى ضعف الخلافة لانقطاع الاموال الواردة الى بغداد من الاقاليم واستئثار الولاة بالاموال والنفوذ في ولاياتهم[٦٨].

ادارة الموصل في عهد بني حمدان (٢٩٣ – ٣٦٧هـ) = (٩٠٥ – ٩٧٧م)

ينتسب الحمدانيون الى قبيلة تغلب العربية التي اقامت بنواحي الموصل، ولما توثقت علاقتهم بالخلفاء العباسيين قلدوهم الولايات، فقد قلد الخليفة المقتدر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان الموصل سنة (٢٩٢هـ = ٩٠٤م) ويعد بداية لعهد الحمدانيين السياسي، وامتد نفوذ ابي الهيجاء الى ديار بكر وربيعة ولقبه الخليفة المتقي بـ (ناصر الدولة) ولقب أخاه الذي ولي على حلب فيما بعد بـ (سيف الدولة) وذلك لاعتقاد الخلفاء العباسيين بأن الحمدانيين هم وحدهم الذين يستطيعون السيطرة على القبائل العربية في الموصل والجزيرة وعلى حركات الخوارج والاكراد، وقاموا بدور بارز في صد خطر الروم والتصدي لنفوذ الاتراك والبويهيين في الدولة العباسية.

وكان من اثر حاجة الخلفاء العباسيين الى الاموال ان لجأوا الى اتباع اسلوب الضمان او الالتزام في جباية الضرائب من الاقاليم وفي ادارتها، فكان العامل يحمل الى الخلافة العباسية سنوياً مبلغاً مقدراً من المال ويتولى هو جباية الضرائب وفق اسلوبه ورغباته، هذا النظام ادى الى انفصال الولايات اسمياً او فعلياً عن الدولة ولاسيما في فترة ضعف الخلفاء ووجود عمال اقوياء، فقد اتاح هذا



النظام للحمدانيين فيما بعد الاستقلال في الموصل والجزيرة وفي ديار بكر ومضر وربيعة مع اعترافهم[٦٩] بتبعيتهم للخلافة العباسية بذكر اسم الخليفة في خطب الجمعة والاعياد مع اسمائهم[٧٠] وبالطاعة الدينية للخليفة العباسي باعتباره حامي الاسلام ومنفذ احكامه وحدوده واستيفاء الاموال الشرعية[٧١] وتجهيز الجيوش لقتال اعداء الاسلام والدولة.

وعلى الرغم من قلة المعلومات لدينا عن التنظيم الاداري لمناطق نفوذهم فانهم قسموا الاقاليم الخاضعة لهم الى عمالات وجعلوا عاملاً ينوب عنهم في كل ولاية وكان ناصر الدولة اول من اتبع هذا الاجراء[٧٢] فولى ابنه حمدان الرحبة، وولى ابنه هبة الله ميافارقين، وولى ابو الفوارس نصيبين، ولم يقتصر تعيين ابنائه على المدن والاعمال الاخرى بل استعانوا بالمقربين اليهم من غلمانهم لكي يضمنوا ولاءهم واخلاصهم، ومع ذلك فقد قامت في وجههم كثير من حركات العصيان والتمرد[٧٣] فكانت النظم الادارية في الموصل صورة مصغرة للنظم الادارية العباسية في العاصمة بغداد.

فكان الامير الحمداني المرجع لجميع السلطات فهو الذي يشرف على الادارة والجيش والاموال ويتولى تعيين العمال والوزراء والكتاب والقضاة والموظفين ويأمر بعزلهم. مما يؤكد ان الحمدانيين اتبعوا اسلوب المركزية في الحكم وذلك بسبب المخاطر الكثيرة التي كانت تهددهم كحركات الخوارج والقبائل غير الموالية لهم في اقليم الموصل والجزيرة، وتهديد البويهيين والفاطميين والبيزنطيين مما دفعهم الى تكوين الجيوش الكبيرة المزودة بأحسن العدد والسلاح والحمدانيون فرسان اشداء وقواد ممتازون تمثلت فيهم صفات العرب الخُلّص وقد ساعدهم موقف اهل الموصل المؤازر الذين اظهروا العداء للعناصر الاجنبية من فرس واتراك وديالمه، مما يعطي صورة صادقة للروح العربية المتأصلة في نفوس عرب الموصل الذين لم يستسيغوا الخضوع للنفوذ الاجنبي[٧٤].

وبقيت الاسرة الحمدانية تحكم اقليم الموصل والجزيرة حتى تمكن محمد بن المسيب العقيلي من تنحيتهم من الموصل وبذلك حلت الاسرة العقيلية محل الاسرة الحمدانية في حكم الموصل والجزيرة

إدارة الموصل في عهد بني عقيل
(٣٦٧-٤٨٩هـ)=(٩٧٧- ١٠٩٦م)

أقام بنو عقيل في بداية امرهم وسط الجزيرة العربية ثم رحل كثير منهم الى العراق والشام بعد الاسلام، وفي القرن الرابع الهجري اصبح بنو عقيل تابعين لبني حمدان.

فلما ضعف الحمدانيون آلت ولاية الموصل اليهم، ويعد محمد بن المسيب العقيلي المؤسس الاول لامارة بن عقيل في الموصل، وكانت امارتهم امارة استيلاء، فقد اضطر الخليفة الى اقرارهم عليها وفوض اليهم تدبير امرها وسياستها[٧٥] مقابل مبلغ من المال ومعاونته في الحروب.

اخذ نفوذ العقيليين بالتوسع فأمتد الى نصيبين وديار ربيعة وجزيرة ابن عمر، وقد حاول البويهيون بعد وفاة محمد بن المسيب العقيلي السيطرة على الموصل ولكنهم لم يفلحوا، وامتد النفوذ العقيلي بعد ذلك ليشمل الكوفة والحلة والانبار والمدائن وذلك في عهد المقلد العقيلي الذي يعد المؤسس الحقيقي للامارة العقيلية[٧٦] والتي اصبحت شبه مستقلة عن الخلافة العباسية، ومع ذلك لم تكن الخلافة العباسية راغبة في زوال بني عقيل كما انها لم تعمل على اضعافهم لما تميزوا به من نزعة عربية فضلاً عن ميل زعمائهم للخلفاء العباسيين[٧٧] لقد حرص امراء بني عقيل في الحصول على ألقاب سلطانية لتضفي على حكمهم الصفة الشرعية فلقب الخليفة القادر بالله المقلد بن المسيب بـ (حسام الدولة) ولقب قرواش (معتمد الدولة)[٧٨] ولقب أبا كامل ابن بركة بـ (زعيم الدولة)[٧٩] ولقب مسلم بن

قريش بـ (شرف الدولة) ولقب علي بن مسلم بـ (سعد الدولة)[٨٠].

لقد نهض بنو عقيل بدور مهم وفعال في التصدي للتيارات الشعوبية التي سادت المنطقة آنذاك حاملين راية العروبة للتصدي للتسلط الاجنبي على حاضرة الخلافة العباسية من بويهيين وغيرهم، وكان قيام الامارة العقيلية في الموصل والجزيرة تجديداً للدولة العربية التي تكالب عليها الأجانب بعد زوال الدولة الاموية.

لقد كانت ولاية الموصل من الناحية الادارية تضم ثماني عشرة كورة هي: درآباذ، والصامغان، تكريت، الطيرهان، والحديثة، ونينوى، والبرية، وباجرما، وسليمان، والمرج ومن كور الجزيرة تضم: ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر، ومن مدن دجلة هي: دجيل، واردانا، وعكبرا، والحظيرة، وداقوقا، ومن مدن الفرات: خلاط، وبليخ وملطية، وسيمسياط، ومنبج، وبالس، ونصيبين، والرقة، وقرقيسيا، وعانات، وهيت، وحديثة الانبار، والحلة والكوفة: الى البطيحة[٨١]

وكان النظام الاداري عند العقيليين متأثراً بالنظام القبلي الذي يقوم على اختيار اكبر ابناء الاسرة واكثرهم كفاءة وحسن تدبير وشجاعة وكرم، ولم يكن النظام الوراثي مقبولاً لديهم رغم أخذهم به في تولية بعض أمرائهم، لكونه كان مصدراً لكثير من المنازعات بين افراد الأسرة، وباعثاً على المنازعات والانقسامات بعد وفاة الامير الحاكم[٨٢]. وقد ظهر ذلك واضحاً بعد وفاة ابي الدردار محمد بن المسيب الملقب (الذؤاد) سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م فقد تنافس الاخوة على الامارة فقد طمع الاخ الاصغر المقلد ابن المسيب بالامارة في حين اجتمعت كلمة بني عقيل على تولية علي بن المسيب أخيهم الاكبر سناً[٨٣] لاعتبارات قبلية، فانقسم العقيليون الى قسمين وكادت تقع الحرب بينهما، وانتهت باشتراكهما في ادارة شؤون الامارة[٨٤]. وتجنباً للمنازعات التي قد تقع بين امراء بني عقيل فقد عهد المقلد الى ابنه قرواش بالامارة خلفاً له مما ادى الى تجدد النزاع فقد نافسه عمه الحسن على الامارة، مما حاول اقناع شيوخ بني عقيل على تأييده، ولكنه فشل فاضطر الى الصلح مع قرواش، وبقيت الامور غير مستقرة حتى وفاة الحسن سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م ووفاة مصعب بن المسيب سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م الذي نازعه الامارة ايضاً[٨٥].

ولكن النزاع لم يلبث ان تجدد بين ابناء الاسرة العقيلية على الامارة ففي سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م خرج ابو كامل بركة المقلد الأخ الاصغر لقرواش وانتهى بالصلح الا ان النزاع تجدد بعد عام ثانية انتصر فيها ابو كامل على اخيه قرواش فحبسه وتولى الامارة مكانه ولقب بـ (زعيم الدولة)[٨٦] وبعد وفاة أبي كامل سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م اجتمع بنو عقيل على تأمير علم الدين ابي المعالي قريش بن بدران بن المقلد[٨٧]. وخلفه ابنه مسلم سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م فخرج عليه عمه مقبل بن بدران، ودارت الحرب بينهما على الخابور وانتهت بالصلح[٨٨]. وقد افضت هذه المنازعات بينهم الى ضعف هذه الاسرة فبعد مقتل مسلم بن قريش سنة ٤٧٨هـ لم يظهر بينهم امير قوي يجمع كلمتهم، كما لعبت العناصر الاجنبية دورها في تمزيق وحدتهم. فبعد وفاة قريش عقد الامر الى ابراهيم بن قريش واشتد النزاع بين امرائهم انتهى بوفاة ابراهيم سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م أعقبه النزاع بين اخويه علي ومحمد انتهى باستيلاء السلاجقة على الموصل سنة ٤٨٩هـ=١٠٩٦م[٨٩].

لم تشهد أمارة الموصل الأمن والاستقرار طيلة حكم العقيليين، وذلك من جراء الحروب التي خاضها العقيليون مع العباسيين والفاطميين ومع قبائل اقليم الجزيرة، وكذلك من جراء المنازعات التي قامت بين افراد الاسرة العقيلية على حكم الامارة، فكانت هذه الاسباب عاملا مهما في اضعافهم وتمزقهم ثم سقوطهم، بعدها آثروا العودة



الى موطنهم الاصلي البحرين وذلك سنة ٤٨٩هـ=١٠٩٦م.

ادارة الموصل في عهد السلاجقة (٤٨٩ - ٥٢١هـ) (١٩٦ - ١١٢٧م)

استولى السلاجقة[٩٠] على الأمور في الموصل سنة ٤٨٩هـ = ١٠٩٦ م بعد قضائهم على نفوذ العقيليين في الموصل، وكان اثرهم السياسي السلبي كبيراً تمثل في استحواذهم على مقاليد الأمور دون الخلفاء العباسيين، ولم يعترفوا لهم الا من الناحية الأسمية، كما تميز عهدهم بكثرة الحروب الداخلية التي دارت بين أمرائهم على حكم الموصل، مما زاد في تدهور اوضاع الموصل المختلفة دخول البساسيري قائد الجيش الفاطمي المدينة وهدم قلعتها وأعمّ الخراب والاضطراب فيها. ولقد اتخذ السلاجقة من الموصل قاعدة عسكرية للانطلاق منها باتجاه القواعد الصليبية في الجزيرة وشمال بلاد الشام، ولذا فقد اسندوا ولاية الموصل الى شخصيات عسكرية تتمتع بكفاءة عالية وقدرة عسكرية فائقة، فقد تولى القائد السلجوقي قوام الدولة كربوقا ادارة الموصل سنة ٤٨٩هـ= ١٠٩٦م، وتعاقب على حكم الموصل عدد من أمراء السلاجقة،مارسوا مهامهم الادارية نواباً عن سلاطين السلاجقة يعاونهم عدد من الموظفين يعينون من قبلهم، وكان حاكم كل اقليم يستقل بشؤون اقليمه الداخلية، وغالباً ما كان هذا الحاكم او ذاك يتوسع على حساب الاقاليم الاخرى[٩١]. كما اتسمت تلك الفترة بعدم الاستقرار. فقد توالى على حكم الموصل ما يزيد على عشرة ولاة للفترة من(٤٨٩ - ٥٢١هـ) (١٠٩٥ -١١٢٧م) وغالباً ما كانت تنتهي حياتهم بالعزل او الموت[٩٢]. وبعد عام ٥٢١هـ=١١٢٧م انتقلت تبعية الموصل الى عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة اقسنقر مؤسس أمارة الاتابكة في الموصل والتي استمرت حتى عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م[٩٣].

بعد وفاة كربوقا ارسل اعيان الموصل الى موسى التركماني عامل كربوقا على حصن كيفا ليتولى امارة الموصل فاستجاب لهم واستقر له الامر[٩٤]. في حين وجد شمس الدولة جكرمش حاكم جزيرة ابن عمر انه اجدر من غيره في حكم الموصل، فاستولى على نصيبين وتقدم الى الموصل فاستنجد موسى بالامير سقمان بن أرتق حاكم ديار بكر، الا ان اغتيال موسى على يد اتباع كربوقا انهى الحرب فاستولى جكرمش على الموصل واحسن السيرة في اهلها[٩٥]. فأقر السلطان محمد السلجوقي جكرمش على ولاية الموصل سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م[٩٦] ولم يلبث ان عزله السلطان السلجوقي واقطع ولاية الموصل واعمالها الى الامير جاولي سقاوه سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م وعهد اليه بقتال الفرنج والصليبيين. الا ان جكرمش تحصن في المدينة وكاتب قلج ارسلان لمساعدته فدخل الموصل في رجب ٥٠٠هـ/١١٠٦م وخلع على زنكي بن جكرمش واصحابه وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسي، واسقط اسم السلطان محمد السلجوقي من الخطبة، وامر بدفع الرسوم المحدثة، واقر القاضي ابا محمد عبدالله بن القاسم الشهرزوري على قضاء الموصل[٩٧]. ولم يلبث جاولي ان اعاد احتلال الموصل وتخلص من قلج ارسلان وصادر اموال اتباع جكرمش، وأمر بإعادة الخطبة للسلطان محمد السلجوقي[٩٨].

لقد عزم جاولي سقاوه على الاستقلال، وامتنع عن القيام بالتزاماته تجاه السلطان السلجوقي محمد وعن قتال اعداء السلطان ولم يستجب للملاقاة السلطان محمد له في بغداد[٩٩]. فارسل السلطان جيشاً لقتاله، وتمكن الأمير مودود من اقتحام



المدينة بمعاونة اهل الموصل فدخلها في صفر سنة ٥٠٢ هـ/١١٠٨م واستقر بها.[١٠٠]

اقر السلطان محمد السلجوقي مودود والياً على الموصل وأمره باستئناف حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين، فشاركت عساكر الموصل والجزيرة مع عساكر الشام لتؤدي دورها في الدفاع عن الوطن، فكان كما وصفه الفارقي بأنه (من خيار الملوك ديناً وشجاعة وخيراً)[١٠١] واستمر مودود يقود حركة الجهاد ضد الصليبيين للفترة من ٥٠٣- ٥٠٧هـ/(١١٠٩-١١١٣م) حتى اغتيل في المسجد على يد احد الباطنية[١٠٢]. فأسند السلطان محمد السلجوقي ولاية الموصل الى اقسنقر البرسقي في اوائل عام ٥٠٨هـ/١١١٤م وعهد اليه مواصلة الجهاد ضد الصليبيين ولم يلبث ان عزل عام ٥٠٩هـ/١١١٥م لاخفاقه في تحقيق النصر على الصليبيين، واقطع السلطان الموصل الى الامير جيوش بك[١٠٣] توفي السلطان محمد السلجوقي في ذي الحجة من عام ٥١١هـ/١١١٧م وتولى ابنه محمود السلطنة فأقر أخاه مسعوداً على الموصل مع اتابكة جيوش بك الذي زين لمسعود المطالبة بالسلطنة فاتجه الى بغداد سنة ٥١٢هـ/١١١٨م لاحتلالها ولما فشلا عفا عنهما السلطان وعقد الصلح وانسحبا الى الموصل[١٠٤]. واكتفى بعزل جيوش بك عن امارة الموصل واقطعها للامير اقسنقر البرسقي سنة ٥١٥هـ/١١٢١م[١٠٥] وفي سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م لقي البرسقي مصرعه على يد احد الباطنية وهو يصلي الجمعة مع العامة في المسجد[١٠٦]. وكان ولده عزالدين مسعود مقيماً في حلب ليحفظها من الصليبيين فأسرع الى الموصل واحسن الى اصحاب أبيه، فاستقر له الأمر، وأقره السلطان محمود على ولاية الموصل[١٠٧].

وما ان استقر عزالدين مسعود في ولاية الموصل حتى شرع بالتوجه الى حماة باحثاً عن قاتل ابيه، فاستولى على ظاهر الرحبة وحاصرها وتمكن من دخولها فمات بعد ساعة[١٠٨]. وخلفه في حكم الموصل اخ له صغير فتولى السلطة الفعلية فيها احد مماليك ابيه يعرف بـ(الجاولي) الذي ارسل الى السلطان محمود يطلب تقليد البلاد لولد البرسقي، ولم ينجح في اقناع السلطان محمود الذي استشار وزيره في من يصلح للامارة فوقع الاختيار على عماد الدين زنكي لكفايته وإخلاصه للأسرة السلجوقية وذلك في رمضان عام ٥٢١هـ/١١٢٧م[١٠٩] وهو بداية فترة جديدة من تاريخ الموصل وخضوعها لحكم الأتابكة.

[إدارة الموصل في عهد الاتابكة]
(٥٢١-٦٦٠هـ) = (١١٢٧-١٢٦٠م)

يبدأ العهد الاتابكي[١١٠] بتولية عماد الدين زنكي الموصل سنة (٥٢١هـ=١١٢٧م) وينتهي بهروب ولدي السلطان لؤلؤ بعد موته الى مصر عام (٦٥٩هـ=١٢٦١م) واشتهرت امارة الموصل باسم (اتابكية الموصل) والسلالة التي اعقبت على حكمها باسم الاتابكة[١١١].

يرجع اصل الاتابكة الى السلاجقة اذ كان جدهم اقسنقر مملوكاً سلجوقياً للسطان ملكشاه بن ارسلان السلجوقي، وقد كان من مظاهر الحكم السلجوقي ظهور (الاتابكيات) التي ترجع الى نظام الاقطاع الذي ابتدعه السلاجقة وطبقوه في الاقاليم التي سيطروا عليها، واصبح عنصراً مهما من نظمهم السياسية والادارية والاجتماعية، ومن اشهر الاتابكيات على المسرح السياسي (اتابكية الموصل) التي اسسها عماد الدين زنكي عندما اسندت اليه ولاية الموصل واعمالها سنة ٥٢١هـ=١١٢٧م من قبل الخليفة العباسي المسترشد والسلطان محمود السلجوقي، وسمي زنكي اتابكاً واصبح كل من ولدي السلطان محمود تحت اشرافه المباشر[١١٢].

وقد تميزت الموصل في ظل الاتابكة بالاستقرار



السياسي والاداري والازدهار الحضاري ومقارعة الصليبيين، ومما تجب الاشارة اليه ان الاتابكة الذين حكموا الموصل نحو قرن ونصف لم يدخل شيئاً من آدابهم ولغتهم واخلاقهم على العرب بل هم انفسهم استعربوا فاصبحوا عرباً بلغتهم واخلاقهم وآدابهم (١١٣).

حاول عماد الدين زنكي بعد توليه امارة الموصل ان يقوي صلاته بالسلطان السلجوقي وتنفيذ سياستهم ورغباتهم، كما سعى ان تكون علاقته بالخلافة العباسية قائمة على الطاعة والمودة حرصاً منه على عدم استهلاك جهوده في صراع قد يؤدي بمطامحه (١١٤). وخلال العقد الاول من حكم زنكي اصاب العلاقات مع الخلافة العباسية والسلطان السلجوقي شيئاً من التوتر، ولكنها عادت الى مجراها الطبيعي معها بعد النصر العظيم الذي احرزه على الصليبيين في الرها حيث منحه الخليفة المقتفي الالقاب الشرفية كالامير الكبير العادل المؤيد المظفر المنصور (١١٥).

وقد تمكن زنكي خلال حكمه الذي ناهز العشرين عاماً من دحر الصليبيين واسترداد مواقعهم وتوحيد البلاد المفككة شمل المنطقة المحصورة مابين شهرزور شرقاً الى قرب سواحل الشام غرباً ومن ديار بكر وآمد وجبال الهكارية والحميدية في الشمال الشرقي للعراق شمالاً الى مدينة الموصل جنوباً، هذا فضلا عن الاعمال العمرانية التي قام بها منها بناء دور الامارة في الموصل وترميم سورها وفتح الباب العمادي فيه وبناء قلعة العمادية التي مازالت قائمة حتى اليوم (١١٦). واتخذها قاعدة للدفاع والتموين في حالة تمرد القبائل الكردية، ونقطة انطلاق لتوسيع نفوذه في المنطقة (١١٧).

وقد شهد اقليم الموصل والجزيرة وشمالي الشام في عهده ازدهار مدنها وكان حكام هذه المدن يتمتعون بشبه استقلال وكثيراً ماكانت تقع الحروب بينهم بسبب مطامعهم فبدأ زنكي محاولاته لتوحيد المنطقة بضم هذه المدن (١١٨).

وكانت اولى خطواته الوحدوية تمثلت بضم الامارات والمدن والقلاع الجبلية المجاورة فاستولى على مدينة أربل سنة ٥٢٦ هـ = ١١٣١ م لاهميتها العسكرية بالنسبة للموصل لكونها بمثابة الباب الشرقي الذي يصلها ببلاد فارس والمشرق، ونقطة الدفاع الرئيسية عن الطريق الذاهب غرباً الى بلاد الشام (١١٩).

وكان هدف عماد الدين زنكي من هذه الاعمال العسكرية توحيد المواقع الاسلامية التي تخدمه في صراعه ضد الصليبيين، واتخاذ هذه المناطق حزاماً واقياً ضد هجمات الخزر والقفجاق على الجهات الشمالية من آسيا الصغرى (١٢٠).

ووجه زنكي اهتمامه نحو القلاع الجبلية الكردية المحيطة بالموصل من جهاتها الشمالية والشمالية الشرقية لأهميتها البالغة لأمن الموصل، واتخاذها خطوطاً دفاعية تحمي ظهره في حروبه في الجزيرة او الشام، فسيطر على القلاع المجاورة للموصل، كالحميدية في (عقرة) والهكارية في منطقة (العمادية والخابور) والمهدانية والبشنوية في منطقة جزيرة ابن عمر (١٢١) وكانت هذه القبائل تقوم بقطع الطرق وتهديد امن المنطقة ثم تعود وتحتمي بقلاعها الجبلية اذا ماداهمها الخطر (١٢٢).

ورأى زنكي ان يضم الى ملكه بعض المدن الكبرى في بلاد الشام لتكون نواة الدولة الجديدة، فاستولى على حمص وبعلبك وتوج اعماله في سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م بافتتاح الرها لانها تشكل خطراً كبيراً على خطوط مواصلاته بين الموصل وآسيا الصغرى، واستطاع توحيدها جميعا وتكوين جبهة اسلامية موحدة تستطيع ان تقارع الصليبيين وتقف امام زحفهم، واعقبها بالهجوم المنظم على قواعد الصليبيين، وقد ترك عماد الدين زنكي مابدأ به في مقاومة الوجود الصليبي في بلاد الشام الى نورالدين محمود زنكي ومن بعده الى صلاح الدين الايوبي وبعد وصول أنباء اغتيال عماد الدين زنكي الى الموصل عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م انقسمت امارته

ر الامراء بتنصيب سيف الدين
صل [١٢٣] . ونور الدين محمود
) . وكان لهذا الانقسام اثره
بكة في الموصل ، وشجع
ى الانفصال بولاياتهم
عن امارة الموصل وكان آخر امراء سلالة زنكي نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود وذلك في عام (٥٨٩-٦٠٧ هـ)=(١١٩٣-١٢١٠ م) الذي عهد بالحكم لابنه القاصر عزالدين مسعود الثاني وتولى تدبير امارته مملوكه بدرالدين لؤلؤ [١٢٥] والذي اصبح فيما بعد وصياً للابن الاكبر نور الدين ومديراً له ، وبعد وفاة عزالدين مسعود الثاني سنة (٦١٥ هـ=١٢١٨ م) استغل بدرالدين لؤلؤ فرصة تجديد وصايته على نورالدين واعتراف الخليفة العباسي الناصر لدين الله بحكم الموصل نيابة عن الاتابك ، كما استغل صغر نورالدين فاستبد بامور الولاية ولم يلبث ان قتله وتولى ولاية الموصل سنة ٦٣١ هـ/١٢٣٣ م فاستطاع كسب عطف الخليفة المستنصر بالله لترسيخ نفوذه في الموصل وانفرد في حكمها الى سنة ٦٤٢ هـ=١٢٤٤ م [١٢٦] .
عندها دان بدرالدين لؤلؤ بالولاء والتبعية للمغول ، اذ شرع في جمع الضرائب وحملها للمغول [١٢٧] . ودخلت الموصل في تبعيتها الى المغول وتعطلت قوة الموصل العسكرية ، ومنعت من تأدية دورها الايجابي في مساندة القوى السياسية العربية الاسلامية لمواجهة خطر التقدم المغولي في الدولة العربية الاسلامية .

وبعد الانتصار الساحق الذي حققه المسلمون على المغول بقيادة السلطان المملوكي مظفر الدين قطز في موقعة عين جالوت في رمضان سنة ٦٥٨ هـ=١٢٦٠ م دفع اولاد بدرالدين لؤلؤ المظفر علاء الدين صاحب سنجار والملك الصالح ركن الدين وسيف الدين اسحق الى الخروج عن طاعة المغول واعلان الولاء للسلطان المملوكي وارتحلوا الى مصر [١٢٨]

ولم يلبث ان عاد الملك الصالح الى الموصل بناءً على دعوة اهل الموصل لانقاذهم من خطر المغول ، فدخلها في العشرين من ذي الحجة عام ٦٦٠ هـ=١٢٦٢ م [١٢٩] . ولم يستطع الملك الصالح الصمود امام حصار المغول للموصل لانتشار الوباء والقحط فيها فاستغل المغول هذه الحالة وكتبوا للصالح بتسليم المدينة مقابل حماية ارواح الناس فدخلها المغول في ١٥ شعبان ٦٦٠ هـ=١٢٦٢ م وشرعوا بعد ذلك في هدم اسوار المدينة واسر اصحاب الحرف والصنائع فيها واستباحوا المدينة تسعة ايام قتلاً ونهباً [١٣٠] .
وهكذا اسدل الستار على اسوء كارثة حلت بالموصل على يد المغول .

[المؤسسات الادارية في الموصل]
(١٦ - ٦٦٠ هـ)=(٦٣٧ - ١٢٦٢ م)

أ- المؤسسات الادارية في عصر الراشدين والامويين :

ظهرت المؤسسات الادارية خلال عصر الراشدين نتيجة لحاجة العرب الى التنظيم الاداري العسكري والمالي ، وبدأت بداية يسيرة ومحدودة ثم نمت وتعددت وتنوعت حسب تطور أوضاع الدولة العربية ، فنشأت دواوين مركزية في العاصمة ، ووجدت دواوين محلية في الولايات والامصار التي حررها العرب خاصة خلال عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فالدواوين المركزية التي أنشأها العرب كانت تستعمل اللغة العربية ، في حين كانت الدواوين المحلية التي وجدت في العراق والشام ومصر وفارس تستعمل اللغات الاجنبية المحلية كالفهلوية في العراق وفارس واليونانية في الشام والقبطية في مصر ، وقد عربت أغلب الدواوين المحلية في خلافة عبدالملك بن مروان والوليد بن عبدالملك ، واصبحت الدواوين المحلية بمرور الزمن في الولايات صورة مصغرة للدواوين



المركزية وانطبعت بطابع الوحدة مثل غيرها من المؤسسات[١٣١].

فكان عمر بن الخطاب (ر) أول من دون الدواوين من العرب في الاسلام[١٣٢] والسبب المباشر لانشاء الديوان هو كثرة الاموال الواردة من البلاد التي حررها العرب ورغبة الخليفة عمر بن الخطاب (ر) في تنظيم توزيعها، ولانه أراد أن يجعل من العرب أمة عسكرية ويوجهها للجهاد في سبيل نشر الاسلام، ولضمان موارد مالية للانفاق على الجيوش، فضلاً عن ميل الخليفة الى المركزية الادارية وتهيئة موارد دائمة للدولة فأستحدث الديوان[١٣٣] وقد سمي ديوان بيت المال او ديوان الجند لأنه كان الديوان الوحيد في العاصمة (المدينة)[١٣٤] والى جانب ديوان الجند نشأ ديوان بيت المال، وفيه تودع الاموال الواردة من الغنائم ومن الجزية والخراج والصدقات ويتولى الانفاق على الجند وعلى مصالح الدولة العامة. اما في الامصار الاسلامية فكانت فيها الدواوين المحلية كديوان الخراج وديوان النفقات ثم نشأت فيها دواوين الجند على غرار ديوان المدنية.[١٣٥]

وفي العصر الأموي اصبحت دمشق عاصمة الدولة واصبحت مركزاً لدواوين الدولة، وقد توسعت الدواوين وتعددت لتتناسب مع حاجة الدولة الجديدة وتطورها، فنشأت دواوين جديدة كما نشأت في الاقاليم دواوين متشابهة لتقوم بالاشراف على ادارة الولاية. فكانت ولاية الموصل مركزاً لدواوين أقليم الجزيرة منها ديوان الجند وديوان الخراج وديوان البريد وديوان النفقات وغيرها من الدواوين[١٣٦]

ويبدو ان النظام الاداري في الدولة الاموية يقوم على اللامركزية الادارية، فقد كان الخليفة الاموي يمنح امراء الاقاليم سلطات واسعة على ولاياتهم تسهيلاً لادارتها.

وأهم هذه الدواوين الاموية:

١- ديوان الجند: فقد وضع أسسه الخليفة عمر ابن الخطاب (ر) لحفظ اسماء الجند وتحديد اعطياتهم، ثم تطورت اعماله فصار يقوم بوظيفة احصاء اسماء الجند وتسجيل مقدار اعطياتهم[١٣٧].

٢- ديوان بيت المال: وهو احد الدواوين العظيمة الاهمية في الدولة الاسلامية، ويعده بعض المؤرخين (أصل الدواوين ومرجعها اليه)[١٣٨] ويرجع بعض المؤرخين بداياته في خلافة ابي بكر (ر) بعد فتح بعض من اقاليم العراق والشام وورود الاموال الكثيرة الى المدينة، ويذكر القلقشندي ان عمر بن الخطاب (ر) كان على بيت المال في خلافة أبي بكر (ر)[١٣٩]

ونشأ في اقليم الموصل والجزيرة ديوان بيت المال وذلك لعظم الاموال الواردة اليها من اموال الجزية والفيء والغنيمة والصدقات والخراج والعشور، وكانت واجباته في حفظ الاموال الواردة، ويتولى في الوقت نفسه الانفاق على مصالح الولاية ومرتبات الجند والعمال بعد ارسال حصة الخليفة في دمشق.

٣- ديوان الخراج: ويتولى تنظيم جباية الخراج والنظر في مشكلاته باعتباره عماد الموارد المالية. وهو من الدواوين المحلية التي وجدت في بلاد الشام قبل تحريرها وكانت لغته يونانية[١٤٠] وقد عرب مع دواوين الشام في خلافة عبدالملك بن مروان. وقد نشأ ديوان الخراج في الموصل بعد تحريرها يرأسه موظف يسمى (كاتب الخراج) يعاونه عدد من الموظفين والكتاب، فقد أمر الخليفة عبدالملك بن مروان الضحاك بن عبدالرحمن الاشعري وضع أسس الخراج على الغلات الزراعية في اقليم الموصل والجزيرة، فجعل على كل مائة جريب ديناراً واحداً، وعلى كل الف شجرة كروم دينار، وعلى كل مائة شجرة زيتون دينار، وراعى القرب والبعد من الاسواق[١٤١].



٤ - **ديوان الرسائل** : وهو من الدواوين المستحدثة في الاسلام ، ويمكن ان نرجع بدايات مهامه الى مراسلات النبي (ص) الى الامراء والملوك يدعوهم الى الاسلام ، وكان يتولاها زيد بن ثابت[١٤٢] واستمر بوضعه البسيط طيلة عهد الراشدين ، وظهر بشكله الوظيفي والاداري في العصر الاموي فكان يتولى على مكاتبات الخليفة مع العمال والقواد والملوك ، وكان كتابه من العرب والموالي ، وبلغ درجة من التنظيم في عهد عبدالملك بن مروان[١٤٣] وكان في ولايات الدولة الاموية موظف يتولى هذه المهمة يسمى (كاتب الرسائل) يتولى تحرير الرسائل التي يبعث بها الامير للخليفة او الى عمال النواحي ويتلقى الرسائل التي ترد الى الامير[١٤٤] وكان يختار من الشخصيات التي يثق الامير بأمانته لاطلاعه على اسراره.

٥ - **ديوان البريد** : لقد اهتم العرب بتأمين طرق مواصلاتهم ، وكانت أحد عوامل تفوقهم العسكري على اعدائهم ، كما عنوا بإنشاء القناطر والجسور لربط الطرق بين العاصمة واجزاء الدولة ، فاستحدثوا نظام البريد لنقل الرسائل الى اقاليم الدولة ، وتبادلها بين الدول المجاورة ، كما يقوم بنقل الوفود والسفراء ، ويصاحب عمال البريد الجيوش في اثناء الحروب لمعرفتهم بالطرق والمسالك[١٤٥] وكان صاحب البريد في العاصمة هو (صاحب الاخبار) يضع العيون على العمال في الولايات لارسال الاخبار عن احوالها[١٤٦] ، وفي العصر العباسي كان يقوم بجمع المعلومات عن الحركات المناهضة للدولة في الداخل ، ومنها حركات الروم[١٤٧] . وقد نصح القاضي ابو يوسف الخليفة الرشيد بأن يدر الاموال لرجال البريد لكي لايرتشوا او يتواطأوا مع العمال على ستر الاخبار عنه[١٤٨] . فكان عمال البريد في الاقاليم ينقلون الرسائل والاخبار منها الى العاصمة والى النواحي التابعة للاقليم وكانت طرق البريد تقسم الى محطات عدة يطلق عليها السكك ، وفي كل سكة دواب معدة تحمل الرسائل.[١٤٩] وقد استخدموا الخيول والابل والبغال.[١٥٠] كما استخدموا سفن البريد في النقل النهري واستخدموا الحمام الزاجل لنقل الاخبار السريعة وهكذا كان لديوان البريد في العصور الاسلامية دور مهم خطير في مجالات تنظيم نقل الرسائل والمعلومات السرية داخل الدولة وخارجها ، وعن التحركات العسكرية للاعداء.

ب - المؤسسات الادارية في العصر العباسي :

اهتم العباسيون بإدارة أقليم الموصل والجزيرة لأهمية موقعه الستراتيجي ولقربه من الحدود البيزنطية ، ولقوة المعارضة الخارجية والقبلية والاموية ضد الخلافة العباسية ، فقاموا بتعيين ولاة قديرين معظمهم من البيت العباسي ، ومن رجالات الدعوة العباسية ، ومنحوهم سلطات واسعة ، كما قاموا بزيارات تفقدية للاقليم للتعرف على اوضاعه والوقوف على مشكلاته واحتياجاته ، ولتفقد اعمال الولاة وسلوكهم تجاه اهل الموصل.

لقد كان ولاة الموصل في العصر الاموي من شيوخ القبائل العربية الموالية لهم ، في حين اعتمدت الخلافة العباسية على القيادات العسكرية في ادارة الموصل ، اذ كشف هؤلاء عن عجزهم في الادارة على الرغم من نجاحهم في القيادات العسكرية.[١٥١] مما ادى بالخلافة العباسية الى ان تعيد النظر في سياستها من تعيين الولاة لاقليم الموصل والجزيرة ، ونبذ سياسة الشدة تجاه اهل الموصل والعمل على حل مشكلاتهم ، والحد من الظلم الذي وقع على الاهالي من الولاة ، مما أعاد الاستقرار والهدوء الى الولاية في الفترة التالية خلال العصر العباسي الاول.

ترجع النظم الادارية في الموصل الى ايام الراشدين والامويين واستمرت طيلة العصر العباسي الاول (١٣٢ هـ - ٢٩٢ هـ) (٧٤٩ - ٩٠٤ م) عندما كان ولاة الموصل يعينهم الخلفاء العباسيون مباشرة ، وبعد هذا التاريخ وحتى احتلال المغول



للموصل تشكلت كيانات سياسية شبه مستقلة عن الخلافة العباسية من حمدانيين وعقيليين وسلاجقة واتابكة، مما ادى الى ظهور نظم ادارية جديدة في الموصل لم يكن بعضها موجوداً في الموصل مما سنتناوله تفصيلاً.

الدواوين في العصر العباسي الاول:

ورث العباسيون التنظيم الاداري عن الامويين، ولم يحدث العباسيون تغييراً كبيراً في النظم الادارية للدولة، فقد حدث تطور في بعض دواوين الدولة ومؤسساتها، واوجدوا دواوين جديدة بصورة تدريجية حسب مقتضيات الحاجة، ولايلبث بعضها أن يزول بزوال الحاجة اليها، وزادوا في الاشراف عليها باستحداث نظام الوزارة، فأصبح الوزير هو المهيمن على جميع دواوين الدولة.[١٥٢] واهم المؤسسات الادارية التي استحدثوها.

نظام الوزارة:

لما تولى بنو امية الخلافة واتسعت الدولة العربية الاسلامية في عهدهم احتاجوا الى من يستعينوا بهم في امور الكتابة، فكان الكاتب من أبرز الموظفين في العصر الاموي وكان بمثابة الوزير اذ يعاون الخليفة في شؤون الدولة ويحفظ سره[١٥٣] وينشيء رسائله وكان اهل الذمة يتولون احياناً وظيفة الكتابة اذ ان اعمال الدواوين كانت في مطلع العصر الاموي تكتب بلغات عدة حتى عربت في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان.[١٥٤]

وبعد قيام الدولة العباسية استحدث وظيفة الوزير وكانت اعماله تقارب الى حد كبير[١٥٥] وظيفة الكاتب الاموي، ويتضح هذا في قول المسعودي (استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيراً) ومع ذلك فقد عظم شأن الوزير (وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب، وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما تحتاج اليه خطته في قسم الاعطيات بين الجند، فاحتاج الى النظر في جمعه وتفريقه، وأضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون اسرار السلطان... وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الضياع والشياع، ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعاً لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة[١٥٦].

وقد استخدم العباسيون الفرس لتولي منصب الوزارة جزاء مساهمتهم في الثورة العباسية فكان تعيين ابي سلمة الخلال وقيام نقباء الدعوة العباسية بمنحه لقب (وزير آل محمد) فاصبح وزيراً لابي العباس وسلموا اليه الرياسة[١٥٧]. ويرى الدوري: ان ظهور نظام الوزارة واشراك الفرس في السلطة ادى بمرور الزمن الى رسوخه كأساس للادارة العباسية[١٥٨] كما ظهر تدخل النساء في اختيار الوزراء من الفرس اذ كانت بعض امهات الخلفاء العباسيين من امهات الاولاد الفارسيات مما ادى الى وصول الفرس الى مراكز الادارة والقيادة والسياسة واصبحت عادة استخدام الفرس في الوزارة والمناصب الاخرى الادارية في الدولة مألوفة لدى خلفاء العصر العباسي الاول[١٥٩].

كانت سلطات الوزير في بداية العصر العباسي الاول محدودة لاتتعدى المشورة وابداء الرأي وتنفيذ اوامر الخليفة، ثم نمت وتطورت وتوسعت صلاحياته واصبح الوزير يشرف على الشؤون المالية وعلى الدواوين والجيش، وقد اختلفت سلطات الوزير باختلاف شخصيات الخلفاء والوزراء وان ظل الخليفة مصدر السلطات وعنه تصدر جميع الاوامر الخاصة بشؤون الدولة[١٦٠]. وكان الوزير غالباً هو نائب الخليفة ويحكم باسمه ويهيمن على جميع الاعمال الرسمية ويشرف على الشؤون المالية، ويقوم بتعيين الولاة والموظفين وعزلهم ويبدي المشورة للخليفة[١٦١].



١ – المؤسسات الادارية في الموصل في عهد الحمدانيين.

كان من آثار سيطرة العناصر الاجنبية على الجيش والادارة والمالية منذ اوائل العصر العباسي الثاني ان لجأ الخلفاء العباسيون في سبيل الحصول على الاموال الى اتباع اسلوب الضمان او الالتزام في جباية الضرائب في الاقاليم وفي ادارتها، فكان العامل يحمل سنوياً مبلغاً مقرراً من الاموال الى الخليفة العباسي، وهذا النظام ادى الى نتيجة حتمية هي انفصال الولايات عن جسم الدولة العباسية، فقد اتاح هذا النظام للحمدانيين ان يستولوا على الموصل والجزيرة والاستقلال فيها مع اعترافهم بتبعيتهم للخلافة العباسية، وذلك بذكر اسم الخليفة في خطب الجمعة والعيدين مع اسمائهم[١٦٢] لانهم كانوا يدينون بالطاعة الدينية للخليفة باعتباره حامي الاسلام.

ولقد سعى الحمدانيون بعد استقلالهم بالموصل وبعض مناطق الجزيرة – ديار مضر وديار ربيعة وديار بكر – اخذوا يحكمونها بما كان سائداً من النظم الادارية في الدولة العباسية فاتخذوا الوزراء والكتاب والولاة وعمال الدواوين[١٦٣].

وعلى الرغم من قلة معلوماتنا عن التنظيم الاداري في الموصل في عهد امراء بني حمدان فان بعض المصادر تشير الى ان الامير الحمداني كان مرجع لجميع السلطات، فهو الذي يشرف على الادارة والجيش والمالية والدواوين، وهو الذي يعين الوزراء والقضاة ورؤساء الدواوين والموظفين ويعزلهم، ولم يكن الوزراء والموظفون سوى ادوات مسخرة لخدمة رغبات الامير وتنفيذ اوامره مما يؤكد النزعة المركزية التي كان يحكم بموجبها الامراء الحمدانيين[١٦٤].

الوزارة والدواوين :

لقد اتخذ الحمدانيون لأنفسهم وزراء متشبهين بالخلفاء العباسيين ليعاونوهم في ادارة شؤون الدولة، وذلك لانشغالهم بالحروب، ولم يكن لديهم الوقت الكافي للنظر في اعمال الدواوين مباشرة، وعلى الرغم من قلة المعلومات عما كان يقوم به الوزير من الاعمال وما كان يتمتع به من الصلاحيات والامتيازات، فاننا نجد ان صلاحيات الوزير كانت محدودة، ويتحدد بقاء الوزير في منصبه على رضا الامير الحمداني عنه، وقد وردت اسماء بضعة وزراء تولوا مهام الوزارة للامراء الحمدانيين منهم الوزير الحسين بن علي المغربي[١٦٥]. وقد وصفه ابن الاثير بانه كان كاتباً عالماً يقول الشعر وقد اتخذه مشرف الدولة البويهي وزيراً عام ٤١٤ هـ/١٠٢٣ م[١٦٦].

اما النظم الادارية في الموصل في عهد بني حمدان فكانت صورة مصغرة للنظم الادارية في العاصمة بغداد فقد وجدت دواوين فيها يعود بعضها الى ايام الدولة الاموية تشرف على ادارة اقليم الموصل والجزيرة كديوان الخراج، وديوان الجند، وديوان الرسائل وديوان البريد وغيرها من الدواوين، وقد ابقاها الحمدانيون لأهميتها في ادارة الامور الادارية والمالية والعسكرية.

٢ – المؤسسات الادارية في الموصل في عهد بني عقيل

كان النظام الاداري في الموصل في عهد امراء بني عقيل استمراراً للنظام الاداري في عهد امراء بني حمدان في الموصل، وعلى صورة مصغرة للنظام الاداري في الدولة العباسية فقد اتخذوا الوزراء والكتاب والقضاة ورؤساء الدواوين واضافوا عليها باستحداث منصب نائب الامير.



نواب الامارة

اتخذ الامراء العقيليون نواباً لهم في حكم الكور والنواحي في الولايات التابعة لهم، وكان هؤلاء النواب من الاسرة العقيلية، وهم اداة طيعة بيد الامير العقيلي الذي تميز بسلطته المركزية على الكور والنواحي والاعمال التابعة لهم كافة مثل نصيبين، وحلب، وهيت، وتكريت وحديثة الفرات وعانة (١٦٧). ومن اشهر نواب الامير مسلم بن قريش العقيلي الذي تولى نيابة حلب سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣م (١٦٨) وتولى نيابة عانة وحديثة الفرات مهاوش ابن المجلي العقيلي (١٦٩). وتولى نيابة نصيبين بدران ابن المقلد العقيلي واولاده من بعده (١٧٠). وتولى بهاء الدولة العقيلي واخوته من بعده نيابة هيت (١٧١). كما تولى رافع بن الحسين بن حصن العقيلي نيابة تكريت حتى وفاته سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م فولاه بعده ابن اخيه ابو منعة خميس بن تغلب العقيلي (١٧٢).

الوزارة

اتخذ العقيليون لانفسهم الوزراء شأنهم شأن الحمدانيين، متشبهين بالخلفاء العباسيين ولم تكن للوزير في عهد العقيليين سلطة تفويضية في ادارة امور الولاية في الشؤون الادارية والمالية والعسكرية، شأنه شأن الوزير في الدولة العباسية، وانما كانوا وزراء تنفيذ لاستبداد الامير العقيلي بامور الاقليم (١٧٣).

ومن وزراء بني عقيل في الموصل ابو القاسم الحسين بن علي المغربي- الذي كان وزيراً للحمدانيين- تولى الوزارة في عهد الامير قرواش بن المقلد العقيلي، وقد عرف بغزارة علمه واجادته الكتابة والشؤون المالية، ولكنه لم يلبث ان اختلف مع الامير قرواش فقبض عليه سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م وصادر امواله وحبسه ثم اخلى سبيله (١٧٤). فرحل المغربي الى بغداد وتولى الادارة (١٧٥). لمشرف الدولة البويهي سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٥ م، وتولى الوزارة بعده ابو القاسم سليمان بن فرد، وكان يكتب في حداثته بين يدي ابي اسحق الصابيء، ثم اتصل بالأمير مقلد العقيلي فولاه الامير قرواش الوزارة، واساء ابو القاسم سليمان في جباية الاموال من اهل الموصل فقبض عليه الامير وحبسه وطالبه بالاموال التي صادرها من الاهالي فلما أمتنع قتله (١٧٦).

وفي امارة شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي قلد وزارته ابا العز بن صدقة، ولكن الامير مسلماً أنكر عليه بعض اعماله فحبسه ثم اطلق سراحه (١٧٧).

وهكذا نجد ان وزراء الامراء العقيليين في الموصل لقوا نفس المصير الذي لقيه الوزراء العباسيين وذلك لاستئثارهم باموال الجباية، واغتصابهم ضياع الامير وعامة الناس مما تنتهي حياة اغلبهم بالمصادرة او الموت (١٧٨).

٣- المؤسسات الادارية في الموصل في عهد السلاجقة

إن قلة المعلومات عن النظام الاداري في الموصل في عهد السلاجقة يعود الى عدم الاستقرار والاضطراب الذي ساد المنطقة مما ادى الى اضطراب المؤسسات الادارية فيها وللدلالة على ذلك فقد حكم الموصل خلال الفترة من ٤٨٩- ٥٢١ هـ / ١٠٩٥- ١١٢٧ م مايزيد على عشرة ولاة كانت تنتهي حياتهم بالموت او العزل كما ان انشغال السلاجقة بقتال الصليبين والتنافس بين امراء السلاجقة ادى الى انصرافهم عن الاهتمام بالنظم الادارية والنواحي العمرانية (١٧٩)

ان عدم اشارة المصادر الى التنظيمات الادارية في الموصل لايعني عدم وجود مؤسسات ادارية كما ان انتقال ادارة الموصل من اسرة الى اخرى لايعني زوال مؤسسات الحكم وتنظيماتها الادارية (١٨٠) بل



ان معظم هذه المؤسسات الادارية ظلت قائمة في عهد السلاجقة مع اجراء بعض التعديلات واستحداث بعض المناصب الادارية والعسكرية التي تقتضيها الظروف الجديدة.

ومما تجب الاشارة اليه ان نظم الحكم والادارة في اقليم الموصل والجزيرة تشبه لحد كبير ماكان سائداً من النظم الادارية ايام العقيليين في الموصل وفي الخلافة العباسية ببغداد فاتخذوا الوزراء والنواب والحجاب والقضاة والعمال الذين كانوا يعينون من قبلهم على المدن والمراكز الخاضعة لنفوذهم[١٨١].

وأهم الوظائف الادارية والدواوين في الموصل في العصر السلجوقي هي :-

نظام الولاية :كان والي الموصل يعينه السلطان السلجوقي مباشرة ، وهو صاحب السلطة العليا في الولاية في الامور الادارية والمالية والعسكرية، وعلاقته بالسلطان السلجوقي تتحدد بمدى تنفيذ ما يترتب عليه من التزامات مالية وعسكرية تجاهه ، وفي حالة تثاقله في تنفيذ ذلك يعرض للعزل من الولاية[١٨٢] كتجهيز الجيوش لقتال اعداء السلطان والخارجين عن طاعته او عدم حمله المال اليه.

لقد تمتع ولاة الموصل بنفوذ واسع في اقليم الجزيرة وديار بكر وشمال بلاد الشام وسعوا الى فرض نفوذهم على المدن والامارات المجاورة واخضاعها لنفوذهم باسم السلطان السلجوقي باعتبارهم نواباً عنه في حكم هذه الأقاليم[١٨٣]. وقد انابوا عنهم بإدارة المدن والنواحي الى الامراء العسكريين ومرتبطين بهم مباشرة ويلتزمون باداء واجبات عسكرية ومالية تجاه والي الموصل[١٨٤].

نظام الوزارة : ان نظام الوزارة من مستحدثات العصر العباسي الاول وذلك منذ سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م وبقي كذلك حتى احتلال المغول بغداد سنة ٦٥٦هـ=١٢٥٨م. وقد اختلفت سلطة الوزير وصلاحياته خلال العصور العباسية[١٨٥] وقد انعكس ذلك على امراء الاطراف. لقد كانت اختصاصات الوزير في الموصل في العصر السلجوقي تقوم على تقديم المشورة وتنفيذ ما يؤمر به ، وهي تشبه لحد كبير اختصاصات الوزير في العصر العباسي الأول ، كما انها تمثل استمراراً لتلك الصلاحيات التي كان يتمتع بها الوزير ايام الحمدانيين والعقيليين.

ومما تجب الاشارة اليه الى ان ولاة الموصل لم يتخذوا الوزراء باستمرار، ويعزى ذلك الى قصر عهود الولاة واعتمادهم على الدزدار الذي كان المسؤول عن الدفاع عن المدينة ويأتي بالمرتبة الثانية من الناحية الادارية بعد الوزير، وبدليل ان عماد الدين زنكي حين تولى امارة الموصل سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م لم يتخذ وزيراً في السنوات الاولى من حكمه[١٨٦].

وقد ظهرت في العصر السلجوقي أسر استأثرت بمنصب الوزارة امثال بني نظام الملك فقد تمتع الوزير بسلطات تخوله الاشراف على جميع الدواوين[١٨٧].

الدزدار[١٨٨]

كان منصب الدزدار من المناصب المهمة في ولاية الموصل ، فكانت تقع عليه عبء حماية المدينة والدفاع عنها في اوقات الخطر، فهي المركز الرئيسي للدفاع عن المدينة بعد الاسوار وما يكتنفها من ابراج ، وما يحيط بها من خنادق ، ولذا اصبح الدزدار (حامي القلعة) الشخصية الثانية بعد الامير تقع عليه مسؤولية حماية المدينة والاشراف المستمر على احكام تحصيناتها وتفقد منشآتها العسكرية ، وتهيئتها للدفاع عن المدينة[١٨٩].

ولقد توسعت صلاحيات الدزدار، فأصبح يجمع بين النيابة (نائب الأمير) وقيادة الجيش



فضلاً عن جمع الضرائب وجباية الاموال مما دفع بعضهم الى الاستبداد بأمور الولاية والسيطرة عليها [١٩٠] . وخاصة اذا ما توفي الامير وخلف ولداً صغيراً فيبادر الدزدار بتنصيبه ليستأثر هو بالحكم الفعلي دونه [١٩١] .

الحاجب :

ظهر منصب الحجابة لأول مرة في التاريخ الاسلامي في العصر الأموي لتنظيم دخول الناس على الخليفة ، وانتقل هذا النظام الى العباسيين بعد قيام الدولة العباسية وتولى الحاجب فيها نفس المهام التي كان يقوم بها أيام الأمويين في تنظيم مقابلات الخليفة والمحافظة على حياته ، وقد ارتفعت منزلة بعض الحجاب لدرجة نافس فيها الوزير في صلاحياته وواجباته بالتدخل في شؤون الوزير وفي التأثير في تعيين حكام الأقاليم [١٩٢] .

وقد تطور منصب الحاجب في العصر السلجوقي ، وقد اصبح يطلق عليه (الحاجب الاعظم) و (الامير الحاجب الكبير) وأصبحت واجباته تلقي اوامر السلطان الشفهية وتبليغها الى الوزير لتنفيذها ، او نقل وجهة نظر السلطان في بعض الأمور السياسية الى ملوك وأمراء الدول المجاورة [١٩٣] .

وقد استخدم ولاة الموصل في العهد السلجوقي الحجاب على الرغم من قلة المعلومات عنهم سوى اشارة تتعلق بالحاجب صلاح الدين الباغيسياني الذي كان أمير حاجب البرسقي للفترة من ٥١٥-٥٢٠ هـ [١٩٤] ١١٢١- ١١٢٦م وقد نهض الباغيسياني بدور بارز في تنصيب عماد الدين زنكي والياً على الموصل ، واصبح من اكبر موظفي اتابكية الموصل ، فقد تولى الاشراف على شؤون الجيش المسؤول الاول عن تنظيم شؤونه [١٩٥] .

٤- المؤسسات الادارية في الموصل في عهد الاتابكة :

ان تحول ادارة الموصل في عهد ولاة السلاجقة الى عهد ولاة الاتابكة لم يؤد الى ظهور مؤسسات ادارية جديدة بل ان معظم هذه الدواوين والمؤسسات ظلت موجودة في العهد الاتابكي مع اجراء بعض التغييرات من حيث الغاء او استحداث مناصب ادارية جديدة اقتضتها الظروف السياسية والمالية والعسكرية ، وكانت هذه المؤسسات الادارية تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي ، وأهم هذه المؤسسات الادارية هي : -

نيابة الموصل :

يعد هذا المنصب من الوظائف الادارية التي وجدت في الموصل منذ ايام السلاجقة ، وقد ابقاه زنكي بسبب انشغاله في معظم الاوقات في الحروب ، فكان مكوثه في الموصل قليلاً مما اقتضى ان يكون فيها نائباً عنه يتمتع بسلطات واسعة ، ويكاتب الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي عن احوال الامارة خلال فترة تغيب الامير [١٩٦] فضلاً عن جباية الضرائب والاموال والاشراف على الدواوين ، وعلى تحصينات الموصل ، والدفاع عنها عند تعرضها للخطر [١٩٧] والقيام بقيادة الجيش بناءً على اوامر زنكي [١٩٨] كما يترأس ديوان الجيش ، ويعتبر رأس الموظفين الاداريين في الولاية [١٩٩] وقد توسعت صلاحياته وتجاوزت سلطات الوزير.

نائب القلعة

تقتصر وظيفة نائب القلعة واختصاصاته على الاشراف على فتح واغلاق باب القلعة المخصص لدخول الجند وخروجهم ، والقيام بتفقد اسوار القلعة ومنافذها ، واصلاح وصيانة اسوارها [٢٠٠] . واضيف اليه فيما بعد النظر في الخصومات بين



العامة ، وهي اشبه بوظيفة صاحب الشرطة ، وكان يتمتع باستقلال كبير عن نائب الامير[٢٠١].

ولاة المدن :

لما كان امراء آل زنكي اصلاً هم ولاة ، وغالباً ما كانوا امراء استيلاء ، فكانوا يسعون الى توسيع رقعة ولاياتهم على حساب الدولة العباسية ، فكان من الطبيعي ان يتحولوا الى امراء او سلاطين ، ولابد لهم من تعيين ولاة على المدن والاعمال والنواحي التابعة لهم يحكموها باسمهم ، فكانت مهمات الوالي واختصاصاته تتحدد بتنفيذ الاحكام واقامة الحدود ، وتعقب المفسدين ومثيري الفتن والخارجين على الامير[٢٠٢]. فضلاً عن الاشراف على جباية الاموال والجيش والادارة ، ومساعدة السلطان في اوقات الحروب بالجند والميرة والاموال[٢٠٣]. ومطالعة السلطان بكل مايتجدد لديه من الاخبار[٢٠٤] وقد اختلفت طبيعة صلاحيات عمال المدن الذين عينهم زنكي باختلاف وظيفة الوالي عند تعينه ، فقد وردت تارة باسم (ولى) وتارة (اقطع) وثالثة (وهب) ويبدو ان هذه التسميات تشير الى طبيعة السلطة التي يمارسها العامل ، فالمقطع كان يمارس صلاحيات اوسع في مجال اقطاعه عن الوالي الذي يمارس عملاً ادارياً فحسب[٢٠٥]. وقد روعي في اختيار هؤلاء الولاة من الاسرة الحمدانية ، ومن رؤساء القبائل الذين يتمتعون بثقتهم ، ويعتمدون عليهم.

نظام الوزارة

ظهر منصب الوزارة كمؤسسة ادارية منذ قيام الدول العباسية ، وكان معظم الخلفاء العباسيين يفوضون وزراءهم في حكم الدولة ، فكان الوزير يقوم بتدبير المال وعرض الجيوش ، وتوفير الاموال والاشراف على الجباية ، واجراء رسوم الخلافة ، والاشراف على الدواوين[٢٠٦] واستمر هذا المنصب طيلة العصور العباسية ، ولكن سلطات الوزير ضعفت وخاصة السياسية والادارية والمالية والعسكرية نتيجة استبداد الاتراك والبويهيين بالنفوذ في الدولة العباسية ، ولم تعد سيطرة الوزير الاعلى الجباية والاشراف على الامور الادارية[٢٠٧] واضمحلت وظيفة الوزير بعد استحداث منصب امير الامراء ، واصبح الوزير مجرد كاتب يتولى الأمور المالية للخليفة لانتقال سلطاته الى امير الامراء[٢٠٨].

إن مهام الوزير في عهد عماد الدين زنكي لم تكن واضحة المعالم بسبب عدم وضوح صلاحياته لاسيما وان منصب نائب الوالي الذي كان يتمتع بصلاحيات تفويضية واسعة على شؤون الدواوين والموظفين قد حددت من صلاحيات الوزير، كما ان استحداث وظائف ادارية جديدة وعلى رأس كل منها شخص يدعى (الناظر) كناظر الجيش ، وناظر الدولة ساعد على انتقال هذه الصلاحيات منه إليهم[٢٠٩].

ومع ذلك لم يفقد الوزير بعض الاختصاصات المهمة فيذكر شاهين : (إن من أنتصب لوظيفة الوزارة لزمه النهوض بمهات الدولة وامور المملكة بأن يحمل اثقالها ويزيح اختلالها ويصلح احوالها ويحفظ رجالها وينمي اموالها ، ويستخدم الكفاة ويوليهم اعمالها ، ويعتني بجهات الاموال وحراسة اسبابها وضبط حسابها والعدل في جبايتها ، وتوزيع القطائع والعطاء[٢١٠]

ويبدو ان عدم وضوح صلاحيات الوزير كان له الاثر الكبير في ضعف منصب الوزارة. كما أن المصادر لم تسعفنا بالمعلومات الواضحة عن اختصاصاتهم واعمالهم الفعلية ، وانما اكتفت بذكر اسماء وزراء الاتابكة وسني حكمهم منهم : جمال الدين الاصبهاني والكفرتوني (٥٢٨-٥٣١هـ) ، (١١٣٣- ١١٣٦م) وابي الرضاني صدقة (٥٣٦-٥٣٨هـ) (١١٤١- ١١٤٣م) وأبي الغنائم حبشي (٥٣٨- ٥٤١هـ) (١١٤١- ١٠٤٩م) وقد لقب زنكي جمال الدين الاصبهاني



بـ (وزير صاحب الموصل)[٢١١] ويبدو من هذا اللقب ان الوزير كان المهيمن على كل الأمور الادارية في الامارة وهي تبدو اعلى من مرتبة الوزير ونائب الامارة بدليل ماذكره ابن الاثير: ان زنكي جعل جمال الدين مشرف المملكة كلها وحكمه تحكيماً لامزيد عليه[٢١٢].

ومن الملاحظ أن وزراء زنكي لم يكونوا من القادة او الامراء العسكريين وانما كانوا من المدنيين لاعتقاده بأن منصب الوزارة بطبيعته منصب مدني يستند الى ارباب الاقلام لا إلى ارباب السيوف، وسيراً على نهج الخلافة العباسية في اسناد منصب الوزارة الى الكتاب وارباب الاقلام لا إلى ارباب السيوف.

ومما تجدر الاشارة اليه ان المصادر التي بين ايدينا لم تتطرق الى ذكر دواوين الموصل في عهد زنكي سوى بعض الاشارات فيما يخص ديوان الجند، الذي كان يترأسه من كبار قواد الجيش، وله المكانة العليا لدى الأمير ويطلق عليه (أمير حاجب)[٢١٣] فكان يقوم بالاشراف على تنظيم الجند وتسليحهم وتنظيم توزيع مرتباتهم واعطياتهم، كما يتولى قيادة الجيش، ويساهم مع الأمير بالمعارك الحربية لذلك وصف بـ (اكبر أمير مع زنكي)[٢١٤] وقد تولى منصب امير حاجب في امارة زنكي صلاح الدين بن ايوب الياغيسياني لدوره الفعال في اقناع الخليفة العباسي باقرار زنكي اميراً على الموصل، وقد كافأه زنكي فولاه عام ٥٢١ هـ ١١٢٧ م هذا المنصب الهام[٢١٥]. وجعله احد قواده الكبار، وكلفه بقيادة جيشه في المعارك التي خاضها[٢١٦] وبقي يتولى هذا المنصب طيلة حكم عمادالدين زنكي، كما لم تتطرق المصادر الى الجهاز الذي نظمه زنكي لضبط الأمن كالشرطة، ويعتقد ان زنكي اعتمد الى حد كبير على جهاز استخباراته الدقيق، وعلى صاحب البريد لتحقيق الامن الداخلي والخارجي بجمع الاخبار والمعلومات لحساب الخليفة العباسي والامير الاتابكي[٢١٧].

ويبدو من خلال المعلومات المتوافرة في المصادر التداخل بين عمل المؤسسات الادارية وعدم وضوح اختصاصات الموظفين فيها، وسكوت هذه المصادر عن تحديد دقيق لاختصاصات المؤسسات الادارية، ومع ذلك فهي تشير الى استمرار الكثير من النظم العربية الاسلامية التي كانت متبعة في الدولة العباسية.

ملحق
بولاة الموصل في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين.

١ – (ولاة الموصل في عهد الخلفاء الراشدين)

اسم الوالي	السنة
ربعي بن الأفكل العنزي	١٦ هـ = ٦٣٧ م
عبدالله بن المعتم	١٧ هـ = ٦٣٨ م
عتبة بن فرقد السلمي	٢٠ هـ = ٦٤٠ م
هرثمة بن عرفجة البارقي	٢٢ هـ = ٦٤٢ م
حكيم بن سلامة الحزامي	٣٤ هـ = ٦٥٤ م
الأشتر مالك بن الحارث النخعي	٣٦ هـ = ٦٥٦ م

٢ – (ولاة الموصل في العهد الاموي)

اسم الوالي	السنة
عبدالرحمن بن عثمان الثقفي	٥١ هـ = ٦٧١ م
محمد بن الاشعث بن قيس	٦٤ هـ = ٦٨٣ م (من قبل عبدالله بن الزبير)
سعيد بن عبدالملك بن مروان	٦٥ هـ = ٦٨٤ م
عبدالرحمن بن سعيد بن قيس	٦٦ هـ = ٦٨٥ م (من قبل المختار الثقفي)
ابراهيم بن الأشتر	٦٧هـ – ٦٨٦م (من قبل المختار الثقفي)
المهلب بن ابي صفرة	٦٧ هـ = ٦٨٦ م (من قبل مصعب بن الزبير)
ابراهيم بن الاشتر (للمرة الثانية)	٦٨ هـ = ٦٨٧ م (من قبل مصعب بن الزبير)
محمد بن مروان بن الحكم	٧١ هـ = ٦٩٠ م
يحيي بن يحيي الغساني	١٠١ هـ = ٧١٩ م
عمر بن هبيرة الفزاري	١٠١ هـ = ٧١٩ م
مروان بن محمد بن مروان	١٠٢ هـ = ٧٢٠ م
الحر بن يوسف	١٠٦ هـ = ٧٢٤ م
يحيي بن الحر بن يوسف	١١٣ هـ = ٧٣١ م
الوليد بن تليد العبسي	١١٤ هـ = ٧٣٢ م
الوليد بن بكير	١٢١ هـ = ٧٣٨ م
مروان بن محمد (للمرة الثانية)	١٢٦ هـ = ٧٤٣ م
القطران بن أكمة الشيباني	١٢٧ هـ = ٧٤٤ م
الضحاك بن قيس	١٢٨ هـ = ٧٤٥ م
هشام بن عمرو الزهيري	١٢٨ – ١٣٢ هـ = ٧٤٥ – ٧٤٩ م[1]

٣ – (ولاة الموصل في العصر العباسي الاول)

اسم الوالي	السنة
محمد بن صول	١٣٢ هـ = ٧٤٩ م
يحيي بن محمد العباسي	١٣٣ هـ = ٧٥٠ م
اسماعيل بن علي	١٣٤ هـ = ٧٥١ م
مالك بن الهيثم الخزاعي	١٤٢ هـ = ٧٥٩ م
جعفر بن المنصور العباسي	١٤٥ هـ = ٧٦٢ م
خالد بن برمك	١٤٨ هـ = ٧٦٥ م
اسماعيل بن عبدالله القسري	١٥١هـ = ٧٦٨ م
موسى بن مصعب الخثعمي	١٥٤ هـ = ٧٧١ م
خالد بن برمك (للمرة الثانية)	١٥٩ هـ = ٧٧٦م

١) انظر: ابن الاثير: الكامل جـ٣ ص٣٨، ص١٤٧، ص١٧٧، جـ٤ ص٢٧٧، ص٢٦٥، ص٢٧٥، جـ٥ ص١٣٢، ص١٧٦، ص٢٤١، ص٢٤٩. السلمان: الموصل في العهدين الراشدي والاموي ص١٦٦ – ١٦٩.

اسم الوالي	السنة
اسحاق بن سليمان	١٦٠ هـ = ٧٧٧م
حسان السري	١٦١ هـ = ٧٧٨م
عبدالصمد بن علي	١٦٢ هـ = ٧٧٩م
محمد بن الفضل	١٦٣هـ = ٧٨٠م
احمد بن اسماعيل	١٦٥ هـ = ٧٨٢م
هاشم بن سعيد	١٦٩ هـ = ٧٨٦م
عبدالملك بن صالح	١٧٠ هـ = ٧٨٧م
اسحاق بن محمد	١٧١هـ = ٧٨٨م
سعيد بن مسلم الباهلي	١٧٢ هـ = ٧٨٩م
عبدالله بن مالك الخزاعي	١٧٣ هـ = ٧٩٠م
محمد بن العباس الهاشمي	١٧٦ هـ = ٧٩٣م
يحيي بن سعيد الحرشي	١٨٠ هـ = ٧٩٦م
هرثمة بن أعين	١٨٢ هـ = ٧٩٨م
عمرو بن الهيثم	١٨٣ هـ = ٧٩٩م
هرثمة بن اعين (للمرة الثانية)	١٨٥ هـ = ٨٠١م
علي بن شريك	١٨٦ هـ = ٨٠٢م
ندال بن رقاعة	١٨٨ هـ = ٨٠٣م
خالد بن يزيد بن حاتم	١٩٠ هـ = ٨٠٥م
علي بن صدقة بن دينار	١٩١ هـ = ٨٠٦م
محمد بن الفضل بن سليمان	١٩٢ هـ = ٨٠٧م
ابراهيم بن العباس	١٩٤ هـ = ٨٠٩م
خالد بن يزيد بن حاتم (للمرة الثانية)	١٩٥ هـ = ٨١٠م
المطلب بن عبدالله الخزاعي	١٩٦ هـ = ٨١١م
الحسن بن عمرو التغلبي	١٩٧ هـ = ٨١٢م
طاهر بن الحسين	١٩٨ هـ = ٨١٣م
علي بن الحسن الحمداني	١٩٩ هـ = ٨١٤م
محمد بن سعيد بن مالك	٢.٢ هـ = ٨١٧م
السيد بن أنس الازدي	٢٠٢ هـ = ٨١٧م
محمد بن حميد	٢١٢ هـ = ٨٢٧م
ابو المثنى التليدي	٢١٣ هـ = ٨٢٨م
مالك بن طوق التغلبي	٢١٤ هـ = ٨٢٩م
منصور بن بسام	٢١٩ هـ = ٨٣٤م
عبدالله بن السيد بن أنس	٢٢٤ هـ = ٨٣٨م[1]

(١) الأزدي: تأريخ الموصل جـ٢ ص٤٩٤ – ٤٩٦، العمري: ياسين: منية الأدباء في تأريخ الموصل الحدباء – تحقيق الدبوه جي – الموصل – ١٩٥٥م ص٢١٣–٢١٥، زامباور: معجم الاسر والسلالات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ص ٥٦–٥٧.



الهوامش

١) البلاذري : فتوح البلدان القاهرة ١٩٥٧ جـ٢ ص ٣٢٨ ، الطبري: تاريخ ليدن ١٩٠١ جـ٣ ص ١٤٢ ابن الاثير : الكامل بيروت ١٩٦٥ جـ٢ ص ٢٢١.
٢) المصدر السابق نفسه, جـ٢ ص ٤٠٧ ، ابن الاثير :(الكامل في التاريخ) جـ٢ ص ٥٢٤.
٣) أبن قتيبة : عيون الاخبار،دار الكتب المصرية ١٩٣٠ جـ١ ص ٢١٤.
٤) أنظر : تاريخ الموصل القاهرة ١٩٦٧ جـ٢ ص ٢٢٦.
٥) الازدي: تاريخ الموصل جـ٢ ص ٢٢٧.
٦) أنظر : صورة الارض بيروت ص ١٩٤.
٧) المصدر نفسه ص ١٩٥
٨) القزويني : آثار البلاد واخبار العباد طبعة كونجي ١٩٤٨ ص ٣٥٤.
٩) البلاذري : فتوح البلدان جـ١ ص ٢٥٦.
١٠) الهمداني: بغداد مدينة السلام ص ٢٩.
١١) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة ،دمشق ١٩٥٣ جـ٣ ص ٤.
١٢) ابن الاثير: اللباب في تهذيب الانساب جـ١ ص ٢٧٧.
١٣) حمادي: الجزيرة الفراتية والموصل دار الرسالة بغداد ١٩٧٧ ص ٤٥.
١٤) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٨ ص ٦.
١٥) المصدر نفسه ص ٥.
(١٦) امير علي : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي بيروت ١٩٦٧
(١٧) الكور جمع كورة : وهي كل صقع يشتمل على عدة قرى (ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص٣٦)
(١٨) السلمان: الموصل في العهدين الراشدي والاموي رسالة ماجستير غير مطبوعة
(١٩) امير علي : مختصر تاريخ العرب ص١٨١.
(٢٠) ابن الاثير: الكامل جـ٢ ص٥٢٤، الطبري: تاريخ جـ٤ ص٣٧.
(٢١) البكري : معجم مااستعجم جـ٤ ص١٢٧٨.
(٢٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك،بريل ١٨٨٩ م ص٩٤.
(٢٣) السلمان : الموصل في العهدين الراشدي والاموي ص١٤٨ – ١٥٠.
(٢٤) خدابخش : حضارة الاسلام،بيروت ١٩٧١ ص١٥٧.
(٢٥) اليعقوبي : تاريخ النجف ص١٨.
(٢٦) ابن الاثير: الكامل جـ٣ ص٣٨، ص١٤٧، ص١٧٧، جـ٤ ص١٤٤، ص٢٢٧، ص٢٦٥، ص٢٧٥، جـ٥ ص١٣٢، ص١٧٦، ص٢٤٩، السلمان : الموصل في العهدين الراشدي والايوبي ص١٥٠
(٢٧) الازدي : تاريخ الموصل جـ٢ ص٨٧– ٨٨، السلمان : الموصل ص١٥١.
٢٨) الازدي : تاريخ الموصل ،جـ٢ ، ص ٢١١ .
٢٩) المصدر نفسه ، جـ ٢ ص ٢٤٣.
٣٠) المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٢٥٨ .
٣١) الحموي: التاريخ المنصوري،موسكو ١٩٦٣ ص ٩٥ .
٣٢) الازدي : تأريخ الموصل ، جـ٢ ص ٢٨٩.
٣٣) ابن طيفور: تاريخ بغداد ، سويسرا ص ١٤٢ – ١٤٣
٣٤) العمري: منهل الاولياء ص ٢١٠.
٣٥) الازدي: تاريخ الموصل جـ٢ ص ١٤٦
٣٦) اليعقوبي: تاريخ جـ٢ ص ٣٥٧
٣٧) الازدي: تاريخ الموصل جـ٢ ص ١٤٦
٣٨) حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل ص ٣٩٨
٣٩) المصدر نفسه ص ٣٩٧
٤٠) الطبري تاريخ جـ٧ ص ٤٦
٤١) الازدي: تاريخ الموصل جـ٢ ص ١٥٦
(٤٢) الازدي : تاريخ الموصل جـ ٢ ص ١٥٦.
(٤٣) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٦٦.
(٤٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٩٧.
(٤٥) الطبري : تاريخ جـ ٨ ص ٥٥.
(٤٦) الازدي : تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٢١٤.
(٤٧) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٢٤.
(٤٨) الازدي: تاريخ الموصل جـ٢ ص ٢٤٦
(٤٩) اليعقوبي : تاريخ جـ ٢ ص ٤٣٤
(٥٠) الازدي: تاريخ جـ ٢ ص٢٩٣
(٥١) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٨٧
(٥٢) حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل ص ٤٢٣
(٥٣) الازدي جـ ٢ ص ٢٩٨
(٥٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان القاهرة ١٣٦٧ هـ
(٥٥) الازدي: تاريخ جـ٢ ص ٣١٥
(٥٦) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٢٤
(٥٧) حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل ص ٤٣٢
(٥٨) الازدي : تاريخ الموصل جـ٢ ص٣٤٤
(٥٩) الطبري : تاريخ جـ٨ ص٦١٩
(٦٠) الازدي : جـ٢ ص٣٨١
(٦١) المصدر نفسه، جـ٢ ص٣٨٥
(٦٢) اليوزبكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية،مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٦ ص١٩.
(٦٣) سرور: الحضارة الاسلامية،القاهرة ص١٩
(٦٤) الاعظمي : مختصر تاريخ بغداد،بغداد ١٩٢٦ ص٢٥
(٦٥) اليوزبكي : الوزارة،ص١١٩
(٦٦) اليوزبكي : الوزارة،ص١٤٥
(٦٧) المرجع نفسه،ص١٤٩
(٦٨) الذهبي : دول الاسلام،الدكن ١٣٦٤ هـ
(٦٩) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب بغداد ١٩٧٠ جـ ١ ص ٢٠٢.
(٧٠) ديموبين : النظم الاسلامية بغداد ١٩٥٢ ص١٤٩ وما بعدها
(٧١) الماوردي : الاحكام السلطانية،مصر ص٤٧
(٧٢) السامر: الدولة الحمدانية جـ١ ص٣١٤
(٧٣) المرجع نفسه جـ١ ص٣١٦



(٧٤) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب جـ ١ ص ٣١٨–٣٢١.

(٧٥) الماوردي : الاحكام السلطانية ص٢٧

(٧٦) ابن الأثير: الكامل جـ٧ ص١٥٧ ، الماضيدي دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص٥٥

(٧٧) المصدر نفسه جـ٧ ص١٥٧

(٧٨) ابن الوردي : تاريخ القاهرة ١٢٨٥ هـ

(٧٩) ابن الجوزي : المنتظم، الدكن جـ٨ ص١٩٣

(٨٠) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان،الهند ١٩٥١ ص٢٢٤

(٨١) الماضيدي: دولة بني عقيل في الموصل ص ١٤٨.

(٨٢) المرجع السابق نفسه ص ١٥٠.

(٨٣) ابن الاثير: الكامل جـ ٧ ص ١٨١.

(٨٤) المصدر السابق نفسه جـ٧ ص ٢٠٩–ص ٢١٠.

(٨٥) ابن الاثير: الكامل جـ ٧ ص ٢٠٩– ص ٢١٠.

(٨٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٥٤

(٨٧) ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٦٠

(٨٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٥٤

(٨٩) الماضيدي: دولة بني عقيل في الموصل ص ١٢٤ ، ص ١٥٢

(٩٠) السلاجقة : ينتسبون اصلاً الى احدى القبائل التركية تعرف باسم القنق انحدرت من موطنها الأصلي في سهول التركستان خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة واستقرت اول الأمر في بلاد ما وراء النهر، وتزايد عددهم بمرور الزمن بما انضم اليهم ، وقامت النزاعات بينهم مع القبائل الاخرى في المنطقة وتمكنوا من اخضاعها لسيطرتهم (الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص ١ نشر محمد اقبال – لاهور ١٩٣٣ ، عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ١٦ مصر ١٩٥٩ م).
وتسمية السلاجقة ترجع الى جدهم سلجوق بن دقاق الذي اعتنق الاسلام على المذهب السني الذي كان سائداً بين السامانيين والغزنويين (الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص ١) وقد توسع نفوذهم على حساب السامانيين والغزنويين ، وقام زعيمهم طغرليك سنة ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م بالاتصال بالخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وعرض عليه الولاء والجهاد في سبيل الله مقابل اعترافه بشرعية حكمه للبلاد ، فاستجاب الخليفة لطلبه في وقت كانت الخلافة بأمس الحاجة الى قوة جديدة تستطيع مواجهة نفوذ البويهيين والفاطميين وما تعرض له الخلافة من احداث خطيرة (الراوندي : راحت الصدور ص ١٦٦ – ١٦٧) فاستولى السلاجقة على معظم اجزاء ايران ثم اتجهوا الى بغداد سنة ٤٤٧ هـ لوضع حد للنفوذ البويهي في عاصمة الخلافة العباسية (حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٣٧).

(٩١) الجميلي : امارة الموصل في العصر السلجوقي بغداد ١٩٨٠ ص ٩٣.

(٩٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٦٩.

(٩٣) ابن الاثير: الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٢.

(٩٤) المصدر السابق والصحيفة ، ابن خلدون ، العبر القاهرة ١٢٨٤ هـ جـ ٥ ص ٦٢.

(٩٥) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٣٨٤.

(٩٦) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق بيروت ١٩٠٨ ص ١٤٧.

(٩٧) ابن الاثير: جـ ١٠ ص ٤٢٦.

(٩٨) الفارقي : تاريخ ميافارقين مصر ١٩٥٩ ص ٢٧٣.

(٩٩) الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية لاهور ١٩٣٣ ص ٨١.

(١٠٠) ابن الاثير: الكامل جـ ١٠ ص ٤٥٨.

(١٠١) الفارقي : تاريخ ميافارقين ص ٢٧٥.

(١٠٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧.

(١٠٣) الجميلي : امارة الموصل في العصر السلجوقي ص ١٢٩.

(١٠٤) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٩٧.

(١٠٥) ابن الاثير: الكامل جـ ١٠ ص ٥٦٤.

(١٠٦) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٦٢٢.

(١٠٧) ابن العديم: زبدة الحلبْ دمشق ١٩٥٤ جـ ٢ ص ٢٣٦.

(١٠٨) ابن العديم: زبدة الحلبْ في تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٣٦.

(١٠٩) ابن الاثير: التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية القاهرة ١٢٩٠ هـ ص ٣٤.

(١١٠) الاتابكة : مفردها (اتابك) التي تتكون من لفظين تركيبيين هما (أتا) بمعنى (أب) و (بك) بمعنى (أمير) اي (الامير الاب) (ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص ٣١٦) واول من لقب بذلك نظام الملك وزير ملكشاه وهو يعني كبير الامراء او امير الامراء ، او ابو الامراء ، ولم تكن للاتابكة وظيفة محدودة وانما لقب تشريف او كانت وظيفة يقوم بالوصاية على احد ابناء السلطان ممن لم يبلغ سن الرشد (القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٤ ص ١٨)

(١١١) خليل : عماد الدين زنكي الاتابكي،بيروت ١٩٦٧ ص ٢٢٦

(١١٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان،القاهرة ١٢٨٤ هـ جـ ٢ ص ٧٩ – ٨٠

(١١٣) الصائغ : تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٨٥

(١١٤) خليل : عماد الدين زنكي ص ٤٩

(١١٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٣

(١١٦) ابن الاثير: الكامل جـ ١١ ص٣٧ ، التاريخ الباهر ص٦٤

(١١٧) خليل : عماد الدين زنكي ص ١١٠

(١١٨) المرجع السابق ص ٦٩

(١١٩) خليل : عماد الدين زنكي ص ٧٥

(١٢٠) المرجع السابق نفسه ص ٧٦

(١٢١) ابن الاثير: الكامل جـ ١١ ص ٥–٦

(١٢٢) ابن الاثير: الكامل جـ ١٠ ص ٢٣٠

(١٢٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٥

(١٢٤) ابن الاثير: الكامل جـ ٩ ص ٣٠٣

(١٢٥) المصدر السابق نفسه جـ ٩ ص ٣١٩

(١٢٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة بغداد ١٣٥٠ هـ ص ١٤

(١٢٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان،الهند ١٩٥١ جـ ٨ ص ٧٤٥

(١٢٨) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة م٣ ت ص ١٣٦

(١٢٩) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ص ٥٣٥

(١٣٠) المقريزي : السلوك في معرفة دول الملوك دار الكتب المصرية ص ٤٧٥



(١٣١) الدوري : النظم الاسلامية/بغداد ١٩٥٠
(١٣٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب/مصر ١٩٣٨ ص١٦ .
(١٣٣) الديوان : كان يعني السجل الذي يحفظ فيه اسماء المقاتلين واهليهم واعطياتهم ثم صار يعني المكان الذي يحفظ فيه السجل، ثم اصبح يعني اسم الموضع الذي يجلس فيه الكتاب (القلقشندي : صبح الاعشى/القاهرة ١٣٣٠ هـ جـ١ ص٩٠) .
(١٣٤) الدوري : النظم الاسلامية ص١٨٨ .
(١٣٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٣٨ .
(١٣٦) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية الاسلامية مطبعة جامعة الموصل جـ٢١ ص١٣٣ .
(١٣٧) المرجع السابق نفسه ص١٣٦ .
(١٣٨) العباسي : آثار الأول في ترتيب الدول ص٧٤ .
(١٣٩) القلقشندي : صبح الاعشى جـ١ ص٤١٣ .
(١٤٠) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٢٤ .
(١٤١) الريس : الخراج والنظم المالية مصر ١٩٦٩ ص٤١ .
(١٤٢) المسعودي : التنبيه والاشراف القاهرة ١٩٣٨ ص٢٤٦، الاعظمي كتاب النبي الرياض ١٤٠١ هـ ص ٦٦ .
(١٤٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٢٤ .
(١٤٤) ابن الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية طبع القاهرة ص٧٩ .
(١٤٥) الطبري : تاريخ جـ٦ ص٣٣٩ .
(١٤٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك بريل ١٨٨٩ م ص٣٢ .
(١٤٧) سعداوي : نظام البريد في الدولة الاسلامية طبع مصر ص٥٣ .
(١٤٨) ابو يوسف : الخراج القاهرة ١٣٥٢ هـ ص١٨٥ .
(١٤٩) ابن الطقطقي : الفخري ص٧٩ .
(١٥٠) الخوارزمي : مفاتيح العلوم مصر ١٣٤٢ هـ ص٤٢ .
(١٥١) حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل ص٣٩٨ .
(١٥٢) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية الاسلامية ط ٣ ص١٤٤ .
(١٥٣) اليوزبكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ط ٢ ص٢١ .
(١٥٤) المرجع السابق نفسه ط ٢ ص٢٢.
(١٥٥) المسعودي : التنبيه والاشراف ص٢٩٤، اليوزبكي الوزارة ص٢٩ .
(١٥٦) ابن خلدون : المقدمة مصر ١٣٢١ هـ جـ١ ص٤٢٣، اليوزبكي : الوزارة ص٢٣ .
(١٥٧) الجهشياري : الوزراء ص٨٤، اليوزبكي الوزارة ص٢٩ .
(١٥٨) الدوري : العصر العباسي الاول بغداد ١٩٤٢ ص٦٢ .
(١٥٩) اليوزبكي : الوزارة العباسية ص٣٣ .
(١٦٠) المرجع السابق نفسه ص٥٠.
(١٦١) امير علي : مختصر تاريخ العرب ص٣٤٩ .
(١٦٢) ديموبين : النظم الاسلامية بغداد ١٩٥٢ ص١٤٩ .
(١٦٣) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب جـ١ ص٣١٤ .
(١٦٤) المرجع السابق نفسه جـ١ ص٣١٦ .
(١٦٥) السامر : الدولة الحمدانية جـ ١ ص ٣٢٢ .
(١٦٦) ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص ١١٤، ابن خلدون العبر جـ٣ ص ٩٢٢، ابن الجوزي المنتظم دار المعارف العثمانية الدكن جـ٨ ص ١٣ .
(١٦٧) ابن الاثير : الكامل جـ ١٠ ص ١١٤
(١٦٨) المصدر السابق نفسه جـ ١٠ ص ١٤٩
(١٦٩) البغدادي : مراصد الاطلاع/دار احياء الكتب العربية ١٩٥٥ جـ ١ ص ٣٨٧
(١٧٠) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٦٧٨
(١٧١) المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص ٦٩
(١٧٢) ابن الاثير : الكامل جـ ١٠ ص ٤١٩
(١٧٣) المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل ص ١٥٧
(١٧٤) المرجع السابق نفسه ص ١٥٨
(١٧٥) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم مصر ١٣٣٤ هـ
(١٧٧) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم ص١١٥
(١٧٨) اليوزبكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ص٢٠١
(١٧٩) خليل : قوام الدين كربوقا / مجلة آداب الرافدين العدد الخامس ١٩٧٤ ص١٥٢
(١٨٠) الجميلي : امارة الموصل في العصر السلجوقي ص٢٧٠
(١٨١) المرجع السابق نفسه والصحيفة
(١٨٢) الجميلي : امارة الموصل في العصر السلجوقي ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .
(١٨٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٥، الجميلي امارة الموصل ص ٢٧٤.
(١٨٤) الجميلي : امارة الموصل ص ٢٧٤ .
(١٨٥) اليوزبكي : الوزارة ص ٢٤ .
(١٨٦) خليل : عماد الدين زنكي ص ٢٦٢ .
(١٨٧) الجميلي : امارة الموصل في العصر السلجوقي ص ٢٧٧ .
(١٨٨) الدزدار : كلمة فارسية مكونة من مقطعين (دز) وتعني القلعة و (دار) تعني الحافظ فهي بذلك تطلق على محافظ القلعة اومتولي القلعة (انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٣ ص ٤٧٢)
(١٨٩) ابن الاثير : الكامل جـ ١٠ ص ٤٢٤، الجميلي : امارة الموصل في العصر السلجوقي ص ٢٧٥ .
(١٩٠) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٥٢، الجميلي ص ٢٧٦ .
(١٩١) ابن الأثير التاريخ الباهر ص ٣٢، الجميلي ص ٢٧٧ .
(١٩٢) مسكويه : تجارب الامم جـ ١ ص ٣١٩، اليوزبكي : الوزارة ص ٥٦ .
(١٩٣) البنداري : تاريخ دولة ال سلجوق مصر ١٩٠٠ م ص ١٠٧ .
(١٩٤) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٦٤٢ .
(١٩٥) ابن الاثير : التاريخ الباهر ص٨٣
(١٩٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٦٣ .
(١٩٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان القاهرة ١٣٦٧ هـ جـ١ ص٣١٥
(١٩٨) ابن الاثير : الكامل جـ١١ ص٥
(١٩٩) خليل : عماد الدين زنكي ص٢٣٤ .
(٢٠٠) القلقشندي : صبح الاعشى جـ٤ ص٢٠٢ .
(٢٠١) علي ابراهيم حسن : تاريخ المماليك،القاهرة ١٩٤٨ ص٢٣١ .
(٢٠٢) المرجع السابق نفسه ص٢٣٠ .
(٢٠٣) خليل : عماد الدين زنكي ص٢٤٦ .



(٢٠٤) القلقشندي : صبح الاعشى جـ١١ ص٩٣
(٢٠٥) خليل : عماد الدين زنكي ص٢٤٩
(٢٠٦) اليوزبكي : الوزارة العباسية ط ٢ ص٥٠
(٢٠٧) المرجع السابق نفسه ص١٣٥
(٢٠٨) المرجع السابق ص١٩٦
(٢٠٩) خليل : عماد الدين زنكي ص٢٥٦ وما بعدها
(٢١٠) شاهين : زبدة كشف الممالك باريس ١٨٩٤م ص٩٣
(٢١١) ابن العماد : شذرات الذهب في خبر من ذهب جـ٤ ص١٨٥
(٢١٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية القاهرة ١٢٩٠هـ ص١١٨
(٢١٣) المصدر السابق نفسه ص٨٣
(٢١٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ١١ ص٢١
(٢١٥) المصدر السابق نفسه جـ١٠ ص٢٤٦
(٢١٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ١٠ ص٢٤٨
(٢١٧) خليل : عمادالدين زنكي ص٧٤

الحياة الاقتصادية

أ . د . توفيق سلطان اليوزبكي

مدخل في النظم الاقتصادية

جاء الاسلام بمبادئ جديدة وسياسة متميزة توجه حياة البشر في كافة نواحي نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، في المجال الاقتصادي وضع الاسلام اصول اقتصادية معينة تنطوي على سياسة اقتصادية متميزة ، وقد تركزت اجتهادات فقهاء وعلماء المسلمين على بيان حكم الاسلام في المسائل الاقتصادية والمالية وإظهار الحلول لمشكلاتها خاصة فيما يتعلق بموارد الدولة الاسلامية (المالية) وتحريم الربا (الفائدة) والاحتكار، وتحديد الاسعار، وحكم العمل في شركات الأفراد والأموال والتي وردت بشكل تفصيلي في كتب الفقه والاحكام[١] .

ان النشاط الاقتصادي الاسلامي شأنه شأن الأنشطة الاقتصادية الاخرى تسعى الى تحقيق اهداف مادية معينة كالوصول بالانتاج الى اقصى توسعه ، وتحقيق مزيد من العدالة الاجتماعية وذلك بإعادة توزيع الدخل بين فئات المجتمع ، وقد يكون الهدف تنو يع الانتاج ، وتوسيع قاعدة الصناعة ، وكل هذه الاهداف ومثيلاتها يستلها النظام الاقتصادي من القيم الدينية والسياسية والفلسفية والاجتماعية ، والقانونية والاخلاقية التي يدين بها المجتمع ، فإن النظام الاقتصادي لأي مجتمع يلبي احتياجات ذلك المجتمع من خلال الرؤيا الحضارية لذلك المجتمع[٢] .

يقوم النظام الاقتصادي الاسلامي من خلال الرؤيا الشاملة للكون وللانسان والحياة ومن خلال معايير وموازين وأحكام وتشريعات وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية (الشريعة الاسلامية) التي تأمر بالاعمال والنشاطات الاقتصادية الانسانية المرغوب فيها والنافعة وتصفها بأنها (حلال) ولا تقبل بأعمال ونشاطات اخرى وتصفها بأنها (حرام)[٣] .

فالنشاطات الاقتصادية من وجهة نظر الاسلام في مجالات الانتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك مسترشدة بقاعدتي الحلال والحرام.

فالانتاج بحد ذاته مباحاً ولكن المؤسسة التي تقوم على الانتاج والتوزيع قد تستغل وتمارس سياسة الاحتكار او تمارس سياسة تبادل السلع والنفوذ عن طريق الربا او الفائدة[٤] . وفي هذه الحالة لايحرم الانتاج ولا تبادل السلع والنقود وانما يحرم الفعل اللاحق وهو الاحتكار والربا لاختلافها والشريعة الاسلامية وأخلاقية المجتمع . وتعد الدولة في النظام الاسلامي مؤسسة عليا لاغنى عنها



دور الدولة في

جميع

رية وهذا

الملكية الفردية

ب دوره في البناء

مع ، بتوفير التشريعات

والمستلزمات العامة وتشجيع

رقابة السوق والأسعار:

ان تقوم الدولة بحماية المستهلك ومراقبة السوق - مايعرض وما ينتج - وذلك عن طريق تدخلها وقد عرف هذا التدخل بـ (نظام الحسبة) الذي يقوم على مراقبة الاسعار لكي لايحدث التلاعب فيها او الغش في السلع المنتجة والمعروضة ، كما يراقب ارباب الصناعات والمهن ، ويدقق في المقاييس والمكاييل والاوزان ، ويراقب نظافة السوق وما يعرض فيه(٦) .

ويترتب على الدولة المحافظة على الاستقرار المالي والنقدي بتثبيت مستويات الاسعار في الحدود التي لا يؤدي الى التضخم الذي ينتج عنه تدهور مستوى المعيشة لذوي الدخل المحدود لان عدم الانتظام في اسعار السلع والمنتجات ناتج اما عن نقص في العرض السلعي بصورة تلقائية او الزيادة على طلب السلع بسبب زيادة الثروة او لزيادة السكان ، وهو امر طبيعي لامجال للدولة في التدخل فيه ، ولكن تدخل الدولة يقتضي فيما اذا تحكم البائع في العرض بصورة متعمدة بإخفاء السلع ولاسيما تلك السلع الضرورية للمجتمع مما يؤدي الى ارتفاع الاسعار وفي مثل هذه الحالة لابد للدولة من التدخل في تحديدها(٧) .

٣- منع الاحتكار(٨)

ان من اساليب الاحتكار اقفال السوق والتحكم في الانتاج عن طريق منع استخدام الموارد الاقتصادية او السلع وغلق منافذ التسويق واغراق الاسواق لتدمير المؤسسات المنافسة وعلى الدولة التدخل لفسح المجال امام مؤسسات جديدة لترشيد الانتاج وتحسين السلع وتوفيرها وتخفيض الاسعار اذ أن اهم مزايا المنافسة تحسين الانتاج وتخفيض الاسعار(٩) وكان المحتسب يقوم بمراقبة الاسواق والسلع والاسعار فاذا رأى احداً قد احتكر من سائر الاقوات الزمه بيعه اجباراً لان الاحتكار حرام والمحتكر ملعون(١٠) فقد نهى الرسول (ص) عن احتكار الشراء ، ونهى عن بيع السلع حتى تهبط الى الاسواق بسبب الجهل باحوال السوق(١١)

٤- منع الربا (الفائدة) : -

ان من الانشطة الاقتصادية التي حرمها الاسلام الفائدة (الربا) فقد وردت في القرآن الكريم آيات عدة ورويت احاديث نبوية تدين الفائدة وتوكد موضوع الغائها فالفائدة (ربا) بجميع مظاهرها بغض النظر عما اذا كانت توجد على شكل قروض لاغراض انتاجية او استهلاكية ، وعما اذا كان المقترض شركة او فرد ، وان كان سعر الفائدة منخفضاً او مرتفعاً ، فحرم الاسلام الاستيلاء على ثروة الناس او ممتلكاتهم او اموالهم بوسائل غير مشروعة مثل الربا او المقامرة او الخداع او الغش(١٢) في حين ان الحصول على منفعة من ثروات الناس في ظل معاملة يكتنفها الرضا انما هو امر مباح والبديل للفائدة في ظل النظام الاقتصادي الاسلامي هما المشاركة في الربح والخسارة والقرض الحسن .

٥- تدخل الدولة في سوق العمل والاجور

يتحدد الأجر بالنسبة للعامل تبعاً لسوق العمل



من حيث العرض والطلب وتتفاوت الاجور تبعاً لطبيعة العمل والانتاج ومهارة العمال وتخصصهم. والعمال احرار في اختيار نوع ومكان العمل، وصاحب العمل حر في توظيف العمال وقد عد الاسلام للعمل مكانة كبرى فقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[١٣] وأشاد القرآن الكريم بالعمل اليدوي فقال تعالى (ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون)[١٤] وقال النبي (ص) (ماأكل احد طعاماً قط خيراً من ان يأكل من عمل يده)[١٥] وقد اكد الرسول (ص) على دفع اجر العامل حال انجاز العمل بقوله (اعطوا الاجير أجره قبل ان يجف عرقه)[١٦] واكد الاسلام على حماية العامل وواجب الدولة في ذلك فقال تعالى (فاستجاب لهم ربهم اني لااضيع عملَ عامل منكم من ذكر او انثى)[١٧] وذلك بالتدخل في سوق العمل بسن القوانين والتشريعات كتحديد ساعات العمل وتحسين ظروف العامل الصحية وتحديد سن العمل والاجور لمنع استغلال اصحاب الاعمال للعمال.

٦- واجب الدولة الاسلامية في تحقيق الضمان الاجتماعي

أكد الاسلام في المجال الاقتصادي مبدأ الضمان الاجتماعي الذي هو كفالة المستوى اللائق لمعيشة كل فرد وقد عبر عنه الفقهاء باصطلاح (حد الكفاية) وتقوم الدولة بكفالة المواطنين الذين لم تسعفهم ظروفهم الخاصة كالمرض او العجز او التعطل عن العمل لتحقق لهم المستوى اللائق من المعيشة، يعتبر حد الكفاية بمثابة الحد الادنى الذي تكفله الدولة للمواطن اياً كانت ديانته[١٨] وقوميته وذلك أمتثالاً لقوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين)[١٩] وتحقيقاً لذلك اعتبر الاسلام اداء حق الزكاة اي حق الضمان الاجتماعي والتي هي الركن الثاني في العقيدة الاسلامية بعد الصلاة لقوله تعالى (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)[٢٠]

وتعتبر حروب ابي بكر الصديق لمانعي الزكاة أول حرب في التاريخ تخوضها دولة في سبيل الضمان الاجتماعي[٢١].

(نظرة الاسلام للملكية والمال)

ان النظام الاقتصادي الاسلامي من الوجهة الواقعية يقوم على اساس الملكية الفردية والاسلام لاينظر فقط الى الملكية الفردية من الزاوية الاقتصادية وانما من زوايا عدة منها فردية ونفسية واجتماعية وسياسية تحفظ لنمط الحياة الاسلامية سمته المتميزة.

وحق الملكية الفردية في الاسلام ليس حقاً طارئاً او موقوتاً او عرضياً يتحدد بفترة زمنية مرحلية، وانما الملكية الفردية ركيزة عضوية تضرب عمقاً في صميم البنية الاسلامية التكاملية[٢٢] والملكية الفردية هي المؤسسة التي تعمق مفهوم الشورى وتجعل المتنفس السياسي متنفساً موضوعياً له منافذ ملموسة وليس تجسيداً مادياً لها. اذ أن توزع القوى الاقتصادية بسبب وجود الملكية الفردية وما تتيحه من فرص الاختيار والبدائل في مجالات العمل والانتاج والاستثمار من شأنه ان يشكل ضابطاً موضوعياً وقيداً اجتماعياً يحفظ سلطة الدولة الاقتصادية في حدود معينة، فاذا ماتحرر الافراد والمؤسسات من ان يكونوا جميعاً أجراء وفعلة لاجهزة السلطة فان مناخ الحرية الاقتصادية وما يستتبعه في المجالات السياسية والاجتماعية يظل مناخاً صحياً وتتحول التناقضات الحتمية بين الافراد والمؤسسات بما فيها الدولة الى وسيلة للاصلاح والتقدم[٢٣] وتنقسم ملكية الاموال من وجهة النظر الاسلامية الى ثلاثة انواع رئيسية: هي اموال يحق للافراد تملكها وهي مدار الملكية الفردية، واموال تملكها الجماعة كالانهار (المياه)، واموال تمتلكها

الدولة وتديرها لصالح الجماعة ، كالطرق والمرافق العامة والنظام الاقتصادي الذي يلغى الملكية الفردية انما يلغي الحرية والابداع والتعاون ويصاحبه في الغالب الحرمان[٢٤].

والاصل في الملكية من وجهة النظر الاسلامية لله وحده ولكن الانسان مستخلف في هذه الملكية ، والاسلام في اباحته للملكية لم يطلق للفرد العنان بل فرض على هذه الملكية الفردية القيود الاخلاقية والشرعية لتحد من انطلاقها وتطوعها للانتظام في اطار مبادئ الاسلام[٢٥].

ان الاسلام في اعترافه للملكية سواء اكانت خاصة او عامة باعتبارها وسيلة انمائية اي حافز من حوافز التنمية وتسقط شرعية الملكية الخاصة والعامة اذا لم يحسن الفرد او الدولة استخدام هذا المال استثماراً وانفاقاً في مصلحة الجماعة وقد عبر عن ذلك اصدق تعبير الخليفة عمر بن الخطاب حين قال لبلال الحبشي وقد اعطاه الرسول (ص) ارض العقيق فقال عمر يابلال (ان رسول الله لم يقطعك لتحجز عن الناس وانما اقطعك لتعمل فخذ ماقدرت على عمارته ورد الباقي)[٢٦] والملكية الفردية تنشأ بالكسب وتنتهي بالاتفاق ، والكسب اما ان يكون عن طريق العمل او عن طريق التجارة او كليهما او ان يكون عن طريق الوراثة والهبة.[٢٧]

وقد هدف النظام الاسلامي الى عدم تركيز الثروات في ايدٍ قليلة وذلك من اجل مبدأ التكافل الاجتماعي ونظاما الزكاة والتوريث في الاسلام يؤديان الى هذا الهدف[٢٨]. ففي نظام الزكاة يقول تعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم)[٢٩] وفي نظام التوريث يقول تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه اوكثر نصيباً مفروضاً)[٣٠].

إن غريزة حب التملك من الغرائز الاصيلة في النفس البشرية والتي تكون حافزاً قوياً على العمل وقيده الاسلام بالحلال والحرام والقيم الاخلاقية ، وهذا التحريم انما لدفع الضرر او درءاً للظلم او وقاية من مفسده او حماية من مضرة وقد اشار النبي (ص) إلى بعض من الوان الانشطة التي تتعارض مع اهداف الاسلام كالربا والاحتكار والغبن[٣١] ، ولقد أقر الاسلام الملكية الفردية وحماها الى حد قطع يد السارق.

واستحدث الاسلام صوراً جديدة من الملكية ، وهي الملكية العامة هي ملكية الدولة للاراضي التي حررها العرب وفتحها المسلمون ورفض توزيعها واعتبرها ملكية عامة وابقاؤها في ايدي اصحابها الاصلين مقابل الخراج ، كما قدر الاسلام الملكية المزدوجة الخاصة والعامة ومساهمتها معاً في عملية التنمية ، وكلاهما مقيد باعتبارات مصلحة التنمية ، فقد تتوسع الدولة في اعمال الملكية العامة في مجال التنمية الاقتصادية او التضييق في الملكية الخاصة طالما كانت ظروفها تقتضي هذا التوسع او التضييق دون انكار او اهدار لاحدى الملكيتين[٣٢] . وقد عبر عنها ابن تيمية بقوله (إنه اختلاف تنوع لااختلاف تضاد)[٣٣].

وللدولة ان تتدخل في استعمال الملكية الفردية اذا كان طرقها غير مشروعة للتخلص كالرشوة ، او تعاطي الرذيلة والفحش ، وبامتهان السحر والشعوذة ، ودور الخمر والميسر وللدولة اجبار المالك على استثمار ملكيته لحاجة المجتمع اليه[٣٤].

ولتحقيق الرفاهية المتوازنة للمجتمع دون تفريط بالجوانب الاجتماعية والمادية للفرد يقتضي قيام الدولة بتشجيع القطاع الخاص والمختلط عن الانتاج وتوفير المناخ الامني والتشريعي والضرائبي ومده بحوافز ليلعب دوره في التيار الاقتصادي والاجتماعي.

سياسة الدولة المالية والاقتصادية

بعد هجرة الرسول (ص) من مكة الى المدينة شرع في تنظيم شؤون الدولة الاسلامية الاولى وبادر بارساء



دعائم الدولة الجديدة من الناحية الادارية والمالية ، فبدأ بخطوات اقتصادية واجتماعية مهمة فقد آخى بين المهاجرين والانصار ثم اتبعها بخطوات اخرى وذلك بوضع دستور للمدينة نظم فيه العلاقة بين المسلمين واليهود ، ووضع اسس المبادئ المالية الاساسية في الجزية والخراج والتي لم يشرع القرآن فيها بشكل تفصيلي في احتسابها واخذها فقد فرض الرسول (ص) أول الأمر.

١ - الجزية : لقد أوجبت الجزية على اهل الذمة استناداً الى ماجاء في القرآن الكريم والسنة والاجماع فقال تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[٣٥] .

وتؤخذ الجزية ممن دخل الذمة من اهل الكتاب والمجوس لقاء الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين كما في قول النبي (ص) (احفظوني في ذمتي)[٣٦] فقد اخذها الرسول (ص) من مجوس هجر كما اخذها عمر بن الخطاب (رض) من مجوس العراق[٣٧] . وقد اخذها استناداً لقول عبد الرحمن بن عوف فقال : اشهد لسمعت رسول الله يقول (سنوا بهم سنة اهل الكتاب)[٣٨] .

وتجبى الجزية عن الذكور العقلاء والبالغين ولا تجب على الصبيان والنساء والمجانين والزمن والعميان ، الشيوخ والرهبان[٣٩] . وتؤخذ في المحرم من كل سنة . اما مقدار الجزية فقد اختلف أئمة الاسلام في تقديرها فقد وضع الرسول (ص) الجزية على النصارى واليهود والمجوس وجعلها على الرجل ديناراً واحداً وليس في ذلك النساء ولا الصبيان[٤٠] ثم جعلها عمر بن الخطاب (رض) على أهل السواد في العراق ديناراً (اثني عشر درهماً) على الطبقة السفلى وعلى الوسطى دينارين (اربعة وعشرون درهماً وعلى العليا أربعة دنانير (ثمانية واربعون درهماً) واسقط ذلك عن النساء والصبيان والعجزة والزمنة والعميان والرهبان[٤١] وفعل ذلك على قدر الطاقة واليسار.

وقد اراد الخليفة عمر بن الخطاب (ر) في هذا الاجراء ان يجعله نظاماً ثابتاً يسير عليه المسلمون فيما بعد ويؤيد الماوردي ماذهب اليه عمر بن الخطاب بقوله : (وجعلها عمر نظاماً ثابتاً يسير عليه الولاة في سائر الامصار الاسلامية ليمنع اجتهادهم فكتب بذلك الى عماله (ولا يوضع عليهم اكثر من ذلك ومن عجز منهم (اهل الذمة) ، خفف عنهم[٤٢] والترم به خلفاء المسلمين.

٢ - الخراج[٤٣] : هو المال المفروض على مايخرج من غلة الارض[٤٤] . وقد اتبع الرسول (ص) عدة اجراءات في فرض الخراج ، فقد فرض على الاراضي التي فتحت عنوة (حربا) والتي لم يكن سكانها عرباً وهي اراضي خيبر ووادي القرى ، فطلبوا من الرسول (ص) ان يعاملهم في الاموال على النصف وفي الاراضي على نصف ثمارها[٤٥] . باستثناء اراضي بني النضير فكانت فيئاً للرسول (ص) ولم يسهم فيها لاحد من المسلمين لانهم (لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب) ينفق منها على اهله والباقي جعلها عدة في سبيل الله[٤٦] .

اما الاراضي التي يمتلكها العرب فقد اتبع الرسول (ص) سياسة خاصة فلم يضع الخراج بل فرض العشر وله في ذلك هدف سياسي واجتماعي فالخراج يحمل معنى الخضوع والذلة وهو يريد للعرب وحدة سياسية[٤٧] . في حين لما فتح الرسول (ص) مكة منّ على اهلها فردها عليهم ولم يقسمها ولم يجعلها فيئا[٤٨] . فاجرى الاراضي العربية هذا المجرى واعتبرت اراضيهم عشرية وليست خراجية ، وقد فعل عمر بن الخطاب مافعله الرسول (ص) فكانت اغلب اراضي السواد في العراق قد حررت عنوة عدا عدة قرى تم تحريرها صلحاً فتركها عمر ابن الخطاب بيد اصحابها مقابل مقدار معين من المال وجعله بدل الجزية والخراج[٤٩] .

اما الاراضي التي حررت بالحرب (عنوة) فقد



ابقاها الخليفة عمر بن الخطاب بيد اصحابها مقابل مقدار من الخراج عليها وابقى الجزية عليهم[٥٠]. واعتبرها ارض صلح، واتخذت طريقتين في جباية الخراج الاولى: مايفرض على مساحة الارض فجعل على كل جريب[٥١] ارض صالحة للزراعة قفيزاً ودرهماً. والثانية: مايؤخذ بالمقاسمة، وهو اخذ نسبة معينة من الحاصل نحو الخمس او السدس[٥٣]. ويؤخذ الخراج مرة واحدة في السنة اذا كان بحسب المساحة، واما خراج المقاسمة فيتكرر اخذ الخراج بتكرار زراعة الارض[٥٤]. وقد راعى المسلمون في تحديد مقدار الخراج حسب كثافة الارض وخصوبتها ونوعية الانتاج وأثمانه وطريقة السقي وموضع الارض من المدن والاسواق[٥٥].

وقد بقي نظام الخراج معمولاً به بحسب الطريقتين في العصرين الاموي والعباسي ولكنها اختلفت مقاديرها حسب الظروف والأوضاع السياسية والمالية في الدولة العباسية ولاسيا في فترة سيادة نفوذ حكام الاقاليم ففي اقليم الموصل والجزيرة جبى الحمدانيون الخراج بطريقتين المحاسبة (المساحة) والمقاسمة، وقد استطاع الحمدانيون في الموصل ان يرفعوا من نسبة ضريبة الخراج الى خمسين في المائة وذلك لحاجتهم الى الاموال للانفاق على الحروب والادارة والعمران، فعملوا على تعبئة جميع موارد الموصل لخدمة نفقات البلاط وتوفير حاجاتهم الحربية والمدنية[٥٦]. فبلغت واردات خراج الموصل من الحنطة والشعير وحدها خمسة ملايين درهم[٥٧]. ويبلغ مقدار ضمان الموصل واعمالها سنة ٣٥٨ هـ ستة عشر مليون ومائتي وتسعين الف درهم[٥٨].

٣- الزكاة (الصدقة)

تشكل اموال الزكاة احد الموارد المالية التي تجبيها الدولة الاسلامية لفقراء المسلمين فقد اعتبرها الاسلام بمثابة الركن الثاني في العقيدة الاسلامية بعد الصلاة فقال تعالى (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)[٥٩] وقد خاضت الدولة الاسلامية في خلافة ابي بكر الصديق اول حرب ضد مانعي الزكاة فقال ابو بكر الصديق (والله لاقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة) وهي اول ضريبة فرضها الاسلام على اغنياء المسلمين، وتجبى مرة واحدة في السنة، وكانت اول الامر اختيارية استناداً لما جاء في القرآن الكريم (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)[٦٠] ثم اصبحت الزامية لقوله تعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم)[٦١] وكانت تستعمل حصيلة اموال الزكاة للانفاق على فقراء المسلمين وهي بمثابة الضمان الاجتماعي لهم وتوزيعها على مستحقيها وفق الاية الكريمة (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله فريضة من الله)[٦٢] والزكاة حق مقرر شرعاً نص عليها النبي (ص) بنسبة ٢,٥٪ من الاموال المنقولة كالنقود والذهب والفضة والجواهر وعروض التجارة، ومابين ٥ - ١٠٪ من الدخول لقول النبي (ص) (ماسقته السماء ففيه العشر وما سقي بقرب او آلة ففيه نصف العشر) وبواقع ٢٠٪ من الركاز وما يستخرج من باطن الارض او من البحار[٦٣].

وتنفق اموال الزكاة في الدولة الاسلامية على العاجزين والمحتاجين للضمان الاجتماعي في المجتمع الاسلامي ولتحرير الانسان المسلم باسم الدين من عبودية الحاجة والحرمان.

٤- الفيء والغنيمة

تعد اموال الفيء والغنيمة من الموارد المهمة لبيت مال المسلمين، واموال الفيء مايحصل عليها المسلمين دون قتال[٦٤]. وتوزع حسبما جاء في القرآن الكريم (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)[٦٥] اما اموال الغنيمة هي التي يحصل عليها المسلمون عن طريق



الحرب[٦٦] . وتقسم خمسة اخماس يوزع خمسها حسبما ورد في القرآن الكريم (واعلموا ان ماغنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)[٦٧] اما الاربعة اخماس الباقية فتقسم بين الجند، وتشمل الغنائم الاراضي والضياع والعقارات (الاموال غير المنقولة) والاموال المنقولة من النقود والذهب والفضة والمواشي والاثاث واسرى حرب . وقد اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب قراراً ان ماوقع في ايدي المحاربين من اموال منقولة واسرى حرب انما داخل في الغنيمة وهو من نصيب المقاتلين، اما الاراضي والعقارات فليس كذلك اذ هي من حق جمهور المسلمين لانها فيئهم وللدولة حق الاشراف عليها وجباية غلتها بوساطة موظفين وتنفق مواردها لمصلحة المسلمين. إن هذا النهج ناتج عن قدرة الخليفة عمر بن الخطاب في تأويل النصوص وتطبيقها بما يخدم مصلحة الدولة، وقد برر الخليفة عمر بن الخطاب موقفه هذا بقوله (فاذا قسمت ارض العراق وارض الشام فما يسد به الثغور ومايكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره)[٦٨] فابقى الاراضي بيد اهلها وضرب الخراج عليها، وقد سار العرب في العصرين الاموي والعباسي مسيرة الخليفة عمر في معاملة اراضي العنوة واعتبارها ارض صلح.

٥- عشور التجارة

العشر: هو الضريبة المفروضة على الاموال المعدة للتجارة والمنقولة من دار اهل الحرب الى دار الاسلام وبالعكس، وقد وضعت هذه الضريبة في عهد عمر بن الخطاب بناءً على قاعدة المعاملة بالمثل، فقد كتب ابو موسى الاشعري في ولايته على العراق الى الخليفة عمر بن الخطاب (ان تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون ارض الحرب فيأخذون منهم العشر) فكتب الخليفة عمر بن الخطاب اليه قائلاً (خذ انت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين، ربع العشر وليس فيما دون المائتين درهم[٦٩]، وتستوفى ضريبة العشر من الذمي والمسلم والحربي مرة واحدة في السنة مهما تكررت مرات التجارة)[٧٠] فاذا ازداد المال اخذ من الزيادة وحدها لانها لم تعشر[٧١].

ويعفى من ضريبة التجارة كل من دخل بميرة والناس اليها بحاجة ليكثرها على المسلمين[٧٢] وتعفى التجارة الداخلية في الدولة العربية الاسلامية من ضريبة العشر، ويؤيد ذلك مارواه الماوردي بقوله (واما اعشار الاموال المتنقلة في دار الاسلام من بلد الى بلد فمحرمة لا يبيحها شرع ولا يسوغها اجتهاد ولا هي من سياسات العدل ولا من قضايا النصفة)[٧٣].

٦- الضرائب المستحدثة (غير الشرعية)

وهي الضرائب التي لم يرد ذكرها في القرآن الكريم او شرعها الرسول (ص) والخلفاء الراشدون وقد استحدثت في العصرين الاموي والعباسي، فقد اعاد الامويون بعض الضرائب الساسانية التي ألغاها الخليفة عمر بن الخطاب وهي (هدايا النوروز والمهرجان) وهي ضرائب اعتاد الناس تقديمها باسم هدايا للملوك الساسانيين في عيدي النوروز والمهرجان وكان ذلك منذ خلافة معاوية بن ابي سفيان، اذ انه طالب اهل السواد ان يهدوا له في النوروز والمهرجان ففعلوا فبلغت عشرة ملايين درهم[٧٤]. وقد ألغاها الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز ثم اعيدت من بعده. وقد وردت اشارات الى وجودها في العصر العباسي أيضاً فذكر صاحب الفخري (ان احمد بن يوسف وزير الخليفة المامون اهدى الخليفة يوم نوروز هدية قيمتها الف ألف درهم[٧٥]. وذكر المسعودي الهدايا الثمينة التي قدمت للخليفة المتوكل يوم النوروز[٧٦].
ويفهم من هذه النصوص ان هذه الهدايا في العصر العباسي لم تكن تؤخذ من عامة الناس وانما تقدم للخليفة من الحاشية وكبار رجال الدولة.

وهناك ضرائب فرضت في فترات متباينة من



العصر الاموي والعصر العباسي ، فقد وضع الامويون ضرائب على الصناعات والحرف ، وان هذه الضرائب لم تكن محددة بل كانت تعتمد على رغبة الدولة [٧٧] . فقد فرض الخليفة المهدي ضريبة على الاسواق والحوانيت والطواحين [٧٨] فذكر اليعقوبي : ان اجرة الاسواق ببغداد جميعاً ومن رحى البطريق وما اتصل بها في كل سنة بلغت اثنا عشر مليون درهم [٧٩] . ومن الضرائب الاخرى المستحدثة الغرامات التي تأخذها الشرطة من الجناة [٨٠] . وفرض الخليفة المتوكل الخمس على الاموال المدفونة والكنوز وعلى مايستخرج من البحر مثل العنبر واللؤلؤ والاحجار الكريمة ، كما فرض ضريبة على المواريث [٨١] . وعلى الدور وما يباع في الاسواق من الدقيق والخضر والفواكه والمواشي [٨٢] .

ويبدو ان تعدد الضرائب وتنوعها في العصر العباسي كان بسبب قلة الموارد المالية للدولة واضطراب الوضع السياسي وتسلط العناصر الاجنبية على مقاليد الحكم من اتراك وبويهيين وانفاقهم اموال المسلمين على بذخهم وترفهم .

النقود (السكة)

ظهر الاسلام ولم يكن للعرب في مكة والمدينة نقد (عملة) خاص بهم بل كانوا في الغالب يتداولون الدنانير الذهبية البيزنطية والدراهم الفضية الساسانية ، فكانت الولايات الاسلامية الشرقية تتعامل بالدراهم الفضية ، والولايات الاسلامية الغربية تتعامل بالدنانير الذهبية البيزنطية [٨٣] ولما كانت مساحة الدولة العربية الاسلامية لم تكن قد اشتملت مناطق انتاج الذهب والفضة في ذلك الحين لهذا لم تتجه الدولة الاسلامية في عهد الرسول (ص) الى سك نقود [٨٤] وفي عهد الخلفاء الراشدين استمر المسلمون في استخدام النقود الرومية والفارسية ، وهذا لايعني انه لم يدر بخلدهم قضية سك النقود ، وتذكر المصادر ان الخليفة عمر ابن الخطاب ضرب سنة ١٨ هـ الدراهم على نقش الكسروية وجعل نقش بعضها (الحمد لله) ونقش بعضها الآخر (محمد رسول الله) و (لااله الا الله وحده) وثبت معيارها واوزانها [٨٥] وهدف من ذلك ابراز شخصية الدولة العربية الاسلامية ثم ضرب الخليفة عمر الفلوس على غرار البيزنطية سجل فيها اسمه بحروف عربية وهو اقدم ماوصلنا حتى الآن [٨٦] . وضرب عثمان بن عفان دراهم عربية بنقش (الله اكبر) [٨٧] اما علي بن ابي طالب فقد شغلته الفتنة عن ضرب عملة جديدة. ولما تولى الخلافة معاوية بن ابي سفيان كتب الى زياد بن أبيه والي العراق ليضرب عملة جديدة غير عملة عمر ينقش عليها اسمه [٨٨] ولما اعلن عبدالله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز ضرب دراهم نقش على احد وجهي الدرهم (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر الله بالوفاء والعدل) [٨٩] وضرب أخوه مصعب سنة ٧٠هـ دراهم في العراق اعطاها للناس في العطاء [٩٠] . نقش على احد وجهي الدرهم (بركة) وعلى الوجه الآخر كلمة (الله) [٩١] .

لم يكن في الامصار الاسلامية في بداية العهد الاموي سكة (عملة) عربية معترف بها قبل مجيْ الخليفة عبدالملك بن مروان ، فقد كان لامراء الولايات دور سك خاصة يسكّون فيها النقود حسب احتياجاتهم ، ولهذا كانت قيمة النقد غير مستقرة الامر الذي شجع على التزييف والتلاعب ، ولكن الغالب كان التعامل بالدرهم الفضي الفارسي والدينار الذهبي البيزنطي حتى قيام الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان بضرب النقد العربي (تعريب السكة) وذلك سنة ٧٤هـ [٩٢] وكان عيار الدينار الاسلامي هو المثقال العربي وقد حدد بـ (اثنين وعشرين قيراطاً الا حبة) وعيار الدرهم ٧/١٠



الوزن الشرعي وثبت بذلك أساس عيار الدرهم والدينار[٩٣] ولقد حافظ الخلفاء الأمويون على نقاء الدينار والدرهم كما حافظ الخلفاء العباسيون على نقاء النقود واستمر ذلك حتى القرن الثالث الهجري حيث اصاب النقود التدهور وانخفض نقاء النقد في فترة النفوذ التركي وبلغ درجة خطيرة في فترة النفوذ البويهي[٩٤] التي صاحبها فترة استقلال بعض الولاة باطراف الدول الاسلامية حيث بدأ غش النقود[٩٥] فقد اذن الخلفاء العباسيون تحت وطأة الوضع السياسي الجديد لامراء وحكام الاقاليم ان ينقشوا اسماءهم على السكة مع اسم الخليفة، فقد نقش امراء بني حمدان في الموصل اسماءهم على النقود الى جانب اسماء الخلفاء العباسيين بعد ان كانت النقود تضرب تحت اشراف الخلفاء[٩٦] وذكر ياقوت: إن ناصر الدولة الحمداني ضرب النقود باسمه في الموصل سنة ٣٣٠هـ/[٩٧] ولما تولى ناصر الدولة منصب امرة الامراء سنة ٣٣١هـ ضرب نقوداً في مدينة السلام تحمل اسمه واسم اخيه سيف الدولة[٩٨] وضرب سيف الدولة دنانير وزن الواحد منها عشرة مثاقيل[٩٩].

ويبدو ان الظروف السياسية دفعت بالحمدانيين الى ضرب نقود مختلفة فقد ذكروا على بعض الدنانير اسم الخليفة العباسي حين اعترفوا بسيادته على الموصل، كما ذكروا اسم الخليفة الفاطمي حين خضعوا لسلطان الفاطميين، وكان هذا التغيير السريع في نقود الحمدانيين ناتج عن اضطراب الاوضاع السياسية من جهة ورغبتهم بالقضاء على تلاعب الصرافين في عيار النقود من جهة اخرى[١٠٠] وضرب بنو عقيل حكام الموصل نقوداً نقشوا اسماءهم الى جانب اسم الخليفة، فكان ابو الدوداء (الذوّاد) محمد بن المسيب اول امراء بني عقيل الذين نقشوا اسماءهم على النقود في الموصل، ثم الامير سنان الدولة، والامير حسام الدولة، والامير معتمد الدولة[١٠١] وذكر ابن خلدون ان الامير مسلم بن قريش العقيلي ضرب نقوداً في الموصل نقش عليها اسمه عندما استولى على حلب وحران وطاعه اهل الرها وكانت ذلك سنة ٤٧٤هـ[١٠٢].

وهكذا أدت الاضطرابات السياسية في الدولة العباسية في عصورها المتأخرة الى اضطراب النقد وقيام الولاة في الاقاليم التي استقلت عن السلطة العباسية الى ضرب نقود خاصة بها.

الأنشطة الاقتصادية في الموصل

١ - الزراعة :

مقدمة: بعد ان تم تحرير العراق والشام ومصر وفتح فارس في خلافة عمر بن الخطاب شرع في اتخاذ سلسلة من الاجراءات في معاملة الاراضي الزراعية التي حررها العرب من السيطرة الفارسية والبيزنطية، وقد استند عمر بن الخطاب في معظم اجراءاته تجاه الأراضي الزراعية الى اجراءات الرسول (ص) في الجزيرة العربية وأطرافها، فقد اتبع الرسول (ص) سياسة خاصة مع اراضي العرب التي فتحها، فلم يفرض عليها الخراج بل فرض العشر، وترك لأهل مكة بعد فتحها ولم يفرض عليها شيئاً، وفي ذلك هدف سياسي واجتماعي، فالخراج يحمل معنى الخضوع والنبي (ص) يريد للعرب وحدة سياسية[١٠٣]، فضلاً عن الوحدة الدينية والاجتماعية، وعند تحرير العراق في خلافة عمر بن الخطاب قال الفاتحون له (قسمه بيننا فاننا فتحناه عنوة بسيوفنا فأبى وقال لهم: (فما لمن جاء بعدكم من المسلمين)[١٠٤]، ويروي ابو يوسف ان عمر بن الخطاب قال لهم (... فإذا قسمت ارض العراق وارض الشام وارض مصر فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد، وبين ان المقاتلة تحتاج الى عطاء فمن اين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارضون)[١٠٥]، واراد الخليفة عمر بن



الخطاب بهذا الاجراء ان تكون العرب امة عسكرية مهمتها نشر الاسلام والجهاد في سبيله ، وأن تبقى الارض بيد أهلها لأنها المورد الأساس لمعيشتهم ، ولتوفير مورد مالي دائم للدولة العربية الاسلامية للافادة منها في حروب التحرير العربي الاسلامي ، ولمنع قيام الاقطاعات ، فصار من الطبيعي ان يستمر اهل البلاد التي حررها العرب في زراعة ارضهم واعتبار هذه الارض – من الناحية النظرية – ملكاً لكل المسلمين ودفع الخراج ، وتتحول الأرض الخراجية الى عشرية حال اسلام الذمي[١٠٦].

وستتناول نظام الاراضي في الدولة العربية الاسلامية وسنقصر الكلام على الموصل باعتبارها احدى اقاليم الدولة العربية الاسلامية .

نظام الأراضي في الموصل :

فبعد تحرير الموصل اعتبرت ارضها ملكاً مشتركاً للمسلمين وتركت الارض بيد اهلها لقاء الخراج وتمتد الاراضي التي حررت عنوة في العراق ضمن منطقتين رئيستين هما : منطقة السواد في الجنوب واقليم الموصل والجزيرة في الشمال ، وتعد الموصل مركزاً لاقليم الجزيرة الذي يشمل ديار مضر وديار ربيعة والأراضي التي تحاذي نهري دجلة والفرات والحديثة ومرج جهينة ونينوى وباجلى وباهدرى وباعذرا[١٠٧] وهناك مجموعة من المراكز الزراعية الممتدة على طول نهر دجلة من الموصل الى ديار بكر[١٠٨] وكذلك الاراضي الواقعة غرب الموصل الى مدينة سنجار حيث تكثر العيون[١٠٩].

كان نظام ملكية الاراضي في الموصل يشكل جزءاً من نظام الاراضي السائد في العراق ، فقد عوملت اراضيه معاملة ارض السواد في جنوب العراق فبرزت اصناف الاراضي كما برز تنوع في صيغة ملكيتها واستغلالها وأهمها :

١ – ضياع الدولة (الأراضي السلطانية)

وهي اراضي الخليفة والسلطان وربما هي في الأصل اراضي الصوافي التي استصفاها العرب عند تحريرهم اقليم الموصل والجزيرة ، وقد فرض عليها العشر وللخليفة الحق في اقطاعها وفرض نوعية الضريبة عليها[١١٠].

ففي العهد الاموي قد استصفى معاوية بن ابي سفيان اراضي في عدة قرى من اقليم الموصل والجزيرة كما استصفى هشام بن عبدالملك عدداً من الاقطاعات وغرس فيها الاشجار والنخيل[١١١].

وقد تحولت ملكية ضياع الامويين وولاتهم في اقليم الموصل الى العباسيين فاستصفوها لهم ومنحوها لأنصارهم[١١٢]. فاستولى العباسيون على ضياع الوالي الأموي يحيي بن الحر[١١٣]. وأقطع العباسيون لوائل بن الشحاح الذي انضم الى العباسيين في مطاردة مروان بن محمد القطيعة الاولى والتي كانت تعود لهشام بن عبدالملك[١١٤]. عرفت فيما بعد بقطائع بني وائل[١١٥].

٢ – الاقطاعات :

وهي الاراضي التي كان يقطعها الخلفاء من الضياع السلطانية (الصوافي) للشخصيات الكبيرة في الدولة من الامراء وزعماء القبائل وقادة الجيش والولاة ، وقد توسع الامويون في منح الاقطاعات منذ عهد معاوية بن أبي سفيان[١١٦]. واستمرت هذه السياسة طيلة العصور العباسية حيث زادوا في منح الاقطاعات بدل المرتبات بسبب عجز الدولة عن دفعها ، لافلاس بيت المال وفوضى الادارة وفسادها في العهد البويهي خاصة[١١٧].

٣ – اراضي الملك :

وهي عامة الاراضي التي ابقاها القائمون بيد اصحابها بعد تحريرهم الموصل ولم يقسموها بين الجند واعتبرت ملكاً مشتركاً للمسلمين (من



الناحية النظرية) يدفع عنها صاحبها الخراج ، ومنها ايضاً اراضي الموات التي تم احياؤها استناداً الى قاعدة عمر بن الخطاب (من احيا ارضاً مواتاً ليست في يد مسلم ولا معاهد فهي له)[١١٨]، والاراضي التي اقطعها الخلفاء لبعض الشخصيات وهي (اقطاع تمليك).[١١٩] ومنها ما بيع من اراضي الصوافي وضياع الخلافة في اوقات الازمات المالية[١٢٠].

وقد كانت هذه الاراضي مهددة بالمصادرة التي انتشرت خلال القرن الرابع الهجري بسبب افلاس بيت المال ، واستبداد العناصر الاجنبية في امور الدولة واموالها ولكثرة الوشايات والخلافات السياسية[١٢١]. مما دفع بعضاً من ملاك الارض الى حماية ملكياتهم الزراعية الخاصة من السيطرة عليها او للتخلص مما يوجب على الارض من حق الدولة باتباع طريقة الالجاء التي كان صغار الملاكين يلجأون اليها بسبب ضغط الحياة واضطراب الوضع السياسي فيضعون اراضيهم في حماية الخليفة او احد الأمراء والقادة وتسجيل تلك الاراضي بأسمائهم في الديوان مقابل دفع جزء من الحاصل الى الحامي[١٢٢].

وقد يكون ثمة لجوء للتخفيف من الضرائب المفروضة على الاراضي الزراعية[١٢٣] وبمرور الزمن يصبح هؤلاء ملاكين اصليين ويصبح الملاكون الحقيقيون مزارعين عندهم[١٢٤].

ومن تلك الظواهر الاقتصادية ايضاً التقبل والضمان ، وهو ما يعبر عنه تارة أخرى بالكفالة او الضمان[١٢٥]. وذلك حين يجعل الرجل نفسه قبيلاً او كفيلاً لمالك الارض يحصل بأسمه الخراج لقاء اجر معلوم يدفعه مالك الارض الحقيقي اليه ، وغالباً ما كان القبيل او الكفيل من العمال وذوي الجاه وقد عده الفقهاء من وسائل التملك الفاسد وأكل اموال الناس بالباطل[١٢٦].

٤ – اراضي الموات :

الاراضي الموات هي الاراضي غير الصالحة للزراعة سواءاً كانت اراضي البطائح ام الاراضي السبخة ام الاراضي التي تكثر فيها الصخور. وقد حاول الخليفة عمر بن الخطاب ارساء قواعد ثابتة لاحياء الاراضي الموات بصفة خاصة ، فاشترط ان يكون اقطاع هذا النوع من الاراضي متوقفاً على اصلاحها وزراعتها ، وان تملكها يتوقف على احيائها لا مجرد تحجيرها وان تعطيل الارض بدون زرع ثلاث سنين يسقط حق المحتجر[١٢٧]. وقد روي عن عمر بن الخطاب قوله (من كانت له ارض ثم تركها ثلاث سنوات لايعمرها منحوها قوماً آخرين فهم احق بها[١٢٨]. وكان قول عمر (من احيا ارضاً مواتاً ليست في يد مسلم ولا معاهد فهي له)[١٢٩].

٥ – أراضي الوقف :

وهي اراضٍ اقطعها الاتقياء من المسلمين لأغراض دينية تكون وارداتها للأماكن المقدسة (مكة والمدينة) او لبناء الحصون والثغور او للمجاهدين والفقراء واليتامى والأرامل او لفك الأسرى او للمصالح العامة للمسلمين[١٣٠].

والوقف على نوعين : خاص وعام ، فالوقف الخاص (الرسمي) ما يوقفه الخليفة وأهله وحاشيته من الاراضي والعقارات للأماكن المقدسة ، ولا يكون الوقف الا من الأملاك الخاصة ، ولا يجوز بيعها او مصادرتها[١٣١]. وتدار هذه الأوقاف بوساطة ديوان خاص اطلق عليه (ديوان البر)[١٣٢] والوقف العام هو ما يوقفه عامة الناس من الاتقياء والزهاد للاغراض التي أشرنا اليها آنفاً ، ومن الوقف العام ما يسمى بالوقف الذري وهي ان توقف الاراضي والعقارات لغرض منع الذرية والاهل والاقرباء من بيعها وانما التمتع بوارداتها بصورة دائمية فقط[١٣٣]، وتناط بالقاضي للاشراف على وارداتها وصرف ما هو مخصص لها[١٣٤].



الزراعة في الموصل

يعد اقليم الموصل والجزيرة من الاقاليم الزراعية المهمة لما يمتاز به من خصوبة التربة وملاءمة المناخ وغزارة الامطار الشتوية والربيعية فضلاً عن امكان الاستفادة من مياه الانهار والعيون والينابيع والآبار في الزراعة ، فقد انتشرت في هذا الاقليم القرى والضياع ، واحترف اهلها الزراعة ولا سيما زراعة الحبوب والفواكه والكروم والخضراوات ، وأصبح الانتاج الزراعي من الوفرة لدرجة يفوق كثيراً عن حاجة السكان فتصدر هذه المنتوجات الزراعية الى الأقاليم المجاورة ، فقد بلغت موارد خراج الموصل من الحنطة والشعير وحدها خمسة ملايين من الدراهم[١٣٥] مما يعطي صورة واضحة عن ضخامة الانتاج ، وهي تشكل مورداً مهماً لبيت المال .

في العصر العباسي الأول بلغ التطور الاقتصادي في الموصل درجة كبيرة وخاصة الزراعة واستمر حتى عهد الحمدانيين نتيجة للاستقرار السياسي الذي تمتعت به الموصل ويؤيد ذلك ما رواه ابن حوقل بقوله (... فلما ملك بنو حمدان غرسوا الاشجار وكثرت الكروم وغرست النخيل)[١٣٦] كما عنوا بزراعة القطن والرز والسمسم والحنطة[١٣٧] لأنها كانت تدر عليهم ارباحاً كثيرة فأدى هذا الى زيادة الخراج فقد بلغت موارد الخراج من الورق ستة عشر مليون درهم ومائتين وتسعون الف درهم[١٣٨].

ولقد هدف الحمدانيون من تشجيع الزراعة واستخدام الأساليب الراقية فيها الى الافادة من موارد الاقليم المالية ، لوضعهم الجغرافي المحصور بين البيزنطيين في الشمال الغربي وبين بغداد التي كانت تخضع لسيطرة عناصر اجنبية من اتراك وبويهيين في الجنوب الشرقي[١٣٩]. ولقد تأثر الوضع الاقتصادي بعامة والزراعة بخاصة في عهد بني عقيل بسبب اضطراب الوضع السياسي الذي ساد العراق في العصر البويهي فضلاً عن موجات القحط الذي اصاب الموصل بسبب قلة الأمطار، وتكاثر الثلوج ، وانتشار النظام الاقطاعي ولذلك قل الانتاج الزراعي ، كما كان للفساد الاداري والنزعات العنصرية والمذهبية التي اثارها البويهيون اثر في عرقلة التجارة وتأخر الصناعة[١٤٠] مما ادى الى تأخر اقتصاد الأقليم . ان قلة الموارد الاقتصادية في الموصل في عهد بني عقيل دفعهم الى الاهتمام بما يحصلون عليه من غنائم الحروب الكثيرة التي سادت الموصل في فترة حكمهم[١٤١] كما ان الحروب الكثيرة التي خاضها العقيليون سببت تدهوراً في الزراعة وإهمالاً في وسائل الري ، واشتداد حدة المصادرات وعجز الملاكين الصغار عن حماية املاكهم واضطرارهم الى الالجاء بتسجيل اراضيهم بأسماء الخلفاء والأمراء والولاة لحمايتها من المصادرة ومن الضرائب الزراعية الباهضة[١٤٢] وكذلك فقد تعرضت الموصل لهجمات خارجية من حروب وحصار في فترة نفوذ السلاجقة والصراع بين امرائهم على السلطة في الولاية ، وقيام ولاة السلاجقة بتوزيع الاقطاعات على امراء الجيش[١٤٣]. وتحمل الموصل عبء الدفاع عن اقليم الجزيرة وبلاد الشام ضد الغزو الصليبي بتوفير الأموال والمؤن لخدمة اهداف الجهاد ومشاركة الفلاحين في العمليات الحربية مما أدى الى نقص الموارد الزراعية ، وقد عبر عنها ابن الأثير بقوله (ان الموصل كانت اقل بلاد الله فاكهة)[١٤٤].

السياسة الزراعية :

لقد أولت الدولة العربية الاسلامية عناية كبيرة للزراعة باعتبارها المصدر الأساس من مصادر الثروة الاقتصادية للسكان والمورد المهم لخزينة بيت المال ، فقد اتجهت في سياستها الزراعية الى العناية بالري من حفر الانهار والقنوات والجداول وبناء السدود والمسنيات لحماية الأراضي الزراعية من الفيضانات وتشجيع الفلاحين على الاستقرار في الأرض وزراعتها ، وبدأت هذه السياسة منذ عهد



الخلفاء الراشدين، والأمويين والعباسيين، ففي العهد الأموي حفر الوالي الأموي الحر بن يوسف سنة ١٠٧ هـ نهراً في الموصل سمي بنهر الحر[١٤٥].

وانتهجت الدولة سياسة تخفيف الضرائب التي كانت على الفلاحين ولاسيما ضريبة الخراج وحماية الفلاحين من تعسف جباة الخراج واعتماد سياسة زراعية اصلاحية، فقد اصدر الخليفة العباسي المنصور امراً بتطبيق المنهج الذي اعتمد منذ خلافة عمر بن الخطاب (في منع تحويل الاراضي الخراجية الى اراضي عشرية، وحكم بأن أرض الخراج فيء تملكه الأمة ولا يتصرف به الافراد من الناس[١٤٦]. وفي عهد الخليفة المهدي احدث اصلاح زراعي بأن أوجد نظام القاسمة في جباية الخراج بدل نظام المساحة[١٤٧]. وحدد الضرائب الزراعية على الأراضي حسب طريقة السقي وطبيعة الارض من حيث قربها وبعدها عن الاسواق والمدن، فوضع النصف على الأراضي التي تسقى سيحاً والثلث على الاراضي التي تسقى بالدواليب، والربع على الأراضي التي تسقى بالنواعير[١٤٨] وأمر الخليفة المأمون سنة ٢٠٤ هـ بتخفيض نسبة الخراج فجعلها ٤٠٪ من الناتج بعد ان كانت النصف[١٤٩].

ومن السياسة الاصلاحية في الزراعة التي اعتمدها المتوكل والمعتضد تأخير جباية الخراج، فبعد ان كان الخراج يجبى يوم النوروز من شهر نيسان جعل بداية جبايته في ١٧ حزيران[١٥٠] مما كان له أثره الحسن على الفلاحين لأنه يتفق مع جني الغلات والمحاصيل الزراعية فلا يرهق المزارع في دفع ضريبة الخراج، اذ كانوا يضطرون الى الاقتراض من الصرافين بفائدة مرتفعة لتسديد ضرائب الخراج او بيع المحاصيل قبل نضجها وبأسعار رخيصة. كما انتهجت الدولة سياسة تكثير المحاصيل من حيث انواعها واصنافها فقد جلب الخليفة المعتصم انواعاً متعددة من النباتات والأشجار والبقول والزهور وأمر بزراعتها على جانبي دجلة[١٥١] وكانت الدولة تتخذ اجراءات متعددة اذا ما تعرضت المزروعات الى الآفات الزراعية او الفيضانات فتقوم الدولة بمساعدة الفلاحين بتخفيض ضريبة الخراج عنهم[١٥٢] او انها تقدم المساعدات المالية للفلاحين، ففي خلافة المتوكل اقترض الفلاحون في منطقة باسورين في الموصل الأموال من اجل مساعدة الفلاحين على الزراعة[١٥٣] مما يؤكد اهتمام الدولة بالزراعة.

وسائل الارواء (الري)

تعتمد الزراعة في الموصل والجزيرة على مياه الأمطار التي تسقط بغزارة في فصلي الشتاء والربيع، ويعد نهر دجلة ونهرا الزاب الكبير والزاب الصغير المصدر الثاني من مصادر ري الأراضي الزراعية اضافة الى توفير مياه العيون والآبار والتي تستخدم في الري للأراضي الزراعية البعيدة عن الانهار، فاهتم اهل الموصل بإنشاء قنوات الري واستخدموا النواعير والدواليب على دجلة لرفع المياه لري الأراضي الزراعية[١٥٤].

ويبدو ان اهل الموصل لم يستغلوا مياه نهر دجلة للزراعة الا على نحو يسير وذلك لغزارة مياه الأمطار، ولانخفاض مجرى نهر دجلة عن مستوى الأراضي الزراعية، لذلك فقد اعتمدوا في ري بعض المناطق المحيطة بالموصل على مياه العيون والينابيع والآبار في سقي مزروعاتهم. لذلك فقد تعددت مسميات آلات الري المستخدمة فمنها النواعير والدواليب والدلو[١٥٥].

طرق وأساليب الزراعة:

كان النظام الشائع في زراعة الأرض هو نظام المناوبة، اذ كان الفلاحون يزرعون قسماً من الأرض ويتركون القسم الآخر دون زرع ليستعيد



قوته، وفي الموسم الثاني يترك المزروع ويزرع المتروك[١٥٦] ويسمى (نيرونير) فضلاً عن استخدام دورتين زراعيتين هما الزراعة الشتوية والزراعة الصيفية[١٥٧]. وعرفوا كذلك طريقة صنع واستخدام الأسمدة (المفردة والمركبة) في الزراعة بحسب نوعية المحاصيل الزراعية، وغالباً ما كانت تسمد الأرض من فضلات الحيوانات والرماد[١٥٨]. كما استخدموا بعض المواد في معالجة النباتات والحشائش الضارة للمزروعات وذلك بخلط مواد مثل (البنج والخلاف والطرفاء) ونثرها على الأرض فيقضي على النباتات والحشائش الضارة الموجودة في الأرض[١٥٩].

أما الآلات الزراعية فقد استخدم الفلاح الفدان او المحراث الذي تجره الثيران والمسحاة في حراثة الارض، واستخدم المنجل في عمليات الحصاد[١٦٠]. كما استخدم الفلاح الفدان الذي تجره الحيوانات لفصل البذور عن القش.

الثروة الزراعية :

تعد المحاصيل الزراعية في الموصل في مقدمة المصادر الاقتصادية، وأهم هذه المحاصيل الحنطة والشعير والتي تزرع في سهول الموصل والجزيرة لخصوبة التربة وملاءمة المناخ وغزارة الامطار، فقد اشتهرت قرى الموصل وسنجار ونصيبين بإنتاج الحنطة والشعير والقطن والكتان[١٦١] وتأتي اشجار الفاكهة على اختلاف انواعها في المرتبة الثانية من المحاصيل الزراعية، حيث نمت اشجارها في مناطق الجبال المحيطة بالموصل وفي مدينة الموصل، ويجفف قسم منها ويصدر الى خارج الموصل[١٦٢] كما تكثر زراعة الكروم في الموصل وبلد ونصيبين وماردين وجزيرة ابن عمر وفي الحسينية وقرى معلثايا وباصفرا شرقي الموصل[١٦٣]. وفي السلامية وجبل شعران شرقي الموصل وفي قرية باجروانا[١٦٤]. وكانت بساتين النخيل منتشرة في سنجار وتل اعفر وفي باعشيقا والسلامية[١٦٥]. كما تكثر اشجار الزيتون في جوار معلثايا وفي باعشيقا وبلد وسنجار[١٦٦]. واشتهرت الرساتيق والقرى المحيطة بالموصل بانتاج محاصيل مختلفة منها الجوز واللوز والشاه بلوط والبندق والسماق والارز والحمص والعدس والسمسم والتوت والليمون والبرتقال والسفرجل[١٦٧].

وتعد زراعة القطن من المزروعات المهمة في الموصل واشهر مناطق انتاجه قرى بازيدي وفردي ونينوى والمرج وحزة وعربان وراس العين وسنجار[١٦٨].

ان هذه المحاصيل الزراعية التي تنتج في الموصل وبكميات كبيرة تفيض عن حاجة السكان فتصدر الى الاقاليم المجاورة وكان لها اثرها في ازدهار الحياة الاقتصادية في الموصل.

الثروة الحيوانية :

تتمثل في اقليم الموصل كل اشكال التضاريس الطبيعية من سهول وهضاب ووديان وجبال وبراري، وهذا التنوع في التضاريس الارضية ساعدها لحد كبير على تنوع المحاصيل الزراعية، كما ان وفرة المياه ساعد لحد كبير على ازدهار الزراعة كما ساعد على تربية المواشي والاغنام وغيرها من الحيوانات المختلفة وذلك لكثرة المراعي والمروج في السهول والوديان وعلى سفوح الجبال، ومن اشهر هذه المراعي او (المروج) في الموصل مرج ابي عبيدة[١٦٩] ومرج القلعة[١٧٠] حيث تربت عليها الاغنام والابقار والجاموس والخيول وحيوانات النقل، وهذا ادى الى وفرة الانتاج الحيواني وازدهار صناعة منتجات الالبان والاصواف والشعر[١٧١] كما تربى في هذه المراعي الحيوانات التي استخدمت في النقل والحراثة[١٧٢]. واشتهرت الموصل بتربية الخيول العربية الاصيلة التي وصفها المقدسي بقوله (وخصائص هذا الاقليم - الموصل - الخيل



العتاق)[١٧٣] وامتازت الموصل بتربية النحل حيث اشتهر عسل الموصل بجودته[١٧٤]. وكان يصدر منه كميات كبيرة الى الاقاليم المجاورة، وأشارت قوائم الخراج الى ان انتاجه في بعض السنين بلغ ما صدر منه ٢٠ ألف رطل من العسل الابيض[١٧٥]، وعنى اهل الموصل بتربية دودة القز التي تنتج الحرير الطبيعي والذي يستخدم في صناعة المنسوجات الحريرية[١٧٦] وتكثر في الموصل حيوانات الصيد كالغزلان والارانب والطيور بأنواعها[١٧٧]. كما تكثر الاسماك في نهر دجلة وروافده فكانت تصطاد وتباع طرية او تجفف وتملح وتصدر[١٧٨]. وبهذا فإن الثروة الحيوانية ومنتجاتها في الموصل تشكل مصدراً مهماً من مصادر المواد االغذائية الأساسية لمعيشة السكان وثروة طائلة تعود على سكان الاقليم والدولة بالخير العميم..

٢ – التجارة

(العوامل المؤثرة في نمو التجارة في الموصل)

١ – الموقع الجغرافي :

تتميز الموصل بموقعها الجغرافي الذي ساعدها على ان تحتل مركزاً تجارياً مهماً بين مدن العراق، وذلك لوقوعها بين العراق والشام والجزيرة وأرمينية واذربيجان، وبهذا الموقع اصبحت الموصل مع العراق تشكل جسراً يصل بين طرق المواصلات البرية في جنوب آسيا، وطرق المواصلات البحرية في جنوب اوربا، وذلك بحكم الموقع المتوسط بين البحر المتوسط والخليج العربي[١٧٩]. فكانت السفن تأتي من الصين والهند الى البصرة محملة بالبضائع والسلع المنتجة في تلك الأصقاع ثم تعود الى بلادها بمنتجات الشرق واوربا[١٨٠]. فاصبحت البصرة مركزاً تجارياً ومخزناً للسلع، والبضائع منها تنقل الى العراق وشمالاً الى الموصل[١٨١]. وكانت تأتي الى الموصل براً او بالمراكب بضائع ارمينيا واذربيجان، كما تصلها القوافل التجارية براً من اواسط آسيا وفارس محملة بالبضائع[١٨٢]. ومن بلاد الشام والجزيرة تنقل السلع والبضائع براً الى اسواق الموصل[١٨٣].

ومما ساعد على نشاط التجارة وتوسعها انتقال مركز الخلافة الى بغداد التي كانت تقع على ملتقى الطرق التجارية البرية والنهرية ومنها تنقل التجارات الى الموصل وغيرها من الاقاليم.

٢ – الطلب على السلع والبضائع

ان تحول المجتمع العربي الاسلامي الى طور صارت فيه التجارة من أهم أركان الحياة الاقتصادية، واحتلت مكانة مهمة في الاقتصاد، وذلك لزيادة الثروة وبروز ظاهرة الترف، وسهولة وسائل الاتصال التجاري البري والبحري، فضلاً عن ازدهار الزراعة والصناعة، فكانت الموصل تتميز بانتاج كثير من السلع المصنوعة والمواد الغذائية والاولية والتي تزيد عن حاجة السكان فتصدر الى الخارج[١٨٤]. وادى هذا الرخاء الاقتصادي في اقليم الموصل الى زيادة الطلب على السلع والمنتجات المختلفة من الاقاليم الاخرى خاصة من ارمينيا واذربيجان والجزيرة وبلاد الشام والهند والصين وفارس[١٨٥] فاصبح الطلب على السلع والبضائع على نحو متبادل بين الموصل والاقاليم الاخرى

٣ – حماية طرق التجارة

لقد كانت طرق التجارة في الموصل كثيرة ومتنوعة فكانت الطرق التجارية تصل بين الموصل والعراق وبين الموصل ومدن الجزيرة وبلاد الشام وبين الموصل وارمينيا وبلاد الروم بوسائط نهرية وبرية مما ساعد لحد كبير على نشاط التجارة الداخلية والخارجية وقد بذلت الدولة العربية الاسلامية عناية بالطرق التجارية وحمايتها فكانت تزود القوافل التجارية بالحراس لحمايتها من



اللصوص وقطاع الطرق براً ومن قراصنة البحر بحراً ودليلاً على ذلك فقد بذل الحمدانيون في الموصل وبالتعاون مع السلطة المركزية في بغداد جهوداً كبيرة من اجل صيانة الطرق وحماية امنها لتسهيل مرور التجارة ، ففي ولاية ابي تغلب بن ناصر الدولة على الموصل امر بأن يوكل بالطرقات من الخيل والرجال من يتقصاها ليلاً ونهاراً ، ويستقر بها سهلاً وجبلاً ويسير في برها وبحرها ويقلد عليهم اهل النجدة والبسالة... لتؤمن السبل وتحمي المسالك وتدر للرعية المتاجر لتستقيم لها اسباب العيش وتكون الطرق مضبوطة والآمال محوطة[١٨٦].

٤- تأمين اقامة وحماية التجار

كان من آثار السياسة التجارية التي أعتمدها الخلفاء الامويون والعباسيون في حماية التجارة ان نشطت التجارة الداخلية والخارجية ، فكانت الموصل محطة للقوافل التجارية وسوقاً تجارية واسعة مما استدعت الحالة الى ايجاد اماكن لسكنى التجار وايواء حيواناتهم فانشأوا الفنادق والخانات والحمامات لتسهيل اقامة التجار الاجانب فضلاً عن التجار العرب المسلمين الوافدين من الاقاليم الاسلامية ، فقد ذكر الأزدي انه كان للحر بن يوسف فنادق[١٨٧] وقد سماها بعض المؤرخين النزل[١٨٨] ومن هذه الفنادق فندق دار الحواكين الواقع في سوق الحشيش[١٨٩] وقد أشار اليها ابن حوقل في حديثه عن الموصل ان بها خانات وفنادق[١٩٠] لايواء التجار، وكان التاجر يستطيع ان يودع امواله وبضائعه وحيواناته في خان او فندق ، وغالباً ما كانت هذه الخانات والفنادق قريبة من الاسواق لتسهيل نقل البضائع منها واليها[١٩١].

٥- الرقابة على الاسواق :

ولمكانة موقع الموصل التجاري واحاطتها بكثير من المدن والقرى والقصبات أصبحت تجارتها رائجة مما ادى الى توسع اسواقها وكثرة عددهم بحيث كان لكل صنف من اصناف البضائع سوقان او ثلاثة او اربعة خاصة بها ، وكان كل سوق منها ينتظم مائة حانوت او اكثر[١٩٢]. ويذكر الازدي[١٩٣]. من اسواق الموصل المهمة سوق الاربعاء يقام في كل يوم اربعاء. وكان على كل ركن من السوق فندق[١٩٤] وهناك العديد من الاسواق المهمة منها سوق البزازين ، وسوق السراجين ، وسوق القتابين وسوق الشعارين ، وسوق الدواب ، وسوق الحشيش يباع فيه علف الحيوانات[١٩٥]. وغيرهم ولقد فرضت الدولة رقابة شديدة على الاسواق التجارية بهدف تنظيم معاملات البيع والشراء وحماية التجار الوافدين لمنع الغش والتلاعب بالاسعار، فكان المحتسب يتخذ له اعواناً يساعدونه في مراقبة الاسواق والأوزان والمكاييل[١٩٦]. والمعاملات التجارية والاشراف على نظافة الاسواق ، ومنع التجار ان يغبنوا الرعايا اشياءهم ، ولا يفسح لهم ان يرفعوا عن الحق اسعارهم.[١٩٧] ويمنع ان يحتكر التجار صنفاً من اصناف السلع ويلزمهم بيعه[١٩٨]. ويتصدى المحتسب للنظر في البيوع الفاسدة ومراقبة النقود التي يتعامل بها الناس[١٩٩]. ويحمل على الماطلين على اداء ماعليهم من الديون[٢٠٠]. وبذلك فرضت الدولة رقابتها على الاسواق التجارية .

٦- نشاط العمليات المصرفية التجارية :

كان من آثار نشاط الحركة التجارية في الدولة العربية الاسلامية عامة والموصل خاصة ان تدفقت الاموال على التجار واصحاب رؤوس الاموال ، فظهرت الحاجة الى ايجاد أسهل الوسائل لنقل الاموال من بلد الى آخر للحفاظ عليها من السرقة ، ولايجاد اماكن لحفظها وتداولها وصرفها وقت الحاجة ، وإلى اقراض التجار وقبول الودائع كل ذلك ادى الى ظهور النظام المصرفي الذي بدأ اول الامر بشكل بيوتات مالية قام عليها الصرافون ، أصحاب



الاموال والتجار من اهل الذمة، ولم يلبث ان قام هؤلاء الصيارفة فيما بينهم بتكوين شركات مالية، ثم توسعت عمليات الصيرفة إلى قبول الودائع واقراض التجار[٢٠١] ثم اخذت اعمال الصيارفة بالتوسع فشملت تحويل النقود على شكل سفاتج وصكوك[٢٠٢] وتصفية الحسابات بين التجار في مدن مختلفة دون الحاجة الى نقل النقود[٢٠٣]. ودون تعرضها لاخطار الطريق مما سهلت ووسعت التبادل التجاري.

طرق التجارة (البرية والنهرية)

ان الموقع الجغرافي الذي تتمتع به الموصل بين اقاليم عدة جعلها ملتقى الطرق التجارية الداخلية والخارجية البرية منها والنهرية. واهم هذه الطرق هي:

الطرق التجارية البرية

تعد الموصل ملتقى للطرق التجارية البرية التي تربطها بالاقاليم والمناطق المجاورة. فهي ترتبط براً مع العراق جنوباً وشمالاً مع ارمينيا وبلاد الروم وشرقاً مع خراسان واذربيجان وغرباً مع الجزيرة وبلاد الشام. واهم الطرق البرية هي:

١- طريق الموصل- السواد ويسير محاذياً لنهر دجلة ماراً بالحديثة- السن- بارما الكرخ- القادسية- عكبرا- البردان- السواد[٢٠٤]

٢- طريق الموصل- نصيبين ماراً ببلد- سنجار- برقعيد- تل الفراسنة- نصيبين[٢٠٥].

٣- طريق الموصل- آمد ماراً ببلد- جزيرة ابن عمر- التل- آمد[٢٠٦]

٤ -طريق الموصل- جزيرة ابن عمر ماراً بمعلثايا- الحسينية- جزيرة ابن عمر.[٢٠٧]

٥- طريق الموصل- قرقيسيا ماراً ببلد- تل اعفر - سنجار- ماكسين- الخابور- قرقيسيا.[٢٠٨]

٦- طريق الموصل- آمد- الرقة، يبدأ من الموصل- نصيبين- آمد- شمشا (الرها حران- باجروان- الرقة[٢٠٩].

اما وسائط النقل الرئيسة فهي الأبل، واهالي شرقي الموصل جمالون يكرون جمالهم للتجارة الى خراسان[٢١٠] وتشكل البغال والحمير والخيل الوسائل المهمة لنقل البضائع والمسافرين[٢١١]

وكانت طرق المواصلات البرية تحت اشراف الدولة ويقوم بها ديوان البريد حيث تنتشر محطات البريد على طول هذه الطرق لحماية القوافل التجارية من اللصوص وقطاع الطرق، وتقدم خدمات للمسافرين لوجود اماكن الراحة مزودة بالماء والطعام كما في طرق بريد الموصل[٢١٢].

الطرق التجارية النهرية

يعد نهر دجلة الطريق النهري الرئيس حيث تنقل بوساطته التجارة والمسافرون بالزوارق والسفن والمراكب التي تسير في دجلةالى الموصل[٢١٣]. وكانت تصل السفن التجارية من الموصل الى البصرة[٢١٤]. وبالعكس، كما تنقل التجارة بوساطته من بلاد الروم الى الموصل[٢١٥].

وكانت الضرائب تجبى على التجارة النهرية في اماكن معينة تسمى (المآصر) او الحواجز وهي سلسلة تمتد على طرفي النهر توصر به السفن والسابلة ليؤخذ منهم العشر[٢١٦]. فيذكر ياقوت انه (كان في العقرقرية في كف جبل حمرين من جهة الموصل وبه مآصر لصاحب الموصل يأخذون فيه الخفارة لحفظ السابلة، فقد كان اميرها يفرض على كل السلع التجارية[٢١٧]. ومكان آخر قرب الموصل لأخذ العشر على الطريق النهري[٢١٨] ويبدو أن هذه الضرائب فرضت ايام الحمدانيين، فقد فرضوا ضريبة العشر على التجارة البرية والنهرية وذلك لحاجتهم الى الاموال لمواجهة حركة الجهاد ضد الصليبيين.



ان موقع الموصل الجغرافي المتميز جعلها تشكل حلقة المواصلات التجارية بين العراق وأرمينيا واذربيجان وبلاد الشام وبلاد الروم ، وتشكل جسراً دولياً يربط بين طرق المواصلات التجارية البحرية في جنوب اسيا وطرق المواصلات التجارية البحرية في جنوب اوربا وذلك لتوسط الموقع بين الخليج العربي والبحر المتوسط [٢١٩] كما تعد الموصل بداية الممر المائي الذي يصل الموصل ببغداد والبصرة بالخليج العربي بوساطة نهر دجلة ولذلك فقد عدها القزويني (... محط رحال الركبان ومنها يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد الى اذربيجان وكثيراً ماسمعت ان بلاد الدنيا العظام نيسابور لانها باب المشرق ودمشق باب المغرب والموصل لان القاصد من الجهتين قل ما لا يمر بها) [٢٢٠].

وكان لوفرة الانتاج الزراعي والحيواني والصناعي اثر كبير في ازدهار التجارة وتقدمها فتصدر الموصل الحبوب والفواكه والخضراوات والمواد الغذائية الاخرى كالعسل والشحوم والزيوت والجبن والسماق والفواكه المجففة [٢٢١]. الى الاقاليم المجاورة وتصدر الموصل الماشية من الابقار والاغنام والماعز والجاموس [٢٢٢] واللحوم المملحة والسمك ، كما تصدر الاخشاب التي تقطع من جبل شعران شرقي الموصل [٢٢٣].

واشتهرت الموصل بانتاجها الصناعي ، لتوافر المواد الاولية للصناعة والخبرة الماهرة فقامت فيها صناعات تعتمد على الانتاج الزراعي والحيواني كصناعة الانسجة الصوفية والقطنية والكتانية والحريرية واشهرها صناعة نوع من المنسوجات الرقيقة عرفت في اوربا باسم الموسيليني نسبة الى الموصل [٢٢٤] كما تصدر الستور والمسوح [٢٢٥].

ومن الصناعات الاخرى التي اشتهرت بها الموصل صناعة الالبان (الجبن) وصناعة الصابون ، والصناعات الجلدية ، والصناعات المعدنية وذلك لتوافر معدن الحديد في جبل المكارية شرقي الموصل ، ومن هذه الصناعات صناعة الاسلحة والابواب الحديدية والسكاكين والسلاسل والصناعات النحاسية [٢٢٦] المنزلية . وتنتج الموصل نوعاً من الصخور السود والمساة بحجر الارحاء وتصنع منها احجار الطواحين والتي تستخدم في طحن الحبوب وتصدرها الى العراق [٢٢٧] والاقاليم المجاورة وترد الى الموصل من نواحيها الكثير والعديد من المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية فيرد الى الموصل من نصيبين الرصاص وماء الورد [٢٢٨] ومن ماردين جوهر الزجاج ، [٢٢٩] والاكسية المصنوعة من المرعز [٢٣٠] وتصدر آمد الثياب الموشاة والمناديل والمحارم الرقاق والطيالسة وثياب الصوف [٢٣١].

اما التجارة الخارجية فكانت تأتي الى الموصل سلع ومنتجات الهند والصين بوساطة البحر الى البصرة وتحمل عن طريق دجلة الى بغداد والموصل ، كما تأتيها التجارة من ارمينيا واذربيجان وتحمل اليها البسط والفرش واللبود بوساطة القوافل البرية ، كما تصل الى الموصل القوافل التجارية براً من فارس ومنها بضائع الصين والهند وفارس [٢٣٢] من المنسوجات الحريرية والتوابل والاخشاب والعطور والاحجار الكريمة وتعود منها منتجات الموصل والعراق واوربا [٢٣٣].

ان نشاط التجارة الداخلية والخارجية ساعد لحد كبير على زيادة الثروة وازدهار الحياة الاقتصادية.

الصيرفة وعمليات الائتمان

الصيرفة :

كان من آثار نشاط الحركة التجارية والتوسع في مجال المعاملات التجارية ان تدفقت الاموال على التجار واصحاب الثروات من الشرق والغرب ، وظهرت الحاجة الى ايجاد وسائل اكثر سهولة وامانا



لنقل هذه الاموال من بلد الى آخر، وايجاد وسائل امينة لحفظها وتداولها وصرفها وقت الحاجة، والقيام بتسوية المعاملات المالية بين التجار وذلك لاختلاف العملات النقدية بين الاقاليم والبلدان المختلفة، وهذه الصعوبات ادت الى التفكير في ايجاد بيوتات مالية وشركات مالية تتولى هذه الامور لتسهيل مهمة التجار فأدى ظهور النظام المصرفي الذي استطاع ان يوسع عمليات الصيرفة وقبول الودائع من التجار(٢٣٤). ثم اخذت تتوسع اعمال الصيارفة لتشمل تحويل النقود بطريقة الصكوك والسفاتج.(٢٣٥) وقام الصرافون بتقويم النقود من حيث جودتها ووزنها، ثم توسعت اعمال الصيارفة بتوسع التجارة فقاموا بتسليف التجار وقبول الودائع منهم، وصرف الصكوك والسفاتج لتسهيل تجارة الائتمان(٢٣٦). كما قام الصرافون بتقديم القروض والسلف للدولة في اوقات الازمات المالية ولما كانت الشريعة الاسلامية تحرم على المسلم التعامل بالربا فقد مارس اليهود والنصارى لذلك مهنة الصيرفة ونالوا ارباحا طائلة(٢٣٧) مما دفعهم الى تأسيس بيوت الاموال والمصارف(٢٣٨).

وكانت اموال الصيارفة تتكون من اموالهم الخاصة ومن اموال ودائع التجار وكبار رجال الدولة ومن فوائد معاملات الاقتراض وتسليف التجار ومن فوائد تبادل النقود(٢٣٩).

وكان هناك صيارفة رسميون في الدولة العباسية سموا بـ (الجهابذة) والواحد منهم (جهبذ) والجهبذ الناقد الخبير بغوامض الامور المالية والعارف بطرق النقد وصرفها وتبادلها(٢٤٠) وكان يقوم ايضاً كالصيارفة في العمليات المالية من حيث الاقراض او التسليف(٢٤١).

وكانت معاملات الائتمان التجاري تتم عن طريق الصيارفة حيث يحول التاجر ثمن التجارة على الصراف الذي يمنحه صكاً بالاموال(٢٤٢). وتتم عمليات تحويل اموال التجار بطريقة الصك والسفتجة.

الصك:

استخدم الصك وسيلة لدفع الاموال في مجالات عدة في المعاملات التجارية وفي الاقراض وفي ايفاء الديون، وهو امر خطي يدفع بوساطته مقدار من النقود الى الشخص المسمى به(٢٤٣) وتشير بعض المصادر الى استعمال الصك منذ صدر الاسلام اذ كانت الارزاق والرواتب تدفع احياناً على شكل صكوك فيذكر اليعقوبي (ان عمر بن الخطاب كان اول من صك وختم في اسفل الصكاك)(٢٤٤) وكثر استعمال الصكوك خلال العصر العباسي، فكان الخليفة الواثق يصرف راتب الامير المتوكل من بيت المال بصك يتضمن المبلغ المقرر له(٢٤٥) وفي خلافة المعتضد كانت تحرر الصكوك شهرياً لصرف رواتب العاملين في دار الخلافة وعطاء الجيش(٢٤٦) واكثر انواع الصكوك هي صكوك الدين التي يتعامل بها عامة الناس والعادة ان الصكوك تحال الى الصيارفة لصرفها باسم حاملها(٢٤٧) وهناك معنى آخر لكلمة الصك اذ كانت تطلق عليه (سند الدين) وفي هذه الحالة كان يلزم تصديقه من قبل الشهود(٢٤٨) ويقوم الصيارفة بصرف الصكوك لقاء فائدة محدودة(٢٤٩) وكانت في كل دينار درهم(٢٥٠).

السفتجة:

استخدمت السفتجة وسيلة متقدمة من وسائل التعامل المالي والتجاري وكثر التعامل بها على النطاق الشعبي والرسمي بسبب نشاط الحركة التجارية فكانت تستخدم في تسوية الديون بين التجار وفي تسديد الولاة ماعليهم للخلافة الى جانب التعامل بالصكوك والنقود وقد اوجدت السفتجة وسيلة لنقل النقود من مكان الى آخر دون تعرضها لاخطار الطريق، وهو ان يقوم صاحب المال بارسال كتاب (سفتجة) الى وكيله يخوله ان يدفع مالاً قراضاً يأمن

به خطر الطريق[٢٥١] كما استخدمت السفتجة لتحويل الديون من شخص لآخر وتصفية الحسابات بين التجار في مدن مختلفة دون الحاجة الى نقل النقود وقد كان ولاة الاقاليم يرسلون مازاد من دخل ولاياتهم الى بغداد بسفاتج[٢٥٢] ولم تكن السفاتج قابلة للتحويل لغير صاحبها.[٢٥٣] ولذا فهي تشبه الكمبيالة في بنائها واستعمالها[٢٥٤] وكان هناك نوع من السفاتج تحدد فيها مدة معينة لصرفها.[٢٥٥]

وبهذا فقد اسهمت المؤسسات المالية من صيارفة وجهابذة وبيوت الاموال بدرجة كبيرة في تسهيل معاملات التجار بتوفير النقود وعمليات الائتمان وتسوية المعاملات التجارية بوساطة السفاتج والصكوك بين التجار في مختلف المدن والاقطار.

عمليات الائتمان التجاري

كان للائتمان دور مهم في النشاط التجاري، اذ يوفر المال للتجار عند الحاجة الى جانب الاموال، ويهيئ الفرص لتشغيل رؤوس الاموال الزائدة على نحو منتج، وقد شاع استخدام عمليات الائتمان في التجارة الخارجية لاختلاف قيم النقود وانواعها ولتجنب أخطار نقل النقود من اقليم الى آخر. كما ان اتساع النشاط التجاري في التجارة الخارجية استدعى استخدام التجار للوكلاء يكتبون اليهم بحال الاسواق وينوبون عنهم في تسوية الاموال في المعاملات التجارية[٢٥٦]. وبذلك اصبح للتجار وكلاء وعملاء في مختلف المدن التجارية كما كان الائتمان شائعاً بين التجار انفسهم مما يدل على اهمية ضرورية في تسهيل التجارة وكانت معاملات الائتمان (الاقتراض والتسديد) تنظم في صكوك ويوقع شاهدان على الصك[٢٥٧] ويختم الصك، واحياناً كان يشترط الدائن على المدين وجود كفيل يتعهد بدفع الدين متى عجز المدين عن دفع الدين[٢٥٨] وكان الدين يحول احياناً الى شخص آخر لتصفية الديون (وتسمى في الوقت الحاضر المقاصة) كما استخدمت السفتجة في تصفية الديون دون استخدام النقود[٢٥٩] وكانت معاملات الائتمان تحصل بين التجار والدولة وخاصة في اوقات الازمات المالية وتقدم الدولة للصيارفة ضمانات بالدين على شكل سفاتج[٢٦٠] وكان التجار يأخذون فائدة على مايقرضونه للدولة وعلى السفاتج التي يصرفونها. فمثلاً كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح يدفع فائدة قدرها درهم في كل دينار من الدين[٢٦١] كعمولة عن الاموال التي اقترضتها الدولة.

انواع الائتمان التجاري:

١- **السلف المؤجلة**: وهي الاموال التي تقرض للتجار وتسدد في وقت معين حسب طبيعة الائتمان، وهذا الاسلوب متبع حتى الان حيث تقوم المصارف الرسمية والاهلية به لتسهيل مهمة اقراض التجار[٢٦٢].

٢- **السلف المنجمة**: وهي الاموال التي تقرض للتجار على ان تدفع بأقساط معينة يحدد معها وقت الدفع ومازالت متبعة حالياً وتقوم به المصارف الرسمية والشركات التجارية لتسهيل اقراض التجار[٢٦٣].

٣- **المضاربة**: وهو قيام شخص باستخدام اموال شخص آخر في التجارة لقاء حصة من الربح، ويحدد الاتفاق بشروط العمل والاماكن التي يذهب اليها المضارب لايكون مسؤولاً عن تعويض اية خسارة تمس رأس المال، وتخصم اجور النقل والاقامة من صافي الارباح، وقد يساهم المضارب برأسمال بسيط[٢٦٤].

الصناعة:

كان لتقدم الزراعة والصناعة والتجارة اثر كبير



في ازدهار الحياة الاقتصادية في الموصل وتعد الصناعة احدى ركائز التقدم الاقتصادي في الموصل وذلك لوفرة المواد الاولية المختلفة كالمواد المعدنية مثل الحديد والنحاس والكبريت والقير[٢٦٥] والصخور الكلسية التي استخدم نوع منها في صناعة احجار الطواحين وفي بناء العمائر والمآذن[٢٦٦] كما تتوافر في الموصل المنتجات الزراعية والحيوانية والتي استخدمت في الصناعات المختلفة كصناعة الالبان وصناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية والحريرية. كما ان ظهور طبقة غنية ثرية مارست مهنة التجارة والزراعة والصناعة وحصلت على ثروات طائلة اخذت تشكل قوة شرائية كبيرة للحصول على متطلباتها الجديدة مما حملت اصحاب الصناعات والتجار الى توفيرها ولاسيما المنسوجات والمصنوعات الكمالية وادوات الزينة والحلي والفرش والاثاث وغيرهم.

اهم الصناعات

اشتهرت الموصل بالعديد من الصناعات منها صناعة الادوات المنزلية كالاسطال والسكاكين[٢٦٧] والصناعات النحاسية والمعدنية كصياغة الذهب والفضة[٢٦٨] والصناعات الحديدية كصناعة الاسلحة والابواب وادوات الحراثة[٢٦٩] وصناعة الارحاء التي تستخدم في طواحين طحن الحبوب[٢٧٠] كما اشتهرت الموصل بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية، واشتهرت بصناعة نوع من المنسوجات الرقيقة عرفت في اوربا بالموسيلين نسب الى الموصل[٢٧١] وصناعة الستور والمسوح[٢٧٢].

ونشأت في الموصل صناعات قائمة على الانتاج الحيواني وأهمها صناعة الالبان (الجبن) كما اشتهرت الموصل بانتاج العسل[٢٧٣] ومن الصناعات الغذائية التي اشتهرت بها الموصل صناعة حفظ اللحوم وصناعة تجفيف الفواكه وصناعة الجبن[٢٧٤] والصناعات الجلدية، كالسروج والخفاف ودبغ الجلود[٢٧٥] وصناعة نسج بيوت الشعر من شعر الماعز وله سوق خاص به عرف بـ (سوق الشعارين)[٢٧٦] وازدهرت في الموصل صناعة النجارة فكان النجارون يصنعون المناضد والكراسي والابواب والسقوف الخشبية والاثاث المنزلية من اسرة ودواليب[٢٧٧]. كما صنع النجارون الآلات الموسيقية من الخشب كالعود، ومن الصناعات الخشبية صناعة القوارب والزوارق[٢٧٨].

وبرز العديد من الصناع في الصناعات الدقيقة كالنقاشين والنقارين والبنائين ظهرت آيات فنونهم المهنية والحرفية في المشاهد والاضرحة والمساجد من خلال ماتركوه من نقوش في الرخام والكتابات المتنوعة في المساجد والمحاريب[٢٧٩].

وقد ازدهرت الصناعة كثيراً في عهد الحمدانيين وكان لهم دور كبير في تشجيع الصناعات التي تهمهم مثل صناعة الثياب والسجاد والصناعات الحديدية التي لها علاقة في صنع الاسلحة وفي بناء المساجد والقصور.[٢٨٠]

الا ان هذه الصناعات قد تأثرت في فترة حكم العقيليين لكثرة الحروب والمنازعات وفي الفترات التالية وخلال حكم الاتابكة انتشر الامن فازدهرت فيها الصناعات[٢٨١] واصبح للموصل مركز مهم في صناعة التحف المعدنية المنزلية والمزينة بالذهب والفضة وقد تميزت منتجاتها بدقة الزخارف المطعمة بالذهب واصبح لمدرسة الموصل في الصناعة في فترة النفوذ السلجوقي اكبر الاثر في تطور صناعة المعادن في سائر الاقاليم الاسلامية حيث رحل صناع كثيرون الى القاهرة وحلب ودمشق وبغداد، واسسوا مدارس جديدة هناك لصناعة التحف باسلوب فني ظهر فيها التأثر بأساليب مدرسة الموصل الفنية.[٢٨٢]



ومما يدل على رسوخ الصناعات في الموصل من خلال ماذكر عن اعلامها وهم : الحداد والنجار والحائك والنحاس والصباغ والصائغ والبناء والخياط وغيرهم وكان لكل صناعة وحرفة سوق خاص بها مثل سوق الشعارين وسوق الغزل وسوق البزازين وسوق الحدادين وسوق النجارين وسوق الصفارين وسوق القزازين...وغيرهم(٢٨٣).

التنظيم المهني والحرفي

كانت طبقة الصناع في الدولة العربية الاسلامية تتكون من فئات متعددة عرب مسلمين وغير مسلمين وموالٍ واهل ذمة وعبيد ، وقد اباح الاسلام لهم جميعاً القيام بجميع المهن والحرف والتجارة والزراعة ، كما اباح الاسلام للذمي مشاركة المسلم في التجارة والاعمال الصناعية(٢٨٤) وقد اختص اهل الذمة ببعض الحرف والصناعات ، فكان اليهود والنصارى يقومون باعمال الصياغة والصباغة والخياطة والاسكافة والحجامة والقصارى والقصابة والصيرفة(٢٨٥) وامتهن العرب المهن والصناعات المتعددة منها الحياكة والصياغة والحدادة والنجارة وتفننوا في نقوشها وزخارفها ، وبرعوا في الصناعات الحديدية كالسيوف والدروع ونصل الرماح كما تفننوا في صياغة الحلي الذهبية والفضية المرصعة بالجواهر، وبرعوا في الحياكة فنسجوا الخز والكتان والصوف ، وحاكوا البرود والحلل المخططة الموشاة بالقصب والمطرزة بخيوط الذهب ، كما زاولوا مهنة التعليم ، واتقنوا فن الهندسة والبناء وبرزوا في مهنة الطب وصناعة الادوية وكانت هذه الصناعات منتشرة في مختلف مدن وحواضر الدول العربية الاسلامية ومنها الموصل.

وكان اصحاب الصناعات والحرف في الموصل يعملون في اماكن مخصصة لكل حرفة او صناعة لايختلطون بغيرهم ، فهناك اسواق الحدادين والنجارين والاساكفة والصاغة ، والنحاسين...الخ وكان لكل صانع حانوت يديره لوحده او يساعده فيه ابناؤه اوعدد من الصناع والشركاء يعاونهم عدد من المبتدئين يتدربون على أيديهم على نوع الصناعة حتى يتم اتقانها.

الحرف والاصناف

تعود بدايات تنظيم العمل بين اصحاب الصنائع وتكتل العمال وتكوين النقابات على شكل مهن وحرف وأصناف وطوائف بالمدن العربية الاسلامية الى القرن الثالث الهجري(٢٨٦) حيث وردت في المصادر التأريخية مصطلحات تشير الى بدايات التنظيم المهني لاصحاب الحرف منها (الاصناف)(٢٨٧) و (اصحاب المهن)(٢٨٨) و (اهل الصنايع)(٢٨٩) و (ارباب المهن والحرف)(٢٩٠) وقد ارتبط مصطلح (الصنف) بالاسواق وتنظيمها ، فقد وصف اليعقوبي في معرض حديثه عن اسواق سامراء قوله (وجعل لكل تجارة منفردة وكل قوم على مهنهم)(٢٩١) وقد ولد لدى الصناع واصحاب الحرف هذا الانفراد شعور بالتكتل والاستقلال(٢٩٢).

كما اوجد ذلك نوعاً من الترابط والتعاون بين اصحاب الحرفة الواحدة ، وقد أشار الجاحظ الى اهمية ذلك في حفظ اسرار بعضهم لبعض(٢٩٣) وقد فشت النسبة الى المهنة حتى صار من امثالهم (الصناعة نسب)(٢٩٤) فظهر بجانب النسب المألوف الى القبيلة او المدينة النسب للحرفة مثل (ابن الجراح) و (الحائك) و (الجصاص) و (الثعالبي) و (الحلاج) وغيرهم من اصحاب الصنائع مما يدل على ان الاشتغال بالمهن لم يعد محقراً.

وقد نظمت الاسواق في الموصل على غرار اسواق البصرة وواسط وسامراء وجعل اصحاب كل حرفة او مهنة معزولين في ناحية معينة(٢٩٥)



وقد استخدم لفظ الصنف للتعبير عن اهل الحرف فيذكر الجاحظ اصناف الجزارين والشوائين[296]. ويطلق ياقوت كلمة صنف على اهل المهن والحرف كصنف الصاغة وصنف الصيارفة[297] واطلقت الحرفة للدلالة على العمل الصناعي[298].

كان التنظيم المهني عند أصحاب الحرف والاصناف قائماً على اساس ان لكل صنف وحرفة (رئيس) يختار من اعضاء الحرفة او الصنف تعينه الحكومة وهو شيخ الصنف[299] وهناك (الاستاذ) وهو المتقدم في الحرفة[300] ويليهم العمال (الصناع) وهم الذين اتقنوا الحرفة وبامكانهم فتح حوانيت خاصة بهم والعمل مستقلين[301]. وادنى درجة في الحرفة (المبتدئ) الذي انتسب للحرفة حديثاً ولايزال في مرحلة التعلم[302].

ولقد كانت الحرف والاصناف والاسواق تحت مراقبة واشراف الدولة من خلال وظيفة المحتسب الذي يتولى الاشراف على الاسواق لمنع الغش في الصناعات، ويراعي في انتاجها الجودة[303] في الصنعة وختاماً: يمكن القول ان التنظيمات المهنية والحرفية نشأت بصورة تدريجية وأخذت تتطور وفقاً لحاجات المجتمع العربي الاسلامي خلال العصور، وظهرت بصورتها الكاملة الواضحة في العصور العباسية المتأخرة فكانت عصرها الذهبي.

الهوامش:

(١) انظر الماوردي (الاحكام السلطانية)، مالك بن أنس (المدونة الكبرى)، القرطبي (احكام القرآن) ابو بكر الرازي (احكام القرآن) السرخسي (المبسوط) الشافعي (الأم) ابن تيمية (الفتاوى الكبرى) ابن القيم الجوزية (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) وغيرهم.

(٢) محمد احمد صقر: الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومرتكزات ص ٣٣ (مجلد الاقتصاد الاسلامي/مكة المكرمة ١٩٨٠).

(٣) صقر: الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومرتكزات مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ٤٢.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٥.

(٥) محمد شوقي الفنجري: المذهب الاقتصادي في الاسلام مجلد الاقتصاد الاسلامي، مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ٥٤.

(٦) انظر: ابن الاخوة محمد احمد القريشي (معالم القربة في احكام الحسبة) كمبرج ١٩٣٣ ص ١١- ١٣ ابن تيمية (الحسبة في الاسلام) ص ١٠. الماوردي (الاحكام السلطانية) القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٧- ٥٢ الغزالي (احياء علوم الدين) القاهرة ١٩٣٩ جـ ٢ ص ٣٠٤. الشيزري (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) القاهرة ١٩٤٦ ص ١٢- ٢٠ وغيرهم.

(٧) ابن تيمية: الحسبة في الاسلام طبع المكتبة العلمية- القاهرة. ص١٦-١٩

(٨) الاحتكار: معناه ان يشتري وقت الكثرة لرخص الاسعار وخزنه لبيعه وقت القلة ليزداد ثمنه.

(٩) صقر: دور الدولة في الاقتصاد الاسلامي (مجلد الاقتصاد الاسلامي) مكة المكرمة ١٤٠٠هـ ص٦٠

(١٠) القرشي: معالم القربة في طلب الحسبة ص٦٦٢

(١١) ابن تيمية: الحسبة في الاسلام ص٢٧

(١٢) محي الدين طربزوني: النظام المالي الاسلامي حـ٢ ص١١٠ بحث ضمن مجلد ندوة النظم الاسلامية الرياض ١٩٨٤

(١٣) سورة التوبة آية ٢٠٥

(١٤) سورة يس آية ٣٥

(١٥) رواه البخاري واحمد بن حنبل

(١٦) رواه ابن ماجة وانظر محمد فهد شقفة (احكام العمل وحقوق العمال في الاسلام) دار الارشاد بيروت ١٩٦٧

(١٧) سورة آل عمران آية ١٩٥

(١٨) محمد شوقي الفنجري: المذهب الاقتصادي في الاسلام (مجلد الاقتصاد الاسلامي) مكة المكرمة ١٤٠٠هـ ص ١٠٠

(١٩) سورة التوبة اية ٦٠

(٢٠) سورة البقرة آية ٨٣

(٢١) الفنجري: المذهب الاقتصادي ص١٠٣

(٢٢) صقر: الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومرتكزات ص٥٠

(٢٣) المصدر السابق نفسه ص٥٢

(٢٤) صقر: الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومرتكزات ص٥٣

(٢٥) الفنجري: المذهب الاقتصادي في الاسلام ص٩٢

(٢٦) المصدر السابق نفسه ص٩٥

(٢٧) حسن عمر بلخي: الاقتصاد الاسلامي (مجلد الاقتصاد الاسلامي) مكة المكرمة ١٤٠٠هـ ص ١٤٦

(٢٨) حسن عمر بلخي: الاقتصاد الاسلامي ص ١٤٧.

(٢٩) سورة التوبة اية ١١٣.

(٣٠) سورة النساء اية ٧.

(٣١) مناع خليل القطان: مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي ومجلد الاقتصاد الاسلامي مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ١٣٩.

(٣٢) الفنجري: المذهب الاقتصادي في الاسلام ص ٨٧.

(٣٣) انظر فتاوى ابن تيمية طبع مكتبة المعارف- الرباط- المغرب جـ ٦ ص ٥٨.

(٣٤) محمد المبارك: نظام الاسلام الاقتصادي مجلد الاقتصاد

الاسلامي – مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ٧٢.
(٣٥) سورة التوبة آية ٢٩.
(٣٦) الماوردي: الاحكام السلطانية ص ١٤٣.
(٣٧) الطبري: اختلاف الفقهاء ليدن ١٩٣٣ ص ١٩٩، ابن سلام: الاموال، نشر كلية الأوليات الازهرية – القاهرة ص ٣٣.
(٣٨) ابن قيم الجوزية احكام اهل الذمة دمشق ١٩٦١ ص ٢، الصولي: أدب الكتاب طبع بغداد ص ٢١٤.
(٣٩) ابن سلام: الاموال ص ٥١، ابو يوسف: الخراج القاهرة ١٣٨٢ هـ ص ١٢٢.
(٤٠) الصولي: ادب الكتاب ص ٢١٤.
(٤١) ابن قيم الجوزية احكام اهل الذمة ص ٢٨.
(٤٢) ابن آدم: الخراج القاهرة ١٣٤٧ هـ جـ ١ ص ٩.
(٤٣) الخراج: مصطلح عربي الاصل بمعنى (خراج الارض) وقد استعارها الفرس والروم من مفردات العرب الشائعة في العراق والشام واحتفظ العرب بكثير من تفاصيل النظام القديم في حياتها (دائرة المعارف الاسلامية ومادة خراج جـ ١ ص ٨٠ وما بعدها).
(٤٤) لويس معلوف المنجد بيروت ١٩٣٧ ص ١٦٩، الرافعي المصباح المنير القاعدة ١٩٢٨ جـ ١ ص ٢٢٧
(٤٥) ابن سلام الاموال ص ١٥، البلاذري فتوح البلدان ص ٣٩، قدامة: الخراج وصناعة الكتابة ص ٢٢٣ وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٨١.
(٤٦) المصدر السابق نفسه ص ١٢.
(٤٧) الدوري: النظم الاسلامية بغداد ١٩٥٠ ص ١٠٢.
(٤٨) ابن سلام الاموال ص ١٥.
(٤٩) الكاساني: بدائع الصنائع مصر ١٣٢٨ هـ جـ ٢ ص ٥٨.
(٥٠) ابو يوسف الخراج ص ٤٤.
(٥١) الجريب يساوي ١٣٦٦ متراً مربعاً.
(٥٢) القفيز يساوي ٢,٧٥١ كغم (اديب الخراج في الدولة الاسلامية مصر ١٩٦٩ ص ٢٧٧).
(٥٣) الكاساني بدائع الصنائع جـ ٢ ص ٦٣.
(٥٤) ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار المطبعة العثمانية ١٣٢٤ هـ جـ ٣ ص ٣٦٥.
(٥٥) الماوردي الاحكام السلطانية ص ١٤٣ – ١٤٤، ابو يعلى الاحكام السلطانية القاهرة ١٩٣٨ ص ١٥١.
(٥٦) فيصل السامر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب بغداد ١٩٧٠ جـ ١ ص ٣٢٥.
(٥٧) ابن خرداذبة: المسالك والممالك بريل ١٨٨٩ م ص ٩٤.
(٥٨) السامر: الدولة الحمدانية جـ ١ ص ٣٣٢.
(٥٩) سورة البقرة اية ٨٣
(٦٠) سورة المعراج اية ٢٤ – ٢٥.
(٦١) سورة التوبة اية ١٠٣.
(٦٢) سورة التوبة اية ٦٠.
(٦٣) الفنجري: المذهب الاقتصادي في الاسلام مجلد الاقتصاد الاسلامي مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ١٠٣.
(٦٤) ابن ادم: الخراج ص ١٧.
(٦٥) سورة الحشر آية ٧.
(٦٦) ابن ادم: الخراج ص ١٧.
(٦٧) سورة الانفال آية ٤١.
(٦٨) ابو يوسف الخراج ص ٢٤ – ٢٥.
(٦٩) المصدر السابق نفسه ص ١٣٤ – ١٣٥.
(٧٠) ابن سلام، الاموال ص ٥٣٣، ص ٥٣٨.
(٧١) ابن قيم الجوزية: احكام اهل الذمة ص ١٦١.
(٧٢) المصدر السابق نفسه ص ١٦٧.
(٧٣) الماوردي الاحكام السلطانية ص ١٨٣.
(٧٤) ابو يوسف، الخراج ص ٢٣ – ٢٤.
(٧٥) ابن طباطبا: الفخري في الاداب السلطانية طبع القاهرة ص ٢٠٦.
(٧٦) المسعودي: مروج الذهب القاهرة ١٩٥٨ جـ ٢ ص ٢٧٩.
(٧٧) بندلي جوزي: من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام القدس ١٩٢٨ القاهرة ١٩٥٨ ص ٤٢.
(٧٨) ابن الجوزي: مناقب بغداد، بغداد ١٣٤٢ هـ ص ١٣.
(٧٩) اليعقوبي: البلدان، ليدن ١٨٩٢ م ص ٣٠.
(٨٠) الطبري: حوادث سنة ٢٢٧ هـ.
(٨١) ادم متز: الحضارة الاسلامية بيروت ١٩٦٧ جـ ١ ص ١٨٩.
(٨٢) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي بيروت ١٩٧٤ ص ٢٠٢ – ٢٠٤.
(٨٣) المقريزي: شذور العقود في اخبار النقود الاسكندرية ١٩٣١ ص ٣٠
(٨٤) معيد علي الجارحي: النظم المالية الاسلامية جـ٢ ص٢٣ بحث في مجلد وقائع ندوة النظم الاسلامية – الرياض
(٨٥) المقريزي: شذور العقود ص٣٢
(٨٦) محمد باقر الحسيني: تطور النقود العربية ص٤١
(٨٧) المقريزي: شذور العقود ص٣٢
(٨٨) البلاذري فتوح البلدان نشر مكتبة النهضة المصرية ص٤٧٣
(٨٩) البلاذري: فتوح البلدان ص٤٧٣
(٩٠) المقريزي: شذور العقود ص٣٣
(٩١) الماوردي: الاحكام السلطانية ص١٤٨
(٩٢) ابن سلام: الاموال ص٤٦٦
(٩٣) المقريزي: شذور العقود ص٤ – ٦
(٩٤) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ص٢٠٥
(٩٥) رفيق المصري: الاسلام والنقود ص٢٧ – ٢٨
(٩٦) الكرملي: (النقود العربية وعلم النميات ص ١٢٢) القاهرة ١٩٣٩ ص ١٢٢.
(٩٧) ياقوت: معجم البلدان بيروت ١٩٥٧ جـ١ ص٣٢٩
(٩٨) فيصل السامر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب جـ١ ص٣٤٤
(٩٩) الثعالبي: يتيمة الدهر القاهرة ١٩٥٦ جـ١ ص١٢
(١٠٠) السامر: الدولة الحمدانية في الموصل جـ١ ص٣٤٤ – ص٣٤٥
(١٠١) الكرملي: النقود العربية ص١٢٦

(١٠٢) ابن خلدون : (العِبَر وديوان المبتدأ والخبر) بيروت ١٩٦١ جـ ٤ ص٥٧١ - ٥٧٢.
(١٠٣) الدوري : النظم الاسلامية بغداد ١٩٥٠م ص ١٠٣.
(١٠٤) البلاذري : فتوح البلدان مكتبة،النهضة المصرية ص٤٨.
(١٠٥) ابو يوسف : الخراج القاهرة ١٣٨٢ هـ ص ١٤ - ١٥.
(١٠٦) اليوزبكي : تاريخ اهل الذمة في العراق مطبعة دار العلوم- الرياض ١٤٠٣هـ ص ٨١
(١٠٧) وتشمل الجزيرة ملطية وسميساط ومنبج وبالسي والانبار وتكريت والموصل وآمد. (انظر ابن حوقل : صورة الارض طبع بيروت ص ١٩٠).
(١٠٨) سهراب عجائب الاقاليم السبعة فينا ١٩٢٩ ص ١٢١.
(١٠٩) ياقوت : معجم البلدان مطبعة السعادة مصر جـ ٣ ص ٢٦٢.
(١١٠) ابو يوسف: الخراج ص٥٩.
(١١١) البلاذري: فتوح البلدان بيروت ١٩٨٣ ص ٢١٤.
(١١٢) حادي: الجزيرة الفراتية والموصل بغداد ١٩٧٧ ص٢٠٧.
(١١٣) الازدي تاريخ الموصل القاهرة ١٩٦٧ جـ ٢ ص١٥٨.
(١١٤) المصدر السابق جـ ٢ ص١٥٧.
(١١٥) حادي الجزيرة الفراتية والموصل ص٢٠٥.
(١١٦) اليعقوبي : تاريخ،بيروت ١٩٦٠ جـ ٢ ص ٢٣٤.
(١١٧) الماضيدي : دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص١٦٧.
(١١٨) قدامة : (الخراج وصناعة الكتابة) بغداد ١٩٨١ ص٢١٧.
(١١٩) الماوردي : الاحكام السلطانية البابي الحلبي - مصر ١٩٦٠ ص ١٩٠.
(١٢٠) الدوري : الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ص٩ مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٧٠.
(١٢١) الماضيدي : دولة بني عقيل في الموصل ص٦٧.
(١٢٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة القاهرة ١٩٥٥ جـ ٨ ص ٥٦.
(١٢٣) الاصطخري : المسالك والمالك القاهرة ١٩٦١ ص١٢٨.
(١٢٤) البلاذري فتوح البلدان ص ٣١١.
(١٢٥) ابن قيم الجوزية : احكام اهل الذمة دمشق ١٩٦١ ص ١٠٩ ، ابن سلام،الاموال،القاهرة ١٩٦٨ م ص ٧٠.
(١٢٦) الماوردي الاحكام السلطانية ص١٦٨ ، ابن القيم الجوزية ص١٠٨.
(١٢٧) محمد عبد الجواد : ملكية الاراضي في الاسلام ص ١٢٤.
(١٢٨) الحبيب الجنحاني : الحياة الزراعية في عصر الرسول والراشدين ص ٢٠٠ - ٢٠١.
(١٢٩) قدامة : الخراج بغداد ١٩٨١ ص٢١٨.
(١٣٠) الصابيء : الوزراء،القاهرة ١٩٥٨ ص ٣١٠.
(١٣١) التنوخي : الفرج بعد الشدة القاهرة ١٩٥٥ جـ ١ ص ١١٩.
(١٣٢) الصابيء : الوزراء ص٢٨٦.
(١٣٣) الجاحظ : البخلاء القاهرة ١٩٦٠ ص٤٩.
(١٣٤) الصابيء : الوزراء ص٣١١.
(١٣٥) ابن خرداذبه : المسالك والمالك ليدن ١٨٨٩ ص ٩٤.
(١٣٦) ابن حوقل : صورة الارض،طبع بيروت ص ١٩٤ ، السامر الدولة الحمدانية في الموصل بغداد ١٩٧٠ جـ ١ ص ٣٣٦.
(١٣٧) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي بغداد ١٩٤٨ ص٥٦.
(١٣٨) ابن حوقل : صورة الارض ص١٩٨.
(١٣٩) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل ص٢٨ ،الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ص٥٦.
(١٤٠) الماضيدي : دولة بني عقيل في الموصل القاهرة ١٩٢٣ ص١٦٣ - ١٦٤.
(١٤١) المصدر السابق نفسه ص١٦٥.
(١٤٢) المصدر السابق نفسه ص١٦٨.
(١٤٣) ابن القلانسي : زبدة الطلب في تاريخ حلب ص٢١٢.
(١٤٤) ابن الاثير : (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية) القاهرة ١٢٩٠ هـ ص٧٨.
(١٤٥) الازدي : تاريخ الموصل جـ ٢ ص٢٦.
(١٤٦) صبحي الصالح : النظم الاسلامية بيروت ١٩٥٦ ص٣٨٧.
(١٤٧) قدامة : الخراج ص٧٦٨.
(١٤٨) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ص٣٨٩.
(١٤٩) ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية مطبعة صبيح - القاهرة ص٢١٦.
(١٥٠) البيروني : الاثار الباقية عن القرون الخالية،لايبزك ١٩٢٣ ص ٣١.
(١٥١) اليعقوبي : تاريخ النجف ١٣٥٨ هـ جـ ٢ ص٤٧٣.
(١٥٢) مسكويه : تجارب الأمم مصر ١٩١٤ جـ ٢ ص٨.
(١٥٣) التنوخي : نشوار المحاضرة بيروت ١٩٧١ جـ ٨ ص١١٧.
(١٥٤) القزويني : اثار البلاد واخبار العباد طبعة كونجي ١٩٤٨ جـ ١ ص٤١٢.
(١٥٥) الخوارزمي : مفاتيح العلوم القاهرة ١٣٤٢ هـ ص٧٠.
(١٥٦) الماوردي : الاحكام السلطانية ص١٥٠.
(١٥٧) الصابيء الوزراء ص٢٣٨.
(١٥٨) الجاحظ : الحيوان بيروت ١٩٦٩ جـ ١ ص٢٤٤.
(١٥٩) مجهول : (مفتاح الراحة لأهل الفلاحة) الكويت ١٩٨٤ ص١١٨.
(١٦٠) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي بيروت ١٩٧٤ ص٦٠.
(١٦١) الازدي : تاريخ الموصل القاهرة ١٩٦٧ جـ ٢ ص٣٣٩.
(١٦٢) المقدسي : احسن التقاسيم ،ليدن ١٩٠٦ م ص١٤٥، عبدالماجود السلمان : الموصل في العهدين الراشدي والأموي ص١٠٤.
(١٦٣) ابن حوقل : صورة الارض طبع بيروت ص١٩١.
(١٦٤) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص ١٣١ ، السلمان الموصل ص١٠٤.
(١٦٥) الاصطخري : المسالك والمالك القاهرة ١٩٦١ ص٥٣، السلمان الموصل ص١٠٥.
(١٦٦) ابن حوقل : صورة الارض ص١٩٩.
(١٦٧) المقدسي : ص١٤٦ ، السلمان الموصل ص١٠٥.
(١٦٨) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٠٠ ، الاصطخري ص٥٣.
(١٦٩) الحموي : معجم البلدان بيروت ١٩٥٧ جـ ٢ ص١٠١.
(١٧٠) المصدر السابق نفسه والصفحة.
(١٧١) ابن حوقل صورة الارض ص١٩٣.

(١٧٢) السلمان : الموصل في العهدين الراشدي والأموي ص١٠٧ .
(١٧٣) المقدسي : احسن التقاسيم ص٢٣٦ ، ١٤٥ .
(١٧٤) الثعالبي : ثمار القلوب القاهرة ١٩٦٥ ص٥٣٨ .
(١٧٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب القاهرة ١٩٣٨ ص٢٨٥ .
(١٧٦) الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص٢٥٦ .
(١٧٧) المسعودي : مروج الذهب القاهرة ١٩٥٨ جـ ١ ص٢١٠ .
(١٧٨) الازدي : تاريخ الموصل جـ ٢ ص٢١٠، المقدسي : ص١٤٥ .
(١٧٩) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية دار الكتاب العربي - القاهرة جـ١ ص١٤٢
(١٨٠) السلمان : الموصل في العهدين الراشدي والاموي ص١١٧
(١٨١) العمري : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص٥٢
(١٨٢) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي الموصل ١٩٨٢ ص٤١
(١٨٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٤٥
(١٨٤) المقدسي : احسن التقاسيم ص١٤٥
(١٨٥) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص٤١
(١٨٦) الصابيء : رسائل الصابيء مصر ١٩١٦ جـ١ ص١٣٤ ، السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ص٣٤٠
(١٨٧) الازدي : تاريخ الموصل جـ٢ ص١٥٦/ السلمان : الموصل ص٨٤
(١٨٨) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي القاهرة ١٩٣٨ ص١٨٥
(١٨٩) الازدي : تاريخ الموصل جـ٢ ص١٥٧
(١٩٠) قدامة : الخراج ص٢٤٢
(١٩١) الازدي : تاريخ الموصل جـ٢ ص١٦٧
(١٩٢) ابن حوقل : صورة الارض ص١٩٥
(١٩٣) الازدي : تأريخ الموصل جـ٢ ص٢٤٨
(١٩٤) المقدسي : ص١٣٩
(١٩٥) الازدي : جـ٢ ص٣٦٣.
(١٩٦) الماوردي : الاحكام السلطانية ص٢٤٠
(١٩٧) القلقشندي : صبح الاعشى القاهرة ١٩١٣ جـ١٢ ص١٢٠
(١٩٨) ابن الاخوة : معالم القربة في احكام الحسبة كمبرج ١٩٣٧ ص٢٧
(١٩٩) الحصان : الحسبة بغداد ١٩٤٦ ص٢٦
(٢٠٠) ابن خلدون : المقدمة بيروت ١٩٠٠م ص١٩٦
(٢٠١)الصابيء : الوزراء ص٩٠
(٢٠٢) ابن منظور: لسان العرب (مادة سفتجة) جـ٢ ص٢٩
(٢٠٣) مسكويه : تجارب الامم مصر ١٩١٤ جـ١ ص٤٣
(٢٠٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك بريل ١٨٨٩ ص٩٣
(٢٠٥) المصدر السابق نفسه ص٩٥
(٢٠٦) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق روما ١٩٥٢ ص٣٨
(٢٠٧) المقدسي : احسن التقاسيم ص١٤٨
(٢٠٨) ابن خرداذبة : ص٩٦
(٢٠٩) الادريسي : نزهة المشتاق ص٣٥
(٢١٠) الحموي : المشترك وصفاً والمفترق صقعاً ص١٥٦
(٢١١) كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الاسلامية بيروت ١٩٧٢ ص٢٢٥
(٢١٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص١٥٣
(٢١٣) المقدسي : احسن التقاسيم ص١٢٠
(٢١٤) الجاحظ : الحيوان بيروت ١٩٦٩ جـ٢ ص١٢٦
(٢١٥) المقدسي : ص١٢٠
(٢١٦) الصابيء : رسوم دار الخلافة بغداد ١٩٦٤ ص٢٥
(٢١٧) الحموي : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص٣١٣
(٢١٨) ابن رسته الاعلاق النفيسة ليدن ١٨٩١ ص١٨٥
(٢١٩) فتحي عثمان الحدود الاسلامية البيزنطية جـ١ ص١٤٣
(٢٢٠) القزويني : اثار البلاد واخبار العباد بيروت ١٩٦٠ ص٣٥٤
(٢٢١) المقدسي : احسن التقاسيم ص١٣٦
(٢٢٢) ابن حوقل صورة الارض ص١٩٣
(٢٢٣) ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان طبعة دي غول ص١٣١
(٢٢٤) الجهشياري : الوزراء والكتاب مصر ١٩٣٨ ص٣٨٤
(٢٢٥) الجاحظ : التبصر بالتجارة دمشق ١٩٣٣ ص٣٣
(٢٢٦) المقدسي : احسن التقاسيم ص٢٤٥
(٢٢٧) ابن حوقل : صورة الارض ص٢١٠
(٢٢٨) الجاحظ : التبصر بالتجارة ص٣٢
(٢٢٩) ابن حوقل صورة الارض ص١٩٤
(٢٣٠) ابن سعيد المغربي : بسط الارض ص٩٠
(٢٣١) الحميري : الروض المعطار بيروت ١٩٧٠ ص ٤٨٨
(٢٣٢) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص٤١
(٢٣٣) ياسين العمري : غاية المرام ص٥٢
(٢٣٤) الصابيء : الوزراء ص٩٠
(٢٣٥) ابن منظور: لسان العرب (مادة سفتجة) جـ٢ ص٢٩
(٢٣٦) التنوخي : نشوار المحاضرة جـ١ ص٢٠١
(٢٣٧) الصابيء : الوزراء ص٨١
(٢٣٨) التنوخي : نشوار المحاضرة بيروت ١٩٧١ جـ١ ص٢٢٦
(٢٣٩) الصابيء الوزراء ص٨٩
(٢٤٠) الفيروزآبادي : القاموس المحيط جـ١ ص٣٦٥
(٢٤١) الدوري : تأريخ العراق الاقتصادي ص١٦٧
(٢٤٢) ناصر خسرو: سفرنامة بيروت ١٩٧٠ ص١٤٦
(٢٤٣) ابن منظور: لسان العرب (مادة صك) جـ٢ ص٤٥٩ ، ابن قتيبة : عيون الاخيار القاهرة ١٩٦٣ جـ١ ص٢٥٥
(٢٤٤) اليعقوبي : تاريخ النجف ١٣٥٨ هـ جـ١ ص١٢٢
(٢٤٥) الطبري : تاريخ القاهرة ١٣٢٦ هـ جـ ٩ ص ١٥٦
(٢٤٦) الصابيء الوزراء ص٢٥٧



(٢٤٧) التنوخي : نشوار المحاضرة جـ٢ ص١٩٢.
(٢٤٨) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص١٧٠
(٢٤٩) ياقوت : معجم الادباء طبع بيروت جـ٢ ص٢٤٤
(٢٥٠) المصدر السابق نفسه جـ٢ ص٢٧٢
(٢٥١) ابن منظور لسان العرب جـ٣ ص١٢٣
(٢٥٢) مسكويه:تجارب الامم القاهرة ١٩١٤ جـ١ ص٤٣
(٢٥٣) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص١٦٩
(٢٥٤) رفاعي : الاقتصاد السياسي جـ١ ص٥٦١
(٢٥٥) التنوخي : نشوار المحاضرة جـ٨ ص٢٢٢
(٢٥٦) صبحي الصالح: النظم الاسلامية ص٣٩٧
(٢٥٧) ابن قتيبة : عيون الاخبار القاهرة ١٩٦٣ جـ١ ص٢٢٥
(٢٥٨) الشيباني : المخارج في الحيل ليبزك ١٩٣٠ ص١٧
(٢٥٩) التنوخي : الفرج بعد الشدة جـ٢ ص٢٩
(٢٦٠) مسكويه : تجارب الامم جـ٣ ص١٣٨
(٢٦١) الصابيء : الوزراء ص١٨٥، ص١٨٨
(٢٦٢) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص١٢٩
(٢٦٣) المصدر السابق نفسه ص١٣١
(٢٦٤) الدمشقي : الاشارة الى محاسن التجارة الاسكندرية ١٩٧٧ ص٤٠
(٢٦٥) الحموي : معجم البلدان جـ٢ ص٤١٩
(٢٦٦) ابن حوقل : صورة الارض ص٢٠١
(٢٦٧) المقدسي : احسن التقاسيم ص١٤٥
(٢٦٨) الديوهجي : اعلام الصناع المواصلة الموصل ١٩٧٠ ص٣٩
(٢٦٩) الحموي : معجم البلدان جـ١ ص١٧٧
(٢٧٠) المصدر السابق نفسه
(٢٧١) ابن رستة : الاعلاق النفيسة جـ٧ ص١٥٣
(٢٧٢) السامر:الدولة الحمدانية في الموصل جـ٢ ص٣٤
(٢٧٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٣٨٥
(٢٧٤) الجاحظ : البخلاء دمشق ١٩٣٨ ص٢٨
(٢٧٥) المقدسي : ص١٤٥
(٢٧٦) السامر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب جـ٢ ص٣٤
(٢٧٧) ابن خلدون : المقدمة ص٣٤٢
(٢٧٨) غنيمة : الصناعات ص٥٨٢
(٢٧٩) الديوهجي : اعلام الصناع المواصلة ص١٤٧
(٢٨٠) السامر: الدولة الحمدانية في الموصل ص٣٤
(٢٨١) سعيد الديوهجي : اعلام الصناع المواصلة ص٣٦
(٢٨٢) الماضيدي : دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص١٦٩
(٢٨٣) الديوه جي: اعلام الصناع المواصلة ص٣١
(٢٨٤) البوزبكي : تاريخ اهل الذمة في العراق ص٤٣٨
(٢٨٥) المصدر السابق نفسه ص٤٤٦.
(٢٨٦) ابن حوقل : صورة الارض ص٢١٥
(٢٨٧) الجاحظ : رسائل ص١٢٦
(٢٨٨) ياقوت معجم البلدان جـ٥ ص٤١٠
(٢٨٩) ابن منظور لسان العرب (مادة حرفة) جـ٩ ص٤٩
(٢٩٠) اليعقوبي : البلدان ص١٤٨
(٢٩١) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٩
(٢٩٢) اخوان الصفا : رسائل اخوان الصفا ، القاهرة ١٩٢٨، بيروت ١٩٥٧ جـ ١ ص ٢٥٥
(٢٩٣) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص٩٣
(٢٩٤) الماوردي : الاحكام السلطانية ص٢٤٣
(٢٩٥) ماسنيون : دائرة المعارف الاسلامية (مادة صنف) جـ١٤ ص٣٥٤
(٢٩٦) الجاحظ : رسائل ص١٢٦
(٢٩٧) اليعقوبي : البلدان النجف ١٩٣٩ ص٢٥٨
(٢٩٨) الدوري : نشوء الاصناف والحرف : بحث مجلة كلية الاداب العدد الاول ١٩٥٩ ص١٤١
(٢٩٩) ماسنيون : دائرة المعارف الاسلامية (مادة صنف) جـ١٤ ص٣٥٥
(٣٠٠) اليعقوبي : البلدان ص٢٥٨
(٣٠١) الجاحظ : البخلاء دمشق ١٩٣٨ ص٥١
(٣٠٢) الجاحظ : ثلاث رسائل القاهرة ١٩٣٣ ص٢٠١
(٣٠٣) الجاحظ : البخلاء ص٥١

الحياة الاجتماعية

د . نجمان ياسين

شهدت الموصل ومنذ السنوات الاولى لتحريرها من الاحتلال البيزنطي هجرة للعديد من القبائل العربية ، فابتداءً نجد ان العرب قد جاءوها من الكوفة والبصرة واستقروا فيها وفي قراها الكثيرة[١] اضافة الى من كان يسكنها أو يجاورها من العرب ممن تعود جذورهم فيها الى حقب بعيدة ، لتتواصل هجرة القبائل العربية اليها في عصر الراشدين وتستمر الى العصر الاموي[٢] ولابد أن تتأثر الحياة الاجتماعية في الموصل بهذا التركيب القبلي ، فالاستقرار يسوده البعد القبلي[٣] وقد أفضى هذا



الأمر الى وجود تعصب قبلي كثيراً ماجرّ إلى حروب وصراعات دموية والشواهد في هذا المجال ساطعة في كتاب الأزدي– تاريخ الموصل– فقد جعلنا نقف امام اصطدام قبلي سنة ١٨٣هـ . وصراعات قبلية سنة ١٩٣هـ بين اليمانية والنزارية[٤] ويلاحظ ان هذه النزاعات كانت داخلية[٥] وانها كانت من اجل السلطة وبسط النفوذ. ولعل هذا الامر يؤدي بنا الى الاقرار بأن صراع المصالح كان يتم بين عرب احرار وموالٍ وصعاليك في صف قبلي معين. وبين نظرائهم في صف قبلي آخر[٦] بيد ان هذه المشكلات القبلية وماتحدثه من متاعب كانت ترتطم في كثير من الاحيان بمن يرفضها ويتبرأ من العصبية واعتزال الصراعات بحيث لجأ بعض العقلاء الى الابتعاد، هم وعوائلهم عن مراكز الصراع داخل المدينة. وقصدوا خارجها تفادياً للمشكلات ورفضاً لها في الوقت نفسه[٧].

وعلى الرغم من ان احد الباحثين قد سعى الى تفسير دوافع الحروب القبلية في الموصل بقوله ان «مجئ الامويين الى السلطة يعني في نظرهم– القبائل– استمرار سيادة قريش في العرب وان القبائل العربية في الموصل كانت تنتظر الفرصة المناسبة للتعبير عن هذا الموقف الذي فجرته سياسة مروان بن محمد المتعصبة للقبائل القيسية على حساب القبائل اليمانية، لتجد هذه القبائل ورؤوسها في حركة الخوارج خير تعبير عن الوقوف بوجه الخلافة الاموية[٨] إلا أننا نعتقد ان سيادة الموقف القبلي في الموصل أسبق من مجئ الامويين، ذلك اننا قد رأينا ان طبيعة الاستقرار ومنذ البداية كان قبلياً، وان هذه القبائل ومنذ فترة مبكرة كانت لها مواقفها السياسية والفكرية ولها مصالحها الاقتصادية. كما ان هذه الصراعات القبلية قد امتدت الى مابعد العصر الاموي وتحديداً في العصور العباسية والى هذا وذاك، فقد كان بين هذه القبائل من يحمل ولاءً للامويين. ومن هنا نرى ان ماذهب اليه باحث معاصر اخر بقوله: «ان المجتمع الموصلي مجتمع عربي عريق يتكون من قطاعات قبلية مختلفة منها اليمانية ومنها الربعية ومنها المضرية. وكان لكل قطاع ولاء يختلف عن الاخر، ولاشك ان بعضها كان أموياً او خارجياً او عباسياً او حيادياً لا ولاء له. وقد ضمرت هذه الميول في فترة الثورة العباسية. وهي فترة ترقب تثار فيها الاماني والآمال. لكنها مالبثت ان ظهرت بعد فترة وجيزة من تأسيس الدولة العباسية وكان المتنفس الاول لها هو الخلاف على شخصية الوالي الجديد ابن صول[٩]، يحدد جوهر الصراع بشكل سليم. ذلك الصراع المحكوم باعتبارات ذاتية وموضوعية بحيث «كانت الروح القبلية تستفحل في فترات متفاوتة، إما بسبب ضعف السلطة المركزية وعدم قدرتها على كبح جماح هذه النعرات. وإما في احيان اخرى بتحريض من السلطة المركزية او والي المدينة الذي يحابي قبيلة على قبيلة اخرى»[١٠]

ومع ان الطابع العام للحياة الاجتماعية في الموصل، قد حكم بالاعتبارات القبلية والعشائرية فان هذه الحياة قد اتسمت بالغنى والخصوبة والحيوية. فعلى مستوى تركيب الفئات الاجتماعية يرد مايشير ضمنا الى انهم يتحددون في الاغنياء والطبقة الوسطى وفي العوام من ضعاف الحالة المعاشية[١١] مع الأخذ بنظر الاعتبار وجود تداخل وتلوين بين هذه الفئات ونرى ان فئة الولاة والحكام كانت تقف في قمة الهرم الاجتماعي وكان يطلق عليها تسمية وجوه وشرفاء اهل الموصل[١٢] ويلاحظ ان هذه الفئة كانت ممتلكة لدور خاصة بها ولها حتى مقابرها الخاصة[١٣] وقصورها الواسعة الكبيرة التي شيدت منذ فترة مبكرة في العصر الاسلامي[١٤] كما عرف عنها اهتمامها بالضياع والثراء الواضح[١٥] فكان بعض الولاة يزرعون في القرى ويحصلون على مبالغ جيدة ومردود معتبر من الزراعة[١٦] وأتيح لهذه الفئة ان تضع اليد على



اموال المدينة وخراجها[١٧] .

ولابد من الاشارة الى ان الموصل قد ضمت مجاميع من الهاشميين الذين يشكلون شرف النسب لقربهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ولطبيعة دورهم في الدعوة الاسلامية[١٨] والمعروف ان للهاشميين قيمتهم الاجتماعية وامتيازاتهم الاقتصادية. وهي امور معترف بها في شتى ارجاء الامصار والمدن العربية الاسلامية.

ويلاحظ ان اهتمام فئة الحكام والولاة ببناء القصور يعود الى العصر الاموي. فقد ابتنى هشام ابن عبدالملك قصراً له بالموصل في موضع قطائع بني وائل[١٩] وكان للحر بن يوسف قصره المعروف بالمنقوشة[٢٠] كما ان فئة الولاة وارستقراطية العرب كانت معنية بالقطائع واعمار الاراضي وكان الخلفاء يمنحون بعض زعماء القبائل العربية ، الاراضي الخصبة الشاسعة[٢١]. ومن الطبيعي ان تكون هذه الفئة مهيمنة على الامور المالية بحكم ان موقعها يتيح لها هذا الامر[٢٢].

ويظهر ان فئة الفقهاء وعلماء الحديث والحفاظ كانت متميزة في الموصل ، ومنذ العصر الاموي والعصر العباسي[٢٣] ويتضح ان بعض هؤلاء الفقهاء قد نشأوا على الزهد والتدين الحقيقي والعزوف عن مغريات المادة. فقد ورد ان فتحا العابد رفض ان يتسلم عشرة الاف درهم من والي الموصل سنة ١٦٥هـ[٢٤] وان بعضهم الاخر كنخبة ابن الحجاج المحدث والفقيه والذي كان يفتي في الموصل قد أجبر على القضاء ولم يتوله[٢٥] الامر الذي يؤشر وجود حساسية معينة بين الفقيه والسلطة في حضارتنا وهو امر له مايناظره في اكثر من مرحلة وعصر تأريخي في مسيرة الامة.

ومن الواضح ان فئة رجال العلم والحديث والفقهاء في الموصل قد نالت ميزة جيدة وتمتعت بدراية في الدين وامور الشرع ، يعزز هذا ان فقهاء الموصل قد ناظروا أبايوسف القاضي الذي جاء مدينتهم مع الرشيد سنة ١٨٠هـ[٢٦] وبرزت مجموعة من فقهاء المدينة بشكل جلي ، فقد كان عبدالله بن عمرو بن عثمان بن أبي امية الموصلي محدثاً حافظاً أخذ عن سفيان الثوري وشريك وأخذ الناس عنه[٢٧] وكان الحسن بن موسى نبيلاً جليلاً ثبتاً كثير الكتاب حدّث عنه أحمد بن حنبل ويحيي ابن معين وأبو خيثمة ونظراؤهم[٢٨] ووجد بينهم من روى عن مالك بن أنس[٢٩] ومن اختار الصمت والعزلة رفضاً للاختناق الاجتماعي[٣٠] وقد عرفت المدينة ومنذ بواكير الاستقرار العربي الاسلامي فيها العديد من الشعراء والادباء ورجال القلم[٣١] وكان بعضهم يدرس في المكتب[٣٢] كما عرفت فئة الموظفين من كتاب واصحاب بريد وشرطة ومن ينظر في المظالم حينذاك[٣٣].

وعاشت فئة التجار والحرفيين في المدينة وكانت تشكل قلب اسواق الموصل التي عرفت بتعدد هذه الاسواق وتنوع اعمالها وتجارتها المزدهرة[٣٤]. والى جانب فئة الولاة والحكام والتجار ورجال العلم والموظفين عاش الموالي فئة اجتماعية متميزة في الموصل ، ويظهر انهم قد عاشوا في مناطق سكنية معينة[٣٥] ووجد بينهم من يجبي الصدقات[٣٦] ومن تولى قتال الخوارج[٣٧] كما حصل عندما وجه حمزة ابن مالك الخزاعي الى حمزة الخارجي ابا نعيم بن موسى مولى بن نصر سنة ١٦٩هـ. وقد قاتل احد الموالي في اثناء مذبحة الموصل سنة ١٣٣هـ حتى استشهد[٣٨] ويبدو ان قتل اهل الموصل كان بسبب عدم رضى اهلها عن ولاية محمد بن صول وهو مولى لخثعم اذ أرادوا من الخليفة ابي جعفر المنصور ان يولي المدينة عربياً ، ويظهر ان ضحايا المذبحة كانوا يعدون بالآلاف اذ أورد مصدر تاريخي مايشير الى قتل ١٢ ألف عربي من غير الموالي والعبيد[٣٩] وهو أمر يشير الى حجم الكارثة ويضعنا امام فئة اخرى هي فئة العبيد.

وما من شك ان هذه الكارثة التي حاقت بالموصل قد الحقت الاذى الجسيم بالمجتمع واضعفت الثروة البشرية من مختلف الفئات وهو امر له انعكاساته على مجمل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المدينة وفي خلق اوضاع اجتماعية صعبة تمثلت في وجود الارامل والايتام وتخريب الاقتصاد، ولعل ابلغ اشارة عن الدمار الذي لحق بالمدينة على كافة المستويات الاشارة التي تؤكد: «ان اسواق الموصل لم تعمر ثلاث سنين بعد قتل اهل الموصل»(٤٠) بحيث ان والي المدينة سنة ١٣٧هـ كتب الى المنصور بأمر الموصل واختلال خراجها واحوالها. فوجهه بأن يحسن الى اهلها. ويقال ان الوالي لم يرفع الى الخليفة ابي جعفر المنصور طوال ولايته الموصل درهماً(٤١) ويتضح ان النظرة السلبية كانت مقتصرة على اطراف معينة ومحددة انحصرت بالدرجة الاساس في الاوساط القبلية بحيث نجد من يرفض زواج الموالي من العربيات(٤٢) والدليل على النظرة الانسانية في التعامل مع الموالي ان الموصل قد شهدت سنة ١٤٥هـ عبدالله بن ادريس بن قادم بن قدم بن عبدالله الهمداني على قضائها. وان سنة ١٩٢هـ قد ارتنا ان علي بن صدقة بن دينار الازدي وهو مولى لآل المختار وقد تقلد ولاية الموصل من قبل الخليفة هرون الرشيد(٤٣) ولعل ارتفاع قيمة الموالي والتعامل معهم على هذا النحو يعود الى طبيعة الدعوة العباسية التي رفعت شعارات المساواة واشراك الموالي في الحياة العامة انسجاماً مع فكرة الامة الواحدة المنفتحة على كافة القوميات التي يوحدها الاسلام الحضاري وهو امر يرينا ان العباسيين قد استنهضوا المبدأ الاسلامي الاول في التعامل مع ابناء الامة على نحو متفتح وانساني عميق وبعيداً عن النظرة الضيقة المفارقة لجوهر الاسلام وثورته في حياة العرب.

ولقد اتيح للموصل ان تحيا في قلب معطيات حضارية شتى كان لها دورها الفاعل في اثراء نشاطاتها المختلفة. فقد عرفت معطيات الاشوريين. وعرفت الوجود العربي السابق للأسلام والتالي له. فضلاً عن مؤثرات أجنبية وأخرى دينية مما أهَّلَها لأن تبلور اسلوب حياة اجتماعية ثرية وعميقة الأبعاد. فكان أن تعايشت الأديان فيها بحيوية وانسانية مثلما تعايشت القوميات في ظل الاسلام الحضاري أيضاً. واذا كنا قد أشرنا الى استقرار العرب المسلمين فيها بعد التحرير فلنا ان نشير إلى ان المدينة والمصر عموماً قد عرفا المسيحية واليهودية قبل الأسلام وقبل التحرير، إذ يرد مايفيد «أن الخليفة عمر بن الخطاب عزل عتبة عن الموصل وولاها هرثمة بن عرفجة البارقي وكان بها الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود فمصرها هرثمة فأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع»(٤٤). وقد أفاد نص آخر بأن اليهود الذين أسرهم سنحاريب قد سكنوا الموصل. وكانت لهم محلة خاصة بهم(٤٥)، ويتضح ان اليهود والنصارى، كانوا يمارسون طقوسهم الدينية بحرية في أماكن العبادة، وان الدولة كانت تتدخل لتنظيم العلاقة معهم ومنع الاذى عنهم وحل المشكلات الخاصة بهم(٤٦).

كما عاش الى جانب العرب الأكراد الذين كانت لهم معاقلهم الخاصة وكانوا يقصدون المدينة للعمل والتسوق وربما المشاركة في الصراعات القبلية(٤٧). ويلاحظ ان المدينة، كانت تلفظ العنصر الدخيل الذي يثير الأرباك الأجتماعي، ففي حوادث سنة ١٣٣ هـ نقف امام تخريب اجتماعي واخلاقي قام به الجند الزنوج الذين رافقوا الحملة على المدينة حيث سعوا الى وضع اليد على الكثير من النساء العربيات، فكان ان اعترضت امرأة عربية يحيي بن محمد وقالت له:

«أما أنت من بني هاشم؟ أما أنت ابن عم رسول الله ﷺ. أما تأنف للعربيات المسلمات أن تنكحوهن الزنج؟ وكان معه قائد في أربعة الاف



زنجي ، فأمسك عن جوابها ، ثم أمر بها فبلغت مأمنها ، وأنف من كلامها ، فلما كان من غد أمر منادياً فنادى في الزنج أن يجتمعوا عند جبّة الحَبْحاب للعطاء ، وكانت المياه تجتمع إليها . وأمر يحيي بن محمد قواده من الخراسانية وغيرهم إذا اجتمع الزنج أن يضعوا عليهم بالسيوف . فقتلوا — فيما ذكروا — أجمعين »[٤٨] . ومع تحفظنا على عدد الزنج وشكنا في هذه المذبحة الجماعية ، فأننا نستطيع ان نتبين من ذلك حصول اعتداء من الزنج على النساء العربيات المسلمات وان العقوبة قد نزلت بالمعتدين ، ونرجح ان الذين تمت تصفيتهم من الزنج كانوا ممن اعتدوا على اعراض النساء وأحدثوا هذا المأزق الاجتماعي والاخلاقي .

ويلاحظ ان طبيعة الاستقرار في المدينة قد إتسمت بالتحضر ، وان كنا نجد تداخلاً بين سكان المدينة المتحضرين وسكان القرى والأرياف حيث نقف امام انتشار القبائل العربية في قرى الموصل ، فربيعة مثلاً بقبائلها كانت اهل خيل وغنم وإبل وقد سكنت نواحي الموصل[٤٩] وكانت للعديد من القبائل ضياعها في القرى الزراعية[٥٠] وهي عموماً من الأراضي الواسعة[٥١] وقد عرف عن بعض ولاة الموصل امتلاكهم للقرى والضياع[٥٢] ووصل الأمر ببعض الولاة ان امتلك العديد من القرى الزراعية[٥٣] وكان يطلق على سكان الريف تسمية «أهل القرى»[٥٤] تمييزاً لهم عن سكان المدينة المتحضرين ، ونعتقد أن أهم تأثير لأستقرار وانتشار العرب في قرى الموصل . يتجسد في تعميق وترسيخ التعريب من جهة ونشر الأسلام من جهة أخرى ، ولا يخفى ان العمليتين تترافقان أحياناً وتسبق إحداهما الأخرى في احيان أخرى .

ويبدو أن سعة وأهمية هذه القرى الزراعية قد أملت وجود عمال مسؤولين عن حساباتها التي يجب ان تكون دقيقة وعادلة وإلاّ نالهم غضب الخليفة في بغداد[٥٥] اضف الى ذلك ان الدولة تصادر أحياناً ضياع وقرى وأملاك الخارجين على السلطة كما فعل المأمون حين صادر اموال آل زريق بن علي ومنحها لواليه على الموصل الذي اتّسم بخلق عربي نبيل ورد القطائع والأموال الى اهلها من آل زريق[٥٦] .

كما الجأ الظلم المسلط على أهل القرى في المصادرة والشدة في الضرائب من قبل الدولة بعضهم الى الهجرة ، اذ نجد رحيل مجاميع إلى اذربيجان بعد تعرضهم للشدة ومصادرة الأرض[٥٧] ولنا أن نشير الى ان بعض هذه القرى كانت تتعرض لهجوم الخوارج ، مما يدفع بالفلاحين الى الامتناع عن دفع الضرائب للدولة والاحتجاج بأن المحاصيل قد دمرت نتيجة الهجوم ، مع ملاحظة ان الخوارج كانوا يجبون الضرائب والدولة تطالبهم بها في الوقت نفسه ، الأمر الذي يلحق الأذى بهم[٥٨] .

ويرد ذكر الأعراب ويقصد بهم البدو وهم يختلفون عن اهل القرى المستقرين ، اذ أن التجوال والتنقل سمتهم الأساس . فثمة اشارة تفيد بخروج الحسن بن صالح ليطالب بصدقات الأعراب[٥٩] وكان بعضهم يقصد المدينة ويتكسب بالشعر في مدح الوالي[٦٠] كما وجد بين هؤلاء واولئك من الفئات الأجتماعية مجموعة من صعاليك الموصل الذين يعيشون على السلب والغارة والذين عرفوا بالأقدام والفتك[٦١] ولابد من الأشارة الى ان المدينة مفتوحة مستقراً حضرياً لأهل القرى من جهة وللأعراب من جهة أخرى ، كما ان القرى والأرياف مؤهلة لاستقرار اهل المدينة من المزارعين وزعماء القبائل وللأعراب في الوقت نفسه ، مما يشير الى انفتاح دائرة الأستقرار داخل او خارج المدينة سواء في الريف او البادية .

وفي ظل هذا المجتمع العربي الذي أثرت فيه القيم القبلية ، نشأت ممارسات وألعاب تسلية مرتبطة بنمط الحياة العربية ، فقد عرف عن الموصل اهتمامها الواضح بالفروسية والصيد ، حيث نجد ان عادة الصيد بارزة منذ العصر الأموي ، فقد جاء عن يحيي بن الحر بن يوسف انه كان « يركب في



غلمانه ومواليه في نحو من مائة فارس ومعه الفهودة والصقورة والبزاة»[٦٢] وقد كان الناس يخرجون الى «الصيد في بوادي الجزيرة ووديانها في فصلي الخريف والربيع لاعتدال المناخ فيها، والى الجهة الشرقية في الصيف والربيع حيث تكثر الحيوانات والطيور، وقد استعان أهل الموصل بالجوارح في صيدهم. واعتنوا بالبزاة والصقور وكلاب الصيد والنمور والفهود وغيرها[٦٣] وترافق مع هذا انتشار العاب الفتوة في الموصل، ومنها صيد طيور الواجب- الطير الجليل- بالبندق- جلاهق- وهي كرات تتخذ من الطين وترمى بواسطة القوس او بالسبطانة وهي خشبية مستطيلة مجوفة الداخل، يقذفون منها البندق»[٦٤].

ويتضح ان اهل الموصل كانوا معنيين بالفروسية منذ فترات الاستقرار المبكر، فقد عرفت المدينة بوجود فرسان يمتلكون المراس في رعاية وتربية الخيل[٦٥] ويرد مايفيد بأن الامويين وبني حمدان وبني عقيل قد اهتموا بتربية الخيل والتركيز على الفروسية والجهاد[٦٦] وقد وصل اهتمام الحمدانيين بالخيل والفروسية حداً كبيراً، دفع ببديع الزمان الهمداني ان يضع - المقامة الحمدانية - التي ابرزت اهتمام سيف الدولة الحمداني بتربية الخيل والعاب الفروسية[٦٧] أضف الى ذلك ان نور الدين محمود كان يشجع اعمال الفروسية ولعب الكرة ويرى ضرورة تدريب الجيش باستمرار وتدريب الخيول معاً كي يعدهم للجهاد وكي لايركنوا الى التراخي والكسل[٦٨] وأولع اهل الموصل بلعب الشطرنج والنرد إذ كانوا «يرون من لوازم الدار أن يكون فيها: خزانة الكتب والحمام والنرد والشطرنج والبستان. ولم تخل دواوين الشعراء من وصف النرد والشطرنج بين محبذ ومتذمر منها»[٦٩].

واشتهر اهل الموصل بخروجهم الى الطبيعة في الربيع حيث كانوا يقصدون ظاهر المدينة وسهولها ويضربون لهم خياماً وسط الأعشاب وقصيل الشعير والاماكن الخضراء[٧٠] كما عرف عن اهل الموصل انهم كانوا يقصدون شارع النهر برفقة عوائلهم في المساء ترفيهاً عن النفس واقتراباً من الطبيعة اذ كان الشارع مورقاً مشجراً ومطلاً على النهر[٧١] ويظهر ان وسائل التسلية كالغناء والتمثيل كانت واضحة في الموصل إذ «يقال ان الموصل قد عرفت مجموعة من الفتيان المشهورين بالغناء وان ابراهيم الموصلي ١٢٥ - ١٨٨ هـ قد أخذ الغناء عنهم»[٧٢].

أما التمثيل الذي أطلق عليه اسم- خيال الظل- وكان يضم معالجة ونقداً للظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال السخرية. فيبدو أن الموصل صاحبة الريادة فيه، ذلك ان من أوجده هو إبن دانيال ت ٧١٠ هـ حيث عدّ «من ابرز الممثلين العاملين في مسرح خيال الظل وكان فناناً شمولياً يكتب النص ويضع موسيقاه ويعين ازياء الشخصيات بنفسه، ويشترك في الأداء والتمثيل ويقوم بالاخراج والاشراف على كامل العمل». ويتضح ان ابن دانيال قد نقله الى مصر بعد نكبة الموصل على ايدي التتر[٧٣].

اما الأعياد فمن المؤكد أن وجود عدة أديان في المدينة كانت تعني احتفال اصحاب كل دين بأعيادهم الخاصة وبمناسباتهم الدينية[٧٤]، وهي اعياد معروفة وخاصة بكل ديانة.

ويلاحظ ان اهل الموصل قد اهتموا ببناء القصور وإيلاء بيوتهم عناية واضحة، وقد أوردنا سابقاً عناية العديد من الولاة والحكام ببناء الدور. ولعل استخدام الخليفة ابي جعفر المنصور لأصحاب الخبرة من اهل الموصل في البناء عند بناء بغداد مايؤشر قيمة وكفاءة اهل الموصل في هذا المجال[٧٥].

ولقد اتجه الفتيان من اهل الموصل الى الأديرة التي انتشرت في العديد من أرجائها في الداخل والخارج، طلباً للراحة والمتعة. وكانت هذه الأديرة ذات جاذبية للولاة والحكام والشعراء بما توفرت عليه من جمال في الطبيعة ويسر في الحياة الاجتماعية[٧٦].



وفي المجال الصحي عرفت الموصل بتوفر بيئة طبيعية صحية حيث ذهب بعضهم الى القول ان «من أقام بالموصل عاماً ثم تفقد قوته وجد فيها فضلاً»[٧٧] ويبدو انها قد ضمت في ظل احدى فتراتها ثلاث مارستانات – مستشفيات – توزعت في داخل المدينة وخارجها ووقعت احداها على نهر دجلة[٧٨] ويذهب باحث معاصر الى ان الموصل قد عرفت مارستاناً خاصاً بمعالجة المجانين[٧٩] كما يرى الباحث نفسه «ان المعالجة في المارستان بلا ثمن، يدخله المريض فتجري عليه الفحوص اللازمة ثم يقدم له الدواء من صيدلية المارستان. واذا احتاج ان يكون تحت اشراف الطبيب ينام في المارستان ويجري عليه الطعام والدواء والشراب وكل مايحتاجه المريض. وفي المارستان الأطباء والفصادون والكحالون والمجبرون وغيرهم من الخدم والفراشين والطباخين»[٨٠].

كما كان اهل الموصل يقصدون حمام العليل للنزهة والاستحمام وسعياً وراء الشفاء من الأمراض الجلدية[٨١] ويقصدون (عين كبريت) (والعين البيضاء) للاستشفاء من الأمراض الجلدية، وربما قصدوا عين يونس ليغتسلوا بمائها الذي كانوا ينظرون إليه على انه ماء مبارك[٨٢] لقد وصف الموصل من حيث بناؤها وحماماتها وحياتها الاجتماعية والحضارية اكثر من جغرافي، اذ أورد ابن حوقل عنها بانها «مدينة أبنيتها بالجص والحجارة، كبيرة غنّاء وأهلها عرب، ولهم بها خطط. وأكبرهم نافلةُ الكوفة والبصرة، وكانت من عظيم الشأن بصورة أكابر البلدان، بها لكل جنس من الأسواق الأثنان والأربعة والثلاثة مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد. وفيها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات مادعت اليها سكان البلاد النائية فقطنوها وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من أسباب النتاج والسائمة[٨٣] ووصفها المقدسي بقوله: «بلد جليل، حسن البناء، طيب الهواء، كثير الملوك والمشايخ، لايخلو من اسناد عال، وفقيه مذكور، منها ميرة بغداد، وإليها قوافل الرحاب ولها منازه وخصائص. وثمار حسنة، وحمامات سرية ودور بهية. ولحوم جيدة وامور جامعة»[٨٤] ومن خلال هذين النصين يتضح ان الموصل قد تمتعت بميزات حضارية بارزة، الا أن مايهمنا الان هو مسألة البناء فيها والذي كان بالجص والحجارة وعرف بالجودة. ومايهمنا أيضاً الحديث عن الحمامات فيها، فقد أقر صاحبا النَّصّيْن بكثرتها وجودتها في الموصل. ويظهر أن هذه الحمامات كانت مزدهرة في العصر الأموي ومنتشرة في أرجاء المدينة[٨٥] كما وجدت الحمامات في الدور الخاصة أيضاً[٨٦] وقد ورد مايشير الى وجود ٢٠٠ حمام للرجال و ٢٠٠ حماماً للنساء، وعشرة حمامات خاصة بالبنات فقط[٨٧] ولا نعرف سبب تخصيص حمامات للبنات وعزلهن عن النساء.

ومن المهم الأشارة الى ان الموصل قد ضمت اكثر من خان وفندق لتقديم الخدمات الاجتماعية[٨٨] وكانت معروفة منذ العهد الأموي والعباسي، كما وجدت فيها المساجد والجوامع التي كان بعضها ينسب الى شيوخ القبائل[٨٩] أضف الى ذلك ان الموصل قد عرفت جسراً متحركاً وبعض المعابر استخدمت على النهر[٩٠] وكان بالموصل وسط دجلة مطاحن قائمة في وسط الماء، موثقة بالسلاسل الحديد في كل واحدة منها أربعة أحجار تطحن، وهي من الخشب والحديد وربما دخل فيها شيء من الساج»[٩١] وقد ذكروا أن هشاماً بن عبد الملك قد وقف هذه الأرحاء على نفقة نهر الحر بن يوسف ومايحدث فيه[٩٢] من خلال ماتقدم يتضح لنا ان البنية الاجتماعية للمدينة كانت قبلية ابتداءاً وان هذا الأمر قد أثر في الناحية الاجتماعية، مع الأنتباه الى ان التطور التاريخي كان يخفف او يذوب بعض الاتجاهات القبلية بحيث ان الظروف والاحوال الجديدة، قد

أملت ممارسات اجتماعية جديدة لاتتفق مع قيم البناء العشائري فضلاً عن ان العمق الحضاري للقوميات والاديان المختلفة في الموصل قد أثر في الحياة الاجتماعية وجعلها خصبة ومتنوعة.

(١) الطبري، تأريخ الطبري القاهرة ١٩٦٣، جـ٤، ص١٦١
(٢) انظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي بيروت ١٩٦٠، جـ٢ ص٢٧٢؛ البلاذري، فتوح البلدان بيروت ١٩٧٨ ص٣٢٧، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٣/ ٤٠١
(٣) الأزدي، تاريخ الموصل القاهرة ١٩٦٧ ص٩١
(٤) المصدر نفسه ص٢٩٦، ٣١٣، ٣١٥
(٥) المصدر نفسه، ص٣٢٢، ٣٣٢
(٦) المصدر نفسه، ص٣٤٥
(٧) المصدر نفسه، ص٣٤٥، وانظر: ص ٣١٣
٨- السلمان عبد الماجود أحمد السلمان. الموصل في العهدين الراشدي والاموي الموصل، ١٩٨٥ ص١٩٤.
(٩) فوزي، فاروق عمر. بحوث في التاريخ العباسي بيروت ١٩٧٧ ص١٥٥
(١٠) المرجع نفسه، ص١٦٤
(١١) الازدي تاريخ الموصل، ص٣
(١٢) المصدر نفسه، ص١٥٣
(١٣) المصدر نفسه، ص٣٣
(١٤) المصدر نفسه، ص٢٩٣
(١٥) المصدر نفسه، ص٣٠٧. ص٢٧٧
(١٦) المصدر نفسه ص٣٤٠
(١٧) المصدر نفسه ص٢٢٧
(١٨) الأزدي، تأريخ الموصل، ص٢٥١
(١٩) المصدر نفسه، ص٢٤
(٢٠) المصدر نفسه، هامش ص٢٤
(٢١) المصدر نفسه، ص١٥٨ - ١٥٩
(٢٢) انظر: المصدر نفسه، ص١٣٣
(٢٣) المصدر نفسه، ص٨١، ص٩٣، ص١٤٧، ص٢٩٥
(٢٤) المصدر نفسه، ص٢٤٦
(٢٥) الازدي، تاريخ الموصل، ص ٣٩٩
(٢٦) المصدر نفسه، ص٢٨٩
(٢٧) المصدر نفسه، ص٣٦٠
(٢٨) المصدر نفسه، ص٣٦١
(٢٩) المصدر نفسه، ص٤٢٥
(٣٠) المصدر نفسه، ص٤١١
(٣١) المصدر نفسه، ص٨٣، ٨٤، ص٩٠
(٣٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٣
(٣٣) انظر: المصدر نفسه، ص٣١٩، ٣٢٧، ٣٤٤، ٣٥٠ على التوالي
(٣٤) انظر المصدر نفسه، ص٢٤، ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٩٠، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٥١
(٣٥) الأزدي: تاريخ الموصل: ص٩١ وانظر، ص٩٣
(٣٦) المصدر نفسه، ص٢٦٨
(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٥٨
(٣٨) المصدر نفسه، ص١٤٧
(٣٩) المصدر نفسه، هامش ص١٤٨
(٤٠) الازدي، تاريخ، ص١٥٢
(٤١) المصدر نفسه، ص١٦٦
(٤٢) المصدر نفسه، ص١٥٧
(٤٣) المصدر نفسه، ص٣١٢
(٤٤) البلاذري. فتوح البلدان، ص ٣٢٧.
(٤٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٧.
(٤٦) انظر: الازدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٤، ٣٤٠، ٣٦٧.
(٤٧) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧ ابن حوقل، صورة الأرض بيروت ص ١٩٦ الازدي، تاريخ الموصل، ص ٢٠٨.
(٤٨) الازدي، المصدر نفسه، ص ١٤٩.
(٤٩) الأصطخري، المسالك والممالك القاهرة ١٩٦١ ص ٤٥.
(٥٠) انظر: الأزدي تاريخ الموصل ص ٩٢، ٩٤، ٩٦ وص ١٥٨، ١٧٢، ٢٩٣ (الهامش).
(٥١) المصدر نفسه، ص ٣٢.
(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٥.
(٥٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٢.
(٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.
(٥٥) المصدر نفسه، ص ٢١٥.
(٥٦) المصدر نفسه، ص ٣٨١.
(٥٧) الأزدي، تأريخ الموصل، ص ٢٨٧.
(٥٨) المصدر نفسه، ص ٢٧٥.
وانظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٨
فوزي، فاروق عمر، بحوث في التاريخ العباسي، ص ١٦٢.
(٥٩) الأزدي، تأريخ الموصل، ص ٣١٤.
(٦٠) المصدر نفسه، ص ٣٩٨.
(٦١) المصدر نفسه، ص ٩٠، ٩٣.
(٦٢) الأزدي، تأريخ الموصل، ص ١٥٦.
(٦٣) الديوه جي، سعيد، تأريخ الموصل الموصل ١٩٨٢ جـ ١، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.
(٦٤) المرجع نفسه، ص ٢٣٥.
(٦٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٠.
المقدسي، أحسن التقاسيم ليدن ١٩٠٩ ص ١٣٦.
وانظر عن فرسان الموصل: الأزدي، تأريخ الموصل، ص ٢٥١، ٢٦٨، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.
(٦٦) المرجع السابق، ص ٢٣٤.
(٦٧) الهمداني، المقامات، ص ١٩٦ - ٢٠٦.
(٦٨) ابن الأثير، عز الدين، الباهر، ص ١٨٦.
(٦٩) الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، جـ ١ ص ٢٣٢.



(٧٠) المرجع نفسه، ص ٢٣٦.
(٧١) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب بيروت ص ١٨٥- ١٨٦.
(٧٢) الأصفهاني- الاغاني طبعة ساسي، جـ ٥، ص ٢- ٣.
(٧٣) الديوه جي، سعيد. الموصل في العهد الاتابكي، ص ٨٨.
(٧٤) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٨.
الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٠، ٣٠، ٣٣.
(٧٥) الحميري، الروض المعطار بيروت ١٩٧٥، ص ٧٤.
(٧٦) انظر: الشابشتي، الديارات بغداد ١٩٥١ ص ١١٣- ١١٤، ص ١١٧- ١١٨،
العمري، مسالك الأبصار جـ ١ ص ٣٠١، ٣٠٥- ٣٠٦.
(٧٧) الدينوري، عيون الأخبار،مصر ١٩٦٣/ ٢١٩.
(٧٨) ابن جبير، الرحلة،تحقيق حسين نصار ص ١٨٩.
(٧٩) الديوه جي، سعيد، تأريخ الموصل، جـ ١، ص ٤٣٩.
(٨٠) المرجع نفسه، ص ٤٣٩.
(٨١) ياقوت، معجم البلدان مصر ١٣٢٣ جـ ٣، ص ٣٣٤.
(٨٢) المرجع السابق، ص ٢٣٣.
(٨٣) صورة الارض، ص ١٩٥- ١٩٦.
(٨٤) احسن التقاسيم، ص ١٣٨.
(٨٥) الأزدي، تأريخ الموصل، ص ٧٥- ١٩٧.
(٨٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
(٨٧) العمري، ياسين، منية الأدباء الموصل ١٩٥٥ ص ٦٦، علينا هنا أن نتحفظ بشأن عدد الحمامات.
(٨٨) الأزدي، تأريخ الموصل، ص ١٥٦، ص ٢٢٩، ص ١٩٧، ص ٢٥١.
(٨٩) المصدر نفسه، ص ٦٨، ص ١١٣.
(٩٠) السلمان، عبد الماجود احمد، الموصل في العهدين الراشدي والاموي، ص ٨٧- ٨٨.
(٩١) المصدر السابق، ص ٤٣.
(٩٢) الأزدي، المصدر نفسه، ص ٤٣ (الهامش).

الحياة الثقافية

معالم الثقافة العربية الاسلامية

أ. د. هاشم يحيي الملاح

تمهيد:

إن الثقافة العربية الاسلامية وما أتصل بها من مؤسسات تعليمية كالمساجد والكتاتيب ودور العلم والمدارس قد بدأت في الموصل بعد تحريرها بصورة تدريجية وأمتد ذلك لعدة قرون.

وكان نمو هذه الثقافة وتطورها في القرن الأول الهجري نمواً هادئاً لم يلفت إليه أنظار المؤرخين القدامى فلم تصل إلينا معلومات مباشرة عنه، مما جعل من المتعذر على الباحث المعاصر أن يرصد حركة هذه الثقافة. ويبدو أن ذلك كان أمراً طبيعياً لأنه ليس بإمكان المراقب الخارجي أن يلاحظ نموالبذرة في مراحل نموها الاولى.

غير أن الثقافة العربية الاسلامية في الموصل لم تلبث أن غادرت المرحلة الجنينية من نموها منذ القرن الثاني للهجرة وأخذت تفصح عن نفسها في مجالات علوم القرآن والحديث والتاريخ. ثم دخلت بعد ذلك طور النهوض والتوسع والازدهار منذ القرن الثالث وحتى نهاية الحقبة الاسلامية.

إن دراسة حركة الثقافة العربية الاسلامية في الموصل تتطلب التمهيد لها بدراسة المعالم العامة لهذه الثقافة كالترابط بين العروبة والاسلام، والتسامح مع أصحاب الديانات والثقافات الأخرى، وغير ذلك من الأمور مما ساعد على تميز الحضارة العربية الاسلامية بصفة الوحدة والتنوع.



إن الحركة الثقافية التي أزدهرت في خلال الحقبة الاسلامية في الموصل هي فرع من فروع تلك الدوحة العظيمة التي نشأت في مكة والمدينة على يد الرسول محمد (ص) وصحبه الكرام من بعده. لذا فإنه من المتعذر دراسة حركة الثقافة والعلوم في الموصل بدون الربط بينها وبين الأصل الذي نشأت عنه وتفرعت منه ثم بقيت بعد ذلك أمينة على المبادئ والقيم التي جاء بها على مدى الاجيال والعصور.

ومن ثم فإن هذا المبحث قد خُصص لمعالجة المعالم العامة للثقافة العربية الاسلامية، وموقف الاسلام من العلم والتعليم، وظهور المؤسسات التعليمية الأولى في دار الاسلام، ومدى إرتباط كل ذلك بالحركة الثقافية والعلمية في الموصل.

١. معالم الثقافة العربية الاسلامية :-

إن دراسة الثقافة العربية الاسلامية بكل جوانبها طوال الحقبة الاسلامية تشير الى وجود ترابط عضوي غير قابل للانفصام بين العروبة والاسلام وذلك لأن اللغة العربية كانت هي الاداة التي حملت العقيدة والقيم الاسلامية الى الناس كافة منذ أن نزل القرآن الكريم على الرسول محمد بن عبد الله (ص) بلسان عربي مبين[١].

وكان مما عزز الترابط العميق بين العروبة والاسلام أن حملة الرسالة الاسلامية الاوائل كانت غالبيتهم العظمى من صميم العرب وعلى رأسهم الرسول (ص).

وهكذا فقد أخذ اللسان العربي ينتشر بين الناس مع أنتشار الاسلام حتى بات كثير من الناس يعتقدون أن من أعتنق الاسلام فإنه قد أصبح عربياً. فقد ذكر الطبري أن دهاقين بخارى جاءوا الى عامل الدولة أشرس بن عبد الله يشكون إليه من أمر فرض الخراج على الناس بعد أن دخلوا في الاسلام فقالوا له: «ممن تأخذ الخراج، وقد صار الناس كلهم عرباً»[٢].

ويبدو أن من عوامل هذا الترابط العميق بين الاسلام والعروبة أن من يعتنق الاسلام من غير العرب فعليه أن يتعلم القرآن أو بعضاً من آياته على الاقل لقراءته في الصلوات الخمس، إذ لايجوز التعبد في القرآن إلا باللغة التي أنزل بها وهي اللغة العربية. أما إذا أراد المسلم ألاّ يكتفي بالحد الادنى من أمور العقيدة والدين وأتجه نحو التفقه في أصوله وأحكامه فإن ذلك يتطلب منه بالضرورة أن يسعى لتعلم اللغة العربية وإتقان فنونها المختلفة كي يتمكن من تفسير القرآن الكريم ودراسة الأحاديث النبوية والاحاطة بما يتصل بهذين المصدرين من علوم شرعية كالفقه وعلم الكلام وغيرهما.

إن ما تقدم قد جعل الشاطبي (ت. ٧٩٠هـ)[٣]، وهو من كبار علماء أصول الفقه الاسلامي يقول: «أن هذه الشريعة المباركة عربية، لا مدخل فيها للألسن الاعجمية» وذلك لأن «القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة»[٤].

ويلاحظ أنه على الرغم من أرتباط الاسلام بالعرب وباللسان العربي منذ البداية فإنه قد قام على أساس من النظرة الانسانية العامة التي تدعو الى التعارف والتعاون بين بني الانسان كافة. جاء في القرآن الكريم: «ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[٥].

إن المفهوم الذي عمل الاسلام على إشاعته عن العرب والعروبة ليس مفهوماً قبلياً أو عنصرياً وإنما هو مفهوم ثقافي يقوم على اللغة والسجايا، فمن تكلم اللغة العربية وحمل السجايا الخلقية العربية الاسلامية فهو عربي بغض النظر عن أصله ونسبه. روى إبن عساكر أن الرسول (ص) قال: «أيها الناس، إن أباكم واحد، وإن ربكم واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، إنما هي اللسان» وفي رواية «إنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي»[٦].



لقد أرسى هذا المفهوم الثقافي للعروبة الاساس المتين لاقامة أمة واحدة يتعاون فيها العرب وبقية سكان البلاد المحررة أو المفتوحة من أجل إقامة صرح الحضارة العربية الاسلامية. كما يسر هذا المفهوم الطريق لاستعراب كثير من الاقوام التي لم تكن عربية الاصول وبذلك أتسعت دائرة العروبة لتشمل كل من تكلم العربية وحمل سجايا العرب وأعتز بإنتمائه إليهم.

لقد أطلق العرب على المسلمين المستعربين في صدر الاسلام إسم الموالي لأنهم أنتسبوا بالولاء الى القبائل العربية على وفق التقاليد التي كانت قائمة في ذلك الوقت لتأكيد تلاحمهم مع العرب. وفي ذلك يقول الجاحظ: «إن الموالي أقرب الى العرب في كثير من المعاني لأنهم عرب في المدعى، وفي العاقلة، وفي الوراثة. وهذا تأويل قوله – صلى الله عليه وسلم: – مولى القوم منهم، مولى القوم من أنفسهم، الولاء لحمة كلحمة النسب، وعلى شبيه ذلك صار حليف القوم منهم وحكمه كحكمهم»[٧].

وإن مما يجدر ذكره في هذا المجال أنه على الرغم من أن العرب المسلمين قد أفلحوا في إقامة دولة مترامية الاطراف خلال حقبة وجيزة من الزمن فإنهم لم يحاولوا قسر الناس على أعتناق الاسلام أو إكتساب اللسان العربي، بل تركوا ذلك لحرية الناس وقناعتهم، فمن دخل في الاسلام من أصحاب الأديان الأخرى كاليهود والنصارى وحتى المجوس، كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين من حقوق وواجبات. أما من فضل البقاء على عقيدته منهم فإنه يكون في ذمة المسلمين وحمايتهم لا يجوز لأحد أن يعتدي عليه أو يمسه بسوء طالما أقام على العهد وأدى ما عليه من حقوق وواجبات[٨].

إن هذه النظرة الواسعة والمتسامحة في التعامل مع الناس قد ساعدت على أن تتعايش في دار الاسلام كافة العقائد والقوميات في إطار ثقافة عامة تقوم على أساس العروبة والاسلام.

في ضوء ما تقدم فقد توفرت للحضارة الاسلامية صفة الوحدة والتنوع، فهي موحدة من حيث إنطلاقها من قيم الاسلام والعروبة، وهي متنوعة من حيث إنفتاحها على كافة الثقافات التي كان لها وجود في دار الاسلام سواء أكانت تلك الثقافات ذات جذور قديمة في المنطقة أم كانت ثقافات وافدة عليها كالثقافة اليونانية والهندية وغيرها.

وقد بلغت عملية الانفتاح الثقافي ذروتها من خلال عمليات ترجمة العلوم من اللغات السريانية واليونانية والفارسية والهندية وغيرها الى اللغة العربية، التي بدأت منذ العصر الأموي وتوسعت وتنوعت في خلال العصر العباسي بفعل تشجيع ودعم الخلفاء لها بشتى السبل[٩].

٢. موقف الاسلام من العلم والتعليم:

إن التوسع في تشجيع العلم والتعليم في دار الاسلام قد جاء إستجابة لتعاليم القرآن والسنة النبوية فقد حث القرآن الكريم الناس على طلب العلم في عدة آيات نحو قوله: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»[١٠]، وقوله: «فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»[١١]، وقوله: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»[١٢].

ويبدو أن العلم الذي حثت هذه الآيات الكريمة على طلبه ليس العلم الديني فحسب، بل أنه كل «علم نافع يرفع من قدر الانسان وينمي عقله ويجعله أكثر خبرة بالحياة وأطلاعاً على أحوالها»[١٣]. وإن مما يقوي هذا المعنى الذي يحث على طلب العلم من غير تقييده بالعلم الديني قول الرسول (ص): «أطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١٤]، إذ ليس من المتوقع أن يطلب الرسول (ص) من المسلمين أن يطلبوا العلم الديني ولو بالصين. فلابد أن



المقصود من العلم هنا هو العلم بصفته العامة.

ويلاحظ أن الرسول (ص) قد عد طلب العلم في هذا الحديث وفي أحاديث أخرى فريضة على كل مسلم[15]، أي واجباً يحاسب أمام الله من يقصر في طلبه. كما رويت عنه أحاديث كثيرة لتحبب الى الناس طلب العلم نحو قوله (ص): «ما من رجل يسلك طريقاً يلتمس فيها علماً إلا سهل الله له طريقاً الى الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه»[16].

٣. وسائل التعليم :-

حينما ظهر الاسلام في مكة، كانت وسيلة التعليم الشائعة بين الناس هي السماع والحفظ. أما الكتابة فعلى الرغم من معرفة بعض الناس لها، لم تكن تستخدم إلا في تدوين بعض الامور الهامة جداً كالصحائف الدينية والوثائق والعهود والاحلاف وصكوك الدين وغير ذلك[17]. وربما كان سبب ذلك شيوع الأمية بين الناس وغلاء المواد التي تستخدم في الكتابة.

ويبدو من آيات القرآن الكريم أن من أهداف الاسلام الأساس نشر العلم والمعرفة بين الناس وبخاصة المعرفة الدينية. جاء في القرآن الكريم: «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»[18].

وإن مما له دلالة في هذا المجال أن نلاحظ أن كلام الله الذي نزل به الوحي على الرسول (ص) قد أسمي بـ «القرآن» وأن أولى الآيات التي نزلت عليه قد أمرته بالقراءة:

«إقرأ بأسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم»[19].

وقد ذكر أن القرآن الكريم قد أشار في مواضع كثيرة الى القراءة والكتابة وأدواتها من كتب وقرطاس وورق وصحف وأقلام ومداد وسجلات بحيث «وردت كلمات الكتابة ومشتقاتها في القرآن نحو ثلاثمائة مرة ونيف، وكلمة القراءة ومشتقاتها نحو تسعين مرة ونيف بأساليب متنوعة»[20].

في ضوء ما تقدم فقد حرص الرسول (ص) على اتخاذ كتاب يدونون آيات القرآن الكريم، وكان من أبرز كتابه أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وسعد بن عبيد[21].

وقد وردت أحاديث عن الرسول (ص) تنهى الناس عن كتابة ما سوى القرآن الكريم، نحو قوله (ص): «لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه»[22]. ويبدو أن سبب هذا النهي هو خشيته من أن يدخل في كلام الله ما ليس منه، فلما أمن ذلك سمح لبعض الصحابة في كتابة أحاديثه. وقد رويت عدة أحاديث في هذا المجال. منها ما روي عن عبد الله ابن عمرو قال: «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص) أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله (ص) يتكلم في الرضا والغضب، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فأومأ بإصبعه الى فيه وقال: أكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»[23]. لذا فإن أبا هريرة (رض) كان يقول «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ص) أكثر حديثاً مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كتب ولم أكتب»[24].

ويبدو أن الرسول (ص) كان يرى أن من متطلبات نشر العلم والمعرفة أن يتعلم الناس الكتابة والقراءة، لذا فإنه طلب من أسرى المشركين في معركة بدر الذين لم يكن لديهم من المال ما يفدون به أنفسهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة صبيان من أهل المدينة، وذلك لأن أهل مكة - كما يقول إبن سعد - كانوا «يكتبون وأهل المدينة لايكتبون»[25].

والحقيقة أن ما ذكره إبن سعد عن عدم معرفة أهل المدينة الكتابة فيه كثير من التعميم. وربما كان الأصوب ما ذكره البلاذري، والذي جاء فيه:



«كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان يعلمه الصبيان في الزمن الأول» . كما ذكر أن الأوس والخزرج كانوا يعدون الرجل كاملاً إذا تعلم الكتابة والرمي والعوم[٢٦] .

ويبدو أنه قد وجد في عهد الرسول (ص) كُتَّابٌ لتأديب الصبيان وتعليمهم الكتابة والقراءة ، بدليل الأحاديث النبوية التي رويت في توجيه المعلمين كيفية التعامل مع الصبيان ، نحو قوله (ص) : «أيما مؤدب ولي ثلاثة صبيان من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين»[٢٧] .

ويلاحظ أن اهتمام الرسول (ص) في تعليم الصبيان الكتابة والقراءة قد جاء في إطار اهتمامه الاساس وهو هداية الناس الى الاسلام وتفقيههم بأمور الدين. ومن ثم فقد باشر عملية التعليم بنفسه ، فكان هو المعلم الاول في المجتمع ، وقد اتخذ في مكة دار الارقم بن أبي الارقم للالتقاء بأصحابه وتعليمهم[٢٨] . فلما هاجر الى المدينة اتخذ من المسجد مركزاً لتعليم الناس وتفقيههم بأمور دينهم ، فضلاً عن توجيهه لأصحابه بأن يعلم بعضهم بعضاً[٢٩] .

وكان من أبرز الصحابة الذين عهد إليهم الرسول (ص) بمهات ذات طبيعة تعليمية مصعب ابن عمير حينما أرسله الى المدينة بعد بيعة العقبة الاولى ليقرئ أهل المدينة القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين . ويروى أنه كان قد ذهب معه الى المدينة عبد الله بن أم مكتوم «فجعلا يقرئان الناس القرآن» . في حين تشير رواية أخرى الى أن عبد الله بن أم مكتوم قد «قدم المدينة مهاجراً بعد بدر بيسير فنزل دار القراء ، وهي دار مخرمة بن نوفل»[٣٠] . كما روي أن عبادة بن الصامت كان يعلم أهل الصفة القرآن الكريم[٣١] . أما معاذ بن جبل فقد ذكر أن الرسول (ص) خلفه في مكة بعد فتحها ليفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن[٣٢] .

إن ما تقدم يشير الى أنه قد وجدت في المدينة دار تدعى «دار القراء» هدفها تعليم الناس قراءة القرآن. وربما أمكن عد هذه الدار نواة للمدرسة الاسلامية التي ظهرت بعد ذلك من أجل تعليم الطلبة أصول الدين وتفقيهم بأحكامه .

ولم يقصر الرسول (ص) اهتمامه على تعليم الرجال دون النساء فقد روي أنه طلب من الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس ، وهي من المهاجرات الاول أن تعلم زوجته حفصة الكتابة فقال لها : «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة»[٣٣] .

وإن مما له دلالة على أبعاد توجيهات الرسول (ص) التعليمية ما ذكر عن إهتمامه بتعلم بعض أصحابه اللغات الأعجمية كالفارسية والرومية والقبطية والحبشية لأغراض مراسلة الحكام الاجانب والترجمة الى العربية[٣٤] . كما روي عن زيد بن ثابت ان الرسول (ص) قال له : تعلم كتاب يهود ، فإني ما آمن يهود على كتابي ، فتعلمت في نصف شهر حتى كتبت الى يهود ، وأقرأ له إذا كتبوا إليه»[٣٥] .

وعلى الرغم من أن الهدف الأساس للرسول (ص) كان هداية الناس الى الاسلام وتفقيههم بأمور الدين فإنه قد أولى بعض الاهتمام بمعارف العرب العامة كالشعر والامثال والانساب والخطابة. وقد استغل الرسول هذه المعارف ووجهها لخدمة الدعوة الاسلامية. فقد روي أن الرسول (ص) تساءل أمام الانصار بقوله : ما يمنع الذين نصروا رسول الله (ص) بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت أنا لها. فقال رسول الله (ص) : كيف تهجوهم (أي قريش) وأنا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو إبن عمي؟ فقال : والله لأسلنك منهم كما تُسل الشعرة من العجين، فقال : إيت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك ، فكان يمضي الى أبي بكر



ليقفه على أنسابهم ، فكان يقول له : كف عن فلان وفلانة وأذكر فلانة وفلانة ، فجعل حسان يهجوهم [٣٦] .

ولم يفت الرسول (ص) الاهتمام بالمعارف العلمية التي تعنى بصحة الانسان وحياته . فقد روي أن الرسول (ص) قال : «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء» ، كما روي عنه قوله : «لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بأذن الله تعالى» [٣٧] . لذا فقد كان الرسول (ص) حريصاً على مداواة نفسه وأصحابه عند المرض . فقد روي أنه كان قد جعل لرفيدة الأسلمية خيمة في المسجد في خلال غزوة الخندق فكانت «تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين» . وكان الرسول (ص) قد قال لقوم سعد ابن معاذ حين أصيب في هذه المعركة «أجعلوه في بيت رفيدة حتى أعوده من قريب» [٣٨] .

وكان من جملة الاطباء في عهد الرسول (ص) الحارث بن كلدة وأبو رمثة رفاعة بن يثربي . وقد أشير الى أن الرسول (ص) كان ينصح بالرجوع إليهما للعلاج [٣٩] .

وهناك رواية عن هشام بن عروة توضح مدى إستيعاب عائشة أم المؤمنين لتوجيهات الرسول (ص) الثقافية ، جاء فيها : «كان عروة يقول لعائشة رضي الله عنها : يا أُمَّتاه لا أعجب من فقهك ، أقول : زوجة رسول الله (ص) وإبنة أبي بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس ، أقول : إبنة أبي بكر ، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس ، ولكن أعجب من علمك بالطب ، قال : فضربت على منكبه : أي عُرَيَّة ، إن رسول الله (ص) كان يسقم عند آخر عمره ، أو في آخر عمره ، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الانعات فكنت أعالجها فمن ثمّ» [٤٠] .

وهكذا نلاحظ أن الرسول (ص) قد وضع في حياته قاعدة الانطلاق للثقافة العربية الاسلامية بأبعادها الفكرية ومؤسساتها التعليمية المتنوعة . فلما جاء عهد الخلفاء الراشدين ، واصلت هذه الثقافة إنطلاقها وتوسعها وبخاصة وان هذا العهد قد شهد أمتداد الدولة العربية الاسلامية وتوسعها فأصبح ضمن حدودها بعض الأقاليم التي كانت موطناً للحضارة منذ أزمان بعيدة كالعراق والشام ومصر وغيرها .

وكان من جملة المدن التي دخلت في هذه المرحلة ضمن إطار الدولة العربية الاسلامية مدينة الموصل ، حيث تم تحريرها من التسلط البيزنطي على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حوالي سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م [٤١] .

٤ . مدينة الموصل والثقافة العربية الاسلامية :

من المعروف أن الاقوام التي سكنت الموصل وما حولها قبل الاسلام كانت من شعوب شبه الجزيرة العربية التي خرجت منها على شكل موجات متتالية كالآشوريين والآراميين والعرب . ومن ثم فقد كانت تشد هذه الاقوام بعضها الى بعض أواصر متنوعة كوحدة الأصل والثقافة والبيئة وغيرها .

وقد ساعد هذا الواقع جيوش التحرير العربية في تحقيق أهدافها بتحرير تكريت والموصل من تسلط الروم البيزنطيين وقبول الكثير من أبناء القبائل العربية التي كانت تسكن المنطقة للعقيدة الاسلامية بسهولة ويسر. فقد ذكر الطبري أن أبناء قبائل تغلب وأياد والنمر الذي كانوا حلفاء للروم البيزنطيين قد أرسلوا ممثلين عنهم الى قائد جيش المسلمين الذي حاصر تكريت من أجل تحريرها حيث «سألوه للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد أستجابوا له» ثم لم يلبثوا أن أعلنوا أسلامهم وتعاونهم مع جيش المسلمين لتحرير تكريت ثم التوجه منها الى الموصل لتحريرها . وبذلك تم للمسلمين تحرير هاتين المدينتين من دون تضحيات كبيرة في الأرواح [٤٢] .

وقد ذكر الطبري أن أهل الموصل قد أستقبلوا قوات التحرير العربية بصورة إيجابية حينما دعتهم



الى الصلح «فأقام من آستجاب ، وهرب من لم يستجب ، الى أن أتاهم عبد الله بن المعتم – قائد جيش المسلمين– ، فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لج وذهب ، ووفى لمن أقام ، فتراجع الهراب وأغتبط المقيم ، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة»[٤٣] .

لقد كانت الموصل في هذا الوقت مؤلفة من قلعة صغيرة على الجانب الأيمن من النهر قبالة نينوى ، فكان بها حسب قول البلاذري : «الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود ، فمصرها هرثمة فأنزل العرب منازلهم وأختط لهم ، ثم بنى المسجد الجامع»[٤٤] .

يستنتج مما تقدم أن قائد جيش المسلمين قد منح النصارى واليهود الذين كانوا يعيشون في المدينة الحماية والأمان لأنفسهم وأموالهم ، كما سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية وذلك لأن الاسلام يعدهم أهل كتاب تجمعهم مع المسلمين أمور عدة كالأيمان بالله ورسله والايمان باليوم الآخر وغيرها من المبادئ والقيم الاخلاقية .

وقد أشارت بعض المصادر الى ترحيب اليهود والمسيحيين بالمسلمين وتفضيلهم على الروم البيزنطيين الذين كانوا يحكمونهم من قبل[٤٥] . فقد أشار مار ميخائيل الكبير بطريق أنطاكية اليعقوبي في تاريخه وقد ألفه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي الى سبب ذلك بقوله : أن الله قد أرسل المسلمين من أولاد إسماعيل «إذ رأى خيانة الروم الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرتنا كلما آشتد ساعدهم في الحكم ، ويقاضوننا بلا رحمة.... لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم.....»[٤٦] كما أشار مار ميخائيل الى حياد المسلمين وعدلهم بين الطوائف المسيحية حيث «أبقوا لكل طائفة ما بحوزتها من الكنائس» مما ساعد الجميع على التمتع بالطمأنينة والتخلص من شر الروم وبطشهم وحقدهم بسبب أختلافهم عن نصارى المشرق اليعاقبة «الارذوذكس» بالمذهب[٤٧] .

إن متابعة ما أوردته المصادر والمراجع المسيحية خلال الحقبة الاسلامية تشير الى تمتع المسيحيين وغيرهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية فضلاً عن ممارسة مختلف جوانب النشاطات الثقافية والفكرية في المجتمع . وكان من أبرز رجال الدين المسيحيين الذين كان لهم حضور ديني وثقافي في هذه الفترة أيشو عياب الثاني الجدالي (ت ٦٤٥ م) وسهدونا (ت ، بعد ٦٤٩ م) وأيشو عياب الثالث الحديابي (ت ٦٥٩ م) وغيرهم[٤٨] .

ويبدو أن حكام المسلمين في هذه الفترة كانوا حريصين على تشجيع المسيحيين على ممارسة نشاطاتهم الثقافية والفكرية ، فقد ذكر ابن العبري أن يوحنا الاول أبو السدرات قد سعى الى نقل الأنجيل من السريانية الى العربية في نحو سنة ٦٤٣م وذلك على أيدي مهرة العرب المسيحيين إجابة الى طلب عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجزيرة[٤٩] .

وقد أكد مار ميخائيل الكبير أن يوحنا الاول قد «آستدعى جماعة من التنوخيين والكوفيين... الفقهاء باللغتين العربية والسريانية وأمرهم بترجمة الانجيل الى اللغة العربية وعرض ما يترجمونه على المفسرين . وهكذا عُرِّب الانجيل وقدم للامير»[٥٠] .

إن ما تقدم يشير الى أن عصر الترجمة قد بدأ منذ عهد الخلفاء الراشدين ، وهو تاريخ مبكر جداً ، ويبدو أن الصحيح أن نشاط المسلمين في مجال الترجمة قد بدأ في العهد الأموي وبخاصة وأن الحديث عن طلب عمر بن سعد بن أبي وقاص ترجمة الانجيل لايمكن أن يكون في سنة ٦٤٣ م «أواخر خلافة عمر بن الخطاب (رض)...» وذلك لأن عمر بن سعد قد تولى الامارة في العهد الأموي في حكم يزيد بن معاوية في سنة ٦٠ هـ/ ٦٧٩ م[٥١] . فلابد أن ترجمة الانجيل الى العربية قد وقعت حوالي هذا التاريخ في حالة صحة الخبر.

ويبدو أن تشجيع المسيحيين على ترجمة الانجيل



الى العربية كان بدافع نشر اللغة العربية وإشاعة إستخدامها بين المسيحيين السريان فضلاً عن الاطلاع على محتوياتها لأغراض العلم والثقافة.

ومهما يكن من أمر فإن تسامح العرب المسلمين مع أهل الذمة في الموصل وغيرها من الاقاليم الاسلامية وتشجيعهم على مواصلة نشاطاتهم الثقافية قد ساعد على آنتقال علوم اليونان في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة الى العربية من خلال عمليات الترجمة التي بدأت في العصر الأموي وتوسعت حتى بلغت ذروتها في العصر العباسي. وقد أشير الى انه «كان للسريان فيما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها وفيها آبتدأ السريان يشتغلون بفلسفة أرسطو في القرن الخامس للميلاد»(٥٢).

وأخيراً فإن الامر الجدير بالملاحظة عن معاملة المسلمين لأهل الذمة أن هرثمة حينما دخل الموصل وأراد إسكان بعض أبناء القبائل العربية فيها لم يتعرض لمنازل أهل الذمة بالمصادرة أو المضايقة بل عمد الى تخطيط أحياء خاصة لهم «فأنزل العرب منازلهم وأختط لهم، ثم بنى المسجد الجامع»(٥٣).

ويبدو أن التخطيط الذي أعتمده هرثمة في الموصل هو التخطيط نفسه الذي سار عليه المسلمون في تخطيط مدنهم فكان المسجد الجامع يشكل قلب المدينة ومركز الحياة الدينية والثقافية فيها. ثم يكون الى جواره دار الامارة ليكون مقراً للوالي وتنظيم الادارة فيها. وبعد ذلك تمتد الاسواق لاشباع حاجات الناس الاقتصادية. ثم تليها محلات سكن الناس التي نظمت على شكل سكك ودروب خاصة بكل عشيرة أو فخذ من العشائر العربية التي سكنت المدينة(٥٤).

لقد تألف سكان الموصل في البداية من أبناء القبائل العربية التي ساهمت في تحرير الموصل وهم من إياد وتغلب والنمر بن قاسط ثم توالى سكن القبائل العربية من أبناء القبائل التي أنتقلت من البصرة والكوفة في عصر الخلفاء الراشدين. ثم إستمر سكن الناس فيها في العصر الأموي والعباسي حتى غدت الموصل من كبرى مدن الاسلام(٥٥).

وكان مما عزز الوجود العربي في الموصل وما حولها أن شمال ما بين النهرين كان موطناً للقبائل العربية منذ عهد بعيد حتى أن الكتاب القدماء قد أطلقوا على هذه المنطقة منذ القرن الرابع قبل الميلاد «بيث عربايا» أي بلاد العرب(٥٦).

لقد كان من الطبيعي أن يكون لعرب الجزيرة إهتمامات ثقافية شبيهة بثقافة اخوانهم من أبناء شبه الجزيرة العربية كالأهتمام بالشعر والحكم والامثال وقصص الأيام فضلاً عن بعض المعارف العامة عن الفلك والانواء الجوية والطب وغيرها. فلما جاء الاسلام وأخذ أبناء هذه القبائل يؤمنون بمبادئه وقيمه أخذ الاهتمام بالقرآن الكريم والسنة النبوية وما تفرع عنها من علوم يأخذ مكان الصدارة في أهتماماتهم وثقافتهم.

ولابد ان الكتّاب والمسجد قد اصبحا هما المكانين الاساسيين لتعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم في الموصل خلال فترة صدر الاسلام على الرغم من انه لم تصلنا معلومات محددة عن كيفية طلب العلم في الموصل في خلال هذه الفترة المبكرة.

ويبدو ان ولاة الاقاليم كانوا حريصين في هذه المرحلة على نشر الثقافة الاسلامية وتعليم الناس قراءة القرآن وحفظه. فقد ذكر ابن سعد ان يزيد ابن ابي سفيان كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب: «ان اهل الشام قد كثروا وربلوا وملأوا المدائن واحتاجوا الى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعنّي ياأمير المؤمنين برجال يعلمونهم»(٥٧) فدعا عمر بن الخطاب (رض) خمسة من حفظة القرآن الكريم فشرح لهم الموقف ورجاهم ان يتطوع ثلاثة منهم للذهاب الى الشام فوافق كل من معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وابو الدرداء على ذلك فكانوا طلائع المقرئين وفقهاء المسلمين في بلاد



الشام. ومن المحتمل ان الصحابة الذين ذهبوا الى العراق كسعد بن ابي وقاص وابي موسى الاشعري، وهرثمة بن عرفجة في الموصل وغيرهم قد قاموا بمثل هذا الدور التعليمي ايضاً.

اما على مستوى تعليم الصبيان الكتابة والقراءة في الكتاب فيبدو ان هذا النهج قد تواصل وتوسع في خلال عهد الخلفاء الراشدين. فقد سئل انس ابن مالك: «كيف كان المؤدبون على عهد الائمة، ابي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله تعالى عنهم -؟ قال أنس: كان المؤدب له أجانة. وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماءً طاهراً فيصبونه فيها فيمحون به الواحهم. قال أنس: ثم يحفرون حفرة في الارض فيصبون ذلك الماء فينشف...»[٥٨].

ان الرواية المتقدمة تشير الى ان نظام الكتاب في تأديب وتعليم الصبيان قد اصبح في عهد الخلفاء الراشدين مؤسسة لها آدابها وتقاليدها في العمل، ومن المحتمل ان مكاتب المعلمين قد امتدت الى معظم المدن والاقاليم الاسلامية ومنها الموصل لوحدة الثقافة والتوجهات العامة في المجتمع.

في ضوء ماتقدم فقد كان من الطبيعي ان تتوسع هذه المؤسسة في العهد الاموي والعباسي ويكثر الكتاب من الحديث عن المعلمين واخبارهم. فقد أشار ابن قتيبة الى بعض الاشخاص البارزين الذي كانوا معلمين، مثل قيس بن سعد، وعطاء بن ابي رباح والكميت بن زيد الشاعر، الذي كان يعلم الصبيان في مسجد الكوفة وعبدالحميد الكاتب. كما ذكر ان الحجاج ابن يوسف الثقفي كان يعلم بالطائف[٥٩].

ويبدو ان بعض المعلمين في هذه المرحلة لم يكن يقتصر واجبهم على مجرد تعليم الكتابة وقراءة القرآن الكريم، بل كان يتجاوز ذلك الى تعليم العربية والنحو والعروض والاحاديث النبوية. فقد روي ان علقمة بن أبي علقمة مولى عائشة ام المؤمنين، «كان له مكتب يعلم فيه العربية والنحو والعروض» وكان ابو معاوية النحوي «يؤدب ولد داوْد بن علي وكان محدثاً»[٦٠] وكان الزجاج محمد بن الليث (النحوي) يعلم ولد ناصر الدولة في الموصل[٦١]:

وقد ذكر الجاحظ ان المعلمين في هذه المرحلة يمكن تقسيمهم الى فئتين، فئة المعلمين الذين يعلمون اولاد العامة في المدن والقرى، وفئة المعلمين الذين يعلمون علية القوم وابناء الخلفاء. اما الفئة الاولى فكان يغلب على افرادها قلة المعرفة وضيق النظرة بحكم طول مصاحبتهم للصبيان، لذا فقد اخذ العامة يتندرون عليهم ويصفونهم بالحمق فيقولون احمق من معلم كتاب. اما الفئة الثانية فكانت تضم بعض كبار اللغويين والادباء والفقهاء ممن أشرنا الى بعض منهم، وهؤلاء كانت لهم مكانة سامية في المجتمع وفي نظر الناس، ومن ثم لايمكن ان يقال عنهم ماقيل عن معلمي الكتاب من الفئة الاولى[٦٢]. فقد ذكر أن أبا ايوب مسلمة بن محارب الفهري كان من أئمة النحو، وقد قدم الى الموصل مؤدباً لجعفر بن أبي جعفر المنصور، وأقام بها حتى توفي[٦٣].

وقد قدم لنا محمد بن ادريس الشافعي وصفاً حياً ودقيقاً لتدرجه في طلب العلم وجانباً من معاناته في هذا السبيل والتي يمكن عدها نموذجاً لحالة كثير من طلبة العلم في ذلك الزمان.

يقول الشافعي: «كنت يتيماً في حجر امي فدفعتني في الكتاب، ولم يكن عندها ماتعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي مني ان أخلفه اذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المجلس فكنت اجالس العلماء، وكنت اسمع الحديث او المسألة فأحفظها، ولم يكن عند أمي ماتعطيني اشتري به قراطيس فكنت اذا رأيت عظماً يلوح آخذه فأكتب فيه، فاذا أمتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديماً....»[٦٤].

يستنتج من هذا الخبر ان معلمي الكتاب كانوا يتقاضون إجرة على تعليمهم للصبيان، وقد



أجاز الفقهاء ذلك وتحدثوا عن بعض احكامها. فقد روي ان سعد بن ابي وقاص «قدم برجل من العراق يعلم ابناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه الاجر...

وقال مالك: لابأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن وإن اشترط شيئاً كان له حلالاً جائزاً، ولابأس بالاشتراط في ذلك. وحق الختمة له واجب اشترطها او لم يشترطها وعلى ذلك أهل العلم ببلدنا في المعلمين»(٦٥).

كما يفهم ممن اورده الشافعي ان طالب العلم اذا اجتاز مرحلة الكتاب فان له ان يحضر حلقات العلم في المساجد ويأخذ العلم عن العلماء. وكان العلماء يرون ان «اول العلم الانصات ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر»(٦٦) اما المثل الاساس التي كان يرى العلماء ضرورة توفرها في العالم فهي ثلاثة: «لايحقر من دونه في العلم ولا يحسد من فوقه في العلم ولا يأخذ على علمه ثمناً»(٦٧).

إن ما تقدم يدل على أن العلماء لم يكونوا يأخذون أجراً ممن يتعلم عليهم في المساجد وذلك لأن التعليم في هذه المرحلة كان تعليماً حراً لا يتطلب التفرغ من الطالب والاستاذ.

ويلاحظ أن التعليم كان يستند بصورة أساس الى الذاكرة والحفظ وذلك لأن مواد الكتابة كانت غالية الثمن، وقد أشرنا الى أن الشافعي كان يكتب على العظام لأنه لم يكن يستطيع شراء القراطيس. كما أن العرب «كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك»(٦٨). لذا فقد كانوا يفخرون بحفظهم لعلومهم بدلاً من تدوينها في القراطيس. وقد أنشد أحدهم شعراً بهذا المعنى:

أستودع العلم قرطاساً فضيعه
وبئس مستودع العلم القراطيس

وقال آخر:

علمي معي حيث ما يممت أحمله
بطني وعاء له لا بطن صندوق(٦٩)

لقد ترتب على أخذ العلم عن طريق الرواية والسماع أن أصبح من الضروري للعالم حين يتحدث أن يذكر سلسلة الشيوخ أو العلماء الذين أخذ عنهم علمه وهو ما عرف بالاسناد. وبذلك أصبح وجود السند الصحيح الذي يتألف من سلسلة من الرجال الثقاة من أهم الوسائل للحكم على الثقة بالراوي وصحة أحاديثه(٧٠).

وقد أخذت أهمية السند تضعف بعد أن شاع تأليف الكتب بسبب توسع العلوم وتوافر الورق بعد منتصف القرن الثاني للهجرة، الا أن العلماء، لم يفقدوا تعلقهم بأهمية السند، وتفضيلهم الحفظ على الكتابة، وذلك لأن الحفظ والرواية يتطلبان وجود علاقة مباشرة بين التلميذ وشيخه، مما يساعد على إتقانه العلم وتشربه لروح ومنهج شيوخه الذين أخذ عنهم العلم. لذا فقد نقل عن الاوزاعي قوله: «كان هذا العلم شريفاً إذا كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه فلما صار في الكتب وذهبَ نوره وصار الى غير أهله»(٧١).

إن ما تقدم يمثل الملامح العامة التي طبعت الحركة العلمية في عموم ديار الاسلام، ولم تشذ الموصل عنها في شيء، لذا فإن البحث لم يكثر من الاشارة إليها. لذا من المفيد أن نؤكد قبل إختتام البحث الى أن الحركة العلمية في الموصل قد أنجبت علماء كثيرين وكان جل إهتمامهم في أواخر القرن الأول والثاني الهجريين يتركز على علوم القرآن والسنة، وقد طلبوا العلم بصورة أساس في حلقات المساجد عن طريق الرواية والحفظ والكتابة. وكان من أبرز هؤلاء العلماء المعافى بن عمران (ت سنة ١٨٥ هـ)، وقد وصف بأنه «فقيه الموصل، وكان ناسكاً فاضلاً... قال سفيان الثوري: المعافى بن عمران ياقوته العلماء.. وقال: أمتحنوا أهل الموصل بالمعافى بن عمران فمن ذكره بخير قلت: هؤلاء أصحاب السنة والجماعة، ومن عابه قلت: هؤلاء أصحاب البدع..»(٧٢).



وقد أشير الى أن أبا يوسف القاضي زار الموصل بصحبة الخليفة هارون الرشيد في سنة ثمانين ومائة للهجرة «فخرج إليه فقهاء الموصل، موسى بن المهاجر وسعد وعتيق وغيرهم، فسألوه وهو راكب، كالّ تعب، فأجاب فأصاب وأخطأ. قال: فلما نزل وأطمأن جالساً قال: هاتوا مسائلكم، فأجاب أحسن الجواب وأصوبه»[٧٣].

وقد ذكر الأزدي أنه كان على قضاء الموصل الحسن بن موسى الأشيب. فلما عزله المأمون «آنحدر الى بغداد يحدث فآجتمع عليه الناس فكان يتكلم في أصحاب الرأي ويذمهم. وكان الحسن بن موسى نبيلاً ثبتاً كثير الكتاب، حدث عنه أحمد ابن حنبل ويحيي بن معين وأبو خيثمة ونظراؤهم. حدثني محمد بن أحمد المقدمي. قال سمعت أحمد ابن منصور يقول: حضرت يحيي بن معين وأحمد ابن حنبل وأبا خيثمة في مجلس الحسن بن موسى الأشيب وهو يملي عليهم، وكتبوا عنه خمسة آلاف حديث إملاء..»[٧٤].

إن ما تقدم يدل على أن الموصل قد غدت منذ القرن الثاني للهجرة أحد مراكز الحركة العلمية المهمة في ديار الاسلام، وأخذ علماؤها يساهمون مع غيرهم من العلماء في إشادة صرح الحضارة العربية الاسلامية في ميادين العلم المختلفة.

وإذا كانت الحركة العلمية في الموصل قد آعتمدت الرواية والاملاء وسيلة لطلب العلم ونشره خلال القرن الاول والثاني للهجرة شأنها في ذلك شأن بقية الامصار الاسلامية الأخرى، فإنها قد أخذت منذ القرن الثالث الهجري تعتمد تأليف الكتب وسيلة أساساً لتحقيق هذا الغرض وذلك بعد آنتشار إستعمال الورق مما سهل في عملية نشر الكتب وتوزيعها بأسعار معتدلة.

ويبدو أن أقدم العلوم التي أخذ العلماء يؤلفون الكتب فيها هو علم الحديث والتاريخ. فقد ذكر أن ابن عمار الموصلي (ت ٢٤٢ هـ) قد ألف كتاباً أسماه «العلل والرجال»، وهو كما يبدو من عنوانه يتناول دراسة تراجم رجال الحديث. كما ألف أبو زكريا الأزدي (ت ٢٩٨ هـ) كتباً عدة كان من أبرزها كتاب تاريخ الموصل وكتاب القبائل والخطط وكتاب طبقات محدثي أهل الموصل وطبقات العلماء من أهل الموصل وغيرها[٧٥].

وقد تواصلت عملية تأليف الكتب في القرون التالية وتوسعت بحيث شملت جميع العلوم التي ظهرت وأزدهرت في إطار الحضارة العربية الاسلامية كعلوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ والجغرافية فضلاً عن العلوم الأخرى كالطب والفلك والفلسفة وغيرها[٧٦].

وقد واكب عملية تأليف الكتب وتشجيعها قيام أحد رجال العلم في الموصل وهو جعفر بن حمدان الموصلي (٢٤٠ - ٣٢٣ هـ) بتأسيس «دار علم» تحوي مؤلفات في مختلف العلوم وتكون مفتوحة الابواب لمن يريد دخولها والاستفادة منها. وقد أشير الى أن إبن حمدان كان يجلس في هذه الدار بإستمرار لحضور المناظرات والمناقشات التي كان يغلب عليها الطابع الأدبي وذلك لأنه كان أديباً. وقد ألف عدة كتب في هذا المجال مثل كتاب الباهر في الاختيار من شعراء المحدثين وكتاب الشعر والشعراء[٧٧].

وفي القرن الخامس الهجري قام نظام الملك بإنشاء أول مدرسة في الموصل لتدريس الفقه الاسلامي وفقاً للمذهب الشافعي. ثم توالى بعد ذلك إنشاء المدارس في الموصل حتى بلغ عددها حوالي العشرين مدرسة. وقد كان للأمراء الزنكيين أثر كبير في إنشاء هذه المدارس، وتشجيع الحركة العلمية في المدينة[٧٨].

وكان من جملة العوامل التي ساعدت على تعميق التفاعل الثقافي والفكري بين علماء الموصل وغيرهم من أبناء دار الاسلام «الرحلة في طلب العلم». فكان العلماء وطلابهم يتنقلون في طلب العلم من أقصى المشرق الى أقصى المغرب. وكانت الموصل أحد الامصار الاسلامية التي يقصدها العلماء



والمتعلمون لغرض الاستفادة وتبادل الرأي (٧٩).

لقد ترتب على مجمل العوامل الآنفة الذكر أن أزدهرت الحركة العلمية في الموصل، وبخاصة خلال القرن السادس الهجري حيث لم يبق علم من العلوم التي عرفتها الحضارة العربية الاسلامية إلا وكان لعلماء الموصل مساهمة واضحة فيه.

الهوامش

(١) سورة الشعراء : آية ١٩٥، ينظر أيضاً سورة فصلت : آية ٤٤، وسورة الشعراء : آية ١٩٨، وسورة النحل : آية ١٠٣.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مصر ١٩٦٦، ج ٧ ص ٥٥.
(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) بلا. ت، ج ٢ ص ٦٤.
(٤) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٦٤.
(٥) سورة الحجرات : آية ١٣.
(٦) تهذيب إبن عساكر، مطبعة دمشق، ج ٢ ص ١٨٩.
(٧) الجاحظ، رسائل الجاحظ، القاهرة ١٩١٤، ج ١ ص ١٢.
(٨) الطبري، تاريخ، ج ٣ ص ٣٦١- ٣٦٢، ج ٤ ص ٣٧؛ تاريخ مار ميخائيل الكبير، ج ٢ ص ١٤٦.
(٩) ماجد، د. عبد المنعم، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ص ١٠- ١٨.
(١٠) سورة الزمر: آية ٩.
(١١) سورة النحل : ٤٣.
(١٢) سورة المجادلة : ١١.
(١٣) طلس، محمد أسعد، التربية والتعليم في الاسلام، بيروت ١٩٥٧ ص ٤٥.
(١٤) إبن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، بيروت، (دار الكتب العلمية) بلا. ت، ج ١ ص ٧- ٨.
(١٥) المصدر نفسه، ج ١ ص ٧- ٩.
(١٦) المصدر نفسه، ج ١ ص ١٣.
(١٧) الأسد، د. ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، بيروت ١٩٨٨، ص ٦١- ٧٦.
(١٨) سورة الجمعة : آية ٢.
(١٩) سورة العلق : ١- ٥.
(٢٠) دروزة، محمد عزة، عصر النبي، بيروت ١٩٦٤، ص ٤٤٢.
(٢١) إبن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٥٧، ج ٢ ص ٣٥٥.
(٢٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١ ص ٦٣.
(٢٣) المصدر نفسه، ج ١ ص ٧١.
(٢٤) المصدر نفسه، ج ١ ص ٧٠.
(٢٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٢ ص ٢٢.
(٢٦) البلاذري، فتوح البلدان، بيروت ١٩٧٨، ص ٤٥٩.
(٢٧) سحنون، محمد، كتاب آداب المعلمين، الجزائر ١٩٨١ ص ٧٤.
(٢٨) ابن سعد، الطبقات ج ٣ ص ٢٤٢- ٢٤٣.
(٢٩) ابن هشام، السيرة النبوية، مصر ١٩٥٥، ق ١ ص ٤٩٤- ٤٩٦.
(٣٠) ابن سعد،الطبقات، ج ٤ ص ٢٠٥- ٢٠٦.
(٣١) الخزاعي، علي بن محمد، تخريج الدلالات السمعية بيروت، ١٩٨٥، ص ٧٩.
(٣٢) المصدر نفسه، ص ٨١.
(٣٣) المصدر نفسه، ص ٨٥- ٨٧.
(٣٤) المصدر نفسه، ص ٢١٨.
(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢١٩.
(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
(٣٧) المصدر نفسه، ص ٦٦٤.
(٣٨) المصدر نفسه، ص ٦٦٣.
(٣٩) المصدر نفسه، ص ٦٦٧- ٦٧٢.
(٤٠) المصدر نفسه، ص ٦٦٧.
(٤١) الطبري، تاريخ، ج ٤ ص ٣٦- ٣٧.
(٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٥- ٣٦.
(٤٣) المصدر نفسه، ج ٤ ص ٣٦.
(٤٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧.
(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٤٣.
(٤٦) تاريخ مار ميخائيل الكبير، ترجمة المطران صليبا شمعون نسخة مخطوطة بخط المترجم، ج ٢ ص ١٤٦ علماً بأن الكتاب قد ترجم ونشر باللغة الفرنسية.
(٤٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٤٦.
(٤٨) الأب البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، بيروت ١٩٧٠، ص ٢٦٦- ٢٨٢.
(٤٩) المرجع نفسه ص ٣٥٨- ٣٥٩، إبن سعد، الطبقات، ج ٥ ص ١٦٨.
(٥٠) تاريخ مار ميخائيل الكبير، ج ٢ ص ١٥٤.
(٥١) ابن سعد، الطبقات، ج ٥ ص ١٦٨، الطبري، تاريخ، ج ٥ ص ٣٨٩.
(٥٢) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، بيروت ١٩٦٧ ج ٣ ص ١٤٥- ١٤٦.
(٥٣) البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٢٧.
(٥٤) د. عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، البصرة، ١٩٨٦، ص ٣٤٤- ٣٥٠.
(٥٥) الطبري، تاريخ، ج ٤ ص ١٦١- ١٦٢، السلمان، عبد الماجود أحمد، الموصل في العهدين الراشدي والاموي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، كلية الآداب/ جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص ٣٦- ٤٦.
(٥٦) المرجع نفسه، ص ٣٦.
(٥٧) ابن سعد، الطبقات، جـ٢ ص٣٥٧



(٥٨) سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص٧٥.
(٥٩) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٠٤.
(٦٠) المصدر نفسه، ص٣٠٥.
(٦١) الديوه‌چي، سعيد، تاريخ الموصل، (الموصل ١٩٨٢) ج١ ص٢٠٨؛ للاطلاع على تفاصيل اوضاع الكتاب والمعلمين في الموصل يراجع عبد الجبار حامد أحمد الحياة العلمية في الموصل في عصر الاتابكة، رسالة ماجستير غير مطبوعة كلية الآداب / جامعة الموصل سنة ١٩٨٦، ص٩٥-١٠١.
(٦٢) الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة، ط٣، ج١ ص٢٤٨-٢٥٢.
(٦٣) الديوه‌چي، تاريخ الموصل، ج١ ص٢٠٨.
(٦٤) ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله، ج١ ص٩٨.
(٦٥) سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص٧٣-٧٤.
(٦٦) ابن عبدالبر، جامع بيان العلم، ج١ ص١١٨.
(٦٧) المصدر نفسه ج ١ ص ١٣١.
(٦٨) المصدر نفسه، ج ١ ص ٦٩.
(٦٩) المصدر نفسه، ج ١ ص ٦٩.
(٧٠) العلي، د. صالح أحمد، الرواية والاسانيد وأثرهما في تطور الحركة الفكرية في صدر الاسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١، مجلد ٣١، كانون الثاني ١٩٨٠ ص ١٧ - ٣١.
(٧١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ٦٨.
(٧٢) الأزدي، يزيد بن محمد، تاريخ الموصل، تحقيق، علي حبيبة القاهرة ١٩٦٧ ج ٢ ص ٣٠١.
(٧٣) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٨٩.
(٧٤) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٣٦٠- ٣٦١.
(٧٥) الديوه جي، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢١١- ٢١٣.
(٧٦) المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٠٩- ٢١٨، ٣٧٣- ٤٠٠.
(٧٧) غانم عبد الله خلف، دور الحكمة، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، بإشراف الدكتور خضر جاسم محمد، كلية الآداب / جامعة الموصل ١٩٨٢ ص ٨٩.
(٧٨) الدكتور ناجي معروف، علماء النظاميات ومدارس المشرق، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٤٨- ١٨٦، الديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١ ص ٣٤٣.
(٧٩) عبد الجبار حامد أحمد، الحياة العلمية في الموصل، ص ٨٧- ٩٣.

الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل

د. ناطق صالح مطلوب

الرحلات على اختلاف أنواعها عنصر من العناصر القوية في حياة المجتمع العربي الاسلامي، فقد رحل الناس لأداء فريضة الحج، ورحلوا في طلب العلم من بلد الى آخر، ورحلوا للتجارة، فقد كانت الأسواق على مدى رقعة العالم الاسلامي مترابطة فيما بينها، وكان التجار يحملون متاجرهم وسلعهم الى حيث تطلب وتنفق؛ فضلاً عن رحلة الرسل المترددين بين الملوك والامراء، ورحلات جوابي الآفاق الذين كانوا يستمتعون برحلاتهم الاستكشافية. كل هذه الرحلات وغيرها من النماذج الاخرى[١] عرفها العرب في قديمهم وإبان ازدهار حضارتهم، وظلت سمة من السمات الحضارية البارزة بفضل وحدة الدين، ووحدة اللغة اللتين ربطتا الحجاج وطلاب العلم والرسل السياسيين، والتجار، وأهل الصنائع، فاحتفظوا بتلك الصلة[٢] التي ظلت تمثل وحدة الامة في الفكر والهدف، متخطين حالة الافتراق السياسي بين بلد وآخر من بلدان دار الاسلام.

وتعد الرحلة في طلب العلم من أجل الرحلات وأسماها غاية بعد الرحلة الى الحج؛ ولعلم الحديث الفضل في رواجها، بل هي وليدة هذا العلم وإليه تنتمي؛ فمن المعروف ان الحديث النبوي الشريف يمثل المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، وعلى هذا فالاهتمام بدقة روايته وضبطه كان من الامور البالغة الأهمية، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يأخذون الحديث عن الرسول صلى الله عليه



وسلم ، إما سماعاً من لفظه ، أو من فعله ، او من تقريره ، او عن طريق تبليغ بعضهم بعضاً[٣] ، فكانوا يؤدون الأحاديث كما سمعوها ، ولم يتبادر الى أذهانهم الكذب او التحريف[٤] ، وهم الذين سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٥] فاحتاطوا في رواية الأحاديث بعد وفاته ، وآثروا الاعتدال في الرواية ، والاقلال منها خوفاً من الخطأ والزلل[٦] .

وكان الخليفة الصديق (رض) لايقبل الأحاديث خاصة ماتعلق منها بالأحكام إلا بشهادة صحابي آخر[٧] ؛ وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) شديد الانكار على من اكثر الرواية ، أو أتى بخبر في الحكم لاشاهد عليه ، ويأمر بالإقلال من الرواية كي لايدخلها التدليس أو الكذب[٨] ؛ وعبدالله بن العباس المتوفى سنة ٦٨ هـ كان لايأذن التحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بمجرد قول الراوي قال رسول الله : كذا ، وقال : كذا[٩] ؛ وهكذا تميزت رواية الأحاديث النبوية منذ البداية بميزتين أساسيتين :

– تحري الدقة في ضبط المتن.
– الشهادة على السماع[١٠] .

وبعد تفرق الصحابة في الامصار، وحدوث مايعكر صفو الأمة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) سنة ٣٥ هـ وما رافق ذلك من ظهور الفرق المختلفة ؛ أُتخذ وضع الحديث وسيلة لاثبات ماتدعواليه تلك الفرق ، وطريقاً لكسب العامة من الناس[١١] ، ولهذا المعنى اشار إبن سيرين المتوفى سنة ١١٠ هـ بقوله : «لم يكونوا يسالون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر الى اهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[١٢] ومن ثم فالسؤال عن الرواة والاسناد أخذ يزداد ، وأصبح شرطاً لازماً عند رواية كل حديث او خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عُد الاسناد من الدين بدلالة قول ابن سيرين نفسه : «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[١٣] وقول عبدالله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ «الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء»[١٤] .

لأجل هذا وغيره وضع علماء الحديث الشروط الدقيقة القاسية على حاملي الأحاديث النبوية ورواتها ، وقرروا الفاظاً بعينها لتعديلهم وجرحهم ، وسعوا الى الرحلة لسماع الأحاديث النبوية من أفواه الرجال الذين عرفوا بالثقة وتحري الدقة في الضبط والإداء ، وكانت رحلة بعضهم محط اعجاب الخلف والمتأخرين ، فنهم من رحل الى البلدان المختلفة ، وقطع الأيام والليالي مكابداً الكثير من المشاق في سبيل سماع الحديث ، أو سماع حديث واحد ، تفرد به صحابي من الصحابة ، او ثقة من الثقات ، والأمثلة في هذا الباب كثيرة مشهورة[١٥] . وهكذا كان مبدأ نشوء الرحلة العلمية ،وغايتها سماع الأحاديث والأخبار النبوية ، ومتابعة الثقات وشيوخ الأمصار، أعقبه تدوين ماهو مسموع ومروي في مؤلفات خصت علم الحديث ورجاله .

واقتنى آخرون الأثر، وتعددت غاياتهم واهتماماتهم ، فلم يقصروا الرحلة على طلب الحديث فقط ، وانما شملوا بعملهم أخذ جميع العلوم النقلية ، والعقلية ، وباستثناء الصنف الأخير من العلوم ، ظل الرحالة يعتمدون صيغ تلقي العلم وحمله عن الشيوخ كما قررها الجهابذة من علماء الحديث[١٦] .

وعلى أية حال فقد كانت الرحلة في طلب العلم أمراً لازماً لابد من استيفائه لمن رام المشيخة والعلو في السند ، حث عليها علماء الامة ومشاهيرهم ، بل واستصغروا حال من يكتب في بلده ولا يرحل



الى غيره[17] ، حتى قالوا : «لايُستطاع العلم براحة الجسم»[18] وبديهي ان تكون الرحلة بمعناها المعروف مسبوقة برحلة داخلية يتفرغ فيها طالب العلم لسماع شيوخ بلده والقراءة عليهم ، وحمل مؤلفاتهم ومروياتهم ، فإذا مافرغ من تلقي مافي بلده رحل الى بلد آخر.

فوائد الرحلة العلمية :

وللرحلة العلمية فوائد وميزات كثيرة يمكن اجمالها بالآتي :

١ – لقاء العلماء ، والسماع منهم ، والأخذ عنهم ، وحمل مؤلفاتهم ، ومروياتهم بطرق التحمل المختلفة ، مما يحقق للراحل فائدتين كبيرتين : أولاهما ؛ علو السند ، والثانية ؛ اتصال العلوم رواية ، أو دراية من بلد الى آخر، وما أشرنا اليه قد يتحقق ولو بدرجة ادنى عن طريق الاجازة العلمية مراسلة عند تعذر السفر لبعد الديار.

٢ – الاطلاع على خزائن الكتب ، والافادة مما حوته من مصنفات في العلوم المختلفة.

٣ – إن المشرق في نظر أهل المغرب والأندلس هو موطن العلم والعلماء ، ولذلك من الطبيعي ان تكون ثمة حركة رحلات علمية الى ديار المشرق.

٤ – وفي الرحلة مزيد كمال ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها[19] ، مما يحقق للراحل مكانة علمية ، ومعنوية لاتدانيها مكانة اخرى[20] .

الرحلة الى العراق :

قد لانبتعد كثيراً عن الحقيقة إذا ماقلنا إن أهل المغرب والأندلس كانوا من أكثر الناس رحلة وتغرباً في طلب العلم والمعرفة ؛ حتى بدت الرحلة العلمية وكأنها سمة من سماتهم ، فما من عالم من علمائهم الا وله رحلة خارج بلده قد تقتصر على بلد معين سعياً وراء شيخ ذي علم وصيت ، ومنهم من طوف البلدان ، وطوى عشرات السنين متقلباً في المدن ، ومتابعاً أهل العلم والأدب ، ومشمراً في الطلب ، ومثابراً على اللحاق بدرجات الشيوخ الحذاق ، دونما كلل او ملل ، وسيرة بعضهم تنبيء عن مقدار العناء والمشقة التي تحملوها والمسالك التي سلكوها ، مما يدل على عظيم همة وارادة تفوق الوصف والإعجاب[21] .

وكان للعراق ، وحاضرته بغداد ، ومدنه البصرة ، والكوفة ، وواسط ، والأنبار، وتكريت ، والموصل ، وسنجار وغيرها نصيب كبير من هؤلاء الراحلين ، فبغداد واحتضانها لعلوم الامة بأسرها دون منازع ، وما كانت تتمتع به من شهرة وسمعة علمية فاقت حواضر الدنيا شرقاً وغرباً ؛ وبقية المراكز العلمية ، وما عرف عن علمائها من تأصيلهم للعلوم العربية الاسلامية ، كل ذلك منح العراق ثقلاً في الحضارة الانسانية ، وجعله امتحاناً لطلبة العلم ، واختباراً لما حملوه من فنون العلوم والآداب ، واجتيازه يعد تأهيلاً للمشيخة والتصدر. ويكفي قول علماء المغرب والأندلس حجة وشاهداً لاينالة مطعن ، فحيث ماذكر العراق أو بغداد ، ذكر معها ؛ العلو والسمو، فهما جنة المغربين ومطلب النبهاء ، بها يقترن كل جليل ، ويوزن بميزانها كل علم من العلوم ، فإذا أريد وصف مدينة من بلاد المغرب او الأندلس ، وتفضيلها على ماسواها من المدن ، قرنوا اسمها بالعراق أو ببغداد.

قال ابن حزم الأندلسي : «والعراق دار هجرة الفهم وذويه ، ومراد المعارف واربابها... وبغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق اهلها الى حمل ألوية المعارف ، والتدقيق في تصريف العلوم ، ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء ، وحدة الافكار، ونفاذ الخواطر»[22] .



وقال الحجاري : «الاندلس ، عراق المغرب ، عزة انساب ، ورقة آداب ، واشتغالاً بفنون العلوم ، وافتناناً في المنثور والمنظوم ، لم تضق لهم في ذلك ساحة ، ولا قصرت عنه راحة»[٢٣] .

ووصف ابن غالب أهل الأندلس بقوله : «بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ، ورقة اخلاقهم ونباهتهم وذكائهم ، وحسن نظرهم ، وجودة قرائحهم ، ولطافة اذهانهم ، وحدة افكارهم ، ونفوذ خواطرهم»[٢٤] .

كما قال ابن سعيد في مراكش : «ويكفي في الانصاف أن اقول إن حضره مراكش هي بغداد المغرب»[٢٥] .

وقال المراكشي عند ذكره مدينة فاس : «ومازلت اسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب»[٢٦] . وكثيراً من علماء المغاربة والاندلسيين كانوا يتغنون بالعراق ، ويحمدون المقام به ايام رحلتهم وطلبهم للعلم ، ويفاخرون بما حفظوه وحملوه من علوم العراقيين[٢٧] .

وإذا ماأرادوا ان يعظموا شأن عالم من علمائهم قرنوا اسمه بعالم من علماء العراق ، وتدبجوا به ، وإن مدحوا مؤلفاً من مؤلفاتهم وزنوه بميزان مؤلف مثله في العراق[٢٨] ؛ فلا عجب أن تكون بغداد ومدن العراق الاخرى بغية الراحلين ، ومحط الطلبة منهم ، ولا أرى ضرورة في أن ننشمر في التمثيل لهم ، مما حفلت به كتب التراجم الأندلسية والمغربية خاصة ، وكتب التراجم المشرقية عامة ، واحصى المقري نخبة طيبة ممن رحل الى العراق من أهل الاندلس في كتابه الموسوم : « نفح الطيب »[٢٩] .

والموصل التي احتفظت قبل تأسيس مدينة بغداد بمقومات المدينة الراعية للعلوم والآداب ، وامتلكت إرثاً حضارياً عميق الجذور متنوع الأغراض تعزز بظهور العلوم الاسلامية ؛ غدت واحدة من اهم مراكز الاستقطاب في العالم الاسلامي ، ومحطاً لطلاب العلم والمعرفة ، وموطناً لعلماء من المدن والبلدان كافة ، وناهيك بفضل علمائها الذين رحلوا الى بلاد الشام ومصر والحجاز والمغرب والأندلس وغيرها من البلدان ، فمنهم من طال به المقام وطاب له فلم يغادر ، ومنهم من عاد الى الموصل بعد ان أفاد واستزاد ، وبلغت مكانة بعضهم من العلو والرفعة مافاق وتجاوز رفعة علماء تلك البلاد ، وليس في قولنا مايبعث على الاستفهام او الابهام ، وحسبنا الاشارة الى افراد منهم والى بعض آثارهم ومآثرهم .

في بلاد الشام ؛ كان جمع من علماء الموصل قد تنقلوا بين دمشق وحلب وبيت المقدس وغزة ، وتصدروا للتدريس في المدارس المشهورة ، وتولوا القضاء والخطبة والحكم في بعض الأماكن ومنهم :

— عبدالله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون شرف الدين ابو السعد الموصلي المتوفى بدمشق سنة ٥٨٥ هـ[٣٠] ولد سنة ٤٩٢ هـ بالموصل ودرس بها ، واخذ عن مشاهير علمائهاورحل الى واسط وبغداد ، وعاد بعلم كثير ، قال ابن الصلاح : «كان افقه اهل عصره ، واليه المنتهى في الفتاوي والأحكام وتفقه به خلق كثير»[٣١] وقال ابن خلكان : «كان من اعيان الفقهاء ، وفضلاء عصره ، وممن سار ذكره ، وانتشر أمره»[٣٢] . رحل الى حلب سنة ٥٤٥ هـ ، ودخل دمشق سنة ٥٤٩ هـ ثم تردد بين المدينتين متصدراً للتدريس فيها ، وكان مقدماً في دولة نورالدين صاحب الشام ، فبنى له المدارس بحلب وحماة وحمص وبعلبك ، وتولى القضاء في أماكن آخرها قضاء مدينة دمشق سنة ٥٧٣ هـ ، وظل على القضاء على الرغم من



اصابته بالعمى إكراماً له ، وابنه محمد ينوب عنه ، حتى وفاته . له مؤلفات متداولة لدى طلبة العلم منها : صفوة المذهب من نهاية المطلب ، والانتصار ، والمرشد ، والتيسير في الخلاف ، والذريعة في معرفة الشريعة ، وفوائد المهذب ، والتنبيه وغيرها .

ولأولاده واحفاده شهرة في بلاد الشام ، ومكانة كبيرة لدى العامة والخاصة ، وبقيتهم ذرية صالحة توارثوا العلم وأفادوا طلابه ومن بينهم : عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن ابي عصرون المتوفى سنة ٦٤٣ هـ (٣٣) وعبدالسلام بن المطهر بن عبدالله (٣٤) .

وولده : احمد بن عبدالسلام المتوفى سنة ٦٩٥ هـ (٣٥)

ويعقوب بن عبدالرحمن بن عبدالله سيأتي ذكره فيمن عرف بمصر.

وعبدالملك بن زيد بن ياسين الدولعي الموصلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ (٣٦) احد الفقهاء المشهورين بدمشق ، تولى خطابه جامع دمشق ، وتدريس الغزالية مدة طويلة ، وهو الذي تولى غسل صلاح الدين الأيوبي بعد وفاته .

ومحمد بن عروة شهاب الدين ، المنعوت بالشرف المتوفى بدمشق سنة ٦٢٠ هـ (٣٧) احد مشايخ عصره في العلم ، واليه ينسب المشهد بغربي الجامع الأموي بدمشق بعد ان جدده ، وأوقف عليه من يقوم بأمره ، وبنى قبة البركة ، ووقف وقفاً على درس الحديث فيه ، ووقف فيه خزائن كتب ، وكان مقيماً بالقدس ثم انتقل الى دمشق فوطنها حتى وفاته بها .

ويوسف بن رافع بن تميم الأسدي ابو المحاسن ابن شداد المتوفى بحلب سنة ٦٣٢ هـ (٣٨) ولد بالموصل سنة ٥٣٩ هـ ، وقرأ على علمائها وتخرج بهم ، ولازم ابن سعدون الاندلسي نزيل الموصل مدة ثلاث عشرة سنة (٣٩) ، ورحل الى بغداد فأقام بها اربع سنوات ، ثم عاد الى الموصل ، فانتفع به أهل العلم وطلابه ؛ رحل الى الحجاز سنة ٥٨٣ هـ بقصد الحج ، ثم رحل الى القدس ودمشق ، ولقي صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٤ هـ وارتسم في خدمته ، فولاه قضاء العسكر ، والحكم في القدس ، وسافر في مهات رسمية الى مصر وغيرها ، وتولى في عهد الظاهر سنة ٥٩١ هـ قضاء حلب ، فسار فيها احسن سيرة ، واعتنى بأوقافها وعمر فيها من ماله الخاص مدارس وربط للصوفية . قال ابن خلكان : «وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس ، وليس بها من العلماء إلا نفر يسير فاعتنى ابو المحاسن المذكور بترتيب امورها وجمع الفقهاء بها ، وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة .. فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نورالدين محمود بن زنكي ... ورأيت تاريخ عمارتها مكتوباً على سقف مسجدها ، وهو الموضع المعد لإلقاء الدروس وذلك في سنة إحدى وستمائة ، ثم عمر في جوارها داراً للحديث النبوي ، وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها ، ولها بابان : باب الى المدرسة ، وباب الى دار الحديث ، وشباكان الى الجهتين وهما متقابلان بحيث إن الذي يقف في أحد المكانين يرى من يكون في المكان الاخر ، ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد ، وحصل بها الاشتغال والاستفادة وكثر الجمع بها(٤٠) وكانت داره ملتقى كبار الدارسين من اهل المشرق والمغرب . اختص بتدريس الحديث وإسماعه ، ومجلسه في العلم موصوف في كتاب ابن خلكان إذ كان أحد



رواده بحلب.
ألف في الاقضية كتاباً سماه: ملجأ الاحكام عند التباس الاحكام، وفي الحديث كتاباً سماه: دلائل الاحكام، وله مؤلفات في الفقه والجهاد والتاريخ، وكتب سيرة صلاح الدين الأيوبي.

- ويعيش بن علي بن يعيش الموصلي موفق الدين النحوي المعروف بابن الصائغ المتوفىٰ بحلب سنة ٦٤٣ هـ، [٤١]، قرأ وسمع بحلب والموصل ودمشق، وبرز في علوم العربية حتىٰ كان شيخ الجماعة في الأدب، مع مشاركة في علوم الحديث والفقه، انتفع به أهل الشام، وأهل حلب خاصة «حتى إن الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته» [٤٢] شرح المفصل للزمخشري، وشرح تصريف ابن جني.
- محمد بن ابي بكر بن سيف الموصلي المعروف بالوتار شمس الدين المتوفى سنة ٦٦٢ هـ [٤٣] اديب شاعر، خطب بجامع المزه بدمشق مدة.
- وابراهيم بن عبدالرزاق بن ابي بكر الرسعني الموصلي المتوفي بدمشق سنة ٦٩٥ هـ [٤٤] قال البرزالي في معجمه: «كتبت عنه، وقد فاق ابناء جنسه معرفة وذكاءً وكان نبيهاً فاضلاً نبيلاً متمكناً ورعاً حسن الاخلاق، وله منظوم ومنثور، وشرح القدوري ولم يتمه». ومولده سنة ٦٤٢ هـ بالموصل.
- وعبدالرحيم بن عمر بن عثمان الباجربقي جمال الدين الموصلي المتوفى بدمشق سنة [٤٥] ٦٩٩ هـ نبغ بالموصل، ورحل الى دمشق سنة ٦٧٧ هـ، وكان فقيهاً مبرزاً محققاً، تصدر بالجامع الأموي، ودرب بالمدرسة الفتحية، وتولى الحكم بغزة، وتدريس الصلاحية بالقدس، حدث بكتاب جامع الاصول، لابن الاثير عن والده عن المؤلف، وله نظم ونثر، ونظم كتاب التعجيز، لعبد الرحيم بن محمد بن محمد الموصلي.
- ومحمد بن محمد بن عبدالكريم بن رضوان الموصلي المتوفى بطرابلس الشام سنة ٧٧٤ هـ [٤٦] من المشاركين في العلوم، ألف بهجة المجالس، ولوامع الانوار في غريب الموطأ وصحيح مسلم، وشرح المنهاج للنواوي.
- ومحمد بن عبدالله بن علي الشيباني تقي الدين ابو بكر الموصلي المتوفىٰ بالقدس سنة ٧٩٧هـ [٤٧] «بقية مشايخ علماء الصوفية، قدم من الموصل وهو شاب فاستوطن القدس، وعلا ذكره، وصار يتردد اليه نواب الشام، ويمتثلون أوامره، جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، ورزق العلم والعمل.» [٤٨] له مصنفات في التصوف منها: آداب التصوف، وكتاب في شرح اسماء الله الحسنى.

وممن عرف بالعلوم العقلية، وبانت نجابته من أهل الموصل ببلاد الشام، أسرة آل السكري؛ التي استوطنت حلب وتوارثت فيها علم الطب وعميدها: جابر بن منصور السكري، قرأ على احمد بن ابي الاشعث نزيل الموصل، وأخذ عنه كثيراً من علوم الطب، ثم لازم محمد بن ثواب تلميذ ابن الاشعث سنة ٣٦٠ هـ وقرأ عليه الكثير، وكان صاحب الترجمة يتردد بين الموصل وحلب واكثر مقامه بالموصل. وابنه: ظافر ابو حكيم، استوطن حلب، واشتغل بالطب، واتقن العلوم الحكمية مع معرفة بالادب والشعر، وله مقالة «في إن الحيوان يموت مع ان الغذاء يخلف عوض مايتحلل منه» كان حيا سنة ٤٨٢ هـ.

وموهوب بن ظافر ابو الفضل، مارس الطب، واختصر كتاب: المسائل لحنين بن اسحاق.

وجابر بن موهوب؛ ورث الاشتغال بالطب



وعرف به.[٤٩]

وفي الديار المصرية:

- علي بن الحسن بن الحسين الخلعي ابو الحسن المتوفى بالقاهرة سنة ٤٩٢ هـ[٥٠] كان فقيهاً صالحاً، ومحدثاً له روايات متسعة، وكان اعلى أهل مصر اسناداً،[٥١] بل هو مسند الديار المصرية بعد الحبال؛[٥٢] تولى القضاء بها يوماً واحداً، واستعفى ورعاً وزهداً، واختفى بالقرافة،[٥٣] انتفع بعلمه جم غفير من أهل المشرق والمغرب، ورووا عنه الأحاديث المعروفة بالخلعيات، خرجها عنه ابو نصر احمد بن الحسن الشيرازي في عشرن جزءاً وله أيضاً: الفوائد في الحديث، والمغني في الفقه.[٥٤]

ووالده؛ الحسن: كان فقيهاً بمصر، وبها توفي سنة ٤٤٨ هـ[٥٥].

- وداود بن محمد بن الحسين الاصيلي الموصلي، المتوفى سنة ٥٧٣ هـ[٥٦] له رحلة واسعة في سبيل طلب العلوم وحمله، وكان محدثاً مشاركاً في علوم أخرى، تولى القضاء بدمشق، والقضاء بمصر، وعاد الى الموصل وبها توفي.
- ومحمد بن علي بن محمد ابو البركات الموصلي المتوفىٰ بأسيوط سنة ٦٠٠ هـ[٥٧]. من شيوخ الحديث والادب والاخبار، ولاه نور الدين حماه، فكث فيها ثمان سنين ثم رحل الى مصر، فتولى قضاء اسيوط، وظل عشرين سنة حتىٰ وفاته بها. ومولده سنة ٥٣٠ هـ. له من المؤلفات، عيون الاخبار وغرر الحكايات والاشعار[٥٨]، واربعون حديثاً بلدانية.
- ومحمد بن ابي بكر بن علي الموصلي المعروف بابن الخباز المتوفى بحلب سنة ٦٣١ هـ[٥٩]. كان من كبار العلماء، برع في علم العربية، ودخل مصر فأقرأ الناس مدة طويلة، وصنف كتباً منها: شرح الفية ابن عبدالمعطي[٦٠]. ثم عاد الى حلب وجلس للتدريس وبها توفي. ومولده سنة ٥٥٧ هـ.
- ويعقوب بن عبدالرحمن بن عبدالله حفيد ابن ابي عصرون المتوفىٰ بالمحلة من مصر سنة ٦٦٥ هـ.[٦١] برز في علم الحديث، وجلس للتدريس بالمدرسة القطبية بالقاهرة، له مسائل جمعها على كتاب المهذب.
- وعلي بن عدلان عفيف الدين ابو الحسن الموصلي النحوي المترجم المتوفىٰ بالقاهرة سنة ٦٦٦ هـ[٦٢]. شهر بحل المترجم والالغاز، وبه لقب، وله في ذلك براعة وذكاء فاق بها الاقران، ووضع في هذا المعنىٰ كتاباً سماه: «عقله المجتاز في حل الالغاز».
- وفي علم الطب ومراض العيون:
- عمار بن علي الموصلي[٦٣].

رحل الى مصر واقام بها، وتخصص في طب العيون ومداواتها بالادوية والحديد، وكانت له دربة ومعرفة بذلك، وترك كتاباً بهذا المعنىٰ افاد منه الكثيرون وقيل انه ألفه للحاكم بمصر.

وفي الحجاز:

- اسماعيل بن محمد بن عبدالله الموصلي ابو الطاهر المتوفىٰ في حدود سنة ٦٣٠ هـ[٦٤] كان من اعيان الصوفية المجاورين بمكة، اسمع الحديث بها، وبعض كتب التصوف، وأخذ عنه الكثير من طلاب العلم وشيوخه.
- وجعفر بن احمد بن ابي الغنائم الموصلي المتوفى سنة ٦٩٣ هـ[٦٥] سمع من شيوخ بغداد، وجاور بمكة والمدينة، وكان كما قال الفاسي: «صاحب نعم»



- وابراهيم بن محمد بن حسين برهان الدين الموصلي المالكي المتوفى بمكة سنة ٨٥١ هـ[٦٦] نزل مكة واستوطنها، وكان رجلاً كثير العبادة، تميز بجودة الخط وجماله، قرأ على الشيخ خليل الجندي المالكي[٦٧]، وكتب بخطه كتب شيخه المذكور ومنها: شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي. ومختصره في الفقه، والكتاب الثاني يعد من اشهر كتب المالكية في الفقه، دخل المغرب وعكف الفقهاء على دراسته وحفظه[٦٨]، وكتب صاحب الترجمة كتباً اخرى بخطه وأوقفها لأهل العلم، وكان قبل وروده مكة احد العدول بظاهر القاهرة خارج باب زويلة.

وفي الأندلس:

- صاعد بن الحسن بن عيسىٰ الربعي الموصلي البغدادي اللغوي يكنىٰ ابا العلاء، المتوفى سنة ٤١٧ هـ بجزيرة صقلية.[٦٩]

دخل الاندلس في أيام المنصور بن ابي عامر في حدود سنة ٣٨٠ هـ وكان عالماً باللغة والآداب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، قدمه المنصور على اهل عصره،[٧٠] وقيل انه اراد أن يعني به اثار ابي علي القالي البغدادي الوافد في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠ هـ)، قال ابن حيان: «وجمع ابو العلاء للمنصور... كتاباً سماه: الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار»... وأثابه عليه بخمسة آلاف دينار... وأمره أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب سنة ٣٨٥ هـ، واحتشد له من جماعة اهل الادب ووجوه الناس أمةً.[٧١] وقرأه عليه ابن حيان منفرداً في داره سنة ٣٩٩ هـ. وعن طريقه حمل وروى الكتاب[٧٢]

ونال ابو العلاء الكثير من حساده ومنافسيه، وعملوا على الايقاع به واتهموه زوراً بانتحال الشعر، وتلفيق الاخبار، وكان الزبيدي صاحب كتاب: طبقات النحويين واللغويين وابن العريف[٧٣]، من اشد الناس حسداً له، ولكن صاعداً كان ينتصر لنفسه بعلمه وسرعة بديهته، حتىٰ افحم جميع حساده؛ خرج من قرطبة إبان الفتنة، ولحق بدانية، ونال عند مجاهد العامري مكانة وحظوة، وله مع أدباء دانية وشعرائها اخباراً طريفة ومجالس دلت على براعته، وطول نفسه، واختياره للاجوبة المسكتة والمفحمة حيث ماقُصد احراجه، وعلى الجملة فاخباره كثيرة مسطورة في كتب التاريخ والتراجم.[٧٤]

- وابراهيم بن بكر الموصلي[٧٥]

رحل الى الاندلس، ودخل اشبيلية، وحدث بها عن ابي الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي بكتابه في الضعفاء والمتروكين، وحمله عنه اسماعيل بن عبدالرحمن القرشي[٧٦]، وحدث به ابن عبد البر عن القرشي عن ابن بكر.

وفي المغرب:

- ابو زكريا المرجاني الموصلي نزيل مدينة بجاية من اهل القرن السابع[٧٧]. احد الشيوخ الفقهاء، والزاهدين العابدين، قال الغبريني: «كان مسجده الذي يجتمع فيه اليه، المسجد المشهور الآن به بحومة اللؤلؤة، وهو المعروف الآن بمسجد المرجاني، وكان يجتمع اليه الافاضل والصلحاء والمتعبدون، وكانوا يسمعون منه غرائب، ويطلعون من احواله على عجائب، وكل ذلك مقيد بالكتاب والسنة على سنة السلف السلف الصالح رضي الله عنهم، واتصل حال



المنفعة به الى أن اراد الله سفره، فرجع الى بلده».

- وتقي الدين الموصلي[٧٨]
نزل مدينة بجاية، واحسبه انه ابو الحسن السائح المتوفىٰ بحلب سنة ٦١١ هـ والاتي ذكره.

وفي تبريز

- الحسن بن الحسين بن يوسف الموصلي عز الدين ابو الفضل المتوفى بها سنة ٧١٠ هـ، [٧٩] كان عالي الهمة جميل الاخلاق، يتعاطي صناعة النقش وخياطة الزركش، وله علاقة قوية بحكام تبريز، محباً للفقراء والغرباء، وله زاوية يقصده بها الاكابر والملوك والسلاطين والفقراء والعارفون، له اشعار كثيرة. قال ابن الفوطي: «كتبت عنه واقمت عنده» ومولده سنة ٦٤٢ هـ.

ومن علماء الموصل الموسوعيين الذين لم تستوعبهم مدينة، او بلد من البلدان، ولا وقف في حدود علم من العلوم، بل استوعب علوم الامة، رواية ام دراية، فضلاً عما تقتضيه بعض العلوم من معرفة ببعض الصنائع:

- عبداللطيف بن يوسف بن محمد يعرف بابن اللباد، موفق الدين الموصلي الاصل البغدادي المولد، المتوفى سنة ٦٢٩ هـ[٨٠]:

من أسرة علمية مارست العلوم، واشتغلت بها، فوالده يوسف كان مهتماً بعلم الحديث، بارعاً في علوم القرآن والقراءات، مجيداً في المذهب والخلاف والاصلين[٨١].
وعماه ابو الفضل، سليمان: سمع من علماء بغداد، وحدث، وتوفي سنة ٦١٢ هـ[٨٢]؛ وابو الحسن علي: سمع من اخيه السابق وغيره، وتوفي سنة ٦١٤ هـ[٨٣]
وصاحب الترجمة طاف في البلاد، ودخل معظم مدن العالم الاسلامي في المشرق، قرأ وسمع على علماء في علوم مختلفة، وأفاد كثيراً من تطوافه، حتىٰ اصبح وحيد عصره علماً وأدباً، ومؤلفاته الكثيرة تدل بما لايقبل الشك على مكانته بين العلماء؛ لكن فيه غروراً جره الى الحط والانتقاص من علماء زمانه وفضلائه، وكثيراً من المتقدمين؛[٨٤] وكان وقوعه كثيراً جداً في علماء العجم، ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا، وزيّف مايعتقده وما دونه في مؤلفاته.[٨٥]

ولا أحسب أن الرجل كان في موقف المتجني علىٰ ابن سينا، أو أراد الحط منه دونما وجه حق في العلم يقال ويذكر، فقد وجد قبل عبداللطيف ابن اللباد من استصغر شأن ابن سينا ومؤلفاته، ورد على مقالاته ولدينا مثلان مختاران من الأندلس والمغرب، وليست من غيرهما موافقةً لعنوان هذا المبحث، ومشاطرة لابن اللباد. فلأبي العلاء زهر بن عبدالملك ابن محمد الاشبيلي المتوفى سنة ٥٢٥ هـ، وهو من علماء الاندلس المتقدمين في علم الطب وغيره،[٨٦] موقف لايختلف عن موقف ابن اللباد؛ فقد روى أن تاجراً أدخل من العراق كتاب القانون لابن سينا، وبالغ التاجر في تحسين النسخة، فاتحف بها ابا العلاء تقرباً اليه، ولم يكن الكتاب قد وقع اليه قبل ذلك، فلما تأمله «ذمه وطرحه، ولم يدخله خزانة كتبه، وجعل يقطع من طرره مايكتب فيه نسخ الادوية لمن يستفتيه من المرضىٰ» ورد في مقالة له على ابن سينا في مواضع من كتابه الادوية المفردة.[٨٧]

وكان ابو الحسن علي بن احمد بن الحسن الحرالي نزيل بجايه المتوفي سنة ٦٣٨هـ يُدرس كتاب النجاة لابن سينا فينقض عراه نقضاً ، وذلك بعد ان يوضح منه مايليق ويقرره بأحسن طريق «ثم ينقضه ويوهنه»[٨٨] .

تصدر ابن اللباد في اكثر من مدينة مشهورة ، وتخرج على يديه الكثير من الطلبة ، ودخل بلاد الروم فمكث بها مُدَيْدَة ، ثم عاد للتدريس والاشتغال بالعلوم[٨٩] . خلف من المؤلفات الكثيرة في علوم العربية ، والحديث ، والاصول والمنطق ، والعقائد ، والطب ، والتاريخ ، والجغرافية ، ومقالات ورسائل في مواضيع شتى ، احصاها ابن ابي اصيبعة وغيره من ترجم له[٩٠] .

- اما ابو الحسن ، علي بن ابي بكر الموصلي الزاهد السائح المتوفى بحلب سنة ٦١١ هـ[٩١] فله مسلك تفرد به واشتهر، فقد جاب بلدان مختلفة ، ودخل مدناً كثيرة ، وخلف وراءه في كل مدينة نزلها او مكان وصله ، أثراً من أثاره ؛ كلمات بخطه ؛ او علامة تدل على نزوله المكان ، وقلما يخلو موضع معروف من مدينة او غيرها إلا وفيها خطه «حتى ذكر بعض رؤساء الغزاة البحرية إنهم دخلوا في البحر المالح الى موضع وجدوا في بره حائطاً عليه خطه.»[٩٢]

ولخص ابو الحسن رحلته الطويلة وتجواله في البلاد في مؤلفٍ سماه : «الاشارات الى معرفة الزيارات»[٩٣] ، وترجم له الغبريني تحت اسم : تقي الدين الموصلي ، وقال : «وصل الى بجاية في مدة الشيخ ابي الحسن الحرالي[٩٤] ... وكان الشيخ يقول عنه : انه من اساطين الحكمة ، وانه كقس بن ساعدة الايادي ، وزيد بن عمر بن نفيل ، هداه الله الى الحق بموجدة نفسه من غير اكتساب.» ثم ذكر البلاد التي دخلها ، وهي مايطابق رحلة السائح المذكور.[٩٥]

واما من دخل الموصل من بلدان العالم الاسلامي ، وسمع من علمائها ، ودرس في مدارسها ، او جلس للتدريس فيها لاسماع العلوم. فهذا مبحث لايدرك غوره ولا يستوفىٰ حقه في مثل هذه العجالة حتى وإن اقتصرنا بالسرد المجرد لاعلامهم فبلاد الشام وعلاقتها بالموصل وثيقة ، وكأنها ساحة علمية وفكرية واحدة ومدن المشرق الاسلامي الاخرى اخذت بنصيب وافر من علماء العراق ومن بينها مدينة الموصل ، واهل الديار المصرية كانت لهم علاقات وثيقة مع علماء الموصل منذ وقت مبكر[٩٦] ، والاكثر من ذلك كله أن رسل امراء وملوك الافرنج كانت تصل الموصل للحصول على جواب في اي باب من ابواب العلوم قد اشكل على عرافهم واهل العلم منهم.[٩٧]

الرحلة العلمية الى الموصل :

لاخلاف أن الداخلين من أهل المغرب والاندلس الى الموصل لم يبلغوا مبلغ من دخل مدينة بغداد ، او البصرة ، او الكوفة في القرون الاربعة الاولى من الهجرة ، ولكنها ربما كانت الثانية بالمرتبة بعد بغداد في القرنين السادس والسابع الهجريين. وعلى الرغم من أن دخول مدينة بغداد قد يغني الكثيرين من الراحلين عن قصد غيرها من مدن العراق ، إلا ماكان في طريقه ، ظلت شهرة بعض علماء الامصار بمثابة عنصر الجذب والاستقطاب مما لايمكن الراحل الاستعاضة عنه ، أو فوته ، ومن ثم فإن الاكثار من لقاء الشيوخ والسماع عليهم يعد حجة للراحلين ، وعلى اساسها تقوم مروياتهم ورحلاتهم العلمية.

ومهما يكن من أمر فقد استقبلت الموصل نخبة طيبة من اهل المغرب والاندلس ممن له عناية



بالعلم، ومن مشاهيرهم في العلوم النقلية والعقلية، ارتشفوا من علومها، ونهلوا من مناهل علمائها ومدارسها.

وما سنستقبل في هذا المبحث. مفروض عليَّ منهجه ومسلكه، وسياقه مقرر بحجم وسعة ماتهيئ لي من نصوص وأخبار كونت فقراته وتعليقاته، واكملت بعض نواقصه، فانقدت اليه، فما وجدت مناصاً من اتباعه، فالعلوم فيه متفرعة الى فروع ثلاثة.

١ – العلوم النقلية، او علوم الرواية.
٢ – علوم العربية وآدابها.
٣ – العلوم العقلية، او علوم الدراية.

وتتمة لهذا المبحث واستيفاءً له عرضنا لمن لقي علماء الموصل في غيرها من مدن العالم الاسلامي الأخرى. واستوعبنا قدر الامكان ماحمله ورواه المغاربة والاندلسيون من المؤلفات والمرويات بطرق واسانيد الرواة والعلماء الموصليين.

١ – العلوم النقلية:

لاشك أن الساحة الفكرية للأمة كانت تمتد من المحيط في الغرب الى اقصى بلد في الشرق وصل الاسلام اليه، وكانت له فيه دولة قائمة، ساحة واحدة لاتتجزأ قوامها اللغة العربية، وحماتها علماء وطلبة يحلون حيث يجدون بغيتهم دون عقبة تقف في طريقهم، او حواجز تمنع تنقلاتهم، وهم حملة هذا الفكر وبهم يتصل وينتشر في الآفاق، ومادامت الحال على هذا النحو فمن الطبيعي ان تكون أصول الأمة في العلوم واحدة، مع خصوصية بلدانية مضافة تُغني وتُرسخ؛ وخصوصية مذهبية تتطلب قراءة ودراسة كتب بعينها قراءة ودراسة تحقيق ونظر، ذلك أن التخصص في المذهب مطلوب من دون اهمال بقية المؤلفات الفقهية للمذاهب الاخرى، اللهم إلا من فقد نعمة التسامح. فجعل التعصب مذهبه، فالمصادر التي تمتح منها هذه المذاهب واحدة وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية، وماصح عن الصحابة والتابعين، وما ألف بعد من مؤلفات في هذا المذهب او ذاك، وما وجد من قول زائد هنا، او ناقص هناك، فلأن ذلك مرتبط بالبيئة الاجتماعية اولاً، وبسنن التطور ثانياً وفي كلتا الحالتين لاينبغي القفز من فوق حدود لاتقرها الأصول المتفق عليها.

فطالب العلم غالباً مايستوعب كتب المذهب أصولاً وفروعاً في مرحلة الطلب الأولى، ويتفقه بها على شيوخ وعلماء بلده، او غيرهم من المهتمين بتدريسها وتحقيقها. فأهل المغرب والاندلس كانوا على مذهب الامام بن انس المتوفى سنة ١٧٩ هـ، او هكذا كان معظمهم، فاختصوا به، ولم يقلدوا غيره، ولايخرجوا عن نصوصه، ويعلل ابن خلدون ذلك بقوله: «... لأن رحلتهم كانت غالباً الى الحجاز وهو منتهىٰ سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة وشيخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده، فرجع اليه اهل المغرب والاندلس قلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته، وأيضاً فالبداوة كانت غالبة على اهل المغرب والاندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا الى اهل الحجاز اميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضاً عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب.»[٩٨]

ولقي كثير من علماء المغرب والاندلس الامام مالكاً، وأخذوا عنه، ومن أمثلة هؤلاء الاعلام المغاربة: علي بن زياد العبسي التونسي المتوفى سنة ١٨٣ هـ، وهو اول من ادخل الموطأ بلاد المغرب، وفسر لهم قول مالك[٩٩]؛ وعبدالرحيم بن أشرس الانصاري التونسي المتوفىٰ سنة ١٧٦ هـ، وعبدالله ابن عمر غانم المتوفى سنة ١٩٠ هـ، وأسد بن الفرات المتوفىٰ سنة ٢١٣ هـ[١٠٠]؛ وأمثال



الاندلسيين: الغازي بن قيس المتوفىٰ سنة ١٩٩ هـ وهو اول من ادخل الموطأ بلاد الاندلس[١٠١]، وزياد بن عبدالرحمن شبطون المتوفى سنة ١٩٩ هـ ويحيىٰ بن مضر المتوفى سنة ٢٠٢ هـ، ويحيىٰ بن يحيىٰ الليثي المتوفىٰ سنة ٢٣٤ هـ[١٠٢] وعن طريق هؤلاء الاعلام وتلامذتهم ساد مذهب الامام مالك بلاد المغرب والاندلس واعتمدوه، ولم يخرجوا عن مؤلفاته، أو ما ألفه المالكية فيما بعد، حتىٰ تواترت على مر القرون مؤلفات هي في الواقع سلسلة في توضيح وتقريب مذهب الامام مالك. لطلاب هذا المذهب، ومن هذه المؤلفات.

- الواضحة، لعبدالملك بن حبيب المتوفى سنة ٢٣٨ هـ.
- العتبية، لتلميذ ابن حبيب، محمد بن احمد بن عتبة المتوفى سنة ٢٥٥ هـ.
- الاسدية، لأسد بن الفرات المتوفى سنة ٢١٣ هـ. وحلت محلها:
- المدونة والمختلطة منها، تهذيب سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، والمدونة في الأصل، لابن القاسم المصري المتوفىٰ سنة ١٩١ هـ وكان سحنون قد قرأ على اسد بن الفرات، واخذ عنه كتابه «الاسدية» التي كانت محط اهتمام القوم ودراستهم، ثم رحل سحنون الى بلاد المشرق، فلقي ابن القاسم وأخذ عنه وعرض عليه بعض مسائل الاسدية، فرجع عن كثير منها، دونها سحنون وأثبتها في كتابة المذكور، وكتب ابن القاسم الى اسد بن الفرات أن يأخذ بكتاب سحنون ويترك مادونه، فترك الناس الأسدية، واعتمدوا تهذيب سحنون ومسائله[١٠٣].

وتعد المدونة تهذيب سحنون والمختلطة من أجل تأليف المالكية، ولايكاد دارس إلا وله نصيب وافر منها، وكانت مجالس العلم حافلة بتدريسها بل والكثير منهم يستظهرها[١٠٤]، وكان نتيجة هذا الاهتمام عدة مؤلفات خاصة بالمدونة وتهذيبها اشتهر منها:

- مختصر ابن ابي زيد القيرواني، عبدالله بن عبدالرحمن المتوفىٰ سنة ٣٨٦ هـ.
- والتهذيب، للبراذعي، خلف بن ابي القاسم الازدي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ.
- والتبصرة، للخمي، علي بن محمد الربعي المتوفى سنة ٤٧٨ هـ.
- ومن كتب المالكية الأخرى.

كتاب النوادر، وكتاب الرسالة وكلاهما لابن ابي زيد القيرواني

- مختصر الطليطلي.
- والخصال في الفقه، لابن ابي زرب، محمد ابن يبق المتوفى سنة ٣٨١ هـ.
- والاشراف، لابن عبدالبر.
- والمقدمات، لابن رشد، محمد بن احمد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ.
- ومؤلفات الباجي سليمان بن خلف المتوفى سنة ٤٧٤ هـ.

واشتهرت اصول مشرقية وعدت من امهات كتب المذهب منها:

- المختصر، لابن عبدالحكم، عبدالله بن عبدالحكم المصري المتوفى سنة ٢١٤ هـ.
- والتفريع في مسائل الفقه، للجلاب عبيدالله بن الحسين المتوفى سنة ٣٧٨ هـ.
- والتلقين لعبدالوهاب البغدادي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ.
- ومختصر ابن الحاجب الفرعي والاصلي.
- ومختصر الشيخ خليل الجندي المتوفى سنة ٧٧٦ هـ.

واشتهر من المختصرات في القرن الثامن الهجري.

- مختصر ابن عرفة التونسي المتوفى سنة ٨٠٣ هـ[١٠٥]



وجل اعتماد المتأخرين من اهل المغرب انما كان على الكتب الثلاثة الاخيرة، دون الاصول الأول التي عرضنا لها، وهي سمة من سمات ذهاب العلم واهله.[106]

وأما اهل الموصل، فهم شوافع، واحناف، وحنابلة، وأقلهم المالكية، ولهم اصول تفقه عليها القوم كل حسب مذهبه، ومؤلفات لعلمائهم وضحت وشرحت وذيلت لما يحتاج الى التوضيح او الشرح او التذييل والتكميل[107]، ومن ثم فهي مقرراتهم، وعليها يقوم علم الفقه في كل مذهب من المذاهب المذكورة، ومن مشهور ما كان يدرسه الشوافع بالموصل:

مؤلفات الامام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، كالأم، والرسالة، والسنن، والمسند. ومؤلفات تلميذه المازني ابي عبدالله اسماعيل بن يحيي المتوفى سنة ٢٦٤ هـ، ومنها: الجامع الكبير، والجامع الصغير والمختصر والوثائق، ومختصر المازني، هو اصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي، وعلى مثاله رتبوا، وكلامه فسروا وشرحوا[108].

ومؤلفات ابي اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف المتوفى سنة ٤٧٦ هـ، التنبيه، والمهذب واللمع، وشرحها في اصول الفقه، والنكت في الخلاف، والمعونة في الجدل[109]. ويعد كتابيه؛ التنبيه، والمهذب من اشهر مؤلفاته، وعليها كان المدار في الطلب والتأليف[110].

واما الأحناف، ففضلاً عن مصنفات الامام ابي حنيفة المتوفى سنة ١٥٠ هـ فهنالك مؤلفات تلاميذه من بعده الذين نشروا علمه ومذهبه في الامصار المختلفة كالشيباني، محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ هـ مؤلف كتاب المبسوط في الفروع، لقي القبول والاعتناء من علمائهم، وتعرض الى شرحه محمد بن احمد السرخسي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ وهو من اشهر الشروح الموضوعة على هذا الكتاب[111]. وكتاب ابي القاسم اسحاق بن محمد بن الحكيم الماتريدي المتوفى سنة ٣٤٢ هـ، الموسوم: «كتاب السواد الأعظم عن مذهب الامام الأعظم ابي حنيفة»[112].

ولعل اشهر المؤلفات تداولاً في الموصل؛ مؤلفات القدوري، ابي الحسين احمد بن محمد البغدادي المتوفى سنة ٤٢٨ هـ.

قال الخطيب البغدادي: «انتهت اليه بالعراق رئاسة اصحاب ابي حنيفة، وعظم عندهم قدره[113]» واشهر مؤلفاته كتاب المختصر[114].

وأما الحنابلة، فما خلفه الامام احمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ، والخلال البغدادي، ابو بكر احمد بن محمد بن هارون المتوفى سنة ٣١١ هـ قال بعض شيوخ الحنابلة: «كُلنا تبع لأبي بكر الخلال، لم يسبقه الى جمع علم الامام احمد احدٌ قبله»[115]، وقال البغدادي: جمع علوم احمد ابن حنبل وتطلبها وسافر لأجلها وكتبها وصنفها كتباً، ولم يكن في من ينتحل مذهب احمد احد اجمع لذلك منه. صنف كتاب السنة، وكتاب العلل، وكتاب الجامع وغيرها[116].

ومؤلفات ابي القاسم الخرقي، عمرو بن حسين البغدادي المتوفى سنة ٣٣٤ هـ واعلاها مكانة مختصرة في الفقه[117].

وفضلاً عن هذه المؤلفات وغيرها كثير، كان لمؤلفات الامام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ حظوة ودولة في مدارس الموصل واهتمامٌ واضحٌ لدى جل علمائهم، كما كانت في بقية بلدان العالم الاسلامي شرقاً وغرباً، واشهرها كتاب احياء علوم الدين، والمستصفى في اصول الفقه، والخلاصة في الفقه، والوسيط، والبسيط، والوجيز[118].

والعرض السابق على وجازته، يوحي بما تعلق به الطلبة في علوم الفقه وما كان يتبعه علماء الموصل من اصول في كل مذهب من المذاهب، وعليها أيضاً كانت مؤلفاتهم شرحاً واختصاراً، مع تميزهم بمؤلفات غاية في الابداع.



من هنا نستطيع القول إن علم الفقه لم يكن من العلوم المبرزة في اهتمامات الداخلين من أهل المغرب والأندلس، ولا غرابة في ذلك، لأن معظمهم قد استوعب أصولاً تفقه عليها، فضلاً عن خلو مدينة الموصل من علماء للمالكية يركن اليهم، بخلاف مدينة بغداد التي انجبت منهم الكثير على مدى القرون، ومنهم كان يستقي الراحلون مايطلبون ويبغون في علم الفقه[119]، وما وجدت من الداخلين الى الموصل من كان همه طلب الفقه المالكي، او التفقه على المذاهب الأخرى إلا ابا الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الأندلسي المتوفى سنة ٤٧٤[120] هـ، وابا عبدالله محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناتي المهدوي المتوفى سنة ٦٥٥ هـ[121] وعبدالله بن احمد بن عبدالله الانصاري الداني من اهل القرن[122] السابع الهجري.

أما الباجي، فهو عالم الاندلس، وامام من أئمة المسلمين بإجماع اهل العلم رحل الى المشرق سنة ٤٢٦ هـ، فأقام بمكة ثلاث سنوات، لازم بها ابا ذر المتوفى سنة ٤٣٤ هـ في علوم الحديث، ورحل الى بغداد فأقام بها ثلاث سنين يطلب الفقه والحديث على مشاهير علماء المالكية والشافعية والحنفية وغيرهم[123]، ودخل الموصل فأقام بها سنة يَدرس على ابي جعفر السمناني الحنفي المتوفى سنة ٤٤٤ هـ[124]، الفقه[125] والاصول[126] وعلم الكلام[127] والعقليات[128]، فحاز علماً كثيراً فبرع في الحديث وعلله ورجاله، وفي الفقه وغوامضه وخلافه، وفي الكلام ومضايقه، وكل ذلك «على طريق النظار من البغداديين وحذاق القرويين، والقيام بالمعنى والتأويل»[129] ومؤلفاته كثيرة معروفة، منها في الفقه والحديث والاصول والكلام وغير ذلك من ابواب العلم، وذكر له بروكلمان شرحاً وضعه على كتاب ابي القاسم اسحاق ابن محمد بن الحكيم الماتريدي المتوفى سنة ٣٤٢ هـ، الموسوم: «كتاب السواد الأعظم على مذهب الامام الأعظم ابي حنيفة»[130] ولا يستبعد إفادة ابي الوليد الباجي من شيوخه الحنفية ومنهم السمناني في شرح واتمام هذا الكتاب، والمؤلفات التي الفها في الاصول والكلام؛ كالتسديد الى معرفة طرق التوحيد، واحكام الفصول، وكتاب الاشارة، وكتاب الحدود.

واما ابو عبدالله الزناتي المهدوي، فهو من اعيان مدينة المهدية وبها ولد، رحل الى المشرق، فدخل دمشق، ثم انتقل الى الموصل، فانتحل مذهب ابي حنيفة وتفقه عليه، واشتغل به حتى صار اماماً فيه واشتهر بالنسبة اليه فلا يعرف في بلاد المغرب إلا بالحنفي؛ قال التجاني: «ولم يكن في هذه العصور كلها ببلاد افريقية حنفي غيره، حدث عنه ابو يحيي بن عبدالكريم العوفي، وابو عبدالله محمد ابن ابي القاسم الازدي، وسمع التجاني بعض اشعاره من ابي عبدالله هذا[131].

وأما عبدالله بن احمد بن عبدالله بن محمد الأنصاري الداني، المولود بدانية سنة ٥٩١ هـ فقد ذكره ابن الشعار، وقال: «شاهدته بمدينة الموصل شاباً تفقه على مذهب الشافعي بالمدرسة البدرية، وله نظم ونثر ويحفظ من اشعار الأندلسيين والرسائل والموشحات...»[132].

علوم الحديث:

وغالب من دخل الموصل كان يسعى الى علوم الحديث، وعلوم القرآن من قراءات وتفسير، والى بقية العلوم النقلية الاخرى، ولم تمكننا المصادر من تقديم عرض دقيق عن إفادة الراحلين، وما حملوه من مؤلفات أو مرويات أو حتى عرض بعض اسماء من لقيهم الراحل إلا فيما قل وندر، وعلى الرغم من القصور البين في هذا الجانب، تبقى اصول الامة شرقاً وغرباً في هذه العلوم واحدة مع خصوصية بلدانية لاتغير من الأمر شيئاً كما قلنا في بداية



المبحث.

ففي علم الحديث، كان المدار والاهتمام في القراءة والسماع والحمل قائماً على؛ صحيح الامام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ، وصحيح الامام مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ وبعد صحيحي البخاري ومسلم اللذين اجمع اهل الملة دون نكير على انها اعلى كتب الحديث مكانة، وأوفاها حظاً من الصحة والوثوق؛ نشأت أيضاً في القرن الثالث للهجرة أربعة من الكتب لم تبلغ مبلغ الصحيحين في دقة اصطفاء الأحاديث وسير رواتها، ولم يثقف مصنفوها شروط الرواة تثقيف البخاري ومسلم ولكنها احرزت على الرغم من ذلك صفة الصحة، ونالت مكانة من القبول والاستحسان، جعلتها تقارب الصحيحين، فضمت اليها، وسميت جميعها: كتب الصحاح الستة، وهي سنن ابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٣ هـ وسنن ابي داود، ابن الاشعث الازدي المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، وجامع الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، وسنن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ولا يخفى بعد، مالمسانيد الأئمة اصحاب المذاهب الفقهية وآثارهم في علوم الحديث من مكانة ومنزلة مرموقتين(١٣٣).

والحقيقة أن مدينة الموصل قد امتلكت إرثاً في علم الحديث لم يبلغه المغرب ولا الأندلس إلا في عصور متأخرة، فقد نزل الموصل ومنذ وقت مبكر مشاهير الصحابة والتابعين الذين نشروا بذور العلوم الاسلامية فيها؛ وخلف من بعدهم خلف أرسوا قواعد هذه العلوم ودونوها وفي طليعتهم:

- المعافى بن عمران الازدي المتوفى سنة ١٨٤ هـ(١٣٤) او في التي بعدها.

روى عن شعبة، والاوزاعي، ومالك، والثوري، وغيرهم من الكبار، وله في السنن والزهد والارث مؤلفات مروية.

- والقاسم بن يزيد الجرمي الموصلي المتوفى سنة ١٩٣ هـ(١٣٥).

روي عن الامام مالك، والثوري وغيرهما.

- واحمد بن ابراهيم بن خالد ابو علي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ(١٣٦)

سكن بغداد، وكتب عنه احمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وكان رجلاً ثقة.

- وحافظ الموصل، محمد بن عبدالله بن عمار المتوفى سنة ٢٤٢ هـ(١٣٧).

- وعلي بن حرب الطائي المتوفى سنة ٢٦٥ هـ(١٣٨)، خلف اجزاءاً في الحديث رويت عنه. ووالده حرب بن محمد المتوفى سنة ٢٢٦ هـ كان رجلاً نبيلاً من اهل العلم والمعرفة، مقدماً في دولة الخليفة المأمون(١٣٩).

- ومسند الموصل، ابو الوليد، طريف بن عبدالله المتوفى سنة ٣٠٤ هـ(١٤٠).

- وابو يعلي، احمد بن علي بن المثنى الشيباني المتوفى سنة ٣٠٧ هـ(١٤١)

امام الجزيره، وشيخ مشايخ الموصل، له المسند في الحديث، قُرأ وسُمع وحُمل عنه وعن تلامذته من بعده. وفضل على مسانيد في العلم مشهورة؛ قال السمعاني: سمعت اسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ يقول: «قرأت المسانيد كمسند العدني، وابن منيع وهي كالأنهار، ومسند ابي يعلى كالبحر يكون مجتمع الانهار»(١٤٢). وقال الحاكم؛ كنت ارى ابا علي الحافظ(١٤٣) معجباً بأبي يعلي واتقانه وحفظه لحديثه حتى كان لايخفى عليه منه الا اليسير، وفضله أبو عمرو الحيري(١٤٤) على الحسن بن سفيان(١٤٥) فقيل له: كيف تفضله ومسند الحسن اكبر وشيوخه اعلى فقال: «ابو يعلى يحدث احتساباً والحسن يحدث اكتساباً»(١٤٦).

- وابو زكرياء الازدي، يزيد بن محمد بن أياس المتوفى سنة ٣٣٤ هـ، قاضي الموصل



وصاحب تاريخها[147] .

- وابو الفتح ، محمد بن الحسين بن احمد بن بريدة المتوفى سنة ٣٧٤ هـ[148] .
له مصنف كبير في الضعفاء ، وكان قوي النفس في الجرح .
- وخاتمة المحدثين بها ، مجدالدين ، ابن الأثير ، المبارك بن محمد المتوفى سنة ٦٠٦ هـ[149]
وكتابه : جامع الاصول من احاديث الرسول ، من الكتب التي لايستغنى عن حملها .

والديار العراقية ، ومنها الموصل اكثر انفتاحاً واستيعاباً لعلوم الحديث وغيره من البلاد المغربية والاندلسية ، فأهل الاندلس مثلاً اعتمدوا لمدد طويلة في علم الحديث على ماتوافر في بلدهم من مؤلفات الامام مالك وما حمله تلامذته عنه دون غيرهم . وعندما رحل بقي بن مخلد القرطبي المتوفى سنة ٢٧٦ هـ[150] ودخل العراق وغيره ، حمل الكثير من مؤلفات علوم الحديث والخلاف وأدخلها الاندلس ، وتفرد بادخال مؤلفات لم تكن معروفة بالأندلس ، كمؤلفات احمد بن حنبل ، ومصنف ابي بكر بن ابي شيبة ، وكتاب الفقه وكتاب الرسالة للامام الشافعي ، وكتاب سيرة عمر ابن عبدالعزيز ، للدروقي ، وتاريخ خليفة بن خياط وطبقاته[151] . فواجه معارضةً شديدة من فقهاء الاندلس ، ونكيرا لامثيل له حتى إن احد علماء الاندلس ومن دارت عليه الفتيا فيها مدة خمسين سنة وهو: اصبغ بن خليل ابو القاسم القرطبي المتوفى سنة ٢٧٣ هـ كان يقول : «لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحب إلي من أن يكون فيه مسند إبن ابي شيبة» وكان المذكور معادياً للآثار، شديد التعصب للرأي ، منافراً لبقي بن مخلد . وأفضت معارضة بعض الفقهاء له الى اتهامه بالزندقة ، ولولا إنصاف الأمير محمد بن عبدالرحمن له ، لما انتشرت هذه المؤلفات وما حمله من علوم ، وما كان للأندلس أن تصبح دار حديث واسناد[153] .

ومن الجدير بالذكر إن بقياً هذا قد زامل ابا يعلي الموصلي في الأخذ والسماع عن علماء بغداد ومن بينهم الامام احمد بن حنبل ، وخليفه بن خياط ، ولو ثبت الظن بلقاء الاثنين لكان أول لقاء بين الموصل وقرطبة عاصمة الأندلس ، ولكن على اية حال فقد ارتشف الاثنان من معين واحد ، وكانا مسندي بلديها دون خلاف .

ولم يسلم كبار علماء الاندلس والمغرب على الرغم من سعيهم الحثيث وراء علم الحديث من نقد المهتمين بعلم الرجال وتجريحهم ، آخذين عليهم رواية احاديث غير معروفة ، او حمل النازل من الروايات ، فعبدالرحمن بن زياد بن انعم المعافري قاضي المغرب المتوفى سنة ١٥٦ هـ ، كان على جلالة قدره ورفعته في العلوم متهماً في الرواية ، قال سفيان الثوري : «جاءنا عبدالرحمن بن زياد الافريقي بستة أحاديث يرفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، لم اسمع أحداً من اهل العلم يرفعُها»[154] . وسمى الأحاديث . قال ابو العرب : «فلهذه الغرائب التي لم يروها غيره ضعف ابن معين حديثه»[155] وعالم الاندلس ، عبدالملك بن حبيب هو الآخر، كان متهماً بالتساهل ، يحمل على سبيل الاجازة اكثر روايته ، ولم يكن له علم بالحديث ولا يعرف صحيحه من سقيمه[156] .

وقد قال ابن عساكر عن عبدالله بن محمد بن عبدالله الصنهاجي ، ابي محمد الاشيري المتوفى سنة ٥٦١ هـ «سمع مني وكتب عني ، ولم اسمع منه شيئاً مسنداً لنزول روايته»[157] .

وانتقد الذهبي جماعة من اهل المغرب والأندلس ممن ترجم لهم او ذكر وفياتهم في كتابه التذكرة بقوله : «وهؤلاء المغاربة لايكاد يقع لنا حديثهم إلا بنزول ثم هم نازلون في الاسناد فيبقى نزول على نزول وبالله الاستعانة»[158] وحتى ابو عمر إبن عات الشاطبي

المتوفى سنة ٦٠٩ هـ ، وهو من اكابر المحدثين ، والحفاظ المسندين وممن كان يسرد الاسانيد والمتون ظاهراً فلا يخل بحفظ شيء منها[١٥٩] ، لم يسلم من نقد الذهبي وقال : «وقع لي من مروياته نازلاً»[١٦٠] .

وما تضاءل المغاربة امام هذه الأقوال ، ولا سلموا بها ، فردوا بما يليق ، وبما يحفظ مكانة علمائهم ، فوثق سحنون وابن عبدالبر وغيرهما ابن انعم[١٦١] ، والمقري ؛ لايعد ماقيل عن التفرد برواية الاحاديث جرحاً يستوجب الترك او الاهمال عندما يقول : «نعم لأهل الاندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى إن في شفاء عياض احاديث لم يعرف اهل المشرق النقاد مخرجها ، مع اعترافهم بجلالة حفاظ الاندلس الذين نقلوها كبقي بن مخلد وابن حبيب وغيرهما»[١٦٢] .

والداخلون الموصل طلباً لعلم الحديث :

- ابراهيم بن بكر بن عمران اللخمي الألبيري ، ابو اسحاق المتوفى سنة ٣٨٥ هـ[١٦٣]

دخل العراق ، فلقي الابهري ، وسمع منه ببغداد ، ودخل الموصل ، وسمع من ابي الفتح ابن بريدة .

- محمد بن احمد بن ابراهيم بن لواء الانصاري الجياني ابو عبدالله المتوفى سنة ٥٤٦ هـ[١٦٤]

اقام ببغداد مدة طويلة ، حتى عرف بالبغدادي ، ودخل الموصل ، ثم عاد الى بلده ، واليه ينسب المسجد البغدادي بجيان ، ورحل الى فاس فتصدر بها لنشر العلم .

- علي بن احمد بن سعيد بن عبدالله الكومي المغربي[١٦٥]

سمع وروي عن ابي الفضل الطوسي المتوفى سنة ٥٧٨ هـ[١٦٦] .

- عبدالله بن محمد بن عبدالله ابو محمد الاشبري الصنهاجي المتوفى سنة ٥٦١ هـ[١٦٧]

قرأ عليه وسمع منه ابن شداد وغيره بالموصل .

- محمد بن علي بن ياسر الجياني ، سراج الدين ابو بكر المتوفى سنة ٥٦٣ هـ[١٦٨] دخل الموصل ، وأسمع فيها صحيح الامام مسلم ، والوسيط ، للواحدي ، قرأ عليه ابن شداد ، واجاز له سنة ٥٥٩ هـ ، ولغيره من طلبة العلم .

- محمد بن عبدالله بن محمد بن احمد بن العربي ابو بكر المتوفى سنة ٦١٧ هـ[١٦٩] من قرابة القاضي ابي بكر بن العربي الاشبيلي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ، لقي بالموصل خطيبها ابو القاسم ، عبدالمحسن بن ابي الفضل .

- اسماعيل بن احمد بن عمر القرشي الاشبيلي ، ابو الطاهر[١٧٠]

دخل الموصل ، وقيد الكثير ، ورواه .

- محمد بن احمد بن محمد بن عبدالله الانصاري ، ابو عبدالله بن اليتيم البلنسي المتوفى سنة ٦٢١ هـ[١٧١]

من الرواة المكثرين ، لقي بالموصل خطيبها ابا الفضل الطوسي ، وبدمشق أبا محمد بن ابي عصرون .

- محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشبيلي ابو عبدالله المتوفى سنة ٦٣٦ هـ[١٧٢] .

دخل الموصل مرات ، وسكن دمشق فعلا صيته بها ، قال ابن الابار : «كان القادمون من الاندلس وغيرها لسماع الحديث ينتفعون بـه ، ويجـدون مـن مـعـونتـه وإفـادتـه مايحبون»[١٧٣] .

- علي بن ابي نصر فاتح بن عبدالله البجائي ابو الحسن المتوفى سنة ٦٥٢ هـ[١٧٤] .

سمع من علماء بغداد ، والموصل ، وروي عنه ابن الابار وغيره .



- محمد بن علي بن محمد بن عبدالرحيم بن هشام الانصاري ابو عبدالله المراكشي المتوفى سنة ٦٧١ هـ (١٧٥)

سمع من علماء بغداد، وتكريت، والموصل، وروي عنهم.

- جابر بن محمد بن القاسم الوادآشي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ (١٧٦)

دخل الموصل وسنجار، واخذ بالموصل عن عبدالرزاق السرسعني المتوفى سنة ٦٦١ هـ (١٧٧).

- ابراهيم بن عبدالله بن ابراهيم، ابو اسحاق الغرناطي ابن الحاج النمري كان حيا سنة ٧٦٨ هـ

دخل الموصل، فأخذ عن الأمير المحدث قطب الدين ابي اسحاق ابراهيم النوري، وله فيه قصيدة يمدحه، وتمهر في علم الحديث على طريقة اهل المشرق.

- علوم القرآن:

وفي علوم القرآن من قراءات وتفسير كان الاهتمام منصباً على القراءات السبع والعشر وما أضيف اليها، وطالب العلم أول ما يأخذ بالقراءات المعروفة، ويقرؤها فرداً أو جمعاً، ولأهل المغرب والاندلس ميزة الاهتمام بقراءة نافع المتوفى سنة ١٦٩ هـ، ولكنهم لم يهملوا القراءات الاخرى، وما تجاوزوها زهداً او إنكاراً (١٧٨)، ولكنهم كما اختاروا مذهب امام دار الهجرة اختاروا كما يبدو قراءة نافع، وهم الذين سمعوا مالكاً يقول: «قراءة اهل المدينة سُنة، قيل له قراءة نافع قال: نعم» (١٧٩) وتأليف اهل الاندلس خاصة في القراءات السبع والعشر، او في قراءة قارئٍ منهم لاتعد، بل ولهم في ذلك فضل لاينكر. (١٨٠)

واتصل علم القراءات بالموصل بطرق كثيرة، وعن اوائل القراء الذين اهتموا بهذا العلم، فالعباس ابن الفضل بن عمرو بن حنظلة الانصاري المقرئ قاضي الموصل المتوفى سنة ١٨٦ هـ، اخذ عن ابي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ، ورأى نافعاً مقرئ المدينة. وبرع العباس في معرفة الادغام الكبير، وكان يناظر الكسائي في الامالة (١٨١)، وانتهت علوم العباس الى: عامر بن عمر، ابي الفتح الموصلي، المعروف أوقيه المتوفى سنة ٢٥٠ هـ، وعنه اخذ اهل القراءات، وعليه قرأوا. (١٨٢)

واشتهر ابو بكر النقاش، محمد بن الحسن بن محمد المتوفى سنة ٣٥١ هـ بعلم القراءات والتفسير، وانفرد بالامامة فيها. (١٨٣) وعن النقاش، اخذ ابو بكر محمد بن الحسن الجلندا الموصلي، المشهور بالضبط والاتقان والبراعة في اداء القراءات؛ (١٨٤) وغيرهم آخرون كانت لهم معرفة بالقراءات وطرقها، حتى انتهت الى فخر الدين محمد بن ابي الفرج بن معالي الموصلي المقرئ المتوفى سنة ٦١٢ هـ، وعن طريقه اتصلت علوم القراءات في القرن الثامن الهجري في بلاد الشام والجزيرة كما يفهم من قول الذهبي. (١٨٥)

والقراء خاضعون لتصانيف ابي عمرو الداني عثمان بن سعيد المتوفى سنة ٤٤٤ هـ، واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء، وله مائة وعشرون مصنفاً (١٨٦). وتابع القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ابا عمرو الداني فوضع على مؤلفاته ماقرب المعنى وسهله، (١٨٧) واشتهرت له في القراءات حرز الاماني ووجه التهاني، قصيدة في الف ومائة وثلاثة وسبعين بيتاً، ابدع فيها كل الابداع، وهي عمدة القراء، فقل من يشتغل بالقراءات، إلا ويقدم على حفظها ومعرفتها (١٨٨). وعقيلة اتراب القصائد في رسم المصحف، وهي كالأولى محفوظة معروفة، ولقصيدتيه هاتين خضع «فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء، ولقد اودع وأوجز وسهل الصعب.» (١٨٩)



ولشعلة الموصلي ، محمد بن احمد ابي عبدالله المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، شرح على قصيدة حرز الاماني ، سماه ، كنز المعاني ، وضح فيه وبسط ماابهم منها ، اخذ بها طلبة العلم بالموصل : [١٩٠]

ويعد ابو بكر يحيىٰ بن سعدون بن تمام الازدي القرطبي ، من اشهر وأجل علماء الاندلس الذين دخلوا الموصل ، واختاروها سكناً ، حتىٰ وفاته بها سنة ٥٦٧ هـ [١٩١] اخذ بقرطبة عن شيوخها ، ورحل الى المشرق ، فدخل مصر ، والشام ، والحجاز ثم دخل العراق ، واستقر مقامه بالموصل. فجلس للاقراء والاسماع ، فأخذ عنه وسمع منه معظم طلبة الموصل ، والوافدين اليها واشهرهم. ابن الحدوس ؛ عبدالله بن الحسن المتوفى سنة ٦٢٥ هـ ، وكمال الدين بن منعة المتوفى سنة ٦٣٩ هـ وفخر الدين ابو المعالي السالف الذكر؛ وكان ابن شداد ، يوسف بن رافع قد لازمه احدى عشرة سنة ، قرأ عليه معظم ماكان يحمله ويرويه من كتب القراءات ، وقراءة القرآن بالطرق السبع ، وكتب التفسير وامهات الكتب في علم الحديث كالبخاري ، ومسلم ، وشرح الغريب لابي عبيد القاسم بن سلام [١٩٢] . وكان القرطبي : «ديناً ورعاً عليه وقار وسكينة وكان ثقةً صدوقاً ثبتا نبيلا ... كثير الخير مفيداً .» [١٩٣]

- واحمد بن علي بن عتيق القرطبي المتوفى سنة ٥٩٦ هـ [١٩٤]

دخل الموصل ، وأقام على حضور مجالس ابي بكر بن سعدون في القراءات ، وسمع الحديث من عبدالله بن احمد خطيب الموصل.

- وأحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن الحداد الانصاري البلنسي [١٩٥]

رحل الى المشرق سنة ٤٥٢ هـ فدخل واسط وبغداد والموصل ، ثم عاد الى مصر سنة ٤٦٧ هـ . ودخل المغرب فناظر علماءها في مسائل من العلم.

- ومحمد بن عبدالله بن محمد بن ابي الفضل المرسي ، ابو عبدالله المتوفى سنة ٦٥٥ هـ [١٩٦] قال الحموي : «رايته بالموصل» وكان محدثاً فقيهاً مقرئاً مفسراً اديباً ، له عدة تصانيف.
- ابراهيم بن محمد بن عبدالرحمن ابو اسحاق الاشبيلي ابن وثيق المتوفى سنة ٦٥٤ هـ [١٩٧] دخل الموصل ، ودرس بها ، فأخذ عنه عماد الدين بن ابي زهران الموصلي [١٩٧] وغيره. وحمل ابن وثيق مؤلفات ابي الحسن بن شريح ، شيخ قراء الاندلس ، وحدث عنه بكتاب التيسير. [١٩٩]
- محمد بن علي بن محمد الحاتمي محي الدين آبو بكر المرسي ابن عربي [٢٠٠] المتوفى سنة ٦٣٨هـ ، برع في علم التصوف وله فيه مصنفات كثيرة ، منها : الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم ، وعقيدة اهل السنة ، واخبارة كثيرة في كتب التاريخ والتراجم.

٢ - علوم العربية وآدابها

هنالك مؤلفات في علوم العربية وآدابها ، لايمكن الاستغناء عنها في كل زمان ومكان ، فهي اصولها ، وبها العمل ، وعليها يعول في الدراسة والتأليف. وهي مؤلفات يحتاج فهم مضامينها الى عالم متخصص بها ، ومطلع على غوامضها ليكون اهلاً لحملها وتدريسها ، وتقريب مقفلها للأخرين ومن بينها :

- مؤلفات الخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، واشهرها كتاب العين.
- ومؤلفات سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ ، وكتابه المشهور.
- ومؤلفات ابي بكر الانباري المتوفى سنة ٣٢٧ هـ .
- ومؤلفات الزجاجي المتوفي سنة ٣٣٧ هـ ،



واهمها كتاب الجمل.

- ومؤلفات ابي علي النحوي المتوفى سنة ٣٧٧، واكثرها تداولاً كتاب الايضاح.
- ومؤلفات ابن جني الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢.

ومن دواوين الشعر؛ ديوان ابي تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ، وديوان البحتري المتوفى سنة ٢٨٤ هـ، وديوان المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ. وفي المقامات، مقامات الحريري. [٢٠١].

وجملة هذه المؤلفات، مؤلفات مشرقية، دخلت الاندلس والمغرب مبكراً، فدار عليها التأليف شرحاً واختصاراً، وفاقت شهرة بعض هذه المؤلفات شهرة الاصول نفسها. [٢٠٢]

ولعلماء الموصل في العربية وآدابها تآليف بديعة، ومنهجهم كما يقول ابن خلدون يقوم على متابعة ابن جني الموصلي[٢٠٣]، الذي عرفت مؤلفاته، واتخذت مكانتها الكبيرة لدى علماء المغرب والمشرق على السواء.

وعلى عهد ابن خلكان كان الطلبة بالموصل قائمين على تصانيف ابن الدهان ابي محمد سعيد بن المبارك بن علي البغدادي نزيل الموصل والمتوفى بها سنة ٥٦٩ هـ[٢٠٤].

ولمؤلفات ابن الاثير، ضياء الدين، نصرالله بن محمد المتوفىٰ سنة ٦٣٧ مكانة وشهرة في الافاق، حملها عنه اهل المغرب، وجرى لهم معه مناظرات، ومحاورات في مسائل كثيرة. [٢٠٥].

ودخلت الموصل مؤلفات للمغاربة، كألفية ابن عبد المعطي، ابي الحسين يحيىٰ بن عبدالنور الزواوي المتوفى سنة ٢٦٨ هـ. في النحو[٢٠٦]، اتخذت لها مكاناً في الدراسة وشمر لشرحها عالمان من علماء الموصل وكلاهما عرف بابن الخباز؛

الاول: محمد بن ابي بكر بن علي بن الخباز المتوفىٰ سنة ٦٣١ هـ، وقد سبق التعريف به.

والثاني: احمد بن الحسين بن احمد النحوي الضرير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ[٢٠٧]، وعنوان شرحه كما ورد في كتاب البغدادي «الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية»[٢٠٨] وكتاب القانون، او الجزولية، لابي موسى، عيسى بن عبدالعزيز بن يللبخت الجزولي المراكشي المتوفى سنة ٦١٠ هـ، في النحو، قال ابن خلكان عنه: «ولقد اتىٰ فيها بالعجائب، وهي في غاية الايجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، ولم يسبق الى مثلها، واعتنىٰ بها جماعة من الفضلاء فشرحوها، ومنهم من وضع لها أمثلة، ومع هذا كله فلا تفهم حقيقتها، واكثر النحاة ممن لم يكن قد أخذوها عن مُوَقِّف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده منها، فإنها كلها رموز وإشارات؛ ولقد سمعت من بعض ائمة العربية المشار اليه في وقته وهو يقول: أنا ماأعرف هذه المقدمة، وما يلزم من كوني ما أعرفها أن لا أعرف النحو، وبالجملة فإنه أبدع فيها.»[٢٠٩]

وقال القفطي: ولما قرأ الجزولي كتاب الجمل للزجاجي على ابي محمد بن بري وسأله عن مسائل على ابواب الكتاب، فأجابه عنها وجرى بحث فيها بين الطلبة انتج قوله وعلقها الجزولي مفردة فجاءت كالمقدمة، فيها كلام غامض وعقود لطيفة، واشارات الى اصول صناعة النحو غريبة،[٢١٠] وقيل: ليس في الجزولية نحو، وانما هي منطق لحدودها وصناعتها العقلية.[٢١١] ومهما يكن الامر، فقد تصدى لشرحها، ابن الخباز أحمد بن الحسين المذكور قبلاً.[٢١٢]

وللادب من منظوم ومنثور، ساحة واسعة، ودولة قائمة في جميع البلدان الاسلامية، والابداع فيه قد أدرك معانيه عدد ليس بالقليل من المغاربة والاندلسيين الداخلين بلاد المشرق، وهم في هذا على قدم متساوية مع اقرانهم الذين لقوهم وما كانوا مستمعين ومتلقين فحسب، وانما كانوا مسمعين ومبرزين في ميدانه، ودخل الموصل افراد منهم ذوو



مكانة ومقام معلوم منهم :

- الحسين بن علي بن الحسين ابو القاسم المغربي المتوفي سنة ٤١٨ هـ قال فيه ابن بسام : «كان ابو القاسم نجماً مطالعه الدول ، وبحراً عبابه القول والعمل وروضةً تقوت القلوب نفحاتها ، وتقيد الأبصار صفاتها وموصوفاتها ؛ أما العلماء فعيال عليه ، واما العظماء فلعبٌ بين يديه ، واما الاقلام فبعض شيعه وأنصاره ، وأما الاقاليم فبين ايراده وإصداره ، وأما مكانه من العلم الحديث والقديم ، وسبقه الى غايتي المنثور والمنظوم ، وإقدامه على المهالك ، وتلاعبه بالأملاك والممالك ، فأشهر من الصباح ، وأسير من الرياح»[٢١٤] وما بالغ ابن بسام فقد عرف الرجل بذكائه وقدرته العالية في الوصول الى غاياته ، فحيث حل من البلاد آثار ما يعكر الصفو على الحكام فيها ، مثيراً للعامة من الناس عليهم ، محرضاً اياهم بخطبه الشديدة الوقع عليهم . وكان مكيناً من ذلك ، متلاعباً بمشاعر الناس ، اشعل الفتن بمصر ومكة وغيرهما ، وعندما حل بالموصل اغراه وزير قراقوش ، ابن ابي الوزير الكافي بمال كثير ليرحل عنها ، فغادرها مدة ثم عاد اليها بعد وفاة ابن ابي الوزير وتقلد وزارتها «وأتى على ما كان بها من رمق ، وجرى من العسف باعاظم اهلها من أبعد طلق» .[٢١٥] وكان من الدهاة العارفين ، خبيث الباطن ؛ قال ابن خلكان إذا دخل عليه الفقيه سأله عن النحو ، وإذا دخل عليه النحوي سأله عن الفقه والفرائض[٢١٦] ، ومع ذلك فالمغربي هذا عد وزارته منةً على الموصل واهلها عندما قال : «... فلولا ما أرجوه من مداواة أسقامهم واعادة صالح أيامهم ، لفضاني الانتماء بمعايشتهم قبل معاناتهم ، وبملاحظتهم قبل مقاساتهم ، لكني أعلم أن من يحيي العظام وهي رميم ، ويبعث الروض وهو هشيم ، وينشيء [...][٢١٧] بعد ما كانت قفاراً ، ويجعل من الشجر الاخضر ناراً ، قادراً على أن يجعل ثواب نيتي فيهم معونتي على ماأنويه لهم ، وجزاء تأملي بهم بلوغ الفرض في تدارك رمقهم .»[٢١٨]

اختصر المغربي كتاب اصلاح المنطق . لابن السكيت ، وسماه : المنخل ، وألف كتاب الايناس ، وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ويدل على كثرة اطلاعه ، وكتاب أدب الخواص وكتاب المأثور في ملح الخدور ، وله ديوان شعر ونثر.[٢١٩]

- وعلي بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسي القرطبي المعروف بابن خروف المتوفي سنة ٦٠٤ هـ[٢٢٠] شاعر معروف ، دخل الشام والعراق ، واستوطن حلب ، وكان يتردد بينها وبين الموصل ، يمدح سلاطين وامراء العصر.[٢٢١] وله مع ابن شداد بحلب قصة طريفة ذكرها ابن خلكان بقوله : «اخبرني جماعة ممن كانوا عنده - يعني عند ابن شداد - قبل وصولها اليه أنه قدم عليه الأديب نظام الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن خروف... فكتب اليه رسالة وفي اولها ابيات يستجديه فروة قرظ وهي :

بهاء الدين والدنيا
ونور المجد والحسب
طلبتُ مخافةَ الانواءِ
من نعماك جلدَ أبي
وفضلك عالمٌ أني
خروفٌ بارعُ الأدب
حلبتُ الدهر اشطره
وفي حلب صفا حلبي



ذو الحسب الباهر، والنسب الزاهر، يسحب ذيول سيراء السراء، ويحب النحاة من أجل الفرّاء، ويمن على الخروف النبيه، بجلد ابيه، قانيء الصباغ، قريب عهد بالدباغ، ما ضل طالب قرطه ولا ضاع، بل ذاع ثناء صانعه وضاع، أثيثَ خمائل الصوف، يهزأ من الرياح بكل هوجاء عصوف، إذا طَهر إهابه، يخافَه البرد ويهابه، ما في الثياب له ضريب، إذا نزل الجليد والضريب، ولا في اللباس له نظير، إذا عريَ من ورقه الغصن النضير، لاكطيلسان ابن حرب[٢٢٢]، ولاجلد عمرو الممزق بالضرب، كأنه من جلد حمل الجرباء، الذي يراعي البدر والنجم، لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم، فَرجّي النوع أرجي الضوع ليكون تارة لحافاً وتارةً بُرداً، وهو في الحالين يحيىٰ حراً ويميت بَرداً، لازال مهديه سعيداً، ينجز للأولياء وعداً، وللاعداء وعيداً، إن شاء الله تعالى والسلام». [٢٢٣]

- ومحمد بن احمد بن جبير الأندلس ابو الحسين المتوفي سنة ٦١٤ هـ [٢٢٤].

صاحب الرحلة، عني بالأدب، فبلغ الغاية فيه، وتقدم في صناعة القريض والكتابة مع معرفة تامة بعلوم الفقه والحديث والقراءات.

- ومحمد بن سليمان الزهري الأشبيلي ابو عبدالله المتوفي سنة ٦١٧ هـ [٢٢٥]

أقام بالموصل مدة يسمع ويكتب، وكان حسن المعرفة بالادب، ويقول الشعر وينشيء المقامات، وله اهتمام بعلم الحديث، ومؤلفات في هذا المعنى.

- وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالملك بن سعيد [٢٢٦]

من بني سعيد الغرناطيين، ومن عائلة وقرابة علي بن موسى الآتي بعده خرج من الأندلس مغاضباً، فطاف البلاد المشرقية، وكان اديباً شاعراً. دخل الموصل وله فيها وصف يدل على شفافيته، مات شهيداً ببخارى عند دخول المغول.

- ويحيي بن محمد بن علي الخزرجي التلمساني [٢٢٧]

كان شاعراً، دون له ابن الشعار بعض قصائده.

- وعلي بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطي ابو الحسن المتوفي سنة ٦٨٥ هـ [٢٢٨]

لقي مشاهير ادباء وعلماء الموصل، وهو صاحب التصانيف المشهورة.

- ومحمد بن احمد بن سحمان الشريشي ابو بكر المتوفى سنة ٦٨٥ هـ [٢٢٩]

برز في علوم العربية، وله شرح على الفيه ابن عبدالمعطي في النحو.

٣- العلوم العقلية «علوم الدراية»:

الداخلون الى الموصل في مجموع هذه العلوم قليل، وهم على قلتهم كانوا يجمعون بين علمي الرواية والدراية على حد سواء، بمعنى أن اهتماماتهم لم تكن مقصورة على العلوم العقلية فحسب، وانما كان لهم نصيب كبير في الأخذ والحمل عن آخرين لهم مكانتهم في العلوم النقلية، وليس في ذلك مايدعو الى الإستغراب، فالرحلة الى المشرق تشكل لأهل المغرب والأندلس فرصة علمية ثمينة قد لايسمح الزمان بمثلها مرة اخرى، فكان تعلقهم بعلوم اهل المشرق وحملهم مايضيف ويغني في علوم الرواية والدراية غاية من اسمى غايات الراحلين لما في ذلك من فضل قد يكسب الراحل مكانة غير مسبوقة في حمل العلوم، وخير مثل على ذلك:

- احمد بن محمد بن مفرج ابو العباس الاشبيلي



المعروف بابن الرومية[٢٣٠] ، والمشهور بالعشاب والنباتي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ[٢٣١] .

امام اهل المغرب في معرفة وتمييز الاعشاب ، منافعها ، ومضارها ، ورث هذا العلم عن والده وجده ، واليه انتهى علمها . رحل الى المشرق وعاين فيه كثيراً من النبات مما لايكون بالمغرب منه ، حتى وقف على اصنافٍ وانواعٍ كثيرة قلما عرفها غيره ، فصار في علم النبات فرداً لايجاريه احد.

وله بعد ذلك حظ وافر من علوم الرواية ، فقد كان محدثاً حافظاً معتنياً بعلم الرجال جرحاً وتعديلاً ، وكان من اكثر المتعصبين لابن حزم الاندلسي ، معتنياً بمؤلفاته « انفق عليها اموالاً جسيمة حتى استوعبها جمعاً فلم يشذ عنه منها إلا مالا خطر له »[٢٣٢] . وعن طريقه انتشرت مؤلفاته .

ولإبن الرومية ، مؤلفات في علم النبات والأدوية والحديث مذكورة .

دخل الموصل بعد سنة ٦١٤ هـ وسمع من علمائها ومن كان بها من علماء المدن الاخرى ، سماهم في فهرسة شيوخه وهم :

- ابو العباس ، احمد بن سليمان بن ابي بكر ابن سلامة بن الأصفر.
- وابو محمد ، اسماعيل بن ابراهيم بن محمد الشهرستاني .
- وابو علي ، الحسن بن علي بن الحسن بن عمار.
- والحسين بن عمر بن نصر بن باز.
- والحسين بن ابي صالح التكريتي .
- وشهاب الدين مودود بن محمود بن بلدجي الحنفي .
- وعبدالله بن الحسين بن الحسين بن الحدوس .
- وابو القاسم ، عبدالمحسن بن ابي الفضل الطوسي .
- وابو الحسن ، علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري .
- وابو الفرج بن عبدالرحمن بن محمد بن ابي العز.
- ومسمار بن عمر بن محمد الموصلي البغدادي النيار.
- وابو محمد ، المعافى بن اسماعيل بن الحسين .
- وابو العز، يوسف بن علي بن يوسف الباذبيني .
- وابو الذخر، خلف بن محمد الكنزي .
- وياقوت بن عبدالله .
- وسليمان بن علي بن ابي محمد الموصلي « اجازة مراسلة »[٢٣٣] .
- وابو الحسن ، علي بن احمد بن علي بن هبل البغدادي نزيل الموصل « اجازة مراسلة »

واكثر هؤلاء الشيوخ من اهل الحديث اوبقية العلوم النقلية الأخرى ؛ ماعدا إبن هبل ، ابا الحسن علي بن احمد ، فهو طبيب بغدادي الاصل ، سكن الموصل وبرع في علم الطب ، والاشتغال به ، وله فيه مؤلفات ، وكان فضلاً عن ذلك يُقرأ العلوم الحكمية ، ويُسمع الحديث النبوي ، وله في الادب معرفة وشعر حسن[٢٣٤] .

وابن الرومية ، لم يلق ابن هبل ولا سمع منه ، لدخوله العراق سنة ٦١٤ هـ ووفاة ابن هبل في سنة ٦١٠ هـ ، وانما حمل عنه بالاجازة العامة مراسلة مابين سنتي ٦٠٦ هـ و ٦١٠ هـ[٢٣٥] .

- واحمد بن الحسن بن احمد القضاعي ابو جعفر الاندي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ[٢٣٦] .

وهو رفيق ابن جبير في رحلته ، كان معتنياً بعلم الطب ، وله فيه تقييد مفيد .

- وعبدالله بن احمد بن عبدالله الانصاري ، ابو محمد الداني المتوفى سنة ٦٤٥ هـ[٢٣٧] .

سمع من جماعة بالموصل ، ومال الى علم

الطب وعني به ، مع مشاركة في العلوم الاخرى.

- ومحمد بن عبدالنور الصنهاجي العماد المغربي [٢٣٨] .

قرأ شيئاً من علوم الأوائل على كمال الدين بن منعة المتوفى سنة ٦٣٩ هـ ، وكان شاعراً مدح شيخه المذكور ومكانته من العلوم العقلية وغيرها ، ولمز في دينه بقصائد اخرى ، وهو ماكان يتهم به إبن منعة المذكور لطغيان العلوم العقلية عليه [٢٣٩] .

- والسموأل بن يحيي بن عباس المغربي [٢٤٠]

عرف بعلوم الرياضيات والجبر والمقابلة ، وعلوم الطب ، وله فيها مؤلفات كثيرة افاد منها طلبة العلم.

- وعلي بن يقظان السبتي [٢٤١] .

طبيب وشاعر ، دخل الموصل ، ومدح وزيرها جمال الدين محمد بن علي الاصبهاني المتوفى سنة ٥٥٩ هـ .

من لقي علماء الموصل في الامصار الاسلامية :

مر سابقاً ذكر من دخل الموصل من اهل المغرب والأندلس طلباً للعلم والسماع من علمائها ، وقد أفادتنا المصادر بآخرين منهم ، لم يدخلوا الموصل ، ولكنهم لقوا علماءها في المدن والحواضر الاسلامية الاخرى ، فسمعوا منهم ، وقرأوا عليهم ، وحملوا عنهم علوماً كثيرة ربما اغنتهم عن دخول المدينة والتردد منها ، خاصة إذا علمنا ان الدراسة على عالم قد تنتهي بمنح الطالب إجازة عامة ، أو خاصة تتيح له رواية مايحمله استاذه هذا من مؤلفات ومرويات في مختلف انواع العلوم ؛ والذين لقوا علماء الموصل في الامصار الاسلامية خلق فاق عدده عدد من دخلها ، سأكتفي بالتمثيل لكبارهم دون غيرهم ، موافقاً قدر الامكان شرط ماسبق ان قدمناه عن علماء الموصل المتصدرين في المدن الاسلامية الاخرى ومطابقاً له ، وهم :

- حسين بن فيره ، ويعرف بن سكره الصدفي ابو علي المتوفى سنة ٥١٤ هـ .

سمع وقرأ علي ابي الحسن ، علي بن الحسن الخلعي الموصلي بمصر [٢٤٢] .

- محمد بن الحسين بن احمد الخزرجي الميورقي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ

اخذ بمصر عن علي بن الحسين بن الفراء الموصلي [٢٤٣] .

- محمد بن عبدالله بن العربي المعافري ابو بكر الاشبيلي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ .

سمع الخلعي بمصر ، وحمل عنه الكثير مما رواه في الأندلس [٢٤٤] .

- محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن يعيش ابو عبدالله البلنسي المتوفى سنة ٥٥٦ هـ

تردد كثيراً في الأخذ والسماع علي ابي الحسن علي بن الفراء بمصر [٢٤٥] .

- ابراهيم بن احمد بن عبدالله بن صدقة الحاكم ابو اسحاق الغرناطي

سمع ابن الفراء بالاسكندرية ، وحدثه عنه بالأندلس [٢٤٦] .

- محمد بن عبد الرحيم ، ابو حامد الغرناطي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ

سمع ابن الفراء بمصر ، وعبد اللطيف بن اللباد بالشام [٢٤٧] .

- علي بن عتيق بن احمد الانصاري الاندلسي ، نزيل مدينة فاس المتوفى سنة ٥٩٨ هـ

سمع وقرأ علي ابي الفداء اسماعيل بن علي بن عبدالله الموصلي بمكة ، وأجازه [٢٤٨] .

- احمد بن هارون بن عات النفزي ابو عمر المتوفى سنة ٦٠٩ هـ



قرأ علي ابي الفداء اسماعيل بن علي بمكة ، وأجازه [٢٤٩] .

- محمد بن عبدالرحمن بن علي بن محمد التجيبي ابو عبدالله المتوفى سنة ٦١٠هـ
لقي ابو الفداء اسماعيل ، وخطيب الموصل الطوسي ، وابن عبدالسلام التونسي نزيل الموصل بمكة واجازوه [٢٥٠] .

- عمر بن عبدالمجيد بن عمر الازدي المالقي ، ابو حفص المتوفى سنة ٦١٦هـ
اخذ عن الدولعي ، عبدالملك بن زيد بن ياسين بدمشق [٢٥١] .

- عيسى بن سليمان بن عبدالله الرعيني ابو محمد المتوفى سنة ٦٣٢هـ
اخذ عن الدولعي ، وابي الفضل اسماعيل ابن ابراهيم بن احمد الشيباني الموصلي بدمشق [٢٥٢] .

- محمد بن ابراهيم بن عبدالملك الازدي القيجاطي ابو عبدالله بن قرشية المتوفى سنة ٦٤٣هـ
اخذ بمصر عن خطيب الموصل ابي الفضل عبدالله بن احمد الطوسي [٢٥٣] .

- محمد بن حسن بن محمد المغربي ابو عبدالله جمال الدين المتوفى سنة ٦٥٤هـ
اخذ القراءات بحلب عن ابن شداد ، وقرأ عليه صحيح مسلم [٢٥٤] .

- محمد بن سراقه بن محمد الشاطبي ابو القاسم الانصاري المتوفى سنة ٦٦٢هـ
سمع ابن شداد بحلب [٢٥٥] .

- محمد بن يوسف بن موسى الغرناطي ابو عبدالله بن مسدي المتوفى سنة ٦٦٣هـ
اخذ عن عبداللطيف ابن اللباد ، وابن علوان بحلب [٢٥٦] .

- القاسم بن محمد بن يوسف علم الدين البرزالي الاشبيلي المتوفى سنة ٧٣٩هـ
قرأ وسمع وروى عن ابي اسحاق ابراهيم بن عبدالرزاق الرسعني بدمشق [٢٥٧] .

- محمد بن يوسف بن علي اثيرالدين ابو حيان المتوفى سنة ٧٤٥هـ .
اخذ عن ابي الفضل ، عبدالرحيم بن يوسف ابن علي المعروف بابن خطيب المزه ، وعن ابن بلدجي ، عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي بدمشق [٢٥٨] .

- محمد بن جابر بن محمد الوادآشي التونسي المتوفى سنة ٧٤٩هـ
سمع وروي عن : محمد بن احمد بن سلامة الموصلي ، وعلي بن مسعود بن نفيس المتوفى سنة ٧٠٤هـ ، وعمر بن ابراهيم بن حسن الرسعني المتوفى سنة ٦٩٩هـ لقيهم بالشام [٢٥٩] .

- ولقي ابن الشعار الموصلي المتوفى سنة ٦٥٤هـ جمعاً غفيراً من المغاربة والاندلسيين ، ترجم لهم ، ودون الكثير من اشعارهم ، او اشعار غيرهم في كتابه : عقود الجمان ، نذكر منهم :

- احمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي ابا العباس المتوفى سنة ٦٠١هـ
نزيل دنيسر، انشده بعض اشعاره (ج ١ ورقة : ١٠٥ أ) .

- احمد بن محمد بن احمد بن نصر أبا جعفر المعافري
لقيه بحلب (ج ١ ورقة : ٢٣١ ب)
اسماعيل بن عبدالله بن اسماعيل البياسي
لقيه بحلب سنة ٦٣٤هـ ، وانشده شعر سهل ابن محمد بن ايوب الغرناطي (ج ١ ورقة : ٦١أ)

- عبدالله بن محمد بن علي القسنطيني المغربي
سمع منه بعض الاشعار (ج ١ ورقة : ١٠٤ ب)

- عبدالله بن يوسف بن عبدالرحمن الهتاتي

المراكشي
لقيه باربل سنة ٦٢٧هـ (ج٣ ورقة ١٥٥ب).

- عبدالله بن موسى بن عبدالله ابا محمد الشاطبي.
انشد ابن الشعار بعض قصائده. (ج٣ ورقة ١٣٧ب)

- عبدالرحمن بن علي بن يحيي الغماري السبتي
سمع منه ابن الشعار بعض قصائده. (ج٣ ورقة ٢٥١ب).

- عبدالرحيم بن احمد بن علي بن طلحة الانصاري السبتي
لقيه ابن الشعار بأربل سنة ٦٣٠هـ، وسمع منه شعره. (ج٣ ورقة ١٧٩أ).

- محمد بن علي بن محمد اليحصبي الاندلسي
سمع منه ابن الشعار ودون شعره. (ج٦ ورقة ٢٢٩ب)

- محمد بن عبدالله بن احمد بن عبدالواحد السبتي
سمع منه ابن الشعار بعض ابياته. (ج٦ ورقة ٢٥٧ب)

- محمد بن احمد بن محمد الشريشي
انشده قصيدة يلتمس بها كتاب التلقين للقاضي عبدالوهاب البغدادي. (ج٧ ورقة ١٥٢ب)

- محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري الميورقي
لقيه بحلب سنة ٦٤٠هـ. (ج٧ ورقة ١٠٥أ)

- محمد بن علي بن عبدالله بن ابي العافية البلنسي، انشده من شعر صفوان بن ادريس المرسي. (ج١ ورقة ٨٨)

- محمد بن يحيي بن معنصر القسنطيني المغربي
سمع منه ابن الشعار قصائد. (ج٧ ورقة ١٠٧أ)

- محمد بن الحسن بن محمد الفاسي.
لقيه ابن الشعار بحلب، وسمع منه اشعار بعض المغاربة. (ج١٠ ورقة ٢٨٦ب)

- هاشم بن حبيب ابو الوليد البيغي الغرناطي المتوفى سنة ٦٢٢هـ
سمع منه ابن الشعار، قصائد في الزهد. (ج٩ ورقة ٩٢ب)

ويبقى احتمال دخول هؤلاء الاعلام الذين ذكرناهم والذين لقيهم ابن الشعار، وغيرهم ممن لم نذكرهم خوف الاطالة، مدينة الموصل قوياً، خاصة من دخل منهم مدينة اربل وحلب والمدن القريبة من الموصل؛ ولكن قصورنا او قصور المصادر التي اعتمدنا واطلعنا عليها ضيع بعض ما كنا نرجوه ونتمناه، فسقناهم في مرتبة غير مرتبة الداخلين اليها.

- الاجازة العلمية بالمراسلة:

منح علماء الموصل ومن كان بها من المشاهير الاجازة العلمية مراسلة لمغاربة واندلسيين، راسلوا في طلبها، وحملوا بهذا الطريق مايحمله المجيز من مؤلفات ومرويات؛ وهؤلاء المجازون هم:

- محمد بن عامر بن فرقد القرشي الاشبيلي ابو القاسم المتوفى سنة ٦٢٧هـ
اجازة من اهل الموصل ومن كان بها من العلماء.
علي بن علي الموصلي
واحمد بن سلمان بن الاصفر
واسماعيل بن ابراهيم الشهرستاني
والحسن بن علي بن عمار
والحسين بن عمر بن باز
وخلف بن محمد الكنتزي
وشهاب بن مودود ابن بلدجي
وعبدالله بن الحسن بن الحدوس



وعبدالمحسن بن ابي الفضل الطوسي
ومسمار بن العويس النيار،
والمعافى بن اسماعيل وغيرهم[٢٦٠] .

- طلحة بن محمد بن طلحة الاشبيلي ابو محمد المتوفى سنة ٦٤٣ هـ

اخذ بالاجازة العامة عن جماعة كبيرة من اهل المشرق، استفادها من قبل شيخه ابي العباس بن الرومية العشاب. المذكور في العلوم العقلية — فقد اجازه مايحمله من مشاهير العلماء وسمى له من اهل الموصل.
الحسن بن علي بن الحسن بن عمار ابو علي
وعلي بن محمد بن عبدالكريم الجزري
ومسمار بن العويس النيار[٢٦١] .

- القاسم بن محمد بن احمد بن الطيلسان القرطبي ابو القاسم المتوفى سنة ٦٤٢ هـ

حاله في الاجازة العامة حال سابقه؛ طلحة بن محمد، وسمى من اهل الموصل:
الحسين بن عمر بن نصر بن باز
وخلف بن محمد بن خلف الكنزي
وريحان بن تيكان بن موسك
ويوسف بن علي بن يوسف الباذيني ابو العز.[٢٦٢]

- محمد بن عياض بن محمد بن عياض السبتي المتوفى سنة ٦٥٥ هـ

اجازه من اهل الموصل:
نصرالله بن سلامة بن سالم المليني
وعبدالجبار بن ابي الفضل بن حمزة الحصري
وفتيان بن احمد بن محمد
وعبدالمحسن بن ابي الفضل الطوسي[٢٦٣]

- محمد بن احمد بن عبدالله بن سيد الناس اليعمري الاشبيلي ابو بكر المتوفى سنة ٦٥٩ هـ

اجازه:
احمد بن سليمان بن سلامة الموصلي
وعبدالمحسن بن ابي الفضل الطوسي[٢٦٤] .

- محمد بن عبدالله بن احمد بن عبدالرحمن الازدي السبتي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ

اجازه العلماء الذين اجازوا محمد بن عياض[٢٦٥] .

ماحمله ورواه اهل المغرب والأندلس عن علماء الموصل:

حمل المغاربة والاندلسيون عن العلماء والرواة المواصلة نوعين من المرويات:
القسم الأول؛ مؤلفات مدونة، ومرويات في علوم مختلفة رووها بأسانيدهم، وبطرق التحمل المعروفة، وهي جملة لاتتعدى العلوم النقلية وعلوم العربية وآدابها.

في علم التفسير:

- تفسير القرآن الكريم، المسمى: شفاء الصدور، لأبي بكر النقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ هـ رواه ابن عطية، عبدالحق بن غالب الغرناطي المتوفى سنة ٥٤١ هـ عن شيخه ابي عبدالله محمد بن فتوح الانصاري المتوفى سنة ٤٩٨ هـ عن التبريزي عن ابي الحسين محمد بن احمد المحاملي عن المؤلف[٢٦٦] . ورواه القاضي عياض بن موسى السبتي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ، عن ابي القاسم خلف بن ابراهيم بن الحصار المتوفى سنة ٥١١ هـ عن التبريزي بالسند السابق[٢٦٧] .

وحمله ابن خير، محمد بن خير بن عمر الاشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ عن شيخه ابي عبدالله محمد بن عبدالرحمن المذحجي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ اجازه عن ابي بكر المصحفي عن التبريزي بسنده[٢٦٨] .
قال ابن خير: «وبهذا الاسناد روى اهل الاندلس هذا الكتاب قديماً وحديثاً، وكانت



الرحلة فيه الى التبريزي وعنه اخذه ابو القاسم حاتم بن احمد الطرابلسي وغيره من المشايخ»[٢٦٩].

والتبريزي ؛ هو: علي بن ابراهيم المعروف بابن الخازن يكنى ابا الحسن ، دخل الأندلس سنة ٤٢١ هـ ، واسمع الناس بشرق الاندلس بعض مارواه ، ودخل طليطلة سنة ٤٢٢ هـ فسُمع منه بها تفسير القرآن ، للنقاش وغيره من المؤلفات الاخرى سمع منه جماعة من علماء الاندلس وحملوا مروياته[٢٧٠].

وفي القراءات :

- كتاب الحجة لاختلاف القراء ، لأبي علي النحوي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ.

رواه ابن خير عن ابي بكر بن العربي ، **عن ابي الحسن الخلعي الموصلي** لقيه بمصر، وحدثه به عن شيوخه بأسانيدهم عن المؤلف[٢٧١].

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، لابن جني الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢ هـ قال ابن خير :« حدثني به ابو الطاهر السلفي اجازة فيما كتب به اليّ قال... بسنده الى المؤلف»[٢٧٢].

وفي علوم الحديث :

- صحيح الامام البخاري

رواه القاسم بن يوسف السبتي التجيبي المتوفى سنة ٧٣٠ هـ[٢٧٣] ، عن شيخه ابي عمرو عثمان بن محمد التوزري لقيه بمكة ، وحدثه به بسنده عن بعض شيوخه بأسانيدهم عن **ابي الحسن علي بن عمر بن الفراء الموصلي** عن كريمة المرورية بسندها... عن البخاري[٢٧٤] ورواه محمد بن جابر الوادي آشي التونسي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ عن شيوخه ، وبرواية **ابن الفراء الموصلي** عن كريمة عن.... عن البخاري[٢٧٥].

- مسند عبيد بن حميد الكشي المتوفى سنة ٢٤٨ هـ المسمى : المنتخب.

سمعه ابن رشيد ، محمد بن عمر التونسي ابو عبدالله المتوفى سنة ٧٢١ هـ على شيخه ابي محمد عبدالواحد بن علي الكافوري بمصر وحدثه به **عن ابي بكر مسمار بن العويس** النيار عن ابي الوقت بسنده[٢٧٦]

- اجزاء في الحديث ، لعلي بن حرب الطائي الموصلي المتوفى سنة ٢٦٥ هـ.

روى ابو القاسم السبتي احاديث من كتاب علي بن حرب ، وحدثه بها شيوخه الذين لقيهم في رحلته[٢٧٧].

- مسند ابي يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧ هـ

الرواة عن ابي يعلى كثيرون ، فقد حمل ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ مسنده عند قراءته بالموصل ، وهو الذي ادخله بلاد الشام ، حدث به[٢٧٨] ، وعنه حمله اهل المغرب والأندلس وغيرهم.

- مسند ابي العباس محمد بن يعقوب الاصم المتوفى سنة ٣٤٦ هـ

قرأ ابن رشيد بعضاً منه على شيخه عبدالوالي بن بُحتر بن حماد البعلبكي وحدثه به عن شيوخه عن ابن ابي بكر بن محمد الخزرجي بحق سماعه من **خطيب الموصل ابي الفضل الطوسي** ، من سماعه الصحيح بالموصل بسنده عن الاصم وأُجيز بباقيه.[٢٧٩]

- احاديث من غرائب الفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواية الشيخين ابي الفتح محمد بن الحسين بن احمد الازدي الموصلي المتوفى سنة ٣٧٤ هـ ، وابي هاشم الحسين بن محمد بن الحداد.

سمعها الوادآشي عن بعض شيوخه وحدثوه بها



عن ابن ابي عصرون، عن ابي الحسن بن طوق بسماعه عن ابن فرغان عنها[٢٨٠].

- كتاب الأربعين حديثاً، للقاضي ابي نصر بن ودعان.

قال ابن خير: «حدثني به الشيخان ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن مروان التجيبي، وابو حفص عمر بن عياد بن ايوب... اليحصبي قراءة مني عليها، قالا: حدثنا الشيخ الحافظ ابو الطاهر السلفي قراءة منها عليه، قال: قرأت على القاضي ابي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن احمد.. ابن ودعان حاكم الموصل، قدم علينا بغداد من الموصل فأقر به» وقال: «وحدثني به ايضاً الشيخ ابو الطاهر السلفي المذكور اجازة فيما كتب به إليّ عن ابن ودعان»[٢٨١].

- الخلعيات، والفوائد في الحديث، للخلعي علي بن الحسن المتوفى سنة ٤٩٢ هـ.

رويت الخلعيات والفوائد في الحديث بطرق كثيرة أعلاها درجة رواية ابن رفاعة؛ عبدالله ابن رفاعة بن غدير السعدي عن الخلعي، وتفرد بعده برواية الفوائد كاملة، محمد بن عماد بن محمد بن الحسين الجزري ابو عبدالله الحنبلي التاجر المتوفى سنة ٦٣٢ هـ؛ قال المنذري: «وهو آخر من حدث عن ابن رفاعة، وكان يرحل اليه لأجل سماعه منه كتاب فوائد الخلعي المشهورة، وتفرد بها عنه كاملة في الديار المصرية وغيرها ولايعلم من بقي في زمانه من وجد سماعه لها منه كاملة سواه.»[٢٨٢]

وحمل عدد غير قليل من الراحلين في وجهتهم المشرقية الخلعيات والفوائد ما بين قراءة او سماع، والظاهر ان علماء الديار المصرية والحجازية قد تخصصوا في تدريس هذين الأثرين المهمين. وعدوهما من بين المقررات والاصول الحديثية. فسمعهما بمصر، محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن غالب المالقي المتوفى بحدود سنة ٦٤٥ هـ[٢٨٣]. وسمع ابن رشيد السبتي عن جماعة من شيوخه المصريين اجزاءاً كثيرة من الخلعيات وحدثوه بها عن شيوخهم عن... الخلعي.

وسمع الفوائد من شيخه ابي الفضل الدميري عبدالرحيم بن عبدالمنعم.[٢٨٤]

وروى ابو القاسم السبتي الكثير من الأحاديث النبوية والاخبار مما تضمنته الخلعيات وكتاب الفوائد، عن شيوخه بمصر[٢٨٥].

وسمع اثير الدين ابن حيان الغرناطي المتوفي سنة ٧٤٥هـ الخلعيات وحملها عن شيوخه الذين سمعها منهم.[٢٨٦] وسمعها احمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الحسني الفاسي المتوفى سنة ٧٥٣هـ بقراءة والده بالمدينة المنورة،[٢٨٧] وحملها قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن محمد الصاغاني الحنفي المتوفى سنة ٨٢٥هـ وكان يدرسها في مجالس تدريسه بمكة[٢٨٨].

- جامع الأصول من أحاديث الرسول، لابن الأثير، مجد الدين المتوفى سنة ٦٠٦هـ

حدث به عبدالرحيم بن عمر بن عثمان الباجريقي الموصلي المتوفى سنة ٦٩٩هـ بدمشق عن والده عن المؤلف وعنه اخذ وحمله طلبه العلم في الديار الشامية،[٢٨٩] وسمعه ابراهيم بن محمد بن عبدالله المعروف بالاسيوطي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٠هـ بمكة من ابن ابي الدم وحدثه به عن المؤلف، وكان كتاب جامع الاصول يدرس في مصر والحجاز وحمله الراحلون بطرق اهل المشرق.[٢٩٠]



ومن المؤلفات الأخرى :

- كتاب الضعفاء والمتروكين ، لابي الفتح محمد ابن الحسين الازدي الموصلي قال ابن خير الأشبيلي : حدثني به ابو الحسن علي بن عبدالله بن موهب قال حدثنا به ابو عمر بن عبدالبر عن اسماعيل بن عبدالرحمن القرشي عن ابراهيم بن بكر الموصلي عن مؤلفه .[٢٩١] وابراهيم بن بكر الموصلي له رحلة الى الأندلس ، دخل اشبيلية وحدث بها عن ابي الفتح الأزدي بكتابه المذكور وعنه حمل بالأندلس .[٢٩٢]

- فضيلة من اسمه محمد واحمد ؛ لابي عبد الله الحسين بن احمد بن بكير المتوفى سنة ٣٨٨هـ قرأ العبدري ، محمد بن محمد الحيحي ابو عبدالله صاحب الرحلة المغربية جزءاً منه على شيخه ابي عبدالله محمد بن ابي القاسم الأزدي ويعرف بالقُسي لقيه بتونس وحدثه به عن شيوخه بأسانيدهم ... عن ابي القاسم عبدالرحمن بن عبدالمجيد الصفراوي عن ابي الفداء **اسماعيل بن علي الموصلي** نزيل مكة بسنده عن ... ابن بُكير .[٢٩٣]

وقال الوادآشي : قرأته على ابي محمد بن هارون ، وسمعته مراراً وحدثني به عن ابي القاسم بن الطيلسان بسنده عن ابي عمر بن عات ، ومحمد بن اسماعيل بن ابي الصيف ، وكلاهما عن ابي الفداء **إسماعيل بن علي الموصلي** بسنده ... عن ابن بكير .[٢٩٤]

- المغني عن الحفظ ، لضياء الدين عمر بن سعيد الموصلي الحنفي قرأه ابو القاسم السبتي على الخلاسي بتونس وحدثه به عن ابي مروان الشقوري عن المؤلف .[٢٩٥]

وفي علوم العربية وآدابها

- اللمع في النحو . ويسمى التلقين أيضاً . ، والتصريف ، وهو المعروف بالملوكي ، والمنصف ، في شرح تصاريف ابي عثمان المازني ،والعروض ، وسر الصناعة ، والخصائص ، والتعاقب ، والمعرب في شرح القوافي ، والتنبيه في شرح الحماسة ، والتمام في شرح الحماسة ، والتمام في شرح اشعار الهذليين ، وكتاب المسائل الخاطرات .

- وشرح ديوان المتنبي . وكلها من مؤلفات ابن جني الموصل المتوفى سنة **٣٩٢هـ**

قال ابن خير : حدثني بذلك كله ابو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن معمر ، عن ابي بكر المصحفي عن ابي الحسن التبريزي بسنده ... عن ابن جني .[٢٩٦]

- الفصوص في اللغات والاخبار، لابي العلاء صاعد بن الحسن الموصلي البغدادي المتوفى سنة **٤١٧هـ** رواه ابن عطية الغرناطي ، عن ابي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب المتوفى سنة **٥٢٠هـ**[٢٩٧] عن ابي مروان بن حيان[٢٩٨] . ورواه القاضي عياض ، عن ابن عتاب عن ابن حيان أيضاً[٢٩٩] . وبهذا الطريق رواه ابن خير[٣٠٠] .

- شعر ابن حجاج البغدادي

سمعه ابن خير عن شيخه ابي عبدلله محمد بن عبدالرحمن بن معمر عن ابي بكر المصحفي عن **ابي العلاء صاعد الموصلي البغدادي** عن قائله .[٣٠١]

- شعر ابن سكرة الهاشمي

حمله ابن خير بالسند المتقدم .[٣٠٢]

قال ابن خير : «وكان ابن سكرة هذا وابن



حجاج المتقدم الذكر صاحبين لصاعد ببغداد ايام حداثتها »[٣٠٣]

- القصيدة اليتيمة .[٣٠٤] « هل بالطلول لسائل رد »

رواها ابن خير عن بعض شيوخه بأسانيدهم **عن ابي العباس احمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالاخفش** ، قال أنشدني جماعة عن ابي بكر بن دريد عن حاتم السجستاني عن الأصمعي وابي عبيدة .[٣٠٥]

- القصيدة الدامغة ؛ انشاء ابي بكر محمد بن عبدالله بن عبدالخالق الحمراوي المصري

رواها ابن خير عن ابي الطاهر السلفي اجازه قال : **انشدناها علي بن الحسين بن عمر بن الفراء الموصلي** بمصر قال : انشدنا ... الحمراوي .[٣٠٦]

ومن كتب الوصايا

- وصية المعافى بن عمران المتوفى سنة ١٨٤ هـ سمعها ابن خير عن ابن عتاب بسنده ... عن المعافى .[٣٠٧]

ومن كتب السير

سيرة ابن اسحاق ، تهذيب ابن هشام

سمعها ابو القاسم السبتي عن بعض شيوخه بمصر وحدثه بها بسنده عن ابي محمد عبدالله بن رفاعة السعدي **عن ابي الحسن الخلعي** بسنده المتصل عن ابن هشام بسنده عن ابن اسحاق .[٣٠٨]

ورواها الواد آشي ، بسنده عن ابن رفاعة **عن ابي الحسن الخلعي** بسنده السابق .[٣٠٩]

قال ابو القاسم السبتي : « هذا اسناد عال عدّة في كتب السيرة ، ورجاله كلهم مشهورون بالثقة والعدالة . »[٣١٠]

ومن المرويات الأخرى

أحاديث نبوية رويت عن علي بن حرب الموصلي وحدث بها بسنده عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، حمل بعضها ابو القاسم السبتي التجيبي[٣١١]

وحدث ابو الدر ياقوت بن عبدالله :

بما كان يحفظ من الأحاديث النبوية ، وسمع بعضها العبدري صاحب الرحلة المغربية عن شيوخه عن ابي الدر بسنده عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وروى العبدري عن شرف الدين الدمياطي[٣١٢]

ماروي عن مالك بن أنس بشأن الاخبار عن مولد الشخص او سنه ، وحدثه به عن شيوخه بأسانيدهم عن ابي سعد عبدالله بن ابي عصرون الموصلي ، عن ابي عبدالله الحسين بن نصر بن محمد ابن خميس بسنده عن .. عن الامام مالك بن انس[٣١٣] .

وسمع العبدري من شيوخه ماكان ينشده أبو الفداء الموصلي ويتمثل به في مجالس وعظه ،وحدثوه عن ابي القاسم عبدالرحمن بن عبدالمجيد الصفراوي عنه[٣١٤] .

وروى ابو القاسم السبتي قول المعافى بن عمران : « عز المؤمن استغناؤه عن الناس ، وشرفه قيامه بالليل » عن شيخه شرف الدين الدمياطي لقيه بالقاهرة وحدثه عن شيوخه بأسانيدهم عن .... عن المعافى[٣١٥] .

وحمل القاضي عياض السبتي قول ابن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ ، في الناس ، والزهاد والغوغاء من الناس ، استفادها من ابي الطاهر السلفي اجازه ، وحدثه بها عن شيوخه بأسانيدهم **عن محمد بن هارون الموصلي** عن ابن خلاد عن ابن المبارك[٣١٦] .

والقسم الثاني :

مرويات تقع في عداد الاخبار والقصص والحكايات المتنوعة الأغراض رووها كما تلقوها بأسانيدها دون زيادة او نقصان ، من غيرما تعليق او تعقيب على ماهو غريب او عجيب في بابه ، وهم في ذلك متبعون اثر العلماء الذين كانوا يحثون على تزيين مجالسهم العلمية ، وتحليتها بمثل هذه المرويات وغيرها [٣١٧] ، يحذوهم اليها اتصال سندها وعلوه تارة ، والتبرك بأصحابها تارة اخرى ، ومن هذه المرويات مارواه ابن رشيد السبتي بسنده عن احوال ابي الحسن الخلعي الموصلي نزيل القاهرة ، من كونه يحكم بين الجن ، وأنهم ابطأوا عليه قدر جمعة وعندما سألهم عن ابطائهم قالوا كان في بيتك شيء من الاترج ونحن لاندخل مكاناً يكون فيه . وذكروا عنه ايضاً انه كان لايحس ببرد في الشتاء ، ولا بحر في الصيف ويكتفي بقميص واحد طيلة فصول السنة ، وقيل ان ذلك كان لرؤيا رآها [٣١٨] ...

وروي ابو القاسم السبتي التجيبي بسنده عن شيوخه ببجاية عن ابن بشكوال بسنده عن ابي نصر احمد بن الحسين الشيرازي عن **ابي نصر احمد بن عبدالباقي بن طوق لقيه بالموصل وقرأ عليه** وحدثه بسنده عن شيوخه عن... عن سفيان الثوري ، وحديثه مع احد حجاج البيت وما لمسه من بركة الدعاء داخل البيت الشريف في رواية طويلة لم يغفل أبو القاسم السبتي التجيبي منها شيئاً [٣١٩] .

هذه امثلة لهذه المرويات ، وما اسقطناه كثيراً جداً ، حمل عن العلماء ودون في مؤلفاتهم ولا يتحمل مافي متونها راوٍ بعينه ، وانما هي سلسلة من الرواة تطول اسانيدهم بتقادم الزمن ، غايتها لاتختلف كثيراً عن غاية احاديث الفضائل التي كانت تروى عن القوي والضعيف ويتساهلون فيها كثيراً ومنها مثلاً كتاب : فضيلة من اسمه محمد واحمد المار ذكره [٣١٩] .

ماقاله العلماء والرحالة المغاربة والاندلسيون في الموصل :

مما يجمل بنا في هذا البحث ، الا يخلو من بعض النصوص التي قالها العلماء والرحالة المغاربة والاندلسيون في الموصل التي استقبلتهم فوجدوا فيها بيئة علمية واجتماعية مرموقة ، فاقت بحسن معانيها غيرها من المدن وطالت ، لاتنشد بها ضالة من العلم الا وجدت ، ولا تلتمس فيها بغية معوزة الا استفدت ، فكانت محط الرحال من الغرب والشرق .

قال الوزير ابو القاسم المغربي المتوفى سنة ٤١٨ هـ « وردتُ الموصل ... فوجدت هواءها يعطل سوق بقراط اعتدالاً وطيبة ، وماءها يُسلي عن مُجاج النحل استمراءً وعذوبة ، وصقعها قد تبغدد رقة ولطفاً ، وجوها قد تزندق تنعماً وظرفاً ، تكاد تُثقله عقود الغانيات ، ويخُجله تتابع اللحظات ، كل شماله نسيم ، وكل جنوبه حياً عميم ، ورأيت أرضها أطيب الارض خيماً ، وأزينها أديماً ، تنسج بالسندس الأخضر ، وتفترُّ عن الاقحوان الاحمر والفيت بنيانها هو الذي حمده الله في تنزيله ، وأحبه لنا أن نكون مثله جهاداً في سبيله مرصوصاً بِوَقّاح الجلمد ، ملأماً بينه بالشيد المرد ، قد حُصن ظاهره على باطنه عن تداخل الأبر ، ومساكن الذّر ، يزل عنه ظفر الطائر ، وتتدحرج عليه أحداق الناظر ، وتغني به العروس عن الماويّ المنير ، وتستبين به الجفون منابت الشكير من اهدابها والغمير ، متلاقية اقطارُها على رجال كأنهم أنسلاءُ عاد وثاقة اجسام ، وصلابة احلام وبعد مرام ، لطفوا عن بدوية الشام وغلظته ، وجمدوا عن ذوب العراق وخلابته ، قد عُقدت ألسنتهم



بالصدق ، فيما ينتثر الباطل من عَذباتها ، وصحت غرائسهم في المودة فيما يجتني العذر من ثمراتها ، إن سلماً فسلماً وإن حرباً فحرباً ، لايعرفون تدليس الاخلاق ، ولا تمويه النفاق وشعراؤهم ملء اليدين ، وكتابهم أثر بعد عين ، أدبهم حسن على قلة الملوكي فيه ، وعلمهم مُتقن لمن تأمل ادقّ مسرب في فِتنَ معانيه ، قد محص تهذيب المحن شرارهم وأوهن خيارهم ، بلدهم أطلال ، وأحوالهم آل ، قويهم يئن ضعفاً ، وضعيفهم يماطل حتفاً ، بقيت عليهم أسمال النعم وذهب الدهر بأجسامها ، وانجلت عنهم ظلل المحن وهم يتأوهون من غير آلامها ، إلا أن فيهم بقية نقية وفيهم موضع تدارك إن رُزقوا سيرة مرضية »[٣٢٠] .

ووصفها ابن سعيد ؛ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الغرناطي المتوفى في الربع الأول من القرن السابع الهجري بقوله :

« مدينة عليها رونق الأندلس ، وفيها لطافة ، وفي مبانيها طلاوة ترتاح لها الانفس »[٣٢١] .

وقال ابن جبير ، محمد بن احمد الاندلسي المتوفى سنة ٦١٤ هـ في رحلته :

« هذه المدينة عتيقة ضخمة ، حصينة فخمة ، قد طالت صحبتها للزمن ، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن ، قد كادت ابراجها تلتقي انتظاماً لقرب مسافة بعضها من بعض ، وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره المطيف بالبلد كلّه... وللبلدة ربض كبير فيه المساجد والحمامات والخانات والأسواق وأحدث فيه بعض امراء البلدة .. جامعاً على شط دجلة ماأرى وضع جامع أحفل منه ، بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه ، وكل ذلك نقش في الآجر ، وأما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ، ويطيف به شبابيك حديد ، تتصل بها مصاطب تُشرف على دجلة لامقعد أشرف منها ولا أحسن ، ووصفه يطول ، وإنما وقع الالماع بالبعض جرياً الى الاختصار » .

وعن مدارسها ، قال : « وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد على دجلة ، فتلوح كأنها القصور المشرفة » .

وخص اهلها بقوله : « واهل هذه البلدة على طريقة حسنة ، يستعملون أعمال البر ، فلا تلقى منهم إلا ذا وجه طلق وكلمة لينة ، ولهم كرامة للغرباء وإقبال عليهم ، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم »[٣٢٢] .

وكان دخول ابن جبير مدينة الموصل يوم الثلاثاء الثالث والعشرين لصفر سنة ٥٨٠ هـ ومكث فيها اربعة ايام .

وزار ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (كان حيا سنة ٧٥٤ هـ) مدينة الموصل سنة ٧٢٧ هـ على الأكثر ، واثنى عليها كثناء ابن جبير[٣٢٤] .

الهوامش :

(١) عن انواع الرحلات ، ينظر : الاكسير في فكاك الاسير ، لمحمد ابن عثمان المكناسي ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، ١٩٦٥ ، مقدمة المحقق ، ص : خ وما بعدها . جعفر حسن صادق ؛ الرحلات العلمية من الأندلس الى المشرق ؛ رسالة ماجستير ، مطبوعة على الآلة الكاتبة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٨٥ ورقة : ١٤ وما بعدها .

(٢) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط ٢ بيروت ، ١٩٦٢ ص ٣ .

(٣) الحاكم ، معرفة علوم الحديث : تحقيق معظم حسين ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ١٤ .

(٤) الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية : حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٥٧ هـ ، ص ٤٦ .

(٥) ابن حنبل ، المسند : تحقيق احمد شاكر ، دار المعارف ١٩٤٧ / ٢ / ٢٩ ، وينظر : مسلم ، الصحيح : مصر ١٣٢٩ ، ١ / ٨ .

(٦) ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث : ط ١ ، مصر ١٣٢٦ هـ ، ص ٤٩ .

(٧) الخطيب البغدادي ، الكفاية : ص ٢٦ .

(٨) ابن قتيبة ، المصدر السابق : ص ٤٨ .

(٩) ينظر : صحيح مسلم : ١ / ١٠ .

(١٠) عثمان موافي ، منهج النقد التاريخي الاسلامي والمنهج الاوربي : ط ٢ ، الاسكندرية ١٩٧٦ ، ص ٣٣ و ٣٤ .



(١١) الخطيب، محمد عجاج،السنة قبل التدوين: ط ١، القاهرة، ١٩٦٣ ص١٨٧ وما بعدها.
(١٢) مسلم، المصدر السابق: ١/١١، وينظر، ابن حجر، هدى الساري: ط السلفية، مصر ١٣٨٠هـ. ٦/١
(١٣) مسلم، المصدر السابق: ١/ ١١.
(١٤) مسلم: ١/ ١٢ وينظر: ابن خير، فهرسة شيوخه: تحقيق فرنشكة قدارة زيدين، سرقسطة، ١٨٩٣م. ص١٢.
(١٥) ينظر: ابن ابي حاتم، تقدمة المعرفة: حيدر آباد، ١٩٥٢، ص ٢٦٢، الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث ط ١، ١٩٧٥، ص ١١٨ و ٢٠٧، وأماكن اخرى، الذهبي ،تذكره الحفاظ ط ٣ ،حيدر آباد ٥٧-١٩٥٨،١/ ٢٧٤. ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ط٢، ١٩٧٩، بيروت ٦/ ٢٤٠، ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله: ط ٢، القاهرة، ١٩٦٨، ١/١١١وما بعدها.
(١٦) ينظر، الخطيب البغدادي، الكفاية: ١٨٤ وما بعدها، القاضي عياض، الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع: تحقيق احمد صقر، ١٩٧٠ ص٦٩ وما بعدها، ابن الصلاح، المقدمة: مطبعة السعادة، ط ١، ١٣٢٦هـ ص٥٠ وما بعدها.
(١٧) ينظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان: تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت ٢/ ٤٠٩ و ٣ / ٣١٠. جعفر حسن، المصدر السابق: ورقة ٢٨ وما بعدها.
(١٨) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله: ١/ ١١٣ القاضي عياض، الغنية «فهرسة شيوخه» تحقيق ماهر جرار، بيروت، ١٩٨٢ ص١٥٤.
(١٩) ابن خلدون، المقدمة: طبعة ابن شقرون، مصر،ص٤٠٦ و ٤٠٧.
(٢٠) ينظر مثلاً: ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكلة: تحقيق احسان عباس، ط ١، بيروت، ١٩٧٣، ٦/ ١١٤.
(٢١) ينظر على سبيل المثال: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس: ط ١، الدار المصرية، ١٩٦٦، ١/ ١٢ و٩٢ و١٢٤ و٢/ ٢٠٧ و١٩٣، وابو العرب، طبقات علماء افريقية وتونس ط ٢ الدار التونسية ١٩٦٨، ١٦٣ و ١٦٨ واماكن اخرى. المالكي، رياض النفوس، تحقيق حسين مؤنس ط ١٩٥١/١. ٦٢/١ و ١٧٢ و ١٩٨. الدباغ، معالم الايمان تحقيق ابراهيم شبوح، مصر ١٩٦٨، ٢/ ٧ و٩٥، ٢٢٠.
(٢٢) المقري، نفح الطيب: تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٦٨ ٣/ ١٦٥.
(٢٣) المقري، المصدر السابق، ٣/ ١٥٥.
(٢٤) المقري: المصدر السابق، ٣/ ١٥١.
(٢٥) المقري: نفسه، ٣/ ١٥٣.
(٢٦) المعجب في تلخيص اخبار المغرب: ط ١، القاهرة، ١٩٤٩ ص٣٥٨.
(٢٧) امين، ظهر الاسلام: ط٣، القاهرة ١٩٦٢، ٣/ ٢٥.
(٢٨) ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ١/ ١٣٠، المقري، النفح، ٣/ ١٦٨ و ١٧٠ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٨٥.
(٢٩) ينظر ج ٢ و ج ٣.
(٣٠) ترجم له ابن خلكان: ٣/ ٥٣، السبكي، طبقات الشافعية ط ٢، الحسينية: ٤/ ٢٣٧، الاسنوي، طبقات الشافعية تحقيق عبدالله الجبوري، بغداد، ١٩٧٠، ٢/ ١٩٣، الذهبي، العبر: ٤/ ٢٥٦، ودول الاسلام، تحقيق فهيم شلتوت القاهرة، ١٩٧٤، ٢/ ٩٧، البغدادي، هدية العارفين ط، استانبول، ١٩٥٠، ١/ ٤٥٧، ابن الجزري، غاية النهاية، القاهرة، ١٩٣٥، ١/ ٤٥٥.
(٣١) الاسنوي، ٢/ ١٩٤.
(٣٢) وفيات الأعيان، ٣/ ٥٣.
(٣٣) ترجم له، ابن الشعار في العقود: ج ٤ ورقة ٤١أ. ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الالقاب، ١/ ٥٤٨، تحقيق مصطفى جواد، ط ١٩٦٧
(٣٤) ترجم له، ابن الشعار: ج٣ ورقة ٢٦٤أ.
(٣٥) ترجم له الاسنوي، ٢/ ١٩٦، ابن تغري بردي، المنهل الصافي تحقيق احمد نجاتي القاهرة، ١٩٥٦، ١/ ٣١٦.
(٣٦) ترجم له، ابن خلكان: ٧/ ٢٠٣، الاسنوي، ١/ ٥١٣، الحنبلي، شذرات الذهب، طبعة القدسي، ٤/ ٣٣٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ط، القاهرة ١٣٤٨هـ، ١٣/ ٣٣، ابو شامة، الذيل، ط ٢، بيروت، ١٩٧٤، ص ٣١.
(٣٧) ترجم له، ابو شامة، الذيل على الروضتين: ط ٢، بيروت، ١٩٧٤ ص١٣٦ مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل، بيروت، ١٩٧٣، ٢/ ١٤٦.
(٣٨) ترجم له، ابن الشعار ج١٠ ورقة ٣٤٩، ابن خلكان: ٧/ ٨٤، السبكي، ٥/ ١٥١، الاسنوي، ٢/ ١١٥، ابو شامة: ص١٦٣، الذهبي، معرفة القراء: تصحيح محمد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٩، ٢/ ٤٩٤.
(٣٩) ابن خلكان، ٧/ ٨٩، ابن الشعار: ج ١٠ ورقة ٣٤٩.
(٤٠) وفيات الأعيان، ٧/ ٨٩ و ٩٠.
(٤١) ترجم له، ابن خلكان، ٧/ ٤٦، ابن الشعار: ج١٠ورقة ٢١٥، السيوطي بغية الوعاة: تحقيق محمد ابو الفضل، القاهرة، ١٩٦٤، ٢/ ٣٥١، الفيروز آبادي، البلغه: تحقيق محمد المصري، دمشق، ١٩٧٢ ص٢٨٩، الحنبلي، شذرات، ٥/ ٢٢٨.
(٤٢) ابن خلكان، ٧/ ٥٢.
(٤٣) ترجم له، ابو شامة، الذيل: ٢٣٢- الكتبي، عيون التواريخ: ، تحقيق فيصل السامر. ط، بغداد، ١٩٨٠، ٢/ ٣١٥.
(٤٤) ابن تغري بردي، المنهل، ١/ ٨٤
(٤٥) ترجم له: السبكي: ٥/ ٥٧٢ الاسنوي: ١/ ٢٨٤. الذهبي، العبر: ٥/ ٤٠ الحنبلي، شذرات: ٥/ ٤٤٩ مجير الدين، الانس الجليل: «واسمه عبد الرحمن».
(٤٦) ترجم له، ابن حجر، الدرر الكامنة: ٣٠٦/٤، وانباء الغمر تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٩،١/ ٥٢. البغدادي،



هدية ٢/١٦٦، الحنبلي، شذرات: ٦/ ٢٣٦، الداودي، طبقات المفسرين: ٢/ ٢٣٩.

(٤٧) ترجم له، مجير الدين، الانس الجليل: ٢/ ١٦٤، البغدادي، هدية: ٢/ ١٧٥.

(٤٨) مجير الدين، الانس: ٢/ ١٦٤.

(٤٩) ابن ابي اصيبعة، عيون الابناء: ٦١٣ و ٦١٤.

(٥٠) ترجم له، ابن خلكان: ٣/ ٣١٧. السبكي: ٥/ ٢٥٣. الاسنوي: ١/ ٤٧٩. الذهبي، العبر: ٣/ ٣٣٤، السيوطي، حسن المحاضرة: ، تحقيق محمد ابو الفضل، ط ١، القاهرة ١٩٦٧، ١/ ٤٠٤. البغدادي، هدية: ١/ ٦٩٤. والخلعي: نسبة الى بيع الخلع، لانه كان يبيع الخلع لاملاك وامراء مصر فاشتهر بذلك وعرف به. قاله ابن خلكان، والأسنوي.

(٥١) الاسنوي: ١/٤٧٩، السيوطي، حسن المحاضرة: ١/١٠٤.

(٥٢) هو: ابراهيم بن سعيد بن عبدالله "ابو اسحاق المصري، حافظ مصر، توفي سنة ٤٥٢ هـ. ينظر، الذهبي، تذكرة: ٣/ ١١٩١.

(٥٣) عياض، الغنية: ، تحقيق ماهر جرار، بيروت، ١٩٨٢، ٦٧.

(٥٤) البغدادي: هدية: ١/٦٩٤.

(٥٥) الاسنوي: ٢/ ٤٤٣.

(٥٦) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٥/ ٢١٤.

(٥٧) ترجم له الاسنوي: ٢/٤٤٣. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٤/ ١٧١.

(٥٨) قال المنذري: وله فيه وهم ظاهر، ينظر الاسنوي: ٢/ ٤٤٣.

(٥٩) ترجم له، ابو شامة، الذيل: ١٦٢، الاسنوي: ١/ ٤٩٩. البغدادي: هدية: ٢/ ١١٣.

(٦٠) البغدادي، هدية: ٢/ ١١٣.

(٦١) ترجم له، السبكي: ٥/ ١٥٢، الاسنوي: ٢/ ١٩٦.

(٦٢) ترجم له، الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق محمد محيي الدين، مصر، ١٩٥١، ٢/ ١٢١ البغدادي: هدية ١/ ٧١١ وينظر، العدواني، عبدالوهاب، الادب في ظل الدولة الزنكية، كتاب مطبوع على الألة الكاتبة ورقة: ٥٦.

(٦٣) ابن ابي اصيبعة، عيون: ص٥٤٩.

(٦٤) الفاسي، العقد الثمين: تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٦٤ ٣/ ٣٠٦.

(٦٥) العقد الثمين: ٣/ ٤١٧.

(٦٦) ترجم له، الفاسي، العقد الثمين: ٣/ ٢٤٩، السخاوي، الضوء اللامع: ١/ ١٣٧ طبعة القدسي.

(٦٧) خليل بن اسحاق بن موسى، من اشهر علماء المالكية في زمانه توفي سنة ٧٧٦ هـ وقيل غير ذلك. ينظر نيل الابتهاج لاحمد بابا، تحقيق، ناطق صالح مطلوب، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس/ كلية الآداب ١٩٧٣ ورقة ٣٠٥ و ٣١٠، ابن فرحون الديباج المذهب: ١/ ٣٥٧ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢/ ١٧٥.

(٦٨) ينظر، نيل الابتهاج، ورقة: ٣٠٨.

(٦٩) ترجم له الحميدي جذوة المقتبس: ط مصر، ١٩٦٦ ص ٢٤٠ الضبي، بغية الملتمس، ط، القاهرة ١٩٦٧ ص ٣١٩ ابن بشكوال، الصلة: ط القاهرة، ١٩٦٦، ١/ ٢٣٧ ابن خلكان، وفيات: ٢/ ٤٨٨ السيوطي، بغية الوعاة: ٢/ ٧، ابن بسام، الذخيرة، تحقيق احسان عباس، ط ١، بيروت ١٩٧٩، ق ٤٠ ج ١/ ٨. المقري، نفح: ٣/ ٧٦. الفيروز آبادي: البلغة: ٩٧.

(٧٠) الحميدي المصدر السابق: ٢٤٠، الضبي، المصدر السابق: ٣١٩.

(٧١) ابن بشكوال، المصدر السابق ٢٣٧ و ٢٣٨.

(٧٢) ابن بشكوال: ١/٢٣٨ وينظر مبحث ماحمله ورواه اهل المغرب والاندلس عن علماء الموصل – علوم العربية وآدابها –

(٧٣) حسين بن وليد بن نصر، يكنىٰ ابا القاسم ويعرف بابن العريف من اهل قرطبة، واحد علماء النحو بها توفي سنة ٣٩٠ هـ. ينظر، ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ط، مصر، ١٩٦٦ ١/١١٤.

(٧٤) ينظر، مثلاً، ابن بسام: الذخيرة، ق ٤ ج ١/ ١٥، و ١٧، و٣٢، السيوطي، بغية الوعاة: ٢/ ٨. المقري، نفح: ٣/ ٧٦، ٧٨ و ٩٨.

(٧٥) ابن بشكوال: الصلة: ١/ ١٠٠.

(٧٦) والمذكور من اهل مصر دخل الاندلس سنة ٣٥٦ هـ واخذ باشبيلية عن ابن بكر الموصلي كتاب الضعفاء وبه حدث حتىٰ وفاته باشبيلية سنة ٤٢١ هـ.

(٧٧) ترجم له، الغبريني، عنوان الدراية: تحقيق عادل نويهض ط ١، ص ١٧٨ – ١٧٩.

(٧٨) الغبريني، عنوان الدراية: ١٨٠.

(٧٩) ابن الفوطي، مجمع الاداب، في معجم الالقاب، تحقيق مصطفى جواد ق ١ ص ٦٦.

(٨٠) ترجم له، المنذري، التكلة: ٦/ ٤، السبكي: ٥/ ١٣٢، الاسنوي: ١/ ٢٧٣ ابن ابي اصيبعة: ٦٨٣، الكتبي، فوات: ٢/ ٧. القفطي، انباه الرواة: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٥٢، ٢/ ١٩٣. السيوطي، حسن المحاضرة: ١/ ٥٤٨. والبغية: ٢/ ١٠٦ الحنبلي، شذرات: ٥/ ١٣٢. البغدادي، هدية: ١/ ٦١٤.

(٨١) ابن ابي اصيبعة: ص ٦٨٣.

(٨٢) المنذري: ٤/ ٢٧٧، ابن ابي اصيبعة: ص ٦٨٣.

(٨٣) المنذري: ٤/ ٢٧٧.

(٨٤) ابن ابي اصيبعة: ٦٨٣، الاسنوي: ١/ ٢٧٤ وفيه: «وانه كان يحط كثيراً على مصنفات الشيخ شهاب الدين السهروردي»

(٨٥) ابن ابي اصيبعة: ٦٨٣ و ٦٨٥.

(٨٦) ينظر، ابن خلكان: وفيات: ٤/ ٤٣٦، ابن ابي اصيبعة: ٥١٧، عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، ط ١، القاهرة ١٩٦٤، ق ١ ص ٤٧٣.

(٨٧) ابن ابي اصيبعة. ٥١٩.



(٨٨) الغبريني، عنوان الدراية : ١٤٤.
(٨٩) ابن ابي أصيبعة : ٦٩١.
(٩٠) عيون الانباء : ٦٩٣ – ٦٩٦، وينظر، الاسنوي : ١/ ٢٧٤. البغدادي، هدية : ١/ ٦١٤.
(٩١) ترجمه له، المنذري، التكلة ٤/ ١٣٢، ابن خلكان : ٣/ ٣٤٦، الغبريني. عنوان الدراية : ١٨٠، ابن المستوفي، تاريخ اربل : ، تحقيق سامي الصفار، بغداد، ١٩٨٠ ١/ ١٥١. الحنبلي، شذرات : ٥/ ٤٩، نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات : ١٦٣.
(٩٢) المنذري : ٤/ ١٣٢.
(٩٣) ينظر، ط، دمشق ١٩٥٣، ص ١ و ٢.
(٩٤) هو : علي بن احمد بن الحسن الحرالي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ، ينظر، عنوان الدراية : ١٤٣.
(٩٥) عنوان الدراية : ١٨٠ – ١٨٢.
(٩٦) على سبيل المثال، ينظر، المنذري، التكلة : ٦/ ٤٤، ابن خلكان : ٤/ ٣١٦، رحلة التجيبي السبتي، مستفاد الرحلة والاغتراب : تحقيق عبدالحفيظ منصور، ط، ١٩٧٥. ص ٣٩ – ٤٢، و١٤٦ – ١٥٠ و ٣٨٢.
(٩٧) ابن ابي اصيبعة : ٤١١ و٤١٢.
(٩٨) المقدمة : ، طبعة ابن شقرون، مصر. ص ٣٩٦
(٩٩) القاضي عياض، ترتيب المدارك : ، تحقيق عبدالقادر الصحراوي، الرباط، ١٩٦٨. ٣/ ٨٤.
(١٠٠) القاضي عياض، ترتيب المدارك : ٣/ ٦٧ و ١٠٢ و ٢٩٦.
(١٠١) القاضي عياض، ترتيب المدارك : ٣/ ١٩٩.
(١٠٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك : ٣/ ١١٦ و ١٢٦ و ٣٧٩.
(١٠٣) ابن خلدون، المقدمة : ٣٩٦.
(١٠٤) مطلوب، ناطق صالح، فهارس شيوخ العلماء في المغرب والاندلس حتى القرن العاشر الهجري، رسالة دكتوراه، مطبوعه على الالة الكاتبة، جامعة عين شمس، كلية الاداب، ١٩٧٨ ورقة : ٣٧١.
(١٠٥) مطلوب، فهارس شيوخ العلماء، ورقة ٣٧١ – ٣٧٤.
(١٠٦) احمد بابا، نيل الابتهاج، ورقة : ٣٠٨.
(١٠٧) ينظر، الباب الخاص بالعلوم.
(١٠٨) ابن خلكان : ١/ ١٧، وينظر، السبكي : ١/ ٢٣٨.
(١٠٩) الاسنوي : ٢/ ٨٣ و ٨٤.
(١١٠) ينظر، عبدالجبار حامد، الحياة العلمية في الموصل في عصر الاتابكة، رسالة ماجستير، مكتوبة على الالة الكاتبة، جامعة الموصل كلية الآداب – ١٩٨٦ : ٢٤٠.
(١١١) بروكلمن، تاريخ الادب العربي : «الترجمة العربية»، ٣/ ٢٤٧.
(١١٢) بروكلمن، المرجع السابق ، ٣/ ٢٦٨.
(١١٣) تاريخ بغداد : بيروت ، ٤/ ٣٧٧.
(١١٤) ينظر، بروكلمن، المرجع السابق ٣/ ٢٦٩.
(١١٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ ، ٣/ ٧٨٥.
(١١٦) تاريخ بغداد ، ٥/ ١١٢، وينظر، الذهبي، تذكرة : ٣/ ٧٨٥ و ٧٨٦.
(١١٧) ينظر، الذهبي، معرفة القراء : ، ٢/ ٥٨١ دول الاسلام، ١/ ٢٠٨. بروكلمن، المرجع السابق، ٣/٣١٤.
(١١٨) ينظر، ابن المستوفي، تاريخ اربل ، ١/ ٦٣، ابن الابار، التكلة، ط ٢ العطار، ١٩٥٦ ، ١/ ٩٦ مطلوب، فهارس شيوخ العلماء، ورقة : ٣٧٤.
(١١٩) ينظر، مثلاً، ترتيب المدارك تحت عنوان : «... اهل العراق»
(١٢٠) ترجم له، عياض، ترتيب المدارك : تحقيق احمد اعراب، تطوان، ١٩٨٣ ، ٨/ ١١٧ ابن بشكوال ، ١/ ٢٠٠، ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق ، ٦/ ٢٥٠، ابن خلكان : ٢/ ٤٠٨، الضبي، بغية الملتمس : ص٣٠٢، الكُتبي، فوات الوفيات ، ٢/ ٦٤ ابن بسام، الذخيرة : ق٢ ج١/ ٩٤، ابن فرحون، الديباج ، ١/ ٣٧٧ الذهبي، تذكرة : ٣/ ١١٧٩، المقري، نفح ، ٢/ ٧١.
(١٢١) ترجم له، التجاني في رحلته : ط ١، تونس، ١٩٥٨ ص ٣٧١.
(١٢٢) ابن الشعار، العقود، ج٥ ورقة ١٤٣ب.
(١٢٣) منهم : ابو الفضل بن عمروس امام المالكية، وابو الطيب الطبري، رئيس الشافعية والصيمري امام الحنفية. ينظر: عياض، ترتيب المدارك ، ٨/ ١١٧ و١١٨، ابن بشكوال، الصلة ، ١/ ٢٠١.
(١٢٤) اسمه : محمد بن احمد بن محمد، قاضي الموصل، وعالم من العلماء المشهورين بها. ينظر: ابن قطلوبغا، تاج التراجم : ط ١ بغداد، ١٩٦٢ ص٦١.
(١٢٥) ابن بشكوال ، ١/ ٢٠١، ابن خلكان ، ٢/ ٤٠٩.
(١٢٦) عياض، ترتيب ، ٨/ ١١٨، ابن فرحون ، ١/ ٣٧٨.
(١٢٧) المقري، نفح ، ٢/ ٧١.
(١٢٨) الذهبي، تذكرة ، ٣/ ١١٧٩.
(١٢٩) عياض، ترتيب : ، ٨/ ١١٩، وينظر، ابن عساكر: ٦/ ٢٥٠.
(١٣٠) تاريخ الادب العربي ، ٣/ ٢٦٨.
(١٣١) رحلة التجاني : ص٣٦٩ و ٣٧٠.
(١٣٢) عقود الجمان، ج٥ ورقة ١٤٣ب وما بعدها.
(١٣٣) على سبيل المثال، ينظر: ابن الابار، التكلة ، ١/ ٢٢ و٢٦ و٣٢ و٥٧ و٥٩ و٦١ و٧٤ و٨٢ و٨٧ و٩٠ و٩٢ و١٠٤ و ١٤٧ و ١٥٤ و١٥٦ و ١٨٠ و ١٨١ و١٨٦ و٢٦١ و٢٦٧ و ٣٢٥ و٤٠٦ و٥٥٩ و٥٦٩ و٧١٣ و٧١٨ و٧٢٢ و٧٣٥ و ٧٣٧ ومطلوب، فهارس شيوخ العلماء : ورقة ٣٦٦ وما بعدها.
(١٣٤) الخطيب البغدادي ، ١٣/ ٢٢٦ الذهبي، تذكرة : ١/ ٢٨٧، السيوطي، طبقات الحفاظ : تحقيق علي محمد عمر، ط ١، القاهرة، ١٩٧٣، ص١٢٠، الحنبلي، شذرات : ١/ ٣٠٨. الخزرجي، خلاصة تذهيب الكمال : ط ١ مصر ١٣٢٢ هـ ص٣٢٥.
(١٣٥) ترجم له، الذهبي، تذكرة : ، ١/ ٣٥٢، السيوطي، طبقات الحفاظ : ص١٥١. الخزرجي، خلاصة تذهيب الكمال : ص٢٦٧.
(١٣٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ٤/ ٥.



(١٣٧) ترجم له ، الذهبي ، تذكرة ، ٢/ ٤٩٤ ، السيوطي ، طبقات الحفاظ : ص٢١٥ . الخزرجي ، خلاصة : ص٢٩٥ .

(١٣٨) ترجم له ، الذهبي ، تذكرة ، ٢/ ٥٣٥ البغدادي ، هدية : ١/ ٢٦٥ ، وعن نسبه ، ينظر التجيبي السبتي ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق عبدالحفيظ منصور ، تونس ، ١٩٧٥ ، ص٦٧ .

(١٣٩) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ٤/ ١١٠ .

(١٤٠) ترجم له ، الذهبي ، تذكرة ، ٣/ ٨٨٩ .

(١٤١) ترجم له ، الذهبي ، تذكرة : ٢/ ٧٠٧ والعبر : ٢/ ١٣٤ ، ودول الاسلام : ١/ ١٨٦ السيوطي ، طبقات الحفاظ : ص٣٠٦ . البغدادي ، هدية ، ١/ ٥٧ .

(١٤٢) الذهبي ، تذكرة ، ٢/ ٢٠٧ ، السيوطي ، طبقات : ص٣٠٦ .

(١٤٣) هو : الحسين بن علي ، احد جهابذة الحديث في الحفظ والاتقان سمع ابو يعلى وحمل عنه ، توفي سنة ٣٤٩هـ ، تذكرة الحفاظ ، ٣/ ٩٠٣ .

(١٤٤) احمد بن محمد بن حفص ، توفي سنة ٣١٧هـ ، تذكرة الحفاظ ، ٣/ ٧٩٨ ، والعبر ، ٢٠/ ١٦٩ .

(١٤٥) ابو العباس الشيباني ، الحسن بن سفيان بن عامر ، توفي سنة ٣٠٣هـ .

التذكرة ، ٢/ ٧٠٣ . العبر ، ٢/ ١٢٤ .

(١٤٦) الذهبي ، التذكرة : ٢/ ٧٠٨ ، السيوطي ، طبقات الحفاظ ص٣٠٦ .

(١٤٧) ترجم له ، الذهبي ، تذكرة ، ٣/ ٨٩٤ ، السيوطي ، طبقات الحفاظ : ص٣٦٦ . البغدادي ، هدية ، ٢/ ٥٣٦ .

(١٤٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٢/ ٢٤٣ ، الذهبي ، تذكرة ، ٣/ ٩٦٧ والعبر ، ٢/ ٣٦٧ ، السيوطي ، طبقات الحفاظ : ص٣٨٦ ، البغدادي ، هدية ، ٢/ ٥٠ .

(١٤٩) ترجمه له ، ابن خلكان : ٤/ ١٤١ ، ابن الشعار ، العقود ج٦ ورقة ١٥أ السبكي ، ٥/ ١٥٣ ، الاسنوي ، ١/ ١٣٠ ، ابن كثير البداية والنهاية ، ١٣/ ٥٤ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ٢/ ١١٣ ، الحنبلي ، شذرات ، ٥/ ٢٢ السيوطي ، بغية الوعاة ، ٢/ ٢٧٤ ، البغدادي ، هدية : ص٢/ ٢ .

(١٥٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ١/ ٩١ ، الحميدي ، الجذوة : ص١٧٧ ، الضبي ، البغية : ص٢٤٥ ، ابن بشكوال ، الصلة ، ١/ ١١٦ .

(١٥١) ابن الفرضي ، ١/ ٩٢ .

(١٥٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ١/ ٧٨ .

(١٥٣) الحميدي ، جذوة المقتبس : ص١١ ، ابن عساكر ، تهذيب : ٣/ ٢٨١ ، وينظر ، مطلوب ، فهارس شيوخ العلماء ، ورقة : ٦١ .

(١٥٤) ابو العرب ، طبقات علماء افريقية وتونس : تحقيق علي الشابي ، تونس ، ١٩٦٨ ، ص٩٥ و ٩٦ المالكي ، رياض النفوس : تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ١/ ١٧٢ ، الدباغ ، معالم الايمان ، تحقيق ابراهيم شبوح ، القاهرة ١٩٦٨ ١/ ٢٣٥ .

(١٥٥) طبقات علماء افريقية وتونس : ص٩٦ .

(١٥٦) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ١/ ٢٧٠ ، وينظر ، عياض ، ترتيب المدارك ، ٤/ ١٢٩ - ١٣١ .

(١٥٧) ابن الابار ، التكلة ، ٢/ ٩١٨ .

(١٥٨) ٤/ ١٣٥٦ .

(١٥٩) ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكلة ، ١/ ٥٦٠ .

(١٦٠) التذكرة ، ٤/ ١٣٩٠ .

(١٦١) الدباغ ، معالم الايمان ، ١/ ٢٣٥ و ٢٣٤ .

(١٦٢) نفح الطيب ، ٢/ ٨ .

(١٦٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس : ١/ ١٩ .

(١٦٤) ترجم له ، ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكلة : ٥/ ٥٨٢ ، ابن الابار ، التكلة : ٢/ ٤٧٤ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس : ط ١ ، الرباط ، ١٩٧٤ ، ١/ ٢٦٢ المقري ، نفح : ٢/ ١٥٦ .

(١٦٥) ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكلة : ٥/ ١٥٨ .

(١٦٦) عبدالله بن احمد ، خطيب الموصل ومسندها في الحديث ينظر : الذهبي التذكرة : ٤/ ١٣٤١ .

(١٦٧) ترجم له ابن خلكان ، وفيات : ٧/ ٨٦ ، ابن الابار ، التكلة : ٢/ ٩١٨ .

(١٦٨) ترجم له ، ابن خلكان ، وفيات : ٧/ ٨٦ ، ابن الابار ، التكلة : ٢/ ٥٠١ ، المقري ، نفح : ٢/ ١٥٧ .

(١٦٩) ترجم له ابن الابار ، التكلة : ٢/ ٦٠٤ ، ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل : ٦/ ٢٩٨ ، الرعيني ، البرنامج ، تحقيق ابراهيم شبوح ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٦٢ ص١١٧ .

(١٧٠) ترجم له ، ابن الابار التكلة : ١/ ١٨٥ ، المقري ، نفح ٢/ ٦٠٦ .

(١٧١) ترجم له ، ابن الابار ، التكلة : ٢/ ٦١٣ ، ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكلة : ٦/ ٤٤ .

(١٧٢) ترجم له ، ابن الابار : ٢/ ٦٤٣ ، ابن المستوفي ، تاريخ اربل : ١/ ٣٠٠ ، الذهبي ، تذكرة : ٤/ ١٤٢٣ ، الصفدي ، الوافي : ٥/ ٢٥٢ .

(١٧٣) التكلة : ٢/ ٦٤٤ .

(١٧٤) ترجم له ، ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكلة ، تحقيق محمد بن شريفة ، ط ١ ، الرباط ، ١٩٨٤ ، ٨/ ١٦١ ، الغبريني ، عنوان الدراية ص١٣٧ ، احمد بابا ، نيل الابتهاج : ورقة : ٦٢٢ ، ابن الابار ، التكلة : ط ١ مجريط ٥/ ٦٨٧ ابن قنفذ ، الوفيات : تحقيق عادل نويهض ص ٣٢١ .

(١٧٥) ابن عبدالملك ، الذيل والتكلة : ٨/ ٣٣٧ .

(١٧٦) ترجم له ، ابنه محمد الوادآشي في برنامجه تحقيق محمد محفوظ ، ط١ ، ١٩٨٠ ص٥٤ ابن القاضي ، درة الحجال : تحقيق ، محمد الأحمدي ، ط ١ ، القاهرة ١٩٧٠ ، ١/ ٣٢ .

(١٧٧) ترجم له ، ابن الخطيب السلماني ، الاحاطة ، تحقيق محمد

عبدالله عنان، دار المعارف، القاهرة ١/ ٣٥٠. والكتيبة الكامنة : تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٦٣ ص ٢٦٠ احمد بابا، نيل الابتهاج : ورقة ٤٨، المقري، نفح : ٧/ ١١١.

(١٧٨) ينظر مثلاً، ابن الابار، التكلة : ١/ ٤٧ و٤٨ و٦٢ و١١١ و ١٢٥ و٤٤٦ و٢/ ٩٣٤.

(١٧٩) الذهبي، معرفة القراء : ١/ ٩٠.

(١٨٠) ينظر، الهامش رقم (١٧٨) اعلاه.

(١٨١) الذهبي، معرفة القراء : ١/ ١٣٣.

(١٨٢) الذهبي، المصدر السابق : ١/ ١٧٩.

(١٨٣) الخطيب البغدادي : ٢/ ٢٠١، ابن خلكان، وفيات : ٤/ ٢٩٨، الذهبي، معرفة القراء : ١/ ٢٣٦، تذكرة الحفاظ : ٣/ ٩٠٨. الداودي، طبقات المفسرين، ٢/ ١٣٢.

(١٨٤) الذهبي، معرفة القراء : ١/ ٢٤٥.

(١٨٥) معرفة القراء : ١/ ٤٨٩.

(١٨٦) ينظر، ابن الجزري، غاية النهاية : ١/ ٥٠٤، المقري، نفح : ٢/ ١٣٦.

(١٨٧) ابن خلدون، المقدمة : ٣٥٦، وينظر، مطلوب، فهارس شيوخ العلماء : ورقة ٣٦٣.

(١٨٨) ابن خلكان، وفيات : ٤/ ٧١.

(١٨٩) الذهبي، معرفة القراء : ٢/ ٤٥٨.

(١٩٠) الذهبي، معرفة القراء : ٢/٥٣٦، ابن الجزري : ٢/ ٨٠.

(١٩١) ترجم له، ابن خلكان، وفيات : ٦/ ١٧١، ابن سعيد، المغرب : تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤ ١/ ١٣٥. الذهبي، معرفة القراء : ٢/ ٤٢٩ ابن الزبير، صلة الصلة : تحقيق بروفنسال ص ١٧٧، ابن الجزري، غاية النهاية ٢/ ٣٧٢، السيوطي، بغية الوعاة : ٢/ ٣٣٤، المقري، نفح : ٢/ ١١٦. الداودي، طبقات المفسرين : ٢/ ٣٦٨.

(١٩٢) ابن خلكان : ٧/ ٨٤، ابن الشعار، عقود الجمان : ج ١٠ ورقة ١٧٦ أ.

(١٩٣) ابن خلكان : ٦/ ١٧١.

(١٩٤) ترجم له، ابن الابار، التكلة : ١/ ٩٠، ابن عبدالملك المراكشي، الذيل : ١/ ٣١٢ الحموي، معجم الادباء : ٧/ ٢٠٥. الذهبي، معرفة القراء : ٢/ ٤٥٩.

(١٩٥) ترجم له، ابن الابار، التكلة : ١/ ٢٣، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل : ١/ ٤٥٢،

(١٩٦) ترجم له، ابن الشعار، العقود ج ٦ ورقة ٢٣٩ ب، السبكي : ٨/ ٦٩. الذهبي. العبر : ٥/ ٢٢٤، الحموي، معجم الادباء : ١٨/ ٢٠٩، الصفدي، الوافي : ٣/ ٣٥٤، الفاسي، العقد الثمين، ٢/ ٨١، السيوطي، بغية الوعاة : ١/ ١٤٤.

(١٩٧) الذهبي، معرفة القراء، ٢/ ٥٢٢، ابن الجزري : غاية : ١/ ٢٥.

(١٩٨) وفاته سنة ٦٨٢ هـ، معرفة القراء : ٢/ ٥٥٠ هـ.

(١٩٩) الذهبي، المصدر السابق : ٢/ ٥٢٢.

(٢٠٠) ترجم له، ابن الشعار، العقود ج ٧ ورقة ١٣٩ أ، ولقيه بحلب سنة ٦٣٥ هـ، الغبريني، عنوان الدراية : ص ٩٧، الكتبي، فوات : ٢/ ٤٧٨، الصفدي، الوافي : ٤/ ١٧٣، الفاسي، العقد الثمين : ٢/ ١٦٠ وله فيه ترجمة طويلة، المقري، نفح : ٢/ ١٦١.

(٢٠١) ينظر، مطلوب، فهارس شيوخ العلماء، ورقة : ٣٧٦.

(٢٠٢) مطلوب، المصدر السابق : ٣٧٦.

(٢٠٣) ينظر، عبدالجبار حامد، المصدر السابق : ص ١٩٣

(٢٠٤) وفيات الاعيان : ٣/ ٣٨٣.

(٢٠٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان : ٧/ ٥٢ و٥٣.

(٢٠٦) ترجم له، ابن خلكان : ٦/ ١٩٧، الحموي، معجم الادباء : ٢٠/ ٣٥.
ابن الشعار، عقود : ج ١٠ ورقة ص ٤٥ ب ووفاته سنة ٦٢٩ هـ

(٢٠٧) ينظر، الفيروز آبادي، البلغة : ص ١٩، السيوطي، بغية الوعاة : ١/ ٣٠٤ البغدادي، هدية : ١/ ٩٥.

(٢٠٨) هدية العارفين : ١/ ٩٥.

(٢٠٩) وفيات الاعيان : ٣/ ٤٨٨.

(٢١٠) انباه الرواة : ٢/ ٣٧٨.

(٢١١) السيوطي، بغية الوعاة : ٢/ ٢٣٦.

(٢١٢) البغدادي، هدية : ١/ ٩٥

(٢١٣) ترجم له، ابن خلكان، وفيات الاعيان : ٢/ ١٧٢ ابن بسام، الذخيرة : ق ٤ ج٢/ ٤٧٥ ابن عساكر، تهذيب : ٤/ ١١٢، الحموي، معجم الادباء : ٩/ ٧٨، الحنبلي، شذرات الذهب ٣/ ٢١٠.

(٢١٤) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : ق ٤ ج ٢/ ٤٧٥ و٤٧٦.

(٢١٥) ابن بسام، الذخيرة : ق ٤ ج٢/ ٤٧٧.

(٢١٦) وفيات الاعيان : ٢/ ١٧٤.

(٢١٧) بياض في الاصل.

(٢١٨) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤ ج٢/ ٤٩٨.

(٢١٩) ابن خلكان : وفيات : ٢/ ١٧٢.

(٢٢٠) ترجم له ابن سعيد، الغصون اليانعة : تحقيق ابراهيم الابياري، ط٢، دار المعارف، مصر، ص ١٣٨، ورايات المبرزين تحقيق النعمان عبد المتعال، ط١ القاهرة، ١٩٧٣، ص ٧٩.
ابن خلكان، وفيات : ٧/ ١٠٠، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل : ٥/ ٣٩٦، صفوان ابن ادريس، زاد المسافر : تحقيق عبد القادرحمداد، بيروت، ١٩٧٠، ٦٢، ابن الزبير، صلة الصلة : ١١٤، المقري، نفح : ٢/ ٦٤١.

(٢٢١) ابن سعيد، الغصون : ١٣٩.

(٢٢٢) مثل مشهور بين الأدباء وغيرهم، فإذا كان الشيء بالياً شبهوه بطيلسان ابن حرب ينظر، ابن خلكان، وفيات : ٩٥/٧ وما قبل في ذلك.

(٢٢٣) وفيات الأعيان : ٩٤/٧ و٩٥

(٢٢٤) ترجم له، ابن الشعار، عقود، ج٦ ورقة ٦٣أ، صفوان بن ادريس، زاد المسافر: ١١٤ الحموي، معجم الأدباء : ٢/ ٣٦، ابن سعيد، المغرب : ٣٨٤/٢، ابن الجزري، غاية



النهاية: ٢/٦٠، المقري، نفح: ٢/٣٨١.

(٢٢٥) ترجم له، ابن الشعار، عقود: ج٦ ورقة ١٦٧أ، ابن المستوفي، تاريخ أربل: ١/٨٩، ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ٢/ ٦٤٤، الغبريني، عنوان الدراية: ٢٨٣، الصفدي، الوافي: ٢/١٠٤. المقري، نفح: ٢/٢١٤.

(٢٢٦) المقري، نفح: ٢/٣٧٢.

(٢٢٧) ترجم له، ابن الشعار ج١٠ ورقة ٢٦ب، ابن الفوطي، مجمع؛ ق١/٥٤٨.

(٢٢٨) ابن خليل، اختصار القدح المعلي، تحقيق ابراهيم الابياري، مصر ١٩٨٠، ص١.

(٢٢٩) ترجم له، السيوطي، بغية الوعاة: ٢/٨٨، المقري، نفح: ٢/٢١٧

(٢٣٠) وكان يكره هذه النسبة ويقلق لها، كما قال ابن عبدالملك المراكشي.

(٢٣١) ترجم له، ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ١/٤٨٧، ابن الابار، التكلة: ١/١٢١ المنذري، التكلة: ٦/٣٣٥، ابن ابي اصيبعة، عيون: ٥٣٨. الذهبي، تذكرة: ٤/١٤٢٥. المقري، نفح: ٢/٥٩٨.

(٢٣٢) ابن عبدالملك المراكشي: ١/ ٥١٢.

(٢٣٣) ابن عبد الملك: ١/ ٥٠١ و ٥٠٢.

(٢٣٤) ابن ابي اصيبعة: ٤٠٩.

(٢٣٥) ابن عبدالملك المراكشي: ١/ ٥٠١.

(٢٣٦) ابن الابار، التكلة: ١/ ٩٣. المقري، نفح: ٢/٣٨٣.

(٢٣٧) ابن الابار، التكلة: ٢/ ٩٠٤.

(٢٣٨) ترجم له القفطي، انباه الرواة ٢/ ٣٨٦. ابن خلكان: ٥/ ٣١٦ و ٣١٧ بعض اخباره.

(٢٣٩) ابن خلكان: ٥/ ٣١٦ و ٣١٧.

(٢٤٠) ابن ابي اصيبعة، عيون: ص٤٧١ و ٤٧٢.

(٢٤١) عبدالجبار حامد، المصدر السابق. ١٩٨.

(٢٤٢) عياض، الغنية: ٥٤، الذهبي، تذكرة: ٤/ ١٢٥٣، ابن فرحون، الديباج ٢/ ٣٣٠، المقري، نفح: ٢/ ٩١.

(٢٤٣) ابن الابار، التكلة: ٢/ ٤٨٩.

(٢٤٤) ابن فرحون، الديباج: ٢/ ٢٥٢، ابن القاضي، جذوة الاقتباس ١/ ٢٦٠، المقري، نفح: ٢/ ٢٨.

(٢٤٥) ابن الابار، التكلة: ٢/ ٤٩١.

(٢٤٦) ابن الابار، التكلة: ١/ ١٤٨ و ١٤٩.

(٢٤٧) ابن سعيد، المغرب: ٢/ ٢٣٥، الصفدي، الوافي: ٣/ ٢٤٥.

(٢٤٨) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ٥/ ٢٦١، الذهبي، معرفة القراء: ٢/ ٢٦٠.

(٢٤٩) المنذري، التكلة: ٤/ ١٠، ابن الابار، التكلة: ١/ ١٠١، الذهبي، تذكرة: ٤/ ١٣٨٩. ابن عبدالملك، الذيل: ١/ ٥٥٨، المقري، نفح: ٢/ ٦٠١.

(٢٥٠) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ٦/ ٣٥٢، المقري، نفح ٢/ ٣٧٩.

(٢٥١) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ٥/ ٤٥٢.

(٢٥٢) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ٥/ ٤٩٦.

(٢٥٣) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ٦/ ٩٧، ابن الابار: ١/ ٦٥، ابن الجزري: ٢/ ٤٥.

(٢٥٤) الذهبي، معرفة القراء: ٢/ ٥٣٣.

(٢٥٥) الكتبي، عيون التواريخ: ٢٠/ ٣١٣، فوات الوفيات: ٢/ ٣٠٦، المقري، نفح ٢/ ٦٤.

(٢٥٦) الذهبي، تذكرة: ٤/ ١٤٤٨، الفاسي، العقد الثمين: ٢/ ٤٠٧، ابن القاضي، الجذوة: ١/ ٢٨٦.

(٢٥٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ١/ ٨٤، السيوطي، طبقات الحفاظ ٢١٥، الحنبلي، شذرات: ٦/ ١٢٢.

(٢٥٨) برنامج الواداشي: ٧٤ و ٧٥، الاسنوي، طبقات الشافعية: ١/ ٤٥٧.

(٢٥٩) ينظر، البرنامج: ص ١٢٧ و ١٥٤ و ١٦٠.

(٢٦٠) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل ٦/ ٤٢٣، ابن الابار، التكلة: ٢/ ٦٢، الرعيني، البرنامج: ص ١٣٤.

(٢٦١) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ٤/ ١٦٣.

(٢٦٢) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ٥/ ٥٦٦، الذهبي، تذكرة: ٤/ ١٤٢٦، ابن الجزري، غاية النهاية: ٢/ ٢٣، ابن الابار، التكلة: ٢/ ٧٠٤، برنامج الرعيني: ص٢٧.

(٢٦٣) ابن عبدالملك، الذيل: ٨/ ٣٤٢، ابن فرحون الديباج ٢/ ٢٦٦.

(٢٦٤) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل: ٥/ ٦٥٧.

(٢٦٥) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل: ٨/ ٣٠٦.

(٢٦٦) فهرسة ابن عطية: ص٨٥.

(٢٦٧) عياض، الغنية: ص١٤٨.

(٢٦٨) فهرسة ماروله عن شيوخه: ص٥٧.

(٢٦٩) فهرسة ماروله: ص٥٧ و ٥٨.

(٢٧٠) - ابن بشكوال، الصلة: ٢/ ٤٢٧ و ٤٢٨.

(٢٧١) - الفهرسة: ص٤٢.

(٢٧٢) - الفهرسة: ص٤٣.

(٢٧٣) ترجم له، ابن حجر، الدرر الكامنة: ٣/ ٣٢٤، احمد بابا، نيل الابتهاج: تحقيق ناطق صالح مطلوب، رسالة ماجستير. مكتوبة على الآلة الكاتبة، جامعة عين شمس - كلية الآداب - ١٩٧٣ ورقة ٦٩٤.

(٢٧٤) ينظر، برنامج شيوخه، نسخة مصورة عن نسخة دير الاسكوريال تحت رقم ٣٥٣ ورقة: ٤٢ - ٤٦ ورحلته: مستفاد الرحلة والاغتراب: ص٤٢٦.

(٢٧٥) برنامج شيوخ الوادآشي: ص١٩٢.

(٢٧٦) رحلته المسماة: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الى الحرمين مكة وطيبة: تحقيق محمد الخوجه، تونس، ١٩٨٢، ٣/ ٣٥٥ و ٣٥٦.

(٢٧٧) مستفاد الرحلة والاغتراب ، ١٨٠ - ١٨٢.

(٢٧٨) الاسنوي: طبقات: ٢/ ٢١٦.

(٢٧٩) ملء العيبة: ٣/ ٣٩٩.

(٢٨٠) البرنامج: ٢٦٥ و ٢٦٦.



(٢٨١) فهرسة مارواه : ١٥٧ .
(٢٨٢) التكملة لوفيات النقلة : ٦/١٢٧ .
(٢٨٣) ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكملة : ٦/٣٥ المقري ؛ نفح ٢/٥٣ .
(٢٨٤) ملء العيبة : ٣/١٠٢ و١٠٣ و١٠٤ و٢٩٦ و٤٠٤ و٤٠٨ و٤٠٩
(٢٨٥) مستفاد الرحلة : ٢٣٨ و ٢٩٢ و ٣٠٩ و ٣٣٠ و ٤٢٦
(٢٨٦) المقري ؛ نفح : ٢/ ٥٩١
(٢٨٧) الفاسي ، العقد الثمين : ٣/ ١٧٠ و ١٧١
(٢٨٨) الفاسي : ٣/ ١٦٨
(٢٨٩) الاسنوي : ١/ ٢٨٤
(٢٩٠) الفاسي ، العقد الثمين : ٣/٢٥٨
(٢٩١) فهرسة مارواه : ٢١١
(٢٩٢) ابن بشكوال ، الصلة : ١/ ١٠٠
(٢٩٣) الرحلة المغربية : ٢٦٣ .
(٢٩٤) برنامج الوادآشي : ٢٢٧
(٢٩٥) برنامج ابو القاسم السبتي التجيبي : ورقة ١٨٠
(٢٩٦) فهرسة مارواه : ٣١٧ و٣١٨
(٢٩٧) ينظر: فهرسة ابن عطية : ٨٠، القاضي عياض، الغنية: ١٦٤ .
(٢٩٨) فهرسة ابن عطية : ٨١
(٢٩٩) الغنية : ١٦٢
(٣٠٠) فهرسة مارواه : ٣٢٦
(٣٠١) فهرسة مارواه : ٤٠٦
(٣٠٢) فهرسة مارواه : ٤٠٦
(٣٠٣) فهرسة مارواه : ٤٠٦
(٣٠٤) تروى لسبعة عشر شاعراً ولايعرف قائلها .
(٣٠٥) فهرسة مارواه : ٤٠٢
(٣٠٦) فهرسة مارواه : ٤١٦
(٣٠٧) فهرسة مارواه : ٢٧٨
(٣٠٨) مستفاد الرحلة والاغتراب : ١٥١ ، وبرنامج شيوخه ورقة ٩٧ .
(٣٠٩) برنامج الواد آشي : ٢١٤
(٣١٠) مستفاد الرحلة والأغتراب : ١٥١
(٣١١) مستفاد الرحلة : ١٨٢
(٣١٢) الرحلة المغربية : ١٤٢ و ١٤٣
(٣١٣) الرحلة المغربية : ١٣٣ و ١٣٤
(٣١٤) الرحلة المغربية : ١١٩
(٣١٥) مستفاد الرحلة : ٧٥
(٣١٦) الغنية : ١٠٣ و ١٠٤
(٣١٧) المقري ، ازهار الرياض : ط١ ، الرباط ، ١٩٧٨ ، ١/ ٢١ .
(٣١٨) ملء العيبة : ٣/ ٩٦ و ٢٩٧ و ٩٧ و ٢٩٨ .
(٣١٩) العبدري ، الرحلة : ص٢٦٣ .
(٣٢٠) ابن بسام ، الذخيرة : ق ٤ ج٢/ ٤٩٧ و ٤٩٨ .
(٣٢١) المقري ، نفح : ٢/ ٣٧٢ .
(٣٢٢) الرحلة : طبعة بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ١٢٠ و ٢١٢ .
(٣٢٤) رحلة ابن بطوطة ، تحفة النظار في عجائب الامصار: تحقيق علي الكتاني ، ط ١ ، ١٩٧٥ ، بيروت ، ١/ ٢٥٤ و ٢٥٥ .



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٨١ لسنة ١٩٩١




دار الكتب للطباعة والنشر
جامعة الموصل


مكتبة
الفكر الجديد

